



العدد (١٤)

السنة ٢٠١٩

مسالك التفسير اللغوي عند الراغب الأصفهاني

(ت ٥٠٢هـ) في "مفردات ألفاظ القرآن"

أ.م.د. حقي إسماعيل محمود السامرائي

&

أ.م.د. إبراهيم يعقوب محمود الحسان

كلية الإمام الأعظم (رحمه الله) الجامعة

الملخص

في هذا البحث سيظهر أن أصحاب المعجمات عامّة، ومنهم الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ) في "مفردات ألفاظ القرآن"، لا يُقدّمون التفسير اللغوي للألفاظ على وفق منهج واحد، وإنما تتعدّد مناهجهم ومسالكهم في ذلك.

وقد أحصينا في هذا البحث مسالك التفسير اللغوي التي اعتمدها الراغب في "مفردات ألفاظ القرآن"، فبلغت: عشرًا، وهي: التفسير بالترادف، والفروق الدلالية، والتضاد، والعلاقات المجازية، والعموم والخصوص، والأوصاف والاعتبارات، والدلالات الاصطلاحية، والأصول الاشتقاقية، والوظائف الصرفية، والعلاقات النحوية.

وأوضحنا في البحث مفهوم كلّ من المسالك السابقة، وفوائدها، وتوظيفها في استنتاج الدلالات اللغوية للألفاظ.

Abstract

AI-Rragheb Al-Asfahani (died 502 H.) courses of linguistic interpretation in the vocabulary of the words of Qur'an

this research, lexicographers dageneral, among them AI-Rragheb Al-Asfahani (died 502H.) in the vocabulary of the words of Quran will show that they do not Present the linguistic interpretation of vocabularies in one medood ,bul they vary.

In this research, we have counted the methods that AI-Rragheb took in consieration in his book, they were en Interpretation in consequence, differences, semantic contradiction - metaphorical relationships, general and private descriptions and considerations idiomatic indications derivative roots, morphological functions. grammatical relationships.

In this research, we have explained the concept of the previous methods heir benefits and the way they used in realizing the linguistic indications for the vocabularies.

مُقَدِّمَةٌ

الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْعَرَبِيِّ الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.
أَمَّا بَعْدُ:

فِيَعُدُّ التَّفْسِيرُ اللَّغَوِيُّ لِلْأَلْفَاظِ الرُّكْنَ الْأَسَاسَ الَّذِي يُبْنَى عَلَيْهِ فَهْمُ الدَّلَالَةِ الْعَامَّةِ لِلنَّصِّ. فَفَهْمُ النُّصُوصِ وَإِدْرَاكِ مَا فِيهَا مِنْ مَعَانٍ وَدَلَالَاتٍ يَسْتَدُّ إِلَى عِدَّةِ أُمُورٍ، مِنْهَا شَخْصِيَّةُ الْقَائِلِ وَاتِّجَاهَاتُهُ الْفِكْرِيَّةُ وَدَوَافِعُهُ النَّفْسِيَّةُ وَثِقَاتُهُ الْعَامَّةُ وَمُسْتَوَاهُ الْعِلْمِيُّ وَأُسْلُوبُهُ فِي التَّعْبِيرِ، وَمِنْهَا الظُّرُوفُ الْمَحِيطَةُ بِالنَّصِّ الَّتِي اصْطُلِحَ عَلَى تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَقَامِ، كَالْمُنَاسِبَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا صِيغَ النَّصُّ، وَالْعَصْرُ وَالْبِيئَةُ اللَّذِينَ قِيلَ فِيهِمَا، وَوَقَعَ الْمُخَاطَبِينَ بِهِ وَمُسْتَوَاهُمُ الْفِكْرِيُّ وَالثَّقَافِيُّ، وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَمِنْهَا النَّصُّ نَفْسَهُ، بِمَا يَحْتَوِيهِ مِنْ أَلْفَاظٍ، وَدَلَالَاتٍ صَرْفِيَّةٍ، وَعَلَاقَاتٍ نَحْوِيَّةٍ، وَصُورٍ بَلَاغِيَّةٍ. وَالْإِحَاطَةُ بِالْأُمُورِ السَّابِقَةِ كُلِّهَا يُعَدُّ ضَرُورِيًّا لِلْوُصُولِ إِلَى الْمَعْنَى الدَّقِيقِ لِلنَّصِّ.

وَإِذَا صَرَفْنَا النَّظَرَ عَنْ شَخْصِيَّةِ صَاحِبِ النَّصِّ وَالظُّرُوفِ الْمَحِيطَةِ بِهِ؛ لَكُنْهَا تَحْتَاجُ إِلَى بَحْثٍ مُسْتَقِلٍّ، وَاتَّجَهْنَا إِلَى النَّصِّ نَفْسَهُ، نَجِدُهُ يَتَأَلَّفُ مِنْ أَلْفَاظٍ، لَهَا دَلَالَاتٌ لُغَوِيَّةٌ، وَوُضَائِفٌ صَرْفِيَّةٌ، وَيَحْكُمُهَا دَاخِلُ التَّرَاكِيْبِ نِظَامٍ نَحْوِيٍّ، يُكْسِبُهَا وَضَائِفَ دَلَالِيَّةٍ، وَيُدْخِلُهَا فِي عِلَاقَاتٍ بَلَاغِيَّةٍ.

وَالْفَهْمُ الدَّقِيقُ لِلنَّصِّ يَتَطَلَّبُ بِلَا شَكٍّ مَعْرِفَةَ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ، وَوُضَائِفِهَا الصَّرْفِيَّةِ، وَالْعِلَاقَاتِ النَّحْوِيَّةِ بَيْنَهَا، وَالصُّوَرِ الْبَلَاغِيَّةِ الَّتِي تَرَكَّبَتْ مِنْهَا.

وَلِهَذَا نَجِدُ أَنَّ دِرَاسَةَ نَصٍّ مَا تَبْدَأُ بِتَفْسِيرِ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ، وَتَحْدِيدِ أَنْوَاعِهَا، وَذِكْرِ وَضَائِفِهَا الصَّرْفِيَّةِ دَاخِلِ السِّيَاقِ، وَتَعْيِينِ مَرْتَبَتِهَا مِنْ حَيْثُ الْحَقِيقَةُ وَالْمَجَازُ، ثُمَّ تَحْدِيدِ وَضَائِفِهَا النَّحْوِيَّةِ الَّتِي اكْتَسَبَتْهَا دَاخِلُ التَّرَاكِيْبِ، ثُمَّ التَّعْرِيجُ عَلَى الْخَصَائِصِ الْجَمَالِيَّةِ وَالصُّوَرِ الْبَلَاغِيَّةِ. وَمَعْرِفَةُ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ وَتَفْسِيرُهَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالتَّفْسِيرِ اللَّغَوِيِّ، وَهُوَ مَوْضُوعُ هَذَا الْبَحْثِ.

وَالْتَّفْسِيرُ اللَّغَوِيُّ لِلْأَلْفَاظِ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يُرَاعِيَ مَوْقِعَهَا دَاخِلَ التَّرَاكِيْبِ، وَأَنْ يَكُونَ مُعَبِّرًا

تعبيراً دقيقاً عن دلالتها في السياق، وألا يتعرض لدلالاتها الفرعية التي لا تتوافق معه، ويُفترض به أن يُعبر عنه بمقابل لفظي على سبيل الترادف إن أمكن، أو بسياق لغوي إن تعذر التماس المرادف.

ولكن عند النظر في المعجمات وكتب التفسير والشروح نجد اختلافاً واضحاً في اتجاهات التفسير اللغوي ومناهجه، وهذا الاختلاف نلمحه في كتاب "مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، موضوع هذا البحث، علماً أن "مفردات" الراغب كتاب متخصص في تفسير الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم.

فالراغب في كتابه "مفردات ألفاظ القرآن" يُقدّم التفسير اللغوي للألفاظ في صور متنوعة، فأحياناً يُفسّر بالتّرادف أو التّضادّ، وتارة يربط اللفظ بآخر على أساس العموم والخصوص بينهما، وطوراً يُفسّر اللفظ بسياق وصفيّ لأجزائه وطبيعته، وأحياناً بما يُلابسه من الحقيقة والمجاز، وأحياناً بالإشارة إلى وظيفته الصّرفيّة، أو بتحديد ما ينطبق عليه من المصطلحات النّحويّة، وربّما فسّره بحسب الدّلالات الاصطلاحية، أو بالتّعمق في الأصل الاشتقاقيّ لمادته اللّغويّة كما في "معجم مقاييس اللّغة" لابن فارس (ت ٣٩٥هـ).

وهذا البحث يتألف من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

تناولنا في المبحث الأوّل: التفسير بالعلاقات الدلالية، ويشتمل على: التفسير بالتّرادف، والفروق اللّغويّة، وبالتّضادّ، وفي المبحث الثّاني: تحدّثنا عن التفسير بالمجاز وعلاقاته، وخصّصنا المبحث الثّالث: لدراسة التفسير بالبنى والتراكيب، ويشتمل على: الاشتقاق الصّرفيّ، ووظائف البنى الصّرفيّة، والعلاقات النّحويّة. ثمّ أنهينا البحث بخاتمة دوّنا فيها أهمّ النّتائج التي توصّل إليها البحث.

وتجدر الإشارة إلى أنّ مضمون البحث جديد، إذ لم نعثر فيما بين أيدينا من المصادر والمراجع على من كتب في موضوعه؛ ولهذا فإنّ مسالك التفسير التي ذكرناها هي ممّا توصّلنا إليه بالاستقراء والملاحظة. والله الموفق وبه نستعين.

المبحث الأول

التفسير بالعلاقات الدلالية

إنَّ الحاجة إلى توضيح الكلام قد يحسُّ بها صاحب الكلام نفسه، إذا كان يعنيه نقل فكرة أو معنى إلى المتلقِّي، وقد يحسُّها المتلقِّي إذا كان يهْمُه أن يعرف معنى ما تلقَّاه أو عُرِضَ عليه أو عُرِضَ له، وتُمثِّل العلاقات الدلالية، أو أوجه الدلالة بين اللفظ والمعنى أطرف صور توضيح الكلام لِمَا لها من الإحاطة والشُمول في التفسير اللُّغويِّ الدقيق. وتعدُّ العلاقات نتيجة من نتائج التطور اللُّغويِّ^(١).

فالأصل في التفسير المعجميِّ عامَّةً أن يُفسَّر اللفظ بمرادفه، مع الإشارة إلى ما بينهما من فروق إن وُجدت، ويُفترض بالمرادف مطابقة اللفظ المُفسَّر في الوظيفة الصَّرفيَّة، فيُفسَّر كلُّ من اسم الذات والمصدر والمشتقِّ والفعل بما يُطابقه في التقسيم والوظيفة، والتَّجَرُّد والزيادة.

ومن أمثلة ما ورد في تفسير الأسماء: جاء في "لسان العرب": ((الغيث: المطرُ والكلاءُ؛ وقيل: الأصلُ المطرُ، ثُمَّ سُمِّيَ ما يَنْبُثُ به غَيْثًا))^(٢).

فهنا فُسِّر (الغيث) بدلالتيه الحقيقيَّة، وهي: المطرُ، والمجازيَّة وهي: الكلاءُ. و(الغيث) اسم ذات، وكذلك المرادفان. والمُلاحَظ أنَّ صاحب "لسان العرب" لم يَذكر الأصلَ المصدريَّ أو الاشتقائيَّ الَّذي نُقِلَت منه هذه الأسماء، على حين نجد بعض المعجمات كـ"الاشتقاق" لابن دريد (ت ٣٢١هـ)، و"معجم مقاييس اللُّغة" لابن فارس (ت ٣٩٥هـ)، وغيرهما تُعنى في الدَّرجة الأولى بربط الأسماء بأصولها المصدريَّة والاشتقائيَّة.

وفائدة تحديد الأصول المصدريَّة والاشتقائيَّة للأسماء هي ربطها بالمعاني الأصليَّة الَّتِي أُخِذت منها، وهي تُفيد في تفسير سبب التَّسمية ومسوَغاتها، وما يُلابس اسم الذات من صفات غالبية عليه. وأصول الأسماء السَّابقة هي على النُّحو الآتي:

الغَيْثُ: سُمِّيَ بذلك؛ لِأَنَّهُ يَغِيثُ النَّاسَ، أي: يَأْتِيهِمْ عَوْنًا حين يضطرون إليه، فهو مصدر: غَاثٌ يَغِيثُ، بمعنى اسم الفاعل: الغائِثُ، عُبِّرَ به عن اسم الذات، لدلالته على مُسمَّى يُدْرَك بالحواس^(٣). وتحديد الأصل الَّذي أُخِذ منه أفاد الدلالة على الماء النازل من السَّمَاء مع الصِّفَّة الغالبة عليه، وهي إغاثة النَّاس المضطرين إليه.

أَمَّا (المطر) فهو: ماء السحاب، وهو اسم جنس مرتجل، وُضِعَ في الأصل للدلالة على اسم الذات^(٤)، أي: إِنَّهُ يدلُّ على مُسمَّاهُ فحسب دون إفادة، أو صاف مُرافقة له. وأَمَّا (الكَلأ) فهو: العشب يابسُهُ ورطبُهُ، ولم أجد مَنْ أشار إلى أصل تسميته، لكن دلالة مادة (كَلأ) على النُّظر والمراقبة والحفظ تُوحِي بِأَنَّهُ مأخوذ منها؛ لِأَنَّهُمْ كانوا يبحثون عنه فَإِنْ عثروا عليه حفظوه لمواشيهم وحموه من غيرهم، فهو بهذا المعنى: اسم ذات، منقول من مشتقٍّ على صيغة (فَعَل) بمعنى اسم المفعول: المكلوء المحفوظ. فيكون مثل: مال سَلَب، أي: مسلوب، ومتاع جَلَب، أي: مجلوب^(٥)، ولِأَنَّهُ منقول من مشتق أصبح يدلُّ على مُسمَّاه، مع الصِّفة الغالبة عليه، وهي: النُّظر والحفظ. ومن أمثلة تفسير المصادر: جاء في "لسان العرب" مثلاً: ((التَّحَفُّل: التَّزْيِين. والنَّحْفِيل: التَّزْيِين))^(٦).

فالمُلاحَظ أَنَّهُ فسَّرَ كلَّ مصدر بمصدر مرادف من حيث المعنى اللُّغوي ودلالة أحرف الزِّيادة، فـ(التَّحَفُّل) و(التَّزْيِين) فعلاهما: تَحَفَّلَ وَتَزَيَّنَ، مزيدان بالتَّاء والتَّضْعِيف لمعنى المطاوعة^(٧)، الَّذِي يدلُّ عليه المصدران أيضاً. و(التَّحْفِيل) و(التَّزْيِين) فعلاهما: حَفَّلَ وَزَيَّنَ، مزيدان بالتَّضْعِيف لمعنى الجعل والتَّعْدِية^(٨)، فَتَحَقَّقَ في هذا التفسير التَّطابُق في المعنى اللُّغوي للمجرد، والتَّوافُق في المعاني الصَّرْفِيَّة لأحرف الزِّيادة. ومن أمثلة تفسير الأفعال: جاء في "تاج العروس" مثلاً: ((وتَعَقَّلَ: تَكَلَّفَ العَقْلَ، كما يُقال: تَحَلَّمَ وَتَكَيَّسَ. وتَعَاقَلَ: أَظْهَرَ أَنَّهُ عَاقِلٌ فَهَمٌّ، وليس كذلك. وعَقَلَ الشَّيْءَ يَعْقِلُهُ عَقْلاً: فَهَمَهُ))^(٩).

ففي هذا السِّياق المعجمي فسَّرَ دلالة الفعل المجرَّد (عَقَلَ) بمرادفه (فَهَمَ)، وَذَكَرَ معه مصدره (عَقْلاً)؛ للدلالة على أَنَّهُ بمعنى: الفهم. أَمَّا الفعلان المزيدان فقد فسَّرَ دلالتهما العامة الَّتِي تتحصل من المعنى اللُّغوي للمجرَّد، والمعنى الصَّرْفِيَّ لأحرف الزِّيادة. فالفعل (تَعَقَّلَ) ثلاثي مزيد بحرفين هما: التَّاء والتَّضْعِيف، والزِّيادة لمعنى: التَّكَلُّفَ، أي: بذل الجهد للاتصاف بالفعل على الحقيقة^(١٠). أَمَّا الفعل (تَعَاقَلَ) فهو: ثلاثي مزيد بحرفين هما، التَّاء والألف، لمعنى: الإيهام، أي: إِنَّهُ يُوهِمُ النَّاسَ أَنَّهُ عَاقِلٌ وهو ليس

كذلك^(١١).

فتفسير الفعل المجرد (عَقَلَ) إنّما كان بمرادفه (فَهَمَ)، أمّا تفسير الفعلين المزيدين (تَعَقَّلَ) و (تَعَاقَلَ) فكان بذكر المعنى اللُّغَوِيّ للمجرّد مع ما تدلُّ عليه أحرف الزِّيَادَةِ، ولم يُفسَّرَا بمرادفَيْن؛ لِأَنَّ المرادف المفترض للأوّل هو (تَقَهَّمَ)، والمرادف المتبادر إلى الذّهن بالنِّسبة للثّاني هو (تَقَاهَمَ)، والشّائع في (تَقَهَّمَ) أنّ زياداته للتدرُّج أو مواصلة العمل في مهلة^(١٢)، على حين أنّ الزِّيادات في (تَقَاهَمَ) للمشاركة^(١٣)، فليس ثَمّة ترادف ولا مجال للتفسير بالمرادف.

فالتفسير بالمرادف هو الأصل في التفسير المعجمي، لكن أصحاب المعجمات لا يلتزمون به دائماً؛ إمّا لعدم توافر مرادف يُعبّر عن المعنى تماماً، وإمّا لقناعتهم بأنّ أنواع التفسير الأخرى، التي سنتحدث عنها بعد قليل، أكثر دقّة في التعبير عن المراد، أو لأنّها تبادرت إلى أذهانهم فدوّنوها واعتمدوها.

وفيما يأتي عرض لصور التفسير بالعلاقات الدلالية بين الألفاظ عند الرّاغب في "مفردات ألفاظ القرآن".

١ - التفسير بالترادف:

التفسير بالترادف هو الصورة الغالبة على "مفردات ألفاظ القرآن" وغيره من المعجمات، كما ظهر سابقاً، لكن ما يمتاز به الرّاغب أنّه لا يهمل الفروق، بل يذكرها مفصّلةً، ومن أمثلة ذلك قوله: ((الأسف: الحزن والغضب معاً، وقد يُقال لكل واحدٍ منهما على الانفراد، وحقيقته: ثوران دم القلب شهوة الانتقام، فمتى كان ذلك على منّ دونه انتشر فصار غضباً، ومتى كان على منّ فوقه انقبض فصار حزناً))^(١٤).

فالرّاغب هنا فسّر (الأسف) بالمرادف، ذاهباً إلى أنّ معناه يتحصّل من امتزاج معنّيين، هما: (الحزن) و (الغضب)، ثمّ شرع يشرح الخصائص والهيئات التي يمتاز كلّ واحدةٍ منهما عن الآخر. وقد حافظ في تفسيره على الوظيفة الصّرفيّة، فكان اللفظ والمرادف كلاهما من المصادر.

ومن أمثلة التفسير بالترادف قوله: ((السنا: الصّوء السّاطع، والسّناء: الرّفعة، والسّانية: التي يُسقى بها سمّيت لرفعتهها))^(١٥). ففي هذا المقطع فسّر (السنا) وهو اسم ذات بمرادفه

(الصَّوُّ السَّاطِعُ)، وفَسَّرَ (السَّناء) وهو مصدر بمرادفه أيضاً وهو: الرِّفعة.

أما (السَّانِيَة) ففسَّرها بما يدلُّ على العموم، بحيث تُطْلَق على كُلِّ ما يُسْقَى به؛ وذلك لأنَّها في الأصل من الصِّفَات الَّتِي لا تتعلق بموصوف محدَّد، إذ تجري على كُلِّ ما يتصف بالرِّفعة والعلو والقيمة والمنزلة من الأشياء والأشخاص؛ ولهذا جاء تفسيرها شاملاً لجنس ما يُسْقَى به من الآنية.

ومن التفسير بالتَّرادف قوله: ((الرِّدء: الَّذِي يَتَّبِعُ غَيْرَهُ مُعِينًا لَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصِدِّقُنِي﴾^(١٦))، وقد أَرَادَهُ، والرِّدْيُ في الأصلِ مثله، لكن تُعَوِّفُ في المتأخِّر المذموم. يُقَالُ: رَدَأَ الشَّيْءُ رَدَاءَةً، فَهُوَ رَدِيٌّ، والرِّدَى: الهلاك، والترْدِي: التَّعَرُّضُ للهلاك، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْزِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى﴾^(١٧)((١٨)).

ففي هذا السِّياق فسَّرَ الرَّاغِبُ كلاً من: (الرِّدء) و(الرِّدْي) و(الرِّدَى) و(الترْدِي) بما يُرادفه، وهي الطَّرِيقَةُ الأساس في التفسير اللغوي كما اتضح سابقاً.

ومن الأمثلة قال الرَّاغِب: ((فَرْعُ الشَّجَرِ: غُصْنُهُ، وَجَمْعُهُ: فُرُوعٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾^(١٩)((٢٠)). فقد فسَّرَ (الفرع) بمرادفه، وكلاهما اسم ذات.

٢ - التفسيرُ بتحديد الفروق الدلالية:

تعدُّ الفروق الدلالية أسلوباً من أساليب التفسير اللغوي، يلجأ إليه المفسِّرون عامَّةً وأصحاب المعجمات خاصةً في تحديد المعاني الدَّقيقة للمتراكبات عن طريق توضيح ما بينها من فروق.

وظهر أيضاً أنَّ مسالك التفسير كالعوم والخصوص والأوصاف والاعتبارات الدلالية تصب في تحديد الفروق وبيانها، لكن التَّركيز على الفروق نفسها هو أسلوب ينماز في التفسير اللغوي وطريقة مستقلة من مسالكة.

ومن أمثلة التفسير بتحديد الفروق قول الرَّاغِب في مادة (سَدَّ): ((السَّدُّ والسَّدُّ قِيلَ: هُمَا وَاحِدٌ، وَقِيلَ: السَّدُّ: مَا كَانَ خِلْقَةً، وَالسَّدُّ: مَا كَانَ صَنْعَةً))^(٢١).

فاللفظان المُفسَّران مترادفان كما يتضح، ولكن بينهما فرق لم يفت الرَّاغِب ذِكْرَهُ والتَّنبيه عليه.

وجاء في مادة (حنف): ((الْحَنْفُ: هو ميلٌ عن الصُّلالِ إلى الاستقامة، والجَنَفُ: ميلٌ عن الاستقامة إلى الصُّلال. والحنيفُ هو المائلُ إلى ذلك، قال عزَّ وجلَّ: ﴿قَانَتَا لِلَّهِ خَنِيفًا﴾^(٢٢)، وقال: ﴿خَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾^(٢٣)، وجمعه حُنَفَاء، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾^(٢٤) حُنَفَاءَ لِلَّهِ، وتَحَنَّفَ فلانٌ، أي: تحرَّى طريقَ الاستقامة، وسمَّتِ العربُ كلَّ من حجَّ أو اختتن حنيفاً؛ تنبيهاً أنَّه على دين إبراهيم (ﷺ)، والأحنفُ: مَنْ في رجله ميلٌ، قيل: سمِّي بذلك على الثَّغَاوُل، وقيل: بل استعير للميل المجرَّد^(٢٥).

فهنا يُفسَّر الرَّاغِب (الْحَنْف) و(الجَنَف) بتحديد ما بينهما من فروق، تتمثل في اختلاف الجهة المقصودة في كلٍّ منهما. يُضاف إلى ذلك أنَّ (الْحَنْف) قد يُستعمل دالاً على الميل المطلق، المجرَّد من الجهة والغرض، كما في تفسير سبب تسمية (الأعرج): أحنف.

وجاء في "مفردات ألفاظ القرآن": ((الدَّكْرُ: تارةً يُقال ويُراد به هيئةٌ للنَّفس بها يُمكن للإنسان أن يحفظ ما يَقتَنيه من المعرفة، وهو كالحفظ إلا أنَّ الحفظ يُقال اعتباراً بإحرازه، والدَّكْرُ يُقال اعتباراً باستحضاره، وتارةً يُقال لحضور الشَّيء القلب أو القول^(٢٦)). ف(الدَّكْر) إذن يُطلق على معنيين، أحدهما مرادف للحفظ، ولكن بينهما فرق، يتمثل في إحراز الشَّيء واستحضاره.

وأورد الرَّاغِب في مادة (درك): ((الدَّركُ كالدرج، لكن الدَّرَج يُقالُ اعتباراً بالصُّعود، والدَّركُ اعتباراً بالخُود؛ ولهذا قيل: درجاتُ الجنَّة، ودَرَكَاتُ النَّار، ولتصوُّر الدور في النَّار سميت هاويةً، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَفِيعِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾^(٢٧)).

ففي هذا السِّياق فسَّر الرَّاغِب (الدَّرك) و(الدرج) بتحديد الفرق الدَّلالي بينهما. وهذا الأسلوب كما تقدَّم يلجأ إليه في تحديد المعاني الدَّقيقة للمتبادف.

٣- التفسير بالتضاد:

كثيراً ما تُفسَّر المعجمات بعض الكلمات بذكر ضدها، كقول الرَّاغِب في تفسير (السَّهل): ((السَّهْلُ: ضدُّ الحَزْن، وجمعه سُهولٌ، قال تعالى: ﴿تَتَخَذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا﴾^(٢٩)).

وهذا النهج يلجأ إليه أصحاب المعجمات حين لا يتوافر المرادف المناسب، أو حين يجدون إيراد الضد يفى بالغرض في بيان المعنى وتوضيحه، أو تقريبه.

والتفسير بالضد قد يكون دقيقاً حين يكون الضد مفسراً بمرادف في الموضع الخاص به، فالرأغب مثلاً فسر (السهل) بضده وهو: الحزن، لكنه لم يهمل تفسير (الحزن) في موضعه، إذ قال: ((الحزن والحزنة: خشونة في الأرض وخشونة في النفس؛ لما يحصل فيه من الغم، ويضاده الفرح، ولا اعتبار الخشونة بالغم، قيل: حشنت بصره: إذا حزنته))^(٣١).

فهنا عرض تفسير المصدر وهو (الحزن) بأنه خشونة في الأرض. وتفسير المصدر يُغني عن تفسير الصفة المشبهة باسم الفاعل وهي (الحزن)، إذ من الواضح أنها تعني: الخشن من الأرض.

ولكن أحياناً نجد أصحاب المعجمات عامةً يُفسرون الاسم بضده، ثم يعكسون في موضع الضد ولا يزدون على ذلك.

ومن أمثلة هذا النوع من التفسير ما أورده ابن منظور مثلاً في الكلام على كلٍ من (الجهل) و(العلم)، إذ أورد في باب (اللام) تفسير (الجهل) بقوله: ((الجهل: نقيض العلم))^(٣٢). ثم أورد في باب (الميم) تفسير (العلم) على النحو: ((والعلم: نقيض الجهل))^(٣٣).

وهذه الطريقة في التفسير من المآخذ التي تؤخذ على أصحاب المعجمات؛ لأنها تؤدي إلى الوقوع فيما يُسمى في الاصطلاح بـ(الدور العلمي)، وهو وجود شيئين بحيث يتوقف العلم بكل واحد منهما على الآخر^(٣٤).

ومفهوم (الدور) ينطبق على تفسير (الجهل) و(العلم) عند ابن منظور؛ لأنه علّق معرفة كلٍ منهما على الآخر.

وقد أورد صاحب "تاج العروس" نقداً في عدة مواضع للفيروز آبادي، بسبب وقوعه في (الدور)، ومن ذلك قوله مثلاً: ((قال شيخنا: فسر {الإباء هنا بالكُره، وفسر الكُره فيما مضى} بالإباء على عادته))^(٣٥)، أي: على عادته في الوقوع في (الدور) الذي يُفضي إلى الإبهام والمُحال.

ويبدو أَنَّ الرَّاعِبَ كانَ مُتَنَبِّهًا لِهَذَا الْأَمْرِ، فَتَفْسِيرُهُ بِالتَّضَادِّ كَانَ يُتَّبَعُهُ بِشَرْحٍ وَتَوْضِيحٍ يُخْرِجُهُ مِنَ (الدَّوْرِ).

وَمِنْ أَمْثَلَةِ ذَلِكَ تَفْسِيرُهُ لـ (المعرفة) بِقَوْلِهِ: ((المعرفة والعرفان: إدراكُ الشَّيْءِ بِتَقْطُرٍ وَتَدَبُّرٍ لِأَثَرِهِ، وَهُوَ أَخْصُ مِنَ الْعِلْمِ، وَيُضَادُّهُ الْإِنْكَارُ))^(٣٦).

فَقَدْ فَسَّرَ (المعرفة) بِضِدِّهَا وَهُوَ: الْإِنْكَارُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَقْتَصِرْ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ أوردَ الْمُرَادِفَ مَعَ مَا يُلَاقِيهِ مِنْ أَوْصَافٍ وَعُمُومٍ وَخُصُوصٍ. وَحِينَ فَسَّرَ (الإنكار) فِي مَوْضِعِهِ قَالَ: ((الإنكار: ضِدُّ الْعِرْفَانِ. يُقَالُ: أَنْكَرْتُ كَذَا، وَنَكَرْتُ، وَأَصْلُهُ أَنْ يَرِدَ عَلَى الْقَلْبِ مَا لَا يَتَصَوَّرُهُ، وَذَلِكَ ضَرْبٌ مِنَ الْجَهْلِ))^(٣٧).

فَفِي هَذَا السِّياقِ كَانَ يَكْفِيهِ أَنْ يَفْسِّرَ (الإنكار) بِضَدِّهِ؛ لِأَنَّهُ شَرَحَ (العرفان) فِي مَوْضِعِهِ بِغَيْرِ الضِّدِّ، وَلَكِنَّهُ أوردَ شَرْحًا وَافِيًا إِضَافِيًّا، بَيَّنَّ فِيهِ حَقِيقَةَ (الإنكار) وَمَفْهُومَهُ. وَهَذَا مِمَّا يُسَجِّلُ لَهُ مِنَ الدِّقَّةِ وَصَوَابِ الْمَنْهَجِ.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ التَّفْسِيرِ بِالتَّضَادِّ عِنْدَ الرَّاعِبِ قَوْلُهُ: ((الضعف: خِلَافُ الْقُوَّةِ، وَقَدْ ضَعُفَ فَهُوَ ضَعِيفٌ. قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^(٣٨))).^(٣٩) فَقَدْ فَسَّرَ (الضعف) بِعَرَضٍ نَقِيضِهِ دُونَ مُرَادِفِهِ.

وَمِنْ أَمْثَلَةِ هَذَا النُّوعِ مِنَ التَّفْسِيرِ قَوْلُهُ أَيْضًا: ((العَرَضُ: خِلَافُ الطُّولِ، وَأَصْلُهُ أَنْ يُقَالَ فِي الْأَجْسَامِ، ثُمَّ يَسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِهَا كَمَا قَالَ: ﴿فَذُودُ عَكَاءٍ عَرِيضٍ﴾^(٤٠))).^(٤١)

فَالْتَّفْسِيرُ بِالتَّضَادِّ مِنَ الْمَسَالِكِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الرَّاعِبُ وَغَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْمَعْجَمَاتِ فِي مَجَالِ التَّفْسِيرِ اللُّغَوِيِّ، عَلَى نَحْوِ مَا نَبَّيْنُ فِيهَا تَقَدَّمَ مِنْ خُصَائِصٍ تَتَصِفُ بِهَا هَذِهِ الطَّرِيقَةُ.

المبحث الثاني

التفسير بالمجاز وعلاقاته

الْمَجَازُ: ((مَفْعَلٌ) مَنْ جَازَ الشَّيْءُ يَجُوزُهُ إِذَا تَعَدَّاهُ. وَإِذَا غُدِلَ بِاللَّفْظِ عَمَّا يَوْجِبُهُ أَصْلُ اللُّغَةِ، وَصُفِّ بِأَنَّهُ مَجَازٌ، عَلَى مَعْنَى أَنَّهُمْ جَازَوْا بِهِ مَوْضِعَهُ الْأَصْلِيَّ، أَوْ جَازَ هُوَ مَكَانَهُ الَّذِي وُضِعَ فِيهِ أَوَّلًا))^(٤٢).

وذهب عبدالقاهر الجرجاني إلى تقسيم المجاز على قسمين: لُغويّ وعقليّ^(٤٣). فالمجاز اللُغويّ: هو ما استعيرت قيمته من ناحية اللُغة عن طريق استعمال الكلمات في غير ما وضعت له في اتّساع في الكلام^(٤٤)، والمجاز اللُغويّ ينقسم إلى: مجاز مرسل، واستعارة؛ ((لأنّ العلاقة المصحّحة للتّجوز إنّ كانت غير المشابهة فمجاز مرسل وإلا فاستعارة))^(٤٥).

وقد مدحه عبدالقاهر الجرجانيّ وعدّه الأساس والمعول في النّصرف في البيان، إذ يقول: ((وهذا الصّرب من المجاز على حدّته كنز من كنوز البلاغة، ومادّة الشّاعر المفلّق والكاتب البليغ في الإبداع والإحسان، والاتّساع في طُرُق البيان))^(٤٦)، وفضلاً عن ذلك له أثرٌ في تلطيف الكلام ذلك أنّه ((إذا عبر عن المعنى الدّال على الحقيقة حصل كمال العلم به في جميع وجوهه، وإذا عبر عنه بمجازه لم تعرف على جهة الكمال فيحصل مع المجاز تشوق إلى تحصيل الكمال، فلا جرّم كانت العبارة بالمجازات أقرب إلى تحسين الكلام وتلطيفه))^(٤٧).

فالشّائع في اللُغة أنّ لكلّ لفظ معاني أساسيّة يدلّ عليها، وأخرى فرعيّة اكتسبها من الاستعمال عن طريق دخوله في العلاقات المجازيّة، وأصحاب المعجمات تنبهوا إلى هذه الظّاهرة، التي بدت واضحة جليّة في "أساس البلاغة" للزمخشريّ (ت ٥٣٨هـ)، وبعض من جاء بعده، لا سيّما "تاج العروس" للمرّتضى الزّبيديّ (ت ١٢٠٥هـ) الذي تأثر بمنهج الزّمخشريّ في تحديد المعاني الحقيقيّة والمجازيّة، ونقل عنه معظم المادة اللُغويّة التي احتواها "أساس البلاغة".

ومن الأمثلة على منهج الزّمخشريّ في "أساس البلاغة" قوله: ((فلان يُعاملُ النّاسَ بالجميل. وجمالٌ صاحبه مُجاملةٌ، وعليك بالمُداراة والمُجاملة مع النّاس... ومن المجاز: اتّخذَ اللَّيْلُ جَمَلاً))^(٤٨).

أمّا الرّاغِب فقد ذكر المعاني الأصليّة والفرعيّة، للألفاظ التي وردت في القرآن الكريم، ولكنّه لم يوزّعها تحت نوعي الحقيقة والمجاز، وإنّما استعاض عن ذلك بذكر العلاقات المجازيّة التي أكسبت اللفظ المعاني الفرعيّة التي يدلّ عليها.

ومن أمثلة العلاقات المجازيّة، التي ذكرها الرّاغِب، التي أكسبت الألفاظ معانيها

الفرعية، قوله مثلاً في مادة (دمغ): (قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾^(٤٩)، أي: يكسر دماغه، وشجّة داميغة كذلك. ويقال للطلعة تخرج من أصل النخلة فتقسيده إذا لم تقطع: داميغة، وللحديدة التي تشد على آخر الرجل: داميغة، وكل ذلك استعارة من الدمغ الذي هو كسر الدماغ^(٥٠).

ففي هذا السياق ذكر الرّاعب العلاقات المجازية التي كانت وراء وجود المعاني الفرعية التي اكتسبها (الدمغ)، والتي تقوم على المشابهة بين (الدماغ) وكسره من جهة، والمسميات الأخرى المذكورة وخصائصها من جهة ثانية. وهذا المنهج ممّا تفرّد به الرّاعب، ولعلّه تأثر بمنهج ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) في كتابه "معجم مقاييس اللغة"، وليس "مجمل اللغة"، خلافاً لما ذهب إليه محقق "مفردات ألفاظ القرآن" الأستاذ: صفوان الداوودي في مقدمة التحقيق^(٥١)، وإنّ اعتماده الدلالة المحورية للألفاظ هو دليل هذا التأثير وإن لم يصرح به.

والحديث عن العلاقات المجازية، التي تُفسّر اكتساب الألفاظ للمعاني الفرعية، هو على كلّ حال طريقة من مسالك التفسير اللغوي، التي تُسهم في توضيح المعاني والدلالات.

ومن أمثلتها عند الرّاعب أيضاً قوله في مادة (سجر): (السّجر: تهيج النار، يقال: سَجَرْتُ النَّوْرَ، ومنه: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾^(٥٢)... وقوله: ﴿وَإِذَا الْبَحَارُ سُجِّرَتْ﴾^(٥٣)، أي: أضرمت نارا، عن الحسن، وقيل: غيضت مياهها، وإنّما يكون كذلك لتسجير النار فيها، ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾^(٥٤)، نحو: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(٥٥). وسَجَرَتِ النَّاقَةُ، استعارة لالتهابها في العدو، نحو: اشتعلت النّاقة، والسّجير: الخليل الذي يُسَجَرُ في مودّة خليله، كقولهم: فلانٌ مُحَرَّقٌ في مودّة فلان^(٥٦).

ففي هذا السياق ذكر المعنى الأصلي لـ(السّجر)، وهو تهيج النار، ثمّ ذكر العلاقات المجازية التي أكسبتها الدلالات الإضافية أو المعاني الفرعية، وتلك العلاقات تمثلت هنا بالمشابهة.

ومن أمثلة التفسير بالعلاقات المجازية قول الرّاعب في مادة (نجم): (أصل النّجم:

الكوكب الطالع، وجمعه: نُجُومٌ، وَنَجَمٌ: طَلَعَ، نُجُومًا وَنَجْمًا، فصار النَجْمُ مرَّةً اسمًا، ومرَّةً مصدرًا، فَالنُّجُومُ مرَّةً اسمًا كَالْقُلُوبِ وَالْجُيُوبِ، ومرَّةً مصدرًا كَالطُّلُوعِ وَالْعُرُوبِ، ومنه شَبَّهَ به طُلُوعُ النَّبَاتِ، والرَّأْيِ، فَقِيلَ: نَجَمَ النَّبْتُ وَالْقَرْنُ، وَنَجَمَ لِي رَأْيٌ نَجْمًا وَنُجُومًا، وَنَجَمَ فلَانٌ عَلَى السُّلْطَانِ: صَارَ عَاصِيًا، وَنَجَمْتُ الْمَالُ عَلَيْهِ: إِذَا وَزَعَتْهُ، كَأَنَّكَ فَرَضْتَ أَنْ يَدْفَعَ عِنْدَ طُلُوعِ كَلِّ نَجْمٍ نَصِيبًا، ثُمَّ صَارَ مُتَعَارِفًا فِي تَقْدِيرِ دَفْعِهِ بِأَيِّ شَيْءٍ قَدَّرْتَ ذَلِكَ))^(٥٧).

ففي هذا السِّياق ذكر الرَّاغِبِ المعنى الْأَصْلِيَّ لـ(النَّجْم) وهو: الكوكب الطالع؛ لكونه اسم ذات، و(الطُّلُوع)؛ لكونه مصدرًا، ثُمَّ عرض المعاني الفرعية التي اكتسبها اللفظ عن طريق الدُّخُولِ بعلاقات مجازية أساسها المشابهة.

ومن التفسير بالعلاقات المجازية قول الرَّاغِبِ: ((قوله تعالى: ﴿جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَمِيدِينَ﴾^(٥٨))، كناية عن موتهم، مِنْ قولهم: خَمَدَتِ النَّارُ خُمُودًا: طُفِيَءَ لَهْبُهَا، وعنه استعير: خمدت الحمى: سَكَنَتْ))^(٥٩).

ففي هذا السِّياق يربط في بين (خمود الحمى) و(خمود النار)؛ لِأَنَّ بينهما علاقة مجازية تقوم على المشابهة، وهذا الرِّبْط هو نوع من التفسير اللغوي على أساس العلاقات المجازية.

يتضح من العرض السابق أَنَّ الحديث عن العلاقات المجازية، الَّتِي تُكْسِبُ الألفاظ دلالاتها الفرعية، كان من أهم مسالك التفسير اللغوي، الَّتِي انماز بها كتاب "مفردات ألفاظ القرآن" للرَّاغِبِ^(٦٠).

وفيما يأتي مسالك التفسير بالعلاقات المجازية عند الرَّاغِبِ.

١ - العموم والخصوص:

العموم والخصوص من أساليب التعبير عن العلاقات الدلالية بين الألفاظ في آنٍ واحدٍ، إذ إنَّهما ((من صفات المعنى ومن العوارض الطارئة عليه، وَأَنَّ اتصاف اللفظ بهما إنَّما كان يتبع المعنى من جهة ما كان بينهما من العلاقة، والارتباط الخاص))^(٦١)؛ فاللفظ إمَّا أَنْ يكون عامًّا فيه استيعاب، وإحاطة بحيث لا يشدُّ شيءٌ من مصاديقه، أو يكون خاصًّا لا يشمل إلَّا بعض مصاديقه، واللفظ الخاص إمَّا كليٌّ إضافيٌّ فيه جهة عموم، أو

قد يكون اللفظ جزئياً حقيقياً بلا جهة استيعاب فيه أصلاً^(٦٢).

ومن الأمثلة على ذلك ما بين (الإنسان) و(زيد) مثلاً، أو ما بين (الشجر) و(الزيتون)، فكل زيتون شجر، وليس كل شجر زيتوناً، وهذا يعني أن الزيتون محتوئ في الشجر^(٦٣).

وقد فسّر الرّأغب كثيراً من الألفاظ اعتماداً على ما بينها من عموم وخصوص، ومن الأمثلة على ذلك قوله: ((الإباء: شدة الامتناع، فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء))^(٦٤)، و((الإباء) و(الامتناع) من المصادر، وقد فسّرهما ابن منظور على أنّهما مترادفان، قال: ((الإباء: بالكسر مصدر قولك: أبى فلانٌ يأبى... أي: امتنع))^(٦٥)، وبهذا يظهر مدى دقة الرّأغب في التفسير ومدى تحرّيه للفروق، التي يُعدّ البحث فيها وجلاًؤها من أهم المزايا التي يتصف بها كتاب "مفردات ألفاظ القرآن".

ومن تفسيره بالعموم والخصوص قوله في (الأبكم) و(الأخرس): ((قال عز وجل: ﴿صُمُّوا بكم﴾^(٦٦)، جمع: أبكم، وهو الذي يؤلّد أخرس، فكل أبكم أخرس، وليس كل أخرس أبكم))^(٦٧)، فالتفسير بالعموم والخصوص هنا يدلّ على أن من يؤلّد (أخرس)، فهو: (الأبكم، أمّا (الأخرس) فهو الذي لا يستطيع الكلام، سواء ولد كذلك أم أصابته علّة فيما بعد، وبهذا ظهر الفرق بين الوصفين.

والتفسير بالعموم والخصوص عند الرّأغب قد يكون على وفق اعتبار لغويّ، كما في الأمثلة السابقة، وقد يكون لاعتبارات اصطلاحية، كقوله في (الرّسول) و(النّبي): ((والرّسول أخصّ من النّبي؛ فكلّ رسولٍ نبيّ، وليس كلّ نبيٍّ رسولاً))^(٦٨).

ففي هذا السياق لا يستند في القول بالعموم والخصوص إلى الدّلالة اللّغويّة العامّة للفظين، وإنّما يحتكم إلى المفهوم المُعتمَد في الاصطلاح الشرعيّ، الذي ينصّ على أن النّبيّ: كلٌّ من أوحى الله إليه، ولا يكون رسولاً حتى يُرسله الله إلى النّاس مع النّبوة^(٦٩). فالفرق بينهما إذن يعود إلى الدّلالة الاصطلاحية لا اللّغويّة.

أمّا من النّاحية اللّغويّة فلا ترادف بينهما أصلاً لكي يُلتمَس الفرق؛ لأنّ (النّبيّ) أصله: النّبيء بالهمز، وهو مشتق على صيغة (فعليل) بمعنى اسم الفاعل: المُنبئ، أي: المُخبر^(٧٠)، أمّا (الرّسول) فهو: مشتق على صيغة (فَعول) بمعنى اسم المفعول:

المُرْسَل^(٧١)، فكلاهما من الصِّفات وتدلّان على ذات موصوفة بمعنى: الإنشاء والإرسال، على وفق ما تُفیده كلّ من صيغتي اسم الفاعل واسم المفعول.

ممّا تقدم يظهر أنّ التفسير بالعموم والخصوص كان من المسالك التي اعتمدها الرّأغب في "مفردات ألفاظ القرآن"، وهو نوع من أنواع التفسير اللغويّ، الذي يشرع ما بين الألفاظ من تقارب وافتراق في المعاني.

ونظرًا إلى أهمية التفسير بالعموم والخصوص في بيان الفروق اللغويّة وتوضيحها، نقل صاحب "تاج العروس" عن الرّأغب كلّ ما أورده في "مفردات ألفاظ القرآن" من تفسير للألفاظ على أساس ما بينها من عموم وخصوص.

ومن الأمثلة على ذلك قوله: ((وقال الرّأغب الأصبهانيّ في "مفردات القرآن"^(٧٢): الشُّكُّ: اختلافُ التَّقْيِضِينَ عند الإنسان وتساويهما... والشُّكُّ: ضَرْبٌ مِنَ الْجَهْلِ، وَهُوَ أَخْصُ مِنْهُ؛ لِأَنَّ الْجَهْلَ قَدْ يَكُونُ عَدَمُ الْعِلْمِ بِالتَّقْيِضِينَ رَأْسًا، فَكُلُّ شَكٍّ جَهْلٌ، وَلَيْسَ كُلُّ جَهْلٍ شَكًّا^(٧٣))).

٢ - الأوصاف والاعتبارات:

يلجأ أصحاب المعجمات عامّةً، ومنهم الرّأغب في كتابه "مفردات ألفاظ القرآن"، إلى تفسير مجموعة الألفاظ بربطها بما يُلابسها من أوصاف وهيئات وخصائص، وأحيانًا بالحديث عن الاعتبارات الدلاليّة التي يتضمنها اللفظ المفسّر، بحسب العرف اللغويّ.

والتفسير بالأوصاف والهيئات والخصائص يُفيد عادةً في تقديم صورة ذهنية واضحة للفظ المفسّر، وكثيرًا ما يلجأ إليه في تفسير المخلوقات التي ليس لها مرادف، كالسماء، والأرض وما فيهما من العوالم كالشمس، والقمر، والنجوم، والكواكب، والرياح، والبحار، وأنواع الحيوان والنبات، على حين يُسهم الحديث عن الاعتبارات في تفسير اللفظ وبيان الفروق الدلاليّة بينه وبين ما يُرادفه في الظاهر، ويغلب هذا الأسلوب في تفسير المعاني وأسباب التسمية أحيانًا.

ومن أمثلة التفسير بالأوصاف والهيئات والخصائص عند الرّأغب قوله في تفسير (الآذني): ((الآذني، وهو الموج المؤذي لركاب البحر))^(٧٤).

فقد فسّره بـ(الموج)، وأضاف له صفة (الإيذاء)، وجعلها واقعة برّكاب البحر. وبهذا

يُفهم أنه (الآذي) هو نوع مخصوص من: الموج.

وقال في تفسير (البراح): (البراح: المكان المتسع الظاهر الذي لا بناء فيه ولا شجر)^(٧٥). فقد فسره بالمكان وقيدته بأوصاف (السعة) و (الخلو)، من: (البناء) و (الشجر). وقال الراغب في تفسير (السرّح): (السرّح: شجر له ثمر، الواحدة: سرّحة، وسرّحت الإبل، أصله: أن تُرعى السرّح، ثم جعل لكل إرسال في الرعي، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾^(٧٦) ((٧٧)). فقد فسره بربطه بجنسه (الشجر)، وبخصائصه متمثلة بـ (الإثمار).

وأورد في مادة (ملح): (الملح: الماء الذي تغير طعمه التغير المعروف وتجمد، ويقال له ملح إذا تغير طعمه، وإن لم يتجمد، فيقال: ماء ملح. وقُلما تقول العرب: ماء مالح. قال الله تعالى: ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾^(٧٨)، وملّحت القدر: أَلقيت فيها الملح، وأملّحتها: أفسدتها بالملح، وسمك مَلِيحٌ، ثم استعير من لفظ الملح الملاحه، فقيل: رجل مَلِيحٌ، وذلك راجع إلى حسن يغمض إدراكه)^(٧٩).

ففي هذا السياق فسّر (الملح) بـ (الماء) مقيداً بتغير (الطعم) و (التجمد)، أو بتغير (الطعم) وحده. كما فسّر (الملاحه) بـ (الحسن) غير الظاهر، أو الذي لا يدرك بسهولة، أي: إنه فسّر اللفظ بمقابله، مع ما يلبس المقابل من أوصاف وهيئات تعبر عن الفروق الدلالية بين اللفظ وتفسيره.

أمّا تفسير اللفظ بذكر الاعتبارات الدلالية فمن أمثلته قول الراغب: (البشرة: ظاهر الجلد، والأكمة: باطنه، كذا قال عامة الأدياء... وجمعها: بشرّ وأبشار، وعبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر، بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر أو الوبر، واستوى في لفظ البشر الواحد والجمع)^(٨٠).

ففي هذا السياق فسّر (الإنسان) بـ (البشر) على سبيل الترادف، موضحاً الاعتبار الدلالي في سبب التسمية وفي الفرق بين اللفظين المترادفين.

ومن ذلك حديثه عن الاعتبارات الدلالية في الفرق بين (الجدار) و (الحائط) مثلاً، قال: (الجدار: الحائط، إلا أن الحائط يقال اعتباراً بالإحاطة بالمكان، والجدار يقال اعتباراً

بِالنُّتُوِّ وَالْإِرْتِفَاعِ، وَجَمَعَهُ جُدْرٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ﴾ ((٨١)) ((٨٢)).

ففي هذا السِّياق فسّر كلاً من (الجدار) و(الحائط) على أنّهما مترادفان، ثُمَّ بَيَّنَّ الاعتبارَ الدَّلَالِيَّةَ الَّذِي يَنِمَاُ أَحَدُهُمَا مِنَ الْآخَرِ.

وَقَالَ الرَّاعِبُ فِي (الشَّهَابِ) وَ(الشُّهْبَةِ): ((الشَّهَابُ: الشُّعْلَةُ السَّاطِعَةُ مِنَ النَّارِ الْمُوقَدَةِ، وَمِنْ الْعَارِضِ فِي الْجَوِّ، نَحْوُ: ﴿فَأَبْجَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ ((٨٣))... وَالشُّهْبَةُ: الْبَيَاضُ الْمُخْتَلِطُ بِالسَّوَادِ تَشْبِيهًا بِالشَّهَابِ الْمُخْتَلِطِ بِالدُّخَانِ، وَمِنْهُ قِيلَ: كَتَبْتُ شُهْبَاءَ: اعْتَبَارًا بِسَوَادِ الْقَوْمِ وَبَيَاضِ الْحَدِيدِ)) ((٨٤)).

هَذَا فَسَّرَ (الشَّهَابَ) بِ(الشُّعْلَةِ)، وَقَيَّدَهَا بِبَعْضِ الْأَوْصَافِ وَالْخَصَائِصِ؛ لِيَحْصَلَ التَّكَافُؤُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّفْظِ الْمَفْسَّرِ وَهُوَ (الشَّهَابُ). أَمَّا فِي تَفْسِيرِ (الشُّهْبَةِ) وَ(الْكُتَيْبَةِ الشُّهْبَاءِ) فَقَدْ أوردَ فِي كُلِّ مِنْهُمَا الْإِعْتِبَارَ الدَّلَالِيَّ الَّذِي يُفِيدُ فِي بَيَانِ سَبَبِ التَّسْمِيَةِ. وَمِنْ التَّفْسِيرِ بِالْإِعْتِبَارَاتِ قَوْلُهُ فِي تَفْسِيرِ مَعْنَى (الصَّوَابِ): ((الصَّوَابُ يُقَالُ عَلَى وَجْهَيْنِ، أَحَدُهُمَا: بِاعْتِبَارِ الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ، فَيُقَالُ: هَذَا صَوَابٌ: إِذَا كَانَ فِي نَفْسِهِ مَحْمُودًا وَمَرْضِيًّا، بِحَسَبِ مَقْتَضَى الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ، نَحْوُ قَوْلِكَ: تَحَرَّيْ الْعَدْلَ صَوَابً، وَالكَرَمَ صَوَابً. وَالثَّانِي: يُقَالُ بِاعْتِبَارِ الْقَاصِدِ إِذَا أَدْرَكَ الْمَقْصُودَ بِحَسَبِ مَا يَقْصُدُهُ، فَيُقَالُ: أَصَابَ كَذَا، أَي: وَجَدَ مَا طَلَبَ، كَقَوْلِكَ: أَصَابَهُ السَّهْمُ)) ((٨٥)).

ففي هذا السِّياق ذَكَرَ لـ(الصَّوَابِ) مَعْنِيَيْنِ، يَعُودُ وَجُودُهُمَا إِلَى إِعْتِبَارَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ، أَحَدُهُمَا: يَرْتَبِطُ بِذَاتِ الشَّيْءِ، وَالْآخَرُ: يَتَعَلَّقُ بِقَصْدِ الْمُتَكَلِّمِ وَطَلَبِهِ.

مِمَّا سَبَقَ يَظْهَرُ رِبْطُ التَّفْسِيرِ بِالْأَوْصَافِ وَالْخَصَائِصِ وَالْهَيْئَاتِ وَالْإِعْتِبَارَاتِ الدَّلَالِيَّةِ مِنَ الْمَسَالِكِ الَّتِي اعْتَمَدَهَا الرَّاعِبُ فِي كِتَابِهِ "مَفْرَدَاتُ أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ". وَهِيَ تُسَهِّمُ فِي تَقْدِيمِ صُورَةٍ ذَهْنِيَّةٍ وَاضِحَةٍ لِلْفَرْقِ الْمَفْسَّرِ، كَمَا تُفِيدُ فِي تَحْدِيدِ الْفُرُوقِ وَأَسْبَابِ التَّسْمِيَةِ.

٣- انْتِقَالُ الدَّلَالَةِ بِالْمَجَازِ:

الانْتِقَالُ الدَّلَالِيُّ: ((هُوَ الانْحِرَافُ بِالدَّلَالَةِ مِنْ مَجَالٍ إِلَى آخَرَ عَلَى غَيْرِ وَجْهِ الْخُصُوصِ وَالْعُمُومِ عِنْدَمَا يَتَعَادَلُ الْمَعْنِيَانِ، كَمَا فِي حَالَةِ انْتِقَالِ الْكَلِمَةِ مِنَ الْمَحَلِّ إِلَى الْحَالِ، أَوْ مِنَ الْمُسَبِّبِ إِلَى السَّبَبِ، أَوْ مِنَ الْعِلَاقَةِ الدَّلَالَةِ إِلَى الشَّيْءِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ، أَوْ

العكس... وانتقال المعنى يتضمن طرائق شتى يطلق عليها البلاغيون الاستعارة، والمجاز المرسل^(٨٦).

فالمجاز يُعدُّ وسيلةً مهمةً من وسائل الإثراء والتَّوسُّع اللُّغويِّ؛ لِأَنَّهُ يثري اللُّغة بالكثير من الألفاظ والتَّراكيب الَّتِي انتابتها دلالات جديدة بعد أن اعتورها الخمول والجمود، أو أصابها الابتذال^(٨٧).

وقد أجمع الباحثون على أنَّ الدَّلالة بدأت بالمحسوسات، ثُمَّ تطورت إلى الدَّلالات المجرَّدة، وهذا النُّطور والانتقال من المجال المحسوس إلى المجال المجرَّد يحصل بصورة تدريجيَّة في اللُّغة، وتسمَّى الدَّلالة الأولى بالدَّلالة الحقيقيَّة، والثَّانية بالمجازيَّة^(٨٨)، ويصار إلى المجاز؛ لِأَنَّ الحقيقة لا تستطيع أن تعبر عن المعنى المطلوب بالسَّعة والدِّقة المطلوبتين الَّتِي يريدهما المتكلم.

فالألفاظ وُضِعت في الأصل للدَّلالة على المعاني اللُّغويَّة الَّتِي استوفتها معاجم اللُّغة، أمَّا حين تُستعمل في التَّعبير عن مسائل العلوم، فإنَّها تكتسب دلالات اصطلاحية، بحسب ما يتوافق عليه المتخصصون في المجال العلميِّ الَّذِي دخلت فيه. وقد صنع العلماء معاجم دَوَّنوا فيها المعاني الاصطلاحية لكلِّ فرع من فروع العلم، وعُرفت بمعاجم المصطلحات. وللدَّلالات الاصطلاحية للألفاظ لها مصنَّفات خاصة بها، إلَّا أنَّ المعجمات اللُّغويَّة لم تخلُ منها، بل أوردت كثيرًا منها؛ لكونها تفسيرًا يُغني عن التفسير اللُّغويِّ، أو يُسهِّم في توضيحه وبيانه.

و"مفردات ألفاظ القرآن" للرَّاجب شأنه شأن المعجمات اللُّغويَّة الأخر احتوى غير قليل من المعاني الاصطلاحية عند النُّحويِّين والفُقهَاء والأُصوليِّين، فكانت هذه المعاني نوعًا من أنواع التفسير اللُّغويِّ عنده.

ومن أمثلة التفسير بالمعاني الاصطلاحية عند الرَّاجب قوله في مادة (قضي) قوله: ((القضاء: فصلُ الأمرِ قولًا كان ذلك أو فعلًا، وكلُّ واحدٍ منهما على وجهين: إلهيٍّ، وبشريٍّ))^(٨٩).

فالمعنى اللُّغويُّ لـ(القضاء) المُطابق لِمَا أورده الرَّاجب هنا هو: الحُكم، كما نصَّت معاجم اللُّغة^(٩٠)، لكن الرَّاجب فسَّر (القضاء) هنا بحسب الدَّلالة الاصطلاحية عند

الفقهاء^(٩١)، وفيها تفصيل يُغني عن الدلالة اللغوية ويحتويها؛ ولهذا يُمكن عدّ الدلالة الاصطلاحية من مسالك التفسير التي اعتمدها في "مفردات ألفاظ القرآن".

ومن التفسير بالدلالات الاصطلاحية عند الراغب قوله في المادة نفسها: «وكل قول مقطوع به، من قولك: هو كذا أو ليس بكذا، يُقال له: قضيّة، ومن هذا يقال: قضيّة صادقة، وقضيّة كاذبة»^(٩٢).

فتفسير (القول المقطوع به) بأنّه (قضيّة)، مع ذكر تقسيم (القضيّة) إلى: (صادقة) و(كاذبة)، هو من اصطلاحات المنطق^(٩٣)، وقد عرضه الراغب؛ لكونه نوعاً من أنواع التفسير اللغوي لـ (القول المقطوع به).

والحديث عن الدلالة الاصطلاحية قد لا يكون نوعاً من أنواع التفسير اللغوي، وذلك حين كان ينصّ على أنّه من الدلالات المستعملة في فرع من فروع العلم. ومن أمثلة ذلك قوله في مادة (عدا): «وقد عدا طوره: تجاوزته، وتعدّى إلى غيره، ومنه: التّعدّي في الفعل. وتعدية الفعل في النّحو هو تجاوز معنى الفعل من الفاعل إلى المفعول»^(٩٤). فقد نصّ هنا على أنّ تعدية الفعل هي مفهوم أو اصطلاح نحويّ، فيكون إيرادها من باب التّوسّع والإلمام، وليس من باب التفسير اللغويّ.

ومن ذلك قوله في تحديد المراد بكلمة (كلّ): «ولم يرد في شيء من القرآن ولا في شيء من كلام الفُصحاء الكلّ بالألف واللام، وإنّما ذلك شيء يجري في كلام المتكلمين والفقهاء ومن نحا نحوهم»^(٩٥).

فهنا أشار إلى أنّ استعمال (الكلّ) بالألف واللام هو من اصطلاح المتكلمين والفقهاء، وليس من الاستعمالات اللغوية، وبهذا التّصريح أخرج الدلالة الاصطلاحية عن عدّها من أنواع التفسير اللغويّ.

المبحث الثالث

التفسير بالبنى والتراكيب

تتحقق ذات الكلمة وفاعليتها بوضعها في السّياق؛ فمعنى الجملة ليس إلّا مجموع السّياقات التي تشكل الكلمة جزءاً منها، وليست دلالاتها إلّا مجموع التّأليف المتحققة لكلمة ما، وأنّ البنية المتشكلة في النّمط التّركيبيّ المناسب تتوزع فيه الأدوار الوظيفية

للكلمات بمقتضى دلالاتها؛ إذ يتأثر المعنى الدلالي بنوع البنية الشكلية ويرتبط بها، وموقع الكلمة في الجملة يكشف عن حقيقة المعنى؛ لأنَّ المعنى اللُّغوي يختلف نتيجة لنوع الوحدات الداخلة في التَّركيب ولموقعها؛ فاختلاف البُنَيَات التَّشكيلية والمواقع الوظيفية يتبعه اختلاف دلالي على وفق حالات الاستعمال^(٩٦)، يقول عبدالقاهر الجرجاني: ((واعلم أنَّك إذا رجعت إلى نفسك علمتَ علماً لا يعترضه الشَّكُّ أنَّ لا نَظَمَ في الكَلِمِ ولا ترتيبَ، حتى يُعلَّقَ بعضها ببعض ويُنَيَّ بعضها على بعض، وتُجَعَلَ هذه بسببٍ من تلك))^(٩٧)، فَصِحَّةُ التَّركيب أو فساده ترجع إلى ترتيب الكلمات ترتيباً مخصوصاً وتلك هي معاني النَّحو، إذ إنَّ معاني النَّحو ليست الألفاظ، وإنَّما هي مراعاة شروط التَّركيب وقيمه^(٩٨).

إنَّ المعاني الجزئية تتشابه وتتفاعل ساعية إلى غاية مستهدفة منها وهي إبراز معنى واحد، إلَّا أنَّ الاتِّساق لا يتم في الدَّلالة فحسب، وإنَّما يتم أيضاً في النَّحو وفي البُنَى، إذ إنَّ التَّفاعل بينها داخل الجملة يؤدي في النِّهاية المعنى الواحد المنشود^(٩٩).

وفيما يأتي عرض لصور التفسير بالبُنَى والتراكيب بين الألفاظ عند الرَّاعِب في "مفردات ألفاظ القرآن".

١ - الأصول الاشتقاقية:

إنَّ ربط الأسماء المتداولة بأصول دلالية، وافترض أنَّها مأخوذة من تلك الأصول، مسألة دأب على إيضاحها والحديث عنها كثير من العلماء والمفسرين والُشُراح وأصحاب المعجمات، ولعلَّ كتاب "الاشتقاق" لابن دريد (ت ٣٢١ هـ) يمثل النموذج الأقدم والأكمل لدراسة هذه الظاهرة، وتطبيقها على الأسماء الأعلام، إذ ردَّ تلك الأسماء إلى أصول مصدرية أو اشتقاقية، أو إلى أسماء أجناس، ذاهباً إلى أنَّها أُخذت من هذه الأصول وتضمَّنت معانيها، وفي هذا ما يثبت أنَّ الأسماء الأعلام عامَّة لم تُطْلَق على مسمياتها اعتباراً أو ارتجالاً، وإنَّما هي على وفق ضوابط دلالية واشتقاقية ثابتة.

ومن الأمثلة على مذهب ابن دريد في (اشتقاق الأسماء الأعلام): ((واشتقاق (ليث) من قولهم: لُثْتُ الشَّيْءَ أَلُوْهُ لَوْثًا، إذا عصبته عَصَبًا شديداً. ومنه لُثْتُ العِمَامَةِ على رَأْسِي أَلُوْهُهَا لَوْثًا؛ ولذلك سُمِّيَ الأَسَدُ لَيْثًا. وتلَيَّثَ الرَّجُلُ: إذا تشبَّه بالليث في جُرَّاته وإقدامه. وقد أتينا على كلِّ هذا في الجمهرة))^(١٠٠).

فابن دريد هنا يربط بين (اليث) بكونه اسماً علماً، وبين أصوله الدلالية، فيرى أنه منقول من اسم الجنس الذي يدل على الحيوان المعروف، ولا يكتفي بذلك، بل يذكر أيضاً الأصل الدلالي الذي أخذ منه لفظ (اليث) بكونه اسم جنس، وهذا الأصل يتمثل بالقوة والشدّة، أي: إنّه يعود إلى معنى ذهني.

أمّا نظرية الأصول الدلالية لأسماء الأجناس عامّة، المعنويّة والمحسوسة، فقد بحثها ابن فارس، وأسهب في توضيحها، وجعلها مدار كتابه "معجم مقاييس اللغة" الذي تأثر به الرّاعب تأثراً واضحاً، كما ذكرنا.

ومن الأمثلة على منهج ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة" قوله: ((الطاء والراء والدال أصل صحيح يدلّ على إبعاد. يُقال: طَرَدْتُهُ طَرْدًا... والطريدة: الصّيد. ومُطَارَدَةُ الأقران: حَمَلٌ بعضهم على بعض؛ وقيل ذلك لأنّ هذا يَطْرُدُ ذاك. والمِطْرَد: رُمح صغير... ويُقال: اطْرَدَ الشَّيْءُ اطْرَادًا إذا تابَعَ بعضُهُ بعضًا، وإنّما قيل ذلك تشبيهاً كأنّ الأوّل يطرد الثاني... ومُطْرَد النّسيم: الأنف... واطْرَدَ الأمر: استقام. وكلُّ شيءٍ امتدّ فهذا قياسه. يُقال: طَرَدَ سَوْطَكَ: مَدَّه. والطريد: الذي يُولَدُ بعدَ أخيه، فالثاني طريد الأوّل. وهذا تشبيه، كأنّه طَرَدَهُ وتَبِعَهُ، وطريد بمعنى طارِد)) (١٠١).

فابن فارس هنا يُقدِّم تفسيراً للألفاظ على أساس ارتباطها بأصلٍ دلاليٍّ واحد تعود إليه، وهو: (الإبعاد) و(الامتداد)، وهذا الرّبط هو نوع من أنواع التفسير اللغوي؛ لأنّ الكلمات المذكورة في المادة السابقة قد توضّحت دلالاتها على وفق هذا المنهج، إضافة إلى بيان سبب تسميتها.

وقد تأثر الرّاعب في "مفردات ألفاظ القرآن" بمنهج ابن فارس السّابق، الذي يتمثل بربط الألفاظ المتعدّدة بأصلٍ دلاليٍّ واحدٍ أو أكثر، وهذا الأسلوب في التفسير يُقدِّم فكرتين معاً، إحداهما: توليد الألفاظ بعضها من بعض عن طريق الاشتقاق. والأخرى: انتقال المعنى المشترك وحضوره في جميع الألفاظ التي تشترك في الأحرف الأصليّة. والرّاعب في هذا المنهج متأثرٌ بـ"معجم مقاييس اللغة" لابن فارس، وليس بـ"مجل اللغة"، خلافاً لما ذهب إليه محقّق "مفردات ألفاظ القرآن"، كما ذكرنا.

ومن أمثلة التفسير بالأصول الاشتقاقية عند الرّاعب قوله مثلاً في مادة (سبت):

(أَصْلُ السَّبْتِ: قطع العمل، ومنه سَبَتَ السَّيْرَ: قَطَعَهُ، وَسَبَتَ شَعْرَهُ: حَلَقَهُ، وَأَنْفَهُ: اضْطَلَمَهُ... وَسَبَتَ فُلَانٌ: صار في السَّبْتِ، وقوله: ﴿يَوْمَ سَبَتْهُمْ شُرْعًا﴾^(١٠٢)، قيل: يَوْمَ قَطَعَهُمُ لِلْعَمَلِ، ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْئُتُونَ﴾^(١٠٣)، قيل: معناه لَا يَقْطَعُونَ الْعَمَلَ، وقيل: يَوْمَ لَا يَكُونُونَ فِي السَّبْتِ، وكلاهما إشارة إلى حالة واحدة، وقوله: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾^(١٠٤)، أي: ترك العمل فيه، ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾^(١٠٥)، أي: قَطَعْنَا لِلْعَمَلِ، وذلك إشارة إلى ما قال في صفة اللَّيْلِ: ﴿لَسَكُنُوا فِيهِ﴾^(١٠٦) ((١٠٧)).

ففي هذا السِّياق فسّر (السَّبْتِ)، وهو أحد أيام الأسبوع، بالأصل الاشتقاقيّ الَّذِي أُخِذَ مِنْهُ، وهو القطع، فيكون على وفق هذا المعنى مصدرًا غُيِّرَ بِهِ عَنْ اسْمِ الذَّاتِ، ثُمَّ فَسَّرَهُ بِكَوْنِهِ مُصَدَّرًا مُسْتَعْمَلًا بِحَسَبِ مَعْنَاهِ الْأَصْلِيِّ، أي: دَالًّا عَلَى مَعْنَى يُدْرَكُ بِالذَّهْنِ، وذلك في الآيات الَّتِي يَدُلُّ فِيهَا (السَّبْتِ) عَلَى قَطْعِ الْعَمَلِ وَتَرْكِهِ.

والتفسير بالأصل الاشتقاقيّ، الَّذِي ظَهَرَ فِي السِّياقِ السَّابِقِ، هُوَ أَحَدُ مَسَالِكِ التَّفْسِيرِ اللَّغَوِيِّ غَيْرِ الْمُبَاشَرَةِ، الَّتِي تُسْتَنْجَجُ مِنْهَا دَلَالَاتُ الْأَلْفَاظِ الْعَائِدَةُ إِلَى الْأَصْلِ الدَّلَالِيِّ الْمُرْتَبِطِ بِهَا.

ومن أمثلة التفسير بالأصول الاشتقاقية قوله في مادة (نحل): ((النَّحْلُ: الْحَيَوَانُ الْمَخْصُوصُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾^(١٠٨). وَالنَّحْلَةُ وَالنَّحْلَةُ: عَطِيَّةٌ عَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّعِ، وَهُوَ أَخْصُ مِنَ الْهَبَةِ، إِذْ كُلُّ هَبَةٍ نَحْلَةٌ، وَلَيْسَ كُلُّ نَحْلَةٍ هَبَةً، وَاشْتِقَاقُهُ فِيمَا أَرَى أَنَّهُ مِنَ النَّحْلِ نَظَرًا مِنْهُ إِلَى فِعْلِهِ، فَكَأَنَّ نَحْلَتُهُ: أَعْطَيْتُهُ عَطِيَّةَ النَّحْلِ، وَذَلِكَ مَا نَبَّهَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾^(١٠٩). وَبَيَّنَ الْحَكَمَاءُ أَنَّ النَّحْلَ يَقْعُ عَلَى الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا فَلَا يَضُرُّهَا بِوَجْهِهِ، وَيَنْفَعُ أَعْظَمَ نَفْعٍ، فَإِنَّهُ يُعْطِي مَا فِيهِ الشِّفَاءُ كَمَا وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَسُمِّيَ الصَّدَاقُ بِهَا، مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يَجِبُ فِي مُقَابَلَتِهِ أَكْثَرُ مِنْ تَمَتُّعٍ دُونَ عَوَضٍ مَالِيٍّ، وَكَذَلِكَ عَطِيَّةُ الرَّجُلِ ابْنَهُ. يُقَالُ: نَحَلَ ابْنَهُ كَذَا، وَأَنْحَلَهُ، وَمِنْهُ: نَحَلْتُ الْمَرْأَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتَوُا النِّسَاءَ صَدَقَتِهِنَّ نَحْلَةً﴾^(١١٠). وَالْإِنْتِحَالُ: ادِّعَاءُ الشَّيْءِ وَتَنَاوُلُهُ، وَمِنْهُ يُقَالُ: فُلَانٌ يَنْتَحِلُ الشَّعْرَ. وَنَحَلَ جِسْمُهُ نُحُولًا: صَارَ فِي الدِّقَّةِ كَالنَّحْلِ، وَمِنْهُ: النَّوَاحِلُ لِلسُّيُوفِ، أَي: الرِّقَاقِ

الطُّبَاتِ تَصَوُّرًا لِنُحُولِهَا، وَيَصِحُّ أَنْ يُجْعَلَ النِّحْلَةُ أَصْلًا، فَيُسَمَّى النَّحْلُ بِذَلِكَ عِتَابًا بِفَعْلِهِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ^(١١١).

فالرَّاعِب هنا يُعْبَر (النَّحْلَةُ) و(النِّحْلَةُ) أي: العَطِيَّة، والألفاظ التي تدور في هذا المعنى، بربطها بالأصل الذي اشتُقَّت منه وهو (النَّحْل) الحيوان المعروف، والاشتقاق على وفق هذا التَّوَجِيه هو من اسم الذات، أي: إِنَّ لفظ اسم الذات هو الأصل الذي اشتُقَّت منه الألفاظ، أمَّا معاني (العَطِيَّة) فمشتقة من فعل (النَّحَلَ)، الذي يتمثل في العطاء من دون مقابل. وفي هذا الرَّأْي تفرق بين اشتقاق الألفاظ واشتقاق المعاني، فلكلٍ منهما طريق خاصٌّ به.

وهذا الرَّأْي ممَّا انفرد به الرَّاعِب، فهو - متأثرٌ بنظرية ابن فارس، في "معجم مقاييس اللغة" الذي كان يُقَرِّر الأصل الاشتقاقي؛ لكونه أصلًا للفظ والمعنى معًا، والغالب على الأصول الدَّلَالِيَّة التي تُشتَقُّ منها الألفاظ عنده أَنْ تكون من المعاني، والقليل جدًا منها كان من الأصول المُدْرَكَة بالحواس، أي: من أسماء الدَّوَات - فهو يُقَرِّر أَنَّ (النِّحْلَةَ) مثلاً مشتقة من (النَّحَلَ)، على حين أَنَّ معنى (العَطِيَّة) الذي تدلُّ عليه مأخوذ من فعل (النَّحَلَ)، وهو: العطاء من دون مقابل.

ومثل هذا الرَّأْي جدير بالدراسة في بحثٍ مستقلٍّ ورُبَّمَا يُؤَدِّينَا إِلَى نتائج مهمة في ضوء المقارنة بآراء ابن فارس.

وممَّا يلفت النَّظْر أَنَّ الرَّاعِب عاد في نهاية حديثه عن مادة (نحل) إلى تقرير أَنَّ (النِّحْلَةَ) قد تكون هي الأصل، ومنها اشتُقَّ (النَّحَلَ) للدَّلالة على الحيوان المعروف، أي: إِنَّه كان متردِّدًا بين عِدِّ اسم الذات أو اسم المعنى أصلًا للاشتقاق.

وحاصل كلامه يُوحِي بأنَّه في هذه المادة مال إلى كون المعنى الدَّهْنِيَّ أصلًا، وهذا يوافق منهج ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة" عامَّةً.

ومن التَّفْسِير بالأصول الاشتقاقِيَّة قول الرَّاعِب: ((الْحَدُّ وَالْأَخْدُودُ: شَقٌّ فِي الْأَرْضِ، مُسْتَطِيلٌ غَائِصٌ، وَجَمْعُ الْأَخْدُودِ أَخَادِيدُ، وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنْ حَدَّيِ الْإِنْسَانِ، وَهَمَا: مَا اكْتَنَفَا الْأَنْفَ عَنِ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ))^(١١٢).

فهنا يربط بين معنى (الأخدود)، والأصل الذي نُقِلَ منه وهو: حَدُّ الْإِنْسَانِ، وفي هذا

الموضع تقرير بأن الأصل الاشتقاقي قد يكون من أسماء الدّوات التي تُدرك بالحواس. ومن ذلك قوله: ((الْجَزْعُ: أبلغ من الحزن، فإنَّ الحزن عامٌّ، والجزعُ هو: حزنٌ يصرف الإنسانَ عما هو بصدده، ويقطعه عنه، وأصلُ الْجَزْعِ: قطعُ الحبلِ من نصفه، يقال: جَزَعْتُهُ فأنْجَزَعُ))^(١١٣).

فهنا يفسّر الرّاعب (الجزع) بمعنى: الحزن، بربطه بالأصل الدّلاليّ والاشتقاقيّ الذي نُقل منه، وهو: قطعُ الحبلِ، والأصل الاشتقاقيّ هنا من المعاني التي تُدرك بالذهن. وتجدر الإشارة إلى أنّ التّفسير بأصل الاشتقاق يختلف عن الاشتقاق الصّرفيّ المعروف، فالاشتقاق الصّرفيّ مضبوط بصيغ قياسية ووظائف صرفيّة محدّدة، كاشتقاق: كاتب، وكتاب، ومكتوب، ومكتب، من: الكتابة، أمّا المراد بالاشتقاق في نظرية الأصل الدّلاليّ فهو مجرّد التّوافق في المعنى الأصليّ حقيقة أو مجازاً، كما هو الشّأن في (النّحل)، و(النّحلة)، و(التّحول).

٢- وظائف البنى الصّرفيّة:

يُعدّ ذكر الوظيفة الصّرفيّة للفظ نوعاً من أنواع التّفسير اللّغويّ، وذلك حين يكتفي به أصحاب المعجمات. وفي هذه الحالة يحتاج القارئ إلى استنتاج التّفسير اللّغويّ من دلالة الوظائف الصّرفيّة.

ومن أمثلة التّفسير بالوظائف الصّرفيّة عند الرّاعب قوله في مادة (أتي): ((ويقال للسّقاء إذا مُخض وجاء زبده: قد جاء أثوه، وتَحْقِيقُهُ: جاء ما مِنْ شأنه أن يأتي منه، فهو مصدر في معنى الفاعل... وقوله تعالى: ﴿مَأْتِيًا﴾^(١١٤) مفعول من أتيته. قال بعضهم: معناه: آتياً، فجعل المفعول فاعلاً، وليس كذلك، بل يقال: أتيث الأمر وأتاني الأمر... وكلّ موضع ذُكر في وصف الكتاب (آتينا) فهو أبلغ من كلّ موضع ذُكر فيه (أوتوا)؛ لأنّ (أوتوا) قد يُقال إذا أُوتي مَنْ لم يكن منه قبُول، وآتيناهم يُقال فيمن كان منه قبُول))^(١١٥).

ففي هذا السّياق فسّر (الأتو) بما مِنْ شأنه أن يأتي، أي: إنّهُ فسّره بشيء يتصف بالفعل المشتقّ من (الأتو) وهو: يأتي. وهذا تفسير صرفيّ وليس تفسيراً لغويّاً؛ لأنّ وضع الفعل في مقابل الاسم المشارك له في الاشتقاق لا يُفيد في تفسير المعنى، بل يُفيد في

تحديد الوظيفة الصَّرْفِيَّة فحسب، وتحديد الوظيفة الصَّرْفِيَّة يصب في بيان سبب التَّسمية وهو نوع من أنواع التفسير اللُّغَوِي؛ ولذلك أتبعه بقوله: إِنَّهُ ((مصدر في معنى الفاعل))، أي: إِنَّهُ مصدر: أتى يأتي، بمعنى اسم الفاعل: الآتي، غُيِّرَ به عن اسم الذات لدلالته على (الزَّيد) الَّذِي يُدْرِك بالحواس. وهذا أيضاً تفسير صرفي، إِلَّا أَنَّهُ يُسْهِم في التفسير اللُّغَوِي ببيان سبب التَّسمية ومسوغاتها.

أَمَّا قوله: ((مأْتياً: مفعول من أَتَيْتُهُ))، فهو أيضاً تفسير صرفي، يُفِيدُ بَأَنَّ (مأْتياً) في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾^(١١٦)، من الصِّفَات وليس من الأسماء؛ لِأَنَّ اسم المفعول من المشتقات الوصفية، وهو يدلُّ على ما وقع عليه فعل الفاعل، فيكون المعنى اللُّغَوِي المترتب على ذلك: أَنَّ النَّاسَ آتُونَ على وعد الله وهو الجنة^(١١٧).

وقوله في (مأْتياً): ((قال بعضهم: معناه: آتياً، فجعل المفعول فاعلاً))، فهو أيضاً تفسير صرفي، يتضمن استعمال اسم المفعول في معنى اسم الفاعل، والمعنى اللُّغَوِي الَّذِي يُبْنَى على ذلك أَنَّ وعد الله هو الَّذِي يَأْتِي النَّاسَ، وهذا التفسير المبني على الوظيفة الصَّرْفِيَّة يُفْضِي إلى وجه غير مقبول عند الرَّمْخُشَرِيِّ ومن تابعه؛ لِأَنَّ المراد بالوعد الجنة، والجنة لا تأتي إلى النَّاسِ، وإِنَّمَا هم مَن يَأْتُونَهَا^(١١٨).

ومن التفسير الصَّرْفِي في السِّياق السَّابِق التَّفْرِيقُ بين دلالة الفعل المبني للمعلوم، ودلالة الفعل المبني للمجهول. فقد ذكر الرَّاْغِب أَنَّ (آتَيْنَاهُم الْكِتَابَ) أَبْلَغُ من (أُوتُوا الْكِتَابَ)؛ لِأَنَّ (آتَيْنَاهُم) يقع على مَن كان منه قَبُول، والمبني للمجهول (أُوتُوا) لا يقع بالضَّرورة على مَن يكون منه قَبُول. فهذا فرق لُغَوِي مبني على الوظيفة الصَّرْفِيَّة لكلِّ من المبني للمجهول والمبني للمعلوم.

ومن أمثلة التفسير بالوظائف الصَّرْفِيَّة عند الرَّاْغِب قوله: ((وَالْجَنِينَ: الولد ما دام في بطنِ أُمِّهِ، وجمعه: أَجِنَّة. قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْمُرُ أَجِنَّةً فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾^(١١٩)، وذلك فَعِيل في معنى مفعول، والجنينُ القَبْرُ، وذلك (فَعِيل) في معنى: فاعِل))^(١٢٠).

ففي هذا السِّياق فسَّر (الجنين) بمرادفه، ثُمَّ لجأ إلى التفسير الصَّرْفِي؛ لتكون فيه زيادة إيضاح، وربط بالدلالة الأصلية للمادة اللُّغَوِيَّة وهي: السَّتر.

وَيُسْتَنْتَج من التفسير الصَّرْفِي أَنَّ (الجنين) سُمِّيَ بذلك؛ لِأَنَّهُ مستور في الرَّحْمِ، ولهذا

جعله منقولاً من مشتق على صيغة (فَعِيل) بمعنى: مفعول، على حين جعل تسمية القبر جنيئاً منقولة من مشتق على صيغة (فَعِيل) بمعنى اسم الفاعل (الجان)، أي: السَّاتر؛ لأنَّه يستر جسد الميت ويُغَيِّبُه.

ومن التفسير بالوظائف الصرفية قول الرَّاعِب: ((وَالْحَرْسُ يُسْتَعْمَلُ فِي الْأَمَكْنَةِ أَكْثَرَ، وَقَوْلُ الشَّاعِرِ:

فَبَقِيَتْ حَرْسًا قَبْلَ مُجْرَى دَاحِسٍ لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجُ خُلُودٌ^(١٢١)

قيل: معناه: دهرًا، فإنَّ كان الحرس دلالة على الدهر من هذا البيت فقط فلا يدلُّ، فإنَّ هذا يحتمل أن يكون مصدرًا موضوعًا موضع الحال، أي: بقيت حارسًا، ويدلُّ على معنى الدهر والمدة لا من لفظ الحرس، بل من مقتضى الكلام^(١٢٢).

ففي هذا السياق لجأ الرَّاعِبُ إلى الوظائف الصرفية؛ لتقيد القول بأنَّ (الحرس) هو: الدهر، فجعل (حرسًا) وهو مصدر مستعملًا في موضع اسم الفاعل (حارسًا)، وإعرابه على هذا التوجيه الصرفي حال، ثُمَّ جعل دلالة (الحارس) على (الدهر)، أو الزَّمان الممتد مستنتجةً ممَّا يُوحِي به لفظ (الحارس) من اللزوم والبقاء.

ولا يخفى ما في التفسير الصرفي السابق من ضبط لسبب التسمية، وتوضيح لما تحمله الألفاظ من وظائف صرفية تُعَبِّرُ عن دلالات لغوية دقيقة، وربط للمسميات بأصولها الدلالية التي نُقِلَتْ منها.

٣ - العلاقات النحوية:

من مسالك التفسير اللغوي عند أصحاب المعجمات عامَّة، وعند الرَّاعِبِ في "مفردات ألفاظ القرآن" خاصة، الاكتفاء بذكر المحلِّ الإعرابي للفظ، وفي هذه الحالة يحتاج القارئ إلى استنتاج الدلالة اللغوية من الاصطلاح النحوي الذي تحدَّده وظيفة اللفظ في التركيب. ومن أمثلة التفسير بالعلاقات النحوية عند الرَّاعِبِ قوله في مادة (نبت): ((وقوله:

﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾^(١٢٣)، فقال النحويون: قوله: (نبتًا) موضوع موضع الإنبات، وهو مصدرٌ. وقال غيرهم: قوله: (نبتًا) حالٌ لا مصدرٌ، ونبةً بذلك أنَّ الإنسان هو من وجهٍ نباتٌ من حيث إنَّ بدأه ونشأه من التراب، وإنَّه ينمو نموَّه، وإنَّ كان له وصفٌ زائدٌ على النبات، وعلى هذا نبه بقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾^(١٢٤)، وعلى

ذلك قوله: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾^(١٢٥)، وقوله: ﴿تَبَّتْ بِالدُّهْنِ﴾^(١٢٦)، الباء للحال لا للتعدية؛ لِأَنَّ (نَبَتَ) متعدٍ تقديره: تَبَّتْ حَامِلَةً لِلدُّهْنِ، أي: تَبَّتْ والدُّهْنُ موجودٌ فيها بالقُوَّةِ^(١٢٧).

ففي هذا السِّياق جمع الرَّاغب بين التفسير بالوظائف الصَّرْفِيَّةِ والتفسير بالعلاقات النُّحَوِيَّةِ؛ لِأَنَّ العلاقات النُّحَوِيَّةَ جاءت مبنية على الوظائف الصَّرْفِيَّةَ.

فقوله في (نباتاً): إِنَّهُ موضوع موضع (إنباتاً) وهو مصدر، فهذا تفسير صرفي، يُفْضِي إِلَى أَنَّ (نباتاً) مفعول مطلق مُؤَكِّدٌ لِعَامِلِهِ الَّذِي يُلَاقِيهِ فِي الْاِشْتِقَاقِ، أي: إِنَّ (نباتاً) لا يتضمن دلالة لُغَوِيَّةَ، وهو بمثابة التَّوكِيدِ اللَّفْظِيِّ، كما هي وظيفة المفعول المطلق المُؤَكِّد. وقوله: ((وهو مصدر)) يُفِيدُ فِي تَحْدِيدِ الْمَرَادِ بِهِ؛ لِأَنَّ لَفْظَ (نباتاً) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا لِلْفِعْلِ (نَبَتَ)، واسم مصدر للفعل (أَنْبَتَ)، كما يَحْتَمِلُ الدَّلَالَةُ عَلَى اسْمِ الدَّاتِ. فَتَحْدِيدُهُ بِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ فِيهِ اسْتِبْعَادٌ لِاحْتِمَالِ دَلَالَتِهِ عَلَى اسْمِ الدَّاتِ، وَتَقْرِيرُ أَنَّهُ مُصَدَّرٌ، وَقَوْلُهُ: ((موضوع موضع الإنبات)) اسْتِبْعَادٌ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ مُصَدَّرًا لِلْفِعْلِ (نَبَتَ)، وَيَبْقَى أَنَّهُ اسْمُ مُصَدَّرٍ لِلْفِعْلِ (أَنْبَتَ) وَإِعْرَابُهُ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ فِي (نباتاً): إِنَّهُ ((حَالٌ لَا مُصَدَّرٌ))، فَيُبْنَى عَلَيْهِ مِنَ النَّاحِيَةِ الصَّرْفِيَّةِ أَنَّ (نباتاً) مصدر (نَبَتَ) بِمَعْنَى اسْمِ الْفَاعِلِ: النَّابِتِ، عُبِّرَ بِهِ عَنْ اسْمِ الدَّاتِ لِدَلَالَتِهِ عَلَى مَا يُدْرِكُ بِالْحَوَاسِ؛ لِأَنَّ إِعْرَابَهُ حَالًا لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا عَلَى أَنَّهُ اسْمُ جَامِدٍ فِيهِ مَعْنَى النَّشْبِيَّةِ، وَالتَّقْدِيرُ: أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ كَالنَّبَاتِ، أي: مُشْبِهِينَ النَّبَاتِ، وَهَذِهِ وَظَائِفُ صَرْفِيَّةٌ بُنِيَتْ عَلَيْهَا عِلَاقَاتُ لُغَوِيَّةَ، أَفْضَتْ إِلَى بَيَانِ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةِ وَتَقْسِيرِهِ.

وَأَمَّا تَقْسِيرُهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَبَّتْ بِالدُّهْنِ﴾ بِأَنَّ ((الباء للحال لا للتعدية؛ لِأَنَّ (نَبَتَ) مُتَعَدٍّ))، فَهَذَا تَقْسِيرٌ بِالْوِظَائِفِ الصَّرْفِيَّةِ وَالْعِلَاقَاتِ النُّحَوِيَّةِ، وَيُبْنَى عَلَى أَنَّ (نَبَتَ) مُتَعَدٍّ أَنَّهُ بِمَعْنَى (أَنْبَتَ) وَلَهُ مَفْعُولٌ بِهِ مَحْذُوفٌ، وَالتَّقْدِيرُ: تَبَّتْ زَيْتُونَهَا، وَيُبْنَى عَلَى أَنَّ الْبَاءَ لِلْحَالِ وَجُودِ حَالٍ مَحْذُوفَةٍ تَعَلَّقَ بِهَا الْجَارُ وَالْمَجْرُورُ، وَهَذِهِ الْحَالُ الْمَحْذُوفَةُ يُفْتَرَضُ بِهَا أَنْ تَكُونَ كَوْنًا عَامًّا لَا خَاصًّا، عَلَى تَقْدِيرٍ: تَبَّتْ زَيْتُونَهَا كَانَتْ بِالْأُذُنِ، وَتَقْدِيرُ الرَّاغبِ لَهَا بِالْكَوْنِ الْخَاصِّ (حَامِلَةً) هُوَ تَوْجِيهِهُ لِلْمَعْنَى وَلَيْسَ تَقْسِيرًا^(١٢٨).

ومن أمثلة التفسير بالعلاقات النحويّة قوله: ((وقوله عزّ وجلّ: ﴿بَاءَ يَغْضَبُ مِنْكَ﴾ (١٢٩)، أي: حلّ مُبَوِّأً ومعه غضبُ الله، أي: عقوبته، وقوله: ﴿يَغْضَبُ﴾ في موضع حالٍ، كخرج بسيفه، أي: رجع، لا مفعول، نحو: مُرّ بزيد. واستعمال (باء) تنبيهاً على أنّ مكانه الموافق يلزمه فيه غضب الله، فكيف غيره من الأمكنة؟ وذلك على حدّ ما ذكر في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (١٣٠)، وقوله: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبْوَأَ يَأْتِي وَإِثْمَكَ﴾ (١٣١)، أي: تقيم بهذه الحالة (١٣٢).

ففي هذا السّياق يُفرّق بين استعمال (الباء) الجارّة حين تكون مع مجرورها في موضع الحال، واستعمالها حين تكون في موضع المفعول به، ويذكر ما يُبنى على ذلك من المعاني والدلالات. وهو تفسير لغويّ مبنيّ على العلاقات النحويّة ومفهومها.

ومن التفسير بالعلاقات النحويّة قول الرّاعب: ((وقوله: ﴿أَفْكَاءَ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (١٣٣) فيصح أنّ يُجعل تقديره: أتريدون آلهةً من الإفك، ويصح أنّ يُجعل (إفكاً) مفعول (تريدون)، ويُجعل (آلهة) بدل منه، ويكون قد سمّاهم إفكاً (١٣٤).

ففي هذا السّياق يُقدّم الرّاعب التفسير اللغويّ اعتماداً على العلاقات النحويّة ومفهومها ومؤدّاها الدّلاليّ، فيذكر توجيهين نحوّيين لإعراب (إفكاً)، أحدهما: أنّه مفعول لأجله ويُبنى عليه أنّ سبب إرادة (الآلهة) وطلبها هو: الإفك. والآخر: أنّه مفعول به لـ (تريدون)، فيكون (آلهة) بدلاً منه، ويُبنى على ذلك أنّ (الآلهة) و (الإفك) شيء واحد.

مما تقدّم يتضح أنّ الحديث عن العلاقات النحويّة في السّياق، ومحلّ اللفظ من الإعراب، هو نوع من التفسير اللغويّ غير المباشر؛ لأنّه يستلزم استنتاج المعنى اللغويّ بناءً على دلالة العلاقات النحويّة.

الخاتمة

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَمَنْ اتَّبَعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَتَحَدَّثْنَا فِي هَذَا الْبَحْثِ عَنِ الْمَسَالِكِ الَّتِي يَعْتَمِدُهَا أَصْحَابُ الْمَعْجَمَاتِ فِي التَّفْسِيرِ اللَّغَوِيِّ لِلْأَلْفَاظِ لَا سِيَّمَا عِنْدَ الرَّاْغِبِ، وَانْتَهَى الْبَحْثُ إِلَى النَّتَائِجِ الْآتِيَةِ:

١- الطريقة الأساس في التفسير اللغوي هي: الترادف، حيث يوضع في مقابل اللفظ المُفسَّر ما يُوافقه في المعنى والوظيفة الصَّرْفِيَّة، مع الإشارة إلى الفروق الدلالية بين اللفظ ومرادفه.

٢- هناك بعض الأسماء ليس لها مرادفات مشهورة، كعوالم الأرض والسماء مثلاً، ومثل هذه الأسماء يُفسَّرُها أصحاب المعجمات بالحديث عن أوصافها وأجزائها والاعتبارات التي تحدّد هيئاتها.

٣- التفسير بالتضاد من الأساليب التي يعتمدها أصحاب المعجمات، وتُسهّم في تفسير اللفظ، بشرط ألا يقع المفسَّر فيما يُسمَّى بـ(الدور)، وذلك حين يكتفي بتفسير كلّ من اللفظين بضده، ويُؤدّي ذلك إلى الإبهام؛ لتوقّف معرفة كلّ منهما على الآخر.

٤- تُعبّر العلاقات المجازيّة في الأصل عن التّطور اللغويّ، وما يكتسبه اللفظ من دلالات فرعيّة تُضاف إلى دلالاته الأصليّة، ولكنّها تُعدّ من مسالك التفسير اللغويّ، التي يُفيد الحديث عنها في توضيح معاني الألفاظ.

٥- تحديد ما بين الألفاظ من عموم وخصوص، وفروق دلالية، من مسالك التفسير اللغويّ، التي يعتمدها أصحاب المعجمات في تفسير المترادفات.

٦- لجأ الرَّاْغِبُ الْأَصْفَهَانِيُّ، كغيره من أصحاب المعجمات، إلى التفسير اللغويّ عن طريق ذكر الدلالات الاصطلاحية للألفاظ، والدلالات الاصطلاحية لا تُعبّر بدقّة عن المعنى اللغوي للفظ، إلّا أنّها تُسهّم في توضيحه وبيانه، لاستنادها في الغالب إليه، ونشوتها منه.

٧- يُعدّ تحديد الوظائف الصَّرْفِيَّة والعلاقات النَّحْوِيَّة من مسالك التفسير اللغويّ، التي

يعتمدها أصحاب المعجمات، وهي طريقة غير مباشرة؛ لأنها لا تُصرِّح بدلالة اللفظ، بل تُعبّر عنها ممّا تُؤدّي إليه الوظائف الصّرفيّة والعلاقات النّحويّة.

٨- إنّ ربط الأسماء، لا سيّما أسماء الدّوات المحسوسة، بأصول مصدرية أو اشتقاقية أخذت منها، يُعدّ من مسالك التّفسير التي تُوضّح المعنى اللّغوي للفظ، وهذه الطريقة اعتمدها ابن فارس في كتابه "معجم مقاييس اللّغة"، وبها تأثّر الرّاغب الأصفهاني في "مفردات ألفاظ القرآن".

٩- كان الرّاغب في "مفردات ألفاظ القرآن" متأثّراً بـ "معجم مقاييس اللّغة" لابن فارس، وليس بـ "مُجمل اللّغة"، خلافاً لما ذهب إليه محقّق كتاب "مفردات ألفاظ القرآن". مع الإشارة إلى وجود فرق بين المنهجين، يتمثل في أنّ أغلب الأصول الاشتقاقية عند ابن فارس يعود إلى المعاني، أمّا عند الرّاغب فكثير منها يعود إلى أسماء ذوات.

هوامش البحث ومصادره:

- (١) يُنظر: المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث: ١٠٢-١٢٣، والمعنى اللغوي: ٢٣٧-٢٣٨.
- (٢) مادة (غيث): ١٩٧/٢.
- (٣) يُنظر: المفصل في تفسير القرآن الكريم: ١٤٩٤.
- (٤) يُنظر: معجم مقاييس اللغة، مادة (مطر): ٣٣٢/٥.
- (٥) يُنظر: الأصول في النحو: ١١١/٣، والموجز في قواعد اللغة العربية: ٢٠٤.
- (٦) مادة (حفل): ١١٠/١١.
- (٧) يُنظر: المقتضب: ٧٨/١.
- (٨) يُنظر: الكتاب: ٥٥/٤، ومغني اللبيب: ٦٨٠/٢.
- (٩) مادة (عقل): ٣٨/٣٠.
- (١٠) يُنظر: الكتاب: ٧١/٤، وشرح المفصل - لابن يعيش: ٢٩٠/٧، والممتع في التصريف: ١٨٢/١-١٨٣.
- (١١) يُنظر: أدب الكاتب: ٣٠٣، وشرح المفصل - لابن يعيش: ٢٩٠/٧ - ٢٩١، والممتع في التصريف: ١٨١/١-١٨٢، وشرح شافية ابن الحاجب - لرضي الدين: ٩٩/١ - ١٠٣.
- (١٢) يُنظر: شرح شافية ابن الحاجب - لرضي الدين: ٢٦٠/١.
- (١٣) يُنظر: شرح المفصل - لابن يعيش: ٢٩٠/٧.
- (١٤) مادة (أسف): ٧٥.
- (١٥) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (سنا): ٤٢٩.
- (١٦) سورة القصص، من الآية: ٣٤.
- (١٧) سورة الليل، الآية: ١١.
- (١٨) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (ردأ): ٣٥٠ - ٣٥١.
- (١٩) سورة إبراهيم، من الآية: ٢٤.
- (٢٠) مفردات ألفاظ القرآن، مادة: (فرع): ٦٣٢.
- (٢١) المصدر نفسه: ٤٠٣.
- (٢٢) سورة النحل، من الآية: ١٢٠.
- (٢٣) سورة آل عمران، من الآية: ٦٧.
- (٢٤) سورة الحج، من الآيتين: ٣٠ - ٣١.

- (٢٥) مفردات ألفاظ القرآن: ٢٦٠.
- (٢٦) المصدر نفسه، مادة (ذكر): ٣٢٨.
- (٢٧) سورة النساء، من الآية: ١٤٥.
- (٢٨) مفردات ألفاظ القرآن: ٣١١.
- (٢٩) سورة الأعراف، من الآية: ٧٤.
- (٣٠) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٣٠، ويُنظر: تاج العروس، مادة (سهل): ٢٣٤/٢٩.
- (٣١) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (حزن): ٢٣١.
- (٣٢) لسان العرب، مادة (جهل): ١٥٥/١١.
- (٣٣) المصدر نفسه، مادة (علم): ٤٨٥/١٢.
- (٣٤) يُنظر في مفهوم (الدور) وأنواعه: الكليات: ٣٧٢، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ٨١١/١.
- (٣٥) مادة (أبى): ١١/٣٧.
- (٣٦) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (عرف): ٥٦٠.
- (٣٧) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (نكر): ٨٢٣.
- (٣٨) سورة الحج، من الآية: ٧٣.
- (٣٩) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (ضعف): ٥٠٦ - ٥٠٧.
- (٤٠) سورة فصلت، من الآية: ٥١.
- (٤١) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (عرض): ٥٥٩.
- (٤٢) أسرار البلاغة: ٣٩٥.
- (٤٣) يُنظر: المصدر نفسه: ٤٠٨.
- (٤٤) يُنظر: علم أساليب البيان: ٢١٧.
- (٤٥) يُنظر: علوم البلاغة: ٢١٠.
- (٤٦) دلائل الإعجاز: ٢٩٥.
- (٤٧) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة: ٧٣/١.
- (٤٨) مادة (جمل): ١١٤.
- (٤٩) سورة الأنبياء، من الآية: ١٨.
- (٥٠) مفردات ألفاظ القرآن: ٣١٨.
- (٥١) المصدر نفسه: ١٥.
- (٥٢) سورة الطور، الآية: ٦.
- (٥٣) سورة التكوين، الآية: ٦.

- (٥٤) سورة غافر، من الآية: ٧٢.
- (٥٥) سورة البقرة، من الآية: ٢٤.
- (٥٦) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٩٧ - ٣٩٨.
- (٥٧) مفردات ألفاظ القرآن: ٧٩١ - ٧٩٢.
- (٥٨) سورة الأنبياء، من الآية: ١٥.
- (٥٩) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (خمد): ٢٩٨.
- (٦٠) يُنظر في أنواع المجاز وعلاقاتها: الإيضاح في علوم البلاغة: ٨٠/١، والبلاغة العربية: ٢٢٤/٢.
- (٦١) نهاية الأفكار: ٥٠٤/٢.
- (٦٢) يُنظر: المصدر نفسه.
- (٦٣) يُنظر: الكليات: ٥٠٧.
- (٦٤) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أبي): ٥٨.
- (٦٥) لسان العرب، مادة (أبي): ٤/١٤.
- (٦٦) سورة البقرة، من الآية: ١٨.
- (٦٧) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (بكم): ١٤٠ - ١٤١.
- (٦٨) تفسير الراغب الأصفهاني: ١٣١٠/٣، ويُنظر: مفردات ألفاظ القرآن، مادة (رسل): ٣٥٣.
- (٦٩) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٨/٧، والتسهيل لعلوم التنزيل: ٤٨٢/١.
- (٧٠) يُنظر: عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي: ١٦٣/٦.
- (٧١) يُنظر: الكشف: ٣٨٢/٤.
- (٧٢) يُنظر: مفردات ألفاظ القرآن، مادة (شك): ٤٦١.
- (٧٣) مادة (شكك): ٢٢٩/٢٧، ويُنظر: مفردات ألفاظ القرآن، مادة (شكك): ٤٦١.
- (٧٤) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أذى): ٧٢.
- (٧٥) المصدر نفسه، مادة: (برح): ١١٥.
- (٧٦) سورة النحل، الآية: ٦.
- (٧٧) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (سرح): ٤٠٦.
- (٧٨) سورة الفرقان، من الآية: ٥٣.
- (٧٩) مفردات ألفاظ القرآن: ٧٧٤.
- (٨٠) المصدر نفسه، مادة (بشر): ١٢٤.
- (٨١) سورة الكهف، من الآية: ٨٢.
- (٨٢) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (جدر): ١٨٩.

- (٨٣) سورة الصّافات، من الآية: ١٠.
- (٨٤) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (شهب): ٤٦٥.
- (٨٥) المصدر نفسه، مادة (صوب): ٤٩٤.
- (٨٦) اللّغة- لفندريس: ٢٥٦.
- (٨٧) يُنظر: دلالة الألفاظ: ١٦٠-١٦٧.
- (٨٨) يُنظر: المصدر نفسه: ١٦٠-١٦٢، وعوامل التّطور اللّغوي: ٥٧.
- (٨٩) مفردات ألفاظ القرآن: ٦٧٤.
- (٩٠) يُنظر مادة (قضي) في: أساس البلاغة: ٦٧٠، ولسان العرب: ٢١٤/١٥ - ٢١٥، وتاج العروس، مادة (قضض): ٣٠/١٩.
- (٩١) يُنظر: التّوقيف على مهمات التّعريف: ١٧٧.
- (٩٢) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (قضي): ٦٧٦.
- (٩٣) يُنظر: التّعريفات: ١٧٦.
- (٩٤) مفردات ألفاظ القرآن: ٥٥٤.
- (٩٥) المصدر نفسه: ٧١٩.
- (٩٦) يُنظر: المستويات الدّلائليّة في نظرية النّظم عند عبدالقاهر الجرجاني: ٢٢١ - ٢٢٢.
- (٩٧) دلائل الإعجاز: ٥٥.
- (٩٨) يُنظر: علم الدّلالة دراسة وتطبيق: ٤٥.
- (٩٩) يُنظر: لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٣.
- (١٠٠) الاشتقاق: ١٧٠.
- (١٠١) مادة (طرد): ٤٥٥/٣ - ٤٥٦.
- (١٠٢) سورة الأعراف، من الآية: ١٦٣.
- (١٠٣) سورة الأعراف، من الآية: ١٦٣.
- (١٠٤) سورة النّحل، من الآية: ١٢٤.
- (١٠٥) سورة النّبا، الآية: ٩.
- (١٠٦) سورة يونس، من الآية: ٦٧.
- (١٠٧) مفردات ألفاظ القرآن: ٣٩٢.
- (١٠٨) سورة النّحل، من الآية: ٦٨.
- (١٠٩) سورة النّحل، من الآية: ٦٨.
- (١١٠) سورة النّساء، من الآية: ٤.

- (١١١) مفردات ألفاظ القرآن: ٧٩٥.
- (١١٢) المصدر نفسه ، مادة (خَذَ): ٢٧٥ - ٢٧٦.
- (١١٣) المصدر نفسه، مادة (جَزَع): ١٩٤ - ١٩٥.
- (١١٤) سورة مريم، من الآية: ٦١.
- (١١٥) مفردات ألفاظ القرآن: ٦١.
- (١١٦) سورة مريم، من الآية: ٦١.
- (١١٧) يُنْظَرُ: الكشف: ٣٤/٤.
- (١١٨) يُنْظَرُ: المصدر نفسه، والدُّرُّ المصون: ٦١٣/٧.
- (١١٩) سورة النّجم، من الآية: ٣٢.
- (١٢٠) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (جَنَ): ٢٠٤.
- (١٢١) البيت من البحر الكامل، للبيد بن ربيعة العامري، لكن رواية الديوان، هي:
وَعَنَيْتُ سَبْتًا قَبْلَ مُجْزَى دَاحِسٍ لَوْ كَانَ لِلنَّفْسِ اللَّجُوجِ خُلُودٌ
- ديوانه: ٣٢.
- (١٢٢) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (حَرس): ٢٢٧.
- (١٢٣) سورة نوح، الآية: ١٧.
- (١٢٤) سورة غافر، من الآية: ٦٧.
- (١٢٥) سورة آل عمران، من الآية: ٣٧.
- (١٢٦) سورة المؤمنون، من الآية: ٢٠.
- (١٢٧) مفردات ألفاظ القرآن: ٧٨٧.
- (١٢٨) يُنْظَرُ: الكشف: ٢٢٤/٤.
- (١٢٩) سورة الأنفال، من الآية: ١٦.
- (١٣٠) سورة آل عمران، من الآية: ٢١.
- (١٣١) سورة المائدة، من الآية: ٢٩.
- (١٣٢) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (بِوَاء): ١٥٩.
- (١٣٣) سورة الصّافات، الآية: ٨٦.
- (١٣٤) مفردات ألفاظ القرآن، مادة (أَفْكَ): ٧٩.

المصادر والمراجع

- بعد القرآن الكريم.

- ١- أدب الكاتب: لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: علي فاعور، ط١، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٢- أساس البلاغة: لأبي القاسم محمود بن عمر الرّمخسري (ت ٥٣٨هـ)، حققه وقدم له ووضع فهارسه: د. مزيد نعيم ود. شوقي المعزّي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون (بيروت- لبنان)، ١٩٨٨م.
- ٣- أسرار البلاغة: لأبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط١، دار المدني- جدة، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٤- الاشتقاق: لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط١، دار الجيل- بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٥- الأصول في النحو: لأبي البركات محمد بن سهل بن السراج (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبدالحسين الفتلي، ط٣، مؤسسة الرسالة- بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٦- الإيضاح في علوم البلاغة: لأبي المعالي محمد بن عبدالرحمن جلال الدين القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق: د. محمد عبدالمنعم خفاجي، ط٣، ٢، دار الجيل- بيروت، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٧- البلاغة العربية: لعبدالرحمن حنّكة الدمشقي (ت ١٤٢٥هـ)، ط١، دار القلم والذّار الشامية، دمشق وبيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٨- تاج العروس من جواهر القاموس: لأبي الفيض محب الدين السيّد محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، ط١، المطبعة الخيرية- القاهرة، ١٣٠٦هـ.
- ٩- التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي قاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن جزّي الكلبي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبدالله الخالدي، ط١، دار بن أبي الأرقم- بيروت، ١٤١٦هـ.
- ١٠- التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الزّين الشّريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السّود، ط٤، دار الكتب العلمية (بيروت- لبنان)، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- ١١- تفسير الرّأغب الأصفهاني: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرّأغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. عادل بن علي الشّدي، ط١، دار الوطن- الرياض، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- ١٢- التوقيف على مهمات التعاريف: لعبدالرؤف بن تاج العافين بن علي المناوي (ت ١٠٣١هـ)، ط ١، عالم الكتب، القاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٣- الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط ٢، دار الكتب المصرية - القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ١٤- الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأبي العباس بن يوسف بن محمد ابن إبراهيم المعروف بالسّمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: د.أحمد محمد الخراط، ط ٤، دار القلم - دمشق، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- ١٥- دلائل الإعجاز: لأبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني (ت ٤٧١هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، ط ٥، مكتبة الخانجي - القاهرة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- ١٦- دلالة الألفاظ: لإبراهيم أنيس، ط ٥، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م.
- ١٧- ديوان لبيد بن ربيعة العامري: لأبي عقيل لبيد بن ربيعة العامري (ت ٤١هـ)، اعتنى به: حمدو أحمد طمّاس، ط ١، دار المعرفة - بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ١٧- شرح شافية ابن الحاجب: لرضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي (ت ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمد نور الحسن ومحمد الزّفاف ومحمد محيي الدين عبدالحميد، (د.ط)، دار الكتب العلميّة - بيروت، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
- ١٨- شرح المفصل: لأبي البقاء موفق الدين بن يعيش الموصلي (ت ٦٤٣هـ)، تحقيق: أ.د. إبراهيم محمد عبدالله، ط ١، دار سعد الدين - دمشق، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- ١٩- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم الحقائق الإعجاز: ليحيى بن حمزة ابن علي بن إبراهيم العلوي اليمني (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: الشّرييني شريدة، (د.ط)، دار الحديث - القاهرة، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ٢٠- علم أساليب البيان: د.غازي يموت، ط ١، دار الأصالة للطباعة والنشر (بيروت - لبنان)، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٣م.
- ٢١- علم الدلالة دراسة وتطبيق: د.نور الهدى لوشن، ط ١، منشورات جامعة قاريونس (بنغازي - ليبيا)، ١٩٩٧م.
- ٢٢- علوم البلاغة (البيان والمعاني والبديع)، أ.أحمد مصطفى المراغي، ط ١، المكتبة العصرية - بيروت، ٢٠٠٨م.
- ٢٣- عوامل التطور اللغوي دراسة في نمو وتطور الثروة اللغوية: لأحمد عبدالرحمن حماد، ط ١، دار الأندلس - بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- ٢٤- عناية القاضي وكفاية الرّاضي على تفسير البيضاوي: لأحمد بن محمد بن عمر شهاب الدّين المصري (ت ١٠٦٩هـ)، الطبعة الخديويّة، ١٢٨٣هـ، تصوير دار صادر- بيروت.
- ٢٥- الكتاب: لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ط٣، مكتبة الخانجي- القاهرة، ١٩٨٨م.
- ٢٦- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: لمحمد بن علي الشّهانوي (ت بعد ١١٥٨هـ)، تحقيق: د.علي دحروج، ط١، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ١٩٩٦م.
- ٢٧- الكشف عن حقائق التّزليل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الرّمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ط١، مكتبة العبيكان- الرّياض، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- ٢٨- الكليات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، مؤسسة الرّسالة- بيروت، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
- ٢٩- لسان العرب: لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور المصري (ت ٧١١هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط٢، دار الكتب العلميّة (بيروت- لبنان)، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- ٣٠- لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب، لمحمد خطايي، ط١، المركز الثّقافي العربي- بيروت، ١٩٩١م.
- ٣١- اللّغة: لجوزيف فندريس، تعريب: عبدالحميد الدّواخلي ومحمد القصاص، (د.ط)، مكتبة الأنجلو المصريّة، ١٩٥٠م.
- ٣٢- المستويات الدّلاليّة في نظرية النّظم عند عبدالقاهر الجرجاني: د.هدى صالح الحديثي، مجلة الآداب، العدد: (٥٨)، ٢٠٠٢م.
- ٣٣- المعجمات اللّغويّة في ضوء دراسات علم اللّغة الحديث: د.محمد أحمد أبو الفرج، ط١، دار النّهضة العربيّة- مصر، ١٩٦٦م.
- ٣٤- معجم مقاييس اللّغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبدالسلام محمد هارون، ط١، دار إحياء الكتب العربيّة- القاهرة، ١٣٦٦هـ.
- ٣٥- المعنى اللّغوي "دراسة عربيّة مؤصلة نظريًا وتطبيقيًا": د.محمد حسن جبل، ط٢، مكتبة الآداب- القاهرة، ٢٠٠٩م.
- ٣٦- مغني اللّبيب عن كتب الأعاريب: لجمال الدّين بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: د.مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، راجعه: سعيد الأفغاني، ط٥، مؤسسة الصّادق، (د.ت).
- ٣٧- مفردات ألفاظ القرآن: لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالرّاغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ط٥، دار القلم،- دمشق، ١٤٣٣هـ- ٢٠١١م.

- ٣٨- المفصل في تفسير القرآن الكريم المشهور بتفسير الجلالين، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط١، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ٢٠٠٨م.
- ٣٩- المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد للمبرد (ت ٢٨٦هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، (د.ط)، عالم الكتب - بيروت، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- ٤٠- الممتع الكبير في النصريف: لابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط٨، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٩٩٦م.
- ٤١- الموجز في قواعد اللغة العربيّة: لسعيد الأفغاني (ت ١٤١٧هـ)، (د.ط)، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ٤٢- نهاية الأفكار: لضياء الدين العراقي (ت ١٣٦١هـ)، ط٥، مؤسسة النشر الإسلامي - قم، ٢٠١١م.

أثر معرفة أحكام اللغة في فقه معاني القرآن

أ.م.د. حيدر علي نعمة
الجامعة العراقية / كلية الآداب
&
أ.م.د. أحمد علي نعمة
الجامعة العراقية / كلية الآداب

الملخص

يسلط البحث الضوء على ما لقواعد اللغة العربية وأحكام نحوها وصرفها وبلاغتها وما يتصل بمفرداتها وتراكيبها ويتحدّ مع أبعاد دلالتها من فنون، يتناول ما لذلك كلّ من أثر فاعل وإسهام أكيد في فقه معاني القرآن المجيد والتّعرّف على حكمه وأحكامه؛ فجاء على مقدمة وستّة مباحث رئيسة، متلوة بخاتمة تتضمّن أهمّ النتائج التي توصلت إليها من خلال تلك الدّراسة، وثبتّ بأهمّ المصادر والمراجع التي أفدت منها في إثراء المادّة العلمية للبحث.. فخصّصت المبحث الأول لبيان مكانة اللغة العربية وأثرها في فقه معاني القرآن الكريم، وجاء المبحث الثاني لتتبّع خطوات الفهم اللغوي للنص القرآني، يليه المبحث الثالث الذي حدّد أهمّ الملامح والسّمات الأخرى التي لا بدّ من تضافرها لتّمّام الفهم، وعقدت المبحث الرابع لأفرغ فيه صفوة القول وعُصارته في هذا الباب، وجاء المبحث الخامس لاستعراض طائفة مختارة بعناية من آراء العلماء المتخصّصين بهذا الصدد.. لأختم بكلمة أخيرة بهذا الشأن؛ وذلك في المبحث السادس، تليه الخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع..

Abstract

The current paper sheds lights on the Arabic Language Grammar, its grammatical rules, morphology, rhetoric, the related parts and combinations and the related dimensions of its semantics. So, the paper concerned has a vital impact and real contributions in the jurisprudence of the Glorious Qur'an Meanings and knowing its rule and rules. For this reason, it is divided into an introduction and six parts followed by conclusions embracing the most important results of the study and references: As for the first part, it dealt with the status of the Arabic Language and its effect in the jurisprudence of Qur'anic meanings whereas, the second part presented steps towards linguistic understanding of the Qur'anic texts and it is followed by the third part which is concerned with the other important features. The fourth one highlighted the gist of the study while the fifth part was about the presentation of the view of well-selected scholars and specialists in this regard. Besides, the final words were found in the sixth one. Then, the conclusions and references were highlighted.

مُقَدِّمَةٌ

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلَاةُ والسَّلَامُ خاتم الأنبياء وسيدِّ المرسلين مُحَمَّدٌ المبعوث بشيراً ونذيراً ورحمة للعالمين، وعلى آله وأصحابه ومن سار على هديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين، وبعد..

فليس بخافٍ على أحدٍ منا ما للغة العربية من أثرٍ بالغٍ في فهم معاني ألفاظ القرآن الكريم، وتحديد مراميهِ، وفقه دلالاته؛ فمن المعلوم أنَّ القرآن عربيٌّ، وقد أنزل على رسولٍ عربيٍّ، وخطبت به - في بادئ الأمر - أمة العرب، وأنَّ مقصوده الهداية والنصح والإرشاد؛ لذا كان لا بدَّ أن يأتي بياناً واضحاً بالنسبة للأمة المخاطبة به، ولا يكون كذلك حتى تفهمه وتقلقه، ولا يتم ذلك حتى يكون جارياً على معهودها في الخطاب، وعاداتها في الكلام.. وهكذا كان القرآن الكريم.

لقد نصَّت العديدُ من الآيات الكريمة على عربية هذا الكتاب الكريم^(١)، ولما كان الأمر كذلك؛ فإنه لا يمكن العدول بحال عن هذه اللغة التي نزل بها إلى غيرها إذا ما أُريد تفسير الكتاب الذي نزل بها؛ لأنَّ معرفة معاني ألفاظه لا تؤخذ إلَّا منها، فإنَّ من سنة الله ﷻ أن يرسل الرسول بلسان قومه، وينزل عليهم الكتاب بلسانهم؛ ليبين لهم ويفهموا عن الله ﷻ خطابه ومُرادَه على السنة رُسله؛ فيؤمنوا به ويُصدِّقوه، ولو كان بغير لغتهم؛ لاحتاجوا إلى تَرْجُمانٍ يُبين لهم حدود ربهم ﷻ وأوامره ونواهيه.

لذا كان حتماً على من يريد فهم القرآن الكريم على نحوٍ صائب أن يكون على معرفةٍ ودرايةٍ باللغة العربية وأحكامها وما يتعلَّق بها؛ ذلك أنَّ سُنَّةَ الله ﷻ في خلقه اقتضت أن يُرسل كلَّ رسولٍ إلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﷻ [سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: ٤].

وستنعرَّف في هذا البحث بإذن الله على ما لتلك القواعد والأحكام وما يتصل بها ويتحد معها من أثرٍ فاعلٍ وإسهامٍ جبارٍ في فقه معاني القرآن المجيد والتعرُّف على حكِّمه

وأحكامه، فجاء على مقدمة وخمسة مباحث رئيسة، متلوة بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلنا إليها، وثبت بأهم المصادر والمراجع التي أفاد منها البحث.

المبحث الأول

مكانة اللغة العربية وأثرها في فقه معاني القرآن الكريم

لا بدّ لنا أن نعرف ابتداءً أنّ القرآن الكريم مفهوم المعنى كلّهُ؛ فليس فيه ألغاز، ولا أحاجي، ولا أسرار كامنة تستقاد من مصادر خارجة عن قوانين اللغة العربية وعُرف استعمال اللسان العربي، وكلُّ تفسير لكلام الله ﷻ خارج عن قانون لغة العرب؛ فهو تفسير بالهوى والتشهي، مردودٌ على صاحبه^(٢).

رُوي ((عن ابن عباس ؓ أنّ الوليد بن المغيرة جاء إلى رسول الله ﷺ؛ فقرأ عليه القرآن.. فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل... قال: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك مُنكرٌ له - أو أنك كارهٌ له - قال: وماذا أقول؟! فوالله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن.. والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلو، وإنه ليحطم ما تحته))^(٣)!!

وكان الطفيل بن عمرو الدوسي رجلاً شريفاً، شاعراً، لبيباً.. وذات يوم وضع كُرسفاً^(٤) في أذنيه حين غدا إلى المسجد؛ فرقاً^(٥) من أن يبلغه شيءٌ من كتاب الله ﴿تَبَارَكَ وَتَعَالَى﴾؛ ولكنه استدرك قائلاً في نفسه: «واثكل أُمي!! والله إني لرجلٌ لبيب، ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟! فإن كان الذي يأتي به حسناً؛ قبلته، وإن كان قبيحاً؛ تركته».. ويسمع الطفيل ﷺ القرآن؛ ويسلم من فوره، ويغدو داعية له بين أهله وعشيرته بعدما كان بالأمس من المناوئين أهل الإباء، ومن الأعداء الألداء^(٦).

وما ذلك كله إلّا لكون العربي يومذاك يفهم كتاب الله ﷻ، ويتأثر به كما كان قبل الإسلام يسمع الشعر؛ يفهمه ويرويه؛ لأنّ كليهما بلسانٍ عربيٍّ مبين.. وما روايتهم للمُعلقات وكتابتها بماء الذهب، ورفعها مكاناً علياً، وتعليقها على أستار الكعبة؛ تشريفاً

لها، وفخاراً بها، وزهواً واحتفاءً بقائلها، إلّا خير شاهد على تلك الحقيقة المسفرة كالصبح الأبلج^(٧).

وعليه؛ فإنّ من يريد فهم القرآن الكريم؛ فلا يسعه إلّا أن يكون على معرفة ودراية باللغة العربية: بدلالات ألفاظها، وتنوع تراكيبيها، واختلاف أساليبها، ووجوه المخاطبات فيها، وما يتصل بها من علوم؛ إذ من خلالها يستشف المعاني، ويستجلي المرامي، ويستقي الدلالات، ويستوضح العبارات^(٨)، ((كما كانت سنة الله ﷻ في خلقه أن يرسل كلّ رسول بلسان قومه؛ حتى يحصل المقصود من الرسالة؛ فيكون الرسول مُبيناً في كلامه وبلاغه، ويكون المخاطب قادراً على الفهم، متمكناً من الإدراك؛ وبهذا تقوم الحجة، وتنقطع المعذرة بالبيان من الرسول، والفهم من المرسل إليه.

... فمعاني كتاب الله ﷻ موافقة لمعاني كلام العرب، كما إنّ ألفاظه موافقة لألفاظها؛ ولهذا لا يمكن لأحد أن يفهم كلام الله ﷻ، وكلام رسوله ﷺ إلّا من هذه الجهة: جهة كونه عربياً في ألفاظه وتراكيب تلك الألفاظ، عربياً في أساليبه ومعانيه.. فلا بدّ في فهم معاني نصوص الكتاب والسنة من مراعاة معهود العرب في خطابها؛ فلا يصحّ العدول عن عُرفها في كلامه، كما لا يصحّ أن يفهم كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ على نحو لا تعرفه العرب من لغتها وأسلوبها))^(٩).

ومن هنا؛ فقد كرّه الإمام العربي القرشي الصليب محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله لمن يعرف العربية أن يتكلم بغيرها^(١٠)، ويقول: ((ومن جماع علم كتاب الله ﷻ: العلم بأن جميع كتاب الله إنما نزل بلسان العرب))^(١١)، وحرص رحمه الله أشدّ الحرص وأبلغه في سفره الجليل «الرسالة»، أمّ أسفار علم أصول فقه الكتاب والسنة على أن يبين بجلاء هذه الحقيقة المسفرة؛ لأنها أمّ الحقائق التي تبنى عليها كافة القواعد العلمية في هذا الباب.. ولو أنعمنا النظر في قوله السابق: «جماع علم كتاب الله»؛ لبصّرنا بجلاء أن علم ما في كتاب الله ﷻ من معاني الهدى إنما هو من علم لسان العرب.. فمن علمه وأتقنه؛ كان أهلاً لأن يسلك السبيل آمنة، مفضية إلى مبتغاه، ومن جهله؛ فلا يُجاوزه الخل، ولن ينجو من الزلل، ولن يخطو خطوة واحدة على الطريق؛ وإن جمع علوم أهل الأرض أجمعين.

وفي هذا السِّيَاق عقد ابن فارس رحمه الله في سفره القيم «الصَّاحِبِي» باباً بعنوان: «القول في حاجة أهل الفقه والفُتيا إلى معرفة اللغة العربية»، جاء فيه: ((إِنَّ العلم بلغة العرب واجبٌ على كُلِّ مُتعلِّقٍ من العلم بالقرآن والسنة والفُتيا بسبب، حتى لا غناء بأحدٍ منهم عنه؛ وذلك أَنَّ القرآن نازلٌ بلغة العرب، ورسول الله ﷺ عربي، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله ﷻ، وما في سنة رسول الله ﷺ، من كُلِّ كلمة غريبة، أو نظم عجيب؛ لم يجد من العلم باللغة بدأ... لذلك قلنا: إِنَّ علم اللغة كالواجب على أهل العلم؛ لئلا يحيدوا في تأليفهم أو فتياهم))^(١٢).

وقال أبو هلال العسكري رحمه الله: ((فعلُ العربية - على ما تسمع - من خاصٍّ ما يحتاج إليه الإنسانُ لجمالهِ في دنياه، وكمال آلتِهِ في علوم دينهِ))^(١٣).. وقال الثعالبي رحمه الله: ((من أحبَّ الله ﷻ؛ أحبَّ رسوله المصطفى ﷺ، ومن أحبَّ النبيَّ العربي؛ أحبَّ العرب، ومن أحبَّ العرب؛ أحبَّ العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب))^(١٤).. وقال ابن تيمية رحمه الله: ((إِنَّ اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب؛ لأنَّ فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلَّا بالعربية، وما لا يتمُّ الواجب إلَّا به؛ فهو واجب))^(١٥).

وجاء عن أبي إسحاق الشاطبي رحمه الله في «موافقاته» في معرض استعراضه لما تقرَّر من أُمِّيَّة الشريعة، وأنها جارية على مذاهب أهلها؛ وهم العرب: ((إنه لا بدَّ في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين؛ وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم.. فإن كان للعرب في لسانهم عُرْفٌ مستمرٌّ؛ فلا يصحُّ العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثمَّ عُرْف؛ فلا يصحُّ أن يُجرى في فهمها على ما لا تعرفه))^(١٦).

وقرَّر رحمه الله في باب «الاجتهاد» أنه إذا ما كان هنالك علم تتوقف صحة الاجتهاد عليه؛ فالأقرب في العلوم إلى أن يكون هكذا علم اللغة العربية، ولم يعن بذلك النحو وحده، ولا التصريف وحده، ولا اللغة، ولا علم المعاني، ولا غير ذلك من أنواع العلوم المُتعلِّقة باللسان؛ بل المُراد: جُملة علم اللسان؛ ألفاظ، أو معانٍ كيف تصوَّرت، وحكم على العربية وعلى المبتدئ في فهمها بالقول: ((إِنَّ الشريعة عربية، وإذا كانت عربية؛ فلا يفهمها حقَّ الفهم إلَّا من فهم اللغة العربية حقَّ الفهم؛ لأنهما سيَّان^(١٧) في

النمط ما عدا وُجوه الإعجاز.. فإذا فرضنا مبتدئاً في فهم العربية؛ فهو مبتدئٌ في فهم الشريعة، أو متوسطاً؛ فهو متوسط في فهم الشريعة، والمتوسط لم يبلغ درجة النهاية.. فإن انتهى إلى درجة الغاية في العربية؛ كان كذلك في الشريعة؛ فكان فهمه فيها حُجَّة، كما كان فهمُ الصحابة رضي الله عنهم وغيرهم من الفصحاء الذين فهموا القرآن حُجَّة.. فمن لم يبلغ شأوهم؛ فقد نقصه من فهم الشريعة بمقدار التقصير عنهم.. وكلُّ من قصر فهمه؛ لم يعد حجة، ولا كان قوله فيها مقبولاً^(١٨).

وفي ما خلفه لنا علماء العربية دليلٌ ثابت على فضلها، فما خلفه أبو الفتح ابن جبِّي رحمه الله الذي كان متمكناً من اليونانية؛ لأنه رومي، وما خلفه أبو عليّ الفارسي رحمه الله الذي كان متمكناً من الفارسية - مع أن الرومية والفارسية كانتا أزهى لغتين في زمانهما بعد العربية - يقوم دليلاً محكماً على أهلية هذه اللغة الكريمة واحتلالها مركز الريادة وتربُّعها على عرش السيادة على سائر لغات أهل الأرض!! وكذلك كان شأن كثير من سلف هذه الأمة؛ حتى أثر عن أبي الريحان البيروني^(١٩) قوله: «لأنَّ أشتَم بالعربية خيرٌ وأحبُّ إليَّ من أن أمدح بالفارسية»!! ويقول الدكتور طه حسين: «إنَّ المثقفين العرب الذين لم يتقنوا لغتهم ليسوا ناقصي الثقافة فحسب؛ بل في رجولتهم نقصٌ كبير، ومهين أيضاً»^(٢٠)!!

لقد بلغ من أهمية هذه اللغة ومكانتها في التشريع أنها غدت القاعدة المتينة التي تقوم عليها الأحكام؛ فما من علم ((من العلوم الإسلامية: فقها وكلامها، وعلمي تفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية بيِّن لا يُدفع ومكشوف لا يتقنع))^(٢١)؛ وذلك أنَّ معاني هذه العلوم لا تعرف على الحقيقة إلا بمعرفة ألفاظها، والوصلة إلى معرفة ألفاظها معرفة اللغة العربية.

ومن هنا؛ فقد اشترط الأصوليون في المجتهد أن يكون على جانب كبير من التسلُّع من قواعدها وفروعها وتطبيقاتها؛ فإنَّ من أراد استنباط الحكم من النصِّ ولم يكن عالماً بالعربية؛ فإنه قد يضلُّ الطريق في حكمه؛ لأنَّ ((أكثر من ضلَّ من أهل الشريعة عن القصد فيها، وحاد عن الطريقة المثلى إليها؛ فإنما استهواه واستخفَّ حلمه ضعفه في هذه اللغة الكريمة الشريفة))^(٢٢).

وقد أطلق النبي ﷺ على من لحن في اللغة صفة الضلال؛ إذ ورد عنه ﷺ أنه سمع رجلاً يلحن في كلامه؛ فقال: ((أرشدوا أخاكم؛ فإنه قد ضلَّ!!))^(٢٣)!! وقد عَقَّب أبو الفتح ابن جني رحمه الله على ذلك الأثر؛ مبيناً الحكمة التي تستلهم من تسمية النبي ﷺ اللحن ضلالاً، ومن حَبَّه على إصلاح اللسان؛ إذ يقول: ((وذلك لما علمه ﷺ ممَّا يعقب الجهل لذلك من ضدِّ السَّداد وزيج الاعتقاد))^(٢٤)!!

كما تشدَّد الخلفاء والأئمة من بعده ﷺ في محاربة اللحن باللغة؛ فقهاً منهم لأهميتها، وإدراكاً للأثر البارز الذي تحدثه في مجال الدين وأحكامه الدقيقة ومسائله الخطيرة؛ إذ ورد عن أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أنه خرج ذات يوم؛ فلقى شباناً يتبارون في الرمي؛ فعاب عليهم طريقة رميهم؛ فانبرى له أحدهم بالقول: «يا أمير المؤمنين، نحن قوم مُتَعَلِّمين»؛ فغضب عمر، وقال: لخطوك في كلامك أشدُّ علينا من خطئك في رميك!! سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رحم الله امرأً أصلح من لسانه»^(٢٥)!!

كلُّ الذي نقلناه في أهمية هذه اللغة، ووجوب تعلُّمها وتعليمها دالٌّ دلالة بينة محققة على أنه فريضة علم ودين، وأن على كلِّ من تصدَّر أو تصدَّى للنظر في معاني الهدى وبيان مُراد الوحي - الكتاب المجيد والسنة المُطَهَّرة - أن يكون عليمًا بلسان العربية بالقدر الذي يخرج به عن دائرة الحرج ويربأ به عن مستوى الجهالة بمنهاج الناطقين به إِبَّان نزول الوحي؛ فلا يتلبس بشيء من الجهالة بخصائص هذا اللسان وسنن أهله في التخاطب والبيان؛ كيما يتحقق الفهم عن الله ﷻ، وعن رسوله ﷺ.

وهكذا فعل سلفنا الصالح والذين جاءوا من بعدهم في خدمتهم الجليلة للغة القرآن؛ أحبُّوها حباً جمًّا، ووهبوا نفوسهم لها؛ فنقحوها، وقعدوا قواعدها، وأصلوا نحوها وصرفها؛ حتى بلغت درجة الكمال والصفاء، وفي ما سقنا من النصوص والأدلة دلالة مؤكدة على أنه لا يسعُ ناظرًا في القرآن الكريم أيًّا كان قدره فقه شيء منه إلا من سبيل فقهه لسان العربية الذي كان مُمتدَّ النفوذ في أمة العرب إِبَّان نزوله؛ فذلك هو السبيل الأول والأهمُّ إلى الاقتراب من حَمَى المعنى القرآني الحكيم^(٢٦).

ذلك كُلُّه نابِعٌ من حقيقة جليلة كانت مفروضة على أرض الواقع، ومتداولة بين أوساط ناسه، مفادها أن ((ليس في الأرض أمة كانت تربيتها لغوية غير أهل هذه

الجزيرة، فما كان فيهم كالبيان آنق منظراً، وأبدع مظهرًا، وأمد سبباً إلى النفس، وأرد عليها بالعاقبة، ولا كان لهم كذلك البيان أزكى في أرضهم فزعا، وأقوم في سمائهم شرعا، وأوفر في أنفسهم ريعا، وأكثر من سوقهم شراءً وبيعاً.. وهذا موضعٌ عجيب للتأمل، ما ينفد عجبهُ على طرح النظر وإبعاده، وإطالة الفكر وترداده، وأي شيء في تاريخ الأمم أعجب من نشأة لغوية تنتهي بمُعجزة لغوية، ثم يكون الدين والعلم والسياسة وسائر مقومات الأمة ممّا تتطوي عليه هذه المعجزة وتأتي به على أكمل وجوهه وأحسنها، وتخرج به للدهر خير أمة كان عملها في الأمم صورة أخرى من تلك المعجزة؟!!^(٢٧).

إننا لا يمكن أن نتصور مسلماً قد وعى أبعاد دينه الحنيف من غير وعيٍ سليم في مجال اللغة العربية: طبيعتها، وحقائق خصائصها، وأن يتخذ بعد ذلك من مشكلاتها، وأعدادها موقفاً واعياً مبصراً ينسجم مع وعيه بجميع جوانب حياته الاجتماعية، والسياسية، والفكرية، والروحية؛ فهي جزء لا يتجزأ من دينه إن كان للدين عنده شأن^(٢٨)!!

فكان لازماً على كلّ متكلمٍ في معاني القرآن المجيد ومُتصدّرٍ لطرق بيانها على تعدّد أنواعها، وتشعب ضرورها، واتساع وجوهها ومجالاتها الجامعة لكافة شؤون الحياة، والشاملة لسائر جمل العلم أن يكون أول أمره قائماً على كمال تحقيق الفهم للسان العربية، وأن يتقي عظيم ما يتردّد فيه كثير من المُستجربين ويتعرض له جملة من أهل النزق مُتميّلاً بالقول في معاني القرآن الكريم، وهم لا يتمكّنون من إقامة ألسنتهم على النطق بجُملةٍ عربية واحدة تسلم لهم على النحو الصائب والنهج العربي القويم؛ فراحوا في كلّ وادٍ يهيمنون، ويهرفون بما لا يعرفون؛ فضلّوا، وأضلّوا كثيراً، وضلّوا عن سواء السبيل!!

المبحث الثاني

خطوات الفهم اللغوي للنص القرآني

لقد اتخذ الإسلام العربية لساناً له، فإذا كان الإيمان به هداية ونوراً؛ كان الإسلام من ذلك النور طبيعته وحقيقته، وكانت اللغة العربية منه المظهر الذي تراه العيون، والصوت الذي تسمعه الآذان، والمسرب الذي يسلك به إلى القلوب والأذهان^(٢٩)؛ فلا سبيل - إذاً - إلى ابتغاء فهم القرآن الكريم إلّا عن جهة لسان العرب، والاعتماد على لغتهم في ألفاظها وتراكيبها.. فمن تكلف في فهمه على غير ذلك؛ فإن موافقته للصواب

- إن وافقه - غيرُ محمودة، ومن زعم أنه قادرٌ على فهم كلام الله ﷻ من غير معرفة بلسان العرب؛ فقد رام صعباً، وقال محالاً، وأعظم الفرية؛ لأنَّ كلَّ معنىٍ مستنبطٍ من القرآن الكريم إن لم يكن جارياً على اللسان العربي؛ فليس من القرآن، ولا من علومه في شيء؛ إذ لا غناء ولا اكتفاء لعلم من علوم الشريعة عن العربية؛ وذلك أنهم لا يجدون علماً من العلوم الإسلامية: فقهها، وكلامها، وعلمي تفسيرها وأخبارها، إلّا وافتقاره إليها وتعويله عليها بيّن لا يُدفع، ومكشوف لا يتقنَع (٣٠).

لذا يجب على مُتدبّر كتاب الله ﷻ أن يبحث أولاً في معاني الكلمات الواردة فيه بحثاً علمياً لغوياً؛ من خلال الرجوع إلى أمّات المُعجمات اللغوية، والتبصّر في مُختلف معاني الكلمة واستعمالاتها الحقيقية والمجازية في لغة العرب إبّان نزول القرآن الكريم.. كما يجب عليه تتبّع الكلمة القرآنية، أو الأصل اللغوي لها؛ فإن هذا التتبّع يهدي سبيل المُتدبّر إلى الفهم الصحيح بفضل الله ﷻ؛ فقد تستعمل المادّة في نصٍّ بمعنى، وتستعمل في نصٍّ آخر بمعنى آخر.

ذلك أنَّ تحرّي معنى الكلمة كما هي في كلام العرب، من دون إضافة معاني أخرى لا تدلّ عليها الكلمة في استعمال العرب لها ما لم تكن الدلالة مستفادة من دالٍّ آخر في النصّ من شأنه أن يساعد - بتوفيق الله ﷻ - على فهم المعنى المُراد من النصّ، وأن يكون تدبّره أقرب إلى الصواب، وأكثر تذكّلاً لمهمة إدراك ما يشتمل عليه النصّ من دلالات (٣١)؛ إذ ((إنَّ اللفظ هو الأداة لإيصال المعنى إلى المخاطب؛ لذلك فإنّ التقصير في تحديد معنى اللفظ قد يُؤدّي إلى وصول الرسالة - المعنى - إلى المخاطب بشكل مغلوط)) (٣٢).

إنَّ الكلمة المفردة لتعدُّ بحقٍّ أساس اللغة وحجر الزاوية في بناء العربية التي نزل بها القرآن الكريم؛ لذا نجد جُلَّ العلماء قد قرّروا - بعبارة صريحة، ومقالة دالّة فصيحة - أنَّ العناية بها، وبيان أحكامها في اللغة قبل استعمالها في التركيب أمرٌ لا غنى للمفسّر عنه بأيّ حالٍ من الأحوال.. كما لا يحتاج - إذا ما أتقن هذا الجانب - إلى المزيد من عناء الإفهام وجهد التعليم، ومن بين أولئك العلماء الأفاضال الذين قرّروا تلك الحقيقة الجليلة والقاعدة السنية: أبو القاسم الراغب الأصفهاني رحمه الله؛ إذ يقول: ((إنَّ أول ما يحتاج

أن يشغل به من علوم القرآن: العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية: تحقيق الألفاظ المفردة.. فتحصيل معاني مفردات القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه؛ كتحصيل اللين^(٣٣) في كونه من أول المُعَاوِن في بناء ما يريد أن يبنيه!! وليس نافعاً في علم القرآن فقط؛ بل هو نافع في كلِّ علمٍ من علوم الشرع.. فألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب، وزيدته، وواسطته، وكرائمه... وما عداها وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالفشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة!!^(٣٤).

ومنهم: أبو حيان الأندلسي رحمه الله؛ إذ يقول: ((ومن أحاط بمدلول الكلمة وأحكامها قبل التركيب، وعلم كيفية تركيبها في تلك اللغة، وارتقى إلى تمييز حسن تركيبها وقبحه؛ فلن يحتاج - في فهم ما تركّب من تلك الألفاظ - إلى مفهم ولا مُعَلِّمٍ))^(٣٥).

هذا، ((ويخطئ كثيراً من يتدبّر آيات الله ﷻ من دون أن يرجع في كلِّ كلمة إلى دلالاتها الأصلية في كلام العرب، متنبّحاً في معجمات اللغة، وفي نصوص من يستشهد بأقوالهم من العرب، وبعد البحث يختار من معاني الكلمة المعنى الذي يُلائم دلالة النصِّ القرآني بوجه عام.. وحين تدعو الضرورة إلى إخراج الكلمة عن معناها الأصلي إلى معانٍ استعيرت الكلمة للدلالة عليها؛ فليكن ذلك ضمن ضوابط الاستعمالات القرآنية السائرة على وفق المناهج العامة لكلام العرب واستعمالاتهم))^(٣٦).

وبناءً على ما سبق بيانه؛ فإنَّ الجملة العربية بناءً كلامي يعتمد على أركان، لعلَّ من أهمها:

❖ الأول/ مادّة الكلمة، وما تدلُّ عليه من معنى بحسب الاستعمال العربي لها؛ إذ إنَّ ((اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وهذا يحتم علينا التماس الدلالة اللغوية الأصلية للفظ القرآني؛ فإنها ترفدنا بحسِّ العربية للمادّة في مختلف استعمالاتها الحسيّة والمجازية))^(٣٧)، ومرجعُ هذا معجمات اللغة، واستعمالات العرب في شعرهم ونثرهم.. مثال ذلك ما جاء في كتاب «قواعد التدبر الأمثل - القاعدة التاسعة عشرة: حول تردّد النصِّ القرآني بين دالتين أو أكثر»، وفيما يلي نصُّه: ((بحثنا عن المعنى الأصلي اللغوي للمكر؛ فوجدنا أنه تدبيرٌ أمرٌ في خفاء، ومعلومٌ بداهة أن ما يُدبّر في

الخفاء لا يلزم أن يكون شراً؛ بل قد يكون خيراً.. ثم اكتسب المكر في تصوّرات العامة، أو في العُرف العام بعد ذلك صورة قبيحة مستهجنة، تخصيصاً منهم للمكر في تدبير ما هو شرّ.

وسيطر هذا المعنى الجديد على أفكار بعض المفسّرين؛ فوجدوا إشكالاً في نسبة المكر إلى الله ﷻ؛ فلجأوا إلى تأويل ذلك بأنه من باب المشاكلة، ولو أنهم أبعدوا عن تصوّراتهم هذا المفهوم المستحدث، ورجعوا إلى أصل المعنى اللغوي؛ لظهر لهم أنّ «المكر» الذي هو تدبير أمرٍ في خفاء قد يكون مكرّاً في الخير، وقد يكون مكرّاً في الشرّ، وجانب الخير منه لا ينافي الكمال؛ بل هو من عناصره.. إنّ الحاكم العادل يمكر، ومكره لا يكون إلّا في الخير، إنه يمكر بالمجرمين حتى تقبض عليهم يدُ العدالة.. والمسلم الملتزم بإسلامه يمكر، ومكره يكون في الخير وفي مرضاة الله ﷻ.. والله ﷻ يمكر، وهو خير الماكرين؛ ولذلك ذمّ الله ﷻ في القرآن الكريم المكر السيئ، ولم يذمّ مطلق المكر؛ فقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبْزَوْنَ ۝١٠﴾... أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ۚ﴾ [سُورَةُ فَطْرٍ].

ولما كان الأمر كذلك؛ فقد وجب المصيرُ إلى المعنى الأصليّ اللغوي حتماً، ولا حاجة بنا إلى إخراج اللفظ عن أصل دلالاته اللغوية.. يضاف إلى ذلك أن هذا الإخراج يوقعنا في الإشكال، ويجعلنا في حاجة إلى التأويل.. إنه لفظٌ لا داعي له!!^(٣٨).

وأضاف الميداني: ((جاء في معنى الكيد لغة ما يلي: الكيد: الاحتيال والاجتهاد، والكيد: التدبير بباطلٍ أو حقّ، والكيد: الحرب، وتأتي كاد بمعنى: طلب وأراد.. وغير ذلك من معانٍ.. ونستطيع أن نقول: إنّ هذه المعاني تدور حول اتخاذ أعمال وتدابير توقع الآخرين بما يكرهون، وبأدنى تأمل يتضح لنا أنّ اتخاذ مثل هذه الأعمال قد يكون في الخير، وقد يكون في الشرّ، وجانب الخير منه لا يكون منافياً للكمال؛ بل هو من عناصره!! فإذا شاع في تصوّرات العامة، أو في العُرف العام، أو كان أحدُ المعاني اللغوية تخصيص الكيد في الصورة القبيحة المُستهجنة التي لا تليق بكمال صفات الله ﷻ؛ فلا يصحّ أن يسيطر هذا المعنى على مُتدبّر ما نسب إلى الله ﷻ من الكيد حتى يلجأ إلى التأويل بالمشاكلة أو غير ذلك ما دام باستطاعته أن يجد في المعاني اللغوية

الأصول ما لا يتنافى مع كمال صفات الله ﷻ؛ بل هو ينطبق على ما نعلم بالنصوص القطعية الأخرى، وبالبراهين العقلية من صفات الله ﷻ.

وبناءً على هذا نقول: إنَّ الكافرين يكيدون في الشرِّ؛ لأنَّهم يعملون بمكائدهم لإدحاض الحق وإقامة الباطل في الأرض.. أما الله ﷻ؛ فإنه يكيد في الخير؛ لأنه لا يصلح عمل المفسدين؛ بل يردُّ كيد الكافرين إلى نحورهم، وينصر أوليائه المؤمنين على أعدائه، ويؤيِّد أنصار الحق، ويأبى إلا أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون والمشركون.. وينتهي الأمر بذلك من دون إشكال ولا تأويل، وتستقيم عملية التدبُّر لكلام الله ﷻ ((٣٩)).

❖ **الثاني/ صيغة الكلمة** وما تدلُّ عليه من دلالات خاصّة زائدة على المعنى العامّ الذي تدلُّ عليه مادّة الكلمة.. والدلالات الخاصّة التي تدلُّ عليها صيغ الكلام العربي قد استقيدت من الاستعمال العربيّ الغالب الذي دلَّ عليه الإحصاء.. والمرجع لمعرفة دلالات الصيغ علم الصَّرف «morphology»، وبعض قواعد علم النحو «syntax»؛ فلكي نلمح الدلالة القرآنية على الوجه الأمثل؛ لا بدَّ من لمحها بجمع كلّ ما في القرآن من صيغ اللفظ، وتدبُّر سياقاتها الخاصّة في الآية والسورة، وسياقاتها العامّة في القرآن كلّهِ.

إنَّ كثيراً من المفردات اللغوية في اللغة العربية يحمل عدّة دلالات حقيقية ومجازية؛ لذا كان لزاماً على المُتدبِّر لأيِّ نصِّ قرآنيٍّ أن يبحث في معاني المفردات الواردة فيه بحثاً علمياً لغوياً، ويتحقق ذلك من خلال الرجوع إلى طائفة من أمّات المُعجمات اللغوية، ووجب عليه النظر في مُختلف المواطن التي استعملت فيها الكلمة في القرآن الكريم؛ فمن شأن هذا النظر أن يكشف للمُتدبِّر الفطن الدلالات الأساسيّة للكلمة في الاستعمال القرآنيّ: أتدور دلالاتها حول المعنى اللغويّ، أم حول المعنى في الاصطلاح الشرعيّ القرآنيّ؟! ومع الحقيقة، أم مع المجاز، أم متنوّعة؟! إذ قد يهدي السبْر للكلمات القرآنية في مُختلف مواطن استعمال الكلمة إلى استخراج دلالات خاصّة بالقرآن الكريم من غُموم المعنى اللغويّ، وتكون تلك الدلالات الخاصّة بدورها نبزاً للمُتدبِّر يُضيء له طريق فهم النصِّ؛ مثل كلمات: «الهدى»، و«الضلال»، و«الرجس»، و«التقوى»، و«البر»، و«الإحسان»، و«الفقير»، و«المسكين»، و«الكفر»،

و«الفسوق»، و«العصيان»، و«النفاق»، و«الجزية»، و«الصلاة»، و«الزكاة»، و«الحج»، و«الصوم»، و«التوبة»، و«الإنبابة»، و«الإخلاص»، و«الوضوء»، و«الغسل»، و«الجنابة»، و«الحيض»... إلى غير ذلك من الكلمات^(٤٠).

وبعبارة أخرى: فإنَّ النظر في مُختلف المواطن التي استعملت فيها الكلمة في القرآن الكريم أمرٌ يقتضيه البحث العلمي السَّديد، ولا مندوحة للباحث عنه؛ إذ إنَّ من شأن تتبُّع استعمالات الكلمة في القرآن الكريم أن يكشف للمتدبِّر الحصيف الدلالات الأساسية للكلمة في الاستعمال القرآني.. فقد يتوصَّل الباحث إلى أن المعنى الاصطلاحي في الشرع هو المعنى الأساسي الذي تدور حوله الاستعمالات القرآنية كُلُّها، أو معظمها.. أو قد يتوصَّل إلى أنَّ المعنى اللغوي - أو بعض المعاني اللغوية - هو الأساس الذي تقوم عليه سائر المعاني الأخرى.. وكلُّ ذلك من شأنه أن يُسدي خدمة، وأن يقدِّم نفعاً للمتدبِّر قد يهديه إلى فهم المعنى المُراد بتوفيق الله ﷻ.

ولا يكفي النظر الجزئي لمعنى الكلمة عند تدبُّر آية من الآيات الكريمة.. فكم من الأخطاء في الفهم قد ارتكبت من قبل بعض المُتدبِّرين بسبب النظر الجزئي الموضوعي!! إنَّ معرفة وجوه دلالات الكلمة في الاستعمال القرآني ذو نفع عظيم، وهي واحدٌ من أهمِّ العناصر الأساسية لتدبُّر كتاب الله ﷻ.. فمن دون معاني الكلمات القرآنية الواردة في النصِّ الكريم الذي يُراد تدبُّره وفهم دلالاته يتعذر الوصول إلى فهم صحيح متعمِّق لكامل النصِّ!! ويبدو جلياً لنا ولأيِّ مُتدبِّرٍ سالكٍ للطريق الصحيحة أنَّ فهم المُراد من أيِّ نصِّ كلامي يتوقف على معرفة دلالات الكلمات والمفردات الواردة فيه بأبعادها المُختلفة؛ لذلك وغيره يجزُرُ بأيِّ دارسٍ لأيِّ نصِّ عربي - ولا سيما كتاب الله ﷻ - أن يكون خبيراً بدلالات الصِّيع المُختلفة لمادَّة الكلمة العربية؛ لأنَّ الفهم الصحيح للنصِّ مرتبط بمعرفة ذلك^(٤١)؛ ((فالكلمة التي يرجع بها إلى معناها اللغوي إنما يطلب مدلولها كما كان يتحدَّد داخل المنظومة اللغوية التي تنتمي إليها.. وبالتالي؛ فلا بدَّ أن تحمل في معناها اللغوي قليلاً أو كثيراً من خصائص رؤية أهلها للعالم، وكيفية مفصلتهم له، وطريقة تفكيرهم في ظواهره))^(٤٢).

وبعد كل ذلك يستقيم للمتدبر الكفاء أن يقرر أو يرجح اختياره للمعنى الحقيقي أو المجازي للكلمة في النص الذي يتدبره.. ثم ((إنَّ القارئ أو الدارس للنص الشرعي لا بدَّ له بعد أن يدرك المعنى اللغوي للكلمات الواردة في النص على أساس ما كان مستعملاً لدى العرب أثناء نزول الوحي - من حيث نزل بلسان عربي مبين - وبعد أن يدرك الصيغة التي وردت عليها تلك الكلمات؛ لا بدَّ له أن يعرف موقع كل كلمة في هذا النص؛ من حيث الإسناد والعلاقات التركيبية في الجملة المفيدة؛ كي لا يُنسب حدث إلى من لم يَقم به؛ فيختلف المعنى المُراد للشرع، وينحرف عن مساره، وإنَّ الذي يتكفل بهذه المعرفة هو علم النحو الذي يُحدِّد الموقع الإعرابي لكل كلمة من خلال قواعده واحتمالاته))^(٤٣).

وفي هذا السياق، وبياناً لتلك الأبعاد نوِّد أن نسوق كلاماً للأستاذ الدكتور محمود توفيق أبدع فيه وأجاد وأفاد، وهو كما وصفه كاتبه «شذرات ذهب»، جاء فيه: ((والكلمة القرآنية ذات أبعاد عدّة، كلُّ بُعدٍ منها رافدٌ من روافد الدلالة على معاني الهدى إلى الصراط المستقيم الذي جاء القرآن الكريم لتحقيقه: لها بُعدٌ صوتيٌّ تنغمي، وبُعدٌ هيئة وصيغة، وبُعدٌ أصلٍ لغويٍّ تكوّنت منه، وبُعدٌ موقع وقعت فيه بدوائره المتعدّدة: دائرة الموقع في الجملة، ودائرة الموقع في الآية، ودائرة الموقع في المعقد - الفاصلة - ودائرة الموقع في السورة، ودائرة الموقع في القرآن كلّّه.. هذه خمس دوائر متداخلة، كلُّ دائرة في داخل التي من بعدها، وأعمّها جميعاً دائرة الموقع والسّياق الكلّي للقرآن الكريم.. هذه الأبعاد كلّها ينحدر منها العطاء الدلالي للكلمة القرآنية، وعلى قدر وعي المتلقي لهذه الأبعاد، والجمع بينها في تلقيه يكون اقتداره على أن يقترب من المعنى القرآني الكريم المجيد.

فالنظر في الكلمة القرآنية لن يكون في حقيقته - كما هو ظاهره - نظراً في مفردة؛ بل هو نظرٌ في كلمة نورانية ربّانية قامت في بناء جملة، قامت في بناء آية، قامت في بناء معقد، قام في بناء سورة، قامت في بناء القرآن الكريم كلّّه، وكلُّ بناءٍ من هذه الأبنية المتصاعدة يأخذ من سابقه ويعود عليه بفيضٍ من عطائه، وهذا يجعل الناظر في المفردة القرآنية حالاً مرتحلاً، لا يحلُّ في دائرة من دوائر السّياق إلّا ليرتحل منها إلى أخرى يجمع

منها فيضاً من العطاء!! الأمر كما ترى جُذُّ لجليل، لا يتهاون بحقه إلا غافلٌ عن منزلته العلية^(٤٤).

ومن جُملة الأمور المهمة التي يجب على مُتدبِّر كتاب الله ﷻ مُراعاتها: اعتمادُ دلالات الكلمات القرآنية إبان نزول القرآن الكريم، لا على وفق ما تطوَّرت إليه الكلمة بعد ذلك في العصور الإسلامية، ولا على وفق المصطلحات التي تمَّت بعد عصر التنزيل؛ كمصطلحات المناطق والفلاسفة والفقهاء وعلماء المناظرة والكلام!! وكم يقع بعض المُتدبِّرين في الخطأ؛ لغفلتهم عن هذا الأمر الجلل، والجانب الأساسي الخطير.. وفي هذا السياق ((يروى أحدُ الأدباء أنَّ ابنه الصَّبِيَّ كان يسمع فقيهاً يقرأ من سورة يوسف: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْرَىٰ هَذَا غُلَامٌ﴾^(٤٥)؛ فدهش الصَّبِيُّ، وسأل والده: وهل كانت هناك سياراتٌ في ذلك الحين يا أباي؟!))^(٤٥).

لذا؛ فقد أكد الأستاذ الميداني في «قواعده» على وجوب توجِّي الحيطة التامة والحذر البالغ من أن يتأثر المُتدبِّر لكلام الله ﷻ بمعنَى اصطلاحِيٍّ متأخِّرٍ عن عصر التنزيل، اصطلاح عليه الفقهاء، أو تواضع على استعماله الأصوليون، أو غيرهم من العلماء في مُختلف العلوم الإسلامية، أو أن يتأثر بمعنَى شاع في العُرف العام بعد عصر التنزيل؛ فيفهم معنى الكلمة القرآنية على هذا الأساس؛ لأنه سيُعدُّ حينئذ أساساً مخطوئاً وغير صالح للفهم والتدبُّر!!

وشدَّد اللهجة مؤكداً على أن من يتأثر بمثل هذا سيُخرج الكلمة القرآنية - لا محالة - عن دلالتها الأصلية التي وُضعت لها وأريد لها تأديتها، وسينحرف بها ويشطُّ عن مقصود التنزيل الحكيم؛ وبالنتيجة سينجم عن ذلك كَلِّه الانحرافُ في الفهم عن المعنى المراد^(٤٦).. يقول في قاعدته النفيسة الرابعة من قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله ﷻ - حول بيئة نزول النصِّ البشرية، والزمانية، والمكانية، والنفسية، والفكرية، الفردية والاجتماعية: ((على مُتدبِّر كتاب الله ﷻ أن يضع في اعتباره لدى تدبُّر نصٍّ منه ملاحظة الأمور الآتية:

❖ **الأول:** تصوّر العصر الإسلامي الأول، وواقع حال الذين كانت تنزل عليهم الآيات القرآنية لتعليمهم وتوجيههم وتربيتهم.. ويدخل في هذا بينّتهم العامّة، ومفاهيمهم التي كانت سائدة بينهم بوجه عامّ.

❖ **الثاني:** تصوّر الحالة النفسية والفكرية والاجتماعية التي كانوا عليها حين نزول الآيات الموضوعية للدراسة، وذلك بشكل خاصّ.

❖ **الثالث:** تصوّر الطرفين الزماني والمكاني اللذين أنزلت فيهما الآيات الموضوعية للتدبّر والدراسة.

إنّ تصوّر العصر الإسلامي الأول، وتصور حال الذين كانت تنزل عليهم الآيات القرآنية لتعليمهم وتوجيههم وتربيتهم، وتصور بينّتهم العامّة، ومفاهيمهم التي كانت سائدة بينهم.. من الأمور التي تقدّم نفعاً جليلاً للمتدبّر؛ إذ تُبصّره بالمناخ الذي نزل فيه النصّ، وهذا يهديه إلى مفاهيم هي أقرب إلى دلالة النصّ من غيرها؛ فكثيراً ما يقع الباحث عن معنى نصّ في الخطأ؛ لأنه فهم النصّ وهو يضع في اعتباره واقع حال المجتمع الذي يعيش فيه، والبيئة المحيطة به، لا واقع حال البيئة والمجتمع الذي نزل النصّ لمعالجته بالتعليم والتوجيه والتربية^(٤٧).

كما أكد على ضرورة إلمام الباحث المتدبّر في المعنى المُراد من الكلمة في النصّ القرآني الحكيم بالمفاهيم الإسلامية المتعلقة بالموضوع الذي يشتمل عليه النصّ، وأن يكون جامعاً لمفاهيم الشريعة الإسلامية بوجه عامّ؛ ليكون آتئذٍ بمأمن من أن يتبادر إلى ذهنه، أو أن يبدو على حُكمه مفهوم خطأ وهو يحسب أنه يحسن فهماً واستنباطاً.. فلربّما التزم دارس النصّ القرآني ومُتدبّره مفهوماً خطأً أخذه من دلالاته الظاهرة، أو من بعض معاني كلماته.. ولو أنه رجع إلى مفاهيم الشريعة الإسلامية بوجه عامّ؛ لتبين له - بما لا ينتابه شكٌّ أو يعتريه لبسٌ أو غموضٌ - فساد ما ذهب إليه وآمن به من تفسير المعنى المُراد من كلمات النصّ الذي يتدبّره، ولكان له رأيٌّ آخر ربما يكون مخالفاً أو مُناقضاً لرأيه الأوّل^(٤٨)!!

المبحث الثالث

ملامح وسمات أخرى لا بد منها لتمام الفهم

ثم يأتي بعد ذلك التبصّر الدقيق بمعنى النصّ القرآني بشكلٍ عامٍّ.. مع ملاحظة سياقه في السورة، وما تجتمع عليه دلالاتُ آياتها ضمن وحدة موضوعها؛ ليأتي بعد كلّ ما سبق اتجاه المُتدبّر الكُفء لاختيار المعنى المُراد من الكلمة بحسب موضعها الملائم لموضوع النصّ.

ف((إذا تردّد النصّ القرآني بين دالتين أو أكثر؛ كدلالة أصلية لغوية، ودلالة عربية شائعة في العُرف العامّ، أو دلالة عُرفية شائعة في الاستعمالات القرآنية وبيانات الرسول ﷺ، أو دلالة هي من قبيل التوسع في المفهوم؛ كالانتقال من الحسيّات إلى المعنويات أو المُجرّدات، ومن المعاني الحادثة إلى المعاني الأزلية، أو دلالة مجازية ممّا استعمله العرب.. فالدلالة التي ينبغي المصيرُ إليها واعتمادها في فهم معنى النصّ هي التي تطابق الواقع، أو تؤيّدُها البراهين العقلية، أو التي لا إشكال فيها؛ فلا تحتاج إلى تأويل بخلاف غيرها، أو التي تتسجم مع سوابق النصّ ولواحقه، أو التي تتفق مع المفاهيم القرآنية والأصول الإسلامية الثابتة بيقين.

أما إذا تكافأت الدلالات؛ فالدلالة الأصلية اللغوية هي المُرجّحة، وتبقى الدلالات الأخرى احتمالاتٍ مرجوحة حتى يأتي من الأدلة ما يرفع قيمتها إلى التساوي أو الرُّجحان، أو الاعتماد بصفة جازمة.. وعند الحاجة إلى إخراج اللفظ عن أصل دلالته؛ يُصارُ إلى أقرب المعاني للصيقة بالمعنى الأصلي، وإذا أمكن أن يكون هذا المعنى ممّا عمّت به الدلالة حتى غدا حقيقة في العُرف؛ فهو الأولى والأحقُّ بالفهم))^(٤٩).

وعلى الباحث أيضاً أن يرجع - في موضوع النصّ الذي يدرسه ويتدبّره - إلى جميع ما جاء في القرآن الكريم حوله من آياتٍ أخر، وما جاء من أقوال الرسول ﷺ الثابتة عنه؛ فمن شأن هذا الرجوع أن يهدي الباحث المُتدبّر إلى الفهم الأدنى إلى الحقّ والصّواب؛ ولا سيّما إذا ما أدرك أنّ واحداً من أهم الجوانب العامّة التي تمتاز بها بياناتُ القرآن الكريم: ((تداخلُ معانيه وموضوعاته بحيث ترتبط في بناء متكامل متناسق يتعذر

الإتيانُ بمثله^(٥٠)؛ وما عليه - بعد ذلك - سوى انتقاء المعنى المُلائم من بين جُملة المعاني التي خرجت إليها الكلمة القرآنية الواردة في النصِّ موضع التدبُّر^(٥١)!!

وبذا استبانَت لنا ضرورة ملاحظة المُتدبِّر الحَصيف لكتاب الله ﷻ لمسألة ارتباط معنى الكلمة أو الجملة القرآنية بما تفرَّق في القرآن الكريم من معانٍ تجتمع معه في موضوع واحد، وتتصل بمعاني الآية التي هي منها، والسورة التي هي فيها.. وهذا يتطلب من المُتدبِّر للنصِّ القرآني تتبُّع ما في القرآن المجيد من نصوص ذات دلالات تشترك - ولو بوجهٍ واحد من الوجوه - مع المعنى الذي يبحث عنه في موضوع واحد؛ ليكتشف موقع هذا المعنى من جملة الموضوع؛ فلا محيص له عن تتبُّع كلِّ النصوص القرآنية المتعلقة بالموضوع الواحد، وتدبرها معاً، ملاحظاً تكامل دلالاتها، ومستبعداً - ما أمكن - تصوُّرات التكرار؛ فالأصل التأسيس لا التأكيد^(٥٢)!!

ولا يتسنى له ذلك إلا من خلال جمع النصوص القرآنية وحشدها من مُختلف سُور القرآن الكريم، المتعلقة بالأفكار والمعاني التي اشتملت عليها الآية الموضوعية للتدبُّر، والتأمُّل فيها مُجتمعاً متكاملة، لا مُجزأة مُتناثرة؛ وذلك لأنَّ ((كلَّ معنىٍ جزئيٍّ مُستفاد من جُملة قرآنية له ارتباط بما تفرَّق في القرآن من معانٍ تلتقي معه في موضوع واحد، وله ارتباط آخر وثيق بمعاني الجمل الأخرى التي اشتملت عليها الآية.. كما إنَّ الآية ذات ارتباط وثيق بوحدة موضوع السورة... فإمَّا أن يكتشف أنَّ هذا المعنى الجزئيَّ يملأ فراغ حبة في عقد الموضوع؛ حتى يتكون منه ومن سائر المعاني الموزعة في القرآن حول ذلك الموضوع موضوعٌ تامٌّ كامل العناصر.. وإمَّا أن يكتشف أنه معنىٌ مكرَّر؛ إلا أنَّ المناسبة استدعتُ تكريره في موضوع السورة؛ لأنه ذو ارتباط بجانب من جوانبه بالمعاني الأخرى التي دلَّت عليها الآية، أو بمعانٍ أخرى جاءت في السورة، أو بوحدة موضوع السورة، مع ملاحظة أنَّ الغرض التربوي أو التعليمي اقتضى إيرادَه في الموضوع الذي تعالجه الآية، أو تعالجه السورة.. وعلى المُتدبِّر أن يبحث ويتأمَّل حتى يكتشف المناسبة، أو الغرض التعليميَّ أو التربويَّ ضمن المنهج التعليميَّ القرآني العام^(٥٣))).

كما لا محيص له عن ملاحظة ارتباط معنى الجُملة القرآنية بمعاني سائر الجُمَل في الآية والسورة، وذلك يتطلب من المُتدبِّر البحث عن النسق الكاشف عن التلاحُم أو

التناسب بين معاني جمل الآية القرآنية الكريمة ووحدة موضوع السورة.. ((إنَّ مثل الجُمْل القرآنية وما تحمل من معانٍ ودلالات كمثُل حبات نفيسات الجواهر، نظمتُ في عقد متكامل تمثله السورة القرآنية، أو نضدتُ في قطعة نادرة مصوغة أبدع صياغة من قطع الحلي، مع التناسق التام والبديع.. ويلاحظ أنَّ حبات العقد أو جواهر قطعة الحلي ليس من الضروري أن تكون كُلُّها من صنف واحد كاللؤلؤ مثلاً؛ إلاَّ أنَّ الناظم أو المُنضِد لها قد جعل لها منطلقاً واحداً، أو مركزاً ترجع إليه، والتوزيع في الحبات أو الجواهر النفيسة توزيعٌ فنيٌّ بديع، والسلك الناظم لها أو الأرضية الجامعة لها أمرٌ يدرك بالفكر الثاقب، وقد لا يلاحظ في اللفظ ما يدلُّ عليه؛ وذلك كما ندرك التناسق والترابط في الأشكال الهندسية التي تتضد على وفقها مجموعة من أنفس الحجارة الكريمة في قطعة من الحلي نادرة الصياغة، بديعة التنضيد.

ويدلُّ على التناسق والترابط والأشكال الهندسية: النظام المحكم، والألوان، والطيوف، والشكل الهندسي لكلِّ قطعة، والأشعة الضوئية التي تبثها الحجارة الكريمة، والتوزيع المتناسق بشكلٍ عامٍّ؛ ولو كان بعضُ الحجارة مفرداً لم يتكرَّر من جنسه حجرٌ آخر؛ ولو لم يظهر من الأرضية الحاملة لها شيء؛ حتى ولو كانت موزعة في فضاء، أو فيما لا لون له.. إنَّ هذه كُلُّها لتوحي بالترابط التام.. وعلى المُتدبِّر العميق التفكير أن يكتشف، ويحلِّل، ويبرز عناصر الترابط، ويضع أسهم التناسق والترابط بين هذه النفائس الموزعة أبدع توزيع!!

وكما نكتشف أشكالاً هندسية لا تحصى لمقطع من النجوم في رُقعة من السَّماء؛ كذلك خطوط الترابط التي يستطيع المُتدبِّر العميق التفكير أن يلاحظها ذهنياً بين الجمل القرآنية داخل كلِّ آية وكلِّ سورة من سور القرآن الكريم.. وإهمالُ تدبُّر هذا الأمر العظيم، وعدم وضعه موضع العناية التامة والملاحظة المستمرة يُفَوِّت على المُتدبِّر لكلام الله ﷻ خيراً كثيراً، ومعاني جمَّة، ويُخفي عنه وُجوه إعجازٍ جليلة، وقد يجنح به عن فهم المُراد من الجملة أو الآية التي يتدبَّرها!!^(٥٤).

هذا، ((وقد يكون للجملة القرآنية التي تحمل معنىً عامّاً أو خاصّاً عددٌ من الارتباطات من عدَّة جوانب منها بعددٍ من الجمل القرآنية في السورة، وبعددٍ آخر من

الجمال التي تشترك معها في موضوع عامٍ عبر القرآن المجيد كَلِّهِ.. فمن قواعد التدبُّر الأمثل: تدبُّر هذه الارتباطات المُختلفة؛ سواءً أظْهَرَ فيها الرِّابط، أو لم يظهر... إِنَّ التزام هذه القاعدة من قواعد التدبُّر لكتاب الله ﷻ يُقَدِّم للمُتدبِّر نفعاً عظيماً ومفاهيم جليلة^(٥٥). وبناءً على ما سبق؛ ((فالأصل تكامل النصوص القرآنية الواردة حول موضوع واحد... والذين لا يفهمون مبدأ تكامل النصوص القرآنية، ولا يجعلونه من القواعد الأساسية لما يتدبِّرون من كتاب الله ﷻ؛ يقعون في عدَّة أخطاء؛ منها: أنهم لا ينتبهون إلى المعنى المضاف الذي اشتمل عليه النصُّ الثاني.. ومنها: أنهم يُفرِّقون بين آيات الله ﷻ في كتابه؛ فيفهمونها أشتاتاً، ولا يتدبِّرونها على أساس أنها وحدة مجتمعة، وأن كلاً منها يمثلاً فراغاً من الموضوع العام لا يزاحم فيه غيره.. ومنها: أنهم قد يطبقون بعضها على بعض؛ فيجعلونها مكرَّرات، ويُلغون - بذلك - الدلالات الخاصَّة التي انفرد بها كلُّ نصٍّ!! والذي يُوقعهم في هذا الوهم أنَّ إضافة الفكرة الجديدة في النصِّ الثاني، أو الثالث قد استدعت إعادة أصل الموضوع.. فهم يغفلون عن الفكرة المضافة؛ فيتصوِّرون أنَّ النصَّ كَلِّهِ تكريرٌ لما سبقه لغرض التأكيد!! وقد يُعلِّلون ذلك بأغراض تربوية، على أنَّ التأكيد والأهداف التربوية أمور باقية لا تلغى مع فهم الفكرة المضافة في النصِّ الجديد.. وهكذا يفعل المُعلِّم البارِع كلما أراد أن يضيف فكرة لدرسٍ سابق^(٥٦)).

وذلك يحتم على من يُقدِّم على التعامل مع أي الذكر الحكيم فهماً، أو إلهاماً ((أن يجمع المعاني الجزئية الصحيحة التي تتسجم مع دلالة النصِّ بسوابقه ولواحقه، وبدلالة نصوص أخرى موزعة في القرآن، تتِمَّ معنى النصِّ الموضوع للتدبُّر، ويُؤلَّف منها معنى جامعاً كلياً، ويفهم النصَّ الذي يتدبَّره بمقتضى ذلك... فالفهم السَّديد والتدبُّر الصَّحيح للنصوص القرآنية يُوجبان على المُتدبِّر لكتاب الله ﷻ أن يجمع كلَّ النصوص المُتعلِّقة بموضوع واحد، ويتدبَّرها مجتمعة، مألوفة أمكنتها من الموضوع؛ كي لا يطغى بعضها على بعض، ولا يتجاوز حدود مكانه الخاصِّ به؛ فيأخذ مكان غيره!!^(٥٧)).

كما يوجب عليه، ولا يعفيه البتة من أن يكون شديد الحيطة والحذر من اقتطاع النصوص والجمال القرآنية عن سوابقها ولواحقها؛ حتى يتأكَّد تماماً من أنَّ مجموعة الآيات التي اقتطعها لا تكوِّن مع غيرها وحدة متماسكة؛ فيؤثر الاقتطاع في فهم دلالاتها، وقد

يُغَيَّرُ المعنى المُراد الذي يدلُّ عليه النصُّ مُجتمعاً غيرَ مُفَرَّقٍ؛ إذ كثيراً ما يُلاحظ في النصوص القرآنية ارتباطُ مجموعة من الآيات في موضوع جزئيٍّ من السورة، واقتطاعُ بعضٍ منها وفهمه على أنه نصٌّ منفصل قد يجنح بالمُتدبِّر عن فهم المعنى المُراد!! فالواجب عليه أن ينظر إليها مجتمعة؛ ليفهم دلالات النصِّ وترابط معانيه، وأن لا يقطع آية أو فقرة من آية، ويفهمها فهماً منفصلاً؛ فمن شأن هذا الاقتطاع أن يُوهم غير المُراد، أو يوقع في الخطأ، أو يضعف من كمال دلالات النصِّ.. وممَّا يحصل به إيهامٌ معنويٌّ غير مُرادٍ لدى اقتطاع النصِّ: أن يكون النصُّ المقتطع يشتمل على تعميمٍ أو تخصيصٍ غير مقصود^(٥٨)!!

كما يساعده هذا النمط من السبر المُعمَّق للنصوص القرآنية، والنتبُّع الفاحص لمظانها ومواطنها، والتدبُّر الحصيف لراميها أيَّ مساعدة على وضع خريطة دالة وهادية له أثناء سيره في أفنان الموضوع الذي تكفلت تلك النصوص بعلاجه، ويُعينه على تجميعها تجميعاً حكيماً منطقياً متكاملاً متناسقاً، وتحديد أبعادها ومفاهيمها تحديداً تبقى معه دلالة كلِّ نصٍّ منها دلالة صحيحة وسليمة، واستقراءها على قدر الاستطاعة.. وبالتالي الحيلولة دون إلغاء أيِّ معنى لآية هو مُراد دوماً كلَّما جاء مورده؛ ذلك أن النصوص القرآنية متكاملة في الموضوعات التي اشتمل عليها القرآن الحكيم.

هذا، وإنَّ كلَّ نصٍّ من النصوص الواردة حول موضوع واحد يشتمل على ما يملأ فراغ حبة في عقد الموضوع، ويمتاز ببيان فكرة إذا انضمت مع سائر الأفكار التي أبانتها سائر النصوص؛ تكامل بيانُ الموضوع بكلِّ عناصره، ومن كلِّ جوانبه، وإنه لا توجد آية فجوات مهمة في أيِّ موضوع قرآني؛ ولكن قد لا يهتدي المُتدبِّر إلى ملء الفجوة التي يلاحظها بدلالة نصٍّ من النصوص القرآنية المؤرعة في السُّور؛ إما لأنه لم ينتبه إلى النصِّ، وإما لأنه لم ينتبه إلى دلالاته الظاهرة أو الخفية!! فالعيبُ في نقص التدبُّر أو في قصوره.. أما كتاب الله ﷻ؛ فلا نقص فيه، ولا قصور، ولا تفريط بشيءٍ ممَّا هو مقصودُ الرِّسالة الرِّبَّانية للناس أجمعين^(٥٩).

المبحث الرابع

صفوة القول في هذا الباب

يُفهم ممّا تقدّم عرضُهُ وبيانه أنّ معرفة أحكام اللغة العربية على المستويين اللفظيّ والإفراديّ، والتركيبيّ الجُمليّ شرطٌ في فهم القرآن الكريم، ومعرفة دلالات ألفاظه وتراكيبه؛ لأنّ من رام تدبّره أو تطلّع إلى تفسيره وهو لا يعرف مسارب اللغة التي نزل بها وسُبلها؛ كان كساع إلى الهيجاء بغير سلاح!! وإنه آنذ - وبلا شك - سيقع في الزلل، ويتردّى في مهاوي الضلال، وسيُحرّف الكلم عن مواضعه؛ كما حصل مع بعض المبتدعة الذين حملوا القرآن المجيد مصطلحات أو مدلولات غير عربية ولا مُراداة من النصوص الحكيمة!!

ومع ما سبق ذكره من أقوال العلماء في أهمية معرفة أحكام اللغة في إحكام تفسير القرآن المجيد؛ لا بدّ لنا من معرفة أن اللغة بمُجرّدها لا تستقلّ بتلك المعرفة.. وهذا يعني أنّ اللغة ليست المصدر الوحيد الذي يمكن لمن أحكمه أن يفسر أيّ القرآن المجيد؛ إذ لا بدّ للمُفسّر من استكمال أدوات، والإلمام بمصادر أخرى يعتمد عليها في تفسيره؛ كالسنة النبوية، وأسباب النزول، وقصص الآي، وأحوال من نزل فيهم الخطاب، وتفسيرات الصحابة والتابعين وتابعيهم ﷺ، وغيرها من المصادر التي لا يمكن استقائها عن طريق اللغة.. وبهذا يعلم أنّ التفسير اللغويّ جزءٌ من علم التفسير فسيح الأرجاء.. ومع أنّ حيزه كبير، والحاجة إليه ماسة؛ فإنه لا يمكن له بحال أن يستقلّ لوحده ويضطلع بتفسير القرآن الكريم^(٦٠).

وهذا كلّهُ يفيد بأنّ اعتماد اللغة بمفردها من دون النظر في غيرها من المصادر سيوقع مُعتمداً حتماً في الخطأ والزلل في التفسير؛ إذ قد يكون المدلول اللغويّ غير مُرادٍ في الآية؛ كقوله ﷺ: ﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ﴾^(٨٤) [سُورَةُ الْبَقَرَةِ]، فلو فسّرت الصلاة بالمدلول اللغوي؛ لقلت: نهى الرسول ﷺ عن الدعاء لهم!! وقد يوقع في التضارب الظاهريّ بين النصوص الشرعية، ومن ذلك: النصّ الإلهيّ الأمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَلَّمَ ﴿٥٨﴾ [سُورَةُ الْأَنْجَارِ] .. يُقَابَلُهُ النَّصُّ النَّبَوِيُّ النَّاهِي: ((لا تصلُّوا على النبي))^(٦١)!!

فلو ذهبنا ننقِّه النَّصَّ ونتدبَّره بعيداً عن اللغة وأحكامها ومدلولاتها؛ لوقعنا في الخطأ والتضارب والإرباك وسوء الفهم.. وما أن نستقتي اللغة ومعجماتها حول بعض دلالات لفظ «النبي»؛ حتى تبادرنا بالإجابة بأنَّ من معانيه فيها أنه مأخوذ من النبوة؛ وهي ما ارتفع من الأرض واحدودب؛ فيكون معنى الحديث: لا تصلُّوا على الأرض المرتفعة المحدودة؛ فالمعنى هنا - كما بدا لنا جلياً - لغويُّ بحث!! في حين إنَّ المعنى في الآية الكريمة - كما لا يخفى على الجميع خفاء المعنى في الحديث - اصطلاحِيٌّ وشرعيُّ مشتقٌّ من اللغة ومنحدر منها.

ولما كان الأمر كذلك؛ كانت لغة العرب من أهم المصادر وأوثقها في معرفة كلام الله ﷺ، وكان من أهمِّ ما فيها - وهو من بدايات علم التفسير - معرفة دلالات الكلام - أي: معاني الألفاظ - التي يدور عليها كثير من علم التفسير؛ ليعرف المُراد بالخطاب.. وهذا ممَّا لا يسعُ الجهلُ به لمن أراد التصدُّر لعلم التفسير وبيان معنى كلام الله الحكيم الخبير أو تدبُّره وتفهمه؛ إذ بات لازماً عليه أن يعرف مدلولات الألفاظ، وأن يستشرح معانيها من مصادرها المعتمدة.

و((لمَّا كانت اللغة هي المادَّة التي يستمدُّ منها فهم كتاب الله وتفسير آياته؛ فقد أقبل عليها المفسِّرون، وكانت موضع اهتمامهم منذ عصر الصحابة ﷺ))^(٦٢)، وممَّا يؤكِّد أهميتها، وكونها مصدراً أساسياً في فهم القرآن: عدُّ جواز فهمه بمعانٍ جديدة لم تكن موجودة في عصر التنزيل؛ وإنما حدثت بعد ذلك^(٦٣).

إنَّ التفسير اللغوي يُشكِّل لبنة متماسكة، وركناً حيوياً، وجزءاً مهماً من ميدان علم التفسير الربح، وهو من أكبر مصادر التفسير وأجلِّها؛ لذا لا يمكن أن يخلو منه كتابٌ في التفسير البتة إلا أن يكون من المصنفات المنحرفة التي لا تعتمد لغة العرب في بيان معاني القرآن الكريم؛ كتفاسير الباطنية، والفلاسفة، وغيرها.. وهذا ظاهرٌ لمن يقرأ مُدَوَّنات هذا العلم وأسفاره المُختلفة؛ كتفاسير الطبري، وابن عطية، والزمخشري، والرازي، والقرطبي، والبيضاوي، وابن كثير، والشوكاني، وابن عاشور... الخ^(٦٤)، ((وإذا تأملتُ

تفسير القرآن المجيد في الآثار المنقولة عن الصحابة، أو التابعين، أو أتباعهم ﷺ، وفُرِزَتْ كُلُّ نوع من هذه الآثار المنقولة؛ فإنك ستجد ما كان مرجعه اللغة له الحظُّ الأوفر، والنصيب الأكثر؛ بل ستجد أن تعدد مدلولات لفظ من ألفاظ القرآن في لغة العرب كان سبباً في اختلاف المفسرين، فمنهم من اجتهد رأيه واعتمد معنى، ومنهم من اجتهد رأيه واعتمد معنى آخر، وكلاهما كان معتمده الأول ورود هذا المعنى في لغة العرب، ثمَّ صَحَّةُ حَمَلِ هذا اللفظ على الآية^(٦٥)؛ فاللغة العربية هي لغة القرآن، والقرآن نزل بها؛ لذا فكلُّ منهما يُكَمِّلُ الآخر ويكتمل به، ولا غنى، ولا انفصال لأحدهما عن الآخر بأيِّ حالٍ من الأحوال.

إذا ألمنا بذلك كُلِّه معرفة وأحطنا به علماً؛ كان لا بدَّ لنا أيضاً من التمييز بين أمرين: بين «تفسير الألفاظ»، و«بيان المعاني».. فالتفسير يُرادُّ به: تفسير الألفاظ من حيث هي ألفاظ، والمعاني يُرادُّ بها: دلالة الجملة بألفاظها على المعنى، أو بيان دلالة اللفظ مع الألفاظ الأخرى التي كوَّنت جملة وشكَّلت معنى.. والعلماء الآن يقولون: نحن نفرِّق بين أمرين: بين تفسير اللفظ، وبين المُراد من اللفظ؛ فمثلاً قوله ﷺ: ﴿وَالضُّحَى﴾، هناك من يقول: «الضحى»: ساعة من ساعات النهار.. فإذا قلت: فما المُراد من قوله ﷺ: ﴿وَالضُّحَى﴾ ١) وَأَيْلٍ إِذَا سَجَى ٢) [سُورَةُ الضُّحَى]!! يقول: المُراد هنا: قسم أراد الله ﷻ به تعظيم هذا المخلوق الذي خلقه - وهو وقت الضحى - ولفت الأنظار إليه... الخ.. وهذا يُسمُّونه: بيان المُراد من اللفظ.

فتفسير اللفظ شيء، وبيان المُراد منه شيء آخر؛ إذ إنَّ تفسير اللفظ هو بيان معناه من جهة اللغة، والمُراد من اللفظ هو تبين معناه داخل السِّياق الذي ورد فيه؛ لذا فإنَّ أهل العلم يقولون: «تفسير غريب القرآن»، ويعنون به الألفاظ.. فإن فسروها بحسب الدلالة اللغوية من دون مُراعاة المعنى الشرعي؛ فهذا تفسير لغوي لا ينبغي اعتماده والمصيرُ إليه مُجرِّداً في تفسير القرآن؛ لأنه ليس المعنى الوحيد المُحتمل للفظ؛ بل يوجد هناك في كُلِّ لفظ يردُّ في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف أربع احتمالات من حيث المعنى، وتتنوَّع إرادته وتدور بينها: فإما أن يكون لهذا اللفظ معنىً شرعي^(٦٦)، وإما أن يكون له

معنى عُرفي^(٦٧)، وإما أن يكون له معنى لغوي.. فإن لم يُوجد أي من تلك المعاني الثلاثة؛ نُظِرَ فيه بحسب الحقيقة أو المجاز.

فإذا فُسر اللفظ من حيث اللغة قبل النظر في احتمال وجود معنى شرعي أو عرفي له مُراد في ذلك الموضوع؛ عُدَّ ذلك هجوماً وتجنياً على تفسير هذا النص الشرعي أو ذاك ممّا ورد فيه لفظ كهذا؛ ذلك أنه ليس كل معنى صح لغة؛ صحّ تفسيراً؛ فينبغي - بل يتحتم - على من أقدم على تفسير غريب القرآن أن يُفسّره بحسب المُراد منه؛ فإن كان ذلك المُراد في هذا الموضوع شرعياً؛ أوردته، وإن كان عرفياً؛ أثبته، وإن كان لغوياً؛ اعتمده.. وإلا انتقل عنها جميعاً إلى بيانه بحسب ما تهدي إليه قواعد الحقيقة، أو أساليب المجاز.

وقد سبق لنا ضرب الأمثلة البينة على ما نحن بصدد دراسته الآن؛ كلفظ «الصلاة» ودلالته على تلك الفريضة المعروفة والركن الثاني من أركان الإسلام، وعلى الصلاة على رسول الله ﷺ؛ بمعنى التعظيم والتوقير والدُّعاء بأرفع الدرجات، وعلى معنى الدُّعاء.. وكذا الحال بالنسبة للفظ «النبي» فيمن أُوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، وفي النبوة؛ وهي الأرض المرتقعة المحدودة.

فإن نحن ألفينا من يُفسّر القرآن بحسب الدلالة اللغوية، ولم يلزم نفسه إلا بالتفسير اللغوي؛ فإنه سيُفسّر كلّ المواضع التي وردت فيها لفظة كـ«الصلاة» بمعنى واحد؛ وهو الدُّعاء، وهذا خطأ فادح؛ إذ ليس كل ما صح لغة؛ صحّ تفسيراً^(٦٨).

فإن قيل: سبق لكما في غير ما موضع من بحثكما هذا أن قرّرتما أن القرآن الكريم قد نزل بلسانٍ عربيٍّ مبين، فلماذا كان تفسيره وبيانه بمجرّد اللغة خطأ؟! قلنا: لا بدّ من ملاحظة خصوصية اللفظ الشرعي - القرآني والنبوي - فكّم من لفظ جاء تفسيره وبيان معناه في لسان الشرع، وهو أدري بمُراده!! وكّم من لفظ يجري على معنى في عرف الصحابة رضي الله عنهم غيره في عرف اللغة!! فالهجوم والإقدام على تفسير اللفظ الوارد في النص الشرعي بمجرّد المعنى اللغوي يُلغي المعهود الشرعي، أو العرفي للفظ الذي هذا سبيلُهُ!! وبعبارة أخرى: فإن ممّا ينتج عن الهجوم على تفسير الألفاظ الشرعية بمجرّد المعنى اللغوي من دون البحث عن الحقيقة الشرعية والعرفية: إهمال المُرادات، وضياح

المعاني الشرعية في تفسير اللفظ؛ ممّا يُشيع تفسيرها بغير ما وُضعت له شرعاً بين أوساط المُتلقّين لها، ويُمهّد بالتدرّج لتسويغ بعض البدع التي يبرأ منها الدّين^(٦٩)!!

فليس كلّ ما جاز لغة؛ جاز تفسيراً.. وهناك قومٌ من المُفسّرين ممّن استند في تفسيره على الاستدلال، وراح يُفسّر الآيات والأحاديث بحسب ما تملّيه عليه قواعد اللغة؛ فنتج عن ذلك إهمالٌ صريح وإقصاء واضح للمُرادات الشرعية والعُرفية؛ فأضاعوا الحقائق الشرعية والحقائق العُرفية للألفاظ؛ وتمخض عنه تفسير قرآنٍ ليس هو التفسير الذي أَراده الله ﷻ!! وهذا من أكبر الأخطاء المقترفة في الكتب الصغيرة التي تسمّى: «كلمات القرآن» وأفدحها؛ فإنّ أغلب من صنف فيها فسّر كلمات القرآن من حيث اللغة، وأهمّل ما اكتنفها من المناسبات والقرائن والجوانب المهمة الأخرى.. فضلاً عن احتمال ورود أكثر من معنى واحد مُراد للفظ القرآنية في النص، وليس بوسع صاحب «كلمات القرآن» سوى إيراد معنى واحد من بينها، وقد يكون هذا المعنى الواحد بعض المُراد لا كلّها، وهذا قصور!! فيُعدّ المُفسّر لتلك الكلمات بذلك مُتَحكِّماً بما ليس له التحكُّم فيه، متجنّياً على المعنى الكريم؛ إذ لا يَعدّ المعنى القاموسي أو المعنى المعجمي كلّ شيء في إدراك معنى الكلام وفقهه والإلمام به^(٧٠)؛ فثمّة عناصر أخرى غير لغوية ذات دخل كبير في تحديد المعنى، بل هي جزء من معنى الكلام؛ كشخصية المتكلّم، وشخصية المخاطب، وما ينعقد بينهما من علاقات، وما يحيط بالكلام من مُلابسات وظروف^(٧١)؛ إذ ((ليست اللغة مفرداتٍ في معاجم، ولا جُملاً منعزلة منفصلة تدوّن في الصُحف))^(٧٢)!!

رُذِّ على ذلك أنّ السِّياق اللفظي العامّ للنصّ الكريم يشترط على المُفسّر استحضار جميع النصّ القرآني حتى في حال تفسير بعضه، ولا يحقُّ له بحال اقتطاعه، أو بتره، أو الاكتفاء بجزءٍ منه!! فلا وُجود للنصّ المنعزل أو المقتطع للأساليب في اللغة والقرآن؛ بل إنّ طبيعة النصوص - كيما تفهم على الوجه الصحيح - تقتضي التلاقح والتداخل والتشابك^(٧٣).. وقد صرّح ابنُ حزم رحمه الله من قبل، وأكّد أهلُ علم اللغة والتفسير من بعد بأنّ القرآن والحديث كلّ لفظه واحدة؛ فلا يحكم بآية دون أخرى، ولا بحديث دون آخر؛ بل يضمّ كلّ ذلك بعضه الى بعض؛ إذ ليس بعض ذلك أولى بالاتباع من بعض، ومن فعل غير هذا؛ فقد تحكّم بلا دليل^(٧٤)!!

وفي هذا السياق يقول ابن جني رحمه الله في «باب التفسير على المعنى دون اللفظ»: ((اعلم أن هذا موضع قد أتعب كثيراً من الناس، واستهواهم، ودعاهم من سوء الرأي وفساد الاعتقاد إلى ما مذلولوا به^(٧٥) وتتايعوا فيه^(٧٦)؛ حتى إن أكثر ما ترى من هذه الآراء المختلفة والأقوال المستشعبة إنما دعا إليها القائلين بها تعلّقهم بظواهر هذه الأماكن دون أن يبحثوا عن سرّ معانيها ومعاد أغراضها!!))^(٧٧).

وقد تنعكس الآية تماماً؛ فنلّفني المفسّر وقد أولى بالغ اهتمامه وأفرغ نفيس جهده ببيان المعاني، وأهمّل الألفاظ التي تعدّ المنهل العذب، والمعين الرقراق، والمعدن الأصيل، والأسّ المتين، والقاعدة الصلبة التي تنبثق عنها تلك المعاني، والتي لولاها؛ لما كانت هنالك معانٍ، ولما أمكننا الإفصاح والتعبير عنها^(٧٨).. ويكون في كلتا الحالتين مُمسكاً العصا من أحد أطرافها، تاركاً الوسط ذا السلامة والسداد والاتزان؛ مع أن الخير كلّ الخير في الأمور أوساطها!! والوسط في فنّ التعامل مع النصوص اللغوية والشرعية يُرشدنا إلى أن ((يكون الاعتناء بالمعاني المبنوثة في الخطاب هو المقصود الأعظم، بناءً على أن العرب إنما كانت عنايتها بالمعاني، وإنما أصلحت الألفاظ من أجلها.. وهذا الأصل معلوم عند أهل العربية؛ فاللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المُراد، والمعنى هو المقصود.. ولا أيضاً كلّ المعاني، فإنّ المعنى الإفرادي قد لا يُعَبّأ به إذا كان المعنى التركيبي مفهوماً دونه))^(٧٩).

المبحث الخامس

طائفة من آراء العلماء بهذا الصدد

وبعدما سبق بيانه؛ يمكن أن ((يُفهم من ذلك أن معرفة اللغة العربية شرط في فهم القرآن الكريم؛ لأنّ من أراد تفسيره وهو لا يعرف اللغة التي نزل بها؛ فإنه - لا شك - سيقع في الزلل؛ بل سيُحرّف الكلم عن مواضعه، كما حصل من بعض المبتدعة الذين حملوا القرآن على مصطلحات أو مدلولات غير عربية... ومن أعظم من زعم أنه لا يحتاج إلى لغة العرب: الباطنية؛ لكي يتسنى لهم تحريف كتاب الله ﷻ على ما يريدون ممّا لا يضبطه لغة، ولا عقل، ولا نقل!!))^(٨٠)، وكلّ تفسير ليس له أصل من لغة العرب

التي نزل بها القرآن الكريم؛ فهو تفسيرٌ بالهوى والتشهي، مردودٌ على صاحبه كائنًا من كان^(٨١)!!

وفي هذا السياق يقول يحيى بن حمزة العلوي رحمه الله: ((اعلم أنَّ فريقاً من أهل الزيغ يزعمون أنهم يُصدِّقون بالقرآن، أنكروا تفسيره من اللغة، وأنه لا يمكن الوقوف على معانيه منها، ولا مجال فيه لاستعمال النظر، وسلوك منهج الاستدلال... وذلك لأنَّ القرآن لما كان مُصريحاً بفساد مذهبهم، وموضحاً لفضائحهم؛ حاولوا دفعه، مُوهمين أنَّ القرآن لا يدلُّ على فساد مذهبهم؛ لأنَّ معناه لا يُمكنُ أخذه من جهة اللغة؛ يريدون بذلك ترويح مذاهبهم الرديئة، وتسويغ تأويلاتهم المنكرة!!))^(٨٢).

ويقرب من ذلك: الزعم باستغناء علم العربية عن غيره واكتفائه في فهم دلالات آي الذكر الحكيم!! ومنه ما نادى به الأستاذ أمين الخولي فيما سمَّاه بـ«التفسير الأدبي للقرآن»، الذي أهمل فيه ما سوى اللغة، وألغى مصادر التفسير الأخرى، ورأى أنَّ دراسة القرآن الكريم تقوم على كونه نصّاً عربياً يحقُّ لأيِّ عربيٍّ كائنًا من كان في اتجاهه الفكري ومعتقداته الديني أن يدرسه درساً أدبياً!!

وكان ممَّا أدلى به في هذا السياق تحت عنوان: «القرآن كتاب العربية الأكبر»: ((... فالعربيُّ الفحُّ، أو من ربطته بالعربية تلك الرُّوابط، يقرأ هذا الكتاب الجليل، ويدرسه درساً أدبياً كما تدرس الأمم المختلفة عيون آداب اللغات المختلفة، وتلك الدِّراسات الأدبية لِأثرٍ عظيمٍ كهذا القرآن هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً؛ وفاءً بحقِّ هذا الكتاب؛ ولو لم يقصدوا الاهتداء به، أو الانتفاع بما حوى وشمل؛ بل هي ما يجب أن يقوم به الدارسون أولاً؛ ولو لم تتطو صدورهم على عقيدة ما فيه، أو انطوت على نقيض ما يردده المسلمون الذين يعدُّونه كتابهم المقدَّس.. فالقرآن كتابُ الفنِّ العربيِّ الأقدس؛ سواءً أنظر إليه الناظر على أنه كذلك في الدِّين أم لا.

وهذا الدرس الأدبيُّ للقرآن في ذلك المستوى الفني، دون النظر إلى أي اعتبار دينيٍّ هو ما نعتُّده وتعتُّده معنا الأمم العربية أصلاً، العربية اختلاطاً، مقصداً أول، وغرضاً أبعد يجب أن يسبق كلَّ غرض، ويتقدَّم كلَّ مقصد.. ثمَّ لكلِّ ذي غرض أو صاحب مقصد - بعد الوفاء بهذا الدرس الأدبيِّ - أن يعمد إلى ذلك الكتاب؛ فيأخذ منه ما يشاء، ويقتبس

منه ما يُريد، ويرجع إليه فيما أحبّ من تشريع، أو اعتقاد، أو أخلاق، أو إصلاح اجتماعي، أو غير ذلك.. وليس شيء من هذه الأغراض يتحقق على وجهه إلا حين يعتمد على تلك الدراسة الأدبية لكتاب العربية الأوحّد، دراسة صحيحة مفهومة له.. وهذه الدراسة هي ما نُسمّيه اليوم تفسيراً؛ لأنه لا يمكن بيان غرض القرآن، ولا فهم معناه إلاّ بها!!^(٨٣)

ولقد حاولت تلميذته في هذا المنهج الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي تطبيق هذا المنهج في تفسيرها البياني؛ فبدأ جلياً ازدرأوه للمصادر الأخرى في التفسير!! تقول - مثلاً - في معرض تفسيرها لسورة الضحى بعدما ساقّت الروايات المأثورة في سبب نزولها: ((ولا نقف عند ما اختلفوا فيه؛ فأسباب النزول لا تعدو أن تكون قرائن ممّا حول النصّ، وهي - باعتراف الأقدمين أنفسهم - لا تخلو من وهم، والاختلاف فيها قديم، وخلاصة ما انتهى إليه قولهم في أسباب النزول: أنها ما نزلت إلاّ أيام وقوعه، وليس السبب فيها بمعنى السببية الحُكمية العليّة))^(٨٤)!!

ويعقب الدكتور الطيّار على النصّ السابق مُنتقداً ما ذهب إلى فيه؛ إذ يقول: ((فانظر عدم اعتدادها بما يحفّ النصّ من مُلابسات، وعدم تحريرها في أسباب النزول، وعدم فهمها لها!! ويظهر ذلك بهذه النتيجة التي وصلت إليها في الحكم على ما توصّل إليه الأقدمون بزعمها!! وإذا قرأت في ما كتبته في «التفسير الأدبي»؛ ظهر لك جلياً أنّ هذه الدِّراسة لا تعتدّ إلاّ بما تتوصّل إليه هي، مُعتمدة على اللغة في تحليل ألفاظ الآي، غير آبهة بمصادر التفسير الأخرى؛ فلا تجد عندها إلاّ الإزراء بتقاسير السلف رحمهم الله ونقدتها!!))^(٨٥).

ويضرب لنا مثلاً حول استخفافها بالمأثور من تفسير السلف؛ وذلك ما ذكرته من أقوال في تفسير قوله ﷺ: «**أَلْهَكُمُ الْكَاثِرُ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②**» [سُورَةُ الْبَقَرَةِ]، وتعقيبها بالقول: ((استعمال الزيارة بهذا المعنى صريح الإيحاء بأنّ الإقامة في القبر ليست دائمة؛ وإنما نحن فيها زائرون، والزائر غير مقيم، وسوف تنتهي الزيارة حتماً إلى بعث وحساب وجزاء، وهذا الإيحاء ينفرد به لفظ «زرتهم» دون غيره؛ فلا يُمكن أن يُؤدّيَه لفظ آخر؛ كأنّ يقال: «صرتهم»، أو «رجعتهم»، أو «انتهيتهم»، أو «أبتم»، أو «ألتم»..

وليس القبر المصير والمرجع والمآب والمآل، كما لا يقال: «سكنتم المقابر» أو «أقمتم بها».. إلى غير ذلك من ألفاظ تشترك كلها في الدلالة على ضجعة القبر؛ ولكن يعوزها سرُّ التعبير الدال على أنها زيارة؛ أي: إقامة عابرة مؤقتة، يعقبها بعثٌ ونشور!!

وليس بعجيب أن يفوت هذا السرُّ البياني مُفسِّرين كان جهدهم أن يجمعوا كلَّ ما يُمكن أن تحتمله الدلالات المعجمية لزيارة المقابر، وشتى المرويات في تأويلها.. حتى الذين فسَّروا الزيارة بالموت هنا لم يلتفتوا إلى سرِّه البياني، وهو ما لم يُفْتِ أعرابياً سمع الآية؛ فقال: «بُعْثُ القوم للقيامة وربِّ الكعبة؛ فَإِنَّ الزائر مُنْصَرَفٌ لا مقيم».. ورُوي عن عمر بن عبد العزيز نحو من قول الأعرابي^(٨٦).

وأردف الطَّيَّار بالقول: ((إِنَّ المُطالِبَة بدراسة القرآن الكريم على أنه نصُّ عربي، وتقريغه من المحتوى الشرعي الذي يحيط به دعوة باطلة، زائفة، مغرضة، ليس قصد أصحابها إلَّا الهدم والنخر في جسم الأمة، ومحاولة النيل من تراثها الفكري الذي يمثل لها ثباتاً في القيم والأخلاق والعقائد))^(٨٧).

وإذا كان هذا هو شأن اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم، والكشف عن معانيه السامية.. فهل يعني ذلك أنه يمكن لهذه اللغة أن تستقلَّ بتفسير القرآن المجيد؟! لياطينا الجواب المحكم من فوره: مع ما سبق ذكره من أقوال العلماء، وسياقات الأحوال، وقرائن الواقع، والقاضية جميعاً بالأهمية البالغة لتلك اللغة الكريمة في فهم كتاب الله ﷻ وبيان مراميهِ؛ إلَّا أن ذلك لا يعني بحالٍ اكتفاءها أو كفايتها في هذا المجال، ولا يمنحها صكَّ الانفراد والاستقلال عن أخذانٍ لها من شروط وضوابط أخرى عديدة^(٨٨)!!

قال الإمام القرطبي رحمه الله في مقدِّمة تفسيره في معرض حديثه عن تلك الضوابط، محذراً المُتدبِّر لأيّ الذكر الحكيم أو من طفق في بيانها فهماً أو إفهاماً من ((أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلَّق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المُبْهَمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار، والتقديم والتأخير.. فمن لم يُحْكَمْ ظاهر التفسير، وبادر إلى استنباط المعاني بمجرّد فهم العربية؛ كثر غلطُه، ودخل في زمرة من فسَّر القرآن بالرأي!!

والنقل والسماع لا بدَّ له منه في ظاهر التفسير أولاً؛ ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتَّسع الفهم والاستنباط.. والغرائب التي لا تفهم إلاَّ بالسَّماع كثيرة، ولا مطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر.. إلاَّ ترى أن قوله ﷺ: ﴿وَعَايِنَا نَمُودَ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [شُورَةُ الْاِشْرَاقِ] معناه: «آية مبصرة»؛ فظلموا أنفسهم بقتلها؟! فالناظر إلى ظاهر العربية يظنُّ أنَّ المُراد به أنَّ الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بماذا ظلموا؟! وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم!! فهذا من الحذف والإضمار.. وأمثال هذا في القرآن كثير))^(٨٩).

قال ابن تيمية رحمه الله فيمن يفسِّر القرآن الكريم فيما يسوغ له بمُجرَّد أحكام اللغة العربية وما تمليه عليه قواعدها بأنهم ((قوم فسَّروا القرآن بمُجرَّد ما يسوغ أن يُريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب من غير نظرٍ إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به.. فالأوَّلون^(٩٠) راعوا المعنى الذي رآوه من غير نظرٍ إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان، والآخرون راعوا مُجرَّد اللفظ وما يجوز عندهم أن يُريد به العربيُّ من غير نظرٍ إلى ما يصلح للمتكم به، ولسياق الكلام.. ثمَّ هؤلاء كثيراً ما يغلطون في احتمال اللفظ لذلك المعنى في اللغة كما يغلط في ذلك الذين قبلهم، كما إنَّ الأولين كثيراً ما يغلطون في صحَّة المعنى الذي فسَّروا به القرآن كما يغلط في ذلك الآخرون؛ وإن كان نظر الأولين إلى المعنى أسبق، ونظر الآخرين إلى اللفظ أسبق))^(٩١).

وعقد الطيار لذلك قاعدة في أطروحته القيمة، الموسومة بـ«التفسير اللغوي»، بعنوان: «لا يصحُّ الاعتماد على اللغة دون غيرها من المصادر التفسيرية»، أبان لنا فيها أنه مع ما للغة من أهمية بالغة في فهم معاني الذكر الحكيم، وأثر واضح في الرِّدِّ على انحرافات بعض التفاسير وتعريتها، وكشف زيفها، وتقنيد آراء أربابها؛ فإنها لا ترقى إلى أن تكون المصدر الوحيد في هذا الباب؛ بل لا بدَّ معها من الأدوات الأخرى، ومن بين تلك الأدوات والعلوم ما يُقدِّم عليها عند الاختلاف في فهم مُراد بعض الآيات.. فسبب النزول يبين المعنى المحتمل من بين المدلولات اللغوية للفظ؛ فلا يصحُّ حمل المعنى على غير ما يدلُّ عليه سبب النزول إن وُجد.. والمعنى الشرعي مُقدِّم على المدلول اللغوي حين التعارض بينهما؛ لأنَّ الشارع حينئذٍ معنيٌّ ببيانه لا ببيان المعنى اللغوي^(٩٢)!!

المبحث السادس

كلمة أخيرة بهذا الشأن

هذا، وتمتاز بيانات القرآن الكريم بجُملةٍ من الجوانب والسمات العامة؛ من أبرزها أنه ((يقوم بالأساس على فكرة أداء المعنى المُراد بصورة جمالية مؤثرة في النفس من خلال العلاقات اللغوية: صوتياً بين الحروف، ونحوياً بين الكلمات، وصرفياً باختيار بناءٍ صرفيٍّ مُحدّد.. وهذه العلاقات الثلاث تسهم في وضعية الدلالة وتأثيرها))^(٩٣)، وفي هذا السياق يقول الأستاذ الدكتور محمود فهمي حجازي: ((وموضوع «علم اللغة المقارن»: دراسة الظواهر الصوتية، والصرفية، والنحوية، والمُعجمية في اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة أو فرع من أفرع الأسرة اللغوية الواحدة))^(٩٤).

وبعبارة أدق وأوسع يمكننا القول: ((إنه لا يمكن فكُّ مغاليق أي نصٍّ لغويٍّ من دون تحليله إلى مكوناته الأساسية: اللفظية والدلالية التي تتدخل لتحديد معاني ألفاظه، والتي تشمل: جذر الكلمة، ووزنها أو صيغتها الصرفية، ونوعها أو جنسها النحوي الذي تنتمي إليه، والمعنى المعجمي للفظ محكوماً بسياقاته الواقعية ومصاحباته اللفظية التي ورد فيها))^(٩٥).

ومن هنا؛ فقد مثلت ((المباحث الدلالية الغاية الأولى التي يطمح اليها البحث اللغوي الوصول إليها؛ لأن دراسة النصّ - أيّاً كان - تبتدئ بالجزئيات الصغيرة المتمثلة بالوحدات الصوتية انتقلاً إلى الوحدة الصرفية؛ فالظاهرة النحوية، وصولاً إلى المستوى الدلالي الذي تجتمع فيه خيوط كلّ هذه الأقسام، فمنه تبدأ عملية فهم النصّ ومعرفة دوافعه وغاياته، ومن هذا المستوى يستطيع المتلقّي النظر إلى النصّ بشكل كامل، والوقوف على غاياته وأبعاده.. فالمباحث الدلالية تكون مُكمّلة لما سبقها من دراسة))^(٩٦).

ولما كان الهدف واحداً من هذه العلوم؛ فقد تآزرت وتكاملت في فهم النصّ الشرعي، وأجمع علماء الشريعة وفقهاؤها على أن تعلّم العربية والتعمّق فيها شرطٌ أساسيٌّ لكلِّ باحث في أيِّ علمٍ شرعيٍّ يروم السلامة والصواب، ولجأ أئمة الاستنباط إلى تلك القواعد يستشريحونها ويستعينون بها على بيان أحكام الله ﷻ؛ بل جعلوها أحياناً حكماً بين الآراء، ومُرجحاً لبعض الأحكام؛ فكانت مباحث الألفاظ العربية باباً رئيساً في علم أصول

الفقه، وكان اشتراط أهل العلم في أيّ مجتهد أن يكون فقهه عميقاً لأسرار العربية^(٩٧)، وكانت مقولات المفسّرين في مقدّمات كتبهم تنبيهاتٍ مسهبة إلى أهمية التعمّق في العربية بغلومها المختلفة وخطورته، وأنه وسيلة حكيمة لفهم مرادات كتاب الله ﷻ^(٩٨).

ويرجع الأساس الذي بُنيت عليه أهمية الرجوع إلى هذه العلوم إلى أنّ القارئ والدارس لأيّ نصّ عربي قد يوافقه لفظ لا يدري استعمال العرب له؛ فيلجأ فوراً إلى المعجم العربي؛ ليعرف دلالته اللغوية، وفي هذا السياق يقول الأستاذ الدكتور أحمد مطلوب «رئيس المجمع العلمي العراقي سابقاً»: ((ويعدّ المعجم العربي من أضخم المعاجم، وأكثرها دقة في العرض والتثبّت من الكلام، وهو أهمّ المصادر في معرفة العربية، والرجوع إليه شرطٌ في التأكد من سلامة اللغة، وصحّة ما نقل عن العرب))^(٩٩).

بيد أنّ المعاجم العامّة؛ وبخاصّة الكبيرة منها؛ كـ«تهذيب اللغة»، و«لسان العرب»، و«تاج العروس» تشتمل على المعاني الواردة في اللغة بمختلف لهجاتها، وما ورد من شعرها ونثرها، فضلاً عن إمامها بجّل ما يحيط باللفظة أو التركيب من جوانب دينية، وأدبية، وفكرية، واجتماعية، وتاريخية، وخلقية، وفنية، ونفسية، وغيرها؛ حتى وُصفت - وما أدقه وما أبلغه من وصفٍ!! - بأنها «دائرة معارف عامّة» للحياة العربية في جميع نواحيها.. وقد يصعب على الدارس للنصّ القرآني تحديد المعنى المراد من بين الأمواج اللّجّية المتلاطمة، وحشود المعاني الكثيفة المترامية المضمّنة في بطون تلك الأسفار الضخمة والمعجمات والموسوعات العلمية المترامية الأطراف؛ فالأفضل له - والحال تلك - أن يلجأ - إذا ما كان من رُوّاد الاختصار والاقتضاب والمعلومة العلمية السريعة والمباشرة.. وهذا هو حال أكثر رُوّاد تلك الأسفار من طلبة العلم ومُحبّي الاطلاع على تراث الأمة - إلى كتب الغريب، فإذا كان البحث عن معنى لفظٍ قرآني؛ رجع إلى كتب غريب القرآن؛ وإن كان في حديث نبوي؛ لجأ إلى كتب غريب الحديث؛ ومن أفضل هذه الكتب في غريب القرآن وأجودها: «المفردات»، لأبي الفرج الراغب الأصفهاني.

وبعد أن يعرف القارئ والباحث المعنى اللغويّ للمادّة؛ كان لا بدّ له من أن يبحث عن الصيغة التي أتت عليها؛ إذ لكلّ صيغة معنى يخصّها، وعند معرفة الصيغة ومعانيها الواردة في اللغة ينضاف المعنى الصيغي إلى المعنى اللغوي للمادّة؛ فإنّ كلّ

حرف يُزاد على أصول الكلمة العربية؛ لا بدّ أن يكون له معنى زائدٌ يقصده البليغ.. ويتكفل ببيان هذه الصيغ علم الصّرف «morphology»؛ إذ إنّ لفهم الكلمة اللغوية كمفردة شقّين: الأوّل: الدلالة الصّرفية «الاشتقاقية» من غير النظر إلى المعنى؛ وهي الدلالة الأساسية المقصودة للبنية.. والثاني: الدلالة المعجمية؛ وهي الأصل؛ لأنها تعتمد على دلالة الجذر وما يضاف عليها من معانٍ تتبع زيادة المبنى؛ نحو: «كتب، وكاتب، وكتاب، ومكتوب، وكتيب، وكتاب، وكواتب، ومكتب، ومكتبة، ومكاتب...»، وما عدا هذين الشقين يدخل في التركيب^(١٠٠).

ومن هنا تتجلى الأهمية الملحة لدراسة علم الصّرف، وتتضح ضرورة الإلمام بمسائله؛ فإنها مهمة للغاية في كيفية تجريد الكلمة من زوائدها؛ ليتمكن الدارس من الكشف عن معناها في المعاجم؛ لأنّ معظم هذه المعاجم تضع تصرّفات اللفظ تحت المادّة اللغوية المجردة، فإذا شاء الباحث معرفة معنى الاستقامة مثلاً؛ كان عليه أن يرجع إلى مادّة «ق و م».. وإن رام البحث عن معنى التقوى؛ كان عليه أن يبحث في مادّة «و ق ي»، وهكذا.

وهكذا، فإنّ ((العودة إلى الجذر الأصلي للكلمة «root» قد يساعد إلى حدٍ بعيد في الكشف عن معالمها، ومعرفة الجذر تتصل اتصالاً وثيقاً بالاشتقاق وطرقه في اللغة، وهو بشكلٍ عامٍ الوسيلة التي تتحقق بها الصلة بين كلمات اللغة، وهذه الصلة قوامها اشتراك الكلمات في جذر واحد ثابت لا يتغير؛ وهو ما يُعبّر عنه المعجميون باسم «الاشتراك في المادّة - Basic form»؛ إذ يجعلون حروف هذا الجذر مدخلاً إلى شرح معاني الكلمات ودلالاتها التي ترجع إلى جذر أو أصل واحد ثابت «Entry form»، هو في الحقيقة يُشكّل البنية الأساسية للكلمة))^(١٠١).

وبعد أن يُحدّد المعنى اللغوي من كتب الغريب، والمعنى الصيغي من علم الصّرف؛ يأتي دور علم النحو في تحديد الموقع الإعرابي لهذه الكلمة ووضعها في الجملة التركيبية؛ كي لا يُنسب حدثٌ إلى من لم يقم به.. ولا يخفى على اللبيب الفطن والمُتدبّر الحصيف ما للحكم النحويّ والعلامة الإعرابية في آخر اللفظ من أهمية بالغة في تحديد

المعنى المراد.. وهنا قد يحتمل الموضع الواحد من الآية القرآنية أوجهاً إعرابية مُتعدّدة، وهذا يُؤدّي بالنتيجة إلى ظهور معانٍ مُتعدّدة بتعدّد تلك الأوجه.

والبحث عن الوجه الإعرابي الصواب يصل بالقارئ إلى المعنى المراد الذي سيقّت الآية من أجل تحقيقه؛ فتعدّد تلك الأوجه ليس ((مُجرّد استكثار من تعبيراتٍ لا طائل تحتها كما يتصوّر بعضُهم، وإنّ جواز أكثر من وجه تعبيريّ ليس معناه أن هذه الأوجه ذات دلالة معنوية واحدة، ولا أنّ لك الحقّ في أن تستعمل أيها تشاء كما تشاء؛ وإنما لكلّ وجهٍ دلالته.. فإذا أردت معنى ما؛ لزمك أن تستعمل التعبير الذي يُؤيّد.. فالأوجه التعبيرية المُتعدّدة إنما هي صورٌ لأوجه معنوية مُتعدّدة))^(١٠٢).

ولكي يتسنى للباحث والقارئ الوضوح التام والبيان الأسنى للأسلوب العربيّ عموماً، والشرعيّ منه على نحوٍ خاصّ، والقرآنيّ على وجهٍ خاصّ؛ فلا مهرب له ولا محيص من معرفة سياق النصّ بسوابقه ولواحقه، ومعرفة البيئة والجو العامّ للنصّ، وتعرّض لهذا كتب ومُصنّفات عديدة؛ منها: «أسباب النزول»، لأبي الحسن الواحدي، و«لُباب النقول»، لجلال الدين السيوطي، وغيرهما.. كما لا ينبغي أن يعزب عن بالهما ما لكتب البلاغة والبيان من أثر بين وإسهامٍ فاعل في فهم مدلولات الألفاظ والنصوص على حدّ سواء، ومن أفضلها: «دلائل الإعجاز»، و«أسرار البلاغة»، لشيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني، و«تلخيص المفتاح»، و«الإيضاح في علوم البلاغة» في شرح التلخيص، لأبي المعالي الخطيب القزويني، و«سر الفصاحة»، لأبي محمد بن سنان الخفاجي... الخ.

هذا، ومن الأهمية بمكانٍ التنبيه إلى أنه قد يرد اللفظ الواحد في القرآن الكريم والحديث الشريف مُستعملاً في أكثر من معنى؛ ضرورة مراعاتهما للهجات العربية المُختلفة.

وفي جملة تلك العناصر والظروف والملابسات والأدوات يقول صلاح الدين الزعبلوي في كلام له رائع وعلمي ورصين يدخل الأذن بلا إذن، ويقرّ بين طيات القلب بلا حراك: ((من النقد من يتعلّق بظاهر النصّ المدرج في المعاجم، على اختصارٍ وجُمُود، وعلى قصدٍ وإجمال، وفي غير بسط أو إحاطة أو استيعاب!! والكشف عن

دلالات الكلم مرهون بتبيين أصول اشتقاقها، أو اجتلاء مدارجها في المجاز والنقل، وتعزف مساربها في أداء أغراضها والتعبير عن قصودها، واستشفاف قرائنها في متباين مواقعها في الاستعمال والتركيب.. فمن الخطأ أن يظن ظان أن معاجم اللغة وما إليها من أسفار النحو وحواشيها، وكتب الصرف وشروحها، هي عدة اللغوي وحدها، وأن نقولها معول تحقيقه وغاية بحثه وحكمه دون سواها!! والصحيح أن مراجع اللغوي إلى ذلك كتب التفسير، والأدب، ودواوين الشعر، وصحف الرسائل، والرقاع، ومصنفات القوم في التاريخ والأخبار والأسفار؛ بل مؤلفاتهم في مختلف العلوم والصناعات، ووضائعهم في الحكم والأمثال^(١٠٣).

وختاماً؛ فإن للتفسير اللغوي للقرآن الكريم دلالاته الخاصة ومفهومه المحدد، ومعناه: تفسير القرآن الكريم بلغة العرب، وهو قسمان: عام، وخاص، فأما التفسير اللغوي الخاص؛ فيتعلق ببعض الجزئيات المتمثلة بتفسير غريب المفردات القرآنية، ولا يتناول الكليات والقضايا اللغوية العامة، ومن أبرز نماذج هذا القسم من التفسير وأشهرها وأقدمها: التفسير المشهور عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، والذي يعنى بتفسير الكلمة المفردة، وبيان دلالاتها مستقلة عن أخواتها، وعن التركيب الذي وردت فيه، والذي عُرف فيما بعد بـ«مسائل نافع بن الأزرق».

وأما التفسير اللغوي العام؛ فيتناول القضايا اللغوية العامة؛ كالنحو والإعراب، والصرف، والبلاغة، والمباحث الدلالية، والقراءات القرآنية وتنزيلها على المعاني المختلفة، والسباق بأنواعه، والأصوات اللغوية وما يتصل بها، والعناصر الأخرى غير اللغوية ذات الصلة.. وغير ذلك مما يدخل في علوم اللغة وظواهرها عامة، أو يتصل بها^(١٠٤).

مُجمل القول في هذا المقام الخطير أن الكلمة في اللغة في سياقها لا تستمد مدلولها ووجه دلالاته عليه من مادتها اللغوية المعجمية والاشتقاقية التي تولدت منها وانبثقت عنها فحسب؛ وإنما تستقي كل ما فيه رواؤها وحياتها وحيوتها من روافد عديدة؛ منها: المادة، والصورة التي تكون عليها، والموقع والتركيب الذي تقع فيه، ومنهاج أدائها، بل ومذهب رسمها وكتابتها، وطريقة نطقها... الخ.. وهذه الروافد لا يتعاند عطاؤها؛ بل يتساند ويتفاعل ويلتقي ويتحد في المنبع والمصب، وقد يكون بعضها أظهر وأكثر؛ ولكنه

لا ينفي عطاء الآخر ولا يلغيه بحال؛ بل يُكَوَّن معه لُحْمَةٌ واحدةٌ تعمل عملها في أداء دلالة اللفظة بجميع ظروفها، ومُختلف ملابساتها^(١٠٥).



الخاتمة

وفي ختام بحثنا هذا عن الأثر البالغ الذي تحدثه اللغة بأحكامها وقواعدها وسننها في إحكام تفسير آي الذكر الحكيم وفقه معانيه وإدراك مراميها؛ لا يَسَعُنَا إِلَّا أن نثبت طائفة من الحقائق المهمة التي وردت بين دَفْتَيْهِ؛ وهي:

❁ القرآن عربيٌّ، وقد أنزل على رسول عربيٍّ، وخطبت به - في بادئ الأمر - أُمَّة العرب، وكان مقصوده الهداية والنُّصْح والإرشاد؛ لذا كان لا بدَّ أن يأتي بيناً واضحاً بالنسبة للأمة المخاطبة به، ولا يكون كذلك حتى تفهمه وتقبله، ولا يتم ذلك حتى يكون جارياً على معهودها في الخطاب، وعاداتها في الكلام.. وهكذا كان القرآن الكريم.

❁ القرآن الكريم مفهوم المعنى كُلُّهُ؛ فليس فيه ألغاز، ولا أحاجي، ولا أسرار كامنة تستفاد من مصادر خارجة عن قوانين اللغة العربية وعُرف استعمال اللسان العربي.. وكلُّ تفسير لكلام الله ﷻ خارج عن قانون لغة العرب؛ فهو تفسيرٌ بالهوى والتشهي، مردودٌ على صاحبه.

❁ تعدُّ معرفة أحكام اللغة العربية شرطاً أساسياً في فهم القرآن الكريم؛ لأنَّ من أراد تفسيره وهو لا يعرف اللغة التي نزل بها؛ فإنه لا شك سيقع في الزلل؛ بل سيُحَرِّف الكلم عن مواضعه، كما حصل من بعض المبتدعة الذين حملوا القرآن على مصطلحات أو مدلولات غير عربية.

❁ لا بدَّ في فهم معاني نصوص الكتاب والسنة من مُراعاة معهود العرب في خطابها؛ فلا يصحُّ العدول عن عُرفها في كلامه، كما لا يصحُّ أن يفهم كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ على نحو لا تعرفه العرب من لغتها وأسلوبها.

❁ لقد اتخذ الإسلام العربية لساناً له؛ فلا سبيل إذاً إلى ابتغاء فهم القرآن الكريم إلا عن جهة لسان العرب، والاعتماد على لغتهم في ألفاظها وتركيبها.. فمن تكلف في فهمه على غير ذلك؛ فإنَّ موافقته للصواب - إن وافقه - غير محمودة، ومن زعم أنه قادر على فهم كلام الله ﷻ من غير معرفة بلسان العرب؛ فقد رام صعباً، وقال محالاً، وأعظم الفرية؛ لأنَّ كلَّ معنىٍ مستنبطٍ من القرآن الكريم إن لم يكن جارياً على

اللسان العربي؛ فليس من القرآن، ولا من علومه في شيء، وكلّ تفسير ليس له أصل من لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم؛ فهو تفسيرٌ بالهوى والتشهي، مردودٌ على صاحبه كائناً من كان.

❁ لقد بلغ من أهمية هذه اللغة الكريمة ومكانتها في التشريع أنها غدت القاعدة المتينة التي تقوم عليها الأحكام؛ فما من علمٍ من العلوم الإسلامية: فقهها وكلامها، وعلمي تفسيرها وأخبارها إلّا وافتقاره إلى العربية بيّن لا يُدفع ومكشوف لا يتقنع؛ وذلك أن معاني هذه العلوم لا تعرف على الحقيقة إلّا بمعرفة ألفاظها، والوصلة إلى معرفة ألفاظها معرفة اللغة العربية.

❁ ليس في الأرض أمة كانت تربيتها لغوية غير أهل هذه الجزيرة، وأيّ شيء في تاريخ الأمم أعجب من نشأة لغوية تنتهي بمُعجزة لغوية.

❁ لا يمكن لنا بحالٍ أن نتصوّر مُسلماً قد وعى أبعاد دينه الحنيف من غير وعي سليم في مجال اللغة العربية: طبيعتها، وحقائق خصائصها، وأن يتخذ بعد ذلك من مشكلاتها، وأعدادها موقفاً واعياً مبصراً ينسجم مع وعيه بجميع جوانب حياته الاجتماعية، والسياسية، والفكرية، والروحية؛ فهي جزء لا يتجزأ من دينه إن كان للدين عنده شأن.

❁ إنّ أحكام اللغة - مع أهميتها وجلالة قدرها في إحكام تفسير القرآن المجيد وفقه معانيه - لا تستقل بمجردها بهذا الشأن الخطير، وهذا يعني أنّ اللغة ليست المصدر الوحيد الذي يمكن لمن أحكمه أن يفسّر آي القرآن؛ إذ لا بدّ للمفسّر من استكمال أدوات، والإلمام بمصادر أخرى يعتمد عليها في تفسيره؛ كالسنة النبوية، وأسباب النزول، وقصص الآي، وأحوال من نزل فيهم الخطاب...

❁ إنّ فهم المُراد من أيّ نصّ كلامي يتوقف على معرفة دلالات الكلمات والمفردات الواردة فيه بأبعادها المختلفة؛ وعليه فإنّ من يُريد فهم القرآن الكريم؛ فلا يسعُه إلّا أن يكون على معرفة ودراية باللغة العربية: بدلالات ألفاظها، وتنوع تراكيبها، واختلاف أساليبها، ووجوه مخاطبات فيها.

❖ تعدُّ الكلمة المفردة أساسَ اللغة وحَجَرَ الزاوية في بناء العربية التي نزل بها القرآن الكريم؛ لذا قرَّر جُلُّ العلماء أنَّ العناية بها، وبيان أحكامها في اللغة قبل استعمالها في التركيب أمرٌ لا غنى للمفسِّر عنه بأيِّ حالٍ من الأحوال.

❖ ليس كلُّ ما جاز لغة؛ جاز تفسيراً؛ إذ لا يعدُّ المعنى القاموسيُّ أو المعنى المعجميُّ كلَّ شيء في إدراك معنى الكلام وفقهه والإلمام به؛ فثمة عناصر أخرى غير لغوية ذات دخلٍ كبير في تحديد المعنى، بل هي جزءٌ من معنى الكلام؛ كشخصية المُتكلِّم، وشخصية المخاطب، وما ينعقد بينهما من علاقات، وما يُحيط بالكلام من ظروف ومُلابسات؛ إذ ليست اللغة مفرداتٍ في معاجم، ولا جُملاً منعزلة منفصلة تدوّن في الصُّحف.

❖ إنَّ الكلمة في اللغة في سياقها لا تستمدُّ مدلولها ووجه دلالتها عليه من مادَّتها اللغوية المعجمية والاشتقاقية التي تولَّدت منها وانبثقت عنها فحسب؛ وإنما تستقي كلُّ ما فيه رواؤها وحياتها وحيوتها من روافد عديدة؛ منها: المادَّة، والصورة التي تكون عليها، والموقع والتركيب الذي تقع فيه، ومنهاج أدائها، بل ومذهب رسمها وكتابتها، وطريقة نطقها.. وهذه الروافد لا يتعاند عطائها؛ بل يتساند ويتفاعل ليكوّن لحمة واحدة تعمل سوياً في أداء دلالة اللفظة.

❖ إنَّ تحرِّي معنى الكلمة كما هي في كلام العرب، من دون إضافة معانٍ أخرى لا تدلُّ عليها الكلمة في استعمال العرب لها من شأنه أن يساعد على فهم المعنى المُراد من النص؛ إذ إنَّ اللفظ هو الأداة لإيصال المعنى إلى المخاطب؛ لذلك فإنَّ التقصير في تحديد معنى اللفظ قد يؤدي إلى وصول المعنى إلى المخاطب بشكل مغلوط.

❖ في كلِّ لفظ يردُّ في القرآن الكريم أو في الحديث الشريف أربع احتمالات من حيث المعنى: فإما أن يكون لهذا اللفظ معنىً شرعي، وإما أن يكون له معنىً عُرفي، وإما أن يكون له معنىً لغوي.. فإن لم يُوجد أيُّ من تلك المعاني الثلاثة؛ نظر فيه بحسب الحقيقة أو المجاز.

❖ لا يمكن فكُّ مغاليق أيِّ نصٍّ لغويٍّ من دون تحليله إلى مكوناته الأساسية: اللفظية والدلالية المسهمة في تحديد معاني ألفاظه، والتي تشمل جذر الكلمة، ووزنها أو

صيغتها الصَّرْفِيَّة، ونوعها أو جنسها النحوي الذي تنتمي إليه، والمعنى المعجمي للفظ محكوماً بسياقاته الواقعية ومصاحباته اللفظية التي ورد فيها.

❁ للتفسير اللغوي للقرآن الكريم دلالاته الخاصة ومفهومه المحدد، ومعناه: تفسير القرآن الكريم بلغة العرب، وهو قسمان: عامٌّ، وخاصٌّ، فأما التفسير اللغوي الخاص؛ فيتعلّق ببعض الجزئيات المتمثلة بتفسير غريب المفردات القرآنية، ولا يتناول الكليات والقضايا اللغوية العامة.. وأما التفسير اللغوي العام؛ فيتناول القضايا اللغوية العامة؛ كالنحو والإعراب، والصرف، والبلاغة، والمباحث الدلالية، والقراءات القرآنية وتنزيلها على المعاني المختلفة، والسِّيَاق بأنواعه، والأصوات اللغوية وما يتّصل بها، والعناصر الأخرى غير اللغوية ذات الصلة، وغير ذلك ممّا يدخل في علوم اللغة وظواهرها عامّة.

❁ يُشكّل التفسير اللغوي لبنة متماسكة، وركناً حيويّاً، وجزءاً مهمّاً من ميدان علم التفسير الرَّخْب، وهو من أكبر مصادر التفسير وأجلّها؛ لذا لا يمكن أن يخلو منه كتابٌ في التفسير البتّة إلا أن يكون من المصنّفات المنحرفة التي لا تعتمد لغة العرب في بيان معاني القرآن الكريم.. فاللغة العربية هي لغة القرآن، والقرآن قد نزل بها؛ لذا فكلٌّ منهما يكمّل الآخر ويكتمل به، ولا غنى، ولا انفصال لأحدهما عن الآخر بأيّ حالٍ من الأحوال.



هوامش البحث ومصادره:

- (١) أثبت الله ﷻ العربية للغة القرآن الكريم في أحد عشر موضعاً من كتابه العزيز؛ هي: [سُورَةُ يُسُفَاة] الآية ٢، و[سُورَةُ الرَّحْمَةِ] الآية ٣٧، و[سُورَةُ الْحَلَاة] الآية ١٠٣، و[سُورَةُ طَلَاة] الآية ١٣، و[سُورَةُ الشَّجَرَةِ] الآية ١٩٥، و[سُورَةُ الْبُرُجَةِ] الآية ٢٨، و[سُورَةُ فَصَلَاتَا] الآيتان ٣، و٤٤، و[سُورَةُ التَّوْبَةِ] الآية ٧، و[سُورَةُ التَّحْرِيفِ] الآية ٣، و[سُورَةُ الْحَقِّقَةِ] الآية ١٢.. ونفى عنها العجمة في أربعة مواضع؛ وهي: [سُورَةُ الْحَلَاة] الآية ١٠٣، و[سُورَةُ الشَّجَرَةِ] الآية ١٩٨، و[سُورَةُ فَصَلَاتَا] الآيتان ٣، و٤٤.
- (٢) ينظر: مباحث في علم التفسير/ ص ١٥٤-١٥٧، والتأويل الباطني في القرآن الكريم/ ص ١٢، و٤٩٥.
- (٣) البداية والنهاية (٣/ ٧٨)، وينظر: السيرة النبوية، لابن كثير (١/ ٤٩٨)، والنبأ العظيم - نظرات جديدة في القرآن الكريم/ ص ١٢١-١٢٢.
- (٤) الكرسف: القطن.
- (٥) الفرق: الخوف الشديد.
- (٦) ينظر: السيرة النبوية، لابن هشام (١/ ٣٨٢-٣٨٣)، والبداية والنهاية (٣/ ١٢٣).
- (٧) ينظر: الأغاني (٣/ ٢٧٤)، والشعر الجاهلي، للوائلي/ ص ٣٢.
- (٨) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١/ ١٢)، والتحرير والتنوير (١/ ١٨)، وأصول التفسير وقواعده/ ص ١٣٨، ولغة القرآن/ ص ٤٤٦.
- (٩) قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد/ ص ١٠٧-١٠٨، وينظر: الصاحب في فقه اللغة/ ص ٤٩، ومباحث في علم التفسير/ ص ١٥٤، واللغة العربية - لسان وكيان «عن مجلة البحوث الإسلامية»، العدد الأول/ ص ٩٣-٩٤.
- (١٠) ينظر: الرسالة/ ص ٥١-٥٧.
- (١١) المصدر نفسه/ ص ٤٠.
- (١٢) (١/ ١٠-١١)، وينظر: التفسير اللغوي/ ص ٤٠-٤١، والاتجاه اللغوي في التفسير حتى نهاية القرن الثالث الهجري/ ص ٣.
- (١٣) كتاب الصناعتين (١/ ١٥٤).
- (١٤) فقه اللغة، للشعالبي/ ص ٢، وينظر: فقه اللغة، للحمد (١/ ٢).
- (١٥) اقتضاء الصراط المستقيم/ ص ١٦٢، وينظر: مجموع الفتاوى (٢٥/ ١٦٨).

(١٦) الموافقات في أصول الشريعة (٢/ ١٢٧)، وينظر: الرسالة/ ص ٥١ - ٥٧، ومجموع الفتاوى (٢٥/ ١٦٨)، والاعتصام (٢/ ٢٩٧)، والصواعق المرسلة (١/ ١٥).

(١٧) أي أن ما ورد في الشريعة من الكتاب والسنة، وما ورد من كلام العرب من نمط واحد وطريق واحد ومشكاة واحدة، سوى ما أختص به من المزايا التي ترتفع بها درجة الكلام في البلاغة والحسن والقبول!! فالقرآن الكريم أنفرد عن سائر كلام العرب بمزايا جعلته معجزاً للبشر عن الإتيان بسورة منه، والحديث أمتاز بما جعله يفوق غيره من كلامهم؛ وإن لم يبلغ درجة الإعجاز!! [هذا التعليق من كلام المحقق بتصرف].

(١٨) الموافقات في أصول الشريعة (٥/ ٥٣)، وينظر: شذرات الذهب - دراسة في البلاغة القرآنية/ ص ٩.

(١٩) هو أبو الرّيحان محمد بن أحمد البيروني (ت ٤٤٠هـ): فيلسوف، رياضي، مؤرخ، من أهل خوارزم/ ينظر: الأعلام، للزركلي (٥/ ٣١٤).

(٢٠) ينظر: اللغة العربية ومكانتها بين اللغات/ ص ٤.

(٢١) المفصل في صناعة الإعراب/ ص ١٨.

(٢٢) الخصائص - «باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية»، (٣/ ٢٤٥).

(٢٣) ينظر: المستدرک/ كتاب التفسير (باب تفسير سورة حم السجدة)، رقم الحديث: (٣٦٠١)، (ج ٨/ ص ٣١٢)، وجامع الأحاديث/ حرف الهمزة من قسم الأقوال (الهمزة مع الراء)، رقم الحديث: (٣١٦١)، (ج ٤/ ص ٢٦٨)، وكنز العمال/ حرف الهمزة (الباب السابع/ في تلاوة القرآن وفوائده - الفصل الثالث: في آداب التلاوة)، رقم الحديث: (٢٨٠٩)، (ج ١/ ص ٦١١).

(٢٤) الخصائص - «باب فيما يؤمنه علم العربية من الاعتقادات الدينية»، (٣/ ٢٤٦).

(٢٥) ينظر: أصول التفسير وقواعده، للعك/ ص ١٥٨، وأثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي/ ص ٥، وأثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية/ ص ٢٦ - ٢٧.

(٢٦) ينظر: شذرات الذهب - دراسة في البلاغة القرآنية/ ص ٦ - ٧.

(٢٧) تاريخ آداب العرب (١/ ١٩١).

(٢٨) ينظر: نحو وعي لغوي/ ص ٥٠ - ٥١، واللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم)، مجلة الضّاد (العدد الرابع - ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، ص ٤٣.

(٢٩) ينظر: نحو وعي لغوي/ ص ١٣٩، واللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم)، مجلة الضّاد (العدد الرابع - ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، ص ٤٦.

(٣٠) ينظر: الرسالة/ ص ٥٢ - ٥٣، وتأويل مشكل القرآن/ ص ٨٦، ومقدمة التفسير، للأصفهاني/ ص ٤٢٥، والموافقات في أصول الشريعة (٥/ ٥٧)، ومحاسن التأويل (١/ ٦٢)، وقواعد التفسير - جمعاً ودراسة (١/ ٢٢٤ - ٢٣٠)، وتفسير النصوص في الفقه الإسلامي (١/ ٧٢)، والتفسير اللغوي/ ص ٥٠.

(٣١) ينظر: محاسن التأويل (١/ ١٠)، وقواعد التدبر الأمثل/ ص ٣١٧ - ٣٥٩، و ٤٥٣ وما بعدها.

(٣٢) المعاني السبعة/ ص ١.

(٣٣) اللَّيْنُ: جمع لَبْنَةٍ؛ وهو ما يُنْبَى به [ينظر: الصحاح (٦/ ٢١٩٢)].

(٣٤) المفردات في غريب القرآن (١/ ٤)، وينظر: المزهري في علوم اللغة وأنواعها (١/ ١٦٠).

(٣٥) البحر المحيط (١/ ١٠٤)، وينظر: مباحث في علم التفسير/ ص ١٥٥ - ١٥٦، والتفسير اللغوي/ ص ٦٤١ - ٦٤٢.

(٣٦) قواعد التدبر الأمثل/ ص ٣١٧.

(٣٧) التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ٧)، وينظر: الفكر الديني في مواجهة العصر/ ص ٣٣٩ - ٣٤٠.

(٣٨) قواعد التدبر الأمثل/ ص ٤٥٥.

(٣٩) قواعد التدبر الأمثل/ ص ٤٥٦.

(٤٠) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص ٣١٩، وشذرات الذهب/ ص ٢٥.

(٤١) ينظر: المرجع نفسه/ ص ٣١٨ - ٣٢١، و ٤٦٢، و ٥٥١.

(٤٢) بنية العقل العربي/ ص ١٥، وينظر: التفسير البياني للتركيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية/ ص ١٣١.

(٤٣) أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي/ ص ٢٥.

(٤٤) شذرات الذهب - دراسة في البلاغة القرآنية/ ص ٣٢ - ٣٣، وينظر: الإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن/ ص ١٤٣ - ١٥٠، و ١٥٧.

(٤٥) التفسير اللغوي/ ص ٦٧٧، وينظر: أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي/ ص ٢٥.

(٤٦) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص ٣١٩.

(٤٧) المرجع نفسه/ ص ٥٣ - ٥٤.

(٤٨) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص ٣٢٤، والإتقان «النوع الأربعون - في معرفة الأدوات التي يحتاج إليها المفسر» (١/ ٤٢٥ - ٥٢٨).

(٤٩) قواعد التدبر الأمثل/ ص ٤٥٣.

(٥٠) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص ٤٠٨.

- (٥١) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص ٣٢٤.
- (٥٢) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص ١٣، و ٦٧.
- (٥٣) المرجع نفسه/ ص ١٣ - ١٤، وينظر: ص ٢٠٤.
- (٥٤) قواعد التدبر الأمثل/ ص ١٤ - ١٥.
- (٥٥) المرجع نفسه/ ص ١٥، و ١٧.
- (٥٦) قواعد التدبر الأمثل/ ص ٦٩.
- (٥٧) المرجع نفسه/ ص ٦٣، و ٧١.
- (٥٨) ينظر: المرجع السابق/ ص ٢٠٤ - ٢٠٥، ولمسات بيانية في نصوص من التنزيل/ ص ٦٨.
- (٥٩) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص ٦٨، و ١٤٠، و ٢٢٩.
- (٦٠) ينظر: معالم التنزيل (١/ ٤٥)، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١/ ٦٨)، والبرهان في علوم القرآن (٢/ ٦، و ١٥٣)، والإتقان في علوم القرآن «النوع الثامن والسبعون - في معرفة شروط المفسر وآدابه» (٢/ ٣٥١)، ومناهل العرفان في علوم القرآن (٢/ ٥١)، وأصول التفسير وقواعده/ ص ٩٤، والتفسير اللغوي/ ص ٥٠.
- (٦١) لم نجد له تخريجاً في كُتُب المتن!! ينظر: الفائق في غريب الحديث (٣/ ٦٥)، وغريب أبن الجوزي (٢/ ٣٨٨)، والنهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١١).
- (٦٢) مباحث في علم التفسير/ ص ١٧٣.
- (٦٣) ينظر: قواعد التدبر الأمثل/ ص ٣١٩، ولغة القرآن/ ص ٤٤٦.
- (٦٤) ينظر: التفسير اللغوي/ ص ٦٧٤.
- (٦٥) التفسير اللغوي/ ص ٦.
- (٦٦) المعنى الشرعي، أو الدلالة الشرعية: هي الدلالة الجديدة التي جاء بها الإسلام؛ إذ تنتقل اللفظة فيها من دلالتها اللغوية التي كانت عليها قبل الإسلام إلى الدلالة الجديدة التي نطق بها القرآن الكريم، أو الحديث النبوي الشريف، ثم الصحابة والتابعون رضي الله عنهم، ثم فقهاء الإسلام من بعدهم.. فلفظ «الشريعة» مثلاً أصله من الفعل «شرع»، ويدل في اللغة على مشرعة الماء، ومورد الإبل إلى الماء الجاري.. ثم أُسْتَعِيرَ شرعاً للدلالة على الأحكام الجزئية التي يقوم بها المُكَلَّفُ معاشاً ومعاداً، والتي جاء بها نبي من الأنبياء عليهم السلام من عند ربه؛ فغدث لها دلالتها الجديدة؛ وهي: الإظهار والبيان [ينظر: الكليات، للكفوي (٣/ ٥٦)، وكشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٤/ ١٢٩)].. وقد أُطلق على هذه الطائفة من الألفاظ اسم: «الألفاظ الإسلامية»، التي هي ((من الألفاظ الاصطلاحية؛ لأنها ممّا جاء به الإسلام، وأصطلح عليه بهذه الدلالة الجديدة))

[فقه اللغة العربية، للزبيدي/ ص ١٤٧]؛ فلم يكن العرب يعرفون تلك الألفاظ الاصطلاحية قبل الإسلام على النحو الذي عرفوها به أثناءه.

وحدّثها أبو حاتم الرازي رحمه الله في كتابه: «الزينة في الكلمات الإسلامية» بأنها: ((أسماء دلّ عليها النبي ﷺ في هذه الشريعة، ونزل بها القرآن الكريم؛ فصارت أصولاً في الدين، فروعاً في الشريعة لم تكن تعرف قبل ذلك، وهي مشتقة من ألفاظ العرب.. وأسماء جاءت في القرآن لم تكن العرب تعرفها، ولا غيرها من الأمم)) [(١/ ١٤٠)].. وحدّثها أبو هلال العسكري رحمه الله بأنها: ((ما نُقل عن أصله في اللغة؛ فسُمّي به فعلٌ أو حُكمٌ في الشرع؛ نحو الصّلاة، والزكاة، والصّوم، والكفر، والإيمان، والإسلام...)) [الفروق اللغوية/ ص ٣٥، وينظر: العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم/ ص ٦- ٧].

(٦٧) **المعنى العرفي، أو الحقيقة العرفية:** هي ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقل، وتلقته الطبائع السليمة بالقبول.. وهي دليلٌ كاشف - إذا لم يوجد نصٌّ ولا إجماعٌ - على اعتباره أو إلغائه [ينظر: التعريفات/ ص ٨٦، والموسوعة الفقهية الكويتية (١/ ١٣٠ - ١٣١)].. فالاسم العرفي: هو الاسم المنقول عن بابه بعُرف الاستعمال؛ كاختصاص لفظ «الدّابة» بذوات الأربع التي هي بعض ما يدبّ على الأرض.. ولو رجعنا إلى أصل وضعها اللغوي؛ لوجدناها تطلق على كلّ ما يدبّ على الأرض!! وكذلك أختصاص أسم «المتكلم» بالعالم في الجدل العقائدي؛ مع أنه في أصل الاستعمال عامٌّ في كلّ قائل!! وبذا برزت لـ «المتكلم» حقيقة جديدة بحكم استعماله الجديد في العصور الإسلامية [ينظر: الإحكام في أصول الأحكام (١/ ٥٢)، والمفردات في غريب القرآن (١/ ١٧)، والمُستقصى من علم الأصول (١/ ٣٢٥)، والطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (١/ ٥٤)، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٢/ ١٢)، وأسباب اختلاف الفقهاء/ ص ٢٣٤، والعلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم/ ص ٥- ٦].

(٦٨) ينظر: شرح كتاب (مقدمة في أصول التفسير)، ص ٧٥ - ٧٧.

(٦٩) ينظر: شرح كتاب (مقدمة في أصول التفسير)، ص ١٨٦.

(٧٠) على أن لا يُفهم الكلام أعلاه على أنه غرض من قيمة المعنى القاموسي والدلالة المعجمية للمفردات اللغوية والقرآنية أو أنه تقليل من شأنهما وأهميتهما في حقل الدراسات اللغوية؛ إذ لا يتسنى للباحث تحديد معاني الكلمات إلّا في ضوء العلاقات الترابطية فيما بينها بموجب ارتباطها بالكلمات الأخرى، ويكتمل تحديد هذا الارتباط بحسب ما يُسمّى بـ «الحقل المعجمي»؛ الذي هو عبارة عن مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها [ينظر:

علم الدلالة، لبالمرو/ ص ٧٧، وعلم الدلالة، لعمر/ ص ٧٩، والتفسير اللغوي للنصوص الدينية والأدبية/ ص ٨٠].

(٧١) ينظر: علم اللغة، للسعران / ص ٢٦٣، ومنهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث/ ص ١٣٨، وظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة/ ص ٦٤، وأثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى/ ص ١، واللغة والمعنى والسياق، لالينز/ ص ٢٧ - ٢٨، ونظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث/ ص ٨٨.

(٧٢) من أسرار اللغة/ ص ٢٣٢.

(٧٣) ينظر: شرح كتاب (مقدمة في أصول التفسير)، ص ١٨٦ - ١٨٧، والبحث البلاغي عند الأصوليين/ ص ٣٠٢، و ٣١٦.

(٧٤) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام (٣/ ١١٨)، وينظر: البحث البلاغي عند الأصوليين/ ص ٣١١.

(٧٥) المذل: الغرض والضجر والقلق [ينظر: العين (٨/ ١٨٨)، والصاحح (تاج اللغة وصحاح العربية)، (٢/ ١٦٤)، والمحكم والمحيط الأعظم (١٠/ ٧٥)، ولسان العرب (١١/ ٦٢١)].

(٧٦) التتايغ: التهافت في الشر واللجاج، والتتايغ: ركوب الأمر على خلاف الناس، وتتايغ الحيران في الأمر، والسكران في المشي: رمى بنفسه سريعاً من غير تثبت، وتتايغ القوم في الأرض؛ إذا تباعدوا فيها على عمى وشده!! [ينظر: العين (٢/ ٢٢٧)، والصاحح (تاج اللغة وصحاح العربية)، (١/ ٦٧)، ومقاييس اللغة (١/ ٣٢٩)، وتهذيب اللغة (١/ ٣٥٧)، والمحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٢٢٧)].

(٧٧) الخصائص (٣/ ٢٦٠).

(٧٨) دلائل الإعجاز/ ص ٥٥ - ٦٠، وينظر: المثل السائر (١/ ١٩١)، والنقد اللغوي عند العرب/ ص ٢٩٢، وعلم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي/ ص ٢٠٤، وعلوم القرآن - مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه/ ص ٢٨.

(٧٩) الموافقات في أصول الشريعة (٢/ ١٣٨ - ١٣٩).

(٨٠) التفسير اللغوي/ ص ٤١، وينظر: ص ٤٨، و ٦١٨، والصواعق المرسلة على الجهمية والمعتلة (١/ ١٨٩ - ١٩١).

(٨١) ينظر: المرجع نفسه/ ص ٦١٨.

(٨٢) مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار/ ص ١٤٤ - ١٤٥، وينظر: التفسير اللغوي/ ص ٤٨ - ٤٩.

(٨٣) التفسير - نشأته، وتدرجه، وتطوره/ ص ٧٧ - ٧٩، وينظر: التفسير اللغوي/ ص ٦٤٤ - ٦٤٥.

- (٨٤) التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ٢٣).
- (٨٥) التفسير اللغوي/ ص ٦٤٦.
- (٨٦) التفسير البياني للقرآن الكريم (١/ ٢٠٠)، وينظر: التفسير اللغوي/ ص ٦٤٦ - ٦٤٧.
- (٨٧) التفسير اللغوي/ ص ٦٤٧، وينظر: مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن/ ص ٢٢.
- (٨٨) ينظر: إحياء علوم الدين (١/ ١٧)، ومقدمة في أصول التفسير/ ص ٧٩ - ٨١، والتفسير اللغوي/ ص ٥٠، و ٦٣٣ - ٦٥٠.
- (٨٩) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٣٤)، وينظر: أصول التفسير وقواعده، للعك/ ص ١٤٨.
- (٩٠) يُريد بـ«الأولين»: من يحملون ألفاظ القرآن على أعتقادهم؛ فهم يعتقدون أولاً، ثم يستدلون ثانياً [ينظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٥٥ وما بعدها)، وتفسير المنار (١/ ٣٠)، و (١١/ ٣٧٤)، والتفسير والمفسرون (١/ ٢٧٥ - ٢٧٦، و ٢٨١)، و (٢/ ٤٧٥ - ٤٧٦)، ومباحث في علم التفسير/ ص ١٣٨ - ١٣٩، وتطور تفسير القرآن/ ص ٢١٤، و ٢٢٠].
- (٩١) مقدمة في أصول التفسير/ ص ٣٦، وينظر: أصول التفسير وقواعده، للعك/ ص ١٤٩.
- (٩٢) ينظر: ص ٦٧٧.
- (٩٣) الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم/ ص ٤٤٦، وينظر: ص ٤٩٢، وأثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي/ ص ٣، والإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم/ ص ٧.
- (٩٤) علم اللغة العربية/ ص ٣٥.
- (٩٥) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته (١/ ٤٠)، وينظر: شذرات الذهب - دراسة في البلاغة القرآنية/ ص ٢٥.
- (٩٦) الدراسات اللغوية في تفسير اللباب/ ص ١٤٤.
- (٩٧) وقد تقدّم معنا في بداية هذا المبحث أن ابن فارس قد عقد في كتابه «الصاحبي» باباً بعنوان: «القول في حاجة أهل الفقه والفتيا إلى معرفة اللغة العربية»، كمثال لما تناوله العلماء في هذا الجانب الخطير.
- (٩٨) ينظر: أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي/ ص ٧.
- (٩٩) الحفاظ على سلامة اللغة العربية في العراق - مجلة الصاد (العدد الثالث)، ص ١٤.
- (١٠٠) ينظر: الدكتور نعمة رحيم العزاوي وجهوده اللغوية/ ص ١٧٩.
- (١٠١) الكلمة - دراسة لغوية معجمية/ ص ٦٧.
- (١٠٢) معاني النحو (١/ ٩)، وينظر: الدراسات اللغوية في تفسير اللباب/ ص ١٣٥.
- (١٠٣) دراسات في النحو/ ص ٦٣٤، وينظر: الإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن/ ص ٣٤١.

- (١٠٤) ينظر: التفسير اللغوي في محاسن التأويل/ ص١٩٦، والدكتور نعمة رحيم العزاوي وجهوده اللغوية/ ص١٥٩.
- (١٠٥) ينظر: دراسات في النحو/ ص٦٣٤، والإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن/ ص٣٤١.

المصادر والمراجع

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- الاتجاه اللغوي في التفسير حتى نهاية القرن الثالث الهجري: بحث أعده الدكتور عمار عبد الكريم عبد المجيد الجعفري (غير مطبوع)، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.
- ٣- الإتيقان في علوم القرآن: أبو الفضل جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الإيمان (الإسكندرية)، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ٤- أثر الدرس اللغوي في فهم النص الشرعي: أ. د. محمد المختار محمد المهدي/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ٥- أثر الدلالة النحوية واللغوية في استنباط الأحكام من آيات القرآن التشريعية «أصله أطروحة دكتوراه»: عبد القادر بن عبد الرحمن السعدي/ مطبعة الخلود (بغداد)، ط١، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- ٦- أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى: د. رشيد بلحبيب/ كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الأول (المغرب)، عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ٧- الإحكام في أصول الأحكام: سيف الدين أبو الحسن الأمدي (ت ٥٥١هـ)، تحقيق: د. سيد الجميلي/ دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- ٨- إحياء علوم الدين: الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، دار المعرفة (بيروت)، (ب. ت).
- ٩- أصول التفسير وقواعده «ضمن سلسلة بحوث في العلوم القرآنية»: الشيخ خالد بن عبد الرحمن العك/ دار النفائس (بيروت)، ط٣، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.
- ١٠- الاعتصام: أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، دار إحياء التراث (بيروت)، ١٩٧٩م.
- ١١- الإعجاز البياني واللغوي في القرآن الكريم: أ. د. عمر يوسف حمزة/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ١٢- الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم: جمع وإعداد: علي بن نايف الشحود/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ١٣- الأعلام «قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين»: خير الدين الزركلي (ت ١٤١٠هـ)، دار العلم للملايين (بيروت)، ط٥ / ١٩٨٠م.

- ١٤- الأغاني: أبو الفرج الأصبهاني (ت٣٥٦هـ)، دار الكتب (القاهرة)، ١٩٧٠م.
- ١٥- الإمام البقاعي ومنهجه في تأويل بلاغة القرآن: أ. د. محمود توفيق محمد سعد/ مكتبة وهبة (القاهرة)، ط١، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- ١٦- البحث البلاغي عند الأصوليين «أطروحة دكتوراه»: حسن هادي محمد/ الجامعة المستنصرية - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ١٧- البحر المحيط: أبو حيان الأنلسي (ت٧٤٥هـ)، مراجعة: صدقي محمد جميل/ دار الفكر (بيروت)، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ١٨- البداية والنهاية، الشهير بـ«تاريخ ابن كثير»: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف (بيروت)، ط٣، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- ١٩- البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تقديم وتعليق: مصطفى عبد القادر عطا/ دار الفكر (بيروت)، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.
- ٢٠- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: العلامة اللغوي أبو طاهر مجد الدين الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط٤، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- ٢١- بنية العقل العربي (دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية): د. محمد عابد الجابري المغربي/ مركز دراسات الوحدة العربية (بيروت)، ط٢، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ٢٢- التأويل الباطني في القرآن الكريم «أطروحة دكتوراه»: خليل رجب حمدان الكبسي/ إشراف أ. د. محمد رمضان عبد الله/ جامعة بغداد - كلية العلوم الإسلامية، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- ٢٣- تأويل مشكل القرآن: ابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق وشرح ونشر: السيد أحمد صقر/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط١، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ٢٤- تاريخ آداب العرب: الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (ت١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م)، دار الكتاب العربي (بيروت)، ط٢، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م.
- ٢٥- التحرير والتنوير، الموسوم بـ«تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد»: محمد الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ط٣١، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٤م.
- ٢٦- تطور تفسير القرآن - قراءة جديدة: أ. د. محسن عبد الحميد أحمد/ مديرية دار الكتب - جامعة الموصل، ط١، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٢٧- التعريفات: أبو الحسن الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري/ دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

- ٢٨- التفسير البياني للتراكيب القرآنية ذوات الدلالات الاحتمالية «أطروحة دكتوراه»: نوار محمد إسماعيل الحياي، إشراف: أ. م. د. عماد عبد يحيى الحياي/ جامعة الموصل - كلية الآداب، محرم ١٤٢٥هـ/ شباط ٢٠٠٤م.
- ٢٩- التفسير البياني للقرآن الكريم: د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي/ دار المعارف - القاهرة، ط٢، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.
- ٣٠- التفسير اللغوي في «محاسن التأويل»، لمحمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، «أطروحة دكتوراه»: ماهر جاسم حسن الأومري، إشراف: أ. د. محيي الدين توفيق إبراهيم/ جامعة الموصل - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ٣١- التفسير اللغوي للقرآن الكريم «أصله أطروحة دكتوراه»: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار/ دار ابن الجوزي - الدمام، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ٣٢- التفسير اللغوي للنصوص الدينية والأدبية في كتاب «الاشتقاق»، لابن دريد (ت ٣٢١هـ)، «أطروحة دكتوراه»: إباء يونس رشيد البناء، إشراف: أ. م. د. عماد عبد يحيى الحياي/ جامعة الموصل - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- ٣٣- تفسير المنار: السيد محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ٣٤- التفسير - نشأته، وتدرجه، وتطوره: الأستاذ أمين الخولي (ت ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م)، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ط١/ ١٩٨٢م.
- ٣٥- تفسير النصوص في الفقه الإسلامي: أ. د. محمد أديب صالح/ المكتب الإسلامي (بيروت)، ط٤، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٣م.
- ٣٦- التفسير والمفسرون: أ. د. محمد حسين الذهبي (ت ١٣٩٧هـ)، دار القلم - بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ٣٧- تهذيب اللغة: أبو منصور الأزهري (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي، والأستاذ محمد فرح العقدة/ مراجعة: الأستاذ محمد علي البيجاوي، (بلا معلومات نشر).
- ٣٨- جامع الأحاديث: جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، مكتبة التراث الإسلامي (القاهرة)، (ب. ت).
- ٣٩- جامع البيان في تأويل آي القرآن، الشهير بـ«تفسير الطبري»: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار سويد - بيروت، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م.
- ٤٠- الجامع لأحكام القرآن، الشهير بـ«تفسير القرطبي»: أبو عبد الله القرطبي، المالكي (ت ٦٧١هـ)، دار الكتاب العربي - القاهرة، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

- ٤١- الحفاظ على سلامة اللغة العربية: أ. د. أحمد مطلوب/ بحث منشور في مجلة الضاد (ج٣)، ذو الحجة ١٤٠٩هـ/ آب ١٩٨٩م.
- ٤٢- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي النجار/ دار الكتب - القاهرة، ١٣٧١هـ.
- ٤٣- دراسات في النحو «مقالات»: صلاح الدين الزعبلوي/ عن موقع اتحاد كتاب العرب، وموقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ٤٤- الدراسات اللغوية في تفسير «الباب في علوم الكتاب»، لابن عادل الحنبلي (ت بعد ٨٨٠هـ)، «أطروحة دكتوراه»: إسماعيل عباس حسين الكبي، إشراف: أ. د. عبد الله أحمد الجبوري/ الجامعة المستنصرية - كلية الآداب (قسم اللغة العربية)، ذو القعدة ١٤٢٣هـ/ كانون الثاني ٢٠٠٣م.
- ٤٥- الدكتور نعمة رحيم العزاوي وجهوده اللغوية «رسالة ماجستير»: غانم كامل سعود الحسناوي، إشراف: أ. د. صباح عباس السالم/ جامعة بابل - كلية التربية (قسم اللغة العربية)، رمضان ١٤٢٤هـ/ تشرين الثاني ٢٠٠٣م.
- ٤٦- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، تحقيق: د. محمد التحي/ دار الكتاب العربي (بيروت)، ط١/ ١٩٩٥م.
- ٤٧- الرسالة: الإمام الشافعي (رحمه الله)، (ت٢٠٤هـ)، تحقيق: الأستاذ أحمد محمد شاكر/ مكتبة مصطفى البابي الحلبي (القاهرة)، ١٣٥٨هـ.
- ٤٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الشهير بـ«تفسير الألوسي»: أبو الثناء الألوسي (ت١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي (بيروت)، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- ٤٩- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: أبو حاتم الرازي (ت٣٢٢هـ)، تحقيق وتعليق: حسين بن فيض الله الهمذاني/ دار الكتاب العربي (القاهرة)، ط٢/ ١٩٥٧م.
- ٥٠- السيرة النبوية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، مكتبة المعارف (بيروت)، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
- ٥١- السيرة النبوية: أبو محمد جمال الدين عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، المعافري (ت٢١٣هـ)، دار الجيل (بيروت)، ط٥، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ٥٢- شذرات الذهب - دراسة في البلاغة القرآنية: أ. د. محمود توفيق محمد سعد/ مكتبة وهبة (القاهرة)، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ٥٣- شرح كتاب «مقدمة في أصول التفسير» لابن تيمية: محمد عمر سالم بازمول/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، ١٤٢٣هـ - ١٤٢٤هـ.

- ٥٤- الشعر الجاهلي - قضاياه وظواهره الفنية: أ. د. كريم عبيد هليل الوائلي/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ٥٥- الصاحبى في فقه اللغة العربية ومسائلها، وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تعليق: أحمد حسن بسج/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- ٥٦- الصحاح «تاج اللغة وصحاح العربية»: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي (٣٩٣هـ)، تحقيق: الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار/ دار العلم للملايين - بيروت، ط ١، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م.
- ٥٧- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٩هـ)، مراجعة: محمد عبد السلام شاهين، تصحيح: سيد بن علي المرصفي/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
- ٥٨- ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة: أ. د. أحمد نصيف الجناي/ بحث منشور في مجلة المجمع العلمي العراقي - المجلد (٣٥-٤)، مُحَرَّم ١٤٠٥هـ/ تشرين الأول ١٩٨٤م.
- ٥٩- العلاقات الدلالية بين ألفاظ الطبيعة في القرآن الكريم «رسالة ماجستير»: آلان سمين مجيد زنگنة، إشراف: أ. د. غاصد ياسر حسين الزبيدي/ جامعة بغداد - كلية التربية للبنات (قسم اللغة العربية)، رجب ١٤٢٣هـ/ أيلول ٢٠٠٢م.
- ٦٠- علم الدلالة: أ. د. أحمد مختار عبد الحميد عمر/ مكتبة دار العروبة (الكويت)، ط ١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
- ٦١- علم الدلالة: أف. آر. بالمر (F. R. Palmer)، ترجمة: مجيد عبد الحليم الماشطة/ مطبعة العمال المركزية، الجامعة المستنصرية (بغداد)، ١٩٨٥م.
- ٦٢- علم الدلالة - أصوله ومباحثه في التراث العربي: د. منقور عبد الجليل/ موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت، مكتبة الأسد (دمشق)، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.
- ٦٣- علم اللغة العربية «Linguistics» - مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية: أ. د. محمود فهمي حجازي/ دار غريب (القاهرة)، ط ١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ٦٤- علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي: د. محمود السعران/ دار المعارف (القاهرة)، ١٩٦٢م.
- ٦٥- علوم القرآن - مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه: د. عدنان محمد زرزور/ المكتب الإسلامي (بيروت)، ط ٣، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م.
- ٦٦- العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ الدكتور مهدي المخزومي، والأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي/ دار الرشيد - بغداد، ١٩٨٠-١٩٨٢م.

- ٦٧- غريب الحديث: جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعي/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ١٩٨٥م.
- ٦٨- الفائق في غريب الحديث: جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار صادر - بيروت، ط١/ ١٣٨٥هـ.
- ٦٩- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: سلام الدين القدسي/ دار الكتب العلمية (بيروت)، (ب.ت).
- ٧٠- فقه اللغة العربية: أ. د. غاصد ياسر حسين الزبيدي (ت١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، دار الكتب (جامعة الموصل)، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ٧١- فقه اللغة «مفهومه، موضوعاته، قضاياها»: محمد بن إبراهيم الحمد/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- ٧٢- فقه اللغة وسر العربية: أبو منصور الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، مكتبة الحياة (بيروت)، ١٣١٨هـ.
- ٧٣- الفكر الديني في مواجهة العصر - دراسة تحليلية لاتجاهات التفسير في العصر الحديث: عفت محمد الشراقوي/ مكتبة الشباب (القاهرة)، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.
- ٧٤- قواعد الاستدلال على مسائل الاعتقاد: عثمان علي حسن/ دار الوطن - الرياض، ط١/ ١٤١٣هـ.
- ٧٥- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل: تأملات الشيخ عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني/ دار القلم - دمشق، والدار الشامية - بيروت، ط٤، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.
- ٧٦- قواعد التفسير «جمعاً ودراسة»: خالد بن عثمان السبت/ دار عثمان بن عفان (الرياض)، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ٧٧- كتاب الصناعتين «الكتابة والشعر»: أبو هلال العسكري (ت٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية (بيروت)، ط٢/ ١٤١٨هـ.
- ٧٨- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم «موسوعة المصطلحات العربية والإسلامية»: محمد بن علي التهانوي (توفي بعد سنة ١١٥٨هـ/ ١٧٤٥م)، تقديم: د. رفيق العجم/ تحقيق: د. علي دحروج، وآخرين/ مكتبة لبنان (بيروت)، ط١/ ١٩٩٦م.
- ٧٩- الكلمة «دراسة لغوية معجمية»: أ. د. حلمي خليل/ دار المعرفة الجامعية (الإسكندرية)، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٠م.
- ٨٠- الكليات «معجم الفروق والمصطلحات اللغوية»: أبو البقاء الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

- ٨١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ١٩٨٩م.
- ٨٢- لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري، الإفريقي، المصري (ت ٧١١هـ)، دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ٨٣- اللسان العربي مظهر لغوي للمعجزة الإلهية الخالدة (القرآن الكريم): د. هادي نهر/ بحث منشور في مجلة الصاد - ج ٤، ذو الحجة ١٤١٠هـ/ تموز ١٩٩٠م.
- ٨٤- اللغة العربية - لسان وكيان: أحمد محمد جمال/ بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية - العدد الأول.
- ٨٥- اللغة العربية ومكانتها بين اللغات: أ. د. فرحان السليم/ عن موقع المكتبة الشاملة على شبكة الإنترنت، (ب. ت).
- ٨٦- لغة القرآن: عبد الجليل عبد الرحيم/ مكتبة الرسالة (بيروت)، ط ١، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ٨٧- اللغة والمعنى والسبيل: جون لاينز (John Lyons)، ترجمة: د. عباس صادق عبد الوهاب، مراجعة: د. يوثيل يوسف عزيز/ دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط ١ / ١٩٨٧م.
- ٨٨- لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: أستاذنا الدكتور فاضل صالح السامرائي/ دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط ١، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٨٩- مباحث في علم التفسير: أ. د. عبد الستار حامد الدباغ/ دار الحكمة - الموصل، ١٤١١هـ / ١٩٩١م.
- ٩٠- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الاثير الكاتب (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد/ المكتبة العصرية (بيروت)، ١٩٩٥م.
- ٩١- مجلة الصاد «تصدر عن الهيئة العليا للعناية باللغة العربية في جمهورية العراق»: رئيس التحرير: أ. د. أحمد مطلوب/ ج ٣، ذو الحجة ١٤٠٩هـ / آب ١٩٨٩م، وج ٤، ذو الحجة ١٤١٠هـ/ تموز ١٩٩٠م.
- ٩٢- مجموعة الرسائل والفتاوى الكبرى: شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: حسنين محمد مخلوف/ دار المعرفة (بيروت)، ط ١، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م.
- ٩٣- محاسن التأويل، الشهير بـ«تفسير القاسمي»: الإمام محمد جمال الدين بن قاسم الحلاق (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي/ دار إحياء الكتب العربية - القاهرة، ط ١، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.
- ٩٤- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن ابن سيده (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداي/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.

- ٩٥- المزهري في علوم اللغة وأنواعها: الإمام جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي/ المكتبة العصرية (بيروت)، ١٩٨٦م.
- ٩٦- المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية (بيروت)، ط ١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
- ٩٧- المُستقصى من علم الأصول: الإمام أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق وتعليق: د. محمد سليمان الأشقر/ مؤسسة الرسالة (بيروت)، ط ١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ٩٨- معالم التنزيل، الشهير بـ«تفسير البغوي»: الفراء البغوي (ت ٥١٠هـ)، تحقيق: محمد عبد الله النمر/ دار طيبة (الرياض)، ط ٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ٩٩- المعاني السبعة في ألفاظ القرآن: فاروق البرزنجي/ دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط ١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.
- ١٠٠- معاني النحو: أستاذنا الدكتور فاضل صالح السامرائي/ مطبعة التعليم العالي (الموصل)، بيت الحكمة (بغداد)، ط ١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
- ١٠١- المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءته: أ. د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (بمساعدة فريق عمل متخصص)، مؤسسة التراث (الرياض)، ط ١، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- ١٠٢- المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داودي/ دار القلم - دمشق، والدار الشامية - بيروت، ط ٤، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.
- ١٠٣- المفصل في صنعة الإعراب: جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، دار الهلال (بيروت)، ط ١/ ١٩٩٣م.
- ١٠٤- مفهوم النص - دراسة في علوم القرآن: د. نصر حامد أبو زيد/ المركز الثقافي العربي (بيروت)، ط ٤، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.
- ١٠٥- مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق وضبط: عبد السلام هارون/ دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ١٠٦- مقدمة التفسير: الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، المطبعة الجمالية (القاهرة)، ط ١/ ١٣٢٩هـ.
- ١٠٧- مقدمة في أصول التفسير: شيخ الإسلام ابن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: أ. د. عدنان محمد زرزور/ دار القرآن الكريم (الكويت)، ط ٣، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- ١٠٨- من أسرار اللغة: أ. د. إبراهيم أنيس/ مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة)، ط ٧، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- ١٠٩- مناهل العرفان في علوم القرآن: الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٩٤٨م)، تحقيق: الشيخ سليم الكردي/ دار إحياء التراث العربي - بيروت، (ب. ت).

- ١١٠- منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث: أ. د. علي عبد الحسين زوين/ دار الشؤون الثقافية (بغداد)، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
- ١١١- الموافقات في أصول الشريعة: أبو إسحاق الشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان/ دار ابن عفان (القاهرة)، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- ١١٢- الموسوعة الفقهية الكويتية: وزارة الأوقاف (الكويت)، ١٤٠٤ - ١٤٢٧هـ/ الأجزاء «١- ٢٣»، و «٣٩- ٤٥»: ط٢، شركة ذات السلاسل (الشامية - الكويت)، الأجزاء «٢٤- ٣٨»: ط١، دار الصفوة (القاهرة).
- ١١٣- النبأ العظيم «نظرات جديدة في القرآن الكريم»: د. محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م)، عناية: أحمد مصطفى فضلية/ تقديم: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني/ دار القلم (الكويت)، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- ١١٤- نحو وعي لغوي: أ. د. مازن المبارك/ دار البشائر (دمشق)، ط٤، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- ١١٥- نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث: د. نهاد الموسى/ المؤسسة العربية للدراسات (بيروت)، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
- ١١٦- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري: أ. د. نعمة رحيم العزاوي/ دار الحرية (بغداد)، ط١، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- ١١٧- النهاية في غريب الحديث والأثر: أبو السعادات مجد الدين بن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي/ المكتبة العلمية (بيروت)، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

مُصْطَلَح النَحْوِ الْقُرْآنِيِّ

قراءة تأصيلية في المفهوم والاصطلاح

أ.م.د. هناء محمود اسماعيل

الجامعة العراقية / كلية الآداب

المخلص

يُناقش البَحْث قَضِيَّة جَوْهَرِيَّة مِنْ قَضَايَا الدَّرْسِ اللِّسَانِيِّ الْمُعَاصِرِ وَهِيَ قَضِيَّة (المُصْطَلَح)، وَسَيَبْحَثُ مَفْهُومَ مُصْطَلَح (النَّحْوِ الْقُرْآنِيِّ) عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَأُسُسِهِ الْمَنْهَجِيَّةَ وَالْمَوْضُوعِيَّةَ، وَيَكْشِفُ عَنْ جُحُودِ الْمُحَدِّثِينَ فِي الْإِصْطِلَاحِ عَلَيْهِ بِمَا يُظْهِرُ أَصَالَةَ الْمُصْطَلَحِ فِي الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ، وَالدَّعْوَةَ إِلَى إِقْرَارِهِ فِي الْمَجَامِعِ اللُّغَوِيَّةِ بَعْدَ ثُبُوتِ أَصُولِ نَشْأَتِهِ التَّأْرِيخِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ، وَالْحَضَارِيَّةِ، وَشِيوعِهِ بَيْنَ الدَّارِسِينَ وَأَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ.

Abstract

The research discusses fundamental issue of contemporary lesson lingual issues, an issue (the term), and will discuss the concept of the term (as the Qur'an) when grammarians applicants, and established methodology and objectivity, and reveals the modern efforts in terminology it including the originality of the term in the grammar lesson appears, and the call for approval in the synagogues linguistic assets after failing a historical and cultural upbringing, and civilization, and its prevalence among scholars and specialists.

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ الْمُرْسَلِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّاهِرِينَ، وَمَنْ اهْتَدَى بِهِدْيِهِ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

يُمَثِّلُ الْمُصْطَلَحُ قَضِيَّةً جَوْهَرِيَّةً مِنْ قَضَايَا اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمَعَاصِرَةِ؛ لِأَهَمِّيَّتِهِ الْمَتَزَايِدَةِ وَحَاجَةِ الدَّارِسِينَ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةٍ، وَلِلتَّوَاصُلِ الْحَضَارِيِّ بَيْنِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَسَائِرِ اللُّغَاتِ الْأُخْرَى مِنْ جِهَةٍ ثَانِيَّةٍ. فَهُوَ دَلِيلٌ تَقْدِّمُ الْأُمَّةِ الْحَضَارِيَّةِ، وَالثَّقَافِيَّةِ، وَالْفِكْرِيَّةِ.

وَفِي ضَوْءِ الْبُحُوثِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَالتَّطَوُّرِ الْمَعْرِفِيِّ، وَتَشَعُّبِ الْعُلُومِ، وَتَفَرُّعِ جُزْئِيَّاتِهَا، وَاتِّسَاعِ مَيَادِينِ الْبَحْثِ فِيهَا، وَالْحَاجَةِ إِلَى ضَبْطٍ دَقِيقٍ وَوَاضِحٍ لِلْمَفَاهِيمِ الْمُتَنَامِيَةِ، فَقَدْ أَصْبَحَ مِنَ الصَّرُورِيِّ إِجَادَ وَسِيلَةٍ دَقِيقَةٍ تُنَظِّمُهَا، وَتَضْبِطُ نَقَرَاتِهَا بُغْيَةً تَيْسِيرِ الْأَمْرِ عَلَى الْبَاحِثِينَ وَالدَّارِسِينَ... وَلَا سَبِيلَ لِلتَّخْصُّصِ فِي عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ مِنْ دُونِ التَّمَكُّنِ مِنَ مُصْطَلَحَاتِهِ وَأَدَوَاتِهِ.

وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ هُنَا إِلَى أَنَّ هَذَا الْبَحْثَ ثَمَرَةٌ مِنْ ثَمَرَاتِ دَرَسَةٍ سَابِقَةٍ لِلْبَاحِثَةِ عَنْوَانُهَا (النُّحُو الْقُرْآنِيَّةُ فِي ضَوْءِ لِسَانِيَّاتِ النَّصِّ)، فَقَدْ رَأَيْتُ فِيهِ فِكْرَةً تَسْتَحِقُّ الْبَحْثَ وَالتَّطْوِيرَ وَالتَّنْظِيرَ طَالَمَا أَنَّ الْبَحْثَ الْعِلْمِيَّ تَطْوِيرٌ وَبِنَاءٌ وَاجْتِهَادٌ، بَيِّدَ أَنَّهُ سَيَدُورُ فِي فُلْكِ عِلْمِ الْمُصْطَلَحِ وَقَضَايَاهُ وَإِشْكَالِيَّاتِهِ.

وَيُمْكِنُ لِلْبَاحِثِ الْمُنْعِمِ النَّظَرَ اسْتِجْلَاءَ فِكْرَةِ هَذَا الْبَحْثِ بَعْدَ قِرَاءَةِ مُتَأَنِّيَةٍ لِلْمُورُوثِ النَّحْوِيِّ لِيَتَلَمَّسَ اخْتِلَافَ الرُّؤْيَى بَيْنَ الدَّارِسِينَ فِي مَفْهُومِهِ الْإِصْطِلَاحِيِّ.

وَأَنْطِلَاقًا مِنْ عَدَمِ وَضُوحِ الرُّؤْيَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ لِلْمَفْهُومِ الْإِصْطِلَاحِيِّ النَّحْوِيِّ الْقُرْآنِيِّ، وَتَبَايُنِ نَظَرَاتِ الْبَاحِثِينَ فِي رُؤْيَةٍ مَفْهُومِيَّةٍ مُضْطَبَّطَةٍ وَدَقِيقَةٍ لِلْمُصْطَلَحِ سَيَتَحَرَّى الْبَحْثُ اهْتِمَامَ النَّحَاةِ الْقُدَامَى فِي الدَّرْسِ الْإِصْطِلَاحِيِّ النَّحْوِيِّ فِي وُرُودِ مُصْطَلَحِ (النُّحُو الْقُرْآنِيَّةِ)، وَتَعَاظِفِهِمْ عَلَى مَفَاهِيمِهِ وَأُصُولِهِ وَعِلَاقَاتِهِ، وَالْإِصْطِلَاحَاتِ الْأُخْرَى الْمُرَادِفَةِ لَهُ.

ويكشف البحث أيضًا عن جهود المُحدثين في الدرس الاصطلاحيّ المعاصر، ومعايير الاصطلاحاتِ وُصولًا إلى تقديم مُقترحٍ يُقلّص وُجوه الاختلاف، ويحدّ من مظاهر تشتت المفاهيم الاصطلاحية وغموضها.

مفهوم المصطلح وإشكالياته

تُعد المصطلحات مفاتيح العلوم، والأسس التي تقوم عليها العلوم والمعارف والتقنيات الحديثة؛ كونها تحمل مفاهيمًا مُحددة ودقيقةً لتدلّ على ما اتفقت واصطلحت عليه الجماعات المختصة من أهل الاختصاص بانتقال الألفاظ من الاستعمال اللغوي إلى الاستعمال الاصطلاحيّ للدلالة على معانٍ ومفاهيم واستعمالاتٍ جديدةٍ.

ويُشار إلى المصطلح بلفظين هما: (الاصطلاح) و (المصطلح)، أولهما مصدر من الفعل (اضطّح)، والآخر اسم مفعولٍ مِنْهُ، وقد استُعْمِلَت صيغة المصدر؛ للدلالة على المراد باسم المفعول بالألفاظ التي تمّ التعارف عليها بين طائفةٍ مُعينةٍ لدلالةٍ مخصصةٍ.

ولم يرد ذكر لفظ (الاصطلاح) في معاجم اللغة العربية إلا بمعنى (الصلح) نقيض الفساد، ومنها: لسان العرب لابن منظور (ت ٦٥٠هـ) وكلّ ما ورد في بابه هو فعل (اضطّحوا) وذلك في قوله: " والصلح: تصالّح القوم بينهم، والصلح: السلم، وقد اضطّحوا وصالّحوا وأصلّحوا وتصالّحوا واصلّحوا، مشددة الصاد، قلبوا التاء صادًا وأدغموها في الصاد بمعنى واحد..."^(١). وفي تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) كلّ ما ورد في هذا الباب قوله: "واضطّحًا واصلّحًا مشددة الصاد، قلبوا التاء صادًا وأدغموها في الصاد، وتصالّحًا، واصلّحًا بالتاء بدل الطاء، كل ذلك بمعنى واحد..."^(٢).

وَمِنْ ذَلِكَ يَظْهَرُ أَنَّ الْمَعْنَى الْمُتَوَاضِعَ عَلَيْهِ فِي الْمَعَاجِمِ الْقَدِيمَةِ هُوَ الْإِتْفَاقُ وَالتَّوْفَاقُ، وَاصْطِلَاحُ الْقَوْمِ: تَصَالَحُوا، بِمَعْنَى وَقَعَ بَيْنَهُمْ صُلْحٌ، وَأَفَادَتِ النَّاءُ مَعْنَى التَّشَارُكِ وَالِاشْتِرَاكِ.

وَتَرَبُّطُ التَّعْرِيفَاتِ السَّابِقَةِ بَيْنَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيِّ وَالْإِصْطِلَاحِيِّ وَهُوَ (التَّوَاضِعُ وَالْإِتْفَاقُ).

فَالْإِصْطِلَاحُ فِي اللُّغَةِ: التَّوَاضُّعُ وَالْإِتْفَاقُ عَلَى مَعْرُوفٍ، وَالْإِتْفَاقُ هُنَا مَأْخُودٌ مِنْ دَلَالَةِ السَّلَمِ، وَأَمَّا مَعْنَى الْمَعْرُوفِ فَمَأْخُودٌ مِنْ نَقِيضِ الْفَسَادِ. وَعَلَيْهِ يَكُونُ الْإِصْطِلَاحُ (إِتْفَاقٌ عَلَى مَعْرُوفٍ وَتَوَاضُّعٌ عَلَيْهِ لَذَا جَاءَ تَعْرِيفُ الْإِصْطِلَاحِ فِي الْعُرْفِ اللَّغَوِيِّ عَلَى أَنَّهُ " إِتْفَاقٌ طَائِفَةٌ مَخْصُوصَةٌ عَلَى أَمْرٍ مَخْصُوصٍ ")^(٣).

أَمَّا فِي الْعُرْفِ الْإِصْطِلَاحِيِّ:

ذَكَرَ الشَّرِيفُ الْجُرْجَانِيُّ (ت ٨١٦ هـ) أَكْثَرَ مِنْ تَعْرِيفٍ لِلْإِصْطِلَاحِ _ وَفِيهَا نَظَرُ _ مِنْهَا: "الْإِصْطِلَاحُ إِخْرَاجُ اللَّفْظِ مِنْ مَعْنَى لُغَوِيٍّ إِلَى آخَرٍ لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَهُمَا، وَقِيلَ: الْإِصْطِلَاحُ: إِتْفَاقٌ طَائِفَةٌ عَلَى وَضْعِ اللَّفْظِ بِإِزَاءِ الْمَعْنَى، وَقِيلَ الْإِصْطِلَاحُ: إِخْرَاجُ الشَّيْءِ عَنْ مَعْنَى لُغَوِيٍّ إِلَى مَعْنَى آخَرٍ لِبَيَانِ الْمُرَادِ، وَقِيلَ الْإِصْطِلَاحُ: لَفْظٌ مُعَيَّنٌ بَيْنَ قَوْمٍ مُعَيَّنِينَ" ^(٤).

فِي التَّعْرِيفِ الْأَوَّلِ تَنْصَحُ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيِّ وَالْإِصْطِلَاحِيِّ؛ وَيَكُونُ التَّوَاضُّعُ عَلَيْهِمَا لِعِلَاقَةٍ أَوْ مُشَارَكَةٍ أَوْ مُنَاسَبَةٍ. وَيُشِيرُ الْإِتْفَاقُ هُنَا إِلَى انْتِقَالِ اللَّفْظَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى جَدِيدٍ غَيْرِ الْمَعْنَى اللَّغَوِيِّ السَّابِقِ.

وَيُشِيرُ التَّعْرِيفُ الثَّانِي إِلَى الْإِتْفَاقِ الْعُرْفِيِّ بَيْنَ الْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى اللَّفْظِ الْإِصْطِلَاحِيِّ، أَمَّا فِي التَّعْرِيفِ الثَّالِثِ فَقَدْ لَا يَسْتَقِيمُ أَحْيَانًا انْتِقَالُ الدَّلَالَةِ مِنَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيِّ السَّابِقِ إِلَى دَلَالَةِ إِصْطِلَاحِيَّةٍ جَدِيدَةٍ، بَلْ تَبْقَى الْعِلَاقَةُ قَائِمَةً فِي مَا بَيْنَهُمَا.

وتابع الكفوي (ت ١٦٨٣هـ) الجرجاني في أن " الاصطلاح: هو اتفاق القوم على وضع الشيء، وقيل إخراج الشيء عن المعنى اللغوي إلى معنى آخر لبيان المراد،.... ويستخدم الاصطلاح غالباً في العلم الذي تحصل معلوماته بالنظر والاستدلال "(٥) وهنا يُشير الى التواضع والتعارف على الشيء وانحرافه لمعنى دلالي آخر الذي غالباً ما يصدق على العلوم الفلسفية والمنطقية التي تتحصل بالنظر والاستدلال.

أما عند المحدثين فقد عرّف المصطلح بأن " الكلمة الاصطلاحية، أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد، أو عبارة مركبة استقر معناها، أو بالأحرى استخدامها، وحُدِّد في وضوح، وهو تعبير خاص ضيق في دلالاته المتخصصة، واضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى ويرد دائماً في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرعي محدّد فيتحقق بذلك وضوحه الضروري". (٦)

وعليه فإنّ المصطلح أو الاصطلاح يدلّ على اتفاق أصحاب تخصّص ما على استعماله للتعبير عن مفهوم علمي محدّد في وضع عرفي خاص .

وأكدت الدراسات الحديثة شيوع لفظي (الاصطلاح) و (المصطلح) في الموروث العلمي العربي الإسلامي (٧). وقد أضحت المصطلحية من أهم مباحث اللسانيات في العصر الحديث "إن المصطلحية لم تتحول إلى مبحثٍ لسانی يُعالج الأسس النظرية والتطبيقية إلا في القرن العشرين" (٨)، وتطور المصطلح إلى علمٍ مُستقل يُعرف بـ (علم المصطلحات) وهو " العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تُعبّر عنها " (٩).

ومما أسهم في نشأة علم المصطلحات " التطور السريع في العلوم والتكنولوجيا الذي أدى إلى زيادة عدد المفاهيم التي لا تتسع لها الألفاظ اللغوية، وكان لابد من وسائل علمية تُنظّم عملية وضع المصطلحات التي تُعبّر عن المفاهيم بدقة" (١٠).

وَتَتِمُّنَّ الوُضُوفَةُ الْأَسَاسِيَّةُ لِهَذَا الْعِلْمِ "فِي دَرَسَتِهِ الْأَنْظُمَةُ الْمَفَاهِيمِيَّةُ وَالْعِلَاقَةُ الَّتِي تَرْتَبِطُهَا دَاخِلُ حَقْلٍ مَعْرِفِيٍّ مُعَيَّنٍ بِضَبْطٍ دَقِيقٍ لِلْمَفَاهِيمِ وَالذَّلَالَاتِ، وَجَرِدَ مُسْتَقْبِضٌ لِلْأَلْفَاظِ الْحَامِلَةِ لَهَا قَصْدٌ إِيجَادُ الْمُقَابَلَاتِ الْمُلَائِمَةِ لَهَا مِنْ حَيْثُ الشَّكْلُ وَالْمَضْمُونُ بِاحْتِرَامٍ صَارِمٍ لِلْمَقَايِيسِ اللُّغَوِيَّةِ الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهَا وَالْمَعْمُولِ بِهَا".^(١١)

وَيَشْتَرِكُ فِي تَخْصِيلِ هَذَا الْعِلْمِ عُلُومٌ كَثُرَ " فَهُوَ عِلْمٌ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ اللَّسَانِيَّاتِ وَالْمَنْطِقِ وَعِلْمٌ الْوُجُودِ وَالْإِعْلَامِيَّةِ وَحَقُولُ التَّخْصُّصِ الْعِلْمِيِّ " ^(١٢).

وَمِنْ ذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ عِلْمَ الْمُصْطَلَحِ عِلْمٌ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ عُلُومِ اللُّغَةِ، وَالْمَنْطِقِ، وَالْوُجُودِ، وَالْمَعْرِفَةِ، وَالنَّصْنِيفِ، وَالْإِعْلَامِيَّاتِ، وَالْمَوْضُوعَاتِ الْمُتَخَصِّصَةِ. فَكُلُّ هَذِهِ الْعُلُومِ تَتَنَاقَلُ فِي جَانِبٍ مِنْ جَوَانِبِهَا التَّنْظِيمِ الشَّكْلِيِّ لِلْعِلَاقَةِ الْمُعْقَدَةِ بَيْنَ الْمَفْهُومِ وَالْمُصْطَلَحِ. وَهَذَا الْعِلْمُ قَوِيٌّ بِصِلَتِهِ وَعِلَاقَتِهِ الْمَتِينَةِ بِالْعُلُومِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَلَوْلَا هَذَا التَّلَاقُحُ بَيْنَ الْعُلُومِ لَمَا حَقَّقَ عِلْمُ الْمُصْطَلَحِ نَتَاجَ عِلْمِيَّةٍ دَقِيقَةٍ.

إِشْكَالِيَّةُ الْمُصْطَلَحِ:

أَثَارَ الْبَحْثِ اللَّسَانِيِّ الْمُعَاوِرِ إِشْكَالِيَّاتٍ فِي عِلْمِ الْمُصْطَلَحِ (وَلَنْ يَقِفَ عَلَيْهِ الْبَحْثُ كَثِيرًا كِي لَا يَنْأَى عَنْ غَايَتِهِ) وَمِنْهَا: تَوْحِيدُ الْمُصْطَلَحِ، وَتَعَدُّدُهُ، وَازْدَوَاجِيَّتُهُ، وَالْإِفْتِقَادُ إِلَى مُدَوَّنَةٍ مُصْطَلَحِيَّةٍ.. ^(١٣) وَيَرَى يُوسُفُ الْجَوَارِنَةُ أَنَّ انْسِجَامَ الْأُمَمِ فِي التَّفْكِيرِ وَتَوْحِيدَ ثِقَافَاتِهَا نَاجِعٌ مِنْ تَوْحِيدِ سِيَاسَاتِهَا الْمُنْسَجِمَةِ مَعَ مَنَهِجِ تَفْكِيرِ شُعُوبِهَا. ^(١٤)

إِشْكَالِيَّةُ تَرْجُمَةِ مُصْطَلَحِ (النَحْوِ الْقُرْآنِيِّ)

تُعَدُّ إِشْكَالِيَّةُ تَرْجُمَةِ الْمُصْطَلَحِ مِنَ الْمَشْكَلَاتِ الْكَبِيرَةِ الَّتِي تُتَرَجَّمُ الْمَفْهُومُ، أَوْ تَقِفُ خَلْفَ النَّصِّ؛ ذَلِكَ أَنَّ هُنَاكَ عَنَاصِرًا تَتَحَكَّمُ فِي تَكْوِينِ الْمَفْهُومِ وَتَصْوِيرِهِ مِنْهَا: نَوْعِيَّةُ النَّصِّ، وَحَاجَاتُ الْقَارِئِ الثَّقَافِيَّةِ، وَمَكَانَةُ الْعُنْصَرِ فِي الْمُجْتَمَعِ وَبِنَاءُ الثَّقَافِيِّ وَالْاِقْتِسَادِيِّ. ^(١٥)

فالمعنى اللغوي يبقى قاصراً عن تأدية معاني المفهوم.^(١٦) وإن مسألة مقابلة المصطلح المترجم بما يحمله من مفاهيم، ومدلولات لغوية ومعنوية مهمة شاقة، وليست يسيرة؛ نظراً لما تنسجم به لغتنا العربية من تعدد دلالات المفردة اللغوية الواحدة المرتبطة بالاستعمال، يقول الدكتور صبحي الصالح " والقاعدة العامة في فقه اللغات بوجه عام أن الكلمة الواحدة تُعطي من المعاني والدلالات بقدر ما يُتاح لها من الاستعمالات؛ لأن كثرة الاستعمال لابد أن تخلق كلمات جديدة تُلبى بها مطالب الحياة والأخياء " (١٧).

وانعكست هذه الإشكالية في ترجمة مصطلح (النحو القرآني) بما يقابل مضمون المفهوم الدقيق ، والصعوبة في إيجاد المصطلح الأمثل لما يُشير إليه المصطلح ويُحيل إليه من مفاهيم، وتصورات وأفكار دقيقة، والتأكيد على المشاركة والمناسبة بين الدلالة اللغوية، والدلالة الاصطلاحية.

وترجم مصطلح النحو القرآني تحت مصطلحين:

أ- ("The Term "Quranic Syntax")

(the system of rules for the structure of sentence)

أي علم النحو. أو قواعد تركيب الجمل...^(١٨).

ويشير المصطلح إلى العلم الذي يدرس قواعد تركيب الجمل القرآنية وأساليب بنائها.

وهذا ما رجحته تناسباً مع مفهوم المصطلح، ولدقته في تمثيل مفهوم المصطلح النحوي القرآني الذي يُشير إلى العلاقات التي تربط الجمل من حذف، وذكر، وتقديم وتأخير، وهو ما سنبينه لاحقاً.

إن ترجمة المصطلح بهذا المفهوم تدل دلالة واضحة ومباشرة على الفكر الذي تُحيل إليه.

ب- "The Term "Quranic grammar" (The rules of language for forming words or joining words together in sentences))

أَيُّ عِلْمٍ قَوَاعِدُ اللُّغَةِ: وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يَدْرُسُ قَوَاعِدَ اللُّغَةِ، وَأَنْظِمَةَ الرِّبْطِ بَيْنَ الْكَلِمَاتِ فِي الْجُمْلِ " (١٩).

وهو في رأيي ترجمة لمُصْطَلَحٍ عَامٍ؛ لِأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ كُلَّ قَوَاعِدِ اللُّغَةِ.

مُصْطَلَحُ النُّحُو الْقُرْآنِيَّ - (النُّحُو الْقُرْآنِيَّ) مَفْهُومًا

تَأْسِيسُ الْمَفْهُومِ الْإِصْطِلَاحِيِّ:

مِنْ الْجَدِيرِ بِالْقَوْلِ وَالذِّكْرِ أَنَّ تَأْسِيسَ مَفْهُومِ مُصْطَلَحِ (النُّحُو الْقُرْآنِيَّ) قَدْ تَكَفَّلَتْ بِهِ دِرَاسَةٌ سَابِقَةٌ وَهِيَ (النُّحُو الْقُرْآنِيَّ فِي ضَوْءِ لِسَانِيَّاتِ النَّصِّ) بَحَثٌ أَصُولُ نَشْأَتِهِ التَّأْرِيخِيَّةُ وَالْفِكْرِيَّةُ، إِلَّا أَنَّهَا تَتَاوَلَّتْهُ مِنْ وَجْهَةِ الْبَحْثِ التَّأْرِيخِيَّةِ وَلَيْسَتْ الْإِصْطِلَاحِيَّةُ، وَهُوَ مَا سَنُحَاوِلُ إِفْرَادَهُ وَبَيَانَهُ وَتَوْسِيعَ الْمَقَالَ فِي هَذَا الْبَحْثِ، وَأَنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ اعْتَذِرُ لِلْقَارِئِ الْمُنْتَبِعِ وَالْمُنْصِفِ مِنْ زَلِّ التَّكَرَّرِ فِي بَعْضِ النُّصُوصِ وَالْإِشَارَاتِ الَّتِي سَيَرِدُ فِي مَحْوَرِ تَأْسِيسِ الْمَفْهُومِ، وَإِنْتِاجِ الْمُصْطَلَحِ وَصِنَاعَتِهِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ. فَمَا أَشْقَاهَا مِنْ مَوْنَةٍ !!! لَكِنْ تَتَوَعَّ مَقَامَ الذِّكْرِ، وَاخْتِلَافِ الْمَقَاصِدِ كَانَ غَايَةَ الْإِسْتِدْلَالِ بِهَا وَاعْتِمَادِهَا؛ كَوْنَهَا لَبِنَةً الْبِنَاءِ الَّذِي بُنِيَ عَلَيْهِ الْمَحَاوِرُ الْلاحِقَةُ مِنَ الْبَحْثِ وَالْكَاشِفَةُ عَنِ الْمُصْطَلَحِ.

ظَهَرَتْ فِي السَّنَوَاتِ الْأَخِيرَةِ دِرَاسَاتٌ تَحْمِلُ مُصْطَلَحَ (النُّحُو الْقُرْآنِيَّ) (٢٠)، وَمُصْطَلَحَ (نَحْوِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) (٢١)، وَمُصْطَلَحَ (نَحْوِ النَّصِّ الْقُرْآنِيَّ) (٢٢). وَقَدْ مَهَّدَتْ لِظُهُورِ الْمُصْطَلَحِ وَتَطَوُّرِهِ جِمْلَةً مِنَ الْمَقَاهِيمِ، كَشَفَتْ عَنِ تَطَوُّرِ الْمُصْطَلَحِ مِنْ مَبْدَأِ اسْتِعْمَالِهِ وَالْكِيفِيَّةِ الَّتِي نَشَأَ عَلَيْهَا، وَحَتَّى شُيُوعِهِ بَيْنَ الْمُحَدِّثِينَ؛

إِذْ " لَمْ يَكُنْ مُصْطَلَحُ النُّحُو الْقُرْآنِيَّ، أَوْ نَحْوِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ دَقِيقًا فِيمَا يُرَادُ بِهِ، أَوْ وَاضِحًا فِي الْفَهْمِ لَدَى الْبَاحِثِينَ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كَثْرَةِ مَا كُتِبَ فِيهِ ظَلَّ مُصْطَلَحًا تَتَجَادَبُهُ

تفسيرات كثيرة تتبّع من قراءات متباينة في التراث النحوي، فلم يرد هذا المصطلح عند النحويين الأوائل بل كان مصطلح النحو عندهم عامًّا غير مخصوصٍ في نحو من الأنحاء التي عُرفت في العصر الحديث كنحو التيسير، ونحو التجديد، والنحو الشكلي، ونحو النص، والنحو القرآني" (٢٣).

والنحاة القدماء هم أول من أسس لهذا المصطلح إلا أنه لم يتضح لديهم بصفته الاصطلاحية، بل شاع بطابعه المفاهيمي: "إن مصطلح النحو القرآني كان معروفًا في الدراسات النحوية القديمة ضمناً لا تصريحاً، وقد عُرف اصطلاحاً في العصر الحديث بـ (نحو القرآن)، أو (النحو القرآني) بعد أن استقر فهمه عند القدماء، فأسسوا له، ووضعوا أصوله وقواعده. وقد حدّثت المنطلقات التأسيسية في التفكير النحوي القرآني معالم هذا النحو وأصوله وقواعده انطلاقاً من الإيمان المطلق بالقرآن الكريم، وخصوصية الاستعمال القرآني" (٢٤).

ومن المفاهيم النحوية القرآنية التي تعرّف عليها النحاة القدماء وأسسوا لها، ومن ثم اعتمدوها أسساً مهمة في تقرير الأحكام النحوية، واستنباط القواعد النحوية القرآنية اعتمادهم قرينة علم المخاطب بالمعنى في الحذف بناءً على التواضع العرفي بين المخاطب والمتكلم، قال سيبويه (ت ١٨٠هـ): "ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقُرْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِمْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾ (٢٥) إنما يُريد: أهل القرية، فأختصر، وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ها هنا. ومثله ﴿بَلْ مَكْرٌ آتِيلٍ وَالنَّهَارِ﴾ (٢٦) وإنما المعنى: بل مكركم في الليل والنهار.

وقال عز وجل: ﴿وَلَكِنَّ الْإِلَهَ مِنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (٢٧) وإنما هو: ولكن البرُّ برُّ من آمن بالله واليوم الآخر. ومثله في الاتساع قوله عز وجل: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ (٢٨) فلم يُشبهوا بما ينعق، وإنما شُبهوا بالمنعوق به. وإنما

الْمَعْنَى: مَثَلُكَ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ النَّاقِ وَالْمَنْعُوقِ بِهِ الَّذِي لَا يَسْمَعُ. وَلَكِنَّهُ جَاءَ عَلَى سِعَةِ الْكَلَامِ وَالْإِيجَازِ؛ لِعِلْمِ الْمُخَاطَبِ بِالْمَعْنَى^(٢٩).

وَتَنَبَّهَ الْقُدَامَى إِلَى عَامِلِ الْقَصْدِ فِي ظَاهِرَةِ الْحَذْفِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَمَا جَرَوْا عَلَيْهِ مِنْ (حَذْفِ الْاِقْتِصَارِ) لَا يُعَدُّ حَذْفًا^(٣٠)؛ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَنْمَاطَ مِنَ الْأَسَالِيبِ قَدْ يُقْتَصَّرُ فِيهَا عَلَى الْحَدَثِ، أَوْ صَاحِبِهِ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةِ الْمَفْعُولِ، وَإِنَّمَا بِحَسَبِ الْحَاجَةِ، وَمَقَاصِدِ الْمُتَكَلِّمِ وَأَعْرَاضِهِ، فَقَدْ يُقْصَدُ مُجَرَّدُ الْإِخْبَارِ بِالْحَدَثِ مُجَرَّدًا عَنْ ذِكْرِ فَاعِلِهِ وَمَفْعُولِهِ وَتَكْتَفِي الْجُمْلَةُ بِمَا ذُكِرَ، وَقَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ الْإِخْبَارُ بِالْحَدَثِ مَنْسُوبًا إِلَى فَاعِلِهِ، أَوْ إِبْرَازِ الصِّفَةِ وَإِظْهَارِهَا. قَالَ الْجُرْجَانِي (ت ٤٧١ هـ) " إِنْ أَغْرَضَ النَّاسَ تَخْتَلَفُ فِي ذِكْرِ الْأَفْعَالِ الْمُتَعَدِّيَةِ، فَهُمْ يَذْكُرُونَهَا تَارَةً وَمُرَادُهُمْ أَنْ يُقْتَصِرُوا عَلَى إِثْبَاتِ الْمَعَانِي الَّتِي اسْتَقْبَلَتْ مِنْهَا لِلْفَاعِلِينَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَرَّضُوا لَذِكْرِ الْمَفْعُولِينَ..... وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَمْلِكُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٣١) الْمَعْنَى هَلْ يَسْتَوِي مَنْ لَهُ عِلْمٌ، وَمَنْ لَا عِلْمَ لَهُ ؟ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُقْصَدَ النَّصُّ عَلَى مَعْلُومٍ، وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾^(٣٢) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا^(٣٣) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى^(٣٤) مِنْ تُطْفَأَ إِذَا تَمَّتْ^(٣٥) وَأَنَّهُ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْأُخْرَى^(٣٦) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى^(٣٧) الْمَعْنَى: هُوَ الَّذِي مِنَ الْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ وَالْإِغْنَاءِ وَالْإِقْنَاءِ. وَهَكَذَا كُلُّ مَوْضِعٍ كَانَ الْقَصْدُ فِيهِ أَنْ يَتَّبَعَ الْمَعْنَى فِي نَفْسِهِ فِعْلًا لِلشَّيْءِ، وَأَنْ يُخْبَرَ بِأَنْ مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ، أَوْ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْهُ فَإِنَّ الْفِعْلَ لَا يُعَدَّى هُنَاكَ؛ لِأَنَّ تَعْدِيَّتَهُ تَنْقُصُ الْعَرَضَ، وَتُغَيِّرُ الْمَعْنَى^(٣٨).

وَنَظَرَ النُّحَاةَ إِلَى النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ نَظْرَةً كَلِمِيَّةً نَصِيَّةً مُتْرَابِطَةً فَرَاغُوا عَنَّا عِنَاصِرَ اتِّصَالِ الْكَلَامِ أَوَّلَهُ بِآخِرِهِ، وَرَبِطُوهَا بِالْحُكْمِ الْإِعْرَابِيِّ نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَجِيئُكَ أَوَّلِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ﴾^(٣٩) وَقُرِئَتْ الْآيَةُ بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ، وَاخْتِلَافُ الْقِرَاءَةِ بِالنَّصْبِ عَلَى تَأْوِيلِ اتِّصَالِ الْكَلَامِ وَعَلَاقَتِهِ بِمَا قَبْلَهُ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّحَّاسُ (ت ٣٣٨ هـ)

"(والطير) بالرفع قراءة الأعرج وأبي عبد الرحمن، والرفع من جهتين: إحداهما على العطف على (جبال)، والأخرى على العطف على المضمر الذي في (أوبي)، وحسن ذلك؛ لأنَّ بعده (معَه)، والنصب عند أبي عمرو بن العلاء بمعنى (وسخرنا له الطير)" (٣٥).

ونبهوا إلى قرائن المقام وأحوالها في الكشف عن الوحدة الدلالية النصية القرآنية وتوظيفها في أحكامهم، وأثر البيئة الاجتماعية والمقام في إنتاج المفهوم. ومنها إشارة سيبويه وتفرقه بين دلالاتي الدعاء الصادر عن الخلق والخالق، مستندًا إلى القرينة العقلية قال: "وأما قوله تعالى ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِالْمُكْذِبِينَ﴾ (٣٦)، و﴿وَلْيَلْمُظْفِفِينَ﴾ (٣٧)، فإنه لا ينبغي أن تقول إنه دعاء ههنا؛ لأنَّ الكلام بذلك قبيح، واللفظ به قبيح، ولكنَّ العباد كلَّموا بكلامهم، وجاء القرآن على لغتهم وعلى ما يعنون، فكأنَّه والله أعلم قيل لهم: ويل للمظففين، وويل للمكذبين، أي هؤلاء ممن وجب هذا القول لهم، لأنَّ هذا الكلام إنما يقال لصاحب الشر والهلكة، فقيل: هؤلاء ممن دخل في الشر والهلكة ووجب لهم هذا. ومثله قوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٣٨). ومثله ﴿فَنَالَهُمُ اللَّهُ أَنْفَ يُؤَفِّكُوكَ﴾ (٣٩)، فإنَّما أُجْري هذا على كلام العباد وبه أنزل القرآن (٤٠).

وكان أول من نبه إلى الأسس المنهجية للفكر النحوي القرآني ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ) في القرن السادس الهجري، فكانت دعوته الصريحة والمعلنة من أولى الدعوات الداعية إلى اعتماد هذا النحو وتيسيره للدارسين، أما أهم الأفكار التي دعا إليها والتي تُعدُّ من صلب الفكر النحوي القرآني هي:

١- إلغاء نظرية العامل (٤١)، وثورته على المحذوفات في القرآن الكريم (٤٢)؛ ذلك أنَّ تمسك النحاة بنظرية العامل والمعمول قادهم إلى التأكيد في محذوفات ومضمرات لم يقصد إليها العرب في نطقهم؛ لأنَّهم كانوا يتكلمونها بداهة وإيجازًا واختصارًا

لِعَلْمِهِمْ بِهَا. وَإِنْ رَفَضَهُ لِلتَّقْدِيرَاتِ وَالتَّأْوِيلَاتِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ قَادَهُ إِلَى إِنكَارِ الزِّيَادَةِ فِيهِ^(٤٣).

٢- إلْغَاءُ الْعِلَلِ النَّوَانِي وَالنَّوَالِثِ^(٤٤).

٣- إلْغَاءُ الْأَقْيَسَةِ وَالتَّمَارِينِ غَيْرِ الْعَمَلِيَّةِ^(٤٥).

وَمِمَّا تَجَدَّرُ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ أَنَّ صُورَةَ الْمَفْهُومِ النَّحْوِيِّ الْقُرْآنِيِّ عَبْرَ مَسِيرَتِهِ الطَّوِيلَةِ، وَحَتَّى الْقَرْنَ السَّابِعَ الْهَجْرِيَّ عَلَى يَدِ ابْنِ هِشَامٍ (ت ٧٦١هـ) لَمْ تَتَضَحْ لَدَى الدَّارِسِينَ لاختلاطها بمفهومٍ آخَرَ وَهُوَ (النُّحُو غَيْرُ الْقُرْآنِيِّ) مِمَّا يُؤْدِي إِلَى إِشْكَالِيَّةٍ فِي الْفَهْمِ، فَمَفْهُومُ النُّحُو الْقُرْآنِيِّ " لَمْ يَتَّخِذْ صُورَةً مُسْتَقِلَّةً فِي أَذْهَانِ الدَّارِسِينَ، بَلْ جَاءَتْ صُورَةُ النُّحُو الْقُرْآنِيِّ مُخْتَلِطَةً وَمُتَدَاخِلَةً مَعَ النُّحُو بِمَفْهُومِهِ الْوَاسِعِ وَالشَّامِلِ (النُّحُو غَيْرُ الْقُرْآنِيِّ)، كَمَا اتَّضَحَ وَجُودَ أَوْجِهَ التَّشَابُهِ وَالْاِخْتِلَافِ بَيْنَ النَّحْوَيْنِ، وَكَوْنَتْ مَظَاهِرُ الْاِفْتِرَاقِ بَيْنَهُمَا أَهَمَّ مَقَوِّمَاتِ النُّحُو الْقُرْآنِيِّ " ^(٤٦).

مِمَّا تَقَدَّمَ نَجِدُ أَنَّ دَرَسَةَ النُّحَاةِ الْقُدَامَى لِلنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ كَانَتْ دَرَسَةً دَقِيقَةً فِي ضَوْءِ مَفَاهِيمٍ مَعْنَوِيَّةٍ وَفِكْرِيَّةٍ وَنَصِيَّةٍ مُتَعَارَفٍ عَلَيْهَا كَوْنَتْ فِيهَا بَعْدَ الْأُسُسِ النَّحْوِيَّةِ وَالنَّصِيَّةِ لِاصْطِلَاحِ النُّحُو الْقُرْآنِيِّ.

(النُّحُو الْقُرْآنِيَّةُ) اصْطِلَاحًا

إِنْتِاجُ الْمُصْطَلَحِ وَصِنَاعَتُهُ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ

وَجَدْتُ مِنْ خِلَالِ دِرَاسَتِي السَّابِقَةِ لِلْمُوروثِ النَّحْوِيِّ وَتَتَبُّعِي لِسَيْرورةِ هَذَا الْمُصْطَلَحِ وَرُودِ مُصْطَلَحِ (النُّحُو الْقُرْآنِيِّ) عِنْدَ الدَّارِسِينَ الْمُحَدِّثِينَ، وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ (اصْطِلَاحًا)، وَقُسِمَتْ الدِّرَاسَاتُ النَّحْوِيَّةُ الْمُعَاصِرَةُ الَّتِي وَجَّهْتُ أَنْظَارَ الدَّارِسِينَ إِلَيْهِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ^(٤٧):

١- دراسات نحويّة مُستقلّة كاشفة عن المفهوم والاصطلاح:

كان أول مَنْ أشارَ إلى المصطلح عبد العال مكرم في (القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحويّة ١٩٦٥)؛ إذ أفرد الباب الثاني (النحو القرآني)^(٤٨).

ويُشيرُ مُصطلح النحو القرآنيّ مفهومًا إلى القواعد النحويّة المتأثّرة بالقرآن الكريم وقراءاته المتعدّدة أو المُستنبطة منه، فالْمَقْصود من النحو القرآنيّ "أنّ القرآن الكريم قامت على أساسه قواعد، وبُنيت على نهجِه أصولٌ سواء أكانَ معه شواهد أخرى تدعّم هذه القواعد أم لم تكن؟ وسواء أكانت هذه الأصول تتفق مع أصول النحاة أم لا تتفق؟ ذلك؛ لأنّ القرآن الكريم بقراءاته المختلفة أغنى قواعد النحو وزاد من قيمتها وأمدّها بأمتن القواعد وأحسن الأساليب" ^(٤٩).

وإنّ هذا النحو يُراعي الذوق البلاغيّ يقول: "إنّ النحو القرآنيّ يقوم على حسن النظم، ومِثانة التراكيب، وقُوّة الصياغة، فيجب إذا نظرنا إلى النحو القرآنيّ أن ننظر إليه في مرآة البلاغة والبيان" ^(٥٠).

وقد شاع في سبعينيّات القرن الماضي إلى جنب مُصطلح (النحو القرآنيّ) مُصطلح (نحو القرآن الكريم)، وقد استعملهما مترادفين الدكتور أحمد عبد الستار الجوّاري في (نحو القرآن / ١٩٧٤م). وتطوّر مفهوم المُصطلح عند الجوّاري تطوّرًا كبيرًا يتمثّل في اتّضح الأسس الفكريّة المحدّدة لهذا النحو؛ إذ حدّدت هذه الدراسة لأول مرّة المفاهيم الفكريّة والمعنويّة لـ (نحو القرآن) وهي أسس معنويّة وفكريّة اعتمدت النصّ القرآني، و مراعاة معاني النحو، وقرائن المعنى والسّياق، والجوانب الفنيّة لمنشئ الكلام ومُتلقيه، وهذه الأسس الجوهريّة تصبّ في صلب مفهوم النحو القرآنيّ وتتحكّم فيه. ^(٥١).

ورفض التّفسيرات التي تمسك بها النحاة التي تُذهب بالمعنى المقصود في حذف المُبتدأ أو الخبر، ورَجَح مبدأ الاكتفاء بالاسم المرفوع العُمدة في العبارة القرآنيّة في صور كثيرة... كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ ^(٥٢)،

﴿بَلَدٌ طَيِّبٌ وَرَبُّ غَفُورٌ﴾^(٥٣) و﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْنِهِ مِّنْ رَبِّهِ، وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾^(٥٤)، و﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِي وَلَكَ﴾^(٥٥).

وَقَدْ اسْتَنْبَطَ حَقِيقَتَيْنِ مَعْنَوِيَتَيْنِ حَدَّدَهُمَا الْأُسْلُوبُ الْقُرْآنِيُّ الْمَخْصُوصُ، وَسَيَأْتِي النَّصُّ:

- ١- "إِنَّ بَعْضَ الْأَسْمَاءِ الَّتِي يُؤْتَى بِهَا فِي حَالَةِ الْإِسْنَادِ تَكُونُ مَشْحُونَةً بِالْمَعْنَى، وَالْإِيحَاءُ بَحِثٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى مَا يُوضِّحُهَا، أَوْ يَصِفُهَا، أَوْ يُسَنِّدُ إِلَيْهَا.
- ٢- الْاِكْتِفَاءُ بِمُجْمَلٍ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ مِنْ مَعْنَى الْوَصْفِ، وَالْإِسْنَادُ دُونَ تَقْيِيدٍ بِوُرُودِ لَفْظٍ يُشَارُ إِلَيْهِ بِضَمِيرٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ"^(٥٦).

وَارْتَقَى مَفْهُومُ النُّحُو الْقُرْآنِيَّةِ نَحْوَ التَّأْسِيسِ وَالتَّنْظِيرِ عَلَى يَدِ الدُّكْتُورِ أَحْمَدَ مَكِّي الْأَنْصَارِيِّ فِي كِتَابِهِ (نَظَرِيَّةُ النُّحُو الْقُرْآنِيَّةِ / ١٩٨٥م)، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ نَظَرَ لِهَذَا الْمُصْطَلَحِ، وَوَضَعَهُ فِي إِطَارِ نَظَرِيَّةٍ لَهَا مُقَوِّمَاتٌ وَمُرْتَكزَاتٌ، وَتَتَّبَعَ نَشْأَتَهَا وَتَطَوُّرَهَا وَمُقَوِّمَاتِهَا^(٥٧)، إِذْ بَدَأَ أَوَّلًا بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ النُّحُو الْقُرْآنِيَّةِ، وَالنُّحُو غَيْرِ الْقُرْآنِيَّةِ مُثَبَّتًا إِيَّاهُ. فَالْنُّحُو الْقُرْآنِيَّةُ يَنْقَسِمُ عَلَى قِسْمَيْنِ:

" قَسْمٌ ارْتِضَاهُ النُّحَوِيُّونَ، وَوَافِقُوا عَلَيْهِ عَلَى نَظَائِرِهِ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ. وَقِسْمٌ لَمْ يَرْتَضَوْهُ، وَلِهَذَا تَأَوَّلُوهُ، وَعَارِضُوهُ مُعَارِضَةً صَرِيحَةً أَوْ خَفِيَّةً"^(٥٨)، أَمَّا الْمِيعَارُ الدَّقِيقُ لِمَعْرِفَةِ هَذَا النَّوعِ مِنَ النُّحُو الْقُرْآنِيَّةِ فَهُوَ اصْطِدَامُ الْقَاعِدَةِ النُّحَوِيَّةِ بِالْآيَةِ الْقُرْآنِيَّةِ^(٥٩). وَلُبُّ النُّظَرِيَّةِ " يَقُومُ عَلَى أَسَاسِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَقُبُولِ أُسَالِيْبِهِ، وَاسْتِعْمَالَاتِهِ الْخَاصَّةِ، وَإِنْ تَصَحَّحَ النُّحُو يَجِبُ أَنْ يَكُونَ يَقْبُولُ الْقِرَاءَاتِ لَا الْعَكْسَ....."^(٦٠). أَمَّا عُنَاوُنُهَا فَتَتَكُونُ مِنْ:

- ١- الْإِطَارُ الْعَامُّ: الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَهُوَ أَوْثَقُ مَصْدَرٍ فِي الْوُجُودِ، وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْمَصْدَرُ الْأَوَّلُ فِي التَّقْيِيدِ.

٢- محور النظرية: الاصطدام بين القواعد النحوية والآيات القرآنية.

٣- العمود الفقري: وهو مواطن الاصطدام بين القواعد والآيات.

٤- المقومات الأساسية: جوانب الاتفاق والاختلاف، والأخير هو موضع التركيز ولها مظاهر متعددة: المعارضة الصريحة، والخفية، وظاهرة التأويل^(٦١).

وَمِنْ بَيْنِ القَوَاعِدِ النَحْوِيَّةِ الَّتِي يَجِبُ أَنْ تُعَدَّلَ وَتُغَيَّرَ اسْتِنَادًا إِلَى وُرُودِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَالْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ: جَوَازُ الْفَصْلِ بَيْنِ الْمُتَضَايِفِينَ فِي النِّشْرِ بِالْمَفْعُولِ بِهِ بِدَلِيلِ قِرَاءَةِ ابْنِ عَامِرٍ وَهِيَ قِرَاءَةُ سَبْعِيَّةٍ مُتَوَاتِرَةٍ

مُحْكَمَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاءَهُمْ﴾^(٦٢)، وَقَدْ أُيِّدَ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مِنْهُمْ: سَيَبُوه ^(٦٣)، وَالْقِرَاءُ^(٦٤)، وَابْنُ مَجَاهِدٍ^(٦٥).

" إِنْ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الدُّكْتُورُ أَحْمَدُ مَكِّي الْأَنْصَارِيُّ يُعَدُّ اتِّجَاهًا مِنْ اتِّجَاهَاتِ الْفِكْرِ النَحْوِيِّ الْقُرْآنِيِّ، وَأَحَدُ أَسْوَاسِ الْمُهْمَةِ الْأَمْرِ الَّذِي يَجْعَلُنَا نَقُولُ أَنَّ هَذِهِ النَّظَرِيَّةَ لَمْ تَسْتَوْعِبْ جَمِيعَ مَلَامِحِ التَّفْكِيرِ النَحْوِيِّ الْقُرْآنِيِّ وَدَقَائِقِهِ؛ إِذْ تَنَاوَلَتْهُ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ وَهُوَ اتِّجَاهُ تَصْحِيحِ النَّحْوِ بِالْقِرَاءَاتِ " ^(٦٦).

وَاتَّضَحَ شُيُوعُ الْمُصْطَلَحِ وَتَنَاقُلُهُ بَيْنَ الْبَاحِثِينَ فِي تَأَثُّرِهِمُ بِالدُّكْتُورِ أَحْمَدَ عَبْدِ السَّاتَرِ الْجَوَارِيِّ فِي اصْطِلَاحِهِ (نَحْوُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) وَمِنْهُمْ: د.مَهْدِي الْمَخْزُومِي ٢٠٠٢م^(٦٧)، وَالدُّكْتُورُ خَلِيلُ بَنِيَانِ الْحَسُونِ سَنَةِ ٢٠٠٢م^(٦٨)، وَالدُّكْتُورُ كَاصِدُ الزَّيْدِيِّ ٢٠٠٣م^(٦٩).

وَنَبَّهَ الدُّكْتُورُ مَهْدِي الْمَخْزُومِي عَلَى مَفْهُومِ مُصْطَلَحِ (نَحْوُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) وَهُوَ وُجُودُ نَحْوٍ يُخَالِفُ نَحْوَ الْعَرَبِيَّةِ مُعْتَمِدًا عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي اسْتِنْبَاطِ الْقَوَاعِدِ النَحْوِيَّةِ " فَالْقُرْآنُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فَوْقَ كُلِّ الْإِعْتِبَارَاتِ؛ لِأَنَّهُ النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ الْعَرَبِيُّ الصَّحِيحُ الَّذِي

جَاءَنَا مُمَثِّلًا لِلْعَرَبِيَّةِ وَأَسَالِيْبِهَا الْأَصِيلَةِ، وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هُوَ نَحْوُ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَكِنَّا نَرَى أَنَّ لِلْعَرَبِيَّةِ نَحْوًا يُخَالِفُ الْقُرْآنَ فِي كَثِيرٍ مِنْ وُجُوهِ التَّأْلِيفِ، وَأَنَّ لِلْعَرَبِيَّةِ قَوَاعِدَ لَمْ تُؤْخَذْ مِنْ نُصُوصِ الْقُرْآنِ، وَأَسْلُوبِ التَّأْلِيفِ فِيهِ أَسَاسًا لَهَا، وَكَانَ حَقًّا عَلَى النُّحَاةِ أَلَّا يَكُونَ هُنَاكَ خِلَافٌ بَيْنَ نَحْوِ الْقُرْآنِ وَنَحْوِ الْعَرَبِيَّةِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَسْتَدِنَّ نَحْوُ الْعَرَبِيَّةِ إِلَى نَحْوِ الْقُرْآنِ، وَأَنْ تَسْتَمِدَّ قَوَاعِدُ النُّحَاةِ قُوَّتَهَا وَسَلَامَتَهَا مِنْ نَحْوِ الْقُرْآنِ، وَعَبْقَرِيَّةُ نَظْمِهِ..^(٧٠).

وَنَاقَشْتُ الدِّرَاسَاتِ الْحَدِيثَةَ مُصْطَلَحَ (النُّحُو الْقُرْآنِيَّةِ) وَمُصْطَلَحَ (نَحْوِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) وَشَهِدْتُ ظُهُورَ مُصْطَلَحِ (نَحْوِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ)^(٧١) فِي (النُّحُو الْقُرْآنِيَّةِ فِي ضَوْءِ لِسَانِيَّاتِ النَّصِّ (٢٠١١م))، وَحَاولْتُ هَذِهِ الدِّرَاسَةَ اسْتِقْرَاءَ الْمَوْرُوثِ النُّحَوِيِّ وَجُهِودِ الْبَاحِثِينَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا مِنْ دِرَاسَاتٍ لُغَوِيَّةٍ وَنَحْوِيَّةٍ وَبَلَاغِيَّةٍ وَقُرْآنِيَّةٍ، وَحَدَّدْتُ الْأَسْسَ الْفِكْرِيَّةَ وَالْمَعْنَوِيَّةَ لِهَذَا النُّحُو بِمَفْهُومِهِ الْإِصْطِلَاحِيِّ الْمُعَاصِرِ:

"مُصْطَلَحُ مُعَاصِرٍ لِمَا عُرِفَ عِنْدَ الْقُدَامَى بِمَجْمُوعَةِ الْأَنْظُمَةِ وَالْقَوَاعِدِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي تُسْتَنْبَطُ مِنَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الْكَرِيمِ، وَالْقَائِمَةُ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الْفَهْمِ الصَّحِيحِ وَالسَّلِيمِ لِللُّغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَعَانِيهِ وَأَسَالِيْبِهِ، مَعَ الْأَخْذِ بِالْقُرْآنِ الْقُرْآنِيَّةِ مُتَوَاتِرَةً كَانَتْ أَمْ شَاذَةً، وَتَوَجُّيْهِهَا بِحَسَبِ أُسُسِ النُّحُو الْقُرْآنِيِّ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ مِنْ مُرَاعَاةِ الْمَعْنَى، وَقَوَاعِدِ التَّأْلِيفِ، وَالرِّبْطِ وَمَا يَطْرَأُ عَلَى النَّظْمِ مِنْ تَغْيِيرٍ كَالْحَذْفِ وَالذِّكْرِ، وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَالْفَصْلِ وَالْوَصْلِ مَعَ مُرَاعَاةِ مُقْتَضَى الْحَالِ وَأَحْوَالِ الْمُخَاطَبِ وَالْمُتَكَلِّمِ"^(٧٢).

وَحَدَّدْتُ الدِّرَاسَةَ أُسُسَ مَفْهُومِ النُّحُو الْقُرْآنِيِّ الَّتِي تَعَاَصَدَتْ مَعَ الْإِصْطِلَاحِ، وَمَعَ الْمَفَاهِيمِ الَّتِي كَانَتْ مُتَعَارِفَةً عِنْدَ الْقُدَامَى وَمُتَنَاطِرَةً فِي مَبَاحِثِهِمْ وَمُؤَلَّفَاتِهِمْ وَمِنْهَا: الْقَصْدُ، وَالتَّرَابِطُ وَالتَّمَاثُلُ النَّصِّيُّ، وَمُرَاعَاةُ الْمَعْنَى، وَمُرَاعَاةُ الْمُخَاطَبِ وَأَحْوَالِ الْمُخَاطَبِ^(٧٣).

٢- دِرَاسَاتُ نَحْوِيَّةٌ كَاشِفَةٌ عَنِ أُسُولِ الْمَفْهُومِ وَأُسُسِهِ:

وَهِيَ وَإِنْ لَمْ تُصَرِّحْ بِذِكْرِ الْمُصْطَلَحِ، إِلَّا أَنَّهَا أَسْهَمَتْ فِي إِنتَاجِهِ، وَكَشَفَتْ عَنِ أُسُسِهِ الَّتِي بُنِيَ عَلَيْهَا، مِنْهَا: اعْتِمَادُ الْأُسُسِ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ فِي اسْتِنْبَاطِ الْقَاعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ

القرآنيّة، وتقرير الأحكام النحويّة وأهمها العامل المعنويّ، واتصال النظم القرآني^(٧٤)، والعناصر غير اللَّفظية ومنها: المَقَام^(٧٥). والإيحاء بالمعنى والقرائن^(٧٦).

٣- دراسات نحويّة كاشفة عن ظواهر المُصطلح:

ومنها: العناية بالأساليب القرآنيّة المخصوصة واعتمادها في استقراء الأحكام النحويّة^(٧٧)، والاستدراك على مواقف النُحاة من الشاهد القرآني^(٧٨)، ورفض التقدير والتأويل المصنوع في النص القرآني^(٧٩)، والقياس على لغة القرآن الكريم، واستنباط القواعد النحويّة القرآنيّة في ضوء المعاني والاستعمالات القرآنيّة المقصودة^(٨٠).

ومِمَّا تَقَدَّم يَتِمُّ لَنَا اخْتِلَافُ الْبَاحِثِينَ فِي قِرَاءَةِ وَتَحْدِيدِ مَفْهُومٍ دَقِيقٍ لِمُصْطَلَحِ النُّحُو الْقُرْآنِيِّ، وَكُلٌّ مِنْهُمْ تَتَوَلَّاهُ مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرِهِ؛ بِسَبَبِ عَدَمِ اتِّضَاحِ الرُّؤْيَا الْفِكْرِيَّةِ لِأَسْسِ الْمَفْهُومِ وَعَلَاقَاتِهِ وَظَوَاهِرِهِ.

وَمِثَالُ ذَلِكَ ظُهُورُ دَرَسَاتٍ مُعَاصِرَةٍ تَحْمِلُ مُصْطَلَحَ (النُّحُو الْقُرْآنِيِّ) إِلَّا أَنَّ مَفْهُومَهَا اخْتَلَطَ مَعَ مَفْهُومِ النُّحُو غَيْرِ الْقُرْآنِيِّ بِمَا فِيهِ مِنَ الْأَقْيَاسِ وَالْعَوَامِلِ وَالْعِلَلِ، نَحْوُ: دَرَسَةِ (النُّحُو الْقُرْآنِيِّ) قَوَاعِدَ وَشَوَاهِدَ د. جَمِيلٍ أَحْمَدَ ظَفَرٍ (١٩٩٨) وَمَفْهُومِ النُّحُو الْقُرْآنِيِّ عِنْدَهُ يَتِمُّ فِيهِ الْاسْتِشْهَادُ بِالشَّوَاهِدِ النُّحَوِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَاسْتِنْبَاطُ الْقَوَاعِدِ مِنْهَا، وَجَاءَ بَحْثُهُ مُخْتَلِطًا بِالْعَوَامِلِ وَالْأَقْيَاسِ وَالْعِلَلِ^(٨١). وَكَذَلِكَ دَرَسَاتُ فِي النُّحُو الْقُرْآنِيِّ، د. عَبْدِ الْجَبَّارِ فَتْحِي (٢٠٠٩)، وَاقْتَصَرَ مَفْهُومُ النُّحُو الْقُرْآنِيِّ عِنْدَهُ بِتَتَبُعِ الظُّوَاهِرِ النُّحَوِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ وَدَرَسَةِ أَحْكَامِهَا الْإِعْرَابِيَّةِ وَاسْتِعْمَالَاتِهَا؛ إِذْ جَاءَتْ الدَّرَسَةُ فِي اسْتِقْرَاءِ بَعْضِ الظُّوَاهِرِ النُّحَوِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ، وَقَدْ دَرَسَهَا عَلَى أُسْسٍ مِنَ الْعَوَامِلِ الْمُنْطَقِيَّةِ وَالْعِلَلِ^(٨٢).

العَلَاقَةُ بَيْنَ الْمَفْهُومِ وَالْمُصْطَلَحِ

لَمَّا كَانَ عِلْمُ الْمُصْطَلَحِ يَبْحَثُ فِي الْعَلَاقَاتِ اللَّغَوِيَّةِ بَيْنَ الْمَفَاهِيمِ وَالْمُصْطَلَحَاتِ مِنْ حَيْثُ طَبِيعَةُ خَصَائِصِهَا، وَأَنْظُمَةُ الْعَلَاقَاتِ فِيمَا بَيْنَهَا وَجَبَ تَحْدِيدُ الْعَلَاقَةِ الدَّقِيقَةِ بَيْنَ الْمَفْهُومِ وَالْمُصْطَلَحِ تَحْدِيدًا دَقِيقًا؛ كَوْنِ الْمَفْهُومِ يُحِيلُ إِلَى الْمَادَّةِ، أَوْ الْفِكْرِ، أَوْ التَّصَوُّرِ،

والاصطلاح يُحيل إلى آلية الفكر وأدواته ومفاتيحه. ويرى الفلاسفة " أَنَّ لِلْفِكْرِ مَادَّةً وَصُورَةً، أَمَّا مَادَّتُهُ فَهِيَ الْحُدُودُ الَّتِي يَتَأَلَّفُ مِنْهَا، وَأَمَّا صُورَتُهُ فَهِيَ الْعَلَاَقَاتُ الْمَوْجُودَةُ بَيْنَ هَذِهِ الْحُدُودِ " (٨٣).

وَمَا سَبَقَ الْإِشَارَةُ إِلَيْهِ أَنَّ عِلْمَ الْمُصْطَلَحِ لَيْسَ عِلْمًا مُسْتَقَلًّا بِنَفْسِهِ بَلْ تَشْهُمُ فِي صِنَاعَتِهِ وَإِنْتَاَجِهِ عُلُومٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا: عِلْمُ الْمَنْطِقِ، وَالْوُجُودِ؛ إِذْ تَبْحَثُ قَوَاعِدُ عِلْمِ الْمَنْطِقِ الْمَفَاهِيمَ، وَتَتَوَخَّى تَعْرِيفَ الْمُصْطَلَحَاتِ الْعِلْمِيَّةِ تَعْرِيفًا جَامِعًا مَانِعًا، بَعِيدًا عَنِ الْخَطَأِ وَالْغُمُوزِ وَاللَّبْسِ.

وَتَأْخُذُ الْعَلَاَقَةُ بَيْنَ الْمَفْهُومِ وَالْإِصْطِلَاحِ عِلَاَقَةً ذَهْنِيَّةً عَقْلِيَّةً تُعْرَفُ بِ (الصُّورَةِ الذَّهْنِيَّةِ)، فَالْمَفْهُومُ هُوَ مَادَّةُ الْفِكْرِ، وَهُوَ الصُّورَةُ الْمُتَخَيَّلَةُ عِنْدَ الْكُنْدِيِّ " الصُّورَةُ هِيَ الشَّيْءُ الَّذِي بِهِ الشَّيْءُ هُوَ مَا هُوَ " (٨٤).

وَإِنَّ الْإِتْفَاقَ عَلَى إِصْطِلَاحِ الْحَدِّ فِي الرُّسُومِ لَمْ يَجْرِ قَصْدًا؛ بَلْ لَتُمَثِيلِ الْمَعَانِي وَالصُّوَرِ فِي أَذْهَانِهِمْ وَنَفُوسِهِمْ بِالْإِصْطِلَاحِ عَلَيْهَا وَتَعْرِيفِهَا وَتَحْدِيدِهَا، " وَالْمُخْلِصُونَ إِنَّمَا يَطْلُبُونَ تَصَوُّرَ كُنْهِ الشَّيْءِ وَتَمَثُّلَ حَقِيقَتِهِ فِي نَفُوسِهِمْ لَا لِمُجَرَّدِ التَّمْيِيزِ؛ وَلَكِنْ مَهْمَا حَصَلَ التَّصَوُّرُ بِكَمَالِهِ تَبَعَهُ التَّمْيِيزُ، وَمَنْ يَطْلُبُ التَّمْيِيزَ الْمُجَرَّدَ يَقْتَنِعُ بِالرَّسْمِ، فَقَدْ عَرَفَتْ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ تَأْثِيرُ الْإِسْمِ، وَالْحَدِّ وَالرَّسْمِ فِي تَقْهِيمِ الْأَشْيَاءِ، وَعَرَفَتْ انْقِسَامَ تَصَوُّرِ الشَّيْءِ إِلَى تَصَوُّرٍ لَهُ بِمَعْرِفَةِ ذَاتِيَّاتِهِ الْمُفْصَّلَةِ، وَإِلَى تَصَوُّرٍ لَهُ بِمَعْرِفَةِ أَعْرَاضِهِ، وَإِنْ كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا يَكُونُ تَامًّا مُسَاوِيًّا لِلْإِسْمِ فِي طَرَفِي الْحَمْلِ؛ وَقَدْ يَكُونُ نَاقِصًا فَيَكُونُ أَعَمُّ مِنَ الْإِسْمِ " (٨٥).

وَيُفَرِّقُ الْجُرْجَانِيُّ بَيْنَ الْمَعَانِي وَالْمَفَاهِيمِ، فَمِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ اللَّغَوِيَّةُ " الْمَعَانِي هِيَ الصُّوَرُ الذَّهْنِيَّةُ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ وُضِعَ بِإِزَائِهَا الْأَلْفَاظُ، وَالصُّوَرُ الْحَاصِلَةُ فِي الْعَقْلِ، فَمِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تُقْصَدُ بِاللَّفْظِ سُمِّيَتْ مَعْنَى، وَمِنْ حَيْثُ إِنَّهَا تُحْصَلُ مِنَ اللَّفْظِ فِي الْعَقْلِ مُفْهُومًا " (٨٦).

إذن فالمفهوم: هو "الصورة الذهنية، سواء وُضع بإزائها الألفاظ أو لا، كما أن المعنى هو الصورة الذهنية من حيث وُضع بإزائها الألفاظ" (٨٧).

فالمفهوم والصورة والتصور والمعنى والفكرة تتظاهر جميعها في تكوين وبناء منظومة معرفية ذات دلالة اصطلاحية. " فالمصطلح رمز لغوي يدل على تصور ذهني أكثر ما يكون متفقاً عليه، وهذا التصور يربط بين المصطلح والمفهوم" (٨٨).

وإذا بحثنا العلاقة بين الدلالة اللغوية والاصطلاحية لمصطلح (النحو القرآني)، نجد أن المدلول اللغوي لمفهوم النحو يُحيل إلى معانٍ متعددة، منها: القصد، والقسم، أي الأتقاء، والطريق، والجهة، والمثل... (٨٩).

وتقترب هذه الدلالة اللغوية من المفهوم الاصطلاحي في القصد إلى جهة كلام العرب وانتحاء طريقتهم في الكلام، قال ابن السراج (ت ٣١٦هـ): " النحو إنما أُريدَ به أن يُنحو المتكلم إذا تعلمه كلام العرب، وهو علم استخرجهُ المتقدمون فيه من استقراء كلام العرب، حتى وقفوا منه على الغرض الذي قصده المبتدئون بهذه اللغة " (٩٠).

واتسع هذا المفهوم عند ابن جني (ت ٣٩٢هـ) ليشتمل على أجزاء التركيب وعناصره: " النحو انتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره، كالنشئية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب وغير ذلك" (٩١).

إلا أن الدلالة الاصطلاحية لمفهوم النحو القرآني المتخصص بالقرآن الكريم مع شيوخ مفاهيمه النحوية النصية والمعنوية لم تتكامل إلا في القرن السابع الهجري على يد ابن هشام (٧٦١هـ) ليدل على (الدلالة الكلية والشمولية) في البحث، وتحليل النص القرآني، فهو يُعيب في مقدمته على كُتب الإعراب " كثرة التكرار؛ فإنها لم توضع لإفادة القوانين الكلية، بل للكلام على الصور الجزئية، فتراهم يتكلمون على التركيب المعين بكلام، ثم حيث جاءت نظائره أعادوا ذلك الكلام، ألا ترى أنهم حيث مرّ بهم مثل الموصول في قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (٩٢) ذكروا أن فيه ثلاثة

أَوْجِهَ، وَحَيْثُ جَاءَ هُمْ مِثْلُ الضَّمِيرِ الْمُنْفَصِلِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٩٣) ذَكَرُوا فِيهِ ثَلَاثَةُ أَوْجِهٍ أَيْضًا "^(٩٤).

أَمَّا فِي الدِّرَاسَاتِ الْحَدِيثَةِ تَحَدَّدَتْ صُورَةُ الْإِصْطِلَاحِ النُّحَوِيِّ الْقُرْآنِيِّ مَفْهُومًا وَاصْطِلَاحًا^(*)

بِأَنَّهُ " مُصْطَلَحٌ مُعَاَصِرٌ لِمَا عُرِفَ عِنْدَ الْقَدَامَى بِمَجْمُوعَةِ الْأَنْظُمَةِ وَالْقَوَاعِدِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي تُسْتَنْبِطُ مِنَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الْكَرِيمِ، وَالْقَائِمَةُ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الْفَهْمِ الصَّحِيحِ وَالسَّلِيمِ لِلُّغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَعَانِيهِ وَأَسَالِيْبِهِ، مَعَ الْأَخْذِ بِالْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ مُتَوَاتِرَةٍ كَانَتْ أَمْ شَاذَةً، وَتَوْجِيْهِهَا بِحَسَبِ أَسْئَسِ النُّحُو الْقُرْآنِيِّ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ مِنْ مُرَاعَاةِ الْمَعْنَى، وَقَوَاعِدِ التَّأْلِيفِ، وَالرِّبْطِ وَمَا يَطْرَأُ عَلَى النَّظْمِ مِنْ تَغْيِيرٍ كَالْحَذْفِ وَالذِّكْرِ، وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَالْفَضْلِ وَالْوَصْلِ مَعَ مُرَاعَاةِ مُقْتَضَى الْحَالِ وَأَحْوَالِ الْمُخَاطَبِ وَالْمُتَكَلِّمِ "^(٩٥). وَيُشِيرُ التَّعْرِيفُ السَّابِقُ لِمُصْطَلَحِ (النُّحُو الْقُرْآنِيَّةِ) إِلَى اسْتِقْرَارِ دَلَالَتِهِ الْمَفْهُومِيَّةِ وَالْإِصْطِلَاحِيَّةِ عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ بِالتَّعَارُفِ عَلَى أَصُولِهِ وَعِلَاقَاتِهِ وَأُسُسِهِ؛ إِذْ يُحَدِّدُ الْمَفَاهِيمَ الْمَعْنَوِيَّةَ وَالْفِكْرِيَّةَ وَالْعِلَاقَاتِ الَّتِي أَخْرَجَتْ اللَّفْظَ عَنْ مَعْنَاهِ اللَّغَوِيِّ الْعَامِ، وَقَيَّدَتْهُ بِالْوَضْعِ الْعُرْفِيِّ الْإِصْطِلَاحِيِّ الْخَاصِّ، وَهِيَ الْعَنَاصِرُ الْمَكُونَةُ لِلْإِصْطِلَاحِ الْجَدِيدِ وَمِنْهَا: مُرَاعَاةُ الْمَعْنَى، وَقَوَاعِدُ التَّأْلِيفِ وَالرِّبْطِ، وَعِلَاقَاتُ الْحَذْفِ وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَمُرَاعَاةُ الْمَقَامِ وَأَحْوَالِهِ.

وَتَتَدْرَجُ ضِمْنَ هَذَا التَّعْرِيفِ مَفَاهِيمُ أَكْثَرِ وَأَوْسَعِ شُمُولًا "قَالَ الْمَفْهُومُ الْإِصْطِلَاحِي قَدْ يَكُونُ أَعَمُّ مِنَ الْمَفْهُومِ اللَّغَوِيِّ، وَإِنْ كَانَ مُشْتَقًّا مِنْهُ "^(٩٦).

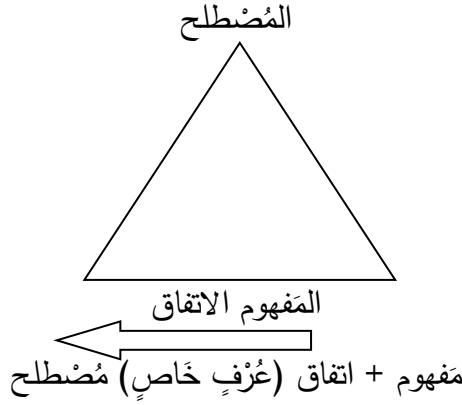
وَكَانَ لِتَأْثِيرِ السِّيَاقِ وَظُرُوفِ الْمَقَالِ وَالْمَقَامِ وَالْأَحْوَالِ الْمُحِيطَةِ بِالْأَثَرِ الْكَبِيرِ فِي نَشْأَةِ الْمَفْهُومِ وَاتِّسَاعِهِ مِمَّا أَسْهَمَ فِي اتِّسَاعِ مَدْلُولَاتِ الْمَفْهُومِ لِتَحِيلِهِ إِلَى جُمْلَةٍ تَرَكَيبٍ مُنَظَّمَةٍ مِنَ الْمَفَاهِيمِ وَالْعِلَاقَاتِ الشُّمُولِيَّةِ.

وَإِذَا تَتَبَعْنَا الْعِلَاقَاتِ الْإِصْطِلَاحِيَّةَ نَجِدُ أَنَّ عَنَاصِرَ الْعَمَلِيَّةِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ يُمَكِّنُ

تَمَثُّلَهَا بِالْمُثَلِّثِ الْهَرَمِيِّ

الآتي:

١- المفهوم . ٢- المواضعة والاتفاق . ٣- المصطلح.



ويبدو جلياً أنّ الاتفاق والتّواضع عنصرٌ معياريّ ضابطٌ يُكسب المفهوم الدّلالة التي تُحيل إليه، ويُضفي السّمة الاصطلاحية عليه. ولكنّ من الممكن إثارة التّساؤلات المنطقية القابلة للمناقشة والنّظر، فالبحث العلميّ ميدانٌ للنّظر والاجتهاد والتّأويل.

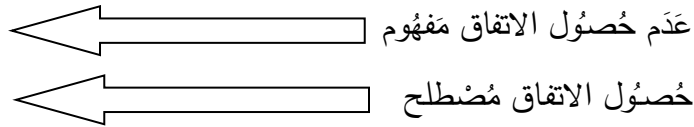
هل كانت عمليّة التّواضع على المصطلح مسألةً قُصديةً أم لا؟

وما أسّس الاتفاق بين الجماعة والمبادئ التي يقوم عليها هذا الاتفاق ؟ وما سُبُل

تحقيقه وآلياته؟

وفي رأيي هنا جوهر الإشكالية ومكمن المشكلة.

والتقييد الحاصل هنا:



ومع أنّ الاتفاق عنصرٌ فعّالٌ يُكسب المفهوم صفة استقرار الدّلالة وانتشارها وتداولها، والعرف الخاص مؤثّرٌ جدّاً في إنتاج المصطلح، وتكوّنه الثقافة الاجتماعية والثقافية والبيئية، غير أنّه قد يشيع المصطلح بين القوم دون اجتماعٍ واتفاقٍ، أو أنّ كثيراً من المفاهيم وُجدت وتكوّنت قبل الاصطلاح عليها والتّنظير لها.

فَالْعَمَلِيَّةُ الْإِصْطِلَاحِيَّةُ تَجْرِي فِي مَسَارِينِ:

- ١- شُيُوعُ الْمَفَاهِيمِ وَاكْتِمَالُهَا أَوَّلًا دُونَ تَحَقُّقِ (قَصْدِيَّةِ الْإِتِّفَاقِ عَلَى الْإِصْطِلَاحِ)، فَتَكُونُ عَمَلِيَّةُ الْإِصْطِلَاحِ عَلَيْهَا عَمَلِيَّةً لَاحِقَةً لِتَكُونُ الْمَفْهُومَ.

وموروثنا النُّحَوِيُّ حَافِلٌ بِالْمَفَاهِيمِ الَّتِي كَوْنَتْ أَسَاسًا وَمَنْطَقًا لَكَثِيرٍ مِنَ النِّظَرِيَّاتِ فِي الدَّرْسِ اللُّغَوِيِّ الْمُعَاصِرِ، وَمِنْ بَيْنِهَا مُصْطَلَحُ (النُّحُو الْقُرْآنِيَّ)؛ إِذْ جَاءَتْ عَمَلِيَّةُ الْإِصْطِلَاحِ لَاحِقَةً لِتَكُونُ الْمَفْهُومَ وَشُيُوعِهِ، فَالْبَحْثُ الْإِصْطِلَاحِيُّ لَمْ يَجِرْ بِقَصْدِيَّةِ الْبَحْثِ وَالتَّنْظِيرِ. وَحَتَّى عِنْدَ الْمُحَدِّثِينَ جَرَتْ عَمَلِيَّةُ التَّوَاضُّعِ وَالْإِتِّفَاقِ عَلَى مُصْطَلَحِ (النُّحُو الْقُرْآنِيَّ) عَنْ طَرِيقِ التَّدَاوُلِ وَالتَّنَاقُلِ، فَقَدْ يَسْتَعْمَلُهُ أَحَدُ الْبَاحِثِينَ وَيَشِيعُ بَيْنَ الدَّارِسِينَ بَعْدَ أَنْ اسْتَقَرَّ فَهْمُهُ فِي الْأَذْهَانِ وَاتَّضَحَتْ مَعَالِمُهُ. فَكَانَ شُيُوعُ اسْتِعْمَالِ الْمُصْطَلَحِ عِنْدَ الْبَاحِثِينَ الْمُحَدِّثِينَ عَامِلًا مُهِمًّا فِي لَفَتْ الْأَنْظَارِ إِلَى الْأَفْكَارِ وَالْمَفَاهِيمِ الْمُتَدَاوِلَةِ عِنْدَ الْقُدَمَاءِ.

وَقَدْ يَبْتَكِرُهُ شَخْصٌ ثُمَّ يَتَأَثَّرُ بِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَيَأْخُذُونَهُ وَيَشِيعُ بَيْنَهُمْ، وَهَذَا مَا حَصَلَ مَعَ مُصْطَلَحِ النُّحُو الْقُرْآنِيَّ حِينَما تَنَاقَلَهُ الْمُحَدِّثُونَ، " وَقَدْ لَا يَكُونُ الْمُصْطَلَحُ وَلِيدَ مَجْهُودٍ فِكْرِيٍّ جَمَاعِيٍّ، بَلْ ابْتَكَرَهُ فَرْدٌ مُتَخَصِّصٌ " (٩٧) وَهُوَ مَا وَجَدْنَاهُ عِنْدَ الدُّكْتُورِ أَحْمَدِ الْجَوَارِي فِي (نَحْوِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) وَالدُّكْتُورِ أَحْمَدِ مَكِّي الْأَنْصَارِيِّ حِينَما لَفَتْ الْأَنْظَارِ إِلَى (نَظَرِيَّةِ النُّحُو الْقُرْآنِيَّ).

وَهَذَا يَقُودُنَا إِلَى مَسْأَلَةٍ مُهِمَّةٍ فِي تَحْدِيدِ مِيلَادِ هَذَا الْمُصْطَلَحِ عَلَى أَيْدِي الْبَاحِثِينَ الْمُحَدِّثِينَ، فَقَدْ ظَهَرَتْ عَمَلِيَّةُ التَّوَاضُّعِ وَالْإِتِّفَاقِ عَلَى إِصْطِلَاحِ (النُّحُو الْقُرْآنِيَّ) لَدَى الْمُحَدِّثِينَ، وَهُوَ مَا يُؤَكِّدُ تَرْسِيخَ مَبْدَأِ الْإِتِّفَاقِ الْإِصْطِلَاحِيِّ، وَهَذِهِ الْعَمَلِيَّةُ وَإِنْ لَمْ تَجْرِ بِجُهِودٍ جَمَاعِيَّةٍ أَوْ مُؤَسَّسَاتِيَّةٍ، بَلْ بِجُهِودٍ فَرْدِيَّةٍ مِنَ الْبَاحِثِينَ ارْتَبَطَتْ بِسَبُلِ تَيْسِيرِ النُّحُو الْعَرَبِيِّ مُتَمَثِّلَةً بِالذَّعْوَةِ إِلَى (النُّحُو الْقُرْآنِيَّ)، نَجِدُ ارْتِبَاطَ الْمُصْطَلَحِ وَتَلَازِمَهُ بِأَسْمَاءِ وَاضِعِيهِ مِنَ الْبَاحِثِينَ الْأَفْرَادِ، نَحْوُ: شُيُوعِ إِصْطِلَاحِ (نَحْوِ الْقُرْآنِ) الَّذِي ارْتَبَطَ بِمُؤَلِّفِهِ

الدكتور أحمد عبد الستار الجواري، و(نظريّة النحو القرآني) بالدكتور أحمد مكي الأنصاري وتأثر الباحثين من بعدهم بهما.

وقد يجري أحياناً تناقل المصطلح بين الباحثين؛ لتأثرهم به دون اتّضح الرؤية المفهوميّة لينصرف الذّهن بعيداً عما تعرّف عليه ^(٩٨). فمنهم من رأى أنّ مفهوم النحو القرآني هو: القواعد النحويّة المتأثّرة بالقرآن الكريم ^(٩٩)، أو هو تصحيح النحو بالقراءات ^(١٠٠)، أو الاستشهاد بالشواهد القرآنيّة، واستنباط القواعد منها ^(١٠١).

٢- حصول عملية الاتفاق والتّوافق القصدي على الاصطلاح بعد رُسوخ المفاهيم وشيوع المصطلحات، وهو ما أشار إليه القدماء، قال الشريف الجرجاني: "الاصطلاح اتفاق طائفة على وضع اللفظ بإزاء المعنى.... وهو لفظ معيّن بين قومٍ معيّنين" ^(١٠٢)، ويتمثّل هذا المسار في عملية الاصطلاح في العصر الحديث؛ ولكثرة المفاهيم المعرفيّة ولا سيما - العلميّة - وشيوعها ممّا استوجب تظافر الجهود الجماعيّة ممثلة بالمجامع العلميّة والمؤسسات المصطلحيّة لتقييدها وإقرارها بحسب الأعراف اللغويّة والثقافيّة والفكريّة والاجتماعيّة التي نشأت فيها هذه المفاهيم.

بنيّة المصطلح

انطلاقاً من اختلاف الباحثين في تحديد مفهوم دقيق لمصطلح (النحو القرآني) تحتم ضبط دلالة المصطلح؛ كونه اللفظ الحامل للمفهوم، وهو التنظيم الهرمي المفهومي المعبر عنه بالرموز اللغويّة. فالعلاقة بين الرموز اللغويّة والفكر الذي تُحيل إليه علاقة فكريّة عقلية منظمّة "فهما رغم تداخل دائرتيهما، إلا أنّهما وجهان مُتميّزان للفاعلية العقلية" ^(١٠٣).

ولما كانت عملية الاصطلاح تبحث آليات بناء المصطلح ووسائله وجب تحليل بنيّة (مصطلح النحو القرآني) من ثلاث نواحٍ ^(١٠٤):

١ - لَفْظُ الْمُصْطَلَحِ

مِنْ حَيْثُ اشْتِقَاقُ الْمُصْطَلَحِ كَانَتْ طَرِيقَةُ بِنَاءِ مُصْطَلَحِ (النُّحُو الْقُرْآنِيَّ) بِطَرِيقَةِ التَّرْكِيبِ النَّعْتِيِّ الْمُنْسُوبِ وَهِيَ "الْمُصْطَلَحَاتُ الَّتِي جَاءَتْ مُرَكَّبَةً مِنْ (مَنْعُوتٍ) +، (نَعْتٍ) وَكَانَ النَّعْتُ فِيهَا مَفْرَدًا؛ أَيْ عِبَارَةً عَنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلَيْسَ مُرَكَّبًا إِضَافِيًّا، أَوْ اسْمًا مُوَصُولًا وَصِلَتِهِ" (١٠٥).

وَتَحَدَّدَ اصْطِلَاحُ (النُّحُو) عِنْدَ النُّحَوِيِّينَ الْقُدَمَاءِ، بِأَنَّهُ عِلْمٌ بِقَوَاعِدِ وَمَقَايِيسِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهِمْ قَالَ ابْنُ عَصْفُورٍ (ت ٦٦٩هـ) بِأَنَّهُ «عِلْمٌ مُسْتَخْرَجٌ بِالْمَقَايِيسِ الْمُسْتَنْبَطَةِ مِنْ اسْتِقْرَاءِ كَلَامِ الْعَرَبِ الْمُوصَّلَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ أَجْزَائِهِ الَّتِي يَأْتِلِفُ مِنْهَا» (١٠٦).

أَمَّا لَفْظُ (الْقُرْآنِيَّ) فَهُوَ اسْمٌ مُنْسُوبٌ مِنَ الْإِسْمِ الرُّبَاعِيِّ (قُرْآنٌ) زِيدَتْ عَلَيْهِ يَاءٌ مُشَدَّدَةٌ مَكْسُورَةٌ مَاقْبَلُهَا، لِلدَّلَالَةِ عَلَى صِفَةٍ مِنْ صِفَاتِ الْإِسْمِ الْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ (١٠٧). لِيُشِيرَ ذَلِكَ التَّرْكِيبُ إِلَى النُّحُو وَالْقَوَاعِدِ النَّحْوِيَّةِ الْمُنْسُوبَةِ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (١٠٨)، وَإِنْ نِسْبَةُ مُصْطَلَحِ (النُّحُو) إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ يَغْنِي تَخْصِيسَ دَلَالَةِ عِلْمِ النُّحُو الْمُتَعَارَفِ عَلَيْهِ (عِلْمُ قَوَاعِدِ الْعَرَبِيَّةِ وَأَصُولِهَا وَإِعْرَابِهَا) بِالنِّصُوصِ الْقُرْآنِيِّ.

وَتُظْهِرُ الْعَلَاقَةُ الْوَشِيجَةُ بَيْنَ عِلْمِ النُّحُو وَالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ فِي أَنَّهُ كَانَ السَّبَبُ وَالْعَامِلُ الْأَكْبَرُ فِي نَشْأَةِ الْعُلُومِ وَمِنْ بَيْنِهَا (عِلْمُ النُّحُو)؛ لِتَفْسِيرِ آيَاتِهِ، وَإِضَاحِ مَعَانِيهِ، وَبَحْثِ دَلَالَاتِ أَلْفَاظِهِ وَتَرَاكِيْبِهِ يَقُولُ الدُّكْتُورُ مَهْدِي الْمَخْزُومِي: "فَالنُّحُو وَلِيدُ التَّفْكِيرِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ لَمْ يُفَكِّرُوا ابْتِدَاءً فِي وَضْعِ عِلْمٍ يَبْحُثُ فِي عِلَلِ التَّأْلِيفِ وَالْإِعْرَابِ، وَلَكِنَّهُمْ تَوَصَّلُوا إِلَى ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ نَضَجَتْ الْفِكْرَةُ فِي أَثْنَاءِ عَمَلِهِمُ الْقُرْآنِيَّ" (١٠٩).

وَقَدْ تَعَاضَدَتْ أَكْثَرُ مِنْ دَلَالَةٍ فِي صِيَاعَةِ لَفْظِ الْمُصْطَلَحِ رُوعِيَّتُهَا فِيهَا قَوَاعِدُ الْبِنَاءِ اللَّغَوِيِّ فِي عَمَلِيَةِ الْإِصْطِلَاحِ، وَمِنْهَا: الدَّلَالَةُ النَّحْوِيَّةُ الْوُضُوعِيَّةُ، وَالدَّلَالَةُ الْقُرْآنِيَّةُ الْمُسْتَمَدَّةُ مِنَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الْكَرِيمِ، وَأَسَالِيْبُهُ الْمَخْصُوصَةُ الْمُعْجِزَةُ.

٢ - مفهوم اللفظ:

يُمثِّل المفهوم أداة الباحث الرمزية للتعبير عن الأفكار والمعاني، غير أن مفهوم اللفظ يبقى غير واضحاً إلا بعد الاصطلاح عليه، إذ " يبقى المفهوم مُستترّاً في ذهن الواضع للمصطلح حتى يُخرجه صاحبه بصورة لفظية عن طريق التعاريف والأقسام والشروط" (١١٠).

وتتجلى علاقة مفهوم اللفظ والاصطلاح في مستويات من المفاهيم الاصطلاحية^(١١١). وفي مصطلح (النحو القرآني) لم تكن علاقة شكلية نابعة من الصورة الشكلية للمفهوم، بل روعي فيها مستويان: أحدهما: المستوى الدلالي: الذي حقق وظيفة دلالية معنوية تتمثل في صدق المفهوم لما اصطلاح عليه من النظام النحوي المستمد من القرآن الكريم. والآخر: المستوى الوظيفي: مأخوذاً من الوظيفة النحوية التي يضطلع بها المصطلح وهي استنباط القواعد النحوية القرآنية.

ومصطلح النحو القرآني المركب من لفظتين: الأولى (النحو)، والثانية (القرآني) التي امتزجتا، وأنصهرتا ليحيلان إلى مفهوم النظام النحوي الذي يُحدده سياق النص القرآني وظواهره، وأساليبه المعجزة^(١١٢).

والقرآن الكريم كتاب المسلمين الأول وشريعتهم ولسانهم المبين، وعند الاصطلاح، وتركيبهما في الاستعمال الذي شاع لدى الباحثين أصبَحَ يُشير إلى صور فكرية، أو مفهوم أكثر خصوصيةً وهيبَةً وقُدسيةً وسلطةً على نفوس السامعين؛ ليعبر عن القواعد النحوية التي تعتمد النص القرآني الأصل الأول في صياغة القوانين النحوية المتأثرة بالأسلوب القرآني المعجز، بخلاف القواعد النحوية التي اعتمدت في استقرائها على أصل مُقدّم وهو كلام العرب شعراً ونثراً^(١١٣).

وتتجلى هذه القواعد النحوية القرآنية في أبواب مهمة من أبواب النحو، منها: الحذف والزيادة والتقدير والنيابة والتضمين والتقديم والتأخير^(١١٤).

٣- ماهية المُصطلح

أَمَّا مِنْ حَيْثُ الْمَادَّةُ الْخَارِجِيَّةُ لِلْمَفَاهِيمِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ الْمُتَمَثِّلَةِ بِالتَّعْرِيفِ وَالتَّحْدِيدِ الدَّقِيقِ لِلْمُصْطَلَحِ^(١١٥)، فَنَجِدُ أَنَّ حَدَّ التَّعْرِيفِ الْمُصْطَلَحِيِّ لِمُصْطَلَحِ (النُّحُوِّ الْقُرْآنِيِّ) الْمُتَمَثِّلِ بِ" فَهُوَ " مُصْطَلَحٌ مُعَاَصِرٌ لِمَا عُرِفَ عِنْدَ الْقَدَامَى بِمَجْمُوعَةِ الْأَنْظُمَةِ وَالْقَوَاعِدِ وَالْأَحْكَامِ الَّتِي تُسْتَنْبِطُ مِنَ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ الْكَرِيمِ، وَالْقَائِمَةُ عَلَى أَسَاسٍ مِنَ الْفَهْمِ الصَّحِيحِ وَالسَّلِيمِ لِللُّغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَمَعَانِيهِ وَأَسَالِيهِ، مَعَ الْأَخْذِ بِالْقِرَاءَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ مُتَوَاتِرَةٍ كَانَتْ أَمْ شَاذَةً، وَتَوَجِّهِهَا بِحَسَبِ أَسْئَسِ النُّحُوِّ الْقُرْآنِيِّ الْمَعْنَوِيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ مِنْ مُرَاعَاةِ الْمَعْنَى، وَقَوَاعِدِ التَّأْلِيفِ، وَالرِّبْطِ وَمَا يَطْرَأُ عَلَى النَّظْمِ مِنْ تَغْيِيرٍ كَالْحَذْفِ وَالذِّكْرِ، وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ، وَالْفَضْلِ وَالْوَضْلِ مَعَ مُرَاعَاةِ مُقْتَضَى الْحَالِ وَأَحْوَالِ الْمُخَاطَبِ وَالْمُتَكَلِّمِ. " (١١٦).

وَقَدْ حَدَّدَ الْمُصْطَلَحُ عَنَاصِرَ مَفْهُومِ الْفِكْرِ النُّحَوِيِّ الْقُرْآنِيِّ تَحْدِيدًا دَقِيقًا قَصِيرًا وَشَامِلًا يُخْلِصُهُ لِتَمَامِ مَا وُضِعَ لَهُ بِمَا يُشِيرُ وَيَدُلُّ دَلَالَةً بَيِّنَةً عَلَى الْإِتِّفَاقِ وَالتَّوَاضُّعِ عَلَى أَسْئَسِهِ وَعِنَاصِرِهِ. وَهَذَا شَأْنُ الْمُصْطَلَحِ الْفَنِيِّ فِي الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّذِي يَتَحَرَّى التَّوَسُّعَ فِي الْمَعْنَى وَالِدِّقَّةَ وَالتَّخْصِصَ " فَهُوَ بَيْنَ اللَّفْظِ اللَّغَوِيِّ الْعَامِّ الَّذِي يَقْتَضِي التَّعْمِيمَ وَالتَّوَسُّعَ فِي الْمَعْنَى، وَالْمُصْطَلَحِ الْعِلْمِيِّ الَّذِي يَقْتَضِي الدِّقَّةَ وَالتَّخْصِصَ.... " (١١٧).

أَمَّا دَلَالَةُ الْمُصْطَلَحِ فَكَانَتْ دَلَالَةً وَاضِحَةً وَمُبَاشَرَةً، وَإِنْ تَبَايَنَتْ فِي الْعَنَاصِرِ الْمَكُونَةِ لِلْمَفْهُومِ^(١١٨)، وَمَفْهُومِ الْإِبَانَةِ وَوُضُوحِ دَلَالَةِ الْمُصْطَلَحِ مُرْتَبِطٌ بِوُضُوحِ دَلَالَةِ الْمَفْهُومِ؛ إِذْ يُشْتَرَطُ فِي الْمُصْطَلَحِ الدِّقَّةَ وَالْوُضُوحَ وَأَحَادِيَّةَ الدَّلَالَةِ^(١١٩). عَلَى حِينٍ لَا يُشْتَرَطُ أَنْ يُشِيرَ الْمَفْهُومُ إِلَى جَمِيعِ خَصَائِصِ الظَّاهِرَةِ إِلَّا بِقَدَرِ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ الْمَعْنَى " فَالْمَفْهُومُ وَهُوَ أَخَذُ الرُّمُوزِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي اللُّغَةِ، يُمَثِّلُ ظَاهِرَةً مُعَيَّنَةً (رَمَزَهَا) أَوْ شَيْئًا مُعَيَّنًا، أَوْ إِحْدَى خَصَائِصِ هَذَا الشَّيْءِ، وَلَيْسَ لَهُ مَعْنَى إِلَّا بِقَدَرِ مَا يُشِيرُ إِلَى الظَّاهِرَةِ الَّتِي يُمَثِّلُهَا " (١٢٠). وَيَظْهَرُ مِمَّا تَقَدَّمَ أَنَّ تَحْدِيدَ مُصْطَلَحِ (النُّحُوِّ الْقُرْآنِيِّ) جَاءَ مُتَعَاظِدًا مَعَ

حُسْن اختيار الصِّيْغة الملائمة للمصطلح المعني بمقابلة المفهوم، والالتزام في صياغته بما يقتضيه نظام اللغة.

أثر مصطلح (النحو القرآني) في تأصيل المعرفة وضبط الفهم.

كان لظهور المصطلح النحوي القرآني في الموروث النحوي وظيفته الأساسية الكبرى في بناء المعرفة، والتحكّم في أنظمة المفاهيم، وتوحيدها.

وبالنظر إلى ما اتفق عليه الدارسون المحدثون، وإجماع جمهرة المشتغلين في الدرس النحوي ترجّح لدينا مصطلح (النحو القرآني) الذي جاء مترادفاً مع مصطلح (نحو القرآن الكريم) بحسب مراجعتنا لأكثر المصادر، وشيوعه بين الدارسين، ووروده في مباحثهم ومؤلفاتهم التي أثبتت استقرار الدلالة الاصطلاحية للمصطلح.

وحقق هذا المصطلح وظيفة تأصيلية في تأسيس مفهوم مصطلح (النحو القرآني) أثبتتها النحويون القدماء، ولفت المحدثون الأنظار إليها تمثلت في شيوع مفاهيم النحو القرآني النصي من القصديّة، والتوجيه المعنوي، ومراعاة قواعد الترابط والتماسك النصي ومراعاة أحوال المقام^(١٢١). أمّا مسألة التنظير فقد جاءت عملية لاحقة لعملية التأسيس؛ إذ " أن العرب قديماً لم يؤسسوا فكراً مصطلحياً يقوم على التنظير، وضبط الأسس المعرفية والفلسفية لعلم المصطلح، بل عرفوا تفكيراً في المصطلح؛ بسبب الحاجة الملحة إليه في عصرهم الذي نشأت فيه عدة علوم استدعت وضع مصطلحات مناسبة لها في التصنيف والاستعمال" (١٢٢).

وتشير صياغة مصطلح (النحو القرآني) إلى مجال اختصاصه أو فنه وهو (مجال الدراسات النحوية القرآنية)، وقد مثلت صياغة المفهوم تمثيلاً دقيقاً وواضحاً. فهي تسمية دقيقة اقتضت الدقة والوضوح في الخطاب، مما سهل استعماله، وتداوله بين الدارسين بما يشهد ضمان رواج المصطلح على السنة الباحثين.

وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى فَإِنَّ تَقْيِيدَ مُصْطَلَحِ (النَّحْوِ الْقُرْآنِيِّ) بِالدَّلَالَةِ الْقُرْآنِيَّةِ أَكْسَبَهُ خُصُوصِيَّةً؛ إِذْ يَتَقَيَّدُ الْمَعْنَى وَالْمَفْهُومُ، فَلَا يَنْصَرِفُ الذَّهْنُ إِلَّا إِلَيْهِ عِنْدَ إِطْلَاقِ اللَّفْظِ بِأَنَّهُ الْقَوَاعِدُ الْمُسْتَنْبَطَةُ مِنْ أَسْمَى أَصْلٍ لُغَوِيٍّ مُتَقَدِّمٍ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

وَهَذِهِ حَقِيقَةٌ ثَاقِبَةٌ فِي تَأْصِيلِ قَوَاعِدِ النَّحْوِ الْعَرَبِيِّ؛ إِذْ لَوْ اعْتُمِدَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ الْمَصْدَرُ الْأَوَّلُ فِي التَّقْيِيدِ النَّحْوِيِّ لَمَّا ظَهَرَ التَّصَادُمُ وَالْإِخْتِلَافُ بَيْنَ الْقَاعِدَةِ النَّحْوِيَّةِ وَالنَّصِّ الْقُرْآنِيِّ، وَلَمَّا حَكَمَ النُّحَاةُ بِإِخْضَاعِ النَّصِّ الْقُرْآنِيِّ إِلَى أَحْكَامِ عَقْلِيَّةٍ مُنْطَقِيَّةٍ وَصِفَتْ بِالْقِلَّةِ وَالشَّدُودِ وَالنُّدْرَةِ (١٢٣).

إِنَّ مِيلَادَ الْمُصْطَلَحِ، وَشُيُوعَهُ، وَحَيَاتُهُ يَنْبَعُ مِنَ الْبِيئَةِ الَّتِي أَنْجَبَتْهُ، وَقَدْ ارْتَبَطَ ظُهُورُ مَفْهُومِ مُصْطَلَحِ (النَّحْوِ الْقُرْآنِيِّ) بِدَعَوَاتِ التَّيْسِيرِ النَّحْوِيِّ بِدَعَا بَابِنِ مَضَاءِ الْقُرْطَبِيِّ وَحَتَّى الْعَصْرِ الْحَدِيثِ، وَنُمُو الْحَاجَةِ الْمُتَزَايِدَةِ إِلَى إِصْلَاحِ الْخَلَلِ وَالْإِنْحِرَافِ فِي مَنْهَجِ الدَّرْسِ النَّحْوِيِّ (١٢٤). فَالنَّحْوُ الْعَرَبِيُّ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الشَّوَائِبِ الَّتِي تُعْكَرُ صَفْوُهُ...، وَإِنَّهُ بِهِ حَاجَةٌ مَاسَّةٌ إِلَى حَرَكَةٍ تَنْقِيَّةٍ تَعْتَمِدُ عَلَى اخْتِيَارِ الْأَرْاءِ النَّاصِجَةِ وَالْأَصِيلَةِ مِنْ أَقْوَالِ الْقُدَمَاءِ... وَتَكُونُ نَحْوٌ مُتَكَامِلٌ يَعْتَمِدُ عَلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ... وَحِينَئِذٍ يُسَمِّيهِ (النَّحْوُ الْقُرْآنِيُّ) أَوْ مَا شَابَهُ ذَلِكَ مِنَ الْأَسْمَاءِ...". (١٢٥)

وَكَانَتْ أَوَّلُ خُطْوَةٍ عَلَى طَرِيقِ الْإِصْلَاحِ الرَّجُوعُ إِلَى (لُغَةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ) وَعَدَهَا الْمَصْدَرُ الْأَوَّلُ فِي التَّقْيِيدِ (١٢٦). فَضْلاً عَنِ الْأَصْوَاتِ الدَّاعِيَةِ إِلَى إِعَادَةِ صِلَةِ النَّحْوِ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَمَزَجِ النَّحْوِ بِمَعَانِيهِ: (١٢٧)

وَمِنْ هُنَا تَوَلَّدَتْ الْحَاجَةُ التَّأْرِيخِيَّةُ وَالْحَضَارِيَّةُ إِلَى ظُهُورِ مُصْطَلَحٍ يَهْدَفُ إِلَى بِنَاءِ مَنْهَجٍ مَعْرِفِيٍّ مُسْتَمَدٍّ مِنْ أَوْثَقِ مَصْدَرٍ وَدَلِيلٍ هُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وَقَادِرٍ عَلَى إِخْيَاءِ مَنْهَجٍ نَحْوِيٍّ، وَمُسْتَوْعِبٍ الْمُؤَرِّثِ النَّحْوِيِّ عَلَى اخْتِلَافِ تَنَوُّعَاتِهِ وَمَشَارِبِهِ.

وَقَدْ وَضَعَ الْمُخْتَصُّونَ شُرُوطاً لَوِلَادَةِ الْمُصْطَلَحِ الْعِلْمِيِّ، يَذْكُرُهَا د. أَحْمَدُ مَطْلُوبُ:

١ - " اتِّفَاقُ الْعُلَمَاءِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى مَعْنَى مِنَ الْمَعَانِي الْعِلْمِيَّةِ.

٢- اختلاف دلالاته الجديدة عن دلالاته اللغوية الأولى.

٣- وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي.

٤- الاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي واحد^(١٢٨).

وأرى (والله أعلم) إنه قد لا يشترط المخالفة بين دلالة الأصل والوضع اللغوي، فقد يكون مستمداً منها يُفنده قولهم بالمشابهة والمشاركة بين الداليتين.

وأرجح أيضاً أن اشتراط الاكتفاء بلفظ واحد طلباً للإيجاز، وسهولة الاستعمال عند المتعلمين أمر نسبي، وهو رهين بالمفاهيم والمعاني التي يؤديها المصطلح، فقد يحقق المصطلح مفهومه بلفظ واحد، أو أكثر مع توافر وضوح الدلالة ودقتها^(١٢٩).

أما العنصر الفعّال في عملية الاصطلاح وهو اتفاق أهل العلم على المصطلح وتواضعهم عليه "ويشترط موافقة أهل الاختصاص ورضاهم عنه؛ لأنهم المعنيون به، الذين سيشتيعون استعماله، وسينبهون مستقبلاً على الحاجة إلى تغييره أو تطويره"^(١٣٠).

إن شهرة مصطلح (النحو القرآني) ورواجه بين الدارسين لم تتضح إلا بعد رؤسوخ المفاهيم والأفكار، وهو دليل قبوله في ذهن السامع بما يُسمى (القبول العام في حقل الاختصاص). وتتأتى مسألة مقبولية المصطلح من أن المصطلح يعيش ويحيا في البيئة التي شاع فيها المفهوم وتعارف عليها، لذا فلفظ المصطلح لابد من أن يمتلك أسباب القوة باتفاقه مع المفهوم المخصص لحمله، ومشاعاً لدى الفئة المستعملة للفظ، وألا يخرج عن الإطار العام الذي وُضع لأجله، يقول ابن هشام "إن الألفاظ إنما تُطلق بحسب معانيها في اصطلاح أهل ذلك الفن"^(١٣١) وأثبت انتقاء المصطلح واختياره حضوره بين الدارسين، واتساع تداوله عند الباحثين والمختصين. وهذا الشيوع والانتقاء أكسب المصطلح نوعاً من الإقرار من أهل الاختصاص بقبوله وسرعته الاجرائية والتداولية التي تنزهه عن كونه فكرة أو اقتراحاً أو مشروع مصطلح، ولكي تصبح الكلمة أو العبارة مصطلحاً يجب أن تتوافر فيها شروط أهمها:

أَنَّ يَشِيعَ اسْتِعْمَالُهَا بَيْنَ أَهْلِ الْإِخْتِصَاصِ، وَإِلَّا فَقَدْتُ دَلَالَتَهَا وَقَائِدَتَهَا الْإِصْطِلَاحِيَّةَ، وَيَبْقَى الْمُصْطَلَحُ مُجَرَّدَ مَشْرُوعٍ حَتَّى تُصَادِقَ عَلَيْهِ الْهَيْئَاتُ الْخَاصَّةُ فِي مَجْمَعِ اللُّغَةِ وَالْأَكَادِمِيَّاتِ وَيَتَدَاوَلُهُ أَصْحَابُ الْإِخْتِصَاصِ " (١٣٢).

وَيَمْضِي بِنَا الْقَوْلِ إِلَى أَنَّ عَمَلِيَّةَ سَيْرُورَةِ الْمُصْطَلَحِ وَحَيَاتِهِ تَتَقَيَّدُ بِقَيُودٍ؛ إِذْ أَنَّ "حَيَاةَ الْمُصْطَلَحِ وَحَيَوِيَّتَهُ لَا تَكُونُ بِعَمْرِ إِيجَادِهِ، بَلْ بِنُشْرِهِ وَاسْتِعْمَالِهِ، فَالْوَضْعُ الْأَوَّلُ مِمَّنْ يَخْصُّهُمُ وَصْفُهُ بِمَثَابَةِ الْوِلَادَةِ الصَّحِيحَةِ لَهُ، وَمِنْ ثَمَّ اسْتِمْرَارُهُ بِتَدَاوُلِهِ بَيْنَهُمْ فِي مَوَاضِعِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ، فَتَبَّتْ بِهَذَا التَّدَاوُلِ عِنْدَ الْمُخْتَصِّصِينَ، وَمِنْ ثَمَّ فِي الْاسْتِعْمَالِ الْعَامِ بَيْنَ النَّاسِ. وَلَا يَتَوَقَّفُ التَّفَكِيرُ فِي الْمُصْطَلَحِ بَعْدَ اسْتِقْرَارِ اسْتِعْمَالِهِ؛ إِذْ لَا بُدَّ مِنْ مُرَاجَعَةِ مُنَاسِبَتِهِ لِلْاسْتِعْمَالِ بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخَرِ؛ لِأَنَّ التَّطَوُّرَ الْعِلْمِيَّ وَالذَّلَالِيَّ قَدْ يَأْتِي بِجَدِيدٍ يُوجِبُ إِبْدَالَهُ أَوْ التَّفْرِيعَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ الرُّغْبَةُ فِي ابْتِدَاعِ الْأَقْرَبِ وَالْأَصَحِّ لِلْمَعْنَى، مَا يُوجِبُ التَّفَكِيرَ بغيرِهِ، أَوْ فِي التَّخْلُصِ مِنْهُ، فَقَدْ تَنْتَهِي صِلَاحِيَّتُهُ وَتَضَعُفُ دَلَالَتُهُ بِظُهُورِ دَلَالَاتٍ جَدِيدَةٍ تَكُونُ سَبَبًا لِهَذَا التَّفَكِيرِ " (١٣٣).

فَجَاءَتْ عَمَلِيَّةُ إِصْطِلَاحِ النُّحُو الْقُرْآنِيَّ (اللفظ أو القالب) عَمَلِيَّةً مُوَحَّدَةً مِنْ أَرْبَابِ الْعِلْمِ وَالْإِخْتِصَاصِ الَّذِينَ اتَّفَقُوا عَلَى اسْتِعْمَالِ خَاصٍّ لِلْفِظِ الْإِصْطِلَاحِيِّ لِلْفِكْرِ النُّحَوِيِّ الْقُرْآنِيِّ. وَمِنْ ثَمَّ فَلَا مَنَدُوحَةَ لَنَا مِنَ الْقَوْلِ أَنَّ "الْأَسَاسَ فِي الْمُصْطَلَحِ أَنْ يَتَقَّ عَلَى اثْنَانِ، أَوْ أَكْثَرَ، وَأَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي عِلْمٍ، أَوْ فَنٍ بَعِينَةٍ؛ لِيَكُونَ وَاضِحَ الدَّلَالَةِ مُؤَدِّيًا الْمَعْنَى الَّذِي يَرِيدُهُ الْوَاضِعُونَ، وَلَمْ يَرَى الْعَرَبُ الْأَوَّلُ بَأْسًا فِي أَنْ يَضَعَ الْمُؤَلِّفُ مُصْطَلَحَهُ فَيَشِيعُ أَوْ يُهْمَلُ " (١٣٤).

وَحَقَّقَ تَوَلِيدَ هَذَا الْمُصْطَلَحِ ضَبْطًا دَقِيقًا فِي صِنَاعَةِ الْمُصْطَلَحِ وَإِنْتَاجِهِ فِي الدَّرْسِ اللَّسَانِيِّ؛ إِذْ " يُعْتَمَدُ التَّكْوِينُ الْمُصْطَلَحِيُّ عَلَى ضَبْطِ قَوَاعِدِهِ الدَّلَالِيَّةِ وَصِيَاغَتِهِ اللَّسَانِيَّةِ " (١٣٥)، رَاعَى فِيهِ الْمُسْتَعْمَلُونَ دِقَّةَ الدَّلَالَةِ وَوُضُوحَهَا، مِمَّا أَكْسَبَتْهُ الْمُصْطَلَحُ صِفَةً الْإِسْتِقْلَالِيَّةَ وَالتَّقَرُّدَ.

وَعَكَسَتْ عَمَلِيَّةُ الشُّيُوعِ الْمُصْطَلَحِي دَرَجَةَ تَوَاتُرِ الْمُصْطَلَحِ فِي الْخِطَابِ، وَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ وَضَبْطِ دَلَالَتِهِ بِمَا يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى تَطَوُّرِ الْمَفْهُومِ وَتَحَوُّلِ الْمُصْطَلَحِ وَانْتِقَالِهِ مِنْ رُؤْيَا فِكْرِيَّةٍ ذَاتِيَّةٍ إِلَى مُصْطَلَحٍ مَعْرِفِيٍّ مُشْتَرَكٍ؛ ذَلِكَ " إِنَّ تَطَوُّرَ الْمَفْهُومِ النَّحْوِ الْقُرْآنِيِّ مِنْ خِلَالِ مَسِيرَتِهِ الطَّوِيلَةِ يُشِيرُ إِلَى التَّحَوُّلِ الْمُنْهَجِيِّ فِي دِرَاسَةِ النَّحْوِ، وَتَحَوُّلِ الْمُصْطَلَحِ مِنْ كَوْنِهِ رُؤْيَا ذَاتِيَّةً اجْتِهَادِيَّةً، أَوْ مَوْقِفًا خَاصًّا إِلَى كَوْنِهِ مُصْطَلَحًا وَتَصَوُّرًا مَعْرِفِيًّا مُشْتَرَكًا " (١٣٦).

وَمِنْ جَانِبٍ آخَرَ يُمَثِّلُ هَذَا التَّحَوُّلُ الْمُنْهَجِيُّ لِلْمَفْهُومِ تَطَوُّرًا فِي ضَبْطِ الْمُصْطَلَحِ وَإِضْفَاءِ السِّمَةِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ عَلَيْهِ، وَتَوْظِيْفِهِ بِمَا يَنْسَجِمُ وَالتَّطَوُّرَاتِ الْفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ؛ إِذْ أَنْ " تَطَوُّرَ الْمَفَاهِيمِ تُصَاحِبُهُ دَرَجَاتُ التَّسْمِيَةِ، وَهِيَ سَيَرُورَةٌ تُسَمَّى (إِضْفَاءُ سِمَةِ الْمُصْطَلَحِيَّةِ) تَخْضَعُ مَفَاهِيمُ الْعُلُومِ وَالتَّكْنُولُوجِيَا، وَمَفَاهِيمُ الْمَجَالَاتِ الْآخَرَى إِلَى تَغْيِيرٍ، وَتَبَعًا لِذَلِكَ فَإِنَّ صُورَتَهَا اللَّغَوِيَّةَ تَكُونُ مَرْنَةً مَا دَامَ الْمَفْهُومُ تَمَثَّلَ صِيَاعَتُهُ بِشَكْلٍ تَامٍ، وَتَمَّ إِدْمَاجُهُ فِي بَنِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَيُمْكِنُ لِلتَّسْمِيَةِ مَعَ ذَلِكَ أَنْ تَتَأَرَّجَحَ بَيْنَ الْإِثْبَاتِ الْمُطْلَقِ لِمَرْجِعِ التَّوْحِيدِ وَالتَّثْمِيْطِ، وَبَيْنَ مُرُونَةِ الْمَفَاهِيمِ " (١٣٧).

وَكَشَفَتْ عَمَلِيَّةُ الْإِصْطِلَاحِ عَنِ طَوَاعِيَةِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَقُدْرَتِهَا عَلَى تَوْلِيدِ مُصْطَلَحَاتٍ جَدِيدَةٍ لَهَا أَثَرُهَا الْكَبِيرُ فِي الدَّرْسِ الْإِنْسَانِيِّ الْحَدِيثِ، وَوَصَفَهَا الدُّكْتُورُ عَبْدِ السَّلَامِ الْمَسْدِي بِـ " (الْأَفْتِرَانِ الْعَرَفِيِّ) وَكَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تَتَحَوَّلَ الْبَنِيَّةُ اللَّغَوِيَّةُ إِلَى وَظِيْفَةٍ إِبْلَاقِيَّةٍ، كَيْفَ يَتَحَوَّلُ مَبْدَأُ الْإِصْطِلَاحِ إِلَى نَمَطٍ مَوْلَدٍ لِلُّغَةِ بَعْدَ أَنْ تُوَلَّدَ عَنْهَا ؟ " (١٣٨) "فَقَضِيَّةُ التَّوَلَّدِ بِالْإِصْطِلَاحِ تَكْشِفُ مَا تَتَمَيَّزُ بِهِ اللَّغَةُ مِنْ طَوَاعِيَةِ التَّنَوُّعِ وَالتَّخْصُّصِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ حَتَّى لَكَأَنَّ كُلَّ فَرْدٍ يُوشِكُ أَنْ يَتَفَرَّدَ بِنَمَطِهِ التَّعْبِيرِيِّ عِنْدَ إِجْزَاؤِهِ الْكَلَامَ فِي نِطَاقِ الْإِنْسَانِ الَّذِي يَسْتَحْدِمُهُ. وَهُوَ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَسْنَى لَوْلَا أَنَّ طَاقَةَ الْإِصْطِلَاحِ فِيهَا مِنْ الْمُرُونَةِ وَالِاسْتِحْدَاثِ مَا يَجْعَلُ الْمَجْمُوعَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ الْوَاحِدَةَ يَسْتَقْبِلُ كُلُّ فَرْدٍ مِنْهَا بِسِمَاتٍ نَوْعِيَّةٍ عَلَى مُسْتَوَى الْكَلَامِ " (١٣٩).

وَلَا مَنَاصٍ مِمَّا تَقَدَّمَ مِنْ دَعْوَةٍ إِلَى اعْتِمَادِ الْمُصْطَلَحِ اللَّسَانِيِّ (النَّحْوِ الْقُرْآنِيِّ) وَإِقْرَارِهِ اسْتِجَابَةً لِلْحَاجَةِ الْمَعْرِفِيَّةِ لِلدَّارِسِينَ، وَتَنْظِيمَ هَذَا الْمُصْطَلَحِ دَاخِلَ الْمُصْطَلَحَاتِ وَالْمَعَاجِمِ الْأَدَبِيَّةِ وَالْمَفَاهِيمِيَّةِ وَمَعَاجِمِ اللَّسَانِيَّاتِ، لِاجْتِمَاعِ الدَّارِسِينَ عَلَيْهِ فِي الدَّرْسِ اللَّسَانِيِّ. فَكَانَ وَسِيلَةً مِنْ وَسَائِلِ وَحْدَةِ الْمُصْطَلَحِ فِي زَمَنِ قَوْضَى الْإِصْطِلَاحِ وَالتَّشْتُّتِ الْمُصْطَلَحِيِّ، وَالْمَجْهُودَاتِ الْفَرْدِيَّةِ الَّتِي اجْتَهَدَ أَصْحَابُهَا فِي وَضْعِ بَعْضِ الْمُصْطَلَحَاتِ دُونَ تَنْسِيقِ جَمَاعِيٍّ، أَوْ تَكْتَلِ مَجَامِعِيٍّ.

وَتَأْتِي هَذِهِ الدَّعْوَةُ مُنْسَجِمَةً مَعَ أَهْدَافِ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعِرَاقِيِّ وَمُقَرَّرَاتِهِ الَّتِي وَضَعَ مِنْ أَوْلَوِيَّاتِ مُهِمَّاتِهِ وَضَعَ الْمُصْطَلَحَاتِ بَعْدَ ثُبُوتِ نَشْأَتِهَا وَأَصَالَتِهَا، " وَطَرِيقَةُ الْمَجْمَعِ فِي وَضْعِ الْمُصْطَلَحَاتِ وَإِقْرَارِهَا، وَوَضْعُهَا هِيَ أَنْ يُدْرَسَ الْمُصْطَلَحُ الْمَعْرُوضُ عَلَيْهِ فِي لُغَةِ الْإِخْتِصَاصِ، وَيَتَعَرَّفَ عَلَى أَصْلِهِ وَنَشْأَتِهِ، ثُمَّ يَسْمَعَ رَأْيَ الْمُتَخَصِّصِينَ فِيهَا اخْتَارُوهُ مِنْ كَلِمَاتٍ عَرَبِيَّةٍ مُنَاسِبَةٍ، ثُمَّ يُسْتَعْرَضُ مَا وَرَدَ فِي الْكُتُبِ الْعَرَبِيَّةِ قَدِيمُهَا وَحَدِيثُهَا لُغَوِيَّةً كَانَتْ أَوْ اخْتِصَاصِيَّةً مِنْ كَلِمَاتٍ مُوَافِقَةٍ لَهُ. مِمَّا قَدْ يَفِي بِالْمُزَادِ فَإِذَا وَقَفَ عَلَى كَلِمَةٍ صَالِحَةٍ مُنَاسِبَةٍ لَهُ مُؤَدِيَةً لِلْمَعْنَى الْإِصْطِلَاحِي، وَرَأَى الرِّشَاقَةَ وَالسَّلَامَةَ (أَيَّ أَنَّهَا عَرَبِيَّةٌ يَأْلَفُهَا الدُّوقُ) عَقَدَ رَأْيَهُ، وَبُتَّ فِي الْأَمْرِ " (١٤٠).

□

- (١) لسان العرب، مادة (صَلَح).
- (٢) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (صَلَح).
- (٣) تاج العروس من جواهر القاموس، مادة (صَلَح).
- (٤) التعريفات، الشريف الجرجاني: ٢٧.
- (٥) الكلّيات، أبو البقاء الكفوي: ١٠٧.
- (٦) الأسس اللغوية لعلم المصطلح، د.محمود فهمي حجازي: ١١-١٢.
- (٧) علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، د. علي القاسمي: ٢٩٦.
- (٨) المصطلح العلمي والفني في القاموس العام، (بحث) المصطلح العلمي والفني في القاموس اللغوي العام العربي والأعجمي: ١٢٨.
- (٩) النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، د. علي القاسمي: ٩.
- (١٠) المصدر نفسه: ١٤.
- (١١) علم المصطلحات وبنوك المعطيات، ليلي المسعودي: ٨٥.
- (١٢) النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها: ٩.
- (١٣) ينظر: رؤية عربية لتوحيد المصطلح العلمي وتقييسه، د. محمد رشاد الحمزاوي: ١٧٩-١٨٢و.
- ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي: ١٧٥.
- (١٤) ينظر: أزمة توحيد المصطلحات العلمية والعربية، يوسف الجوارنة على الرابط الآتي:
 . of Arabic.netwww.voice
- (١٥) ينظر: إشكالية ترجمة المصطلح -مصطلح الصلاة بين العربية والعبرية إنموذجًا، د.عامر الزناتي الجابري: ٣٤٩، ٣٤١.
- (١٦) ينظر تراثا الاصطلاحي، د.محمد ذنون يونس: ١٦.
- (١٧) دراسات في فقه اللغة، د.صبحي الصالح: ٢٩٢-٢٩٣.
- (١٨) قاموس أكسفورد الحديث: ٧٨٥.
- (١٩) المصدر نفسه: ٣٤٤.
- (٢٠) ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، د.عبد العال سالم مكرم: ٣٠٦، وسببويه والقراءات، د. احمد مكي الانصاري: ٢٣٤، ٢٥٠، ونظرية النحو القرآني، د. احمد مكي الانصاري: ٤٩، ينظر: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د. هناك محمود: ٦٥.

- (٢١) ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: ٢١٥، ٦٠٣، ونحو القرآن، د. أحمد عبد الستار الجواري: ٦، ونحو التيسير، د. أحمد عبد الستار الجواري: ١٢، وقضايا نحوية، د. مهدي المخزومي: ٥٦، والنحويون في القرآن الكريم، د. خليل بنیان: ٨-٩، ودراسات نقدية في اللغة والنحو، د. كاسد الزيدي (بحث نحو القرآن بين تقصير القدامى وقصور المحدثين: ٨٦).
- (٢٢) ينظر: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ٢٠-٢١.
- (٢٣) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص (تقديم الكتاب د. كريم حسين ناصح الخالدي): ٥.
- (٢٤) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢.
- (٢٥) يوسف: ٨٢.
- (٢٦) سبأ: ٣٣.
- (٢٧) البقرة: ١٧٧.
- (٢٨) البقرة: ١٧١.
- (٢٩) الكتاب، سيبويه: ٢١٢/١.
- (٣٠) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ٧٩٧، والبرهان في علوم القرآن: ٣/١١٤.
- (٣١) الزمر: ٩.
- (٣٢) النجم: ٤٣-٤٨.
- (٣٣) دلائل الإعجاز: ١٦٨-١٦٩.
- (٣٤) سبأ: ١٠.
- (٣٥) إعراب القرآن، النحاس: ٦٨٧.
- (٣٦) المرسلات: ١٥.
- (٣٧) المطففين: ١.
- (٣٨) طه: ٤٤.
- (٣٩) التوبة: ٣٠.
- (٤٠) الكتاب: ٣٣١-٣٣٢/١.
- (٤١) ينظر: كتاب الرد على النحاة، ابن مضاء، تحقيق د. شوقي ضيف: ١٧.
- (٤٢) ينظر: المصدر نفسه: ٨٨.
- (٤٣) ينظر: المصدر نفسه: ٩٢-٩٣.
- (٤٤) ينظر: كتاب الرد على النحاة: ١٥١.

- (٤٥) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٥.
- (٤٦) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ١٥٣- ١٥٤.
- (٤٧) ينظر: المصدر نفسه: ٦٩-٧٦.
- (٤٨) ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية: ٢١٣- ٣٢٩.
- (٤٩) المصدر نفسه: ٣٠٦.
- (٥٠) ينظر: المصدر نفسه: ٣٢١.
- (٥١) ينظر: نحو القرآن ٢٢، ٢٥، ٣٦.
- (٥٢) البقرة: ١٨٤.
- (٥٣) سبأ: ١٥.
- (٥٤) هود: ١٧.
- (٥٥) القصص: ٩.
- (٥٦) نحو القرآن: ٢٥.
- (٥٧) ينظر: نظرية النحو القرآني: ٤٩.
- (٥٨) المصدر نفسه: ٤٩.
- (٥٩) ينظر: نظرية النحو القرآني: ٥٠.
- (٦٠) المصدر نفسه: ٧٣.
- (٦١) المصدر نفسه: ٥١.
- (٦٢) الأنعام: ١٣٧.
- (٦٣) ينظر: الكتاب: ١/٢٩٠.
- (٦٤) ينظر معاني القرآن: ١/٢٥٨.
- (٦٥) كتاب السبعة في القراءات: ٢٧٠، وينظر نظرية النحو القرآني: ٧٨-٨١.
- (٦٦) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ٧٣.
- (٦٧) ينظر: قضايا نحوية: ٥٦.
- (٦٨) ينظر: النحويون والقرآن الكريم: ٨-٩.
- (٦٩) ينظر: دراسات نقدية في اللغة والنحو: ٨٦-٨٩.
- (٧٠) قضايا نحوية: ٥٦، وينظر دراسات نقدية د. كاصد ٨٦- ٨٩.
- (٧١) ينظر: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ٥٧، ٦٠، ٢٩٤.
- (٧٢) المصدر نفسه: ٧٩.

- (٧٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٥٩-٢٤٨.
- (٧٤) ينظر: النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة: ٨٨، ١٣٨، ١١١، وتجديد النحو: ١١-٤٣، ومعاني النحو: ١/٢ و ٥٢، ٧٢، ونظرية المعنى في الدراسات النحوية: ٢٩، والبديل المعنوي في ظاهرة الحذف: ٩.
- (٧٥) ينظر: معاني النحو: ٢/٢، ٨٢، ٦٥.
- (٧٦) ينظر: البديل المعنوي من ظاهرة الحذف: ١٥١-١٥٥، ٧٢، ٢٧.
- (٧٧) ينظر: دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ١/٥.
- (٧٨) ينظر: النحويون والقرآن الكريم: ١٢-٢٩٠.
- (٧٩) ينظر: اللغة بين القديم والحديث: ٩١-٩٤.
- (٨٠) ينظر: دراسات نقدية في اللغة والنحو ٨٩-٩٠.
- (٨١) ينظر: النحو القرآني قواعد وشواهد: المقدمة وما بعدها.
- (٨٢) ينظر: دراسات في النحو القرآني: ١١، ١٠٥، ٢٣٩.
- (٨٣) المعجم الفلسفي: ج ١/ ٧٤٣.
- (٨٤) المصطلح الفلسفي، د. عبد الأمير الأعسم: ١٩١.
- (٨٥) المصدر نفسه: ١٩١.
- (٨٦) التعريفات: ١٨٥.
- (٨٧) الكليات: ٧٢٥.
- (٨٨) في المصطلح ولغة العلم، د. مهدي صالح الشمري: ٥٩.
- (٨٩) ينظر: القاموس المحيط، مادة (نحو).
- (٩٠) الأصول في النحو، ابن السراج: ١/٣٤.
- (٩١) الخصائص، ابن جني: ١/٣٤.
- (٩٢) البقرة: ٢-٣.
- (٩٣) آل عمران: ٣٥.
- (٩٤) مغني اللبيب عن كتب الأعراب: ١٤.
- (*) تبني البحث هذا التعريف كونه آخر دراسة بحثت المصطلح - بحدود اطلاعنا - وقيدته مفهوماً واصطلاحاً.
- (٩٥) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ٧٩.
- (٩٦) تراثا الاصطلاح: ١٧.

(٩٧) المصطلح العلمي والفني في القاموس العام، بحث (المصطلح بين التخصيص والتعميم في القاموس العام): ٩٤.

(٩٨) ينظر: النحو القرآني قواعد وشواهد: ١، ودراسات في النحو القرآني: ٧.

(٩٩) ينظر: القرآن الكريم وأثره ٦٠٣.

(١٠٠) ينظر: نظرية النحو القرآني ٧٣.

(١٠١) ينظر: قضايا نحوية ٥٦، ودراسات نقدية في اللغة والنحو: ٨٩.

(١٠٢) التعريفات: ٢٧.

(١٠٣) معجم المصطلحات الادبية، ابراهيم فتحي: ٢٩٩.

(١٠٤) ينظر: تراثنا الاصطلاحي: ١١-٢٨.

(١٠٥) المصطلح النحوي (دراسة في فكر ابن هشام الأنصاري، د. حسام عبد العزيز عبد الجليل: ٣٦٥.

(١٠٦) المقرَّب، ابن عصفور: ٤٥/١

(١٠٧) ينظر: شذا العرف في فن الصرف، احمد محمد الحملاوي: ١٨١.

(١٠٨) ينظر: القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم: ٣٠٦.

(١٠٩) الخليل بن احمد الفراهيدي - أعماله ومنهجه. د. مهدي المخزومي: ٤١

(١١٠) تراثنا الاصطلاحي: ١٦.

(١١١) ينظر المصدر نفسه: ١٧-٢٠.

(١١٢) ينظر: نحو القرآن: ٦-١٤، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم: ٥/١.

(١١٣) ينظر: النحويون والقرآن الكريم ١٠، ١٢-٢٩٢.

(١١٤) ينظر: نحو القرآن: ١٤-٦٧، ومعاني النحو: ٨/١، ٥٢/٢ و ٧٢. والبديل المعنوي من الحذف: ١٥١-١٥٥.

(١١٥) ينظر: تراثنا الاصطلاحي: ٢٢.

(١١٦) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ٧٩.

(١١٧) المصطلح العلمي والفني في القاموس العام: ١١١.

(١١٨) ينظر: نحو القرآن: ٧-٩، ونظرية النحو القرآني: ٧٣، والنحو القرآني قواعد وشواهد: (المقدمة وما بعدها).

(١١٩) ينظر: الأسس اللغوية لعلم المصطلح: ١٢.

(١٢٠) المصطلح العلمي في اللغة العربية (عمقه التراثي وبعده المعاصر) أ. د. رجاء وحيد دويدري: ١٤٥.

- (١٢١) ينظر: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ٢٤٦، ٢٩٦،
 (١٢٢) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، د.خليفة المصياوي: ٣٧.
 (١٢٣) ينظر: النحويون ولقرآن الكريم: ١٢-٢٩٠.
 (١٢٤) ينظر: الدرس النحوي في بغداد: ١٥٩.
 (١٢٥) سيبويه والقراءات: ٢٣٤.
 (١٢٦) ينظر اللغة والنحو بين القديم والحديث: ١٠٧، ونحو التيسير: ١٢.
 (١٢٧) ينظر: نحو القرآن: ١٢-١٦، ودراسات نقدية في اللغة والنحو: ٩٠.
 (١٢٨) بحوث مصطلحية / احمد مطلوب ، بحث(المصطلح نشأته وتطوره): ٩.
 (١٢٩) ينظر: المصطلح النحوي (نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري، د.محمد عوض القوزي: ٢٥.
 (١٣٠) في المصطلح ولغة العلم: ٧٣.
 (١٣١) شرح اللوحة البدرية في علم اللغة العربية، د.هادي نهر: ١٧٥/١.
 (١٣٢) المصطلح العلمي في اللغة العربية: ١٥٣.
 (١٣٣) في المصطلح ولغة العلم: ٦٥.
 (١٣٤) بحوث مصطلحية: ١٣.
 (١٣٥) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم: ٣١.
 (١٣٦) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص: ٧٩.
 (١٣٧) المصطلح العربي البنية والتمثيل، د.خالد الأشهب: ١٢٦.
 (١٣٨) ينظر: اللسانيات وأسسها المعرفية، د.عبد السلام المسدي: ٢٣، ٩٣.
 (١٣٩) المصدر نفسه: ٩٤.
 (١٤٠) بحوث مصطلحية: ٣٧-٣٨.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الأسس اللغوية لعلم المصطلح، د.محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٣م.
- الأصول في النحو، ابن السراج (ت٣١٦هـ)، تحقيق د.عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط٤، ١٩٩٩م .
- إعراب القرآن، احمد اسماعيل النحاس(ت٣٣٨هـ)، تحقيق د.زهير غازي زاهد، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م .

- بحوث مصطلحية/ احمد مطلوب، بحث (المصطلح نشأته وتطوره) مطبعة المجمع العلمي العراقي، ٢٠٠٦م.
- البديل المعنوي من ظاهرة الحذف في القرآن الكريم. د. كريم حسين ناصح الخالدي، داففاء، عمان، ط١، ٢٠٠٧م.
- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٦م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق مصطفى حجازي، المجلس الوطني للثقافة و الفنون والآداب، مادة "صلح".
- تجديد النحو، د، شوقي ضيف، المعارف، مصر، ١٩٨٢م.
- تراثنا الاصطلاحي أسسه وعلاقاته وإشكالياته، د. محمد دنون يونس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٣م.
- التعريفات، القاضي علي الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د-ط١، ١٩٨٥م.
- الخصائص، عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط٤، ١٩٩٩م.
- خليل بن احمد الفراهيدي -أعماله ومنهجه- د. مهدي المخزومي، مطبعة الزهراء، بغداد، ط ١، ١٩٦٠م.
- دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، لبنان، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- دراسات في النحو القرآني، د. عبد الجبار فتحي، الجيل العربي، الموصل، ط١، ٢٠٠٩م.
- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، عبد الخالق عزيمة، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- دراسات نقدية في اللغة والنحو، د. كاصد الزبيدي، دار أسامة، عمان، ط١، ٢٠٠٣م.
- الدرس النحوي في بغداد، د. مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ)، مكتبة سعد، دمشق، ط٢، ١٩٨٧م.
- سيبويه والقراءات، د. أحمد مكي الأنصاري، المعارف، مصر، ١٩٧٢م.
- شذا العرف في فن الصرف، احمد محمد الحملاوي (ت١٣١٥هـ)، تقديم د. محمد عبد المعطي، دار الكيان (د.ت).
- شرح اللحة البدرية في علم اللغة العربية، د. هادي نهر، دار اليازوري، عمان، ط١. (د.ت)
- علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، دعلي القاسمي، مكتبة لبنان: ناشرون، بيروت- لبنان، د-ط، ٢٠٠٨م.

- في المصطلح ولغة العلم، د.مهدي صالح الشمري، اداب بغداد، ط ١، ٢٠١٢ م .
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، دار العلم للجميع، بيروت (د.ت)، مادة (نحو).
- القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، د.عبد العال سالم مكرم، المعارف، مصر، (د.ت).
- قضايا نحوية، د.مهدي المخزومي، المحمّع الثقافي، ابو ظبي، ط١، ٢٠٠٢م.
- الكتاب، عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٩٨٨م.
- كتاب الرد على النحاة، ابن مضاء القرطبي (ت ٥٩٢هـ)، تحقيق د.شوقي ضيف، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط١، ١٩٧٤م: ١٧.
- كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد (ت ٣٢٤هـ)، تحقيق د.شوقي ضيف، المعارف، مصر، ط٣ (د.ت).
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، عناية خليل مأمون شيحا، المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩.
- الكليات، أبو البقاء الكفوي (ت ١٦٨٣هـ)، تحقيق عدنان درويش و محمد المصري، مؤسّسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط٢ / ٢٠١٢م.
- لسان العرب، ابن منظور (ت ٦٥٠هـ)، دار صادر، بيروت-لبنان، د-ط، ١٩٨٨م.
- اللسانيات واسسها المعرفية عبد السلام المسدي، الدار التونسية، ط١، ١٩٨٦.
- اللغة والنحو بين القديم والحديث، د.عباس حسن، المعارف، مصر، ط١، ١٩٦٦م.
- المصطلح العربي البنّية والتمثيل د.خالد الاشهب، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١١م.
- المصطلح العلمي والفني في القاموس العام، وقائع الندوة السابعة للقاءات الدولية القاموسية /جامعة ليون ٢- فرنسا ٢٦ -٢٧ تشرين الأول ٢٠١٠، جمعها د.حسن حمزة، دار الهلال، بيروت ٢٠١٣م.
- المصطلح العلمي في اللغة العربية (عمقه التراثي وبعده المعاصر)، أ.د رجاء وحيد دويدري، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠١٠ م.
- المصطلح الفلسفي عند العرب، د، عبد الأمير الأعسم، دار الفكر العربي، بغداد، ط١، ١٩٨٥م.
- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، د.خليفة المسياوي، دار الأمان، الرباط، ط١، ٢٠١٣ م.
- المصطلح النحوي (دراسة في فكر ابن هشام الأنصاري)، د. حسام عبد العزيز عبد الجليل، طبعة العمرانة، الحيزة، ط١، ٢٠١٠م.
- المصطلح النحوي (نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري) د.محمد عوض القوزي، جامعة الرياض، ط١، ١٩٨١م.

- معاني القرآن، يحيى بن زكريا الفراء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠١م.
- معاني النحو، د.فاضل السامرائي، دار الفكر، عمان، ط٢، ٢٠٠٣م .
- المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م .
- معجم المصطلحات الادبية ابراهيم فتحي، التعااضدية العمالية، تونس، ط ١، ١٩٨٦م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق د.مازن المبارك ومحمد حمدالله، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٨٥م.
- المقرب، ابن عصفور الإشبيلي (ت ٦٦٩هـ)، تحقيق د.احمد عبد الستار الجواري ود.عبدالله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، ط ١، ١٩٧١م.
- من قضايا المصطلح اللغوي العربي، د، مصطفى طاهر الحيادة، عالم الكتب الحديث، ط١، ٢٠٠٣م.
- نحو التيسير د.احمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٨٤م.
- نحو القرآن، د.احمد عبد الستار الجواري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٧٤م.
- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص، د.هناك محمود إسماعيل، دارالكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٢م .
- النحو القرآني قواعد وشواهد، د.جميل أحمد ظفر، مطابع الصفا، مكة المكرمة، ط٢، ١٩٩٨م.
- النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة، محمد أحمد عرفة، مطبعة السعادة، مصر (د.ت).
- النحويون والقرآن الكريم، د.خليل بنيان الحسون، الرسالة الحديثة، عمان، ط١، ٢٠٠٢م
- نظرية المعنى في الدراسات النحوية، د.كريم حسين ناصح، دار صفاء، عمان، ط١، ٢٠٠٦م.
- نظرية النحو القرآني، د.أحمد الانصاري، (د.ط)، ١٩٨٥م.

المجلات والدوريات :

- ١- إشكالية ترجمة المصطلح - مصطلح الصلاة بين العربية والعبرية إنموذجاً-، د.عامر الزناتي الجابري. مجلة البحوث والدراسات القرآنية، السنة الخامسة والسادسة، ع ٩.
- ٢- النظرية العامة لوضع المصطلحات وتوحيدها وتوثيقها، د.علي القاسمي، مجلة اللسان العربي مج ١٨، ج ١، ١٩٨٠م .
- ٣- علم المصطلحات وبنوك المعطيات، ليلي المسعودي، مجلة اللسان العربي ع ٢٨، ١٩٨٧م،
- ٤- ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي في ١٨ - ٢٠ / ١٩٨١، مجلة اللسان العربي مج ١٨، ج ١، ١٩٨٠م،

٥- رؤية عربية لتوحيد المصطلح العلمي وتقييسه، د. محمد رشاد الحمزاوي، مجلة مجمع اللغة العربية

/القاهرة، ع، ٩٠

المراجع الأجنبية :

- Oxford wordpower ، university press 2006.

المواقع الإلكترونية :

- أزمة توحيد المصطلحات العلمية والعربية، يوسف الجوارنة على الرابط الآتي:

of Arabic.netwww.voice

تجليات الطبيعة في شعر أبي الحسن الاستجي

□ الأندلسي (تق ٥٥هـ)

□ أ.د. فاضل بنیان محمد

□ الجامعة العراقية / كلية الآداب

□ &

□ د. هشام نهاد شهاب

□ الجامعة العراقية / كلية الآداب

الملخص

لم يكن الشعر في بلاد الفردوس المفقود حكراً على الادباء والشعراء فقط بل تعدى الأمر إلى الفقهاء وعلماء الدين بل وعامة الناس من المجتمع ، وبحثنا يتناول شاعراً لم تصل إلينا من أخباره إلا نتف يسيرة متفرقة في بعض كتب الأدب الأندلسي القديمة والحديثة ولكنه كان شاعراً مجيداً إضافة إلى كونه فقيهاً بارعاً ، وشاعرنا هو علي بن عبد الله بن علي المكنى بأبي الحسن ولقبه الاستجي نسبة الى مدينة استجة التي ولد ونشأ فيها وقد جعل جل شعره بل جميعه في وصف الطبيعة الغناء التي حبى الله عز وجل تلك الربوع الغالية الجميلة بها ، حيث عمد البحث الى ذكر تجليات الطبيعة الجميلة التي وردت في هذا الشعر الذي غلب عليه جانب المقطعات الشعرية القصار ذوات الابيات المعدودة وقد القى البحث الضوء على ابرز التجليات الفنية والموضوعية في شعر هذا الشاعر الفقيه.

والله ولي التوفيق

Abstract

In the State of Paradise Lost, the poetry was not confined to writers, poets only but also a lot of persons in the field of jurisprudence, religious scholars and laymen dealt with it as well. And the current paper is about a poet that we received small pieces of information about him from some old and modern references with regard to Andalus Literature. However, he was a well-versed poet and glorious one as well as a man of jurisprudence. His name is Ali Bn Abdullah Bn Ali Whose nickname is Abi AL-Hasan AL-Oustaji due to the city of Oustaja where he was born and brought up in it. Besides, he made all his poems describe the beauty of the nature where he glorified AL-Mighty Allah for such amazing beauty. Moreover, the paper intentionally mentioned the manifestations of the beautiful nature that were dominated in his short stanzas of limited poetic verses. And the paper highlighted the most important artistic and objective manifestations in the poems of the poet and man of jurisprudence concerned.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير ما نطق بالضاد سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين

فقد حظيت بلاد الأندلس بطبيعة جميلة ورائعة بفضل الله سبحانه وتعالى جعلتها ملهم شعرائها، فقد كان الأدباء الأندلسيون ومنهم الشعراء يعشقون تلك الطبيعة الخلابة ويطلقون عنان قرائحهم في وصفها والتغني بمظاهرها وتشبيهها بالإنسان ومحاورتها حتى كأنها شخص ناطق يشعر بالحزن والفرح والحب وغير ذلك من المشاعر الانسانية الجياشة وبحثنا يتناول شاعراً لم تصل إلينا من أخباره إلا نتف يسيرة متفرقة مبثوثة هنا أو هناك في بعض كتب الأدب الأندلسي القديمة والحديثة منها على السواء ولكنه كان شاعراً مجيداً فضلاً عن كونه فقيهاً بارعاً، ولعل شغف الاستجي بالأندلس قاده إلى جعل جل شعره بل جميعه في وصف الطبيعة الغناء التي حبى الله عز وجل تلك الربوع الغالية الجميلة، وشاعرنا هو علي بن عبد الله بن علي المكنى بأبي الحسن ولقبه الاستجي نسبة الى مدينة استجة التي ولد ونشأ فيها، وقد قام الباحثان بتقصي أخبار هذا الشاعر الفقيه من المصادر والمراجع الأندلسية فوجدا أن جميع شعره قد ذكره صاحب كتاب البديع في فصل الربيع، وقد عمل الباحثان على دراسة شعره دراسة تحليلية وقفت على اهم الجوانب الموضوعية والفنية التي تضمنتها نصوص هذا الشاعر الفقيه، كما أن الدراسة استندت الى جهد الباحثين التحليلي والرصد العلمي المتأني وقد انتهى البحث إلى خاتمة لأبرز ما توصل إليه البحث من نتائج ثم اردفا البحث بقائمة لأهم المصادر والمراجع المستخدمة فيه فضلاً عما يجده القارئ الكريم من نتائج غزيرة مبثوثة في ثناياه.

والباحثان إذ يقدمان هذا البحث بين أيدي القراء الكرام يأملان أن يكون إضافة جديدة إلى التراث الأدبي العربي الأندلسي الذي ما زال يحوي الكثير من الكنوز النفيسة التي لم يتطرق إليها الدراسون والباحثون من قبل.

والله الموفق

اجمع أصحاب التراجم على أن شاعرنا هو علي بن عبد الله بن علي، وكنيته أبو الحسن^(١)، أما لقبه فقد اختلف فيه، فمنهم من ذهب إلى أنه الاستجني^(٢)، ومنهم من قال أنه الأشجعي^(٣)، ومن جانبنا نرجح أنه الاستجني، وحببتنا في ذلك أن القائلين بالاستجني من القدماء أكثر من القائلين بغيره، ولا نستبعد كذلك ربما من قال بالأشجعي إنما أصابه الوهم بعد أن وقع في التصحيف والتحريف لقرب المفردتين (الاستجني) و (الأشجعي) في تقارب الحروف أو تماثلها كما بين السنين والشين، والعين والجيم، فضلاً عن اشتراك المفردتين في ياء النسب في كليهما، وذلك ما نميل إليه بقوة ونرجحه.

وإذا كانت المصادر قد اختلفت في نسب الشاعر فإنها قد اتفقت على أنه كان فقيهاً، نحويًا، شاعراً مجيداً لامعاً، أما زمنه فلم تشر المصادر القديمة التي أرخت له إلى سنة ولادته ولا حتى إلى سنة وفاته، بيد أننا ومن خلال قراءة شعره لا سيما ذلك المرتبط بمدح شخصيات الحكم في دولة بني عباد، كالقاضي محمد بن عباد الذي عاش في المدة من ٤١٤هـ إلى ٤٣٣هـ^(٤)، نستطيع أن نرجح أن الاستجني من الشعراء الذين عاشوا في منتصف القرن الخامس الهجري وهو من أهل قرطبة سكن إشبيلية^(٥)

وقد اشتهر أبو الحسن كثيراً بوصف الرياض، لاسيما تلك المرتبطة بمدح الوزير أبي عبد الله بن ذي الوزارتين، أبي القاسم بن عباد، وكذلك اشرك وصف الرياض بالمدح لاسيما مدح القاضي أبي عباد^(٦). وإذا كان الاستجني قد عُرف بوصف الرياض ومدح الوزراء عرف عنه - كذلك - معارضته للشعراء على وفق معارضته لأبي الوليد بن عامر^(٧).

وذلك كله يشير بوضوح إلى أن شاعرنا كان متصرفاً في فنون القول المختلفة من وصف، ومدح، وفخر، ومعارضة، وإن كان في الوصف اقدر، وفي المدح أوجز، وفي الفخر ابلغ، وهذا ليس ببعيد عن شاعر تعلم فن الشعر في بيئة حضرية، تلك هي إشبيلية مركز الثقافة والمدنية، ومحط أنظار العلماء، والفقهاء، والشعراء، والموهوبين آنذاك، فضلاً عما يحمله شاعرنا من مقومات الموهبة، والإبداع، والتفرد، الأمر الذي صيّر في مصاف الشعراء الوصافين الكبار.

وبذلك نكون قد وقفنا بإيجاز عند حياة الاستجي ونباهته ونبوغه في قول الشعر الذي وجدناه لا يصدر عن تكلف أو صعوبة أو صناعة وإنما كان يجري على لسانه جريان الماء المتدفق بسلاسة وعذوبة ورقة، وبقيناً لم يكن ذلك كله بمتحقق لولا امتلاك الاستجي مقومات الشعر والقدرة على رسم صوره ومعرفة معماريته، الأمر الذي صيّر نصوصه الشعرية على مستوى متميز من الأصالة والدقة واللغة الشعرية المنتخبة تلك اللغة العالية التي تحوّل مواد الطبيعة وموجوداتها المحسوسة إلى عمل فني جميل، حتى كأن نصوصه لوحات فنية موشاة بشتى الألوان ذات البعد التصويري والعمق الدلالي والأثر التعبيري، فبوساطة ريشته الفنية تلك يُقرب البعيد، ويسمو القريب بنصوص تنمهي وخياله الشعري الذي يخلق بما هو قادر في مخيلته ليقذفه في وعي المتلقي نتاجاً شعرياً يحمل قدراً كبيراً من روح صاحبه ومن وحي عقله ومن عبق إحساسه.

إنّ إحصاءً أولياً لشعر الفقيه علي بن محمد الاستجي الأندلسي يمدنا برؤية علمية دقيقة، إذ تتوضح لنا حقائق معينة بعضها ما هو متعلق بالكم العددي للآبيات، وبعضها مرتبط بما توزعت عليه نصوصه بين القصائد والمقطعات، فضلاً عن انسياب تلك النصوص ضمن مسار موضوعية ابتثت عليها.

أفادنا الإحصاء أنّ مجموع أبياته الشعرية كانت (١٤٧) مائة وسبعة وأربعين بيتاً، موزعة على (٢٩) تسعة وعشرين نصاً منها (٢٨) ثمان وعشرون مقطوعة، وقصيدة واحدة.

أمّا أكثر تلك النصوص فدائرة في إطار الوصف، ذلك الفن الذي وجد له في الأندلس تربة ومناخاً مناسبين، بعد أن هيأت البيئة الأندلسية لشعرائها جُلّ ما يثري قرائحهم، ويخصب فنههم، ويثمي مواهبهم، وبذلك جاءت نصوصهم الشعرية - في عمومها - تحاكي تلك البيئة بكل صورها وموجوداتها، وهي محاكاة أبعد ما تكون عن الرصد التصويري (الفوتوغرافي) المجرد، وأقرب إلى التعبير الفني المؤنق، فقد استطاع الشعراء الأندلسيون عموماً أن يتعاملوا مع ما تقع عليه أعينهم بشكل لافت، إذ خلقوا بوعيمهم الفني صوراً جديدة لكل ما يرون، وما يسمعون، وما يحسون، انطلاقاً من حقيقة أن الفن لم يكن انعكاساً مجرداً للواقع، وإنما إعادة تشكيل ذلك الواقع تشكيلاً جديداً يتداخل

فيه الواقع بالخيال، الأمر الذي ينبهر بهذا التشكيل المتلقي لاسيما في النصوص الشعرية التي ابتعد فيها أصحابها قدر المستطاع عن التقليد الفني المحض واقتربوا من التوظيف المؤنق للصورة، وبما يشير إلى خلق وابتكار جديدين، وذلك لا يتأتى إلا لذوي المواهب الشعرية الفذة التي تجاوز فيها أصحابها ما أثاره السابقون، فرفضوا الانزواء في خانات الركود والسكون والاتكاء التقليدي على الموروث.

وإذا كان الباحثان قد وضعنا نصب أعينهما تلك التصورات فإنها قد امتلكتنا من عمق النظرة - فضلاً عما قالاه - من المنطلقات النظرية ما يمنحهما القدرة على الولوج إلى أعماق نصوص الشاعر الفقيه علي بن عبد الله، لعلهما من خلال ذلك الفهم والإدراك ينفذان إلى أعماق التجربة الشعرية لهذا الشاعر، لينتهيان من البحث إلى حصيلة علمية نابغة من حقيقة ما تقصص عنها نصوص الشاعر نفسه من جهة، ومن جهة أخرى من النظرة الثاقبة والقراءة النقدية الواعية لما وراء النص من خلال النفاذ في بنيته العميقة والوقوف على خصوصية الوعاء اللغوي والأسلوبي الذي نهجه الشاعر، انسجاماً وسعة أفق الوعي الشعري عنده، إذ تغدو القرائن النصية هي المعيار العلمي الذي من خلاله تتوضح المقاصد، وتتكشف الغايات وتتوشر الحقائق إن محاور النص الشعري هو السبيل - كما يرى الباحثان - إلى سبر اغوار تجربة الشاعر - أي شاعر - وإدراك مقاصده وفك مغالق نصوصه، وذلك ما سعي إليه حرصاً منهما على رصده وتحليله وإظهاره.

إن أول ما يمكن تسجيله في مضمار التشكيل اللغوي والأسلوبي في شعر علي بن عبد الله شيوع ظاهرة التضاد، والذي يظهر من خلالها توظيف مفردتين متضادتين أو أكثر في مكان واحد، ولعل مغزى ذلك مرتبط بقدرة هذا النمط الأسلوبي على حمل أفكار الشاعر، والتعبير عن رؤاه الفنية، إذ يخلق التضاد - كما هو معروف - حركة مفاجئة داخل الصورة نفسها إذ تنشئ بشكل لافت إلى شعور يأخذ في كثير من الأحيان (منحنى انفعالياً دائم التغيير)^(٨)، مثلما تشير إلى أنّ ثمة شيئين متضادين قارين في أبعاد الصورة مع ملاحظة أنّ ذلك التوظيف لا يعني انفصاماً بين اطراف العمل التصويري بقدر ما يشير إلى ان حضور المتضادات ما هو إلا الجمع بين القريب والبعيد، وكلاهما يعمدان إلى خلق التأثير في المتلقي بوصفه عنصراً فاعلاً إن لم نقل مشاركاً في عملية التلقي

ومن ثم الحكم ولعل ذلك يظهر أكثر من خلال الثنائيات التضادية التقابلية، فإذا ما اجتمع امر ما ولم تتوافر له عوامل النماء والحضور والتأثير فإنه سرعان ما يتوافق مع ضده فالحياة - مثلاً - إن جردتها من عوامل الحرية والكرامة فإنها تكون اقرب إلى نقيضها (الموت) وهكذا تعزز قوة اللفظة في امتلاكها التأثير الواعي المثمر وهي تحمل خصوبة الفعل، وعمق التجربة، وأصالة الرؤية وإذا ما تم تجريدتها من زخمها المؤثر فإنها تقف في خندق واحد مع نقبضها كما يتعزز دورها في حضور ما يحمله الواقع من ثنائيات تضادية متماثلة، إن أخص ما يمكن قوله في مضمار البحث عن التضاد في شعر علي بن عبد الله هو إلحاح الشاعر على تلك الثنائية، وهذا واضح في أكثر نصوصه الوصفية، إذ طالما يواجهنا وهو يضخ في تضاعيف صوره الشعرية على التقابل الضدي الذي يفضي - في نهاية المطاف - إلى إقامة دلالات شعرية متشابهة، فكثير ما يحمل النقيضان بيان موقفه من الحياة، فضلاً عن كونها انعكاساً لرؤية الشاعر الفنية لما يدور في مخيلته من انفراج في الصورة، إذ لا يؤدي التصوير في شعره إلى التشكيل المجرد بقدر شيء إلى رسم صورة جديدة مركبة يجد الشاعر من خلالها الوسيلة المؤداة إلى حمل همومه التعبيرية والإفصاح عن رغبته في ولوج عالم التصوير الفني الجميل المؤدي غايات تعكس دلالات جمالية هياًها لمخاطبيه إذ يستشرف بوساطة الثنائيات التضادية دخول التصوير إلى مرحلة جديدة تفضي إلى خلق ثنائيات تضادية شكلت على وفق من التصوير الفني الدقيق، من ذلك قول الاستجي في وصف مجلس شرب:

فوجه نهارهم بالظل ليلٌ وليلهم بأنجمه نهارٌ^(٩)

فالشاعر كان حريصاً أشد الحرص على تشكيل صورة الصحب بأبعاد ثنائية حادة، عندما وصف نهارهم ليل، أما ليلهم فأقرب إلى النهار بفضل أقماره (أنجمه) ولعل هذه الثنائية قد عكست قدرة الشاعر على التصوير الفني المؤنق لجانب من مجالس الشرب التي يطفئ فيها أصحابها الأضواء في النهار ويكثر من الضياء في الليل حتى يتحول نهارهم ليل وليلهم نهار، وفي هذا كله دلالة على رصده المظاهر الجديدة في تلك المجالس وهي ظاهرة تؤثر الحياة بكل ما فيها من متع وملذات بطقوس خاصة، انطلاقاً

من ضرورة ان يلبس الشاعر فيه من الألفاظ التي تطابقه^(١٠)، ومن ثنائياته الضدية قوله في وصف للروض:

كَأَنَّمَا زَهْرَةُ النِّيلُوفِرِ اخْتَلَسَتْ *** قِطْعاً مِنَ اللَّيْلِ قَدْ حَفَّ الصَّبَاحُ بِهِ^(١١)

فالنور منقطع عن جزم عنصره *** والليل ممتنع من حكم غيره به

تجلى التضاد في البيتين من خلال مفردتي (الليل) و(الصباح)، من جهة، و(النور) و(الليل) من جهة أخرى، ولعل تلك الثنائية الضدية توفر للصورة أبعاداً جمالية واضحة، فقد رصد صورة (زهرة النيلوفر) التي اختلست شيئاً من الليل المحفوف بالصباح، وفي ذلك التوظيف التضادي تعاضد وتوافق وانسجام، إذ لا يكون ليل ذلك الزهر جميلاً إلا بعد ان يحفه الصباح، وكأنّ الزهر في سواد الليل قد توشح بثوب من البياض، وذلك ما أضفى على الصورة عنصراً جمالياً واضحاً من خلال التداخل والتبادل والتضاد.

وقد احتوى البيت الثاني على ثنائية تضادية كذلك، فإذا ما انقطع النور عن الزهر فإن الليل - هو الآخر - ممتنع عن غيره به، وكأنّ الثنائيات التضادية في النص تمتزج لتصب في مجرى واحد ذلك هو بناء صورة جميلة ابعد من كونها صورة بسيطة او ساذجة وأقرب إلى الصورة الجديدة المبتكرة، كما تتشكل من نصوص الفقيه الشعرية على ذلك النمط الثنائي من التضاد، من ذلك قوله في وصفه لغلام:

رَيْمٌ سَبَى مُقْلَتِي تَوْرُدُهُ يَسْلُ سَيْفَ الْهَوَى وَيُغْمِدُهُ

حرص الشاعر على الإفادة من الدلالات التضادية المتوافرة في البيت، فبعد ان جعل الهوى اقرب إلى صورة السيف عمد إلى بيان ذلك الأثر على المحب، أكان مستلاً لسيفه (المفترض) أم هو في غمده، ولعل مغزى تلك الصورة تجري بشقين متجاورين احدهما: تزيين صورة الحبيب الذي دعاه بـ(ريم) والآخر: بيان حالة المحب الذي يبقى أسيراً لذلك العشق الجميل، سواء أظهر الحبيب هواه أو أخفاه.

أما الملمح الأسلوبى الآخر الذي رصدناه في نصوص الاستجعي فهي ابتداءاته الشعرية الدائرة في اطار الاتكاء على التشبيه، ولعلّ أول ما يمكن قوله في هذا الجانب أنها ابتداءات نابعة من حقيقة توجه الشاعر الأسلوبى من جهة، وحرصه على ملاءمتها

وطبيعة مجتمعه الأندلسي سعياً منه إلى استمالة قلوب المتلقين من إثارة سامعيه بركوب أساليب معينة مستندة من أساسها وقبل أي أمر آخر إلى ذوقه الذاتي المحض الذي يسعى من خلاله إلى تجسيد الوعي الجماعي.

إنّ أخص ما يمكن تسجيله في هذا الميدان نزوع أبي الحسن الاستجوي إلى التشبيه منذ اللفظة الأولى، فهو يبدأ - أول ما يبدأ - بأداة التشبيه والتي تأتي في الغالب (كأن)، من ذلك قوله:

كَأَنَّمَا الرَّوْضُ لَمَّا	***	وَشَتَّ يَدُ الْمُزْنِ أَرْضَهُ
بِكُلِّ حَمْرَاءٍ صِرْفٍ	***	وَكُلِّ بَيْضَاءٍ بَضْه
كَوَاكِبٍ فِي سَمَاءٍ	***	مِنَ الزَّبْرِجَدِ مَحْضَةٍ (١٢)

ولعلنا نعيد ذلك التوجه الأسلوبي إلى أمرين، أولهما: التوافق بين التشبيه وغرض الوصف، فالوصف قائم في أكثره كما هو معروف على التشبيه، تلك الوسيلة البيانية التي يركبها جُلُّ الشعراء، وثانيهما: يشكل التشبيه المدخل المناسب إلى إثارة ذهن المتلقي، مثلما يشير إلى رغبة المبدع في الانطلاق إلى عالمه التصويري الخاص، فهو منذ العتبة الأولى يواجهك بالتشبيه، والذي يعضد هذا الرأي ويقوّيه أنّ هذا الابتداء أصبح جزءاً من منهج الشاعر وهو ما يسعى إلى تكراره في بداية الأبيات الداخلية الأخرى في النص نفسه وبالصيغة نفسها، إذ يقول في النص نفسه:

كَأَنَّ طَلَّ الْأَقَاخِي	***	مَدَامْعُ مُرْفَضَّة
أَوْ لَوْلُو فَوْقَ أَرْضٍ	***	مِنَ الْمَهَا مُبَيَّضَةٍ
كَأَنَّمَا الْوَرْدُ صَدْرُ	***	أَبْقَى بِهِ اللَّثْمُ عَضَّة
أَوْ خَدُّ أَعْيَدَ قَدْ أَخْ	***	جَلَّثَهُ حَالٌ مُمِضَّة
كَأَنَّمَا النَّهْرُ نَضْلُ	***	جَلَا الصَّيَاقِلُ عَرْضُهُ
كَأَنَّمَا غُدْرُ الْمَا	***	ءٍ فِي الْمُرُوجِ الْغَضَّة
إِذَا التَّقْوِينَ مَرَاءٍ	***	أَوْ أَكْوُسُ مِنْ فِضَّة
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ فِي الْجَوْ	***	وَجِينَ يَقْطَعُ عَرْضُهُ

وَجْهٌ ابْنِ عَبَادِ النَّدَى *** بِ حِينَ تَأْمُلُ قَرَضَهُ
حَوَى بِطُولِ يَدَيْهِ *** طُولَ الثَّنَاءِ وَعَرْضَهُ^(١٣)

واضح أنَّ الالتكاء على أداة التشبيه (كأن) في الأبيات جاء بشكل غزير، بحيث تصدرت بدايات (ستة) أبيات من مجموع (ثلاثة عشر) بيتاً، وهذه ظاهرة أسلوبية قلما نجدها عند غيره من الشعراء الآخرين، ويتكأ الشاعر - كذلك - على أداة التشبيه (كأن) لتأتي متصدرة إحدى مقطوعاته في غير الوصف، إذ يقول:

كَأَنَّمَا الْخَيْرِيُّ مُسْتَهْتَرٌّ *** بِالْحُبِّ قَدْ أَنْحَلَهُ الْعِشْقُ
صُفْرَتُهُ تَنْطِقُ عَنْ حَالِهِ *** وَرُبَّ حَالٍ دُونَهَا النُّطْقُ
أَعَارَهُ الْمُزْنُ رِدَاءَ النَّدَى *** وَصُفْرَةَ الْمُتَشَّحِ الْبَرْقُ
مَا أَوْجَهُ اللَّذَاتِ مَحْجُوبَةً *** إِذَا تَبَدَّى وَجْهُهُ الطَّلْقُ^(١٤)

واللافت للنظر ان الشاعر قد اكتفى بهذا النمط الأسلوبي في البيت الأول، ولم يكرره في الأبيات الأخرى كما فعل في نصوصه السابقة، والذي لم يكن دائراً في اطار الوصف وإنما في الهجاء وما مجيء التشبيه في بداية أبياته الداخلية إلا لكونه جزءاً من توجه الشاعر الأسلوبي الذي يسعى فيه إلى خلق الجمال الفني، ومعلوم أنَّ (الشيء الجميل يقوم بالقياس إلى ما فيه من خصائص تنثير الأعجاب بجماله)^(١٥)، وهذا ما يمكن توافره في الصيغ التشبيهية التي من خلالها يسعى الفنانون الشعراء إلى البحث عن كل ما يثير المتلقي، ويثري الصورة ويخصبها، ويغنيها، بحيث تتخطى حدود المشبه وتسري إلى الأفاق التي يمكن للمشبه به ان يضيفها للنص، لتتضح بعد ذلك الحقيقة المستندة إلى أنَّ (الشخصية الفردية في الفنون تحتفظ بذاتها على مر الزمان)^(١٦)، ومن هذا المنطلق جاءت (كأن) هذه في شعر الاستجعي متصدرة الصور التشبيهية، لتتنال بعدها أجزاء الصورة أو أطرافها بشكل متعاقب في بيت أو بيتين أو أكثر من ذلك، حتى إذا ما اكتملت الصورة واتضح المشهد ينتقل الشاعر إلى صورة أخرى تتصدرها (كأن) أخرى لتنتقل معها الصورة إلى أنماط جديدة ينهض بها طرفان آخران من اطراف التشبيه (المشبه) و(المشبه به) بشكل ينم عن سلاسة الانتقال، وبراعة التصوير، وحسن التخلص الأمر الذي يخلق

في الوقت نفسه - صورة تراكمية تتألف من مجموع تلك الصور، وبذلك يتشكل النص الشعري عنده (بعملية تشكيل مزدوجة في وقت واحد)^(١٧) حتى يتحول الشعر - في نهاية المطاف - إلى خلق فني، يدل على الأشياء ويعبر عنها^(١٨)، وهذا مؤداه أن الخلق الفني (لكي يكون مؤثراً لأبد من ارتباطه بجوانب مشخصة او محسوسة أو مدركة بالعيان أو المشاهدة)^(١٩).

ومن التقنيات الأسلوبية في نصوص الاستجي الوصفية، حرص الشاعر على تفرع الصورة، والذي يأخذ منحنيين، أحدهما: ما يُبنى على تقنية ثنائية سياقية، والآخر: التقنية التقابلية.

أما الثنائية السياقية فواضحة في نصوص الاستجي الشعرية إذ كثيراً ما يعتمد إلى اعتماد هذا الأسلوب بوصفه وسيلة من الوسائل التفرعية التي تقضي إلى تداعي الصفات حرصاً منه على إشاعة البناء التصويري المكتمل المعالم، وهو نظام مبني على وفق تداولية لغوية وتصويرية تؤثر التفرع، وترسيخ التشخيص رغبة من الشاعر في إظهار السمات الكاشفة التي عبر فيها عن جهده التصويري وهذا المنحى نجده شائعاً في تلك النصوص منها قوله:

قَدْ قُلْتُ لِلرَّوْضِ، وَنَوَارُهُ *** نَوْعَانِ تَبْرِيٍّ وَفَضِيٍّ
وَعَرْفُهُ مُخْتَلَفٌ طَبِيبُهُ *** صِنْفَانِ خَمْرِيٍّ وَمِسْكِيٍّ^(٢٠)

وقوله:

تَرَى النَّبْتَ صِنْفَيْنِ مِنْ بَهْجَةٍ *** فَمِنْ مُسْتَقِلٍّ وَمِنْ مُنْفَرَشٍ^(٢١)

تشكلت الأبيات على وفق سياق تركيبى قائم على الإفصاح عن ثنائية وصفية تفرعية، فعنده الروض ونواره يتفرع على نوعين، أما عرفه فصنفان، وهكذا النبات موزع بين (مستقل) و(منفرش).

وتمت ثنائية تفرعية أخرى بسياق مختلف، ذلك الجمع بين صنفين أو أكثر، منها

قوله:

أَمَّا تَرَى الصَّبَّ وَالْمَغْشُوقَ قَدْ جُمِعَا *** فِي لَوْنِهِ بَيْنَ تَبْيِيسٍ وَتَصْفِيرٍ^(٢٢)

وقوله:

إِسْأَلْ أَبَا عَامِرٍ عَنْهُ ابْنَ مَسْلَمَةٍ *** تَسْأَلُ خَبِيرًا بِمَعْنَى الظَّرْفِ وَالْأَدَبِ^(٢٣)

وتلك وسائل أسلوبية نجدها قارة بوضوح في شعر الفقيه الاستجني والتي تشير إلى اهتمام المنتج بإخراج فنه على وفق هياكل تعبيرية مخصوصة، الأمر الذي قاده إلى البحث عن كل ما يؤدي إخصاب الصورة، وتوفير العناية بها، وبما يشير إلى مهارة الشاعر، وقدرته على شحن الصورة من جهة، وإخصابها بالرصد والتشخيص والتفريع من جهة أخرى.

أما التقنية التقابلية فواضحة في كثير من نصوص الاستجني الشعرية، والتي تظهر من خلال رغبته الشاخصة في تفصيل الصورة والسعي إلى محاولة أثرائها، ذلك أن الصورة الجلية إنما في حقيقتها ترميزاً لما يمكن أن يمثّلها في الواقع^(٢٤) ونعني بالتقنية التقابلية تماثل صورتين أو أكثر في اللون أو الشكل أو الهيئة في بيت واحد. ومن التقنيات التقابلية في شعر أبي الحسن الاستجني قوله:

أَرَى صُفْرَةَ السَّوْسَانِ فَوْقَ بَيَاضِهِ *** كَصَفْوِ مُدَامٍ فِي إِنَاءٍ مُفَضِّضٍ^(٢٥)
وقوله في وصف حبة باقلاء:

فِيهِ سَوَادٌ يَزِينُ غَرَّتَهُ *** كَأَنَّهُ مُقَلَّةٌ بِهَا دَعَجُ^(٢٦)

وقوله:

كَأَنَّمَا النَّهْرُ نَضَلَّ *** جَلَا الصَّيَاقِلُ عُرْضَهُ^(٢٧)

يسقط الشاعر في أبياته السابقة شيئاً من جهده التصويري في تقنيات تقابلية واضحة، إذ أوحى له صفرة (السوسان) فوقه بياضه بصورة المدام الصافية في إناء مفضض.

أمّا في البيت الثاني فقد فقدته قدرته التصويرية إلى رصد صورة (حبة الباقلاء)، إذ أوحى له صورتها - وقد توسطها السواد - بصورة (مقلة فيها دعج) وهذا يؤشر قابلية نصية تؤثر البحث عن التماثل بين المشبهة (الحبة) والمشبهة به (المقلة) بما يجعلها صورة تؤثر التماثل والتقابل.

أما في البيت الثالث فإن التقابل يظهر في صورة النهر المماثل للسيف الذي (جلا الصياقل عرضه) وتلك وسائل أسلوبية نهضت بها التقنية التقابلية التي حرص الاستجي على تأصيلها في فنه بوصفها أدوات تشير إلى الأشياء^(٢٨) ولا تدل عليها، ذلك ان الدلالة ينهض بها الإدراك من دون سواه.

أما المدح فهو الغرض الشعري الآخر الذي نال اهتمام الاستجي وان كان حضوره اقل في نصوصه الشعرية من الوصف، مع ملاحظة ان الغرضين يرتبطان بوشاح من التلاحم والتوافق والتعاضد، فشاعرنا لم يذهب بعيداً عن الوصف في نصوصه المدحية، بل نراه يجعل من الوصف متداخلاً مع المدح، إذ فضل أن تكون مداخل نصوصه المدحية أبياتاً من الوصف، من ذلك قوله في مدح الوزير (أبو بكر) عبد الله بن ذي الوزارتين:

نَوَعَانِ تَبْرِيٍّ وَفَضِيٍّ	***	قَدْ قُلْتُ لِلرَّوْضِ، وَنَوَارِهِ
صِنْفَانِ خَمْرِيٍّ وَمِسْكِيٍّ	***	وَعَرْفُهُ مُخْتَلَفٌ طَيْبُهُ
وَهُوَ مِنَ الْبَهْجَةِ دُرِّيٍّ	***	وَوَجْهُ عَبْدِ اللَّهِ قَدْ لَاحَ لِي
أَبْصَرْتُهُ غَرْسٌ سَمَاوِيٍّ	***	شِمَّ غَرْسِكَ الْأَرْضِيَّ إِنَّ الَّذِي
وَحَسَنُ عَبْدِ اللَّهِ نُورِيٍّ *	***	حُسْنُكَ نُورِيٍّ بِلَا مَزِيَّةٍ
-نَيْلًا - كَبِيرُ الشَّانِ غُلُوِيٍّ ^(٢٩)	***	أَضْحَى صَغِيرًا وَهُوَ فِي قَدْرِهِ

فالبيتان الأولان في وصف الروض ونواره، فضلاً عن وصف طيبه، وهو وصف بُني على ثنائية توافقية مؤثرة، ثنائية فاعلة توفر للشاعر فرصة أخصاب الصورة وجعل أطرافها متعددة، مطولة، ممتدة لا تقتصر الواحدة منها على طرف بعينها، بل تتجاوز ذلك وتتعداه، لتصل الى نوع من التفصيل والتعدد الذي يبدو اكثر من شبه لصورة الممدوح التي حملتها أبيات المقطوعة الأخرى.

أما القيم الإيجابية للممدوح فقد توزعت بين ما هو حسي ومعنوي، فمن الحسي وصف الشاعر وجه ممدوحه بكونه أقرب إلى الكوكب الدري، فضلاً عن حسنه الواضح

من دون رياء أو جدل أو شك، ومن المعنوي أصالة نسبه التي كانت اقرب إلى الغرس السماوي، وكذلك كان في قدره كبير الشأن، عالي المنزلة.

ومن الأساليب اللامعة في هذا النص ان تلك الصور استندت في كثير من مفرداتها إلى ترديد حرف الراء (الروض، نواره، عرفه، خمري، دري، نوري (مرتان)، مرية، صغير)، ومعروف ان حرف الراء يشيء من السعادة للممدوح، والراحة للمتلقى، والترف للمبدع، فضلاً عن توفير مقومات الجو الموسيقي المؤتلف الألحان^(٣٠).

وغير بعيد عن مجيء الوصف مقدمة للمدح كقول الاستجني في مدح ذي الوزارتين:

كَأَنَّمَا الشَّمْسُ فِي الْجَوِ *** وَحِينَ يَقْطَعُ عَرْضَهُ

وَجْهَ ابْنِ عَبَّادٍ النَّدْ *** بِ حِينَ تَأْمُلُ قَرَضَهُ

حَوَى بِطَوْلِ يَدَيْهِ *** طَوْلَ النَّاءِ وَعَرْضَهُ^(٣١)

بُنيت صورة الممدوح على صورة تشبيهية نادرة، إذ شَبَّه الشاعر الشمس بوجه الممدوح (ابن عَبَّاد) وذلك في اطار ما يسمى بالتشبيه المقلوب، إذ جرت العادة ان تكون الشمس أكثر جمالاً من وجه الإنسان، بيد ان الاستجني سعى الى قلب تلك المعادلة الوصفية، بان جعل وجه الممدوح أكثر جمالاً إذ صيِّره مشبهاً به، وابقى على (الشمس) مشبهاً، على سبيل المبالغة والتجوز.

واذا كان البيت الأول داخلاً في الوصف والبيت الثاني في المدح، فإنهما يكونان قد اشتركا في إظهار مقاصد الشاعر وغاياته من الوصف والمدح على حد سواء وان كنا نميل إلى ان الصورة الوصفية في عمومها جاءت مسخرة لأغراض مدحية.

أما البيت الثالث فواقع في اطار المدح الخالص، اذ يفصح عن ثناء الاستجني على صفات (ابن عَبَّاد) مقدار ما حملته يده من الطول.

وله في مدح ابن عَبَّاد كذلك مقطوعة اخرى جاء فيها الوصف للمدح، إذ قال:

إِذَا نَوَّرَ الظِّيَّانُ فِي خُضْرِ قُضْبِهِ *** وَرَاحَ بِثَوْبٍ مِنْ دُجَا الرِّيِّ قَدْ حُذِي

أَفَادَكَ مِنْ صُفْرِ الْبَوَاقِيَتِ إِنْجُمًا *** لَهُ طَالِعَاتٍ فِي سَمَاءِ زُمْرُدٍ

كَأَنَّ سَنَاهُ فِي الرِّيَاضِ وَحُسْنَهُ *** بِحُسْنِ ابْنِ عَبَّادٍ وَرِيَّاهُ مُحْتَذِي^(٣٢)

إن اختلاط الوصف بالمدح من الوضوح في المقطوعة، بحيث وظف الوصف مقدمة للمدح فيها، بيد أن ما يلفت الانتباه إلى أن نسبة المدح فيها جاءت ٢٠% أما نسبة الوصف فكانت ٨٠%، وهذا مؤشر على نزوع الشاعر إلى الوصف أكثر من نزوعه إلى المدح حتى في نصوصه التي يفترض أن تكون خالصة في المدح، وفي أقل تقدير يكون الأساس فيها المدح أما الوصف فيأتي مقدمة موجزة له، وذلك ما لم نجده في هذا النص، إذ طغت الوصفية على معظم الأبيات، ولم يحظ المديح منها إلا بنصف بيت (الشرط الأخير).

ومن نماذج المدح المختلط بالوصف قول الاستجي في ذي الوزارتين:

لِلوَرْدِ فَضْلُ السَّبْقِ عِنْدَ الْمُفْخَرِ ***	بِالْمَنْظَرِ السَّامِيِّ وَطَيْبِ الْمَخْبَرِ
وَالوَرْدُ يَرْفَعُ غُضُّهُ وَيَبْسُئُهُ ***	رَفَعَ الْأَكْفَ ظُرُوفَ مِسْكٍ أَذْفَرِ
عَمَّتْ مَنَافِعُهُ كَمَا عَمَّ الْوَرَى ***	جُودُ ابْنِ عَبَّادٍ فَرِيدِ الْأَعْصَرِ (٣٣)

إن قاري نص الاستجي يتبادر إلى ذهنه للوهلة الأولى أنَّ الشاعر هياه لوصف الورد وما يمكن أن يثيره للمتلقي من صور وتشبيهات قائمة في كثير منها على الرصد والتشخيص، بيد أن النظرة الفاحصة الدقيقة تقود صاحبها إلى أن الوصف جاء مسخرًا لخدمة مدح ابن عباد، فالورد وما فيه من منافع شتى عمت الورد بما صيره أقرب إلى جود الممدوح الموصوف بـ(فريد الأعصر).

وغير بعيد ذلك قوله مادحاً ابن عباد:

كَأَنَّمَا السَّوْسُنُ الدُّرِّيُّ أَلْسَنُهُ ***	تَمَجَّدُ اللَّهُ مُجْرِي التَّبَرِّ فِي غَرْبِهِ
أُنْدَى النَّوَاوِيرِ إِنْ قَبِلَتْ صَفْحَتُهُ ***	حَبَاكَ مِنْ طَيْبِهِ حِظًّا وَمِنْ ذَهَبِهِ
وَمَا أَرَى غَيْرَ عَبَّادٍ لَهُ شَبْهًا ***	فِي الْحُسْنِ وَالْفَوْحِ وَالْمَأْثُورِ مِنْ أَدْبِهِ (٣٤)

إنَّ الصورة التشبيهية في الأبيات - على ما فيها من امتداد في التفاصيل - جاءت مؤدية غايات معينة، إذ لا توازي تلك الصور في عمومها صورة الممدوح بما وصف به من الجمال (الحسن)، وطيب الرائحة (الفوح)، ومن الأدب (المأثور).

ومن نماذج المدح عند الاستجني تلك المقطوعة التي خص بها الحاجب سراح الدين اذ قال:

حسنٌ يفوق به تربيته في النسب	***	في النرجس القدسي الثور والقصب
موسّعُ الغلو قد ابداه للعجب	***	له من التبر كأس قاعة لحج
وظرف أنس إذا ما شئت للنخب	***	مشم طيب إذا استنثت زهرته
حكى ثنى الثمل المشغوف باللعب	***	ومائل الجيد من سكر النعيم به
للشرب في كفها كأس من الذهب	***	كغادة ثوبها من سندس طلعت
بالحبر وانتقشت بالبر في القضب	***	يا حاجباً رقت في الكتب سيرته
ذا للأيادي وذا للبيض واليلب	***	ويا عماداً له يوماً ندى ووغى
وأعرب السعد بالأقبال للعرب ^(٣٥)	***	إن دمت للعجم لم يُعجم لها خبر

احتوى النص من علاقات التواشيع والتناسل الذاتي ما هيأه قطعة أدبية مكثفة، قائمة على التقابل الوصفي من جهة والسياقي من جهة أخرى.

أما الوصفي فقد خصص له الأبيات الستة الأولى التي جاءت قطعة شعرية ثرة في وصف النرجس القدسي الأصفر المعروف في تلك البيئة، والذي فتن به الشاعر كثيراً حتى عده أصيلاً في نسبه، إذ عرفت به أشبيلية من دون غيرها من بيئات الأندلس الأخرى ذلك الورد الذي كان في صفاره أقرب إلى الذهب (التبر) وفي طيب زهرته ما يثير النشوة للأنس، أما في ميله الجميل فقريب من ثني ثمل مشغوف باللعبة أو هو كجميلة توشحت بثوب من سندس، وقد عزمت بالشرب بكأس تحمله من ذهب، وهذه الأوصاف كل ما يثير الناظر للنرجس من قرب.

ولا يخفى ما في أبيات الوصف السابقة من منظومة وصفية متداولة بشكل ينم على براعة التصوير، وهي تحمل (الصفات الجوهرية الأساسية للأشياء)^(٣٦).

مثلاً تصح عن إيمان الاستجني بأن الوصف إنما يمثل ظاهرة تستحق من المبدعين الرصد والتسجيل المستديم بحيث يتحول المعطى الحسي إلى فن شعري جميل، مسخراً لخدمة سياق التعبير عن صفات الممدوح وقيمه، وذلك ما نهضت به الأبيات

الثلاثة الأخيرة التي خصصها للحديث عن الحاجب سراج الدين، ومن اللافت ان الاستجى قد سار في مدحه على المنوال ذاته الذي نهجه في الوصف، وإذ نقول ذلك فإننا نعني أن أبيات المدح في النص قد فصلت كذلك التفصيل في صورة الممدوح كما فصل الشاعر في الصورة الوصف، فثمة تماثل بين صفات سراج الدين والنجس، إذ يحمل أكثر من صفة كالكرم (الندى) والشجاعة وهو يحمل (البیض والیلب)، وصورة النرجس وهو يحمل (الحسن) والأصالة (النسب)، وتلك نعدّها تماثلاً وتوافقاً وانسجاماً وتظهراً حرص الشاعر على إيرادها في المقطوعة، وإن جاء الوصف فيها يمثل ضعف أبيات المدح، بيد ان ذلك يفصح عن وعي الاستجى بان المجتمع الأندلسي يطلب مثل تلك اللوحات الفنية، مع وعيه - كذلك - إلا أن ثمة توافقاً بين إشباع تلك الرغبات والتعبير عن مكنون العلاقة الإنسانية التي تربطه بالممدوح (الحاجب سراج الدين)، مثلاً يعي أن وصف الطبيعة متمثلة بالنرجس إنما تمثل خامات مناسبة إن لم نقل مادة أولية للنصوص المدحية، مستفيداً من التماثل والتوافق والتطابق بين ما تحمله الطبيعة وما يمكن توظيف بعض موادها للتعبير عن القيم الإنسانية النبيلة التي تشده إلى ممدوحه، الأمر الذي يشير إلى ان الحس والإدراك يعتملان معاً في صنع الفن، ويشيران إلى ان ثمة تعاضداً وتوافقاً بين ما يرى الفنان وما يحس سعيّاً من المنتج إلى استماله القلوب، بعد أن يركب شيئاً من المعطى الحسي وما تحمله المخيلة من قدرة على إخصاب الصورة وتنميتها وتطويرها، وقبل ذلك اختزالها أو التوسع بها ضمن ما يطلق عليه بالذاكرة المنطقية على وفق المنظور الفلسفي.

إنّ القدرة الشعرية للاستجى قادتة إلى ان يخلع على ما تراه حواسه من مظاهر طبيعية - لاسيما الموحية بالجمال منها - ما هو مخصص للصفات الإنسانية، وذلك في اطار من البناء السردى، القائم على تشخيص الموجودات، وإظهار تشكيلها الجمالي، ليس في باب التصوير الفني المجرد فقط، بل في اطار استعارة موقف أو مواقف إنسانية معينة، تقرب صورة المعطى الحسي الذي توافر بفعل البيئة الأندلسية التي هيأته أن يكون مثيراً فنياً، فيخلع الشاعر بوحى منه عليه من السمات الإنسانية الكثيرة، بما

اشتملت عليه العوالم الأدمية من مشاعر وجدانية اتسمت بها الذوات الإنسانية المتباينة، من ذلك قوله في وصف الخيري الأصفر، مفضلاً إياه على النّمام:

أَرَى أَصْفَرَ الْخَيْرِي يُبْدِي مِنَ الضَّنَا *** تَبَارِيحَ مَكْلُومِ الْفُؤَادِ سَقِيمِهِ
وَيُكْذِبُهُ سِحْرَ بَاعَيْنِ نَوْرِهِ *** وَقُضْبٌ لَهُ تَنْدَى بِمَاءِ نَعِيمِهِ
وَعَرَفْتُ ذَكِيَّ يَقْضُرُ الْمِسْكُ دُونَهُ *** وَلَا يَبْلُغُ الْكَافُورُ طِيبَ شَمِيمِهِ
يُسَاجِلُ آفَاقَ السَّمَاءِ بَرُوضَةً *** وَأَنْجُمَهَا حُسْنًا بِصُفْرِ نُجُومِهِ^(٣٧)

بُني النص على وفق من القص والسرد المخصوص، إذ يبدأ بالموازنة بين الخيري ولونه الأصفر الشاحب بنّام مجروح الفؤاد، كلوم، ولعل الجامع بين الاثنين (الخيري) و (المكلوم) الاشتراك في الصفة، فكلاهما أصفر، ذابل، متعب، ثم تتثال بعد ذلك الأبيات وهي تسير بالاتجاه الذي يقترب من التوضيح أحياناً، ومن توفير الحجة أحياناً أخرى، التي تمنح المتلقي فرصة الوقوف على الموازنة بين موقف الشاعر وموقف المخاطب، ومن هنا يحاول الاستجعي سحب البساط من تحت أقدام محاوره، بعد أن قدم له الدليل تلو الآخر على رجاحة موقف رأي خصمه وهشاشته، إذ يقول:

وَذِي هَفْوَةٍ قَدْ ظَنَّ أَنَّ شَقِيْقَهُ *** وَحَارِسَهُ قَدْ بَذَّه * بِنَسِيمِهِ
فَقُلْتُ: اتَّئَدُ فِي الظَّنِّ وَاسْمَعْ لِمُنْصَفٍ *** بَصِيرٍ بِتَخْبِيرِ النَّظَامِ عَلَيْهِ
أَفِي الْقَدْرِ مَخْدُومٌ لَدَيْكَ وَخَادِمٌ *** وَذُو كَرَمٍ فِي الْمَجْدِ مِثْلُ لُئِيمِهِ
وَسَيَّانَ طَيْباً لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ *** وَلَيْسَ خُصُوصُ الْخَيْرِ مِثْلَ عُمُومِهِ
وَمَا تَفِلُّ فِي يَوْمِهِ مِثْلَ عَاطِرٍ *** وَلَا لَحَقَّ فِي الْفَخْرِ مِثْلَ صَمِيمِهِ
فَقَالَ: بَحَقِّ قُلْتُ وَهِيَ مَقَالَتِي *** وَلِحَقِّ نُوْرٍ لَائِحٍ فِي أَدِيمِهِ^(٣٨)

لم يجد الاستجعي غير الشعر تعبيراً عن دواخله، إذ يبدو في مجمل الأبيات ساعياً إلى إفراغ انفعالاته من خلال الحوار المبني على توجيه سيل من الأسئلة إلى المخاطب بشكل متواتر، أسئلة مبنية على أسلوب تهكمي ساخر، لعله يحقق من الشعر ما لم يستطيع تحقيقه في الواقع، فالشعر تصوير لما في الحس وما يضطرب في النفس^(٣٩)، ويأتي بعد ذلك دور الفن ليخرج من الشعور المضطرب المتناقض المفكك إلى

شعور منظم موحد^(٤٠)، بعمل فني مؤنق يتبلور بمستويات أسلوبية متعددة، تتوافق وتأثرها في النفوس^(٤١) بما اشتملت عليه من بيان وتمثيل وتشخيص^(٤٢).

الخاتمة

وبعد... فقد خرج الباحثان بجملة نتائج علمية بعد متابعتهما شعر الاستجني الأندلسي، أهمها:

- كان نفس الاستجني الشعري من الوضوح، بحيث أثر ركوب المقطعات الشعرية أكثر من القصائد، وذلك ما ربطناه بتوجه الشاعر، وخصوصية فنه الشعري، إذ كان الوصف الموضوع الرئيس الذي ركبه، ومعروف ان هذا الغرض لا يحتاج فيه أصحابه دائماً إلى التوسع أو التطويل، فأبيات قليلة قد تؤدي إشباع رغبات المنتج والمتلقي في وقت واحد، فيمكن ان تتشكل لوحة فنية وصفية من أبيات قليلة.
- بُني شعر الاستجني لا سيما في شعر الطبيعة على وفق نمط أسلوبى معين، إذ كثر فيه التضاد الأمر الذي وفر لشعره إمكانية إخصابه بما يجعله يمتلك من التأثير، وخلق حركة مفاجئة داخل الصورة الشعرية التي اتكأ الشاعر عليها كثيراً لاسيما في نصوصه الوصفية.
- إبتدئات الاستجني الشعرية كانت - في أكثرها - مبدوءة بأدوات تشبيهية، ولعلّ أول تلك الأدوات (كأنّ) وذلك ما ربطناه بالوصف أولاً، ومن ثم ما توفره أداة التشبيه تلك للمبدع فرصة تشكيل الصورة، أما تكرار الأداة نفسها في النص الشعري إنّما تمثل تشكيلاً أسلوبياً، كونها بداية بؤرة ارتكازية للوحات ثانوية ضمن النص الواحد، بحيث تتشكل القصيدة - في نهاية المطاف - من لوحات تراكمية ضمن لوحة شعرية اعم وأشمل، ويؤيدنا في ذلك عدم تكرارها في نماذج المديح الشعرية.
- وقد رصد البحث أن ثمة تقنيات أخر تلمسها الباحثان في شعر الاستجني، منها رغبته في تقريع الصورة التي جعلها موزعة بين تقنية ثنائية سياقية، وأخرى تقنية تقابلية، وقد أيدتنا النصوص الشعرية بما يوضح تلك الأساليب ويرسخها.
- وفي نصوصه الشعرية عموماً وجدنا ثمة ما يشير إلى إنها استندت في كثير من مفرداتها اللغوية الى تكرار بعض الحروف بما يشئ إلى توفير عناصر الجو النفسى المناسب للمبدع، وللمتلقي في الوقت نفسه، وكان ذلك الاختيار مقصوداً، إذ ربطناه من أجل إشاعة كل ما يثري النص وينميه ويخصبه.
- وقد خرج الباحثان من بحثهما بنتيجة مفادها ان نصوص الاستجني الشعرية قد سارت على وفق من العلاقات المبنية على نمط من التواشج والتناسل الذاتى المكثف وبسياق أسلوبى مخصوص.

هوامش البحث ومصادره:

- (١) ينظر: جذوة المقتبس ٢٩٥، الذخيرة ٢/٢٠٠، بغية الوعاة ١٢٢١.
- (٢) ينظر: جذوة المقتبس ٣٧٠.
- (٣) ينظر: بغية الملتبس ٥٢١.
- (٤) الشعر في ظل بني عباد، محمد مجيد السعيد: ٨٤.
- (٥) ينظر: المصدر نفسه ٥٢١.
- (٦) ينظر: الشعر في ظل بني عباد، ٥٢١.
- (٧) ينظر: المصدر نفسه ٥٢١.
- (٨) مقدمة الشعر العربي، ادونيس: ٣٠.
- (٩) البديع في فصل الربيع: ٩٩.
- (١٠) ينظر: عيار الشعر، ٧-٨.
- (١١) البديع في فصل الربيع: ١٤٨.
- (١٢) البديع في فصل الربيع: ٤٦.
- (١٣) البديع في فصل الربيع: ٤٦-٤٧.
- (١٤) المصدر نفسه: ١١٩-١٢٠.
- (١٥) أسس الفلسفة: ٣٥٦.
- (١٦) المصدر نفسه: ٢٠٧.
- (١٧) التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل: ٥٦.
- (١٨) ينظر: نظرية الأدب: ٣٢.
- (١٩) التشكيل اللغوي والجمالي عند عبد القاهر الجرجاني، ٢٦٤.
- (٢٠) البديع في فصل الربيع ٢٠-٢١.
- (٢١) المصدر نفسه: ٢١.
- (٢٢) المصدر نفسه ١٠٣.
- (٢٣) البديع في فصل الربيع: ١٢٣.
- (٢٤) ينظر: مداخل الى علم الجمال الادبي، عبد المنعم تليمة: ١١٠.

- (٢٥) البديع في فصل الربيع: ١٤٠.
- (٢٦) المصدر نفسه ١٦٠.
- (٢٧) البديع في فصل الربيع: ٤٧.
- (٢٨) ينظر: دلائل الإعجاز، ٤٢.
- (٢٩) البديع في فصل الربيع: ٢٠-٢١.
- (٣٠) ينظر: موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس ١٩.
- (٣١) البديع في فصل الربيع: ٤٧.
- (٣٢) البديع في فصل الربيع: ١٠١.
- (٣٣) المصدر نفسه: ١٢٩ - ١٣٠.
- (٣٤) البديع في فصل الربيع: ١٤٠.
- (٣٥) المصدر نفسه، ١٢٢ - ١٢٣.
- (٣٦) تطور الفكر السلفي نيودور اوزيرمان: ١٧.
- (٣٧) البديع في فصل الربيع: ٨٨ - ٨٩.
- (٣٨) المصدر نفسه: ٨٩.
- (٣٩) ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي: ٢٦٢.
- (٤٠) ينظر: الصورة الأدبية: ١٣.
- (٤١) ينظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦٩/٩، تاريخ الأدب العربي (بروكلمان) ١/١٤٦.
- (٤٢) ينظر: مقال في الصورة الفنية، مجلة الأديب المعاصر، نورمان فريدمان، العدد ١٦ آذار ١٩٧٦.

المصادر والمراجع

- أسس الفلسفة، توفيق الطويل، (د. ط)، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٧م.
- البديع في فصل الربيع، لأبي الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر الحميري (ت زهاء سنة ٤٤٠هـ)، حققه وقدم له: د. علي إبراهيم كردي، الطبعة الأولى، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٧م.
- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن عميرة الضبي (ت: ٥٥٩هـ)، (د. ط)، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية دار الفكر، ١٩٧٩م.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله إلى العربية: د. عبد الحليم النجار، الطبعة الخامسة، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م.
- تطور الفكر الفلسفي، نيودور اويزрман، ترجمة وتحقيق: سمير كرم، الطبعة الرابعة، دار الطليعة للطباعة والنشر ١٩٨٨م.
- التفسير النفسي للأدب، عز الدين إسماعيل، دار العودة، بيروت ١٩٨١م.
- جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس، أبو عبد الله محمد بن فتوح الحميدي (ت: ٤٨٨هـ)، (د. ط)، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد رضوان الدايدة وفايز الدايدة، (د. ط)، دار قتيبة، دمشق، ١٩٨٣م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت: ٥٤٢هـ) تحقيق: د. إحسان عباس، (د. ط) دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩م.
- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د. يوسف خليف، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة (د. ت).
- الصورة الأدبية، مصطفى ناصف، الطبعة الثالثة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، (د. ت).

- عيار الشعر، أبو الحسن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي (ت: ٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز ناصر المانع، (د. ط)، دار العلوم للطباعة، الرياض ١٩٨٥م.
- مدخل إلى علم الجمال الأدبي، عبد المنعم تليمة، (د. ط)، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٨م.
- المفصل في تاريخ العربي قبل الإسلام، جواد علي، (د. ط) دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٨م.
- مقدمة في الشعر العربي، أدونيس، الطبعة الرابعة، دار العودة، بيروت (د. ت).
- موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، الطبعة الرابعة، دار القلم، بيروت، ١٩٧٢م.
- نظرية الأدب، رينه وليك، ترجمة: محي الدين صبحي، مراجعة: حسام الخطيب، (د. ط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١م.

الرسائل الجامعية

- التشكيل اللغوي والجمالي عند عبد القاهر الجرجاني، تامر سلوم سلوم، أطروحة دكتوراه، جامعة القاهرة - كلية الآداب، ١٩٧٨م.

الدوريات

- مقال في الصورة الفنية، نورمان فريدمان، مجلة الأديب المعاصر، العراق - بغداد، العدد: ١٦، السنة ١٩٧٦م.

أثر قاعدة السياق القرآني في ترجيح حكم استقبال القبلة

د. أحمد محيي الدين صالح
الجامعة العراقية / كلية الآداب

الملخص

القرآن الكريم هو المصدر الأساس للأحكام الشرعية المكلف بها المسلمون، وهو المصدر الأهم لاستنباط الفقه الإسلامي، ومن القواعد المهمة في فهم النص القرآني بصورة صحيحة لحسن استنباط الأحكام الشرعية منه: قاعدة السياق القرآني.

والسياق يقصد به: مجموعة القرائن اللفظية والحالية الدالة على قصد المتكلم من خلال تتابع الكلام وانتظام سابقه ولاحقه به.

فيكون السياق القرآني: هو ما يحيط بالنص القرآني من عوامل داخلية أو خارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال من حال المخاطب، والمخاطب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه.

السياق القرآني يعدّ قرينة من القرائن المهمة التي يتم عن طريقها فهم الخطاب بشكل دقيق.

وفي البحث قمت بـبعون الله- بدراسة تطبيقية لقاعدة مراعاة السياق القرآني في استنباط الأحكام الشرعية، وكانت الدراسة التطبيقية تتناول آيات تحويل قبلة الصلاة في

سورة البقرة، حيث بيّن البحث أنواع السياق التي تحيط بالآيات الكريمة وأثرها في تحديد المعنى المقصود بالآيات بشكل دقيق.

وتناول البحث أثر السياق في ترجيح استنباط حكم استقبال القبلة بالنسبة للمصلي البعيد عن الكعبة، حيث اختلف الفقهاء في حكم البعيد عن الكعبة هل الواجب عليه الاجتهاد في إصابة عينها عند استقباله؟ أو يجب عليه الاجتهاد في إصابة جهتها فقط؟ تناول البحث دراسة هذه المسألة الفقهية في ضوء السياق القرآني.

وقد وفق الله سبحانه لتقسيم هذا البحث على مبحثين:

المبحث الأول: السياق القرآني تعريفه وحجته وأنواعه: وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: حجية السياق القرآني وأنواعه من حيث المستوى

المبحث الثاني: حكم استقبال القبلة في السياق القرآني: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آراء الفقهاء في حكم استقبال القبلة

المطلب الثاني: السياق القرآني لآيات تحويل القبلة

المطلب الثالث: أثر السياق في الدلالة على حكم استقبال القبلة

ثم أتبع ذلك بخاتمة بأهم النتائج.

Abstract

Quran is the main source of legitimacy in charge of the provisions of the Muslims, which is the most important source for the development of Islamic jurisprudence, it is important to understand the rules of the Quranic text correctly for the proper development of legal provisions of it: the Quranic context base.

The context is intended to: a set of verbal clues and the current function on the intent of the speaker through speech relay and regularity of his earlier and later.

Vicu Quranic context: it is what surrounds the Quranic text of internal or external factors, have an impact in his understanding, from an earlier or later it, or if the case of the addressee, the addressee, and the purpose for which they were driven to him, and the atmosphere that descended in it.

Quranic context is a presumption of important clues through which to understand the speech accurately.

In the search you -bon Allah practical study of the base Quranic context into account in the development of legal provisions, and the Applied study deals with the verses of conversion kiss prayer in Sura, where the research context types that surround the precious verses and their impact in determining the meaning of verses accurately.

The research in the context of the impact of the development of the rule of tipping reception direction for the run on the Kaaba for a worshiper, where scholars differed in the distant rule for Kaaba Is it due diligence in the same injury when you receive it? Or he must be diligent in only injury destination?

The research study this doctrinal issue in the light of the Quranic context.

The Almighty God according to the division of this research on two topics:

First topic: Context Quranic definition and authoritative and types: and the two demands

First requirement: the language of the definition of context and idiomatically

The second requirement: Authentic Quranic context and types in terms of level

The second topic: the rule of reception direction in the context of the Qur'an: and the three demands:

First requirement: the views of scholars in the rule of reception direction

The second requirement: Context Quranic verses to transform direction

Third requirement: Context impact on the significance of the rule of reception direction

Then followed by a conclusion that the most important results

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله نحمده ونشكره، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم.

أما بعد ...

فإن الله سبحانه وتعالى حين تجلت حكمته في ابداع هذا الكون الممتد، وظهر علمه المطلق في خلق الخلق، ومنهم آدم وبنوه وإنزالهم إلى هذه الأرض لأداء اختبار العبودية ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمُوتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ﴾^(١) ومن أجل تيسير هذا الاختبار على بني آدم، وإقامة للحجة عليهم أرسل إليهم الرسل منهم، وأنزل عليهم كلامه وكتبه، تبين لهم الطريق المستقيم للعيش على هذه الأرض لتحقيق الغاية السامية من خلقهم، وتسهيلاً عليهم ورحمة بهم كي يؤدوا هذا الاختبار بنجاح.

ومما أنزله الله سبحانه في كلامه المبين، وأمره التي تنظم علاقة العبد بربه، وعلاقته مع باقي البشر، فكانت تلك الأوامر والنواهي حاكمة على الإنسان بحكم الرب لعبده، مع أن غاية تلك الأوامر والنواهي مصلحة الإنسان نفسه، ولا حاجة للرب الكريم فيها فهو الغني الحميد سبحانه.

ولذلك عرّف الأصوليون الأحكام الشرعية بأنها: " خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الاقتضاء أو التخيير أو الوضع"^(٢)، فالأصل في الأحكام الشرعية أنها مستمدة من كتاب الله سبحانه وتعالى ووحيه، ومبينة بسنة رسوله ﷺ ، فالوحيين: الكتاب والسنة هما المصدران الوحيدان على الحقيقة لأحكام الشريعة

الإسلامية، وما باقي المصادر إلا مصادر تبعية غاية حالها الكشف عن حكم الكتاب والسنة، فالإجماع والقياس والاستصحاب والاستحسان والمصلحة ليست مصادر للتشريع، بل هي وسائل اجتهادية لكشف حكم الله المبني على وحيه، وكما قال الأصوليون: لا حاكم إلا الله سبحانه وتعالى.

وقد لاحظ عدد من المفكرين الإسلاميين^(٣) أنّ تطور دراسة الفقه الإسلامي مرّ بعدة أطوار وجابه العديد من التحديات والمتغيرات، ومرّ بمراحل تطور ومراحل جمود وخمول، ولعلّ مرحلة الجمود على التقليد والانغلاق المذهبي واعتماد اقوال المجتهدين في المذهب كأقوال لها نوع من التقديس لا يمكن الخروج عنها، هذه المرحلة أضرت بتطور علم الفقه رغم تقديرنا لجهود العلماء في تلك العصور التي طغى فيها الجمود والتراجع في جميع نواحي الحياة.

ولعلّ من الآثار السلبية لحالة الجمود والتقليد ازدياد الاهتمام بحفظ المتن والاطلاع على الحواشي، الذي كان على حساب حصة الاهتمام بالقرآن الكريم فهما آيات الأحكام واجتهادا في تنزيل آياته على الواقع المعاصر، يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله: " ويمكن أن نقول بأن العجز لحق أيضا بطريقة التعامل مع آيات الأحكام نفسها التي أخذت هذا الجهد، وتلك المساحة من الميراث الثقافي، وأصبحنا أتباعا مقلدين، غير قادرين ليس فقط على تجاوز فهم السابقين والامتداد بالآيات إلى آفاق إضافية، وإنما عاجزين أيضا عن الإتيان بمثال آخر غير ما جاء به الأقدمون، وهذا من أشنع حالات التقليد. وكما أن مناخ التقليد الجماعي جعلنا عاجزين عن الامتداد، ودون سوية التعامل مع القرآن، فكذلك أصبحنا . بذلك . دون سوية التعامل مع الواقع المعاصر، لأننا أوقفنا عطاء القرآن للزمن، وهو المتغير السريع، وحاولنا التقاهم معه بفهوم عصر آخر يختلف في طبيعته، ومشكلاته، وعلاقاته، ومعارفه عن عصرنا، وأعطينا صفة

القدسية والقدرة على الامتداد والخلود لاجتهاد البشر، ونزعنا صفة الخلود والامتداد عن القرآن، عمليا وإن كنا نرفضها نظريا، كما أسلفنا^(٤).

فلا بد من عودة جديدة اليوم للقرآن الكريم والسنة المطهرة كي يأخذا مكانتهما كمصدرين وحيدتين للتشريع، لا بمعنى أن يكون ذلك تبعا للهوى، أو أن يقوم بذلك من ليس بأهل ولا يملك الأدوات اللازمة لذلك، وليست عودة تنتكر للجهود الكبيرة لعلمائنا الأفاضل على مر التاريخ الإسلامي، هذا مرفوض تماما، بل عودة منضبطة بضوابط الأصول وتبني على ما بناه أسلافنا وعلمائنا من تراث مجيد، لكن في نفس الوقت بناء ينطلق من الوحي ومقاصده وأن لا عصمة إلا لوحي الله سبحانه.

ومن الأمور السلبية التي انتشرت بسبب التعصب الفقهي للمذاهب في بعض حقب تاريخنا الفقهي: الاستدلال بآيات القرآن الكريم على ترجيح آراء المذاهب، وهذا شيء حسن لولا أن بعض هذه الاستدلالات كان نابعا من تعصب للمذهب لا الاتباع للكتاب، فكان من ظواهره اجتزاء آية من سياقها كي يصلح الاستدلال بها نصرة للمذهب، وهذا توجه خاطئ في الاستدلال، يقول الدكتور يوسف القرضاوي : "ومن الضوابط المهمة في حسن فهم القرآن، وصحة تفسيره: مراعاة سياق الآية في موقعها من السورة، وسياق الجملة في موقعها من الآية، فيجب أن تربط الآية بالسياق التي وردت فيه، ولا تقطع عما قبلها وما بعدها، ثم تجر جرا لتفيد معنى أو تؤيد حكما يقصده قاصد"^(٥).

وفي هذا البحث المتواضع حاولت - بعد الاستعانة بالله سبحانه - أن أبين فيه تطبيقا لقاعدة الاستدلال بالسياق القرآني وأثر مراعاته في استنباط الأحكام الشرعية من خلال تناول حكم استقبال القبلة وهو من الأحكام التي أولى القرآن الكريم بها اهتماما كبيرا وخصص لها عددا من الآيات في سورة البقرة السورة الثانية في المصحف.

وقد وفق الله سبحانه لتقسيم هذا البحث على مبحثين:

المبحث الأول: السياق القرآني تعريفه وحجته وأنواعه: وفيه مطلبان

المطلب الأول: تعريف السياق لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: حجية السياق القرآني وأنواعه من حيث المستوى

المبحث الثاني: حكم استقبال القبلة في السياق القرآني: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: آراء الفقهاء في حكم استقبال القبلة

المطلب الثاني: السياق القرآني لآيات تحويل القبلة

المطلب الثالث: أثر السياق في الدلالة على حكم استقبال القبلة

ثم أتبع ذلك بخاتمة بأهم النتائج.

هذا وما كان من صواب في هذا البحث فهو محض فضل من الله سبحانه وتعالى نحمده ونشكره عليه ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ٤٣ ﴾ [الأعراف: ٤٣] وما كان من خطأ أو نقص أو تقصير فمني ومن الشيطان واستغفر الله العظيم وأتوب إليه، وأسأل الله الكريم أن يتقبله بمنه وفضله.

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباحث

المبحث الأول

السياق القرآني تعريفه وحجتيه وأنواعه : وفيه مطلبان :

المطلب الأول

تعريف السياق لغة واصطلاحاً.

السياق لغة :

السياق ككتاب وهو من : سوق ، وأصله سواق فقلبت الواو ياء لكسرة السين^(٦).
قال ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء يقال ساقه يسوقه سوقاً. (٧)

وفي اللسان: "انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت. والمساوقة: المتابعة، كأن بعضها يسوق بعضها. (٨)

والسياق: المهر. وسياق الكلام: تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه. (٩)
فيتبين من العرض السابق أن لفظ السياق من استخداماته عند العرب الدلالة على الشيء المعنوي وهو الكلام، ثم هي تتضمن أمرين:
الأول: التتابع وعدم الانقطاع، والآخر: الانسجام و التلائم في هذا التتابع فيتتابع الشيء على نسق واحد.

وعن تكوين هذا المصطلح يقول الدكتور عودة أبو عودة: " تبدأ طريق الدلالة بكلمة، فالكلمات هي المواد الأولية التي تتشكل حسب أنظمة مختلفة لتقدم مفهوماً محدداً، والشرط في الكلمات أن تتشكل وأن تنتظم؛ لأنها بدون ذلك تبقى مواداً أولية لا قيمة لها بذاتها؛ فالمعنى إذن يظل خاطراً في النفس أو مكنوناً في الضمير حتى يصوغه المتكلم في كلمات يختارها هو جملاً وعبارات ينظمها أو يؤلف بينها ليحاول نقل فكرته من صدره

إلى عقول الآخرين، وهذا ما يمكن أن نطلق عليه (المعنى الأصلي) للكلمة و (المعنى السياقي لها)^(١٠)

تعريف السياق اصطلاحاً :

لم يرد عن الأصوليين ذكر حدّ أو تعريف جامع مانع له، وهذا ما أكده جمهور الباحثين في السياق من المعاصرين.

نعم الناظر في كتب الأصوليين يجد استخدام مصطلح (السياق) كثيراً، فيقولون: مثلاً (سياق الكلام)، و (سياق النظم)، و (اللفظ الواضح فيما سيق له)، و (وما كان الكلام مسوقاً للكلام وسياقه)، و (ما أوجبه نفس الكلام وسياقه)، و (وما كان السياق من أجله)، و (النكرة في سياق الشرط)، و (الفعل في سياق الشرط)، إلى غير ذلك من استعمالات الأصوليين لكلمة السياق.^(١١)

وقد تعرض أهل البيان لتعريف النظم في اصطلاحهم، وهو قريب من معنى السياق الذي قصده الأصوليون.^(١٢)

يقول الجرجاني: "النظم: تأخي معاني النحو فيما بين الكلم، على حسب الأغراض التي يصاغ بها الكلام"^(١٣).

وقيل: "الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل".^(١٤)

ولكن ورد في كلام كثير من العلماء ما يمكن عدّه توضيحاً لمفهوم السياق، قال ابن دقيق العيد: "أما السياق والقرائن، فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه"^(١٥).

وقال السرخسي^(١٦): "القرينة التي تقترن باللفظ من المتكلم، وتكون فرقاً فيما بين النص والظاهر هي السياق، بمعنى الغرض الذي سيق لأجله الكلام"^(١٧).

وقال السلجماسي^(١٨) في تعريف السياق بأنه: "ربط القول بغرض مقصود على القصد الأول"^(١٩).

وقال البناني^(٢٠): "السياق هو ما يدل على خصوص المقصود من سابق الكلام المسوق لذلك أو لاحقه"^(٢١).

وقد جاء في كتابات بعض المعاصرين تعريفات لدلالة السياق، ومن أهم هذه التعريفات:

التعريف الأول: "هي تلك المعاني التي تفهم من تراكيب الخطاب، ويشعر المنطوق بها بواسطة القرائن المعنوية"^(٢٢)

التعريف الثاني: "الكلام المتتابع إثره على إثر بعض، المقصود للمتكلم، والذي يلزم من فهمه فهم شيء آخر".^(٢٣)

التعريف الثالث: "قرينة توضح المراد - لا بالوضع -، تؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود، أو سابقه".^(٢٤)

التعريف الرابع: "أنها القرائن الدالة على المقصود في الخطاب الشرعي"^(٢٥)

التعريف الخامس: مجموعة القرائن اللفظية والحالية الدالة على قصد المتكلم من خلال تتابع الكلام وانتظام سابقه ولاحقه به"^(٢٦)

والتعريف الأخير هو أشمل هذه التعاريف وأقربها لبيان مفهوم السياق.

ومما يؤيد التعريف الذي رجحناه ما ذكره بعض الدارسين المعاصرين: "وهنا يمكن تلخيص القول في مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث التالية: الأولى: أن السياق هو الغرض، أي مقصود المتكلم في إيراد الكلام... الثانية: أن السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها، الثالثة: أن السياق هو ما يعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثله الكلام في موضع النظر والتحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام"^(٢٧).

وهنا علينا الانتقال وتخصيص التعريف من حدّ (السياق) بشكل عام إلى (السياق

القرآني) بوجه أخص فعرّفها بعضهم بأنها: "بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما

قبلها وما بعدها^(٢٨)، ولا يخفى قصور هذا التعريف لاقتصاره على سياق المقال وسباق الآية أو الكلمة ولحاقها.

واختار باحث آخر أن أرجح التعاريف: " هو ما يحيط بالنص القرآني من عوامل داخلية أو خارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال من حال المخاطب، والمخاطب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه"^(٢٩)، وهذا التعريف يتسق مع ما توصلنا له فيما سبق والله أعلم.

المطلب الثاني

حجية السياق القرآني وأنواعه من حيث المستوى

قال الإمام الزركشي^(٣٠) متحدثاً عن حجية السياق " دَلَالَةُ السِّيَاقِ أَنْكَرُهَا بَعْضُهُمْ، وَمَنْ جَهَلَ شَيْئًا أَنْكَرَهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّهَا مُتَقِّقٌ عَلَيْهَا فِي مَجَارِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى"^(٣١) يوضح ابن دقيق العيد^(٣٢) (رحمه الله) تأثير السياق على فهم الخطاب الشرعي قائلاً: "فَإِنَّ السِّيَاقَ طَرِيقٌ إِلَى بَيَانِ الْمُجْمَلَاتِ، وَتَعْيِينِ الْمُحْتَمَلَاتِ وَتَنْزِيلِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ مِنْهُ وَفَهْمِ ذَلِكَ قَاعِدَةٌ كَبِيرَةٌ مِنْ قَوَاعِدِ أَصُولِ الْفِقْهِ وَلَمْ أَرْ مَنْ تَعَرَّضَ لَهَا فِي أَصُولِ الْفِقْهِ بِالْكَلامِ عَلَيْهَا وَتَقْرِيرِ قَاعِدَتِهَا مُطَوَّلَةً إِلَّا بَعْضَ الْمُتَأَخِّرِينَ مِمَّنْ أَدْرَكْنَا أَصْحَابَهُمْ وَهِيَ قَاعِدَةٌ مُنْعِيَّةٌ عَلَى النَّاطِرِ، وَإِنْ كَانَتْ ذَاتُ شَعَبٍ عَلَى الْمُنَاطِرِ"^(٣٣).

ومن هنا يظهر لنا جليا - وكما تقدم في تعريف السياق - أن السياق القرآني يعدّ (قرينة)^(٣٤) من القرائن المهمة التي يتم عن طريقها فهم الخطاب بشكل دقيق.

والسياق القرآني يختلف عن أي سياق آخر، ذلك أنه مكون من أربعة دوائر من السياق بعضها داخل في بعض ومبني عليه. وهذا من أعظم ما يتميز به القرآن العظيم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته. وذلك أنه ينقسم إلى أربعة أنواع:

النوع الأول: سياق القرآن.

النوع الثاني: سياق السورة.

النوع الثالث: سياق النص أو المقطع أو الآيات.

النوع الرابع: سياق الآية.

وهذه الأنواع الأربعة مؤتلفة ائتلافاً عجيباً فلا تجد بينها تعارضاً، بل إنها متكاملة تكاملاً ينتج عنه معانٍ متعددة وأغراضٌ متنوعة، وهذا والله أعلم سر كون القرآن محتملاً للوجوه الكثيرة والمعاني المتعددة، كما قال أبو الدرداء رضي الله عنه: (إنك لن تفقه كل الفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة)^(٣٥).

وقد حقق هذا التنوع في سياق القرآن الدكتور عبدالوهاب ابو صفية الحارثي فقال: "السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه، بمعنى أن هناك: سياق آية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى"^(٣٦).

المبحث الثاني

حكم استقبال القبلة في السياق القرآني: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول

آراء الفقهاء في حكم استقبال القبلة

فرض الله سبحانه وتعالى على المسلمين فريضة الصلاة بمكة، وأمر الله عز وجل رسوله باستقبال المسجد الأقصى في بيت المقدس، فكان يصلي في ناحية يستقبل منها البيت الحرام وبيت المقدس، فلما هاجر إلى المدينة استقبل بيت المقدس مولياً عن البيت الحرام ستة عشر شهراً، وهو يحب لو قضى الله إليه باستقبال البيت الحرام؛ لأن فيه مقام أبويه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، وهو المثابة للناس والأمن، وإليه الحج،

وهو المأمور به أن يُطَهَّرَ للطائفين والعاكفين والركع السجود، فجعل النبي ﷺ يديم طرفه إلى السماء وجاء أن يأتيه جبريل عليه السلام بتحويل القبلة، فأنزل عز وجل قوله تعالى ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (١٤٤). (٣٧).

لا خلاف بين الفقهاء في أن من شروط صحة الصلاة المفروضة والنافلة استقبال القبلة، للآية الكريمة، إلا لضرورة في الفريضة كالقتال والمريض الذي لا يجد من يوجهه إلى جهة القبلة، أو لرخصة النافلة للمسافر إذا كان راكباً على دابة أو سفينة لا يستقر بها. (٣٩)

كما أنه لا خلاف بين المذاهب في أن من كان يُعَايِنُ الكعبة فعليه إصابة عينها في الصلاة، أي مُقَابَلَةً ذات بناء الكعبة يقيناً من أحد جوانبها، ولا يكفي الاجتهاد ولا استقبال جهتها؛ لأن القدرة على اليقين والعين تمنع من الاجتهاد والجهة المعرضين للخطأ. وأيضاً فإن من انحرف عن مُقَابَلَةِ شَيْءٍ فَهُوَ لَيْسَ مُتَوَجِّهاً نَحْوَهُ. (٤٠)

ولكن الخلاف وقع في المكي غير المعين للكعبة أو بينه وبينها حائل، وكذلك غير المكي البعيد عن الكعبة، هل يجب عليهم في استقبال القبلة إصابة العين أو الجهة فقط؟ هنا اختلف الفقهاء في أحكام هذه الصور، ونلخص تفاصيل ذلك في حكم استقبال القبلة بالنسبة للبعيد عن الكعبة على مذهبين.

المذهب الأول: الواجب في استقبال القبلة للبعيد الاجتهاد في إصابة عينها.

وهو الأظهر عند الشافعية، وهو قول لبعض فقهاء الحنفية منهم أبي عبد الله البصري^(٤١)، وهو قول لابن القصار^(٤٢) عند المالكية ورواية عند الحنابلة واختارها أبو الخطاب وغيره، وهو قول ضعيف عند الإمامية. (٤٣)

وحقيقة قول أصحاب هذا المذهب: أَنَّ المطلوب تَقْدِيرُ الْمُصَلِّي ذَلِكَ لَا أَنَّهُ يَلْزَمُهُ اسْتِقْبَالُ عَيْنِهَا فِي الْوَاقِعِ كَمَنْ بِمَكَّةَ وَمَا أُلْحِقَ بِهَا؛ لِأَنَّ هَذَا تَكْلِيفٌ مَا لَا يُطَاقُ^(٤٤)، فالمقصود عندهم بذل ما يمكن من الأسباب والاجتهاد في إصابة عينها - لا مجرد الجهة - وإن كان ذلك قد لا يتحقق في الواقع وإنما يكون على وجه التقريب.

المذهب الثاني: أَنَّهُ يَكْفِي الْمُصَلِّي الْبُعِيدَ عَنْ مَكَّةَ اسْتِقْبَالُ جِهَةِ الْكَعْبَةِ بِاجْتِهَادٍ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِصَابَةُ الْعَيْنِ، فَيَكْفِي غَلْبَةُ ظَنِّهِ أَنَّ الْقِبْلَةَ فِي الْجِهَةِ الَّتِي أَمَامَهُ، وَلَوْ لَمْ يُقَدَّرْ أَنَّهُ مُسَامِتٌ وَمُقَابِلٌ لَهَا.

وهذا هو قول الجمهور، وهو المشهور من رأي فقهاء الحنفية، وهو الأظهر عند المالكية، والأشهر عند الحنابلة، وهو قول الزيدية والإمامية، وقول مرجوح عن الشافعي.^(٤٥)

ولكل من أصحاب المذهبين أدلتهم في الاستدلال على ما ذهبوا إليه، وليس بحثنا هذا لبيان ومناقشة أدلة المذهبين، ولا لبيان الراجح منهما، وإنما الغرض المقصود من هذا البحث تطبيق قاعدة (السياق القرآني) كقرينة لبيان الحكم المستنبط من الآية الكريمة.

المطلب الثاني

السياق القرآني لآيات تحويل القبلة

كما تقدم فإن للسياق القرآني مستويات أربعة متداخلة ويكمل بعضها الآخر تسبك روعة كلام الله عزَّ وجلَّ، وهنا ننظر إلى آيات تحويل القبلة ضمن تلك السياقات للوصول إلى الصورة السياقية التي عرض فيها الباري سبحانه حكم استقبال القبلة.

السياق العام للسورة:

الناظر بتدبر في سورة البقرة يجد أَنَّ أحكام السورة قد بنيت على الرحمة والتيسير والتخفيف، وهذا ظاهر في جميع الأحكام التي عرضت لها السورة، وقد جاء التصريح به

في السورة في ثلاثة مواضع: الأول في قوله تعالى في آيات القصاص ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ أَعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٨﴾^(٤٦)، والثاني في قوله تعالى في آيات الصيام ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ١٨٥﴾^(٤٧)، والثالث قوله تعالى في آخر السورة بعد بيان جميع الأحكام والتشريعات ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ٢٨٦﴾^(٤٨)، ففيه تخفيف على الأمة على حسب الطاقة والوسع، وهو يشمل جميع أحكام الشريعة.

كما نجد أنّ اسم السورة الكريمة مأخوذ من قصة البقرة المذكورة في السورة والتي أمرَ بنو إسرائيل بذبحها، وهذه القصة توضح صورة من صور الانحرافات التي وقع فيها أهل الكتاب من قبلنا: التشدد والتتبع في أمور العبادات وتطبيق الأوامر الإلهية، وكان ذكر القصة تمهيدا منه سبحانه وتعالى في كيفية التعامل مع الأحكام المذكورة في السورة، وتحذيرا لنا من الوقوع في مثله قصة بني إسرائيل حين أمرهم الله سبحانه وتعالى بذبح (بقرة)، وكان يكفيهم من طاعة الله سبحانه وتعالى ذبح أي بقرة دون تحديد، ولكنهم تنطعوا وتشددوا في طلب صفاتها ولونها فشدد الله عليهم في ذلك، يقول تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْثُهَا تَسُرُّ النََّاظِرِينَ﴾^(٤٩).^(٥٠)

فسياق آيات سورة البقرة وعرضها للأحكام الشرعية يدلّ دلالة واضحة على أنّ التيسير والتخفيف مقصد كبير و قاعدة عظيمة من مقاصد وقواعد شريعة الله، وأنّ هذا المقصد وتلك القاعدة تنتظم جميع الأحكام الشرعية المأمور بها في آيات السورة المباركة.

سياق آيات استقبال القبلة:

ساق الله سبحانه وتعالى الرد على المشركين والمنافقين وأهل الكتاب في شأن تحويل القبلة، وأثبت في السياق تملكه للجهات، فلا اختصاص لناحية منها لذاتها بكونها قبلة بدون ما عداها، وإنما هو بأمر الله سبحانه ومشينته، يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم، صراط الاعتدال في الأفكار والأخلاق والأعمال، وأن العبرة في التوجه إليه سبحانه بالقلوب، واتباع وحيه في توجه الوجوه^(٥١).

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ١١٣ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١٤ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ إِنَّمَا تُولُوا وَجْهَ اللَّهَانِ اللَّهُ وَسِعَ عِلِيمَ ١١٥﴾^(٥٢)

ثم بين في السياق وسطية الأمة، كي تكون شهيدة على باقي الأمم، وبين الحكمة من التوجه للقبلة الأولى، وهي الاختبار في اتباع الرسول ﷺ، ثم بين عدم إضاعة الصلوات التي توجهوا بها إلى القبلة الأولى، ثم ساق الله سبحانه وتعالى صورة توجه النبي ﷺ في الرغبة في التوجه إلى الكعبة في الصلاة.

﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلِ اللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ١٤٢ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ إِيْمَتِكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ١٤٣ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ

مَا كُنْتُمْ قَوْلُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ (٥٣)

وقد جعل كل هذا توطئة ومقدمة بين يدي تحويل القبلة، فقد كبر ذلك على الناس إلا من هدى الله منهم (٥٤).

ثم ساق الأمر الفصل في ذلك فقال تعالى ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ قَوْلُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾.

ثم بين أن أهل الكتاب يعلمون أن هذا التوجه حق، وأنهم يتبعون أهواءهم في مخالفته، وأنهم لن يقبلوا اتباعه مهما أتاهم بآية، ثم ساق سبحانه أن أهل الكتاب يعرفون نبوته بشكل يقين كما يعرفون أبناءهم، لكنهم يكتُمون هذه الحقيقة، وأن سبحانه وتعالى سيفصل هذا الخلاف في يوم الحشر.

﴿وَلَنِ اتَّيَّتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكُمْ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبَلَةَ بَعْضُوهُمْ لَئِنْ أَتَتْهُمْ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ لَيَسْتَكْفِرُوا فِيهَا لِيَسْأَلُوا بِآيَةِ رَبِّهِمْ كَمَا يُسْأَلُونَ بِالآيَاتِ الْكُوفِرِينَ أَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ (٥٥)

ثم يعود السياق لتأكيد الأمر بالتوجه شطر المسجد الحرام، وأنه سبحانه قد ساق في هذه الآيات الأمر بالتوجه للمعاني والمسافر والبعيد، وأمر بعدم الخوف مما يشيعه المخالفون في هذا الأمر.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ قَوْلُوا وَجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأَتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾﴾ (٥٦)

ثم ساق سبحانه وتعالى عن الابتلاءات التي من ضمنها الإشاعات التي يثيرها السفهاء، وكيفية الثبات أمام هذه الابتلاءات والوسائل المعينة على ذلك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٣) (٥٧)

حتى تنتهي الآيات إلى ذكر حقيقة التعبد التي هي الإيمان بالله تعالى وعدم حصر العبادة بالشكل والهيئات الظاهرة.

﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (١٧٧) (٥٨)

فمجرد تولية الوجه قبله مخصوصة ليس هو البر المقصود من الدين، ذلك أن استقبال الجهة المعينة إنما شرع لأجل تذكير المصلي بالإعراض عن كل ما سوى الله تعالى في صلاته، والاقبال على مناجاته ودعائه وحده، وليكون شعارا لاجتماع الأمة، فتولية الوجه وسيلة للتذكير بتولية القلب وليس ركنا من العبادة بنفسه. (٥٩)

فليس التوجه للقبلة هو لب العبادة من حيث هي الصخرة المعينة أو البناء المعين، وإنما هو الامتثال لأمر الله وطاعته والتوجه إليه سبحانه بالقلوب.

المطلب الثالث

أثر السياق في الدلالة على حكم استقبال القبلة

تبين لنا من السياق العام للسورة في الأمر بتخفيف الأحكام أن حكم استقبال القبلة لابد أن يكون أمرا متيسرا لا حرج فيه ولا مشقة، ولا حاجة لاستخدام آلات معينة أو

حسابات معقدة، وهذا ما يتسق مع أحكام الشريعة الغراء، وقوله ﷺ (إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسِبُ) ^(٦٠).

وكذلك بين سياق المقطع القرآني الذي يشمل الآيات السابقة واللاحقة لآيات تحويل القبلة، أن موضوع استقبال القبلة ليس مقصوداً أصلياً للحكم، وإنما المقصود الأصلي هو الاختبار بطاعة الله سبحانه وتعالى والانقياد لأمره، حتى لو كان مخالفاً لما في النفوس، وأن المقصود هو الاقبال على مناجاته ودعائه وحده، وليكون شعاراً لاجتماع الامة، فتولية الوجه وسيلة للتذكر بتولية القلب وليس ركناً من العبادة بنفسه ^(٦١).

فالآية قد جاءت لبيان أن التوجه ليس هو الغاية العظمى، وليس هو البر، وإنما الغاية في الايمان وتكميل خصال البر كلها.

ومما يدل على ذلك في سياق هذا المقطع هو نفس الأمر بتحويل القبلة، إذ لو أن إصابة عين بيت المقدس في القبلة الأولى كان مقصوداً أصلياً لما ناسب أن يتم تبديل القبلة اصلاً الى جهة الكعبة، فدلّت عملية تحويل القبلة على أن الاتجاه بحد ذاته ليس هو المقصود، بل القصد هو الامتثال في التوجه في العبادة لرمز لاستذكّار مواطن طاعة عظيمة.

أثر السياق في تحديد معنى (شطر) :

هذه السياقات تؤثر في بيان معنى لفظة (شطر) المذكورة في الآيات فالشطر في اللغة له معنيان الأول: النصف وشطر كل شيء نصفه، والثاني: القصد والجهة، وشطر الشيء ناحيته، وقصدت شطره أي نحوه وجهته. ^(٦٢)

وقال الراغب الأصفهاني: " شطر الشيء: نصفه ووسطه... قال تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، أي: جهته ونحوه، ويقال: شاطرته شطاراً، أي: ناصفته، وقيل: شطر بصره، أي: نصفه، وذلك إذا أخذ ينظر إليك وإلى آخر، ...، وشطر: إذا أخذ

شطرا، أي: ناحية، وصار يعبر بالشاطر عن البعيد، وجمعه: شطر، والشاطر أيضا لمن يتباعد عن الحق، وجمعه: شطار^(٦٣).

وقال الإمام الشافعي: "و(شَطْرَة) جهته، في كلام العرب. إذا قلت: أقصد شطر كذا: معروف أنك تقول: أقصد قصد عين كذا، يعني: قصد نفس كذا. وكذلك تلقاءه: جهته، أي: أستقبل تلقاءه وجهته، وإن كلها معنى واحد، وإن كانت بالألفاظ مختلفة. وقال خفاف بن ندبة:

ألا من مبلغ عمرا رسولا وما تغنى الرسالة شطر عمرو
وقال ساعدة بن جوية:

أقول لأم زنباع أقيمي صدور العيس شطر بنى تميم
وقال الشاعر:

إن العسير بها داء مخامرها فشطرها بصر العينين مسحور
قال الشافعي: يريد: تلقاءها بصر العينين ونحوها: تلقاء جهتها. هذا كله - مع غيره من أشعارهم: يبين أن شطر الشيء: قصد عين الشيء: إذا كان معينا فبالصواب، وإذا كان مغيبا فبالاجتهاد بالتوجه إليه، وذلك أكثر ما يمكنه فيه.^(٦٤)
فمن اللغة يتبين لنا أن لفظ (شطر) من الألفاظ المشتركة في اللغة بين معنيين: الأول: الجهة، والثاني: نصف الشيء.

قال ابن عادل: "قال أهل اللغة: (الشطر) اسم مشترك يقع على معنيين. أحدهما: النصف من الشيء والجزء منه، يقال: شطرت الشيء، أي: جعلته نصفين، ويقال في المثل: اجلب جلباً لك شطره، أي: نصفه. ومنه الحديث: "الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ" وتكون من الأضداد.

ويقال : شطر إلى كذا إذا أقبل نحوه، وشرط من كذا إذا ابتعد عنه وأعرض، ويكون بمعنى الجهة والنحو".^(٦٥)

ومن قال من الفقهاء بأن معنى الشطر إصابة عين الكعبة فهو لا يقصد إصابة نصف الكعبة دون النصف الآخر، فحمل معنى الشطر على العين من باب المجاز بإطلاق الجزء على الكل.

وممن رجع أن المقصود بـ (الشرط) في الآية عين الكعبة، الجبائي والقاضي عبد الجبار، حيث نقل عنهم الإمام الفخر الرازي في تفسيره "أن المراد من الشرط ههنا: وسط المسجد ومنتصفه؛ لأن الشرط هو النصف، والكعبة واقعة من المسجد في النصف من جميع الجوانب، فلما كان الواجب هو التوجه إلى الكعبة، وكانت الكعبة واقعة في نصف المسجد حسن منه تعالى أن يقول: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ يعني النصف من كل جهة، وكأنه عبارة عن بقعة الكعبة، قال القاضي: ويدل على أن المراد ما ذكرنا وجهان. الأول: أن المصلي خارج المسجد لو وقف بحيث يكون متوجهاً إلى المسجد، ولكن لا يكون متوجهاً إلى منتصف المسجد الذي هو موضع الكعبة لا تصح صلاته. الثاني: أنا لو فسرنا الشرط بالجانب لم يبق لذكر الشرط مزيد فائدة لأنك إذا قلت قول وجهك شطر المسجد الحرام فقد حصلت الفائدة المطلوبة، أما لو فسرنا الشرط بما ذكرناه كان لذكره فائدة زائدة، فإنه لو قيل: قول وجهك المسجد الحرام لا يفهم منه وجوب التوجه إلى منتصفه الذي هو موضع الكعبة، فلما قيل: ﴿قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ حصلت هذه الفائدة الزائدة، فكان حمل هذا اللفظ على هذا المحمل أولى.^(٦٦)

وقد ذهب جمهور المفسرين أن المراد بالشرط جهة المسجد وتلقاؤه وجانبه، قال الفخر الرازي: "وهو قول جمهور المفسرين من الصحابة والتابعين والمتأخرين واختيار

الشافعي رضي الله عنه في كتاب الرسالة أن المراد جهة المسجد الحرام وتلقاؤه وجانبه قرأ أبي بن كعب تلقاء المسجد الحرام" (٦٧).

وقال الجصاص: " والثاني نحوه وتلقاؤه ولا خلاف أن مراد الآية هو المعنى الثاني قاله ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والربيع بن أنس ولا يجوز أن يكون المراد المعنى الأول إذ ليس من قول أحد أن عليه استقبال نصف المسجد الحرام" (٦٨).

وقال أبو حيان: "والظاهر أن المقصود بالشرط: النحو والجهة لأن في استقبال عين الكعبة حرجاً عظيماً على من خرج؛ لبعده عن مسامحتها، وفي ذكر المسجد الحرام دون ذكر الكعبة دلالة على أن الذي يجب هو مراعاته جهة الكعبة، لا مراعاة عينها" (٦٩).

وإذا عدنا إلى قرينة السياق، بمستوياتها: سياق السورة والمقطع والآية، فنسجد أن السياقات ترجح المعنى الذي ذهب إليه الجمهور في أن معنى (الشرط) هو الجهة.

فسياق الأحكام المذكورة في سورة البقرة كما تقدم يقتضي بناء الأحكام على قاعدة التخفيف والتيسير ورفع الحرج، وتجنب التشدد والتنطع في تفاصيل الأحكام، كما تقدم في قصة الأمر بذبح البقرة، وأن المطلوب الامتثال للأوامر الإلهية ببسر ودون تعنت، فالذي يرجحه السياق أن المعنى المقصود هو الجهة وليس إصابة العين؛ لأن الأمر بالتوجه للكعبة في القبلة عموماً، إذ أن إصابة عين القبلة لمن لا يشاهدها أو بعيد عنها غير ممكن إلا باستخدام البوصلة أو عمليات الحساب الدقيق أو صور الأقمار الصناعية أو غير ذلك، وقد نزلت الآية على النبي ﷺ وهو في المدينة ولم يعرف أنه تم استخدام مثل ذلك في تحديد القبلة في مساجد المدينة مع كثرتها، وإصابة العين يتنافى مع السياق العام للسورة الداعي لرفع الحرج، ويتنافى مع قوله ﷺ بأننا أمة لانحسب أي لا نكلف بالحسابات المعقدة بالعبادات.

كما أن سياق المقطع القرآني والآيات السابقة واللاحقة لآية تحويل القبلة تدل على ترجيح معنى الجهة أيضاً، فسباق آية تحويل القبلة فيها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ

وَالْمَغْرِبَ أَيَّمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَسِعَ عِلِيمَ ﴿١١٥﴾^(٧٠) وهي واضحة في الدلالة على أن المقصود الاختبار والابتلاء والتعبد في تحديد جهة القبلة، وليس المقصود العين بذاتها، بدليل تحويل القبلة نفسه، فلو كانت عين الكعبة مقصودا لذاته ما شرعت القبلة لبيت المقدس سنين طويلة.

كما أن لحاق آيات تحويل القبلة ورد فيه قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا﴾^(٧١) وجوهكم قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا^(٧٢) وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا^(٧٣) وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ١٧٧﴾^(٧٤) فدللت الآية الكريمة بوضوح إلى أن التوجه في القبلة ليس مقصودا أصليا في التشريع وإنما هو اختبار في طاعة أمر الله سبحانه وتعبد.

فمن سياق المقطع يظهر لنا بوضوح أن التضييق في أمر التوجه في القبلة يتنافى مع مقصد التشريع وحكمته، وأن تكليف البعيد بالتوجه للجهة هو المتناسب مع ذلك المقصد وتلك الحكمة.

كما السياق اللفظي داخل الآية يدل على ذلك، حيث عبّر سبحانه وتعالى عن القبلة بـ (المسجد الحرام)، فإن المسجد يشمل الكعبة وغيرها، وقد قال السيوطي "المسجد الحرام حيث اطلق في القرآن فالمراد به الحرم كله، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد"^(٧٥).

من هذا يتبين لنا دور قاعدة السياق في تحديد دلالة الدليل القرآني، ودورها الكبير في فهم النص القرآني الكريم حيث حدد السياق ورجح أحد معنيي اللفظ المشترك (شطر).

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

خاتمة بأهم النتائج

من خلال هذا البحث توصلت للنتائج الآتية:

١. أنّ لدلالة السياق القرآني أهمية كبيرة عند علماء الفقه والأصول والتفسير الذين وضحو منزلتها بين القرائن التي تساهم بشكل كبير في ضبط فهم النصوص وعملية استنباط وترجيح الأحكام الشرعية، وبينوا مدى حجيتها والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.
٢. إنّ التعريف الراجح للسياق القرآني هو: هو ما يحيط بالنص القرآني من عوامل داخلية أو خارجية، لها أثر في فهمه، من سابق أو لاحق به، أو حال من حال المخاطب، والمخاطب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه.
٣. إنّ الفقهاء اتفقوا على وجوب استقبال القبلة في الصلاة، وأنّ ذلك شرط لصحتها إلا في بعض الحالات الاستثنائية.
٤. اتفق الفقهاء على وجوب التوجه إلى عين الكعبة في حال مشاهدتها بحضرتها لمن كان في مكة وأنه لا يجوز له الانحراف عنها وإلا بطلت صلاته.
٥. اختلف الفقهاء في حكم من اراد استقبال القبلة وهو بعيد عن الكعبة، أوجب عليه الاجتهاد في إصابة عينها في توجهه، أم يكفي الاجتهاد في إصابة جهتها؟ على قولين مشهورين.
٦. كان من أسباب اختلاف الفقهاء، خلافهم في تحديد معنى اللفظ المشترك الوارد في آية تحويل القبلة (شطر) فهو مستخدم لمعنيين: الجهة، ونصف الشيء.
٧. تبين لنا أنّ لسياق السورة وسياق المقطع القرآني، وسياق الآية ذاتها دور في ترجيح وتحديد أحد معنيي اللفظ المشترك، وأنّ الراجح هو معنى (الجهة) كما هو رأي الجمهور.

- (١) هود: ٧.
- (٢) ينظر إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول لمجد بن علي بن محمد الشوكاني (٢٥/١) تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، ط- دار الكتاب العربي، الأولى ١٤١٩هـ.
- (٣) ينظر: مقدمة كتاب (كيف نتعامل مع القرآن) للشيخ محمد الغزالي، ط- دار النهضة-مصر، الطبعة الأولى.
- (٤) مقدمة كتاب كيف نتعامل مع القرآن (ص ١٩)
- (٥) كيف نتعامل مع القرآن العظيم للدكتور يوسف القرضاوي : (ص ٢٧٤)، دار الشروق . القاهرة، ط: الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- (٦) لسان العرب لمجد بن مكرم بن علي، ابو الفضل، جمال الدين بن منظور الانصاري (١٠/١٦٦)، مادة (سوق). دار صادر . بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ
- (٧) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (٣/١١٧). تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل ، طبعة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
- (٨) لسان العرب (١٠/١٦٦).
- (٩) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى، احمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار (١/٤٦٥)، تحقيق مجمع اللغة العربية، ط- دار الدعوة.
- (١٠) دراسة دلالية في المصطلحات الإسلامية في القرآن الكريم - رسالة ماجستير للطالب عودة بن خليل أبو عودة (ص ٤٧) بإشراف أ. د. كمال محمد بشر - جامعة القاهرة كلية دار العلوم ١٤٠١هـ - ١٩٨١م. نقلا عن رسالة الماجستير الموسومة: (دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي - دراسة موضوعية تحليلية) للطالب أحمد لافي فلاح المطيري (ص ١١)، بإشراف أ. د مصطفى ابراهيم المشني - كلية الدراسات العليا- الجامعة الأردنية ٢٠٠٧م
- (١١) ينظر الأدلة الاستثنائية عند الأصوليين لأشرف بن محمود الكنانى (ص ١٢٨) ط- دار النفائس للنشر والتوزيع- الأردن، الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

- (١٢) ينظر: دلالة السياق واثرها في استنباط الأحكام، بحث ترقية للشيخ الدكتور: خالد العروسي (ص٦)، مكة المكرمة، جامعة أم القرى.
- (١٣) ينظر: دلائل الإعجاز لابي بكر عبد القاهر بن عبدالرحمن للجرجاني (ص٧٩) تحقيق: الدكتور محمد التنجي، دار الكتاب العربي . بيروت، الطبعة الاولى ١٩٩٥م.
- (١٤) التعريفات للجرجاني، (ص٣١٠) تحقيق : د. ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي . بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ.
- (١٥) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لتقي الدين ابن دقيق العيد(٢/٢١) تحقيق: محمد حامد الفقي ط- مكتبة السنة المحمديّة - القاهرة ١٩٥٣م.
- (١٦) محمد بن أحمد بن سهل، قاض من كبار الأحناف، مجتهد، مات سنة ٤٨٣هـ ينظر: الأعلام لخير الدين الزركلي (٥/٣١٥) ط- دار العلم للملايين، الخامسة ١٩٨٠م.
- (١٧) أصول السرخسي لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، ت: ٤٨٣هـ (١/١٦٤) ط- دار المعرفة - بيروت.
- (١٨) علي بن عبد الواحد بن محمد أبو الحسن الأنصاري، كان آية باهرة في جميع العلوم وجميع أحواله كلها مرضية مات سنة ١٠٥٧ هـ ينظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة (٢/٤٧١) ط- مكتبة المثني - دار إحياء التراث العربي- بيروت.
- (١٩) المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لأبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي (ص١٨) تحقيق: علل الغازي، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط، ١٩٨٠.
- (٢٠) عبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي فقيه أصولي نزيل مصر مات سنة ١١٩٨هـ ينظر: معجم المؤلفين (٢/٨٦).
- (٢١) حاشية العلامة البناني على شرح المحلي على جمع الجوامع لعبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي، ت ١١٩٨ هـ (١/٢٠) ط- مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٧م.
- (٢٢) المنهج الأصولي في فقه الخطاب، د. أدريس حمادي (ص٤٥) ط- المركز الثقافي العربي ١٩٩٨م.
- (٢٣) الأدلة الاستثنائية (ص٢٢٠).

- (٢٤) أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية، د. يوسف العيسوي (ص٣٨٨)، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م.
- (٢٥) دلالة السياق عند الأصوليين (ص٦٣) رسالة ماجستير للطالب سعد بن مقبل العنزي - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة أم القرى
- (٢٦) أثر السياق في النظام النحوي على كتاب (البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري) للدكتور نوح بن يحيى الشهري (ص٧٩) رسالة بإشراف الدكتور سليمان العابد، قسم الدراسات العليا / كلية اللغة العربية / جامعة أم القرى عام ٢٦ - ١٤٢٧هـ.
- (٢٧) دلالة السياق ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي (ص٥١). رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى عام ١٤٢٤هـ
- (٢٨) دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان (ص١٤)
- (٢٩) السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية، للدكتور سعيد الشهراني (ص٢٢) رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى ١٤٢٧هـ.
- (٣٠) هو محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، أبو عبدالله، بدر الدين، الفقيه الشافعي، والأصولي المحدث، ولد بمصر ٧٤٥هـ ، توفي ٧٩٤هـ ، ينظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٣٤/٥) تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ط- مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٩٢هـ.
- (٣١) البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي: (٧ / ٣١٧)، (ت.: محمد محمد تامر)، دار الكتب العلمية، ط : الأولى ١٤٢٠هـ. ٢٠٠٠م.
- (٣٢) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع المنفلوطي أبو الفتح تقي الدين، المعروف بأبن دقيق العيد، إمام حافظ، وأديب نحوي، وأصولي نظار، جمع بين الفقه المالكي والشافعي، توفي بالقاهرة سنة ٧٠٢هـ. ينظر طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي (٩/ ٢٠٧) تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ط- هجر للطباعة والنشر والتوزيع - الثانية ١٤١٣هـ ، و طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شعبة (٢/ ٢٢٦) تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط - عالم الكتب - بيروت - الأولى ١٤٠٧هـ.
- (٣٣) إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام لابن دقيق العيد: (٢/ ٢١٦) .

(٣٤) القرينة: ما يصاحب الدليل، فيبين المراد به أو يقوي دلالته أو ثبوته. القرائن عند الأصوليين (ص ٦٨) رسالة دكتوراه للباحث محمد بن عبد العزيز المبارك، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ عمادة البحث العلمي، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٣٥) المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، رقم (٢٠٤٧٣)، : (٢٥٥/١١)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ، و ينظر البرهان في علوم القرآن لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله: (١٩٣/١)، (ت: محمد أبو الفضل إبراهيم)، ط- دار المعرفة - بيروت ١٣٩١هـ.

(٣٦) دلالة السياق منهج مأمول لتفسير القرآن الكريم لعبد الوهاب أبو صفية الحارثي: (ص ٨٨)، عمان، ط : الأولى ١٩٨٩م.

(٣٧) البقرة: ١٤٤.

(٣٨) روى ذلك البراء بن عازب رضي الله عنه، ينظر: مسند أحمد بن حنبل، مسند البراء بن عازب (٣٠٤/٤) رقم (١٨٧٢٩) تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط-مؤسسة قرطبة - القاهرة، والجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، باب في إجازة خبر الواحد، رقم (٦٨٢٥) تحقيق محمد زهير الناصر، ط-دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية، الأولى، ١٤٢٢هـ، والجامع الصحيح (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، كتاب المساجد، باب تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، برقم (٥٢٥) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط- دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣٩) ينظر بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني الحنفي (١١٧/١) ط-دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٢، ومنح الجليل شرح مختصر خليل لأبي عبد الله محمد بن أحمد عlish المالكي (٢٣١/١) ط-دار الفكر - بيروت، ١٩٨٩م، وروضة الطالبين وعمدة المفتين لمحيي الدين النووي الشافعي (٢٠٩/١) تحقيق: زهير الشاويش، ط-المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ، والمغني لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي (٤٨١/١) ط-دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ، والسييل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار لمحمد بن علي الشوكاني (١٧١/١) تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط-دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٥هـ، والروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية لزين الدين بن علي العاملي (١٢٨/١) ط- دار العالم الإسلامي - بيروت.

- (٤٠) روضة الطالبين (٢١٥/١) ومنح الجليل (٢٣١/١) والمغني لابن قدامة (٤٩٠/١)
- (٤١) هو الحسين بن علي بن طاهر، أبو عبد الله البصري المتكلم، ويعرف بالجعل، ولد سنة ٢٩٣هـ، وسكن بغداد وكان من شيوخ المعتزلة، وكان مقدما في علمي الفقه والكلام، توفي عام ٣٦٩هـ، ينظر: الطبقات السنية في تراجم الحنفية (ص ٢٥٥)
- (٤٢) هو قاضي بغداد أبو الحسن علي بن أحمد البغدادي: المعروف بابن القصار الأبهري الشيرازي الإمام الفقيه الأصولي الحافظ النظار له كتاب في مسائل الخلاف لا يعرف للمالكيين كتاب في الخلاف أكبر منه، توفي في (٣٩٨هـ). ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد بن سالم مخلوف (١٣٨/١) تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط- دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى، ١٤٢٤ هـ
- (٤٣) ينظر التهذيب في فقه الإمام الشافعي لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي (٦٧/٢) تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط- دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٨ هـ، ومنح الجليل (٢٣٣/١) والفروع لمحمد بن مفلح المقدسي الحنبلي (٣٣٩/١) تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي، ط- دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤١٨هـ، والروضة البهية للعالم (١٢٨/١)
- (٤٤) ينظر منح الجليل (٢٣٣/١)
- (٤٥) ينظر بدائع الصنائع (١١٨/١) ومنح الجليل (٢٣٣/١) والمغني لابن قدامة (٤٩٠/١) و التهذيب للبغوي (٦٧/٢) والسييل الجرار (١٧١/١) والروضة البهية (١٢٨/١)
- (٤٦) البقرة: ١٧٨.
- (٤٧) البقرة: ١٨٥.
- (٤٨) البقرة: ٢٨٦.
- (٤٩) البقرة: ٦٧-٦٩.
- (٥٠) ينظر أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة، لمحمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الربيع (ص ٢٠٨)، بإشراف محمد بن عبد الرحمن الشايع، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية الرياض.

(٥١) ينظر تفسير المنار لمحمد رشيد بن علي رضا (المتوفي: ١٣٥٤هـ): (٤/٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٠م)، وينظر ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن العظيم المعروف بتفسير أبي السعود، لمحمد بن محمد أبي السعود: (١/١٧١) دار احياء التراث العربي . بيروت.

(٥٢) البقرة: ١١٣-١١٥.

(٥٣) البقرة: ١٤٢-١٤٤.

(٥٤) التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، اعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ.د مصطفى سالم/ جامعة الشارقة: (١/١٧١)، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الاولى، ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م.

(٥٥) البقرة: ١٤٥-١٤٦.

(٥٦) البقرة: ١٤٩-١٥٠.

(٥٧) البقرة: ١٥٣.

(٥٨) البقرة: ١٧٧.

(٥٩) تفسير المنار (٢/٨٩).

(٦٠) رواه البخاري في صحيحه باب (قول النبي ﷺ لا نكتب ولا نحسب) برقم (١٨١٤) (٢/٦٧٥) ومسلم (باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال) برقم (١٠٨٠) (٢/٧٥٩).

(٦١) تفسير المنار (٢/٨٩).

(٦٢) ينظر الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الاتباري، باب القبله: (١/٨٢)، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة . بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م، والمصباح المنير لاحمد بن محمد بن علي الفيومي: (١/١٦٣)، دراسة وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ولسان العرب: (٤/٤٠٧)، والقاموس المحيط في اللغة لمجد الدين محمد الفيروز آبادي (المتوفي: ٨١٧هـ): (٧/٢٩٠)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.

(٦٣) مفردات ألفاظ القرآن للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني (١/٥٣٨) ط- دار القلم . دمشق

(٦٤) الرسالة للإمام محمد بن إدريس الشافعي المطبوعي (٣٥-٣٨) تحقيق أحمد شاكر، ط- مكتبة الحلبي، مصر الأولى، ١٣٥٨هـ.

(٦٥) الباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل دمشقي الحنبلي (٣٥/٣-٣٦) ط- دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٦٦) تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي (٤/١٠٣) ط- دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤٢١ هـ

(٦٧) مفاتيح الغيب (٤/١٠٢)

(٦٨) أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص (١/١١٢) تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، ط- دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٠٥هـ.

(٦٩) تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (١/٦١٤) تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، ط- دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - الأولى ١٤٢٢ هـ.

(٧٠) البقرة: ١١٥.

(٧١) البقرة: ١٧٧.

(٧٢) الاكليل في استنباط التنزيل لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١هـ):
(١/١٣٩)، تحقيق: سيف الدين عبدالقادر الكاتب، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٠١ هـ .
١٩٨١ م.

المصادر والمراجع

المصدر الأول: القرآن الكريم

ومن بعده:

١- أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة، لمحمد بن عبدالله بن عبدالرحمن الربيعية، بإشراف محمد بن عبدالرحمن الشايع، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية. الرياض

٢- أثر السياق في النظام النحوي على كتاب (البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري) للدكتور نوح بن يحيى الشهري

- ٣- أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية، د. يوسف العيسوي، دار البشائر الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ. ٢٠٠٢ م.
- ٤- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام لتقي الدين ابن دقيق العيد، تحقيق: محمد حامد الفقي ط- مكتبة السنة المحمدية - القاهرة ١٩٥٣ م..
- ٥- أحكام القرآن لأحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، ط- دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٠٥ هـ.
- ٦- الأدلة الاستثنائية عند الأصوليين لأشرف بن محمود الكفاني ، ط- دار النفائس للنشر والتوزيع- الأردن، الأولى ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ٧- إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن العظيم المعروف بتفسير أبي السعود ، لمحمد بن محمد أبي السعود، ط- دار إحياء التراث العربي . بيروت
- ٨- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق الشيخ أحمد عزو عناية، ط- دار الكتاب العربي، الأولى ١٤١٩ هـ.
- ٩- أصول السرخسي لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي
- ١٠- الأعلام لخير الدين الزركلي ، ط- دار العلم للملايين، الخامسة ١٩٨٠ م.
- ١١- الاكلیل فی استنباط التزیل لعبد الرحمن بن ابی بكر جلال الدين السيوطي (المتوفي: ٩١١ هـ)، تحقيق: سيف الدين عبدالقادر الكاتب، دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م.
- ١٢- البحر المحيط في أصول الفقه لبدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي، تحقيق محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، ط : الاولى ١٤٢٠ هـ . ٢٠٠٠ م.
- ١٣- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لعلاء الدين الكاساني الحنفي ط- دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٢ .
- ١٤- البرهان في علوم القرآن لمحمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط- دار المعرفة - بيروت ١٣٩١ هـ.
- ١٥- التعريفات للجرجاني، تحقيق : د. ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي . بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ

- ١٦- تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض، ط- دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - الأولى ١٤٢٢ هـ
- ١٧- تفسير المنار لمحمد رشيد بن علي رضا، ط- الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٩٠م)
- ١٨- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، اعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف أ.د. مصطفى سالم/ جامعة الشارقة، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة الاولى، ١٤٣١ هـ.
- ٢٠١٠م
- ١٩- تفسير مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط- دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى ١٤٢١ هـ
- ٢٠- التهذيب في فقه الإمام الشافعي لمحيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط- دار الكتب العلمية، الأولى، ١٤١٨ هـ
- ٢١- الجامع الصحيح (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط- دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٢- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله □ (صحيح البخاري) لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق محمد زهير الناصر، ط- دار طوق النجاة مصورة عن السلطانية، الأولى، ١٤٢٢ هـ
- ٢٣- حاشية العلامة البناني على شرح المحلي على جمع الجوامع لعبد الرحمن بن جاد الله البناني المغربي، ط- مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٧م
- ٢٤- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة للحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، ط- مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٣٩٢ هـ.
- ٢٥- دلالة السياق القرآني في تفسير أضواء البيان للعلامة الشنقيطي - دراسة موضوعية تحليلية، للطالب أحمد لافي فلاح المطيري، بإشراف أ. د مصطفى ابراهيم المشني - كلية الدراسات العليا- الجامعة الأردنية ٢٠٠٧م

- ٢٦- دلالة السياق ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، رسالة دكتوراه مقدمة لكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى عام ١٤٢٤هـ.
- ٢٧- دلالة السياق عند الأصوليين، رسالة ماجستير للطالب سعد بن مقبل العنزي - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- جامعة أم القرى
- ٢٨- دلالة السياق منهج مأمول لتفسير القرآن الكريم لعبد الوهاب أبو صفية الحارثي، عمان، ط : الأولى ١٩٨٩م.
- ٢٩- دلالة السياق واثرها في استنباط الأحكام، بحث ترقية للشيخ الدكتور: خالد العروسي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة.
- ٣٠- دلائل الاعجاز لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن للجرجاني، تحقيق: الدكتور محمد التنجي، دار الكتاب العربي . بيروت، الطبعة الاولى ١٩٩٥م.
- ٣١- الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية لزين الدين بن علي العاملي، ط- دار العالم الإسلامي - بيروت
- ٣٢- روضة الطالبين وعمدة المفتين لمحيي الدين النووي الشافعي تحقيق: زهير الشاويش، ط- المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ
- ٣٣- الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر محمد بن القاسم الانباري، تحقيق: د.حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة . بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م.
- ٣٤- السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية، للدكتور سعيد الشهراني، رسالة دكتوراه في جامعة أم القرى ١٤٢٧هـ.
- ٣٥- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار لمحمد بن علي الشوكاني تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط-دار الكتب العلمية، الأولى ١٤٠٥هـ.
- ٣٦- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد بن سالم مخلوف، تحقيق: عبد المجيد خيالي، ط- دار الكتب العلمية، لبنان، الأولى، ١٤٢٤ هـ.
- ٣٧- طبقات الشافعية لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، ط - عالم الكتب - بيروت - الأولى ١٤٠٧ هـ

- ٣٨- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، ط- هجر للطباعة والنشر والتوزيع - الثانية ١٤١٣هـ
- ٣٩- الفروع لمحمد بن مفلح المقدسي الحنبلي، تحقيق أبو الزهراء حازم القاضي، ط- دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤١٨هـ
- ٤٠- القاموس المحيط في اللغة لمجد الدين محمد الفيروز آبادي (المتوفي: ٨١٧هـ)، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.
- ٤١- القرائن عند الأصوليين، رسالة دكتوراه للباحث محمد بن عبد العزيز المبارك، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ عمادة البحث العلمي، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م
- ٤٢- كيف نتعامل مع القرآن العظيم للدكتور يوسف القرضاوي، دار الشروق . القاهرة، ط : الثالثة، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م
- ٤٣- كيف نتعامل مع القرآن للشيخ محمد الغزالي، ط- دار النهضة-مصر، الطبعة الأولى.
- ٤٤- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، ط- دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- ٤٥- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي، ابو الفضل، جمال الدين بن منظور الانصاري، توفي (٧١١هـ)، دار صادر . بيروت ، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ .
- ٤٦- المجتبى من السنن المعروف بالسنن الصغرى للنسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، الثانية، ١٤٠٦هـ
- ٤٧- مسند أحمد بن حنبل،، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط-مؤسسة قرطبة - القاهرة
- ٤٨- المصباح المنير لأحمد بن محمد بن علي الفيومي، وتحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.
- ٤٩- المصنف لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.
- ٥٠- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، ط- مكتبة المثنى - دار إحياء التراث العربي- بيروت

- ٥١- المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبدالقادر، محمد النجار ، تحقيق مجمع اللغة العربية، ط- دار الدعوة.
- ٥٢- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق عبدالسلام هارون، دار الجيل ، طبعة ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م
- ٥٣- المغني لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي الحنبلي ط-دار الفكر - بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ٥٤- مفردات ألفاظ القرآن للحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني، ط- دار القلم . دمشق.
- ٥٥- منح الجليل شرح مختصر خليل لأبي عبد الله محمد بن أحمد عlish المالكي ط-دار الفكر - بيروت، ١٩٨٩م
- ٥٦- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع لأبي محمد القاسم الأنصاري السجلماسي، تحقيق علال الغازي، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط، ١٩٨٠.
- ٥٧- المنهج الأصولي في فقه الخطاب، د. أدريس حمادي، ط- المركز الثقافي العربي ١٩٩٨م.

جهود علماء المسلمين في رواية وتدوين السيرة النبوية والمحافظة عليها " القرن الثاني أنموذجاً "

أ.د. عدنان علي الفراجي
الجامعة العراقية / كلية التربية

المخلص

إن التثبت والتوثق من سيرة الرسول (ﷺ) ضرورة لا تخفى على أحد، لأن هذه السيرة تُعدُّ قدوةً لكل مسلم، وقد أمرنا الله تعالى باتباع هديه، فكان لابد من توثيق وإثبات كل ما ينسب لسيرته (ﷺ)، ويرجع الفضل في هذا التوثق والتثبت إلى العلماء الأوائل الذين اهتموا برواية وتدوين هذه السيرة والمحافظة عليها، ولاسيما الذين تناولهم هذا البحث. وهنا يكمن هدف البحث في التعرف على جهود العلماء الأعلام الذين حرصوا على رواية أحداث السيرة النبوية وتدوينها بأمانة وصدق، لتأخذ شكلها النهائي في القرن الثاني الهجري، ولتكون معيناً معرفياً لأبناء هذه الأمة.

Abstract

The importance of the paper is concerned with proving and documenting the prophetic tradition of Prophet Mohammad (Peace Be Upon Him (PBUH)) and that is defined as a clear necessity because it is considered to be the role model for every single Muslim. Besides, AL-Mighty Allah orders us all to follow its guidance. For this reason, it was must to document and prove what are attributed to Prophet Mohammad (PBUH). Thanks to first scholars, who cared about narrating and writing the prophetic tradition and preserving it, for their documentations and proving the sayings of the Prophet especially, the ones dealt in the body of the paper.

The paper aims to know the efforts made by the glorious scholars who were sincere about narrating the events of the prophetic tradition and writing them honestly so as to be in its final form in the second Hijri century and to be the corner stone for all people in the nation.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله والصلاة والسلام على محمد رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فإن مما يفخر به المسلمون في كل زمان ولاسيما في وقتنا الحاضر تلك الجهود التي بذلها علماء المسلمين في صدر الإسلام في تدوين السيرة النبوية والمحافظة عليها، ليتعرف من بعدهم من الأجيال على التفاصيل المتعلقة بهذه السيرة. لذا كان هذا البحث الموسوم [جهود علماء المسلمين في رواية وتدوين السيرة النبوية والمحافظة عليها " القرن الثاني أنموذجاً] ^(١) مكرساً لبيان تلك الجهود.

هدف البحث: التعرف على جهود العلماء الأعلام الذين حرصوا على رواية أحداث السيرة النبوية وتدوينها بأمانة وصدق، لتأخذ شكلها النهائي في القرن الثاني الهجري، ولتكون معيناً معرفياً لأبناء هذه الأمة.

أهمية البحث: إن التثبت والتوثق من سيرة الرسول (ﷺ) ضرورة لا تخفى على أحد، لأن هذه السيرة تُعدُّ قدوة لكل مسلم، وقد أمرنا الله تعالى باتباع هديه، فكان لابد من توثيق وإثبات كل ما ينسب لسيرته (ﷺ)، ويرجع الفضل في هذا التوثق والتثبت إلى العلماء الأوائل الذين اهتموا برواية وتدوين هذه السيرة والمحافظة عليها، ولاسيما الذين تناولهم هذا البحث.

سبب اختيار البحث: إن تدوين السيرة النبوية يشكل بُعداً حضارياً وعلمياً مهماً في تاريخنا الإسلامي، فقد حفظ هذا الإنجاز مفردات حياة أعظم شخصية عرفت البشرية رسول الله محمد (ﷺ)، وهذا بحد ذاته يكتسب أهمية غير قليلة في واقع العلوم الإنسانية بعامة والعلوم الإسلامية بخاصة.

خطة البحث ونطاقه: اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في هذه المقدمة ومبحثين وخاتمة. فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع، (ستكون هوامش البحث مختصرة، والتفاصيل في القائمة).

المبحث الأول: تحدثت فيه عن اهتمام علماء المسلمين بمرويات السيرة النبوية وأخبارها وتناولت جهود ثلاثة من أبرز العلماء الذين اهتموا بهذه المرويات وهم: عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ) وعاصم بن عمر بن قتادة (ت حوالي ١٢٠هـ)، ومحمد بن مسلم ابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ)، ويُعد هؤلاء أهم العلماء الذين مهدوا لتدوين السيرة النبوية، وقد عُرفوا بجهدهم المتميز في ذلك، وقد أخذ عنهم من جاء بعدهم مروياتهم الشفوية، وما وُجد من مدوناتهم.

وأما المبحث الثاني: فقد تناول جهود العلماء الذين دَوَّنوا السيرة النبوية فعلاً، واستقرت بشكلها النهائي على أيديهم، وأبرزهم ثلاثة، الأول: محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت ١٥١هـ)، الذي يُعد رائد التدوين والكتابة لسيرة رسول الله (ﷺ) بكتابه المبتدأ والمغازي، وتميزت جهوده بالدقة والمحافظة على الإسناد والشمولية.

الثاني: محمد بن عمر بن واقد المعروف بالواقدي (ت ٢٠٧هـ)، والذي أمضى عقوداً من الزمان في المدينة المنورة يجمع المعلومات عن السيرة النبوية ويدونها، إلى أن صنف كتابه المشهور بـ(المغازي)، فصل فيه كثيراً من أخبار المرحلة المدنية من السيرة النبوية، وقد تميزت كتابته بالتوثيق والتثبت.

الثالث: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت ٢١٨هـ)، وهو وإن جاوزت وفاته القرن الثاني بقليل إلا أن معظم حياته وتدوينه كان في القرن الثاني، فضلاً عن اعتماد تدوينه بشكل أساس على ما جمعه أستاذه ابن إسحاق، إلا أن فضله في كتابة السيرة النبوية هو جمع وتهذيب سيرة ابن إسحاق.

أما الخاتمة فتضمنت بعض استنتاجات البحث.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

جهود العلماء الذين مهدوا لتدوين السيرة النبوية بمروياتهم

كان الجيل الأول من أعلام هذه الأمة يهتمون بأخبار السيرة النبوية ويتناقلونها شفاهاً، وقد بلغ من حرصهم على ذلك أنهم كانوا يعلموها أولادهم، حتى جعلوها قرينة لتعليم القرآن الكريم من حيث الأهمية، يقول زين العابدين علي بن الحسين بن علي (سلام الله ورضوانه عليهم): " كنا نُعلِّم مغازي النبي عليه الصلاة والسلام وسراياه كما نُعلِّم السورة من القرآن " (٢). وعن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) قال: " كان أبي يُعلِّمنا مغازي النبي (ﷺ) ويُعيدُها علينا، ويقول: يا بُنَيَّ، هذه مآثر آبائكم فلا تُضيّعوا ذكرها " (٣).

لذلك برز أعلام من الصحابة - في وقت مبكر - اهتموا برواية السيرة النبوية، بل وكتابة (بعضها) أحياناً، وذلك لأنهم كانوا "على علمٍ دقيقٍ وواسعٍ (بها) لأنهم عاشوا أحداثها وشاركوا فيها، وكانت محبتهم للرسول (ﷺ)، وتعلقهم به، ورغبتهم في اتباعه، وأخذهم بسنته في الأحكام، سبباً في الاهتمام بأخبار (السيرة) ومذاكرتهم وحفظهم لها، فهي التطبيق العملي لتعاليم الإسلام. وممن اشتهر من الصحابة باهتمامه الكبير بموضوع السيرة: عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص والبراء بن عازب (رضي الله عنهم) (٤). وكثير من التابعين ساروا على نهجهم في الاهتمام برواية السيرة وتدوينها، وكان معظمهم ممن اشتهر برواية الحديث النبوي الشريف، وهذا ميزة لمرويات ومدونات السيرة النبوية العطرة، " فقد حفظ الله تعالى سيرة نبيه (ﷺ) من الضياع والتحريف والمبالغة والتهويل بأن هياً لها جهازة المحدثين ليعنوا بها ويدونوا أصولها الأولى...، وهذه ميزة لمصادر السيرة لم تتوافر لغيرها من كتب التاريخ والأخبار " (٥). ونحن لا نستطيع أن نترجم لكل الرواة والمدونين للسيرة النبوية في بحثٍ كهذا، ولكننا سنرتب في هذا المبحث لنماذج مختارة من الطبقة الأولى ممن غلب عليهم رواية السيرة النبوية في محاور ثلاثة، وعلى النحو الآتي:

□

أولاً: - عروة بن الزبير بن العوام (ت: ٩٤هـ)^(٦):

هو: أبو عبدالله عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ بْنِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ الْقُرَشِيِّ. وأمّه أسماء ابنة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)^(٧). وُلِدَ عروة بالمدينة المنورة ونشأ بها حتى بلغ مكانة عالية في حفظ ورواية حديث رسول الله (ﷺ)، وفي الفقه صار في عداد الفقهاء السبعة، ومنهم من جعله في عداد الفقهاء الأربعة البارزين في المدينة المنورة، روى العلم عن أبيه الزبير وأخيه عبد الله وأمّه أسماء بنت أبي بكر وخالته عائشة وابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وزيد بن ثابت والمغيرة بن شعبة وأسامة بن زيد وأبي أيوب الأنصاري وأبي حميد الساعدي وعبد الله بن الأرقم والحسين بن علي وعبد الله بن جعفر وحكيم بن حزام وقيس بن سعد بن عبادة وعثمان بن طلحة وعبد الرحمن بن عبد القارئ ويحيى بن عبد الرحمن بن حاطب... وغيرهم^(٨). فالقائمة تدل على أنه روى عن عدد من أعلام الصحابة (رضي الله عنهم). وروى عنه: بنوه يحيى وعثمان وهشام ومحمد والزهري وصفوان بن سليم وأبو سلمة بن عبد الرحمن وعلي بن زيد بن جدعان وسليمان بن يسار^(٩). وغيرهم.

وكان عروة بن الزبير (رحمه الله) يُوصف بكثرة علمه حتى قال عنه ابن شهاب الزهري: "عُرْوَةُ بَحْرٌ لَا يَنْزِفُ"^(١٠). وعن ولده هشام بن عروة قال: "والله، ما تعلمنا منه جزءاً من ألفي جزءٍ من أحاديثه"^(١١). روى عنه الزهري ويزيد بن رومان وهشام وعثمان ويحيى ومحمد وعبد الله بنو عروة بن الزبير وغيرهم^(١٢).

ومع كونه من أعلام الحديث والفقهاء فهو من الرواد الذين لهم روايات متقدمة في السيرة النبوية، وهذه المرويات وردت إلينا في تاريخ المغازي^(١٣)، وأطول نص مقتبس ورد عن عروة (رحمه الله) يتعلق بالسيرة النبوية حديث الهجرة إلى المدينة الذي أورده الإمام البخاري في صحيحه في ثلاث صفحات^(١٤)، وفي بعض النسخ أكثر من ذلك.

فضلاً عن مقتبسات أخرى تشمل جوانب مختلفة من حياة الرسول (ﷺ) مثل: "بدأ الوحي، وبعض الغزوات، وشؤون الرسول الخاصة، وبعض الأخبار المتعلقة بالصدر الأول من الإسلام، وأحوال المسلمين الأولى"^(١٥). ويلاحظ أن عدداً من هذه المرويات كان جواباً على أسئلة وردت عليه من الخليفة عبد الملك بن مروان، كما هو الحال عن خبر هجرة المسلمين إلى الحبشة بأمر الرسول (ﷺ)^(١٦)، أو عن خبر معركة بدر

الذي ورد عند الطبري في أربع صفحات وبداه كالاتي: " حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ عُرْوَةَ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ فِي أَبِي سُفْيَانَ ومخرجه، تَسْأَلُنِي كَيْفَ كَانَ شَأْنُهُ؟ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ أَقْبَلَ مِنَ الشَّامِ فِي قَرِيبٍ مِنْ سَبْعِينَ رَاكِبًا مِنْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا، كَانُوا تُجَارًا بِالشَّامِ، فَأَقْبَلُوا جَمِيعًا مَعَهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَتِجَارَتُهُمْ، فَذَكَّرُوا لِرَسُولِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ..." (١٧).

وبعض هذه المرويات كان جواباً على أسئلة وردت إليه من آخرين، مثل جوابه لابن أبي هنيذة (١٨) صاحب الوليد بن عبد الملك (٨٦-٩٦هـ) عن المهاجرات إلى المدينة بعد هدنة الحديبية، نورد هذه المروية بنصها: " قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي الرَّهْرِيُّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْتُبُ كِتَابًا إِلَى ابْنِ أَبِي هَنِيذَةَ، صَاحِبِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ... } { الممتحنة: ١٠، قَالَ: فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (ﷺ) كَانَ صَالِحَ قُرَيْشًا يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ عَلَى أَنْ يُرَدَّ عَلَيْهِمْ مَنْ جَاءَ بِغَيْرِ إِذْنٍ وَلِيِّهِ، فَلَمَّا هَاجَرَ النِّسَاءُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَإِلَى الْإِسْلَامِ، أَبَى اللَّهُ أَنْ يُرَدَّنَّ إِلَى الْمُشْرِكِينَ إِذَا هُنَّ أُمْتُحَنَ بِمِحْنَةِ الْإِسْلَامِ، فَعَرَفُوا أَنَّهُنَّ إِنَّمَا جِئْنَ رَغْبَةً فِي الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَ بِرَدِّ صَدَقَاتِهِنَّ إِلَيْهِمْ إِنْ اخْتَبَسْنَ عَنْهُمْ، إِنْ هُمْ رَدُّوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ صَدَاقَ مَنْ حُبِسُوا عَنْهُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ، ذَلِكَمُ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. فَأَمْسَكَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) النِّسَاءَ وَرَدَّ الرِّجَالَ. " (١٩).

وكان عروة يسند مروياته في السيرة إلى كبار الصحابة أمثال: عبد الله بن عباس، وأم المؤمنين عائشة (رضي الله عنهما) (٢٠)، وأحياناً يرويها بدون سند لقربه من الحدث (٢١)، فضلاً عن توسعه في رواية أخبار الخلفاء الراشدين (ﷺ) إلى جانب السيرة النبوية (٢٢).

ثانياً: - عاصم بن عمر بن قتادة (ت حوالي: ١٢٠هـ) (٢٣):

هو عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ زَيْدٍ..ابن الْخَزَرَجِ مِنَ الْأَنْصَارِ. وَأُمُّهُ أُمُّ الْحَارِثِ بِنْتُ سِنَانِ بْنِ عَمْرِو.. من قُضَاعَةَ وَيَكْنَى عَاصِمُ أَبَا عُمَرَ (٢٤).

نشأ وتربى في المدينة المنورة، وأخذ من مشاهير علمائها من الصحابة مثل: جابر بن عبد الله، ومحمود بن لبيد، وأنس بن مالك، وجدته رميثة (لها صحبة) ^(٢٥)، كما روى عن بعض التابعين مثل، الحسن بن محمد ابن الحنفية، وعلي بن الحسين، وروى عن عدد من مشاهير العلماء منهم: زيد بن أسلم، ومحمد بن إسحاق، وأبو الأسود، ويعقوب بن أبي سلمة، وغيرهم ^(٢٦).

وفد عاصم على الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ)، فطلب منه الخليفة أن يحدث في مسجد دمشق ففعل، وكان يحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة ^(٢٧)، ثم عاد إلى المدينة وبقي يحدث بها مدة تقرب العشرين عاماً ^(٢٨).

كان عاصم بن عمر (رحمه الله) موضع ثقة العلماء في مروياته قال عنه ابن سعد: "كان ثقة كثير الحديث عالماً" ^(٢٩)، وصفه من ترجم للعلماء المشاهير بأنه: "ثقة مشهور" ^(٣٠).

وأكثر من روى عنه أخبار السيرة النبوية محمد بن إسحاق المطلبي (ت ١٥١هـ)، فمن تلك المرويات في العهد المكي: خبر عن إنذار يهود بـرسول الله محمد ^(ﷺ)، وقصة إسلام سلمان ^(رضي الله عنه)، وخبر عن عرض النبي ^(ﷺ) نفسه على العرب في المواسم، وقصة إسلام سويد بن الصامت ^(رضي الله عنه)، وإسلام الأنصار في العقبة الأولى، ومروية عن بيعة العقبة الثانية، وكلام العباس بن عبد المطلب ^(رضي الله عنه) فيها وغير ذلك ^(٣١). وعلى سبيل المثال ننقل ما أورده ابن إسحاق من رواية عاصم بن عمر عن خبر عن عرض النبي ^(ﷺ) نفسه على العرب في المواسم بما نصه: "... قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ أَشْيَاخٍ مِنْ قَوْمِهِ، قَالُوا: لَمَّا لَقِيَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ^(ﷺ)، قَالَ لَهُمْ: مَنْ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: نَفَرٌ مِنَ الْخَزَرَجِ، قَالَ: أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: أَفَلَا تَجْلِسُونَ أَكُلِمَّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. فَجَلَسُوا مَعَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ..." ^(٣٢).

ونقل عنه ابن إسحاق أيضاً مرويات أخرى تتعلق بالعهد المدني من السيرة النبوية مثل: خبر عن نقابة النبي ^(ﷺ) لبني النجار، وأخبار تتعلق بأمر المنافقين في المدينة، ومرويات تتعلق بمعركة بدر الكبرى، وخبر عن نقض بني قينقاع للعهد مع

الرسول (ﷺ)، وأخبار تتعلق بغزوة أحد مع قائمة بشهداء المسلمين فيها، ومقتل خبيب بن عدي (رضي الله عنه)، وأخبار عن غزوة الخندق، وغزوة بني قريظة، وغزوة بني لحيان، ومرويات عن غزوة حنين، ومعركة الطائف، وعن غزوة تبوك، وغير ذلك (٣٣). فعلى سبيل المثال، نذكر مروية عاصم بن عمر عن غزوة حنين: " قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جَابِرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: لَمَّا اسْتَقْبَلْنَا وَادِي حُنَيْنٍ انْحَدَرْنَا فِي وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ تِهَامَةَ..، قَالَ: وَكَانَ الْقَوْمُ قَدْ سَبَقُونَا إِلَى الْوَادِي، فَكَمْثُوا لَنَا فِي شِعَابِهِ وَمَصَابِقِهِ... وَقَدْ أَجْمَعُوا وَتَهَيَّأُوا وَأَعَدُّوا، فَوَاللَّهِ مَا رَاعَنَا وَنَحْنُ مُنْحَطُّونَ إِلَّا الْكَتَائِبُ قَدْ شَدُّوا عَلَيْنَا شِدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَانْشَمَرَ النَّاسُ رَاجِعِينَ، لَا يُلَوِّي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ. وَانْحَارَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) ذَاتَ الْيَمِينِ، ثُمَّ قَالَ: أَيَنْ أَيُّهَا النَّاسُ؟ هَلُمُّوا إِلَيَّ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ. قَالَ: فَلَا شَيْءَ، حَمَلَتِ الْإِبِلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَانْطَلَقَ النَّاسُ... " (٣٤).

ولم يقتصر نقل مرويات السيرة النبوية عن عاصم بن عمر على ابن إسحاق، بل نقل عنه الواقدي (ت ٢٠٧هـ) الكثير من الأخبار المتعلقة بالمغازي النبوية (٣٥).
ثالثاً: - ابن شهاب الزهري (ت: ١٢٤هـ) (٣٦):

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة القرشي المدني، يكنى أبا بكر (٣٧)، وُلِدَ سنة (٥٠هـ) ونشأ بالمدينة وطلب بها العلم، إذ روى عن أنس بن مالك وسهل بن سعد وأبي الطفيل والسائب ابن يزيد وعبد الله بن ثعلبة ومحمود بن الربيع وعبد الرحمن بن أزهر وعن: سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبد الله بن عمر وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وخارجة بن زيد بن ثابت وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وإبراهيم وأبي سلمة وحמיד بن عبد الرحمن بن عوف وعلي بن الحسين وعبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية وكثير بن العباس بن عبد المطلب وغيرهم. وروى عنه: عراك بن مالك وأخوه عبد الله بن مسلم وبكير بن الأشج ومنصور بن المعتمر وعمرو ابن شعيب ويحيى بن سعيد الانصاري وصالح بن كيسان وسليمان بن موسى ومالك بن أنس وسفيان بن عيينة ومعمر بن راشد والاوزاعي والزيدي.. وغيرهم كثير (٣٨).

كان يوصف بـ (عالم الحجاز والشام) لأنه تردد على الشام كثيراً، اشتهر بالحديث والفقه، والسيرة النبوية، والأنساب.. " وكان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيهاً جامعاً " (٣٩).

يُعد من الأوائل القلائل الذين خدموا السيرة النبوية فأولاهها عناية كبيرة، ولاسيما ما يتعلق بالمغازي النبوية (المرحلة المدنية)، التي ذكر السخاوي^(٤٠) أنه رواها عن عروة بن الزبير وغيره.

وتعد مرويات ابن شهاب الزهري أول إطار متكامل لأحداث السيرة النبوية^(٤١)، فقد راعى فيها التسلسل الزمني لحوادث السيرة من ولادة الرسول (ﷺ) إلى وفاته، فعلى سبيل المثال وردت مروياته عن العهد المكي كآلاتي: رواية تتعلق بحمل آمنة بنت وهب بالرسول (ﷺ)، ووفاة والده عبد الله بن عبد المطلب، وأخرى عن نسب النبي (ﷺ) وروايات عن حلف الفضول، وبناء الكعبة، وزواج الرسول عليه الصلاة والسلام من خديجة، ونزول الوحي وغير ذلك^(٤٢). نذكر من ذلك على سبيل المثال ما أورده الطبري من رواية الزهري عن نزول الوحي: "عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: كَانَ أَوَّلُ مَا ابْتَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ، كَانَتْ تَجِيءُ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، فَكَانَ بَغَارَ بَحْرَاءِ يَتَخَنَّنُ فِيهِ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى أَهْلِهِ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى فَجَأَهُ الْحَقُّ..."^(٤٣).

وثمة مرويات عديدة للزهري تتعلق بمرحلة الدعوة الإسلامية في العهد المكي، مثل: أول من أسلم، ومعاملة قريش للرسول (ﷺ) ومن معه من المسلمين، ومحاولة الرسول (ﷺ) نشر الدعوة بين القبائل، والهجرة إلى الحبشة، وقصة الإسراء والمعراج، والمقاطعة، وبيعتي العقبة، وبداية دخول الإسلام في المدينة^(٤٤).

ثم تأتي المرويات المتعلقة بالعهد المدني بدءاً بحديث الهجرة، وبناء المسجد، وحالة المهاجرين في المدينة، وأكثر تركيز المرويات هنا على المغازي والسرايا.. بدءاً من سرية عبد الله بن جحش، وغزوة بدر بتفاصيلها ثم بقية المغازي واحدةً واحدةً.. إلى أن ينتهي بمروياته عن حجة الوداع، ثم مرض النبي (ﷺ) ووفاته ودفنه^(٤٥).

نختار من تلك المرويات ما يتعلق بإسلام وفد كندة: " قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، فِي وَفْدِ كِنْدَةَ، فَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ بْنُ شَهَابٍ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) فِي ثَمَانِينَ رَاكِبًا مِنْ كِنْدَةَ، فَدَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) مَسْجِدَهُ.. " (٤٦).

إذن مرويات الزهري غطت السيرة النبوية بكاملها بعضها دُونَ في حياته، ولكن الأكثر كتب عنه في مرويات أخرى رويت عنه، ويلاحظ على جهود الزهري في مروياته أنه كان يتحقق ويدقق الرواية فضلاً على اعتماده على الإسناد بشقيه الفردي والجمعي (٤٧). وكان يضمن مروياته آيات قرآنية، وأبيات من الشعر بحسب ما ورد في الواقعة، من ذلك مثلاً ما أورده من شعر في قصة مسير خالد بن الوليد إلى بني جذيمة بن مالك بعد فتح مكة سنة ٨ هجرية (٤٨).

المبحث الثاني

جهود علماء السيرة النبوية المدونين

لقد قيّض الله تعالى لمفردات حياة النبي محمد (ﷺ) والحوادث في عهده أن تُكتب وتُحفظ، فبعد تناقلها شفاهاً في بداية الأمر تم تدوينها وبعده قريب، وإن كانت المدونات الأولى لم تصل إلينا، ولكنها وصلت عن طرق أخرى، وفي هذا الأمر يرجع الفضل لجهود ثلاثة من علماء القرن الثاني الهجري، اكتملت على أيديهم تدوين السيرة نوردهم كالآتي:-

أولاً:- محمد بن إسحاق (ت: ١٥١هـ) (٤٩):

هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، لا يوجد لدينا دليل قاطع على تاريخ ولادته إلا أن الراجح أنه بحدود سنة ٨٥ هـ، كان جده (يسار) من أهل عين التمر في العراق ولما فتح المسلمون هذه المدينة أخذ أسيراً فساقته الأقدار ليصبح مولى لقيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف، لذا فقد نسب ابن إسحاق إلى هذه الأسرة (بالولاء) فقليل المطلبي (٥٠). أدرك محمد بن إسحاق عدداً كثيراً من التابعين وأخذ عنهم، منهم: أستاذة ابن شهاب الزهري، وعبد الله بن أبي بكر ابن حزم، والقاسم بن محمد، وأبان بن عثمان، ومحمد بن علي بن الحسين، وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن بن هرمز،

ونافع مولى ابن عمر، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وهشام بن عروة، وعاصم بن عمر بن قتادة.. وغيرهم كثير. وروى عنه جماعة من أهل العلم منهم: يحيى بن سعيد الأنصاري، ويزيد بن أبي حبيب وهما من شيوخه، وجريير بن حازم، وإبراهيم بن سعد، وشعبة، والسفيانان، وزباد البكائي، وسلمة بن الفضل، ويونس بن بكير، والثلاثة الآخرين هم أشهر رواة السيرة عنه ^(٥١).

كان لمحمد بن إسحاق اهتمام كبير بالسيرة النبوية فضلاً عن اهتمامه بالحديث، فقد ذكر ابن حجر ^(٥٢) أن إبراهيم بن سعد عنده من أحاديث محمد بن إسحاق سبعة عشر ألفاً. وقد شهد له العلماء بالأولوية في الحديث، يقول علي بن المديني (رحمه الله) كان مدار حديث رسول الله (ﷺ) على ستة (فذكرهم) ثم قال: "فصار علم هؤلاء الستة عند اثني عشر أحدهم ابن إسحاق" ^(٥٣). وفي رواية ابن أبي حاتم ^(٥٤) "صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف ممن صنف، فمن أهل الحجاز مالك وابن جريح وسفيان بن عيينة ومحمد بن إسحاق..". غير أن اهتمامه بالسيرة والمغازي كان أهم ما تميز به عن غيره. فقد أثنى عليه العلماء في ذلك، فقال عنه الإمام الشافعي (رحمه الله) "من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق" ^(٥٥). ولما سئل ابن شهاب الزهري عن مغازيه قال: "هذا أعلم الناس بها يعني ابن إسحاق" ^(٥٦).

وقد بذل ابن إسحاق جهداً في تدوين المغازي والسيرة النبوية كاملة حتى أطلق عليها العلماء مسميات عدة، فابن سعد سمى كتاب ابن إسحاق (كتاب المغازي) ^(٥٧)، بينما سماه ابن النديم: "كتاب السيرة والمبتدأ والمغازي" ^(٥٨)، وعند المقدسي: (كتاب المبتدأ والمغازي) ^(٥٩)، والراجح أنه ألف كتابين منفصلين أحدهما: المبتدأ، والثاني: المغازي. وهذا التقسيم أسلم، لأن كتابه الأول الخاص بالمبتدأ يكاد يكون مستقلاً عن الثاني الذي ركّز على دراسة السيرة النبوية - حياة النبي (ﷺ) - قبل الهجرة وبعدها ^(٦٠).

ومن نظرة متأنية لما دونه ابن إسحاق في كتابة السيرة النبوية يتبين الآتي:

١- في كتاب المبتدأ: الذي بدأ به منذ الخليقة حتى نزول الوحي على النبي محمد

(ﷺ) يلاحظ أنه:

أ- مع رجوعه إلى آيات القرآن الكريم، فانه يأخذ مرويات مقتبسة عن ابن عباس ووهب بن منبه، فضلاً عن مصادر أهل الكتاب ^(٦١).

ب- غلبة الأسلوب القصصي التاريخي، مثل: قصص الأنبياء، وأصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الفيل. وقد حفظ الطبري العديد منها في كتابيه: التفسير، والتاريخ ^(٦٢). ومن نماذج ذلك نختار خبر اختيار موضع الكعبة: "حَدَّثَنَا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: حَدَّثَنَا عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد وغيره من أهل العلم أن الله عز وجل لما بوأ لإبراهيم مكان البيت ومعالم الحرم، فخرج وخرج معه جبرئيل...، حتى قدم به مكة وهي إذ ذاك عصاه سلم وسمر، وبها أناس يقال لهم العمالق، خارج مكة وما حولها، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدره، فقال إبراهيم لجبرئيل: أها هنا أمرت أن أضعهما؟ قال: نعم..." ^(٦٣).

ت- إن هذا الكتاب يغطي فترة طويلة جداً تبدأ من آدم (عليه السلام) -قصة الخليقة- إلى قريب من البعثة النبوية، وشملت الكلام على ديانة أهل مكة، وأحوالها، وأجداد الرسول (ﷺ) ^(٦٤). نختار من ذلك روايته عن حفر بئر زمزم كما وردت في سيرته " حدثنا يونس (بن بكير)، عن محمد بن إسحاق، قال: بينا عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف نائماً في الحجر، عند الكعبة، أتى، فأمر بحفر زمزم. ويقال إنها لم تنزل دفيناً بعد ولاية بني إسماعيل الأكبر وجبرهم، حتى أمر بها عبد المطلب، فخرج عبد المطلب إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إني قد أمرت أن أحفر زمزم... " ^(٦٥).

ث- قلة الإسناد في هذا الجزء من كتابه إن لم يكن نادراً. فمثال ذلك ما أورده من حديث تبع الحميري ^(٦٦) بالنص الآتي: " ثم إن تبعاً أقبل من مسيره الذي كان سار يجول الأرض فيه، حتى نزل على المدينة، فنزل بوادي قباء، فحفر فيها

بئراً، فهي اليوم تدعى بئر الملك،... ثم سار حتى دخل مكة، فطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، فأري في المنام أن يكسو البيت فكساه... " (٦٧).

ج- كتاب المبتدأ لم يصل إلينا مباشرة من ابن إسحاق، إنما وردت أجزاء منه عند الطبري في كتابيه (التفسير، والتاريخ)، وأيضاً ورد جزء منه عند المقدسي في (البدء والتاريخ)، وجزء منه عند الأزرق في (أخبار مكة) (٦٨). فمن هذا الأخير نختار النص الآتي: "...أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: رَعِمَ لَيْثُ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ أَنَّهُمْ وَجَدُوا حَجَرًا فِي الْكُعْبَةِ قَبْلَ مَبْعَثِ النَّبِيِّ (ﷺ) بِأَرْبَعِينَ حِجَّةً، وَذَلِكَ عَامَ الْفِيلِ إِنْ كَانَ مَا ذَكَرَ لِي حَقًّا: «مَنْ يَزْرَعُ حَيْثُ يَحْصُدُ غِنْبَةً، وَمَنْ يَزْرَعُ شَرًّا يَحْصُدُ نَدَامَةً، تَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ وَتُجْزَوْنَ الْحَسَنَاتِ، أَجَلٌ، كَمَا لَا يُجْتَنَى مِنَ الشُّوْكِ الْعِنَبُ " (٦٩).

٢- أما كتاب المغازي ؛ والذي تضمن أحداث عهد النبوة في المرحلتين المكيّة والمدنيّة، فأهم ما يلاحظ عليه تميزه بوجود " الإسناد "، وبخاصة فيما يتعلق بالغزوات النبوية، فمن ذلك نختار سنده في خبر مسير المسلمين في الحديبية عندما قال رسول الله (ﷺ) مَنْ رَجُلٌ يَخْرُجُ بِنَا عَلَى طَرِيقٍ غَيْرِ طَرِيقِهِمُ الَّتِي هُمْ بِهَا ؟ وكالآتي "...حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَسْلَمَ قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَسَلِّكْ بِهِمْ عَلَى طَرِيقٍ وَعِرٍ حَزَنٍ بَيْنَ شِعَابٍ، فَلَمَّا أَنْ خَرَجُوا مِنْهُ- وَقَدْ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَأَفْضُوا إِلَى أَرْضٍ سَهْلَةٍ عِنْدَ مُنْقَطَعِ الْوَادِي؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) لِلنَّاسِ: قُولُوا: نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَنُتُوبُ إِلَيْهِ " (٧٠). حتى أنه أورد أربعة طرق من السند عند حديثه عن غزوة بدر الكبرى. فيقول ما نصه: " حدثني مسلم الزهري وعاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر، ويزيد بن رومان، وكلهم عن عروة بن الزبير، عن ابن عباس... كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم " (٧١).

ثانياً: - محمد بن عمر الواقدي (ت: ٢٠٧هـ) (٧٢):

أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد المدني المولود بالمدينة سنة ١٣٠هـ (٧٣). نشأ الواقدي في المدينة المنورة ودرس بها على مشاهير العلماء ومنهم: مالك بن انس، ومحمد بن العجلان، وابن أبي ذئب، وابن جُرَيْج، وأُسامة بن زيد بن أسلم، وابن أبي سبرة، وفليح بن سليمان، وعبد الحميد بن جعفر، وسفيان الثوري، وأفلح بن حُميد وغيرهم.. وروى عنه: محمد بن سعد المعروف بـ (كاتب الواقدي) صاحب الطبقات، وابن أبي شيبه، والحسن بن عثمان، وعبد الله بن الحسن الهاشمي، وأحمد بن عُبَيْد، ومحمد بن يحيى الازدي، والصاغانى... وغيرهم (٧٤).

كان الواقدي متبحراً بعلوم عدة منها: الحديث النبوي، والفقه، والسيرة النبوية، والتراجم والأنساب.. وغيرها. وبلغ منزلة رفيعة في المدينة المنورة، ووجه اهتمامه منذ نشأته الأولى، إلى دراسة المغازي، حتى انه لما بلغ بها شأناً أخذ يدرسها في مسجد رسول الله (ﷺ)، وذكر الخطيب البغدادي (٧٥) بسنده عن إبراهيم بن إسحاق قال: سمعت السمتي يَقُولُ: رَأَيْنَا الواقدي يوماً جالساً إلى أسطوانة في مسجد المدينة وهو يُدْرِسُ. فَقُلْنَا له: أي شيء تُدْرِسُ؟ فَقَالَ: جزء من المغازي ". ثم انه وثق معلوماته بأشياء عملية إلى جانب التدريس النظري فقد كان يثبت المواقع والمشاهد ويعلم عليها، إذ يقول في ذلك: " ما أَدْرَكْتُ رجلاً من أبناء الصحابة، وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سَأَلْتُهُ: هل سمعتَ أحداً من أهلك يُخْبِرُكَ عن مشهده وأين قُتِلَ؟ فإذا أَعْلَمَنِي مَضَيْتُ إلى الموضع فَأُغَايِنُهُ..." (٧٦).

وقد اصطحبه الخليفة هارون الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ) عندما حج عام ١٧٠هـ ليدلّه على المواضع والمشاهد، فكان الخليفة ينزل في تلك المواضع ويصلي ويجتهد في الدعاء ويبكي... وقد أكرمه إثر ذلك، وأمر له بصلة (٧٧).

والكتاب الذي اشتهر به الواقدي في السيرة النبوية هو كتاب " المغازي " (٧٨)، ركّز الواقدي في كتابه هذا على ذكر غزوات الرسول (ﷺ)، فهو يمثل المرحلة المدنية من السيرة النبوية. ويلاحظ على الكتاب ما يأتي:

١- ترتيب تفاصيل كل غزوة وحادثة من السيرة، بدءاً من ذكر عنوانها وتاريخها، والسبب الموجب لها، والتعبئة والخروج، وطبيعة المسير، ووصف القتال، وحيثيات المعركة إن وجدت، وما تمخض عن الحادثة أو الغزوة من نتائج، ورجوع الطرفين إلى مكانهما (٧٩).

٢- الاهتمام بسند الحادثة المروية من السيرة، ويذكر الرواة الذين حدثوه عن الغزوة و تفاصيلها، فمن ذلك ما ذكره عن استعداد النبي (ﷺ) في غزوة بدر بالنص الآتي: " حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ حَزْمٍ، قَالَ: صَفَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْحَابَهُ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ قُرَيْشٌ... " (٨٠)، كما انه استخدم أسلوب الإسناد الجمعي في كثير من السرايا والغزوات (٨١).

٣- في بعض الغزوات البارزة ذكر قوائم مهمة لمن شارك وأستشهد فيها (٨٢)، فمن أمثلة ذلك مرويته عن شهداء أحد بالنص الآتي: " ذَكَرُ مَنْ قُتِلَ بِأُحُدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ... حَدَّثَنَا الْوَاقِدِيُّ... عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، قَالَ: قُتِلَ مِنَ الْأَنْصَارِ بِأُحُدٍ سَبْعُونَ... أَرْبَعَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَسَائِرُهُمْ مِنَ الْأَنْصَارِ... مِنْ بَنِي هَاشِمٍ حَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ... وَمِنْ بَنِي مَخْرُومٍ: شَمَّاسُ بْنُ عُمَانَ بْنِ الشَّرِيدِ... وَمِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ: مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ... وَمِنْ بَنِي سَعْدٍ: عَبْدُ اللَّهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ... " (٨٣).

٤- ضَمَّنَ أحاديثه وتدوينه الكثير من الآيات القرآنية التي نزلت في تلك الغزوة. مثال ذلك غزوة أحد، وغزوة الحديبية، ونذكر هنا روايته الآتية عما نزل بالحديبية من القرآن الكريم " وَكَانَ مِمَّا نَزَلَ فِي الْحُدَيْبِيَّةِ: " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا " الفتح: ١، قَالَ: قَضَيْنَا لَكَ قَضَاءً مُبِينًا، فَالْفَتْحُ قُرَيْشٌ وَمَوَادِعُهُمْ، فَهُوَ أَعْظَمُ الْفَتْحِ. " لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ " الفتح: ٢، قَالَ: مَا كَانَ قَبْلَ النَّبَوَّةِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ: مَا كَانَ قَبْلَ الْمَوْتِ إِلَى أَنْ تُؤْفَى (ﷺ). " وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ " الفتح: ٢، بِصُلْحِ قُرَيْشٍ، " وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا " الفتح: ٢، قَالَ: الْحَقُّ، " وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا " الفتح: ٣، حَتَّى تَظْهَرَ فَلَا

يَكُونُ شِرْكٌ. "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ" الفتح: ٤، قَالَ: الطَّمَأْنِينَةُ^(٨٤)، فالواقدي أورد الآيات وفسرها، وكذا في غزوة تبوك^(٨٥).. وغيرها.

٥- ذكر بعض الأشعار التي قيلت في تلك الغزوة^(٨٦)، فمن ذلك ما أورده من شعر مالك بن عوف سيد هوازن بعد أن أسلم، وكان منه قوله^(٨٧):

مَا إِنْ رَأَيْتَ وَلَا سَمِعْتَ بِمِثْلِهِ... فِي النَّاسِ كُلَّهُمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ...

أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى... ومتى تشأ يُخْبِرُكَ عَمَّا فِي غَدٍ

٦- كان يستخدم عبارات التثبث والتدقيق دائماً فيقول: "والثابت عندنا " و " المجتمع

عليه عندنا " أو " القول الأول اثبت عندنا "، وهذه طريقة مهمة في توثيق

المرويات والمعلومات^(٨٨).

٧- انفرد بذكر معلومات تتعلق بالسيرة لم يذكرها غيره من المؤرخين^(٨٩).

ثالثاً: - عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨هـ)^(٩٠):

هو عبد الملك بن هشام بن أيوب، أبو محمد الذهلي، السدوسي، الحميري، نزيل مصر، المتوفى (٢١٨هـ)^(٩١). تتلمذ على عددٍ من مشاهير العلماء وأخذ منهم، أشهرهم: زياد بن عبد الله البكائي (ت ١٨٣هـ)، وعبد الوارث بن سعيد، وأبو عبيدة وغيرهم. وروى عنه عبد الرحيم بن عبد الله البرقي، وأخوه أحمد البرقي، ومحمد بن الحسن القطان وغيرهم^(٩٢).

أما جهد ابن هشام في خدمة السيرة النبوية، فإنه دون هذه السيرة بشكلها النهائي، إذ وقف على سيرة ابن إسحاق وهذبها، قال ابن خلكان^(٩٣): " هو الذي جمع سيرة رسول الله (ﷺ) من المغازي والسير لابن إسحاق وهذبها.. وهي الموجودة بأيدي الناس المعروفة بسيرة ابن هشام ".

يبدأ ابن هشام كتاب السيرة النبوية بهذا العنوان: " ذِكْرُ سَرْدِ النَّسَبِ الزَّكِيِّ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إِلَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ... ثم تأتي عبارة "هَذَا كِتَابُ سِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ"، ثم يبدأ بذكر النسب وكالاتي: مُحَمَّدٌ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ

ابن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاسْمُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: شَيْبَةُ بْنُ هَاشِمٍ، وَاسْمُ هَاشِمٍ: عَمْرُو بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ، وَاسْمُ عَبْدِ مَنَافٍ: الْمُغِيرَةُ بْنُ قُصَيٍّ... " (٩٤).

وينتهي بالكتاب بذكر مرضِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ووفاته وجهازه ودفنه (٩٥)، وما قاله فيه حسان بن ثابت (رضي الله عنه) من الشعر منها قصيدته التي مطلعها: بِطَيْبَةِ رَسَمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدٌ... مُنِيرٌ وَقَدْ تَعَفَّى الرَّسُومُ وَتَهَمُّدٌ (٩٦). وتلك التي ختمها بقوله:

يَا أَفْضَلَ النَّاسِ إِلَيَّ كُنْتُ فِي نَهْرٍ... أَصْبَحْتُ مِنْهُ كَمِثْلِ الْمُفْرَدِ الصَّادِي.

وهذا آخر الكتاب (٩٧).

قال محققو سيرة ابن هشام: " وجد بآخر بعض النسخ ما نصه: وَهَذَا آخر الكتاب وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَصَلَاتُهُ وَسَلَامُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَصَحْبِهِ الْأَخْيَارِ الرَّاشِدِينَ " (٩٨).

لقد وضع ابن هشام بصمته على السيرة النبوية بجهد المميز قائلاً: " وأنا إن شاء الله مبتديء هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم... ومن إسماعيل إلى رسول الله (ﷺ)، وما يعرض من حديثهم... وتاركٌ بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله (ﷺ) فيه ذكر، ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له، ولا شاهداً عليه، وأشعاراً ذكرها ابن إسحاق لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته، ومستقصٍ إن شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه، بمبلغ الرواية له، والعلم به " (٩٩).

وقد أجمل الدكتور أكرم العمري (١٠٠) جهود ابن هشام في كتابة وتدوين السيرة النبوية بقوله: " سيرة ابن هشام هي تهذيب لسيرة ابن إسحاق، حيث حذف ابن هشام منها كثيراً من الإسرائيليات والأشعار المنتحلة وأضاف إليها معلومات في اللغة والأنساب، مما جعلها بعد التهذيب - تنال رضا جمهور العلماء فليس من مؤلف بعده إلا كان عيالاً عليه. والحق أن الصورة التي تعطيها مغازيه عن حياة الرسول (ﷺ) تقترب إلى حد كبير مما أوردته كتب الحديث الصحيحة مما يعطي سيرته توثيقاً كبيراً". فهو - إذن - هذب سيرة ابن إسحاق مرة بالزيادة، ومرة بالنقصان، حتى صارت لا تُعرف إلا به.

الخاتمة

- ١- تُعد السيرة النبوية واحدة من المصادر الأساسية التي للمعلومات المتعلقة بحياة رسول الله (ﷺ) إلى جانب القرآن الكريم، وكتب الحديث الشريف.
- ٢- إن تعلم السيرة النبوية وتعليمها يُسهم في فهم حقيقة الإسلام ومنهجه المتكامل.
- ٣- إن السيرة النبوية لقيت اهتماماً من لدن علماء المسلمين في وقت مبكر، إذ حرص الصحابة والتابعون الأوائل على رواية أحداثها، وبخاصة الذين عاشوا وتوفوا في القرن الأول الهجري. ومنهم عروة بن الزبير (ت ٩٤هـ)، وأبان بن عثمان (ت ٩٩هـ) وغيرهم.
- ٤- اتسعت دائرة جمع نصوص السيرة في القرن الثاني الهجري بخاصة، وبرز فيه الرواد الأوائل الذين اهتموا بالتدوين فضلاً عن الرواية، وبرز منهم: عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٥هـ)، وأبو بكر محمد بن عمرو بن حزم (ت ١٣٥هـ)، وابن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) الذي كان أكثرهم شهرة، ووضع حجر الأساس لمرويات السيرة النبوية بإطارها العام.
- ٥- ثم برز من بعدهم جيل أخذوا عن أعلام الجيل السابق ووسعوا دائرة روايتهم ودونوا السيرة النبوية، وعلى أيديهم أخذت شكلها المنهجي الثاني، وكان أشهرهم: محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ)، ومعمّر بن راشد (ت ١٥٣هـ)، وغيرهم.
- ٦- وفي العقود الأخيرة من القرن الثاني الهجري برز عدد من العلماء ممن استكملوا بعض ما فات على من سبقهم، أو توسعوا في جوانب من أحداث السيرة النبوية، وكان منهم أبو معشر السندي (ت ١٧٠هـ) ومحمد بن صالح بن دينار (ت ١٦٨هـ)، وأخيراً بلغ الذروة فيها محمد بن عمر الواقدي (ت ٢٠٧هـ).

٧- ثم وضع ابن هشام (ت ٢١٨هـ) بصمته الأخيرة على تدوين السيرة النبوية حيث وقف على تدوين من سبق فهذب، وعدّل، وحذف وأضاف حتى كملت السيرة بحلتها الأخيرة على يده، وهي التي بين أيدينا الآن.

والحمد لله رب العالمين

□

- (١) بحثي المُقَدَّم إلى المؤتمر العلمي الموسوم (العلوم الإنسانية وتحديات العصر) الذي أقامته كلية الآداب في الجامعة العراقية يومي الثلاثاء والأربعاء: ٢٧ - ٢٨ / آذار / ٢٠١٢م.
- (٢) الخطيب البغدادي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج٢، ص ١٩٥.
- (٣) ابن كثير، السيرة النبوية، ج٢، ص ٢٤٢.
- (٤) العمري، السيرة النبوية الصحيحة...، ج١، ص ٥٣.
- (٥) المرجع نفسه، ج١، ص ٦٥.
- (٦) من مصادر ترجمته: ابن سعد، (ط العلمية)، ج٥، ص ١٣٦ - ص ١٣٩. الشيرازي، طبقات الفقهاء، ص ٥٨ - ص ٥٩. ابن عساكر، تاريخ دمشق، (ط دار الفكر)، ج٤٠، ص ٢٣٧ - ص ٢٨٦. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص ٢٥٦ - ص ٢٥٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، (ط الرسالة)، ج٤، ص ٤٢١ - ص ٤٣٧. وغيرها.
- (٧) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ١٣٦.
- (٨) المصدر نفسه، ج٥، ص ١٣٦ - ص ١٣٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٠، ص ٢٣٧ - ص ٢٣٨.
- (٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٠، ص ٢٣٨.
- (١٠) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص ١٣٨. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٠، ص ٢٤١.
- (١١) البخاري، التاريخ الكبير، ج٧، ص ٣١.
- (١٢) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٦، ص ٣٩٥.
- (١٣) ينظر: الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٢١.
- (١٤) ينظر: البخاري، الجامع الصحيح، ج٥، ص ٥٨ - ص ٦٠، رقم الحديث: ٣٩٠٥ و ٣٩٠٦.
- (١٥) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص ٢١.
- (١٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، (ط دار التراث)، ج٢، ص ٣٢٨.
- (١٧) المصدر نفسه، ج٢، ص ٤٢١.
- (١٨) عند ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص ٩، أنه هبيرة. وعند ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٠، ص ٢١٩ أنه هنيذة، ولم أقف له على ترجمة، ويبدو أنه كان كاتباً عند الوليد بن عبد الملك.
- (١٩) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص ٣٢٦.
- (٢٠) ينظر: الطبري، تاريخ، ج٢، ص ٣٧ و: ج٢، ص ٤٢٧.
- (٢١) المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٥ و: ج٢، ص ٣٣٤.

- (٢٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٢٢٥ و: ج ٣، ص ٣٩١ و: ج ٤، ص ٦٤ وغيرها.
- (٢٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٣٣٦-٣٣٧. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٦، ص ٣٤٦.
- المزي، تهذيب الكمال: ج ١٣، ص ٥٢٨. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٢٤٠-٢٤١. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٥٣، وغيرها.
- (٢٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٣٣٦-٣٣٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٢٤٠.
- (٢٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٣٣٦. المزي، تهذيب الكمال، ج ١٣، ص ٥٢٨.
- (٢٦) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢٥، ص ٢٧٤. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٥٤ - ص ٥٥.
- (٢٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٣٣٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢٥، ص ٢٧٧.
- (٢٨) الذهبي، تراجم رجال روى محمد بن إسحاق عنهم، ص ٢٢.
- (٢٩) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٣٣٧. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٢٥، ص ٢٧٧.
- (٣٠) ابن حجر، تهذيب، ج ٥، ص ٥٤، الذهبي، تراجم رجال، ص ٢٢.
- (٣١) تسلسل هذه المرويات عند: ابن هشام، السيرة النبوية (على النحو الآتي): ج ١، ص ٢١١، ص ٢١٤، ص ٤٢٥، ص ٤٢٨، ص ٤٣٤، ص ٥٠٧، ص ٥٢٤، ص ٥٨٤، ص ٦٠٦، ص ٦٢٥، ص ٦٢٧.
- (٣٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٤٢٨.
- (٣٣) ينظر عن هذه المرويات تباعاً عند: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٥٠٧، ص ٥٢٤، ص ٥٨٤، ص ٦٠٦، ص ٦٢٥، ص ٦٢٧. و: ج ٢، ص ٤٧، ص ٦٠، ص ٦٧، ص ٨٢، ص ١٢٢، ص ٢١٤، ص ٢٢٣، ص ٢٢٧، ص ٢٤٠، ص ٢٨٣، ص ٢٩٢، ص ٤٤٢، ص ٤٩٨، ص ٥١٦.
- (٣٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٤٤٣.
- (٣٥) الواقدي، المغازي، ص ٤٩، ص ٥٥، ص ٥٩، ص ٧٥، ص ١٢٥، ص ١٥٨، ص ٢٥١، ص ٤٤٧، ص ٥١٥، ص ٧٣٣، ص ١٠٢٥، ص ١٠٢٩.
- (٣٦) من مصادر ترجمته: ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٣٤٨-٣٧٥. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج ٨، ص ٧١-٧٤. البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص ٦٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٥، ص ٢٩٤-٣٨٧. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ١٧٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٥، ص ٣٢٦، وغيرها.
- (٣٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٣٤٨. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٥، ص ٢٩٤.

- (٣٨) ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٨، ص٧١-ص٧٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٥، ص٢٩٤-ص٢٩٥.
- (٣٩) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥٥، ص٣٠٩. وينظر: ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٣٤٨-ص٣٤٩. البستي، مشاهير علماء الأمصار، ص٦٦. الذهبي، طبقات الحفاظ، ج١، ص١٥٨.
- (٤٠) الإعلان بالتوبيخ، ص٥٢٧.
- (٤١) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٩٣.
- (٤٢) ينظر لذلك: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٧٣، ص١٣٣، و: ج٣، ص١٣٤ - ص١٣٥، الطبري، تاريخ، ج٢، ص٢٨١، ص٢٣٩، ص٢٨١، ص٢٩٨.
- (٤٣) الطبري، تاريخ، ج٢، ص٢٩٨.
- (٤٤) ينظر لذلك: ابن هشام، السيرة، ج١، ص٤٢٤، ص٣٣٤، ص٣٩٦، ص٤٣٤. و: الطبري، تاريخ، ج٢، ص٣١٦، ص٣٤٨.
- (٤٥) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج١، ص٦١٢. ج٢، ص٢١٤، ص٢٩٧، ص٥٨٥، ص٦٠١.
- (٤٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٨٥.
- (٤٧) الدوري، نشأة علم التاريخ، ص٩٤.
- (٤٨) ينظر: الطبري، تاريخ، ج٣، ص٦٨ وما بعدها.
- (٤٩) من مصادر ترجمته: ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٤٥٠ وما بعدها. خليفة بن خياط، الطبقات، ص٢٧٠ و ص٣٢٦. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٧، ص١٩١ - ص١٩٤. ابن حبان، الثقات، ج٧، ص٣٨٠. الخليلي، الإرشاد، ج١، ص٢٨٨. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٧. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج٦، ص٢٤١٨. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٧٦. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج٧، ص٣٣. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٩. وغيرها.
- (٥٠) الخطيب، تاريخ بغداد، ج٢، ص٧. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٨ - ص٣٩.
- (٥١) ابن سعد، الطبقات، ج٥، ص٤٥٠. ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، ج٧، ص١٧١. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج٢، ص٧. ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٨ - ص٣٩.
- (٥٢) تهذيب التهذيب، ج٩، ص٤١.
- (٥٣) الخطيب، تاريخ بغداد، ج٢، ص٧.
- (٥٤) الجرح والتعديل، ج١، ص٣٤.
- (٥٥) الخطيب، تاريخ بغداد، ج٢، ص٧.

- (٥٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧.
- (٥٧) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٤٥٠.
- (٥٨) ابن النديم، الفهرست، ص ١٢١.
- (٥٩) المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٢، ص ٨٤.
- (٦٠) وقد طُبعت السيرة النبوية لابن إسحاق طبعتٍ عدّة منها: أ- طبعة معهد الدراسات والأبحاث - المغرب، تحقيق محمد حميد الله، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م. ب- طبعة دار الفكر، بيروت، تحقيق: سهيل زكار، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م. ج- طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م. وغيرها.
- (٦١) ينظر: هورفتس، المغازي الاولى، ص ٨٤. الحكيم، حسن عيسى، محمد بن إسحاق، مجلة آداب المستنصرية، العدد ١٤/ لسنة ١٩٨٦، ص ٢٩٠ - ص ٢٩١.
- (٦٢) ينظر لذلك: الطبري، تاريخ، ج ١، ص ١٤٠، ص ١٤٥، ص ١٤٨، ص ٢٥٤، ص ٣٠٩، ص ٣٢٢، ص ٣٦٦، ص ٣٨٥، ص ٤٣٣، ص ٤٤٣، ص ٤٦٤، ص ٥٣٦. ج ٢، ص ٣٢، ص ١٤٨، وغيرها.
- (٦٣) الطبري، تاريخ، ج ١، ص ٢٥٤.
- (٦٤) ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٧٦.
- (٦٥) ابن اسحاق، السير والمغازي، (ت. زكار)، ص ٢٣.
- (٦٦) هو أسعد تبن أبو كرب بن ملكي كرب بن قيس بن زيد بن عمرو ذي الأذعار، وتبع لقب للملك الأكبر بلغة أهل اليمن ككسرى بالفارسية وقيصر بالرومية والنجاشي بالحبشية، ملك دمشق.. وهو أول من كسا البيت، امتد ملكه ليشمل اليمن والشام. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ١١، ص ٣.
- (٦٧) ابن اسحاق، السير والمغازي، (ت. زكار)، ص ٥٢ - ص ٥٣.
- (٦٨) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٧٦، ص ٩١، ص ١١٠. المقدسي، البدء والتاريخ، ج ٢، ص ٨٣ - ص ٨٤. الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ٣٩، ص ٦٤، ص ٧٠، ص ٨٠، ص ١٢٤، ص ١٣٦، ص ١٩٥، ص ٢٤٩. و: ج ٢، ص ٤٤، ص ١٧٦، ص ٢١٢. وغيرها.
- (٦٩) الأزرقي، أخبار مكة، ج ١، ص ٨٠.
- (٧٠) الطبري، تاريخ، ج ٢، ص ٦٢٣.
- (٧١) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ٦٠٦.
- (٧٢) من مصادر ترجمته: ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٤٩٣. ابن قتيبة، المعارف، ص ٥١٨. ابن النديم، الفهرست، ص ١٢٧. الخطيب، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق،

- ج ٥٤، ص ٤٣٢-٤٧١. ياقوت الحموي، معجم الأديباء، ج ٦، ص ٢٥٩٥. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٥٠. المزي، تهذيب الكمال، ج ٢٦، ص ١٨٠-١٩٢. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٨، ص ١٥٨.
- (٧٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٤٩٩.
- (٧٤) ابن سيد الناس، عيون الأثر، ج ١، ص ٢١.
- (٧٥) تاريخ بغداد، ج ٣، ص ٢١٦. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج ٥٤، ص ٤٤٦.
- (٧٦) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٥.
- (٧٧) ينظر: ابن سعد، الطبقات، ج ٥، ص ٤٩٤.
- (٧٨) طُبِعَ هذا الكتاب طبعات عدّة منها: أ- طبعة كلكتا-الهند، بإشراف: فون كريمر، ١٢٧٣هـ / ١٨٥٥م. ب- طبعة عالم الكتب، بيروت، تحقيق مارسدن جونز، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م. ج- طبعة مؤسسة الأعلمي، بيروت، (تحقيق جونز) ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م. د- طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق محمد عبدالقادر عطا بلا. ت. وغيرها.
- (٧٩) الواقدي، المغازي، مقدمة المحقق (مارسدن جونز)، ص ٣١ - ص ٣٢.
- (٨٠) م. ن، ج ١، ص ٥٥.
- (٨١) م. ن، ج ١، ص ٢٠١.
- (٨٢) م. ن، ج ١، ص ١٥٢-١٧٢، ص ٣٠٠-٣٠٧، وغيرها.
- (٨٣) الواقدي، المغازي، ج ١، ص ٣٠٠.
- (٨٤) م. ن، ج ٢، ص ٦١٨.
- (٨٥) م. ن، ج ١، ص ٢٣٩، ج ٢، ص ٦١٨، ج ٣، ص ١٠٢٢.
- (٨٦) م. ن، ج ١، ص ١٨٥، ص ١٨٧، ج ٣، ص ٩٥٥، وغيرها.
- (٨٧) م. ن، ج ٣، ص ٩٥٦.
- (٨٨) م. ن، مقدمة المحقق، ص ٣٢.
- (٨٩) م. ن، مقدمة المحقق، ص ٣٤.
- (٩٠) ينظر عن ترجمته: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٧٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٤٢٨-٤٢٩. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج ٢، ص ١١٥.
- (٩١) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٧٧. الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٠، ص ٤٢٩.
- (٩٢) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١، ص ٤٢٩.
- (٩٣) وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٧٧. والسيرة النبوية لابن هشام طُبِعَت طبعات عدّة منها:

أ- طبعة جوتنجن بألمانيا عام ١٢٧٦هـ / ١٨٦٢م بإشراف المستشرق "وستفلد". ب- طبعة بولاق - مصر سنة ١٢٥٩هـ. ت- طبعة المطبعة الجمالية بمصر سنة ١٣٣٢هـ، سنة ١٩١٤م، على هامش الروض الأنف للسهيلى. ث- طبعة المطبعة الخيرية - مصر سنة ١٣٢٩هـ. ج- طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م. ح- طبعة شركة الطباعة الفنية المتحدة تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد بلا. ت. وغيرها.

(٩٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ١، ص ١.

(٩٥) م. ن، ج ٢، ص ٦٤٩ - ٦٦٦.

(٩٦) م. ن، ج ٢، ص ٦٦٦.

(٩٧) ابن هشام، السيرة النبوية، ج ٢، ص ٦٧١.

(٩٨) م. ن، ج ٢، ص ٦٧١، هامش (٥).

(٩٩) عبد السلام هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، ص ١٧-١٨.

(١٠٠) السيرة النبوية الصحيحة...، ج ١، ص ٦٦.

المصادر والمراجع

أولاً: - المصادر:

- ١- الأزرقي، أبو الوليد محمد بن عبد الله المكي (ت: ٢٥٠هـ): أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحق، دار الأندلس للنشر - بيروت، بلا. ت.
- ٢- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المطليبي المدني (ت: ١٥١هـ): سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي) تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر - بيروت، ط ١، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- ٣- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل (ت: ٢٥٦هـ): التاريخ الكبير، ط. دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، بإشراف: محمد عبد المعيد خان، بلا. ت.
- ٤- البخاري...: الجامع الصحيح، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.
- ٥- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد، (ت: ٣٢٧هـ): الجرح والتعديل، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الهند، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٩٥٢م.
- ٦- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت: ٣٥٤هـ): الثقات، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط ١، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣م.
- ٧- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (ت ٨٥٢هـ): تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط ١، ١٣٢٦هـ.
- ٨- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت ٤٦٣هـ): الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا. ت.
- ٩- الخطيب البغدادي...: تاريخ بغداد، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- ١٠- ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: ٦٨١هـ): وفیات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، (متفرقة ما بين: ١٩٠٠-١٩٩٤م).
- ١١- خليفة، أبو عمرو خليفة بن خياط الشيباني البصري (ت: ٢٤٠هـ): الطبقات، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- ١٢- الخليلي، أبو يعلى خليل بن عبد الله بن أحمد (ت: ٤٤٦هـ): الإرشاد في معرفة علماء الحديث، تحقيق: د. محمد سعيد عمر إدريس، مكتبة الرشد - الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
- ١٣- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ): سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ١٤- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت: ٩٠٢هـ): التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ١٥- ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري (ت: ٢٣٠هـ): الطبقات الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- ١٦- ابن سيد الناس، محمد بن محمد الربيعي (ت: ٧٣٤هـ): عيون الأثر في فنون المغازي والشمائيل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت، ط١، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.
- ١٧- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ): بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية - لبنان / صيدا، بلا. ت.
- ١٨- الشيرازي، أبو اسحاق إبراهيم بن علي (ت: ٤٧٦هـ): طبقات الفقهاء، هذب: محمد بن مكرم ابن منظور (ت: ٧١١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، ط١، ١٩٧٠م.
- ١٩- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ): تاريخ الرسل والملوك، دار التراث - بيروت، ط٢ - ١٣٨٧هـ.
- ٢٠- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ): تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ٢١- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ): المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٢م.
- ٢٢- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ): السيرة النبوية، ط دار المعرفة، بيروت، بلا. ت.
- ٢٣- المزي، جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن (ت: ٧٤٢هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.
- ٢٤- المقدسي، المطهر بن طاهر (ت: نحو ٣٥٥هـ): البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، بلا. ت.

- ٢٥- ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق الوراق البغدادي (ت: ٤٣٨هـ): **الفهرست**، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- ٢٦- ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت: ٢١٨هـ): **السيرة النبوية**، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م.
- ٢٧- **الواقدي**، محمد بن عمر بن واقد المدني (٢٠٧هـ): **المغازي**، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، دار الأعلمي - بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.
- ٢٨- **ياقوت الحموي**، ياقوت بن عبد الله (ت: ٦٢٦هـ): **معجم الأدياء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

ثانياً: - المراجع والبحوث:

- ١- **الحكيم**، د. حسن عيسى: **محمد بن إسحاق**، مجلة آداب المستنصرية، العدد ١٤ / لسنة ١٩٨٦م.
- ٢- **الدوري**، د. عبد العزيز: **نشأة علم التاريخ**، بيروت، ١٩٦٠م.
- ٣- **العمرى**، د. أكرم ضياء: **السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية**، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط٦، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٤- **هارون عبدالسلام محمد**: **تهذيب سيرة ابن هشام**، مؤسسة الرسالة (بيروت) / دار البحوث العلمية (الكويت)، ط١٤، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م.
- ٥- **هوروفتس**، جوزيف: **المغازي الأولى ومؤلفوها**، ترجمة حسين نصار، القاهرة، ١٩٤٩م.

قطلوونية دراسة في أحوالها السياسية والعسكرية من نهاية عصر

الخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨-١٠٣٠م) حتى نهاية عصر الموحدين (٥٤٠-٥٤٠هـ)

(٦٢٠هـ/١١٤٥-١٢٢٣م)

م. د. سعاد بدير هاشم البهادلي

وزارة التربية/متوسطة عز الدين سليم

لبنين/الرصافة الثالثة

الملخص

توصلنا الى أبرز الاستنتاجات من خلال دراستنا عن قطلوونية وتاريخها السياسي والعسكري أثناء دراسة وعرض مفردات هذا البحث، وهي تسترعي الاهتمام والفائدة التاريخية، ويمكن أجمالها في ابرز النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة بالنقاط الآتية وهي:

١- توصلت الدراسة الى ان العمليات العسكرية التي قادها المسلمون في قطلوونية، أدت الى قوة النفوذ الإسلامي بالرغم من حالات التصدع والضياع في الدولة الإسلامية الأندلسية.

٢- برهنت الدراسة ان أمراء عصر دويلات الطوائف بعد سقوط الخلافة الأموية، حرصوا في الاحتفاظ بالدولة، رغم طلبهم المساعدة من ملوك النصارى والأتين بالجند المرتزقة بسبب الصراعات القائمة بينهم.

٣- تكمن أسباب قوة النصارى اثناء العصور الإسلامية الأخيرة من تاريخها في الحروب المستمرة بين حكام قطلوونية المسلمين أنفسهم حتى نجد استعانة بعض

هؤلاء بالأعداء النصارى من جهة، ومن جهة أخرى قوة العلاقة التي تربط قطلونية مع دولة غالة وقيام التحالفات ونصرة العناصر النصرانية بعضها لبعض حتى انتهت مثل هذه التحالفات باتحاد قطلونية مع مملكة اراغون سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م.

٤- تتبين أهمية العامل الديني كعامل قوة ومساعد في قوة النصارى، إذ لا يقل أهمية وتأثيراً من العامل السياسي والجغرافي، لاسيما مع جهود البابوات امثال البابا اوربان الثاني الذي انتزع طركونة القطلونية من ايدي المسلمين سنة ٤١٠هـ/١٠١٠م، الى جانب دور فرسان الداوية خصوصاً وان بدايات ظهورها في برشلونة القطلونية.

Abstract

We highlight findings through our study of the political and military history of Catalonia and during study and display the vocabulary of this research:-

- 1) The study found that the military operations led by the Muslims in Catalonia, led to the power of Islamic influence in spite of the fractures and losses in the Islamic state of Andalusia.
- 2) The study proved that the era of the states of the sects after the fall of the Umayyad caliphate, the princes of the sects were keen to retain the state, despite their request to help the kings of Christians and the mercenary soldiers because of the conflicts between them.
- 3) The reasons for the strength of the Christians during the last Islamic eras of its history lie in the ongoing wars between the Muslim rulers of Catalonia themselves until some of them use the Christian messengers on the one hand and on the other the strength of the relationship that links the Catalan with a high state and the alliances and support of the Christian elements, Such alliances in the Union of Catalonia with the Kingdom of Aragon in the year 532 AH/1137 AD
- 4) The importance of the religious factor as a force factor and an assistant in the power of Christians, as it is no less important and influential than the political and geographical factor, especially with the efforts of the Pope, such as Pope Urban II, who took away the Tarqona of the Muslims in 410 AH/1010 AD, besides the role of the Dawa Knights especially The beginnings of her appearance in Barcelona.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد وآله وصحبه المنتجبين وبعد:-

تعد دراسة التاريخ السياسي والعسكري لمدن الأندلس ومنها مدن قطلونية^(١) التي تشمل مدينة طرطوشة ولاردة وطركونة وجيرونة وقاعدتها ومركزها برشلونه ذات الأهمية الكبيرة، لكونها واحدة من البقع الجغرافية التي وصلت إليها أقدام الفتح الإسلامي نافذاً منها الى مدن أندلسية وفرنسية أخرى.

واستكمالاً لما بحثناه سابقاً في أطروحتي الموسومة قطلونية دراسة في أحوالها العامة من الفتح الى سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م، فإن بحثنا هذا يبدأ من تاريخ سقوط الخلافة الأموية ٤٢٢هـ/١٠٣٠م، حتى سقوط مدن قطلونية بأيدي النصارى الواحدة بعد الأخرى. يتكون البحث من المفردات الآتية تسبقها مقدمة وتليها خاتمة وهي:-

- قطلونية دراسة في أحوالها السياسية والعسكرية في عصر الطوائف (٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣٠-١٠٩٢م).
- قطلونية دراسة في أحوالها السياسية والعسكرية في عصر المرابطين (٤٨٤-٥٤٠هـ/١٠٩٢-١١٤٥م).
- قطلونية دراسة في أحوالها السياسية والعسكرية في عصر الموحدين (٥٤٠-٦٢٠هـ/١١٤٥-١٢٢٣م).

قطلوونية دراسة في أحوالها السياسية والعسكرية في عصر الطوائف

(٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣٠-١٠٩٢م)

عاشت الأندلس بعد سقوط الخلافة الأموية سنوات صعبة، إذ سادت الفرقة والتنافس بين الأمراء في مدنهم، رغم المحاولات العديدة التي بذلها بعض الفقهاء الذين تحملوا عناء السفر إلى كل دويلات الطوائف والالتقاء بأمراء الدويلات وحثهم على الوحدة ومن أبرز هؤلاء الفقهاء أبو الوليد الباجي، بعد نهاية دولة بني أمية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠م، إذ تحولت على أثرها الأندلس إلى دويلات طوائف، الذين تلقبوا بألقاب عدة لم يكن مصطلح الخلافة من ضمنها، حيث سجلت لنا كتب التاريخ نصاً مفاده (وأما حال سائر الأندلس بعد اختلال دعوة بني أمية، فأن أهلها تفرقوا فرقاً، وتغلب في كل جهة منها متغلب عليه، وتقسما ألقاب الخلافة)^(٢)، فباتت الأندلس في حالة تبعث على الأسى، بيد أن دويلات الطوائف أدى إلى تصدع البنيان الشامخ وانتهاء الخلافة^(٣).

لكننا لا ننسى أن عصر الطوائف شهد نهضة علمية وأدبية كبيرة ومشهود لها، لأن البذور التي زرعت إبان عصر بني أمية أثمرت أيام الطوائف.

خاض ملوك الطوائف حروباً مستمرة بعضهم ضد البعض بمساندة ممالك نصارى الشمال، ففي سنة ٤٣٠هـ/١٠٣٠م، توضح مثلاً للصراع الأسري المقيت أمتد تأثيره إلى مدن قطلونية، إذ أن صراعاً حدث داخل الأسرة التجيبية انتهى بمقتل ملكها وسيطر سليمان بن محمد بن هود الجذامي (٤٣١-٤٣٨هـ/١٠٣١-١٠٤٦م)، على مدينة لاردة القطلونية وتلقب بالمستعين عليها، وكان هذا الرجل يسيطر على حواضر الشجر الأعلى الأربعة، وهي سرقسطه وطليطلة ووشقه ولاردة حتى قسم بلاده بين أبنائه الخمسة وقام الصراع بينهم، واستطاع أحدهم وهو أحمد عماد الدولة المقتدر (٤٣٨-٤٧٤هـ/١٠٤٦-١٠٨١م) أن يستحوذ على أملاك أخوته عدا أخيه يوسف عماد الدولة المظفر ملك لاردة القطلونية^(٤).

عندما رأى أهل سرقسطة ما فعله أحمد المقتدر بأخوته كرهوه، فعقد أحمد حلفاً مع ملوك اسبانيا النصرانية ضد أخيه حتى أنه تواطأ في إحدى المرات على قافلة تحمل الميرة والطعام نجدةً لأهل تطيلة بعدما أصابهم الجهد والغلاء، وأرسلوا لأميرهم يوسف المظفر يستجدون به، وكان الأخير قد وجّه رسوله الى ملك البلاد النصرانية المجاورة له وهو ابن ردمير (٤٢٦-٤٥٦هـ/١٠٣٤-١٠٦٣م)، يستعطفه ويقول له اعلمني بما أعطاك أخي من المال على أن يشق بلادك الميرة الى تطيلة وأنا أعطيك أضعافه وأتركني وإياهم فأعلمه بذلك، لأنها لا يمكن أن تمر عبر أراضي أخيه أحمد المقتدر، لكن الأخير أرسل لأبن ردمير أموالاً أكثر ليخلي بينه وبين أخيه، على أن يسمح له بمهاجمة القافلة ومن يحميها من جند يوسف المظفر، وعندما توسطت القافلة بلاد النصارى^(٥) (خرج عليهم فأهلكهم أجمعين قتلاً وأسراً فكانت تلك الواقعة الشنعاء بالشعر الأعلى على يديه)^(٦).

بعد هذه الواقعة تشاءم أهل الشعر الأعلى من يوسف المظفر وازدادوا خوفاً من أحمد المقتدر، إذ وجدوا السلامة في العودة عن يوسف المظفر إليه حتى تعاظمت مملكة أحمد المقتدر مقابل انكسار مملكة أخيه يوسف المظفر الذي لم يبق في يده سوى لاردة القطلونية، وفي الوقت ذاته أخذ أحمد المقتدر يسعى لتوسيع مملكته محاولاً أن يجد لها منفذاً على البحر الرومي (البحر المتوسط)، فاجتذبت أنصاره مدينة طرطوشه القطلونية^(٧).

كان يحكم طرطوشة القطلونية فتى من فتيان محمد بن أبي عامر الحاجب المنصور (٣٦٦-٣٩٢هـ/٩٧٦-١٠٠٢م) يسمى لبيب، فأقام بها ملكاً الى أن توفي سنة ٤٣٣هـ/١٠٤١م، فتولاها بعده فتى عامري أيضاً أسمه مقاتل، وبعد وفاة الفتى مقاتل سنة ٤٤٥هـ/١٠٥٣م، حكم طرطوشة عدد من الفتيان العامريين الى أن تمرد أهلها بحكمهم، إذ قامت فيها ثورة ضد آخرهم وهو الفتى نبيل، فأستغل أحمد المقتدر هذه الاوضاع، وزحف عليها بقواته سنة ٤٥٢هـ/١٠٦٠م مع ما حاز من أجزاء من طركونه وانتهت بذلك

دولة الفتيان العامريين^(٨)، (واشتدت شوكته وتسمى بالمقتدر بالله وكان على طرطوشة فتى من فتيان وأستحوذ على طرطوشه وأمدته الروم نحو عشرين ألف فارس فنزلوا مدينة وشقة من الثغر الأعلى وأقاموا عليها أياماً ثم رحلوا)^(٩).

في سنة ٤٦٨هـ/١٠٧٦م، سيطر أحمد المقتدر بن هود على مملكة دانيه، إذ أستقل عبد الله المرتضى (٤٤٢-٤٨٦هـ/١٠٥٠-١٠٩٣م)، بحكم الجزائر الشرقية، وكان عبد الله هذا تربطه بملك برشلونه رامون برنجير الأول (٤٢٧-٤٦٩هـ/ ١٠٣٥-١٠٧٦م) وولديه برنجير ورامون علاقة ود وصداقة، والدليل على هذا، أن عبد الله المرتضى أرسل مبعوثاً الى ملك برشلونه في بعض الشؤون فتعرف علي المرتضى على مبشر بن سليمان ناصر الدولة (٢٤٢-٤٨٦هـ/٨٥٦-١٠٩٣م) الذي حكم الجزائر الشرقية بعد عبد الله المرتضى، فأعجب السفير بمواهب مبشر بن سليمان وأفتاده من الاسر، ومبشر هذا من أهل قلعة الحمير من أعمال لاردة القطلونية، أسره الأسبان في صباه، وعاش في برشلونه^(١٠)، علماً أن حملات البحارة المجاهدين في عهد مبشر بن سليمان، تصفهم التواريخ الافرنجية بالقراصنة، تخرج من ثغور الجزائر المختلفة وتغير من آن لآخر على شواطئ قطلونيه^(١١).

أستطاع ملك برشلونه رامون برنجير الأول أن يوسع أمارته ويزيد في قوتها حيث ضم إليها ولاية ارقله^(١٢)، وولاية سرطانيه، ثم ولاية قرقشونه سنة ٤٥٩هـ/١٠٦٧م، وكان لضم هذا الجزء الهام من أراضي إقليم دولة غالة (فرنسا) الى قطلونية نتيجة هامة، بسبب إعادة الصلة بين قطلونية ودولة غالة بعد أن انقطعت منذ استقلال قطلونية^(١٣) حتى نجد قيام ملك برشلونه رامون أيضاً بعدة إصلاحات جعلت قطلونية مثلاً يحتذى به في شمال اسبانيا النصراني، فقد عقد مجلساً من النبلاء في الحاضرة برشلونه سنة ٤٦٠هـ/١٠٦٨م، وأصدر قانوناً جديداً من قبل هذا المجلس يأخذ على عاتقه تنظيم الحياة الداخلية، يسمى بعُرف برشلونه

(Usages de Barcalona)، كما عقد مجلساً آخر أقر فيه عدة قرارات لصالح الكنيسة وصالح الفلاحين وحمائيتهم من ظلم الأقوياء^(١٤).

في سنة ٤٦٩هـ/١٠٧٧م، وبعد انتهاء الدولة المجاهدية وسيطرة أحمد المقتدر على دانيه، إذ بقى علي بن مجاهد العامري إقبال الدولة (٤٣٦-٤٦٨هـ/١٠٤٤-١٠٧٥م)، محجوراً عليه في سرقسطة حتى وفاته سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م، حاول أبنه سراج الدولة بن علي استرداد عرش أبيه، فذهب الى برشلونه واستغاث بملكها رامون برنجير الاول، فحقق مطلبه بشروط وأمدّه ببعض قواته، واستطاع من استرداد بعض الحصون، ولكن تمكن أحمد المقتدر من دس له من اغتاله بالسّم بعد سنة من خلع أبيه^(١٥).

انتهى الصراع بين الأخوين أحمد المقتدر ويوسف المظفر بالقبض على الأخير وسجنه في قلعة في الثغر الأعلى، وقيل ألزم أخاه يوسف في قسبة منتشون في لاردة، ظل بها سجيناً حتى مات أخوه أحمد المقتدر وتولى الإمارة ابنه يوسف المؤتمن (٤٧٤-٤٧٨هـ/١٠٨١-١٠٨٥)^(١٦)، (تصير له ملك أبيه بالثغر كله، واستمرت فيه أياماً الى أن هلك سنة ٤٧٨ هـ/ولي بعده المستعين)^(١٧)، إذ قسّم أحمد المقتدر بن هود مملكته قبل وفاته سنة ٤٧٤هـ/١٠٨١م، بين أبنيه يوسف المؤتمن، وأخيه المنذر^(١٨)، فجعل سرقسطه وأعمالها من نصيب يوسف المؤتمن، ولاردة وطرطوشة ودانيه من نصيب المنذر، رغم هذا استمر الأخير ينافس أخاه يوسف المؤتمن، ثم ابن أخيه أحمد المستعين بن يوسف المؤتمن (٤٧٨-٥٠٣هـ/١٠٨٥-١١٠٩)^(١٩).

تميز عهد أقبال الدولة علي بن مجاهد بالعلاقة الحسنة مع ملوك النصارى والتسامح المطلق مع نصارى مملكته، فقد جرى على نفس سياسة أبيه مجاهد العامري (٤٠٠-٤٣٦هـ/١٠٠٩-١٠٤٤م)، حاكم دانيه والجزائر، وربما كان ذلك راجعاً من بعض الوجوه الى ظروف حياته ونشأته بين نصارى سردينية خلال أسره الطويل، واعتناق دينهم قبل إن يعود الى الإسلام ودياره^(٢٠)، كما كانت له نفس العلائق مع ملك برشلونه

القطلوونية رامون برنجير الأول، على الرغم من سياسة الإغارة التي اتبعتها حاكم الجزائر مولى أبيه مجاهد الأغلب (٤٢٨-٤٣٦هـ/١٠٣٦-١٠٤٤م)، وقد كان جندياً وبحاراً قديراً، دائم الإغارة بسفنه على شواطئ قطلوونية^(٢١)، علماً أن علياً بن مجاهد العامري، أصدر أمراً سنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م، يضع فيه أسقييات دانيه، والجزائر الشرقية وغيرها، تحت رئاسة أسقف برشلونة^(٢٢)، ولكن هذا لا يعني أنه لم تقم أية حرب بين الطرفين، إذ ساء التفاهم بين علي بن مجاهد العامري وبين ملك برشلونة، وفي نفس الوقت كانت هنالك محاولات باعثة على الشر في مدينة لارده القطلوونية التي كانت تحت حكم يوسف المؤتمن بن المقتر، فكانت نتيجة هذا فرار بعض الشخصيات من لارده والتجأؤهم الى علي العامري بدانية^(٢٣).

بعد سنة ٤٦٢هـ/١٠٧٠م، وقع الصراع بين المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية ويحيى بن ذي النون صاحب طليطلة، حين رأى يحيى الفرصة سانحة، فأنقض على مرسيه والتي كانت تحت سيطرة الفتان العامريين وحلفاء المعتمد بن عباد، فانترعها منهم، وأرسل المعتمد وزيره ابن عمار الى رامون برنجير الاول ملك قطلوونية، وحالفه على مساعدته ضد طليطلة، وما أن وصل الأخير الى مرسيه، وجد قوات طليطله والقوى المتحالفة معها، فأدرك صعوبة الهجوم، بيد أن هذه القوات أجبرته على المواجهة ودخول الحرب، وظفر فيه مع قوات حليفه ابن عباد واستولى ابن ذي النون على مرسيه ومدن أخرى^(٢٤).

في سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م، عهد صاحب اشبيله المعتمد الى وزيره ابن عمار بإرسال بعض قواته لفتح مرسيه إذ كانت تحت سيطرة أبو عبد الرحمن بن طاهر والمتغلب عليها والمدير لأمرها، وتكفل الوزير ابن عمار بأخذها وإخراج عاملها ابن طاهر عنها، فسار الوزير ابن عمار وعقد مع ملك برشلونة رامون برنجير الثاني (٤٦٩-٤٨٩هـ/١٠٧٦-١٠٩٦م)، اتفاق يتعهد فيه بأن يسانده بفرسانه على فتح مرسيه، مقابل

عشرة آلاف مثقال من الذهب تدفع إليه، فالوزير ابن عمار من المعتمد (بالمحل المعروف تربية وخدمة، وطول صحبه، وكان نادرة وقته براعة وأدباً) ^(٢٥)، وقد أتعق الطرفان أن يقدم كل منهما رهينة الى الآخر ضماناً بالوفاء، فقدم محمد بن عباد المعتمد ولده الرشيد، وقدم ملك برشلونة ابن أخيه، وبعث محمد المعتمد بقواته وعلى رأسها وزيره ابن عمار ومعه قوات ملك برشلونة، وتم له محاصرة مرسية، وفي أثناء ذلك تأخر محمد المعتمد عن أداء المال المتفق عليه الى ملك برشلونة، فأرتاب في الأمر واعتقد أنه قد غرر به، فقبض على ابن المعتمد وأرشد بقواته عن مرسية، وعلم محمد المعتمد حتى بادر بأداء المال، وبعث معه رهينة ملك برشلونة، وأفرج عن الرشيد وابن عمار ^(٢٦).

وهكذا فشلت هذه الحملة في فتح مرسية، إلا أن الوزير ابن عمار قد طمع في ملك مرسية، فأرسل المعتمد بن عباد حملة جديدة لغزو المدينة وعهد بقيادتها الى وزيره ابن عمار، تعاونه قوة من مدينة قرطبة بقيادة رجل من أهل مرسية يدعى عبد الرحمن بن رشيق، وقد كان أبوه من عرفاء الجند إذ(قامت معه العامة وبعض الجند، فسمع ابن عمار بذلك، فجاء يركض حتى اتى المدينة وقد غلقت أبوابها دونه، فحاصرها بمن معه أياماً، فامتعت عليه ولم يقدر على دخولها، فبقى حائراً لا يدري ما يضع ولا أين يتوجه) ^(٢٧)، حتى فتحت المدينة أبوابها بطريق الخيانة، ودخلها جند ابن عباد بعدما قبض على الوزير ابن طاهر وسجنه ^(٢٨).

بينت الأحداث السياسية على ارض قطلوونية سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م، لاسيما وأن الحرب الأهلية أخذت تضطرم بين أولاد أحمد المقتدر بن هود وهما يوسف المؤتمن حاكم سرقسطة وأخيه المنذر حاكم لاردة وطرطوشه ودانيه، واستعانة كل منهما بالنصارى الأسبان، فاستعان المؤتمن بصديق أبيه القمبيطور ^(٢٩) وبجيّشه من القشتاليين، وأما المنذر، فاستعان بسانشو راميرز (٤٥٥-٤٨٧هـ/١٠٦٣-١٠٩٤م)، ملك اراغون ورامون برنجير الثاني ملك برشلونة حتى وقعت أول معركة بين الأخوين عند قلعة المنار قرب

لاردة، وكان المؤتمن قد حصّن هذه القلعة بما تحتاج إليه من الرجال، فلما شعر أخوه المنذر بخطر هذه القلعة على أملاكه، إذ سار بقواته وقوات ملك برشلونة وغيرهم من قوات شمالي قطلونيه وحاصروا القلعة، فتصدى المؤتمن تعاونه قوات القمبيطور وقوات أخيه وحلفائه، ووقعت بين الطرفين المعركة الفاصلة، فقاد القمبيطور جيوش المؤتمن الى النصر، فهزم ملك برشلونة عند المنار وأسرده^(٣٠).

سار الفونسو السادس (٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، مع بعض قواته وحاصر قلعه روطه^(٣١)، وكان يوسف المظفر بن هود قد توفى فجأة، فعاد السيد القمبيطور في تحقيق مهمته القديمة وهي محاربة أعداء يوسف المؤتمن حاكم سرقسطة، إذ تعاون الأخير مع القمبيطور معا في محاربه مملكة اراغون، فخرجوا بقواتهما وعاثا في أراضيها فسادا، ثم رجعا الى حصن منتشون في لاردة القطلونية^(٣٢) التي رجع القمبيطور بغنائمه من أرض اراغون حتى رد ملك اراغون سانشو راميرز باستيلائه على حصن جرداس وغيره من حصون الحدود سنة ٤٧٦هـ/١٠٨٣م، وبالمقابل تحالف حاكم لاردة وطرطوشة المنذر أخو يوسف المؤتمن وخصمه مع ملك اراغون، وسار في قواتهما لمحاربة السيد القمبيطور، واتقى الاثنان في أحواز موريللا بالقرب من طرطوشه، إذ أنهزم المنذر وحليفه ملك اراغون واستولى القمبيطور على مافي معسكرهما، وعلى كثير من الأسرى حتى استقبل القمبيطور أحسن استقبال في بلاط حاكم سرقسطه^(٣٣).

توفى حاكم سرقسطة يوسف المؤتمن سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، وخلفه في حكم سرقسطة وأعمالها أبنه احمد (٤٧٨-٥٠٣هـ/١٠٨٥-١١٠٩م)، الذي اتخذ لقب المستعين بالله، وللتفريق بينهما أصبح الحفيد يعرف بالمستعين الأصغر، بينما هو يعرف بالمستعين الأكبر^(٣٤).

تحالف أحمد المستعين مع ملك برشلونة رامون برنجير الثاني، الذي كان من ألد أعداء القمبيطور، وقدم له الأموال، وأرسله الى حصار بلنسية، إلا أن القادر بن ذي

النون صمد أمام هجمات ملك برشلونة حتى عاد السيد القمبيطور من قشتاله مع قواته، ودخل مع ملك برشلونه ففاز فوزاً مبيناً، إذ وقع ملك برشلونة في الأسر مع بعض قواته، اضطّر الأخير إلى مخالفته، ولم يطلقهم السيد القمبيطور إلا لقاء فدية كبيرة، فغادر ملك برشلونه أراضي بلنسية عائداً إلى بلاده^(٣٥)، علماً أن الملك البرشلوني برنجير رامون الأول - السابق الذكر - عندما توفي خلفه ولداه رامون برنجير الثاني وريموند الثاني في حكم الإمارة معاً، وفقاً لوصيته ولكن الخلاف مالبث أن نشب بينهما، وانتهى الأمر بالاتفاق على أن يتسمى كل منهما بملك برشلونه وأن يتناوبا الحكم كل ستة أشهر، لكنه في سنة ٤٧٥هـ/١٠٨٢م قتل ريموند الثاني غيلة، وحكم أخوه رامون برنجير الإمارة منفرداً، بالأصالة عن نفسه، وبصفته وصياً على ابن أخيه القاصر^(٣٦).

تدهورت العلاقة بين ملك قشتاله الفونسو السادس وبين السيد القمبيطور بسبب تخلف الأخير عن مساندة الفونسو في معركة حصن البيط^(٣٧) وأراد الأخير، انتقاماً من القمبيطور

الاستيلاء على بلنسية الواقعة تحت نفوذه^(٣٨)، ولهذا استعان الفونسو السادس بأساطيل أوربيه من جنوه وبيزه لمهاجمة بلنسية من الساحل، فعد القمبيطور هذا العمل تحدياً لنفوذه حتى هاجم أراضي قشتاله، فسار الفونسو السادس بقواته باتجاه بلنسية وطلب من حكام الحصون المجاورة أن يؤدوا إليه الأموال التي كانوا يدفعونها للقمبيطور، وبعث إلى القادر بن ذي النون أن يمتنع عن إرسال الأموال إلى القمبيطور، وعندما وصلت السفن الإيطالية وعددها نحو أربعمئة سفينة لمساندة الفونسو السادس، استحكم طمعه فيها وفي جميع سواحل الجزيرة حتى تركت هذه السفن سواحل بلنسية واتجهت صوب طرطوشة، وهناك ساعدتها قوات إسبانية أخرى بقيادة ملك برشلونة رامون برنجير الثالث، مع قوات ابن ردمير ملك اراغون والنافار وكان قد هاجم طرطوشة هو وولي عهده بدرو الأول في ذلك الوقت، إلا أن المدينة ثبتت أما هجمات هؤلاء الذين انصرفوا جميعهم خائبين منها

حتى تصالح الفونسو السادس والقمبيطور الذي كَرَّ عائداً الى بلنسية، إذ اتفق معهم على مائة ألف مثقال جزية في كل عام، وأقره على جميع ما استولى عليه في معاركه من شرقي الأندلس^(٣٩).

قطلونيه دراسة في أحوالها السياسية والعسكرية في عصر المرابطين

(٤٨٤-٥٤٠هـ/١٠٩٢-١١٤٥م)

انتهى عصر الطوائف بانضواء الأندلس تحت جناح دولة المرابطين، وكان أمر المرابطين قد استقام في المغرب الأقصى حتى حث الفقهاء أمراء ملوك الطوائف على الذهاب ومكاتبة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين (٤٦٦-٥٠٠هـ/١٠٧٣-١١٠٦م)، لمساعدتهم في انقاد الأندلس بعد سقوط مدينة طليطله بيد الفونسو السادس ملك قشتاله، فقرر يوسف العبور الى الأندلس لنجدة أهلها في ربيع سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٦م^(٤٠).

في سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م، جاز أمير المسلمين يوسف بن تاشفين برسم الجهاد الى الأندلس فكانت موقعه الزلاقة^(٤١)، والتي انتصرت فيها القوات الإسلامية وأعطى يوسف توجيهاته لملوك الطوائف وعاد الى المغرب^(٤٢).

بعد وفاة المنذر بن أحمد المقتدر بن هود حاكم سرقسطة سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، خلفه ابنه سليمان الملقب بسعد الدولة، وكانت ضمن الأراضي التي ضمت الى المملكة سرقسطة على أيام تأسيس دولة طرطوشة، طركونه، ولاردة، وكان ملك برشلونه رامون برنجير الثاني الذي قرر سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م، وبدعم من أهالي قطلونيه أعادة المناطق الآنفه الذكر الى مملكته، وقد كتبوا بذلك الى البابا أوربان الثاني، وهو محرك الحرب الصليبية الأولى في المشرق الإسلامي، الذي اصدر مجموعة من المنح والمزايا الدينية لمن يشتركون في هذه الحملة حتى جهز حملة قوية لافتتاح طركونه وعلى رأسها رامون برنجير، وجاءت وفاة المنذر بن هود في ذلك الوقت مشجعة للغزاة، وسارت الحملة الى

طركونه واستطاعت من انتزاعها من المسلمين بسهولة لأهميتها ولكونها مركزاً رئيسياً للكنسية القطلونية^(٤٣).

يختصر محمد عبد الله عنان^(٤٤)، أسباب سقوط طركونه لضعف وسائلها الدفاعية، وتخلي حاكم سرقسطة المستعين بن هود عن أنجادهها، ولان الجيوش المرابطية، لم تكن قد وصلت يومئذ في زحفها نحو الشمال الى الثغر الأعلى.

في سنة ٤٨٧هـ/١٠٩٤ م، وبعد سقوط بلنسية في أيدي الاسبان، تالت على يوسف

بن تاشفين دعوات القدوم، فقد (حميت الفتنة، فخاطب الناس أمير المسلمين مستصرخين معلمين بفساد الشرق، وأشرف الأمة على الهلكة... وتقدم أمره الى القبائل باللاحاق بها، وأقام هنالك يجند الاجناد، ويسرب الامداد)^(٤٥)، وأوعز الى الحاكم الغرناطي، والى أمراء شرقي الاندلس، ومنها لاردة وطرطوشة القطلونية أن يمدوه بأنفسهم ورجالهم ليجتمعوا مع ابن أخيه ابو عبد الله ابن اخي يوسف لاه والامير ابو بكر ابن اخي يوسف لاه وابن عمه لاتصال المعاضدة والمظاهرة على منازل العدو ببلنسية^(٤٦).

ففي سنة ٥٠٨هـ/١١٤٤ م، خرج القائد المرابطي الكبير أبو عبد الله محمد بن الحاج والي سرقسطة على رأس حملة موجهة ضد برشلونة وملكها رامون برنجير الثالث وانضم القائد المرابطي محمد بن عائشة الى قوات ابن الحاج في تلك الغزوة، وفي اثناء زحفهما الى برشلونة مرت بحص ترفيرا القطلوني فخرته، كما أغارت على ظاهر برشلونة وغنمت غنائم كثيرة وعجزوا عن الاستيلاء عليها لحصانتها، ثم واصل ابن الحاج زحفه غربا بعد أن أرسلت السبي والغنائم مع معظم الجيش على الطريق الروماني، أما هو ففضل أن يختصر الطريق مع لمة مختارة من جنده فيهم محمد بن عائشة سالكاً طريقاً جبلياً ضيقة ومضايق مليئة بالمخاطر، فانتهاز جند برشلونة الفرصة^(٤٧) (فلما توسط الأمير محمد ابن الحاج واخذته الاوعار والمضايق وجد النصارى قد كمنوا له في جهة من تلك الجهات،

فقاتلهم قتالاً شديداً، قتال من ايقن بالموت واغتتم الشهادة، إذ لم يجد منفذا يخلص منه، فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المتطوعة، وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة في نفر بالحيلة الى بلاد المسلمين^(٤٨)، وتعرف هذه المعركة في المصادر العربية بموقعة البورت^(٤٩)، بينما يعرفها مؤرخو النصارى باسم كونجست دي مارتوريل Congestdel Martorrell^(٥٠).

يعلق محمد عبدالله عنان^(٥١) على هذه الاحداث التي ساعدت بدورها على اتساع رقعة اماره قطلونية اتساعاً كبيراً من خلال زواج ملك برشلونه رامون، بعد وفاة زوجه الأول من دونيا دولثيا وارثة ولاية بروفانس، وكان لانضمام هذه الولاية الافرنجية القديمة المتمدنة الى اماره قطلونية اثر كبير في حضارتها، وفي تقدمها الفكري، وكذلك ضمت الى قطلونية بضعة امارات صغيرة اخرى فيما وراء جبال البرتات الفاصلة بين بلاد اسبانيا وبلاد الغال سواء بموت حكامها أو باتفاقات سابقة، وكان منها قرقشونه وغيرها من المدن.

قام الأمير علي بن يوسف (٥٠٠-٥٣٧هـ/١١٠٦-١١٤٢م)، بتقليد صهره الحاكم ابن ابي يحيى بن ابراهيم بن تافلويت والي مدينة مرسية فانفذه ولاية سرقسطة وطرطوشة وبلنسية، وأمره بالسير لغزو برشلونه انتقاماً لمقتل ابن الحاج (فاجتمع إليه من كان بها من الجند الى جند سرقسطة، وسار بها الى برشلونه، فنزلها وأقام عليها عشرين يوماً حتى هتكها وقطع ثمارها وخرب إنباءها وقراها)^(٥٢)، واضطر أميرها رامون برنجيرا الى الخروج لمقاتلته في قوات برشلونه والحرب مستمرة على أشدها، وانكسر المرابطون كسرة شديدة في سهل برشلونه في أواخر سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤م^(٥٣).

اشترك ملك برشلونه رامون برنجير الثالث في حملة كبرى الى الجزائر الشرقية سنة ٥٠٨هـ / ١١١٤م، بعدما ابرم حلفاً واتفاقاً مع أهل بيزا وجنوة مدن ايطاليا حتى عمروا وجّهزوا ثلاثمائة مركباً، وخرجوا الى جزيرة يابسة من عمل ميورقة، فغلبوها وسبوها

وانتهبوا، ثم انتقلوا الى جزيرة ميورقة^(٥٤) حتى تغلب عليها الملك البرشلوني وخربها، ودخل المدينة فلم يجد سوى العيال والاطفال والشيخ الفاني، فلحسابهم أحوالوا السيف عليهم، وحاصرها لمدة عشرة أشهر^(٥٥)، وكان واليها مبشر بن سليمان ناصر الدولة الذي كتب الى أمير المسلمين علي بن يوسف يستصرخه ويستنصره موجهاً كتابه مع قائده ابي عبدالله بن ميمون، فلم يشعر العدو به حتى وصل بالكتاب الى الأمير، فأمر في الحين بتعمير ثلاثمائة قطعة بحرية، وان تلقى بعد شهر دفعة واحدة، فامتثل أمره في ذلك لاستتقاذ مدينة ميورقة، فلما وصل الأسطول، وجد المدينة خاوية على عروشها محرقه سوداء مظلمة منطبقة بعدما اقتلعها واستباحها الملك البرشلوني سنة ٥٠٨هـ/١١١٤م^(٥٦).

توفى الوالي مبشر ناصر الدولة وقام بالأمر من بعده قريبه القائد أبو الربيع سليمان بن لبون الذي واصل جهده ضد التحالف الأوربي، لاسيما العدو البرشلوني الذي اسرع بالرجوع الى بلاده بعدما قضى وطره من هذه الجزيرة واجتماع ولاية ابن تاشفين وهجماتهم على أراضيهم حتى اضطرت القوات الاوربية المتحالفة الى الجلاء عن الجزائر الشرقية في سنة ٥٠٩هـ/١١١٥م، وعودتها الى حظيرة المرابطين^(٥٧).

استمر الملك رامون برنجير الثالث في صراعه ضد المرابطين وقام بمساعدة البيزيين، والجنوبيين أهل ايطاليا بمحاولات يائسة وفاشلة لافتتاح طرطوشة، ولاردة في قطلونية حتى لقي في مدافعتهم متاعب شديدة بعدما اشتد ضغط المرابطين على امارة برشلونة، والسبب في ذلك انشغال حاكم نافار وارغون الفونسو الأول المحارب (٤٩٨-٥٢٩هـ/١١٠٥-١١٣٤م)، بغزواته الكبرى للأندلس، وصراعه المتصل بعد ذلك مع المرابطين، إذ لحقت هزيمة كبيرة بالقطلان على ايدي المرابطين امام حصن كورتيس على مقربة من لاردة، ثم تفاقمتم الأمور على الملك رامون بقيام أمير طولوشة^(٥٨)، بمهاجمة بروفانس حتى اضطر الملك البرشلوني رامون ان يتنازل عن سيادة نصف

الولاية، وإن يؤول سيادة النصف الأخير إذا مات أحد الشريكين دون وارث إلى الشريك الذي بقى على الحياة^(٥٩).

في سنة ٥١١هـ/١١١٧م، تولى قائد الأسطول البحري محمد بن ميمون تنفيذ عهد أمير المسلمين علي بن يوسف بتجهيز حملته وغزو بلاد الروم، واتجه صوب مدينة قطرون^(٦٠) حتى (امتعت حمله من أهلها بقصبتها وهي وعرة المرتقى بأسقة الذرى فتعلقت... واشرفوا على استفتاحها فحماها الليل... دونها وصدر المسلمون إلى الاسطول وعدّها... وخمسون رأساً من السبي وكثير.... وانصرف عنها القائد)^(٦١)، نفهم من خلال هذه الرواية التاريخية فتح مدينة قطرون على الرغم من اضطراب مضمون الرواية.

تمكن القائد المرابطي محمد بن ميمون الذي ولّاه أمير المرابطين علي بن يوسف قائداً للروم - أي رئيس فرقة الجند النصراني المرتزق التي كانت تعمل في صفوف المرابطين، وهو قائد قطلوني مشهور في اخبار المرابطين وأصله من فرسان النبلاء في برشلونة، أبلى بلاءً حسناً في الدفاع عن دولة المرابطين حتى قتل سنة ٥٣٩هـ/١١٤٥م^(٦٢).

في سنة ٥١٤هـ/١١٢٠م، يتوضح دور ملك برشلونة رامون برنجير الثالث عندما استولى على قلعة حمير^(٦٣) القطلونية، بعدما خضعت هذه القلعة لنفوذ بني هود حكام لارده وسرقسطة وغيرهما من مدن الثغر الأعلى، إذ ظلت هذه القلعة في أيديهم حتى ذلك التاريخ^(٦٤).

في سنة ٥٢٣هـ/١١١٩م، سار ملك اراغون بقواته في اتجاه افراغه^(٦٥) ولارده، ولم يستطع مهاجمتها بسبب قوة وكثرة الحاميات المرابطية في تلك المناطق إلى جانب القوة المرابطية المتحركة، والتي كانت تنساب بسرعة من مناطق شرقي الاندلس كلما اقدم الاسبان بالعدوان حتى أراد ملك اراغون الفونسو المحارب ان يقضي على هذه القوة المتحركة ثم يتسنى له السيطرة على منطقتي افراغه ولارده القطلونية، إذ واصلت قواته

الزحف تجاه مدينة بلنسية، فلما وصل خبر هذه الحملة الى الأمير علي بن يوسف أمر بحشد قوات من السود وأن تتكفل نفقاتها مختلف المدن الاندلسية، ثم أرسلت هذه الحشود الى مدينة مرسية، ووالها يومئذ بدر بن ورقاء (٥١٩هـ/١١٢٥م)، تعزيزاً للجهود المرابطية في شرق الأندلس^(٦٦) حتى أصبح (بمقربة من جزيرة شقر، فالتقى الجمعان هنالك، وانهزم المسلمون، وتبعهم العدو، وذهب اكثر الرجاله قتلاً وأسرًا، وحاز العدو الاسلاب والاثاث والدواب، وذهب من المسلمين ما يزيد على اثني عشر ألفاً بين قتيل وأسير، وبلغ ذلك علي بن يوسف فغاضه)^(٦٧).

يوضح بعض الباحثين أمثال حسين مؤنس^(٦٨)، ومحمد عبد الله عنان^(٦٩)، وأشباخ^(٧٠) عن تطورات مهمة من نشأتها اثرت في أوضاع قطلوونية، لاسيما السياسية منها.

١. ففي سنة ٥١٤هـ/١١١٩م، أنشئت طائفة مشهورة من الرهبان (فرسان المعبد) باسم الداوية التي تجردت لحرب المسلمين ومغاورتهم في بيت القدس بعد سقوطها على يد الافرنج الصليبيين وذلك لحماية الحاج الى قبر المسيح وافرد لهم بيت المقدس جناحاً في قصره، ثم سلم إليهم المعبد المجاور له، ومنه اشتقوا اسمهم فرسان المعبد ونمت هذه الجماعة بسرعة، واشتد ساعدها بمن انضم إليهم من النصارى من سائر الأمم، ولعبت دوراً هاماً في تاريخ الحروب الصليبية، واستمرت قائمة عصوراً، علماً ان أول ظهور لفرسان الداوية خلال عهد الملك رامون برنجير الثالث الذي شجعهم على القيام في برشلونة.

٢. وفي سنة ٥٢٢هـ/١١٢٧م، عقد ملك برشلونة رامون برنجير الثالث تحالفاً مع ملك صقلية روجر (رجار) تعهد فيه بأن يمد الأخير خمسين سفينة من أسطوله، وهو ما يدل على ما كانت تتمتع به قطلوونية يومئذ من قوى بحرية لها خطرهما في تلك المياه، إذ كان رامون برنجير واعتماداً، على هذه القوات يتمكن ان يؤمن

مركز بلاده في البحر، وان يقاوم في بعض الاحيان مطامع جنوه في ايطاليا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كان ملك برشلونة رامون يرى دائماً ان يوحد جهوده مع ملك اراغون القوي كلما واثت الفرصة، ولهذا فقد آمن ملك اراغون الفونسو المحارب من جانبه بفائدة هذا التعاون، وقد التقى الاثنان واتفقا على ان يعقدا نوعاً من التحالف، لاسيما وان مملكة اراغون كانت عبارة عن مملكة برية، تعتمد في قوتها على الجيوش البرية حتى تتفرغ لمقاومة ملك قشتاله القوي، وكبح وقمع اطماعه.

٣. تغير موقف قطلونيه وذلك بزواج ملك قشتاله الفونسو السابع اوريمونديس ويسميه المؤرخين^(٧١) بالسليطين (٥٢٠-٥٢٢هـ/١١٢٧-١١٢٩م)، من الأميرة برنجيلا ابنه ملك برشلونة رامون برنجير الثالث سنة ٥٢١هـ/١١٢٨م، وقد كان لذلك اثره في تقوية مركز قطلونيه، فبعدما اعتنق رامون مبادئ فرسان المعبد، وكان بعض اقصاب الداوية قد وفدوا قبل ذلك بقليل من المشرق الى برشلونة ليسعوا في انشاء فرع لهم في قطلونيه فرحب بهم رامون، ومنحهم حصن جرانينا على مقربة من لاردة القطلونية، وذلك ليساعد الفرسان في افتتاح هذه المدينة من أيدي المسلمين، ثم توفي رامون بعد ذلك سنة ٥٢٥هـ/١١٣١م، وكانت قطلونيه تضم عند وفاته مدن عدة^(٧٢).

٤. أوصى رامون برنجير الثالث ولاية عدد من مدن قطلونيه من ضمنها برشلونة لولده الأكبر رامون برنجير الرابع (٥٢٥-٥٥٧هـ/١١٣١-١١٦٢م) وتلقى ولده الثاني برنجير رامون باقي املاكه في غاله وأهمها ولاية بروفانس، وتلقى رامون برنجير الرابع حب فرسان المعبد عن ابيه، وأغدق عليهم كثيراً من رعايته، وطلب الى كبيرهم ببيت المقدس ان يرسل عدداً منهم الى قطلونيه، وأسس أول دير في اسبانيا لهذه الطائفة، ووهبها كثيراً من الأملاك والحقوق والمزايا، إذ أعطى حصن

بربرية في جبال براديس المشرفة على مدينة لاردة وطرطوشة القطلونية سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣م.

في سنة ٥٢٧هـ/١١٣٣م، تمكن ملك أراغون الفونسو المحارب من الاستيلاء على مدينة مكناسة^(٧٣)، ثم أخذ يرمي بعد ذلك الى السيطرة على مدينة افراغه القطلونية، ولم تكن السيطرة عليها بالأمر السهل لوقوعها في نهاية جرف شديد الانحدار تصعب مهاجمته، ولكن المرابطين إذ استشعروا من تحركات الفونسو المحارب بان المعركة الحاسمة بينهم وبين النصارى في منطقة الثغر الأعلى باتت على وشك الوقوع، ولهذا رأوا من باب الاحتياط والحذر مهادنة ملك برشلونة رامون برنجير الثالث تأميناً لظهورهم وحتى لا ينتهز الفرصة فيهاجم من جانبه، فاتفقوا استجابة بعد مشورة الامير المرابطي علي بن يوسف وتوجيهه على أن يؤدوا له في كل سنة صلحاً عن هذا الثغر جزية قدرها اثنا عشر ألف دينار، فأسف وغضب الفونسو^(٧٤).

وقال (هؤلاء الفعال الصناع يؤدون الاتاة للصانع الفاعل، ولو أعطوني أنا درهماً واحداً لأخذته، ويعلم اني قهرتهم وغلبتهم، وحلف بايمان مغلظة عنده: لانزلن على تلك البلاد، التي يؤدون عليها الجزية، فاصيرها في ملكي، واقطع منفعتها عن الفاعل الصناع البرشلوني، حتى يعلم أهل الأرض أني قهرتهم في كل وجه)^(٧٥).

جهّز الفونسو جيشه على اثر ذلك، ونزل على مدينة افراغه، وأحكم حصاراً طويلاً حولها، فاستجد واليها سعد بن مردنيش بالأمر المرابطي تاشفين بن علي^(٧٦) حتى جهز الأخير الزبير بن عمرو اللمتوني من الحاضرة قرطبة ومعه ألف فارس، وسير معه ميره كثيرة الى مدينة افراغه وكان يحيى بن غانية والي مرسية وبلنسية من شرق الاندلس الذي جهز خمسمائة فارس، كما جهّز عبدالله بن عياض والي لاردة القطلونية قوة من مائتي فارس، وكان الفونسو المحارب وجميع من معه اثني عشر ألف فارس^(٧٧).

في سنة ٥٢٨هـ/١١٣٤م^(٧٨)، وقيل سنة ٥٢٩هـ/١١٣٥م^(٧٩)، اشرف يحيى ابن غانیه على مدينة افراغه، وجعل الزبير بن عمرو امامه وابن غانیه أمام الميرة وابن عياض امام ابن غانیه، وكذلك جميع من معه، واما الفونسو فقد أدركه العجب وسرح جزءاً كبيراً من جيشه، فلما قربوا من المسلمين حمل عليهم ابن عياض وكسرهم، ورد بعضهم على بعض وقتل فيهم والتحم القتال، وجاء الفونسو بنفسه وعساكره جميعاً مندهشين لكثرة وشجاعة جيش المسلمين، فحمل ابن غانیه وابن عياض في صدورهم واشتد الأمر بينهم وعظم القتال وكثر القتل في جيش الفونسو، وخرج أهل افراغه جميعهم فانصرف الرجال بقتل من وجدوا في العسكر، وانصرف النساء بالنهب وحملوا جميع ما وجدوه هناك الى المدينة من قوت والآلات وسلاح وغير ذلك، وبينما المسلمون وجيش النصارى في القتال حتى هرب الفونسو ملتحقاً بمدينة سرقسطة^(٨٠)، وقيل توفى على اثر هزيمة ومقتل أعداد كبيرة من رجال جيشه^(٨١).

امام هذه الروايات ذكر ابن عذاري^(٨٢) رواية مفادها، بعد وفاة الفونسو المحارب بادر والي افراغه سعد بن مردنیش باحضار الملاء من القسيسين والرهبان وزعماء النصارى، إذ اقروا بالسمع والطاعة له حتى قال لهم ما جزاء من حلّ أمراً ابرمته وفسخ ما كنت أحكمته، ثم عدّ سبعة من عظمائهم وزعمائهم، إذ قالوا حكمك ولا اعتراض عليك، فأمر أولئك من احضار الاسلاب فلما كمل أمر بضرب اعناقهم وصرف ذلك السلب الى اربابهم، بعد المهادنة التي عقدت بين أبي بكر يحيى بن علي بن غانیه عامل بلنسية ومرسيه وبين ردميراخ الفونسو المحارب ملك اراغون سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م.

في سنة ٥٣٠هـ/١١٣٦م، استغل يحيى ابن غانیه انتصار معركة افراغه القطلونية، لاسيما بعد وفاة الملك الفونسو المحارب مستخلفاً ردميرا الراهب وانتهاء المعاهدة السابقة الذكر بين الأخير وبين ابن غانیه حتى اتفق الأخير مع والي افراغه سعد بن مردنیش على حصار مدينة مكناسة، لاسيما بعدما (احس بنفاد القوت في

مكناسة أحد حصون شرق الاندلس استدعى من طرطوشة ولاردة والحصون المجاورة لهم فنازل مكناسة وصار بذلك الى يحيى بن علي بن غانية^(٨٣)، ولما حاولت قافلة محملة بالمؤن والميرة من سرقسطة امداد المحاصرين، دبّ الرعب في قلوبهم فتركوا الميرة وفروا بانفسهم بسبب رؤية اصحابها لابن غانية، ثم قرر والي المدينة التسليم وطلب الامان، فوافقه ابن غانية بالخروج من المدينة نازلاً بها ومصطحباً معه اتباعه بعدما اخضع كل قلاع وحصون المنطقة^(٨٤).

يخبرنا بعض الباحثين^(٨٥) عن تطورات هامة امتدت ما بين سنة ٥٣٢ - ٥٣٨هـ/١١٣٧ - ١١٤٣م، ساهمت في رسم الجغرافية السياسية لقطلوونية وهي:

١. ففي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٧م، تقرر تزويج رامون برنجير الرابع ملك قطلوونية بالأميرة بترونييلية وارثه مملكة اراغون، ولما خلع دون راميرو الثاني الراهب (٥٢٩-٥٣٢هـ/١١٣٤-١١٣٧م)، نفسه من ملك اراغون، واختار الرهبانية بايع اهل اراغون رامون برنجير الرابع ملكاً عليهم حتى قامت مملكة اراغون وقطلوونية المتحدة، فصارت في يده قوة عظيمة وبموافقة ملك قشتالة وتأييدها، وما كان ذلك المشروع إلا من عوامل الانسجام والنجاح لتجاوز الشعبين الارغواني والقطلووني وتقاربهما في العادات والتقاليد، ولّقّب ملك برشلونة بعد ذلك كونت برشلونة وامير اراغون.

٢. وفي سنة ٥٣٥هـ/١١٤٠، عقدت معاهدة صلح بين ملك نافار غرسية راميرس أو راميرث (٥٢٩-٥٤٥هـ/١١٣٤-١١٥٠ م)، وبين الفونسو السابع ملك قشاله، ويقضي بأن يعترف ملك نافار بسيادة الفونسو السابع، وان تتزوج الأميرة بلانكا ابنة ملك نافار من الأمير سانشو ابن ملك قشاله، وان تسلم نظراً لصغرهما الى الفونسو السابع حتى تربي وتكبر في بلاد قشالة، غير ان هذا التصرف لم يرق ملك قطلوونية، وسخط الشعب الارغواني على ملك قشاله لأن لم يحسب حساب

الاتفاق السابق بين الأخير وبين ملك قطلونية واراغون رامون برنجير الرابع، ويقضي بتحالفهما على محاربة غرسيه ملك نافار، واقتسام اراضي نافار، وتنفيذا لهذا الاتفاق زحف الملك رامون برنجير الرابع بقواته على نافار من ناحيتها الجنوبية، وكان غرسيه راميرس اعقل من ان يغامر بالدخول في معارك حاسمة مع القوات القشتالية، فلجأ الى رجال الدين في طلب الانجاد بالمفاوضة وعقد الصلح.

٣. في سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م، قرر ملك قطلونية رامون برنجير الرابع ان يشهر الحرب ضد مملكة نافار من جديد بقوات قطلونية واراغون حتى وقعت الحرب بين الطرفين من جديد، لكن ملك نافار غرسيه انتصر على قوات رامون برنجير الرابع، إذ توغل في اراضي اراغون ومن ثم استولى على حصون عدة من البلاد، ولهذا اخذ يفكر في خلع طاعته لملك قشتاله الفونسو السابع، لاسيما وان الأخير قد خشى عاقبة هذا الانتصار الذي حققه ملك نافار غرسيه، إذ سار في قواته لمساعدة الملك القطلوني رامون برنجير حتى زحفت قواتهما المشتركة على مملكة نافار مرة أخرى، الأمر الذي أجبر ملك نافار بالطاعة والتسليم والشاهد في هذا إخلاء سائر الأماكن والحصون التي استولى عليها من اراغون، وعقد الصلح بين الطرفين من جديد، ثم اتفق أن يتزوج ملك نافار غرسيه، الذي توفيت زوجته منذ أعوام بالأميرة اوراكا ابنة ملك قشتاله، وعقد هذا الزواج الملكي في حفلات باذخة، ووضع بذلك حد للنزاع بين نافار وجارتيهما اراغون وقشتالة.

قطلونية دراسة في أحوالها السياسية والعسكرية في عصر الموحدين

(٥٤٠ - ٦٢٠ هـ / ١١٤٥ - ١٢٢٣ م)

جاز محمد بن تومرت المهدي مؤسس دولة الموحدين البحر الى الأندلس منذ سنة ٥٠١ هـ / ١١٠٨ م، حتى وقعت واستمرت منذ سنة ٥١٦ هـ / ١٢٣ م، الاشتباكات بين

الموحدين والمرابطين، إذ بلغت تسع غزوات متوالية كانت كلها ضد المرابطين إلا واحدة منها^(٨٦) (فانتشر أمر المهدي بجميع بلاد المغرب والاندلس، وقسم الغنائم التي غنموا من عسكر لمتونة على الموحدين)^(٨٧)، حتى توفي سنة ٥٢٤هـ/١١٣٠م، ثم جاءت خلافة المهدي الى عبد المؤمن بن علي واستمرت الحروب بين عبد المؤمن والمرابطين من يوم بويق الى ان توفي علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي وولي بعده تاشفين بن علي^(٨٨).

تطلع عبد المؤمن بعد ذلك الى السيطرة على قواعد المرابطين في الأندلس، وكان آخر عام ٥٣٨هـ/١١٤٤م، وبداية عامة ٤٣٩هـ/١١٤٥م، بمثابة مرحلة الحسم في حياة دولة المرابطين، إذ تعد مرحلة الدور العلني للثورة^(٨٩) ساعدهم على تحقيق هذا الهدف سوء الاوضاع في الاندلس، فقد اجتاحت البلاد في هذه الفترة التي تمكن عبد المؤمن من القضاء على قوة المرابطين في المغرب ثورات جامحة ضد المرابطين وبدأ عهد جديد من دويلات الطوائف فيما تبقى من دولة الإسلام في الاندلس الى جانب مقتل تاشفين بن علي المرابطي، فقد كان اكبر حافز للعناصر الثائرة في هذه الآونة بالأندلس لكي تتصل بالموحدين، لاسيما وان النصاري تكالبوا على الأندلس^(٩٠).

تتوضح أحداث عصر الموحدين في بلاد قطلونية منذ سنة ٥٤٢هـ/١١٤٧م، حينما اشترك ملك برشلونة رامون بيرنجير الرابع مع القوات الايطالية والممالك الاسبانية للهجوم على مدينة المرية للقضاء على المجاهدين الذين يخرجون من المرية للإغارة على شواطئ جليقية واشتوريش وبرشلونة وشواطئ غالة وايطاليا الجنوبية^(٩١)، إذ سقطت المدينة وقد استعادها الموحدون بعد ذلك، كان هذا التوفيق الذي حالف ملك برشلونة رامون عاملاً شجع الاخير على الاستحواذ على ما بقي بأيدي المسلمين في الشجر الاعلى، ففي سنة ٥٤٣هـ/١١٤٨م، سقطت طرطوشة في يد رامون ملك برشلونة، وقد تعاون مع أسطول جنوة في حصارها التي تعتبر مفتاح نهر الايبرو، إذ تغلق البحر في

وجه السفن الارغونية، ويخرج منها المجاهدون من رواد الحملات البحرية التي تهاجم شواطئ الدول النصرانية المجاورة^(٩٢).

في سنة ٥٤٤هـ/١١٤٩م، هاجمت القوات المتحالفة بقيادة الملك رامون برنجير مدينة لاردة القطلونية بعد ذلك بشهور قليلة، فسقطت في أيدي المهاجمين تبعثها سقوط مدينتا افرغه ومكناسة في نفس اليوم^(٩٣) (ولم يبق للمسلمين في تلك الجهات شيء إلا واستولى الفرنج على جميعه لاختلاف المسلمين بينهم، وبقي بأيدهم الى الآن)^(٩٤).

يكاد يتفق بعض الباحثين^(٩٥) بأن الاسبان انتهزوا فرصة صداقتهم مع محمد بن سعيد بن مردنيش والي شرق الاندلس وزعيم الثورة فيها ضد المرابطين، فهاجموا مدينة طرطوشة القطلونية، لاسيما وان ابن مردنيش كان على ارتباط برباط الصداقة والمهادنة مع ملك برشلونة رامون، وهذا يحول دون أية محاولة لانقاذ هذه المدن، إذ من الواضح ان ابن مردنيش كان لا يستطيع ان ينصرف الى توطيد سلطانه في تلك المنطقة الشاسعة إلا إذا امن جانب النصارى، وهم جيرانه من الشمال والغرب واستطاع بذلك الى محاربة الموحيدين، فقد رأى ان تكون مسالمة الممالك النصرانية، شعاره الذي لا يحيد عنه، وان يعقد معها التحالف كلما ساحت بذلك الفرص، إذ ان أية محاولة لانقاذها كانت كفيلة بأن تضعف بل وتفسد علاقاته مع الممالك الاسبانية، الى جانب هذا فان هذه القواعد التي استولى عليها النصارى تابعة للشجر الأعلى سرقسطة، ولهذا فأنها أصبحت بعد سقوط سرقسطة تابعة على نحو اسمى لولاية بلنسية، ومن هنا فان ابن مردنيش لم يحرك ساكنا إزاء هذه الهجمات النصرانية، لاسيما تجاه مدينة طرطوشة ولاردة القطلونية.

فضلاً عن ذلك، كان محمد بن مردنيش في هيئته ولباسه وسلاحه أقرب الى نصارى شبه الجزيرة منه الى مسلميها، وكان يتكلم لغاتهم الاسبانية والقطلونية بطلاقة، وكان الكثير من رجاله وجنده نصارى، بل واعطى واحداً منهم هو Pedro Ruiz de Azagra مدينة شنتمرية الشرق اقطاعاً وسمح له بان يقيم فيها اسقفية، وكان هو نفسه

حليفاً وفصلاً لملك قشتالة وبرشلونة، ويسمى في المراجع النصرانية باسم لب Lobo أو Lope الملك لب Elreylobo^(٩٦).

تبدلت العلاقات بين الجانب الاسباني والوالي ابن مردنيش، إذ لم تلبث ان شابتها خلافات ما بين سنة (٥٥٢-٥٦٧هـ/١١٥٧-١١٧٢م)، ففي سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م)، أكد النص التاريخي بأن رامون برنجير الرابع ملك قطلونية وارغون قد اصدر مرسوماً يمنح بمقتضاه الفرسان الاستبارية عشر أراضي المسلمين التي يوفقوا في الاستيلاء عليها، كما توجد وثيقة اخرى بتاريخ سنة ٥٥٣هـ/١١٥٨م، تنص على ان الصلح والذي كان قائماً بين ابن مردنيش ورامون لم يعد ساري المفعول، كما ان البابا اديانو الرابع اصدر مرسوماً بابوياً موجهاً الى اسقفي طركونة القطلونية واربونة يهدد فيها بالحرمان كل من يقدم على ازعاج رامون في هذه الظروف، وقد استمرت القطيعة بينهما عامين، فقد تعهد ابن مردنيش في سنة ٥٥٤هـ/١١٥٩م، بموجب ماورد في وثيقة ثوريتا التزامه بدفع جزية سنوية ثابتة الى رامون ملك برشلونة والفونسو السابع ملك قشتالة قدرها (١٠٠) مثقال من الذهب وتنازله امام رامون عن اراضي جديدة^(٩٧).

في سنة ٥٦٠هـ/١١٦٥م، وبعد وفاة ملك برشلونة رامون الرابع حتى خلفه الفونسو الثاني ملك ارغون الذي ارسل قوات قطلونية للاشتراك في حربهم ضد محمد بن سعد بن مردنيش في معركة فحص الجلاب على مقربة من مرسية مات فيها احد القطلان يدعى Guitten De Pugonto وعدد كبير من الفرسان النصاري وانهزام ابن مردنيش وتشتت قواه، فاسرع لاجئاً الى مرسية بعد ما حطمت هذه الهزيمة قواه^(٩٨).

في سنة ٥٦٧هـ/١١٧٢م، سقطت لارده القطلونية بخيانة محمد بن سعد بن مردنيش بعدما قام على المرابطين يعاونه في ذلك صهره ابراهيم بن همشك^(٩٩)، ولعوامل توضح أسباب اضمحلال قوة ابن مردنيش^(١٠٠) حتى وفاته في السنة نفسها وإعلان أبو القمر هلال بن مردنيش طاعته للموحدين ودخول قواعد شرق الاندلس تحت سيطرة

الموحدين^(١٠١)، على الرغم من الانتصار الذي حققه ابن قاسم قائد أسطول ابن مردنيش الذي قام بمداخلة القوات البحرية القطلونية، إذ أنتصر عليها وهزمها واحرق عدداً كبيراً منها، بعدما استولى الفونسو الثاني ملك ارغون على مواقع وحصون متاخمة لحدود قطلونية^(١٠٢).

كما وردت إشارات توضح تعرض قطلونية الى غارات وحملات في سنة ١١٧٩هـ/١١٧٩م، عندما هاجم الاسطول الميورقي مدينة جرنده القطلونية حتى قتل من بها واستاق ماتبقى منهم أسرى الى ميروقه، كما سار قائد الاسطول الموحي سنة ١٢١١هـ/١٢١١م، وفي جميع وحدات الاسطول الموحي الى مياه برشلونة واغار على سواحل قطلونية، واستطاع أن يحرز انتصاراً ساحقاً على أسطول ملك أرغون حتى انزل به خسائر فادحة مستولياً على كثير من الاموال والغنائم^(١٠٣).

وفي سنة ١٢٢٣هـ/١٢٢٥م، ظهرت في مياه يابسة سفينة برشلونية وأخرى من طرطوشة أنضمت اليها، فغضب والي الجزيرة، وبعث ولده في عدة قطع بحرية حتى استولى على السفينة البرشلونية، فلما وقف الروم على ما حدث استشاطوا غضباً، واهابوا بملكهم أن يقوم بغزو الجزيرة وعرضوا عليه أن يتطوعوا بأنفسهم وأموالهم، فأخذ عليهم العهد بذلك، وجمع عشرين الفا من أهل البلاد، وجهاز في البحر ستة عشر ألفاً آخرين اشترط عليهم حمل السلاح وتم ذلك سنة ١٢٢٦هـ/١٢٢٩م^(١٠٤).

تميزت العلاقات القطلونية مع الامارات النصرانية القائمة آنذاك خلال الحُقب اللاحقة بمنافع سياسية وعسكرية أحياناً واقتصادية ودينية أحياناً أخرى، ففي سنة ١٢٢٨هـ/١٢٢٨م، وافق مجلس البلاط القطلوني في برشلونة لفتح مدينة ميورقه بناءً على طلب ملك ارغون جاقمة (خايمي الاول)، لتأمين تجارة قطلونية في بحر الروم الى جانب امتيازات اقتصادية أخرى، يضاف الى هذا ما حدث في سنة ١٢٢٧هـ/١٢٢٩م، عندما تمكنت سفن القطلان أأرسو ليلاً في خليج ميورقه حتى سيطر النصارى تماماً على

المدينة، فضلاً عن هذا ما حدث خلال سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م، عندما وافق القطلان على تحصيل ضريبة الماشية لتمويل مشروع ملك اراغون جاقمة من أجل الخروج بقواته شمالاً والهجوم على بنشكله وطرطوشة حتى عاث في أراضيها^(١٠٥)، وأخيراً ففي سنة ٦٣١هـ/١٢٣٤م، وافق ملك اراغون جاقمة على تتصيب الاسقف جيرمودي مونتجري قديس جرنده والمرشح لاسقفية طركونه القطلونية في الكرسي الرسولي لنفس المدينة تحت سيادة مملكة اراغون مع منحه إيراداتها واقطاعه جزيرة يابسه للكنيسة بعد افتتاحها، ولهذا عقد في طركونه في سنة ٦٣٥هـ/١٢٣٨م، اجتماع أُنق في القديس جيرمودي مع الامير البرتغالي بدرو على افتتاح جزيرة يابسة^(١٠٦).

وهكذا أنتهى الحكم والوجود الإسلامي على قطلونيه لهذه الحقبة التاريخية من دراستنا.

الخاتمة

تبين لنا أهم النتائج التي انتهت بها دراستنا في هذا البحث عن طبيعة الأحوال السياسية والعسكرية لقطونية خلال حقبة التاريخية الممتدة من نهاية عصر الخلافة الى نهاية عصر الموحدين ويمكن إيجازها بالمضامين الآتية:-

(١) كان للتطورات السياسية والعسكرية وما رافقها من عمليات وسعت أو قلصت من الحجم الجغرافي لقطونية المتمثل بمدنها طرطوشه، لارده، طركونه، وجيرونه، وأخيراً قاعدتها برشلونة مع بروز أهمية مدينة على حساب مدن قطونية الأخرى أحياناً لظروف معينة.

(٢) نالت دراسة مدن قطونية اهتمام الباحثين في دراستها والإلمام بمعلومات كافية تزيد من كثافة المادة العلمية المنصبة في دراسة التاريخ السياسي والعسكري الاندلسي، وبالتالي ساعدت على تقديم حقائق أكبر تتعلق بها.

(٣) لا تقل أهمية العمليات العسكرية لقطونية خلال هذه الحقبة التاريخية من دراستنا عن أهمية العمليات العسكرية التي سبقتها خلال العصور السابقة من تاريخها ساعدت أحياناً على خلق الاستقرار والسكن الإسلامي في مدنها.

(٤) محاولات الإفرنج بقيت مستمرة كما كانت خلال العصور السابقة الرامية في الاستحواذ على مدن قطونية الواحدة بعد الأخرى وانتزاعها من أيدي المسلمين.

ملحق (١)

مدن وقرى وانهار وحصون قطلونية

المدن	القرى والبلدات	الأنهار	الحصون
برشلونة	بادلوانة	الابرو	مكناسة
			بلغى
			مدنيش
طركونة	اوكتا	لوبريقات	
طرطوشة	بروتو	تير	ممقصر
			طوابة
جيرونة	ساغنت	فلوفية	ترافيرا
			بليارش
لاردة	قمرلة	أونيار	مولة
			اوريوالة
انبوريش	فيك	فرنكولي	روطة
امبوردانية			قشتيل شنت
	ريبول	غاية	ايلاس
روزاس			لحرونفة
ارقلة	اولوت	علان	مطرنيش
أوزونة			الدالية
سولسونة	كستلفوليت	الزيتون	مولشة
			أوره
	قربين	سنبردة	بنشكلة
			مريبطر
		نقيرة	مره
			منتشون

البيضاء	سيغري	افراغة	
الرشد			
قلزنج		ارفونة	
سان فرنندو			
غلثير		سيردينة	
غيران		ريبول	
		أوكانا	

عمل الباحثة اعتمادا على معلومات نصوص المصادر الجغرافية والتاريخية الأندلسية ومنها:-

العذري ابن الدلائي، ترصيع الأخبار، ص ٥٦؛ البكري القرطبي، جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ٦٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مج ٢، ص ٧٣٤؛ ابن الشباط، صلة السمط وسمة المرط، ص ١٢٢-١٢٣؛ الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص ٥٧٠؛ ارسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، ج ٢، ص ٢٨٤؛ عبد الحليم، رجب محمد، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النصرانية، ص ٢٦٥، بني ياسين، يوسف أحمد، بلدان الأندلس عند ياقوت الحموي الجغرافية، ص ٥٦٨.

- (١) البهادلي، سعاد هاشم، قطلوونية دراسة في أحوالها العامة من الفتح الى سنة ٤٢٢هـ/١٠٣٠ م، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية-ابن رشد، بغداد، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ملحق رقم ١، ص ٣٤٣-٣٤٤.
- (٢) المراكشي، عبد الواحد (ت ٦٤٧هـ/١٢٤٩م)، المعجب في تلخيص اخبار المغرب (من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين مع بيان ما يتصل بتاريخ هذه الفترة من اخبار الشعراء واعيان الكتّاب)، تحقيق: محمد سعيد العريان، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ج ١، ص ١٢٣.
- (٣) الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الاندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (٩٢-٨٩٧هـ/٢٧١١-١٤٩٢م)، دار القلم، بيروت، بلا ٠ ت، ص ٣٢٣.
- (٤) ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد المراكشي (كان حياً سنة ٧١٢ هـ/١٣١٢م)، البيان المغرب (تاريخ أفريقيا والمغرب من الفتح الى القرن الرابع الهجري)، تحقيق ومراجعة: كولان وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م، ج ٣، ص ٢٢١-٢٢٢؛ مؤنس، حسين، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، ١٩٨٠ م، ص ٤٢٤.
- (٥) ابن عذاري، م. السابق، ج ٣، ص ٢٢٣-٢٢٤؛ حتاملة، محمد عبده، الاندلس: التاريخ والحضارة والمحنة (دراسة شاملة)، الاردن، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠ م، ص ٥٠٧؛ الياسري، عبد الكريم خيطان حسن، دولة بني هود في سرقسطة (٤٣١-٥٣٤هـ/١٠٣٩-١١٣٩)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية التربية-ابن رشد، بغداد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص ٣٣.
- (٦) ابن عذاري، م. السابق، ج ٣، ص ٢٢٤.
- (٧) م. ن، ج ٣، ص ٢٢٤؛ حتاملة، م. السابق، ص ٥٠٧-٥٠٨.
- (٨) ابن عذاري، م. السابق، ج ٣، ص ٢٥٠؛ حتاملة، م. السابق، ص ٥٠٨؛ مؤنس، الثغر الأعلى، الاندلسي في عصر المرابطين، بحث منشور في مجلة كلية الآداب، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٤٩ م، مج ١١، ج ٢، ص ١٠١.
- (٩) ابن عذاري، م. السابق، ج ٣، ص ٢٢٤-٢٢٥.
- (١٠) ابن الخطيب الغرناطي، لسان الدين محمد بن عبدالله السلماني (ت ٧٦٦هـ/١٣٧٤م)، أعمال الاعلام في من بويق قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بلا-ت، ص ١٧٣.
- (١١) ابن عذاري، م. السابق، ج ٣، ص ٥٥؛ السامرائي، خليل ابراهيم، علاقات المرابطين بالممالك الاسبانية بالاندلس وبالدولة الإسلامية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص ٥١.

(١٢) ارقلة Urget: انقسم الثغر القوطي وهو الاطراف الاسبانية لمملكة الافرنجة بعد وفاة شارلمان كبير وابن زعيم البلاط الكارولنجي (١٥١-١٩٩هـ/٧٦٨-٨١٤م)، الى امارات عدة أهمها: امارة ارقلة، رينو، جوزيف، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وايطاليا وجزائر البحر المتوسط، ترجمة: شكيب ارسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، بلا-ت، هامش ص ٣٥؛ السامرائي، م. السابق، ص ٣٢ و ص ٤٢.

(١٣) البكري القرطبي، ابو عبيد الله بن عبدالعزيز (ت ٤٨٧هـ/١٠٩٢م)، جغرافية الاندلس واوروبا (منتخبة من كتابه المسالك والممالك)، تحقيق: عبدالرحمن علي الحجي، ساعد المجمع العلمي العراقي على نشره، دار الارشاد، بيروت، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م، ص ٩٧ وهامش المحقق؛ عبد الحليم، رجب محمد، العلاقات بين الاندلس الاسلامية واسبانيا النصرانية في عصر أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري، القاهرة، بلا-ت، ص ٣١٧.

(١٤) اشباح، يوسف، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة وعلق عليه: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م، ج ١، ص ٢٨-٢٩.

(١٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمود (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج ٤، ص ٢١١-٢١٢؛ السامرائي، م. السابق، ص ٥١.

(١٦) ابن عذاري، م. السابق، ج ٣، ص ٣٢٣؛ عنان، محمد عبدالله، دولة الإسلام في الاندلس (دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي)، مكتبة الخانجي، مصر، ط ٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، العصر الثاني، ص ٢٨١.

(١٧) ابن الخطيب الغرناطي، م. السابق، ص ١٧٣.

(١٨) ابن عذاري، م. السابق، ج ٣، ص ٥٥؛ حاملة، م. السابق، ص ٥١٣.

(١٩) ابن الكردبوس، عبدالملك التوزري (ت ٥٧٣هـ/١٧٧١م)، الاكتفاء في اخبار الخلفاء (القسم الخاص بالاندلس)، تحقيق: احمد مختار العبادي، منشور في صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥-١٩٦٦م، ص ٨٦ وهامش المحقق؛ المقريء، احمد بن محمد التلمساني (١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج ١، ص ٤٤١.

(٢٠) للمزيد من التفاصيل. ينظر: عنان، م. السابق، العصر الثاني، ص ٢٠١ و ص ٢٠٣؛ الياسري، م. السابق، ص ٤٤-٤٥.

(٢١) ابن خلدون، م. السابق، ج ٤، ص ١١؛ السامرائي، م. السابق، ص ٤٩-٥٠.

- (٢٢) ارسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، بيروت بلا-ت، ج ٢، ص ٢١٧.
- (٢٣) تشركو، كليليا سارنللي، مجاهد العامري (قائد الأسطول العربي في غربي البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري)، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٦١م، ص ٢٦٨.
- (٢٤) ابن عذاري، م. السابق، ج ٣، ص ٢٥٧ و ص ٢٨٦-٢٨٧.
- (٢٥) ابن الخطيب الغرناطي، م. السابق، ص ١٥٩.
- (٢٦) ابن الابار البنلسي، ابو عبدالله محمد بن عبدالله بن ابي بكر القضاعي (ت ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، الحلة السيرة، تحقيق: حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م، ج ٢، ص ١٢٠-١٢١؛ المراكشي، م. السابق، ج ١، ص ١٨١.
- (٢٧) المراكشي، م. السابق، ج ١، ص ١٨٢.
- (٢٨) ابن الابار البنلسي، م. السابق، ج ٢، ص ١٢٣-١٢٤؛ المراكشي، م. السابق، ج ١، ص ١٨١-١٨٢؛ عنان، م. السابق، العصر الثاني، ص ٦٥ و ص ١٨٠.
- (٢٩) يعرف باسم رزريق، والكنيبطور أو الكمبيطو (Elcid Campeador) الفارس المغامر القشتالي، تولى خدمة بني هود، وترجع تسميته بالسيد لان بني هود امره على جيشهم، فكان افرادهم ينادونه (بيا سيدي) وقلدهم في ذلك جنده من النصاري، فصاروا يخاطبونه بميوثيد (Miocid) أي يا سيدي، فلزمته هذه التسمية من ذلك الحين واشتهر بها في التاريخ، ابن الابار البنلسي، م. السابق، ج ٢، ص ١٢٥ هامش المحقق؛ مؤنس، السيد الكمبيطو وعلاقاته بالمسلمين، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية، ١٩٥٠م، مج ٣، العدد الأول، ص ٧١.
- (٣٠) ابن بسام الشنتريني، ابو الحسين علي (ت ٥٤٢هـ/١١٤٨م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: سالم مصطفى البديري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج ٣، ص ٥٨-٥٩؛ ارسلان، م. السابق، ج ٣، ص ٥٣.
- (٣١) روطه Roda: فاما روطه Rota فهي ضيعه بساحل مدينة شريش على بحر الظلمات (المحيط الاطلسي)، وهي غير روطه Rueda الثغر الاعلى، إذ تقع شمالي منتشون على نهر الزيتون في بليارش البرشلونية. ابن الابار البنلسي، م. السابق، ج ٢، ص ٢٣٩ و ص ٢٤٦ هامش المحقق؛ السامرائي، الثغر الاعلى الاندلسي (دراسة في أحواله السياسية (٩٥-٣١٦هـ/٧١٤-٩٢٨م)، مطبعة اسعد، بغداد، ١٩٧٦م، هامش ص ٣٥٦.
- (٣٢) عنان، م. السابق، العصر الثاني ص ٢٨٥.
- (٣٣) السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٦٦-٦٧.

- (٣٤) ابن الكردبوس، م. السابق، ص ٨٦؛ ابن عذاري، م. السابق، ج ٤، ص ٥٥، حتاملة، م. السابق، ص ٥١٤؛ الحجي، م. السابق، ص ٤٠١.
- (٣٥) ابن بسام الشنتريني، م. السابق، ج ٣، ص ٥٩؛ لين، بول، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة: علي الجارم بك، مطبعة المعارف، مصر، بلا-ت، ص ١٧٨؛ عنان، م. السابق، العصر الثاني، ص ٢٣٧ و ص ٢٨٧.
- (٣٦) عبد الحليم، م. السابق، ص ٣١٨؛ اشباخ، م. السابق، ج ١، ص ١٤٣.
- (٣٧) هذا الحصن يسمى بالاسبانية Aledo وتسمية الرواية العربية حصن لبيط أو الليبط، وهو حصن حصين يقع على رأس جبل شاق، وقد كان من الحصون النصرانية المنيعة الواقعة بين لورقة ومرسية بينه وبين لورقة نصف يوم، وقيل من اعمال لورقة. ابن الابار البلنسي، م. السابق، ج ٢، ص ٨٦ وهامش المحقق؛ ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة في اخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبدالله عنان، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣ م، مج ١، ص ١٤٨ هامش المحقق؛ مؤلف مجهول (من أهل القرن ٨ هـ/١٤ م)، الحل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق: سهيل زكار وعبدالقادر بوباية، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م، ص ٦٧.
- (٣٨) السامرائي، علاقات المرابطين، ص ١٨٠؛ مؤنس، السيد القمبيطور، ص ٥٦.
- (٣٩) ابن الكردبوس، م. السابق، ص ٩٩-١٠٠ وهامش المحقق.
- (٤٠) للمزيد من التفاصيل. ينظر: ابن الابار البلنسي، م. السابق، ج ٢، ص ٩٨-٩٩؛ ابن عذاري، م. السابق، ج ٤، ص ١١٢-١١٣ و ص ١١٤؛ ابن خلدون، م. السابق، ج ٦، ص ٤٨؛ الحجي، م. السابق، ص ٣٩١؛ مؤنس، السيد القمبيطور، ص ٥٥.
- (٤١) الزلاقة Sagrajas: وفي المصادر النصرانية سكرالياس Sacralias، بطحاء الزلاقة من اقليم بطليرس من غرب الاندلس. ابن الكردبوس، م. السابق، ص ٩٣ وهامش المحقق؛ الحميري، ابو عبدالله محمد بن عبدالله ابن عبدالمنعم (ت حوالي ٧١٠ هـ/١٣١١ م)، الروض المعطار في خبر الاقطار، تحقيق: احسان عباس، مطابع هيدلبرغ، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤ م، ص ٢٨٧-٢٨٨.
- (٤٢) ابن ابي زرع، ابو الحسن علي بن عبدالله (ت ٧٤١ هـ/١٣٤٠ م)، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، ١٩٧٢ م، ص ١٦٩.
- (٤٣) عنان، م. السابق، العصر الثالث، ق ١، ص ١١٦؛ اشباخ، م. السابق، ج ١، ص ١٠٧.
- (٤٤) م. ن، العصر الثالث، ق ١، ص ١١٦-١١٧.
- (٤٥) ابن عذاري، م. السابق، ج ٤، ص ٣٤.
- (٤٦) م. ن، ج ٤، ص ٣٤-٣٥؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ١٨٤.

(٤٧) ابن أبي زرع، م. السابق، ص ١٦٠-١٦١؛ حسين، حمدي عبدالمنعم محمد، التاريخ السياسي والحضاري للمغرب والاندلس في عصر المرابطين، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٧م، ص ٢١٥؛ مؤنس، الثغر الاعلى، مج ١١، ج ٢، ص ١١٢.

(٤٨) ابن أبي زرع، م. السابق، ص ١٦١.

(٤٩) ابن الأبار البلبسي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبدالسلام الهراس، دار الفكر للطباعة، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج ١، ص ٣٤؛ ابن عذاري، م. السابق، ج ٤، ص ٦١ هامش المحقق.

(٥٠) حسين، م. السابق، ص ٢١٦؛ مؤنس، الثغر الاعلى، مج ١١، ج ٢، ص ١١٢.

(٥١) دولة الاسلام، العصر الثالث، ق ١، ص ٤٩٩-٥٠٠.

(٥٢) ابن أبي زرع، م. السابق، ص ١٦١.

(٥٣) ابن عذاري، م. السابق، ج ٤، ص ٦١؛ حسين، م. السابق، ص ٢١٦؛ مؤنس، الثغر الاعلى، ص ١١٣-١١٤.

(٥٤) ابن الكردبوس، م. السابق، ص ١٢٢؛ ابن القطان المراكشي، ابو محمد حسن بن علي بن محمد بن عبدالملك (ت: منتصف القرن ٧ هـ/١٣ م)، نظم الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان، تحقيق: محمود علي مكي، دار الغرب الاسلامي، ط ٢، بلا-ت، ص ٢٤٠ هامش المحقق، السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٢٤٠ هامش المحقق؛ ابن خلدون، م. السابق، ج ٦، ص ٢٥١.

(٥٥) الحميري، م. السابق، ص ٥٦٧؛ القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الاعشى في صناعة الانشا، القاهرة، ١٣٣٣هـ/١٩١٥م، ج ٥، ص ٢٥٦.

(٥٦) ابن الكردبوس، م. السابق، ص ١٢٢-١٢٣ و ص ١٢٤؛ القلقشندي، م. السابق، ج ٥، ص ٢٥٧.

(٥٧) ابن الكردبوس، م. السابق، ص ١٢٣؛ ابن القطان، م. السابق، ص ٢٤٠ هامش المحقق؛ الحميري، م. السابق، ص ٥٦٧؛ ابن خلدون، م. السابق، ج ٦، ص ٢٥١.

(٥٨) طولوشة Toulouse: وهي مدينة تقع في جنوبي غالة ويسمىها قسم من المؤلفين العرب: طليوشة، تولوز، تولوشة، وطولوز. البكري القرطبي، م. السابق، ص ٦٠؛ رينو، م. السابق، ص ١٣؛ الخطاب، محمود شيت، قادة فتح الاندلس، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، مج ١، ص ٧٩.

(٥٩) عنان، م. السابق، العصر الثالث، ق ١، ص ٥٠٠.

(٦٠) ابن عذاري، م. السابق، ج ٤، ص ٦٦.

(٦١) م. ن، ج ٤، ص ٦٦.

(٦٢) ابن الابار البلسني، الحلة السيرة، ج ٢، ص ١٩٣ هامش المحقق؛ ابن عذاري، م. السابق، ج ٤، ص ٦٢.

(٦٣) قلعة حمير Gastell dasens: من اعمال لاردة، وتقع في سهل مرتفع محاط ببعض التلال الصغيرة. ابن الكردبوس، م. السابق، ص ١٢٢-١٢٣ وهامش المحقق.

(٦٤) م. ن، ص ١٢٣ هامش المحقق.

(٦٥) افراغه Fraqa: من مدن لاردة القطلونية، وهي شبيهة بالحصن يوجد بها حصن منيع لا يرام. الادريسي، ابو عبدالله محمد بن عبدالله (ت ٥٦٠هـ/١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، مج ٢، ص ٧٣٣؛ الحميري، م. السابق، ص ٤٨.

(٦٦) ابن القطان، م. السابق، ص ١٥٢-١٥٣؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٢٥٩؛ ابو الفضل، محمد احمد، شرق الاندلس في العصر الاسلامي (منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها ٣٤٤-٤٨٤ هـ/٩٥٥-١٠٩١ م)، الهيئة المصرية للكتاب، الاسكندرية، ١٩٨٠ م، ص ٧١-٧٢.

(٦٧) ابن القطان، م. السابق، ص ١٥٣-١٥٤.

(٦٨) ابن الابار البلسني، الحلة السيرة، ج ٢، ص ١٧٨ هامش المحقق.

(٦٩) م. السابق، العصر الثالث، ق ١، ص ٤٩٤ و ص ٥٠٠-٥٠١ و ص ٥٠٢.

(٧٠) م. السابق، ج ١، هامش ص ١٧٥ و ص ١٨٤.

(٧١) ابن الابار البلسني، الحلة السيرة، ج ٢، ص ٢٤٩؛ ابن عذاري، م. السابق، ج ٤، ص ٨٦؛ ابن القطان، م. السابق، ص ٢٦٦.

(٧٢) برشلونة، فيش، مزيسية، جيرنده، سردانية، قرقشونة، بروفانس، وكانت حدودها الغربية تمتد حتى ريباجورسا. عنان، م. السابق، العصر الثالث، ق ١، ص ٥٠١.

(٧٣) مكناسة Mequinenza: من مدن لاردة القطلونية صغيرة شبيهة بالحصن وهي من ثغور الاندلس. الادريسي، م. السابق، مج ٢، ص ٧٣٣.

(٧٤) ابن القطان، م. السابق، ص ٢٤٤؛ ابو الفضل، م. السابق، ص ٧٦؛ مؤنس، الثغر الاعلى، ص ١١٨-١١٩.

(٧٥) ابن القطان، م. السابق، ص ٢٤٥.

(٧٦) للمزيد من التفاصيل، ينظر: ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، مج ٢، ص ١٢١؛ ابن القطان، م. السابق، ص ٢٤٥؛ ابو الفضل، م. السابق، ص ٧٦.

- (٧٧) ابن الاثير، عزالدين ابو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، تحقيق: ابي الفداء عبدالله القاضي، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، مج ٩، ص ٢٨٧؛ ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، مج ٢، ص ١٢١.
- (٧٨) ابن عذاري، م. السابق، ج ٤، ص ٩١.
- (٧٩) ابن القطان، م. السابق، ص ٢٤٤؛ ابن الاثير، م. السابق، مج ٩، ص ٢٨٧.
- (٨٠) للمزيد من التفاصيل. ينظر: ابن الاثير، م. السابق، مج ٩، ص ٢٨٧؛ ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، مج ٢، ص ١٢١.
- (٨١) ابن القطان، م. السابق، ص ٢٣٥.
- (٨٢) م. السابق، ج ٤، ص ٩١-٩٢.
- (٨٣) م. ن، ج ٤، ص ٩٥.
- (٨٤) م. ن، ج ٤، ص ٩٥-٩٦؛ ابو الفضل، م. السابق، ص ٧٨.
- (٨٥) ارسلان، م. السابق، ج ٢، ص ٢٢٠؛ عنان، م. السابق، العصر الثالث، ق ١، ص ٤٩٨ و ص ٥٠٢ و ص ٥٠٥-٥٠٦؛ اشباخ، م. السابق، ج ١، ص ١٨٤.
- (٨٦) للمزيد من التفاصيل. ينظر: ابن القطان، م. السابق، ص ٦٢ و ص ١٦١ و ص ١٨٧؛ ابو الفضل، م. السابق، ص ٤٩ و ص ٥٢-٥٣.
- (٨٧) ابن ابي زرع، م. السابق، ص ١٧٨.
- (٨٨) م. ن، ص ١٨٧؛ ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، مج ١، ص ١٤١.
- (٨٩) للمزيد من التفاصيل. ينظر: ابن الابار البنسي، الحلة السيرة، ج ٢، ص ١٩٨؛ دندش، عصمت عبداللطيف، الاندلس في نهاية المرابطين ومستهل عصر الطوائف الثاني (٥١٠-٥٤٦هـ/١١١٦-١١٥١م)، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٧١-٧٢.
- (٩٠) ابو الفضل، م. السابق، ص ٥٥-٥٦؛ دندش، م. السابق، ص ١٠٣-١٠٤؛ حمودة، علي محمد، تاريخ الاندلس السياسي والعمراني والاجتماعي، دار الكتاب العربي، ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م، ص ٢٨٩.
- (٩١) للمزيد من التفاصيل. ينظر: ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، المغرب في حُلَى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط ٤، بلا-ت، ج ٢، ص ١٩٨؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ص ٤٣٦؛ دندش، م. السابق، ص ١١٣.
- (٩٢) ابن الاثير، م. السابق، مج ٩، ص ٣٥٧؛ ابن الخطيب الغرناطي، الاحاطة، مج ٢، ص ١٢٦؛ ابو الفضل، م. السابق، ص ١٠٣.

- (٩٣) ابن الاثير، م. السابق، مج ٩، ص ٣٥٧؛ مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، ص ٤٣٦؛
ارسلان، م. السابق، ج ٢، ص ٢٢٠.
- (٩٤) ابن الاثير، م. السابق، مج ٩، ص ٣٥٧.
- (٩٥) عنان، م. السابق، العصر الثالث، ق ١، ص ٣٦٧؛ السامرائي، علاقات المرابطين، ص ٢٢٩؛
دندش، م. السابق، ص ١١٥-١١٦؛ ابو الفضل، م. السابق، ص ١٠٣.
- (٩٦) ابن الابار البلنسي، الحلة السيرة، ج ٢، ص ٢٣٣ هامش المحقق.
- (٩٧) م. ن، ج ٢، ص ٢٣٣ هامش المحقق؛ ابو الفضل، م. السابق، ص ١٣١-١٣٢.
- (٩٨) ابن الابار البلنسي، الحلة السيرة ج ٢، ص ٢٦٠ هامش المحقق؛ ابو الفضل، م. السابق، ص
١٣٢.
- (٩٩) للمزيد من التفاصيل. ينظر: ابن صاحب الصلاة، عبد الملك محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم
الباجي (٥٩٤هـ/١١٩٧م)، اليمن بالامامة (تاريخ بلاد المغرب والاندلس في عهد الموحدين)،
تحقيق: عبدالهادي التازي، دار الغرب الإسلامي، ط ٣، ١٩٨٧ م، ص ٣١٢؛ مؤنس، معالم
تاريخ المغرب والاندلس، ص ٤٣٦.
- (١٠٠) للمزيد من التفاصيل. ينظر: ابن صاحب الصلاة، م. السابق، ص ٣١٩؛ ابن الابار البلنسي،
الحلة السيرة، ج ٢، ص ٢٦٨.
- (١٠١) ابن صاحب الصلاة، م. السابق، ص ٣٨٠-٣٨١ و ص ٣٨٢.
- (١٠٢) ابو الفضل، م. السابق، ص ١٣٦.
- (١٠٣) م. ن، ص ١٤٥ و ص ١٨٢-١٨٣.
- (١٠٤) المقرئ، م. السابق، ج ٤، ص ٤٦٨-٤٦٩.
- (١٠٥) أبو الفضل، م. السابق، ص ٢٠٠-٢٠١ و ص ٢٠٦.
- (١٠٦) م. ن، ص ٢٠٣.

الازمات الاقتصادية في الحجاز وأثرها على مستوى المعيشة للفترة من ٦٤٨هـ إلى ٩٢٣هـ ودور الممالك في معالجتها

زبن خلف نواف

جامعة الانبار - كلية التربية للبنات

الملخص

عانت الحجاز من أزمات اقتصادية ومالية خلال فترة الممالك، وكانت لها تأثير على حياة السكان.

وقد تنشأ الازمات الاقتصادية أما لأسباب طبيعية أو بشرية، ومن بين الاسباب الطبيعية إنتشار الاوبئة والامراض التي أثرت على سكانها وثروتها الحيوانية، او إنعدام سقوط الامطار لفترات طويلة، مما يؤدي الى حدوث جفاف، وهذا ينعكس على محاصيلها الزراعية لاعتمادها على الامطار والآبار.

أما الاسباب البشرية منها الفتن والصراعات الداخلية بين حكامها، او تكون صراعات خارجية مما تؤدي الى قطع المؤن عن مدن الحجاز. كل هذه الاسباب تؤدي الى حدوث أزمات اقتصادية ومالية.

وبالرغم من حدوث هذه الازمات إلا أننا نلاحظ أن الممالك كان لهم دور مميز في معالجتها بالقدر المستطاع. فكانت ترسل كميات كبيرة من المؤن الى الحجاز، وبشكل مستمر طيلة فترة حكمهم الذي امتد من ٦٤٨هـ الى ٩٢٣هـ.

Abstract

Hijaz had suffered from economic and financial crises during the Mamluk period, and had an impact on the lives of the population.

There may be economic crises either natural causes or human , and among the natural causes spreading of epidemics and diseases that affected the population and their livestock, or the lack of rainfall for long periods, which leads to drought and this is reflected on the crops of agricultural for their depending on rain and wells.

Whereas the human causes, including dissension and internal conflicts among the rulers, or be external conflicts leading to cut off supplies to the cities of Hejaz, all of these reasons lead to the economic and financial crises.

Although the occurrence of such crises, but we note that the Mamluks had a distinct role in processing the crises at the possible extent, they had sent large quantities of supplies to the Hijaz, and continuously throughout their rule, which lasted from 648 to 923 AH.

مُقَدِّمَةٌ

تعرض الحجاز لأزمات اقتصادية ومالية متفاوتة خلال هذه الفترة من الزمن. أثرت على مستوى المعيشة لسكانها، ومن بين الاسباب التي كانت تؤدي الى حدوث هذه الأزمات، إنتشار الاوبئة والامراض التي كانت تحصد العشرات بل الألوف من سكانها ومن ثروتها الحيوانية، ولعل الفتن والحروب التي كانت تحصل فيها تعد السبب الرئيسي لحدوث هذه الازمات، أو تكون أزمة سياسية خارجية تؤدي إلى قطع المؤن عن مدن الحجاز، أو انعدام سقوط الامطار لفترة طويلة تؤدي الى حدوث مثل هذه الازمات الاقتصادي لأن زراعتها كانت تعتمد على الامطار.

وقد ساهم المالك^(١) * بتقديم يد العون لسكان الحجاز من أجل تحسين المستوى المعاشي للسكان، ولاسيما أيام القحط والجفاف الذي ضرب أغلب مدن الحجاز منها مكة والمدينة والطائف خلال هذه الفترة من الزمن.

- الازمات الاقتصادية الطبيعية والبشرية :

من أهم السنين التي تعرضت لها الحجاز ومدنها لهذه الازمات، سنة ٦٤٩هـ اذ يقول الفاسي^(٢) (وقع بمكة غلاء عظيم، وأقام الغلاء سنة). وكان سبب الغلاء أنتشار وباء في اغلب مدن الحجاز مما أدى الى حدوث أزمة اقتصادية ومالية أثرت على مستوى المعيشة.^(٣) وفي سنة ٦٥١هـ استمرت الازمة الاقتصادية بمكة فأرتفعت أسعار الماشية فبلغ سعر الشاة أربعين درهم، وبلغت شربة الماء بدرهم، وفي نفس السنة إزدادت الازمة بالطائف^(٤) * وأصبح كل قَدَّ^(٥) * وربع من الشعير والدخن بدينار، ثم جاء مكة سيل عظيم مات بسببه عالم عظيم.^(٦) وأصاب مكة عطش شديد سنة ٦٥٢هـ، وذلك لجفاف معظم الابار والعيون أثر على السكان والثروة الحيوانية.^(٧) وفي آخر شهر رمضان من سنة ٦٦٤هـ اشتدت الازمة الاقتصادية في الحجاز، فبلغ سعر الشعير بمكة ربع مد وثلاثة بدينار.^(٨) وأستمرت هذه الازمة الى سنة ٦٦٥هـ، وأشدت خوف الناس، وذلك لاستمرار قحط السنين عليهم، وإرتفاع الاسعار بمكة والطائف، وذلك لقلة سقوط الامطار بالطائف الا بعد ستة اشهر، وغارت مياه الابار من الماء.^(٩) ولشدة هذا الغلاء

قال عنه الفاسي. ^(١٠) (أن هذا الغلاء اليوم في الحجاز مضاعف على الغلاء الكبير الذي كان بمصر على قرب رأس الستمائة، اباد عالماً من المصريين، وأكلوا فيه بعضهم بعضاً). وكان اهل الحجاز في هذه الازمة الاقتصادية أكثر صبراً وأكثر مروءة. فصدق رسول الله ﷺ حين قال ((الايمان في أهل الحجاز)). ^(١١)

وأستمرت الازمة الاقتصادية بالحجاز سنة ٦٦٦ هـ وسنة ٦٦٧ هـ، وذلك لقلة سقوط الامطار بالحجاز. ^(١٢) وفي الطائف حدثت أزمة اقتصادية سنة ٦٦٨ هـ، وذلك لوقوع زلزلة فيها، فضلاً عن قحط السنين المتتالية. ^(١٣) وفي النصف من شعبان سنة ٦٦٩ هـ دخل مكة سيل عظيم لم يسمع بمثله مات فيه خلق كثير نتيجة هدم الدور عليهم. ^(١٤) وفي أواخر سنة ٦٧٠ هـ إنتشرت أمراض بمكة والطائف ولية ^(١٥) * ^(١٦) وأستمرت هذه الامراض حتى سنة ٦٧١ هـ فحصل بسببه فناء عظيم بمكة بلغت اعداد الموتى في بعض الايام اثنين وعشرين جنازة وفي بعضها خمسين جنازة، وعد أهل مكة ما بين العمرتين من أول رجب الى السابع والعشرين منه ألف جنازة. ^(١٧) ولقلة سقوط الامطار بالحجاز سنة ٦٧٥ هـ عدت سنة غلاء وقحط وشدة العطش فزادت أسعار المواد مما اثرت على مستوى المعيشة للسكان. ^(١٨)

وعندما وقعت الفتن بين ابي نمي ^(١٩) * صاحب مكة وبين جمار بن شيحه ^(٢٠) * صاحب المدينة سنة ٦٧٦ هـ أدت هذه الفتنة الى حدوث أزمة اقتصادية بالحجاز فبلغ سعر الشعير كل قدّ بدينار أما الدخن فأصبح كل مد وربع بدينار. ^(٢١) واتسعت هذه الازمة في سنة ٦٨٣ هـ نتيجة حصول الفتن بين ابي نمي وبين قتادة ^(٢٢) *، فحصل غلاء بمكة لاغلب المأكولات. ^(٢٣) وفي سنة ٦٨٦ هـ إزدادت الازمة الاقتصادية نتيجة دخول اعداد كبيرة من الحجاج الى البلاد فأرتفعت اسعار المواد الغذائية وقلة بالاسواق. ^(٢٤) ومع مطلع سنة ٦٩١ هـ حصل فيها الغلاء، فبلغ سعر الحنطة كل ربع قدّ بدينار، وبلغت راية الماء اربعة دنانير وستة عشر مسعودياً ^(٢٥) * ^(٢٦)

وارتفعت أسعار المأكولات سنة ٦٩٣ هـ عندما وفدت اعداد كبيرة من حجاج اليمن، وارتفعت أسعار المياه في شعبان ورمضان، وبلغت راية الماء أربعة دنانير، واستسقى الناس في عرفه، ثم رحم الله الناس بالمطر وتدفقت السيول، وأمتلأت بركة

السلم^(٢٧)، وبركة بسوق الليل، وفي هذه السنة إرتفعت أسعار الملح فبلغ كل مد بستة دنانير. ^(٢٨) وأشتدت الازمة الاقتصادية بمكة سنة ٦٩٥هـ فبلغ سعر غراره^(٢٩) * القمح ألف ومائتي درهم. ^(٣٠) وفي سنة ٧٠٤هـ قل الماء وغلّت الاسعار وبلغ سعر الشعير كل وبيه^(٣١) * باربعين درهماً، والدقيق كل وبيه بستين درهماً وفيها حصل للحجاج مشقة، وذلك لهبوب رياح محرقة هلك بسبها خلق كثيرة نتيجة جفاف قرب الماء. ^(٣٢)

وتدهور مستوى المعيشة للسكان سنة ٧٠٧هـ لحدوث أزمة شديدة بلغت فيه غرارة الحنطة ألف وخمسمائة درهم، والذرة أكثر من تسعمائة درهم، وكان سبب هذه الازمة عاملين العامل الاول سياسي خارجي وهو أن صاحب اليمن الملك المؤيد^(٣٣) * قطع الميرة^(٣٤) * عن مكة وذلك لسوء العلاقة بينه وبين صاحب مكة حميضة^(٣٥) * ورميثة^(٣٦) * أبني أبي نمي، أما العامل الثاني فكان بسبب قلة سقوط الامطار بمكة سنين متتالية. ^(٣٧) وتحسن مستوى المعيشة للسكان سنة ٧١٩هـ، فرخصت أسعار الغلال وبلغت غرارة القمح بمائة وعشرين درهماً، وذلك لأستقرار الأمن والأمان للبلاد. ^(٣٨) وأستمر هذا التحسن حتى سنة ٧٢٠هـ، وذلك لكثرة المياه، وكثرة وصول الغلال الى مكة في هذه السنة. ^(٣٩) لكن هذا التحسن بمستوى المعيشة لم يدم طويلاً ففي سنة ٧٢١هـ إرتفعت أسعار الغلال فبلغ سعر القمح مائتين واربعين درهماً بالأردب^(٤٠) * المصري، وفقد التمر بشكل تام بالاسواق وتلاشت الاسمان وبلغ سعر السمن كل أوقية^(٤١) * خمسة دراهم واللحم كل من بخمسة دراهم. ^(٤٢) واستمر هذا الغلاء حتى سنة ٧٢٢هـ إرتفع فيها أردب القمح الى مائتين وخمسين درهماً، وكان سبب هذه الازمة انعدام سقوط الامطار، وأنهم أستقوا فلم يسقوا، ولشدة الغلاء لهذه السنة توجه حاكم مكة عطيفة بن ابي نمي^(٤٣) * الى مصر يشكوا القحط والجفاف والجوع مما أثار أهتمام الناصر^(٤٤) * الى انقاذ أهل الحجاز بالغلال فتحسن مستوى المعيشة للسكان. ^(٤٥)

وقد خفت الازمة الاقتصادية بالحجاز سنة ٧٢٥هـ وخاصة في ساحل جدة فبلغ سعر أردب القمح المصري ثمانية عشر درهماً كاملية^(٤٦) *، وبلغ سعر الغرارة المكية من الحنطة المعروفة باللقيمية^(٤٧) * أربعين درهماً كاملية وغرارة الذرة ثلاثة وثلاثين درهماً كاملية وهي أثنتي عشر أوقية كل رطلان مصريان ونصف الرطل، وبلغ سعر

العسل كل مَن بدرهمين كاملين، وهو ثلاثة أرتال مصرية، واللحم كل مَن بأربعة مسعودية، وهو سبعة أرتال مصرية الا ثلث.^(٤٨) ولكن حصل للناس جهد عظيم في سنة ٧٢٦هـ بسبب قلة الماء، فأرتفعت أسعار روية الماء فبلغت بالموسم عشرة دراهم مسعودية، وفي غير الموسم من ستة دراهم الى سبعة.^(٤٩) وإزدادت الازمة الاقتصادية سوءاً بالمدينة المنورة سنة ٧٢٧هـ لأن الجراد أكل أغلب الثمار، كما تغيرت أحوال الناس مما أصابها شدة من الخوف والنهب، وإرتفاع الاسعار فبلغ صاع^(٥٠) * القمح ثمانية عشر درهماً.^(٥١)

وقد عم الرخاء مدن الحجاز سنة ٧٢٨هـ، وأصبحت في غاية الطيبة والأمن والأمان، وبلغ أردب القمح أربعين درهماً، والدقيق بمثانية دراهم، والعسل كل من بدرهمين واللحم كل من بأربعة دراهم، والسمن كل اوقية بثلاثة دراهم والخبز كل من بدرهمين، وبها من الخير وكثرة الخلق من المجاورين ما لا يسمع بمثله.^(٥٢) ولكن في سنة ٧٣٥هـ، وقع بالمدينة المنورة وباء عظيم، وكان يعرف هذا الوباء بمرض الخوانيق، فكان يموت بسببه من أهل المدينة في كل يوم خمسة عشر إنسان.^(٥٣) وفي سنة ٧٣٨هـ تحسنت الاحوال الاقتصادية بالحجاز، وذلك لهطول أمطار غزيرة دفعت بالسيول من كل جهة، فبلغت ويبة الدقيق العلامة الفاخرة تسعة دراهم والسمن كل خمسة أرتال بدرهم ورخصت جميع المأكولات فتحسن مستوى المعيشة للسكان خلال هذه السنة.^(٥٤)

وقد حصلت ازمة اقتصادية بالحجاز سنة ٧٤٤هـ عندما منع حاكم مكة الشريف عجلان بن رميثة^(٥٥) * تجارة اليمن من العبور الى مكة، فقلت السلع التجارية داخل الاسواق، فأرتفعت الاسعار، وبلغ أردب القمح ثمانين درهماً وويبة الدقيق خمسين درهماً، وويبة الشعير أربعين درهماً، فحصل للحجاج مشقة كبيرة لغلوا الاسعار وقلة الماء فهلك بهذا خلق كثير من السكان.^(٥٦) وفي سنة ٧٤٧هـ بلغت غرارة الذرة بمائة وأربعين درهماً والحنطة بمائة وسبعين درهم ومَن التمر بثلاثة دراهم هذا في موسم الحج، ودام هذا الغلاء شهرين بعد موسم الحج.^(٥٧) واستمرت الازمة الاقتصادية الى سنة ٧٤٨هـ.^(٥٨) وسنة ٧٤٩هـ وقع وباء عظيم في أغلب بلاد الحجاز ونواحيها وبواديها، وهلك بسببه كثير من الجمال حتى جافت البوادي، وقيل لم يبق بجدة سوى أربعة أنفس، وخلت الطائف،

ولم يبق بها الا القليل، وكان يموت بمكة في كل يوم نحو عشرين شخصاً، ودام هذا الوباء مدة ثم فرج الله سبحانه وتعالى عن الناس، وارتفع هذا الوباء، وكان هذا الوباء عاماً في جميع بلاد المسلمين، وفي ديار مصر أشد وأعظم، فأثر هذا الوباء على مستوى المعيشة لبلاد الحجاز، فأرتفعت الاسعار وبلغ اردب الحنطة ثلثمائة درهم. وغرارة الذرة مائة درهم، وبلغت ويبة الدقيق في الموسم ستة واربعين درهماً وويبة الشعير سبعين درهماً، وفي هذه السنة إرتفعت أسعار جميع المأكولات.^(٥٩) وفي سنة ٧٥٠هـ كان الغلاء بمكة متصلاً بالسنة الماضية.^(٦٠)

وقد ساءت حالة مكة الاقتصادية سنة ٧٥٣هـ بسبب قلة سقوط الامطار، لأن زراعتها تعتمد على الامطار فبلغ أردب القمح ثلثمائة درهم، والشعير مائتي درهم، وراوية الماء أربع دراهم مسعودية. ثم أغاث الله الناس بالمطر واستمر ثلاثة أيام، فرخصت الأسعار، وبيع أردب القمح بمائة وخمسين درهماً وراوية الماء بنصف وربع مسعوي وذلك لجريان ماء عين حنين^{(٦١)*}.^(٦٢) وانتشرت الامراض بالناس سنة ٧٥٥هـ لكنه كان سليماً، وفي هذه السنة كان الرخاء كثيراً، لأن الله أغاثهم بالمطر فتحسن المستوى المعاشي للسكان.^(٦٣) الا إن اسعار المأكولات إرتفعت جميعها في مدن الحجاز سنة ٧٥٩هـ، وأثر إرتفاع الاسعار على الحجاج الوافدين الى مكة المكرمة فحصلت لهم مشقة خلال هذه السنة.^(٦٤) واستمر هذا الغلاء حتى سنة ٧٦٠هـ ثم حصل في نصفها رخاء كثير فانتعشت الحياة الاقتصادية للسكان.^(٦٥)

وحلت أزمة اقتصادية شديدة بمكة سنة ٧٦٦هـ أثرت على المستوى المعاشي للسكان، ولشدة هذه الازمة قيل إن بعض الناس أكلوا لحوم بعض الحيوانات الميتة، وفي هذه السنة حصل أرتفاع شديد في أسعار جميع المأكولات، وعرفت هذه السنة عند المكيين بسنة ام الجرب، لأن أغلب المواشي أصابها الجرب^{(٦٦)*}، وأدخلت المواشي المسجد الحرام وقت الاستسقاء، وما يسر الله لهم فيها سقياً ونزح أغلب أهلها عنها من شدة الجوع، ثم فرج الله عنهم بصدقة بعث بها مدير المملكة بمصر الامير يلغا الخاصكي^{(٦٧)*}.^(٦٨) وفي سنة ٧٧٤هـ كان الغلاء شديداً بمكة.^(٦٩) فبلغت ويبة الشعير سنة ٧٨٠هـ خمسين درهماً فضة، ثم ارتفع سعرها الى مائة درهم.^(٧٠) وبلغت ويبة

الشعير سنة ٧٨٢هـ مائة وتسعين درهماً، وفي هذه السنة مات من الجمال شيء كثير.^(٧١) وساءت الحالة المعاشية لبلاد الحجاز سنة ٧٨٣هـ حين عم أواخر هذه السنة في بلاد الحرمين قحط عظيم، مات بسببه كثيراً من الاشراف وعامة الناس جوعاً، ولشدة الجوع أكل الناس الجلود.^(٧٢) وأرتفعت الاسعار فبلغت غرارة الحنطة في سنة ٧٩٣هـ خمسمائة درهم كاملية وأختبز الناس القطني^(٧٣) * وحب الثمام^(٧٤) * وأكلوها، وأعتبر الفاسي هذه السنة أعظم غلاء شاهده بمكة، وفي السنة نفسها أنتشر وباء في مكة بلغ عدد الموتى فيه أربعين نفراً في بعض الايام.^(٧٥)

وفرّج الله سبحانه وتعالى على أهل الحجاز سنة ٧٩٤هـ، فهطلت أمطار غزيرة سالت على أثرها الاودية، وعم الرخاء مدن الحجاز.^(٧٦) وفي سنة ٧٩٦هـ حصل لمكة رخاء، بلغت فيه غرارة الحنطة سبعين درهماً كاملية في زمن الموسم، وتحسن المستوى المعاشي للسكان.^(٧٧) ولكن هذا الرخاء لم يدم مدة طويلة ففي أواخر سنة ٧٩٧هـ حصلت أزمة اقتصادية بعد موسم الحج، ولكن لم يبلغ مقدار الازمة التي كانت في سنة ثلاثة وتسعين وسبعمائة فبلغت فيها غرارة الحنطة ثلثمائة وثلثين درهماً.^(٧٨) وفي سنة ٨٠٢هـ هطلت أمطار غزيرة بمكة إنصبت كأفواه القرب، فسالت الاودية، وضرب السيل منازل كثيرة للناس فمات تحت الهدم والغرق نحو ستين نفراً.^(٧٩)

وعم الغلاء في مكة سنة ٨٠٥هـ بلغت فيه غرارة الحنطة نحو خمسمائة درهم كاملية، وارتفع سعر الذرة الى ثلثمائة وخمسين درهماً كاملية، ودام هذا الغلاء اياماً قليلة ثم فرّج الله على الناس بقدوم جلاب^(٨٠) * من سواكن^(٨١) * يحمل انواعاً من المؤن.^(٨٢) وفي أواخر سنة ٨١١هـ أشدت الازمة الاقتصادية، وارتفعت الاسعار، وبلغ سعر الذرة مائة وخمسين، وارتفع سعر الدخن والحنطة والشعير وسائر المأكولات في سنة ٨١٥هـ بسبب قلة سقوط المطر، فضلاً عن عدم وصول المؤن من اليمن لغلاء حصل فيها، كما إرتفعت أسعار المأكولات إرتفاعاً لم يعهد مثله من قبل سنة ٨١٦هـ فبلغت غرارة الحنطة بكيل مكة بالجملة عشرين إفرنطياً^(٨٣) *^(٨٤) وأستمر الغلاء بأرض الحجاز سنة ٨١٨هـ.^(٨٥) بينما في سنة ٨١٩هـ ساءد مكة رخاء بلغت فيه غرارة الحنطة اللقيمية الجيدة خمسة إفرنطية، وغرارة الحنطة المابية وهي أقل جودة من الحنطة اللقيمية أربعة إفرنطية، وبلغ ريع

غرارة الذرة بثلاث إفرنتية، بينما بلغ سعر الذرة في وادي مر^(٨٦) * بأفرنتيتين وستة دنانير مسعودية. ثم اصابها غلاء شديد بعد الموسم إمتد الى أوائل سنة ٨٢٠هـ، بلغت فيه غرارة الذرة ثلاثة عشر إفرنتياً.^(٨٧)

اما في سنة ٨٢١هـ فساداً مكة رخاء بالاسعار، وتحسن مستوى المعيشة للسكان، وبلغ سعر غرارة الذرة ثلاثة إفرنتية، وبجدة بأفرنتيتين وربيع، وبلغ سعر العسل كل سبعة أمان بأفرنتي، لكن سرعان ما أنعكس ذلك وارتفعت الاسعار في نهاية هذه السنة.^(٨٨) وامتد هذا الغلاء الى سنة ٨٢٢هـ، وعم الغلاء سائر المأكولات، وارتفعت أسعار السمن كثيراً، وبلغت غرارة الحنطة خمسة وعشرين ديناراً وهي أردب وربيع بالمصري، وفقدت الاقوات، وأنعكس هذا الغلاء على مستوى المعيشة، وأكلت الناس القطط والكلاب حتى فقدت، فأكل بعض الناس البشر، وكثر الخوف لدى الناس حتى إمتنعوا من الذهاب خارج مكة خشية أن يؤكلوا، وهلك الفقراء وافقر الاغنياء.^(٨٩) وعظم الغلاء في سنة ٨٢٣هـ وخاصة في السمن فبلغ المن أحد عشر أفلوريا وأكثر، وذلك لانعدام سقوط المطر.^(٩٠)

وقد فرج الله سبحانه وتعالى عن بلاد الحجاز سنة ٨٢٥هـ و٨٢٦هـ بكثرة سقوط الامطار إلا إنها في سنة ٨٢٦هـ توالى الامطار الخارجية اربعين يوماً، سالت على أثرها الاودية، وبالرغم من سقوط الامطار إلا إن الاسعار ظلت غالية في مكة، فبلغ حمل الدقيق خمس وثلاثين ديناراً، وبلغت وبة الشعير في الازلم^(٩١) * خمسين مؤيداً، وتأثرت الجمال وكثر فيها الموت، ومشت النساء والاطفال عدة مراحل، واشتد عليهم الحر وكثر الخوف ومات كثير من الناس، وفي شهر صفر من هذه السنة إنخفضت الاسعار بأرض الحجاز وأستغنت العربان عن شراء الغلال لكن في شهر ربيع الاول من السنة نفسها دخل المدينة النبوية جراد عظيم اتلف أغلب زروعها وأشجارها، حتى أكل الاسابييط من فوق النخل، فأمحلت أرض المدينة، ونزح كثير من أهلها فمات معظم الفقراء النازحين من شدة الجوع والعطش، ثم تحسنت الاسعار في شهر ذي الحجة من هذه السنة لكثرة الامطار بالحجاز.^(٩٢) وشاءت الاقدار إذ حل وباء عام في بلاد الحجاز سنة ٨٢٧هـ إبتدأ من نصف ذي الحجة، واستمر الى آخر شهر ربيع الآخر هلك فيه أكثر من ألفين إنسان.^(٩٣) وفي سنة ٨٢٩هـ حدث غلاء شديد بالاسعار بمكة.^(٩٤) واشتد في سنة

٨٣١هـ لقلة سقوط الامطار مما أحدث أزمة اقتصادية بالبلاد. ^(٩٥) وأعقبه وباء في سنة ٨٣٧هـ اشتد بمكة واوديتها، وبلغ عدد الموتى في اليوم الواحد خمسين ما بين رجل وامرأة وطفل. ^(٩٦) وأنتشر وباء أيضاً في سنة ٨٤٣هـ بالطائف وج وليه، وعامة بلاد الحجاز، هلك فيه من سكان ثقيف وغيرهم من العرب عالم كثير، بحيث صارت أموالهم ونعمهم لأمالك لها، واستولى عليها من ظفر بها، وامتد هذا الوباء الى نخلة ^{(٩٧)*}. ^(٩٨)

وقد خفت الازمة الاقتصادية بالحجاز سنة ٨٤٤هـ لكثرة سقوط الامطار مما أدى الى انتعاش الحياة الاقتصادية وتحسن مستوى المعيشة للسكان. ^(٩٩) واستمر هذا الانتعاش الاقتصادي في أغلب مدن الحجاز الى سنة ٨٤٥هـ، وكان ذلك بسبب دخول اعداد كبيرة من المراكب الى ميناء جدة وهي محملة بمختلف المؤن، فكان يدخل الى مكة في كل يوم خمسمائة جمل. ^(١٠٠) ولتوفر الامن والامان بمكة سنة ٨٥٤هـ انخفضت اسعار المأكولات، وبلغ حمل الدقيق خمسة عشر أشرفياً ^{(١٠١)*}. ^(١٠٢) لكن سرعان ما إرتفعت الاسعار سنة ٨٥٥هـ بلغت غرارة الحنطة خمسة عشر ديناراً. ^(١٠٣) ثم انخفضت الاسعار في سنة ٨٥٦هـ. ^(١٠٤) فكانت الاسعار غير مستقرة خلال هذه الاعوام. وفي ربيع الآخر من سنة ٨٦٣هـ إرتفعت اسعار المأكولات في مكة، وبلغ من السمن ثلاثة اشرفية وبلغت غرارة الحنطة بسبعة دنائير ونصف، وكذلك الذرة والدخن. ^(١٠٥)

وانتشرت بعض الامراض في مكة سنة ٨٨٢هـ منها ما يسمى بداء الاسكات وتخييم الدم. مات بسببه اعداد كبيرة من السكان، وفي نفس السنة إنتشر بجدة اي ساحل مكة مرض الطاعون مات به اعداد كثيرة من سكان ساحل جدة، وبلغ من يموت في كل يوم مائة وأكثر. ^(١٠٦) وبالرغم من سقوط الامطار سنة ٨٨٣هـ بمكة الا إنها كانت تعاني من غلاء لم يسمع مثله منذ دهر طويل، بلغت فيه غرارة القمح الزيلعية أربعة عشر أشرفياً، ولم تتيسر لكل شخص، وبلغت غرارة الذرة والدخن بتسعة أشرفية، ثم هطلت امطار غزيرة، سالت منها الودية، وتحسنت المحاصيل الزراعية، فجاءها جراد لم يشاهد مثله من قبل فأكل جميع النبات حتى أكل طلع النخل، فتأثرت أسعار المأكولات مما انعكس ذلك على مستوى المعيشة للسكان. ^(١٠٧) واستمر الغلاء بمكة في سنة ٨٨٤هـ.

(١٠٨) وفي سنة ٨٨٥هـ حصل بمكة فناء مات فيه خلائق كثيرة، وغالب اوجاعهم ذات الجنب. (١٠٩) وارتفعت الاسعار سنة ٨٨٧هـ، وهلكت اعداد كبيرة من الجمال. (١١٠) ولعدم سقوط الامطار سنة ٨٩٠هـ أدى الى حدوث جفاف أثر على محاصيلها الزراعية مما أدى الى حدوث أزمة اقتصادية في مكة. (١١١) ولشدة الغلاء بمكة سنة ٨٩٨هـ انعكس ذلك على مستوى المعيشة وارتفعت الاسعار فبلغ سعر حمل الدقيق ثلاثين ديناراً، وغرارة القمح خمسة عشر ديناراً. (١١٢) وهلك عدد كبير من سكان مكة سنة ٨٩٩هـ نتيجة شدة الجوع، وأكلهم الجيف والميتات، فمات من سكانها ألفان وخمسمائة إنسان. (١١٣) ولتدفق اعداد كبيرة من المؤن الى المدينة المنورة سنة ٩٠١هـ عم الرخاء جميع المأكولات، فبلغ كل خمسة أرباب قمح بدينار واحد. (١١٤) لكن المدينة عانت من أزمة اقتصادية أثرت على مستوى المعيشة في سنة ٩١٢هـ بسبب غرق المراكب التي رسلها الاشرف قايتباي* (١١٥) وهي محملة بالقمح من مصر. (١١٦) ولكثرة الحوادث والفتن سنة ٩٢٣هـ في مكة، فقد ساءت حالتها الاقتصادية والمعيشية، فبلغ حمل الدقيق أربعين ديناراً، وأردب القمح عشرة اشرفيات، وارتفعت أسعار البضائع والاصناف والغلال، كما إثرت هذه الازمة الاقتصادية على الثروة الحيوانية فمات منها اعداد لاتحصى، وفي هذه السنة نادى أمير مكة أن لا احد من الناس يجاور مكة بسبب هذه الازمة. (١١٧)

دور الممالك في معالجة الازمة:

حرص الممالك على تقديم المساعدات الى الحجاز من أجل تخفيف آلام الازمات الاقتصادية، وما تحدثه هذه الازمات من فقر وجوع ومرض. وقد جاء دعم الممالك للحجاز ليؤكدوا زعامتهم على العالم الاسلامي عندما تكون لهم السيادة على مكة والمدينة المنورة، وكان السلطان الظاهر بيبرس* (١١٨) أول سلاطين دولة الممالك بمصر قدم الامدادات للحجاز، فكان يرسل في كل سنة الى مكة عشرة آلاف أردب من القمح وكانت توزع على الفقراء والمساكين من أجل تحسين مستوى المعيشة لهم. (١١٩) وعندما حج بيبرس سنة ٦٦٧هـ ابطل المكس الذي كان يأخذه صاحب مكة من حاج مصر والشام، وجميع الركوب التي تصل الى مكة المشرفة واستقر بطلان المكس والجباء من الحجاج الى آخر الزمان، كما تصدق السلطان بيبرس بمال عظيم في

الحرم الشريف على الفقراء والمجاورين، وأحسن كثيراً الى أمراء الحجاز، وزاد أمير مكة مالاً وغلالاً في كل سنة. (١٢٠)

وانفق أنس (١٢١)* ابن السلطان الملك العادل كتبغا المنصوري سنة ٦٩٤هـ المال لصاحب مكة واتباعه، ويقال أنه أعطى صاحب مكة نحو سبعون ألف درهم. (١٢٢) وانفق الامير بكتمر الجوكندار (١٢٣)* في سنة ٧٠٠هـ خمسة وثمانين ألف دينار، وصنع معروفاً كثيراً لأهل الحجاز، منها جهاز سبعة مراكب في البحر الاحمر وشحنها بالغلال والدقيق وأنواع الادم من العسل والسكر والزيت والحلوى، وأنفق على المحتاجين من الحجاج، وفعل بمكة كذلك وفرق على سائر أهلها والفقراء بها. (١٢٤)

اما بالنسبة الى الامير سيف الدين سلار (١٢٥)* فقد أنفق في سنة ٧٠٠هـ أموالاً كثيرة على ذوي الحاجات وعلى المجاورين لمكة وأهلها الاشراف، فأرسل الى الحجاز نحو عشرة آلاف إردب قمح، وفعل ببلاد الحجاز أفعالاً جميلة منها أنه كتب أسماء المجاورين بمكة، وأوفى عنهم جميع ما كان عليهم من الديون لأربابها، وأعطاهم مؤنة سنة كاملة وعندما وصلت مراكبه الى جدة فرق ما فيها على أهل مكة فلم يبق بها امرأة ولا رجل صغير ولا كبير، عبد أو حر الا وعمه ذلك العطاء، ثم ذهب الى المدينة النبوية فعم أهلها بالعطاء كما عم أهل مكة فشكره الناس وقالوا عنه ((باسلار كفاك الله هم النار)). (١٢٦)

وقد أبطل الناصر محمد بن قلاوون سنة ٨١٩هـ المكوس عن الحرمين وعوض أمير مكة والمدينة عنها اقطاعاً بمصر والشام، وأحسن الى أهل الحرمين، وأكثر الصدقات بالحجاز، وعندما كان الحاج يعاني من قلة الماء أرسل الناصر خمس آلاف درهم لأجراء الماء من العين الى البركة وتوفر الماء. (١٢٧) وعندما كانت بلاد الحجاز تشكو من أزمة اقتصادية حادة في سنة ٧٢٢هـ توجه حاكمها عطيفة الى مصر يشكو القحط والجفاف والجوع، مما أثار اهتمام الناصر الى انقاذ أهلها بالغلال، وتحسين من مستوى المعيشة لهم، فقد أرسل ألفي أردب من القمح الى مكة وابطل الناصر المكس المتعلق بالمأكولات بمكة فقط، وعوض صاحبها عن ذلك ثلثي دماميل (١٢٨)*. من صعيد

مصر، فرخصت الاسعار وصار يباع أردب القمح بمائة درهم، فساد الرخاء في المدينة في الوقت الذي قل فيه انتاج أرضها. (١٢٩)

وعمل سيف الدين بشتك الناصري معروفاً بمكة سنة ٧٣٩هـ ففرق في الامراء مالا كثيراً، وارسل الى كل من الامراء المقدمين ألف دينار، وبعث الى بيوت الامراء أموالاً كثيرة، ولم يبق بمكة أحد حتى أسدى اليه معروفاً، وأرسل غللاً كثيرة الى مكة، وعندما قضى نسكه ذهب الى المدينة المنورة فعمل فيها خيراً كثيراً. (١٣٠) واسقط السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسن ابن الملك الناصر سنة ٧٦٦هـ المكوس بمكة في سائر ما يحمل اليها من المتاجر، سوى الكارم وتجار الهند وتجار العراق، وأسقط المكس المتعلق بالمأكولات، وعوض صاحب مكة عن ذلك بمائة وستين ألف درهم من بيت المال بمصر وألف أردب قمح، وجهاز الامير يلغا الخاصكي مدير المملكة بمصر ألفي أردب قمح، وواصل تقديمه للمساعدات حتى أرسل من مصر الى مكة اثنتي عشر ألف أردب، وزعت كلها على الناس فعم النفع بها جميعاً. (١٣١)

وقد أرسل الامير جركس الخليلي (١٣٢)* سنة ٧٨٧هـ قمحاً كثيراً الى أهل الحرمين ليعمل منه في كل يوم بمكة خمسمائة رغيف من الخبز، ومثلها بالمدينة وتوزع على الفقراء، فتحسنت أحوال الناس المعيشية. (١٣٣) وعندما حلت الازمة الاقتصادية سنة ٧٩٣هـ بالحجاز أرسل الملك الظاهر برقوق (١٣٤)* كمية من القمح لأنقاذ أهلها من هذه الازمة. (١٣٥) وابطل الملك الظاهر ططر (١٣٦)* سنة ٨٢٤هـ بعض المكوسات المأخوذة بمكة، وألزم بها امير مكة الشريف حسن بن عجلان، فوافق على ذلك. (١٣٧) وارسل الاشرف برسبائي (١٣٨)* سنة ٨٢٩هـ مركباً فيه كمية من القمح لأهل الحرمين ففرق خمسمائة أردب على العلماء والقضاة والفقهاء والخدام والاشراف والايام والارامل من أهل المدينة، ثم ذهب الى مكة وفرق خمسمائة أردب قمح على أهل الحرم كلهم، فعم بها أهل مكة. (١٣٩)

- (١)***المماليك**: مفردها مملوك، وهو العبد الذي سبي ولم يملك ابواه، والعبد الفن هو الذي ملك هو وابواه، والمملوك عبد يباع ويشهر، وبدأت منذ عهد الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) ثم المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) على فئة من الرقيق الابيض، كان الخلفاء وكبار القادة والولاة في دولة الخلافة العباسية، يشترونه من اسواق النخاسة لاستخدامهم كفرق عسكرية خاصة. وكان مصدرهم من بلاد ما وراء النهر، سمرقند، وفرغانة، واشروسنة، والشاش، وخوارزم، التي اشتهرت بتصدير الرقيق الابيض ذوي الاصول التركية، واصبح هؤلاء المماليك مع مرور الوقت الاداة العسكرية الوحيدة التي حكمت مصر والشام واجزاء من الجزيرة العربية اكثر من قرنين ونصف القرن وبالتحديد من سنة ٦٤٨ هـ الى ٩٢٣ هـ والتي اسسوا بها دولتين متعاقبتين بمصر الاولى دولة المماليك البحرية، ثم تلتها مباشرة دولة المماليك البرجية . ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (٧١١ هـ): لسان العرب، مراجع وتدقيق يوسف البقاعي وآخرون، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ط ١ (بيروت ٢٠٠٥ م) ج ٤ ص ٣٧٧٦؛ المقرئ، تقي الدين احمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ): المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق خليل منصور، دار الكتب العلمية ط ١ (بيروت ١٩٩٨ م) ج ٣ ص ٤١١، ٤٢٠؛ العبادي، احمد مختار: في تاريخ الايوبيين والمماليك، دار النهضة للطباعة والنشر، (بيروت ١٩٩٥ م) ص ٩؛ قاسم، عبده قاسم: عصر سلاطين المماليك التاريخ السياسي والاجتماعي، الناشر عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ط ١ (مصر ١٩٩٨ م) ص ٢٥؛ طقوش، محمد سهيل: تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام دار النفائس للطباعة والنشر ط ١ (بيروت ١٩٩٧ م) ص ١٥، ١٦ .
- (٢) الفاسي، تقي الدين محمد بن أحمد بن طي(ت ٨٢٣ هـ): شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق لجنة من كبار العلماء والادباء، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج ٢، ص ٣٢٧.
- (٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٢٧؛ ابن فهد، محمد بن محمد(ت ٨٨٥ هـ): اتحاف الوري بأخبار ام القرى، تحقيق، فهيم محمد شلتون، مكة المكرمة، ١٩٨٤م، ج ٣، ص ٧٠.
- (٤)***الطائف**: هو وادي وج وهو بلاد ثقيف بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً، وهي ذات مزارع ونخيل وأعنان وموز وسائر الفواكه وبها مياه جارية وأودية، ينظر، ياقوت الحموي، شهاب الدين ابي عبد الله (ت ٦٢٦ هـ)، معجم البلدان، دار احياء التراث العربي، ط ١، (بيروت، ٢٠٠٨م)، ج ٦، ص ٢٤١؛ ابي الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر(ت ٧٣٢ هـ): تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، (باريس، ١٨٤٠م)، ص ٩٥.

(٥)* المد: مكيال، وهو رطلان، أو رطل وثلاث، أو ملء كفي الانسان المعتدل اذا ملأها وقد يدهُ بهما، وبه سمي قدا. ينظر: الفيروز ابادي، مجدالدين ابن يعقوب (ت٨١٧هـ): معجم القاموس المحيط، رتبه ووثقه، خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط٤، (بيروت، ٢٠٠٩م)، ص١٢١١.

(٦) الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الامين، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، ط٢، (بيروت، ١٩٨٦م)، ج١، ص٢٠٧؛ ابن تغري بردي، جمال الدين ابو المحاسن (ت٨٧٤هـ): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج٧، ص٢٧؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص٧٥.

(٧) ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص٧٦.

(٨) ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص٩٠.

(٩) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٢٧؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص٩٠؛ الجزيري، عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر بن محمد الانتصاري (ت٩٧٧هـ): الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق محمد حسن محمد حسن اسماعيل، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٢م)، ج١، ص٣٧٨.

(١٠) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٢٧.

(١١) ابن ابي شيبة، ابو بكر عبدالله بن محمد بن ابراهيم (ت٢٣٥هـ): الكتاب المنصف في الاحاديث والاثار، تحقيق، كمال يوسف، مكتبة الراشد، ط١، (الرياض، ١٤٠٩هـ)، ج٦، ص٤٠٦؛ احمد بن حنبل، ابو عبدالله أحمد بن حنبل بن هلال (ت٢٤١هـ): مسند الامام أحمد بن حنبل، تحقيق، شعيب الارنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، (٢٠٠١م)، ج٢٢، ص٤٢١.

(١٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٢٨.

(١٣) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٧٩.

(١٤) الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٣٧٩.

(١٥)* ولية: من نواحي الطائف مر به رسول الله (ﷺ) حين انصرفه من حنين يريد الطائف، وأمر وهو بليه بهدم حصن مالك بن عوف قائد غطفان، ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٧، ص١٨٧.

(١٦) ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١٠٢.

(١٧) الفاسي: الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفة، تحقيق، علي عمر، الناشر مكتبة الثقافة الدينية، ط١، (القاهرة، ٢٠٠١م)، ص٣٤١؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٣٧٩.

(١٨) ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١٠٧؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٣٨٠.

(١٩)*ابي نمي محمد بن الامير سعد حسن بن علي بن قتاة الحسني، صاحب مكة منذ اربعين سنة، وكان حليماً وقوراً، ذا رأي وسياسة، وعقل ومروءة. ينظر: ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ): البداية والنهاية، مطابع دار البيان الحديثة، ط١، (القاهرة، ٢٠٠٢م)، ج١٤، ص١٨.

(٢٠)*جماز بن شيحة بن هاشم بن قاسم بن مهنا بن حسين بن مهنا بن داود بن قاسم بن عبيد الله بن عامر بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب، ولي المدينة واستمر جماز في أمرة المدينة حتى كنف من السلطان في ربيع الاول سنة ٧٠٢ هـ، ومات في سنة ٧٠٤ هـ. ينظر: ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي بن محمد بن احمد (ت ٨٥٢ هـ): الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة، تحقيق محمد عبد المعيد ضان، الناشر دائرة المعارف العثمانية ط٢ (حيدر آباد الهند ١٩٧٢ م) ج٢ ص ٨٨.

(٢١) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٢٨؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١٠٨.

(٢٢)*قتادة بن ادريس بن مطاعن بن عبدالكريم بن عيسى، ابو عزيز الحسني العلوي، جد الاشراف، نشأ شجاعاً عاقلاً. ينظر: الزركلي، خير الدين: الاعلام، دار العلم للملايين، ط١٧، (بيروت، ٢٠٠٧م)، ج٥، ص١٨٩.

(٢٣) ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١١٦.

(٢٤) الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٣٨٢.

(٢٥)*الدرهم المسعودية: وتكون من فضة خالصة مربع الشكل، زنته نحو نصف، ثم نقص حتى صار نحو سدس، ويساوي بالمعاملة بثلاثي درهم كاملي، وينسب الى الملك المسعود صاحب اليمن. ينظر: ابن المجاور، جمال الدين يوسف بن يعقوب الدمشقي (ت ٦٩٠هـ): تاريخ المستبصر، اعتنى بتصحيحها وضبطها، اوسكر لوفخرين، مطبعة بريل، ط٢، (لیدن، ١٩٥١م)، ص١٢؛ القلقشندي، احمد بن علي (ت ٨٢١هـ): صبح الاعشى، المطبعة الأميرية، (القاهرة، ١٩١٤م)، ج٤، ص٢٧٦.

(٢٦) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٢٨؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١٢٢-١٢٣.

(٢٧)*بركة السلم: وهي بحر مكة مما يلي منى وعرفة. ينظر: الفاسي، شفاء الغرام، ج١، ص٤٤١.

(٢٨) ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١٢٥؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٣٨٤.

(٢٩)*الغرارة: مكيال دمشقي للحنطة يماثل الارذب المصري باعتماده كاساس كيل الغلال، وهي تعادل ثلاثة أراذب مصرية، وتعادل الغرارة ٢٠٤,٥ كغم قمح أو حوالي ٢٦٥ لتراً بوصفها ميكلاً، ينظر: هنتسن فالتر: المكيال والاوزان الاسلامية، ترجمة كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية، (عمان، ١٩٧٠م)، ص٦٤.

- (٣٠) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٢٨؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١٢٨؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٣٨٤.
- (٣١)*الويبة: اثنان وعشرون او أربع وعشرون مُدا: ينظر، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ص١٤٢٤؛ الجليلي، محمود: المكايل والاوزان والنقود العربية، دار الغرب الاسلامي، ط١، (بيروت، ٢٠٠٥م)، ص١١٥.
- (٣٢) ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١٤١؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٣٨٧-٣٨٨.
- (٣٣)*الملك المؤيد: هو داود بن يوسف بن عمر بن رسول التركماني هزير الدين، ملك اليمن (ت٧٢١هـ). ينظر: الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبدالرحمن (ت٧٦٤هـ): فوات الوفيات، تحقيق، علي محمد معوض وعادل احمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، ط١، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج١، ص٣٩٧.
- (٣٤)*الميرة: هو الطعام، وما يجلب للبيع، او جلب القوات ويقال مارهم يميزهم اذا اعطاهم الميرة. ينظر: الشرباصي، احمد: المعجم الاقتصادي الاسلامي، دار الجيل، ١٩٨١م، ص٤٤٦.
- (٣٥)*حميضة: هو الشريف حميضة بن ابي نمي بن حسن بن علي بن قتادة بن ادريس، الحسن الشریف عزالدين، صاحب مكة كان هو وأخوه رميثة، وليا أمر مكة في حياة أبيهما وتوفي سنة ٧٢٠هـ. ينظر: الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تحقيق، أحمد الارناؤوط وتركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، ط١، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج١٣، ص١٢٣-١٢٤؛ الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٠هـ): البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، وضع حواشيه، خليل منصور، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م)، ج١، ص١٦٢.
- (٣٦)*رميثة: بن ابي نمي ولي أمر مكة مع أخيه حميضة ثم استقل سنة ٧١٥هـ وقبض عليه سنة ٧١٨هـ، توفي سنة ٧٤٨هـ. ينظر: الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص١٧٣.
- (٣٧) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٢٩؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١٤٤-١٤٥.
- (٣٨) ابن فهد الهاشمي، عز الدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد (ت٩٢٢هـ): غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق، فهيم محمد شلتون، شركة مكة للطباعة والنشر، ط١، (مكة المكرمة، ١٩٨٨م)، ج٢، ص١١٥؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١٦٤.
- (٣٩) ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١٧٢؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٣٩٣.
- (٤٠)*الاردب: هو مكيال مصري للحنطة والشعير ويساوي ٧٣،١٢٥ كغم حنطة و٥٦ كغم للشعير. ينظر: هنتس، المكايل والاوزان، ص٥٨.

(٤١)*الاقوية: كانت الاوقية الشرعية موجودة في مكة في صدر الاسلام كوزن يساوي ٤٠ درهماً وتساوي ١٢٥غم، وفي القرن السابع عشر الاوقية المكية ب ١,١٥ رطل تساوي ٠,٩ باوند وتساوي ٢٧,٠٨غم. ينظر: هانتس، المكايل والاوزان، ص ١٩.

(٤٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٢٩؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ١٧٣؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٣٩٣.

(٤٣)*عطيفة بن ابي نمي بن محمد بن الحسن بن علي الحسيني، من أمراء مكة ولاءه ببيرس ابي شنكير سنة ٧٠١هـ، وعزله سنة ٧٠٤هـ، واعيد سنة ٧١٩هـ فأحسن السيرة، واستمر الى سنة ٧٣٨هـ فقبض عليه وحمل الى مصر، فسجن بالاسكندرية الى أن توفي، ينظر: الفاسي، العقد الثمين، ج ٦، ص ٩٥؛ الزركلي، الاعلام، ج ٤، ص ٢٣٧.

(٤٤)*الناصر: هو الناصر محمد بن قلاوون، السلطان الملك الناصر ابو الفتوح ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحي النجمي الافى سلطان الديار المصرية. ينظر: المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج ٣، ص ٤١٧؛ ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين، (ت ٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، ط ١، (القاهرة، ١٩٩٢م)، ج ٨، ص ٣٥.

(٤٥) المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٩٩٧م)، ج ٣، ص ٥٥؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ١٧٥-١٧٦؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٣٩٣.

(٤٦)*الدرهم الكاملية، وتنسب الى السلطان الملك الكامل محمد بن ابي بكر بن ايوب صاحب مصر، وكذلك يعرف بالدرهم النقره، ويتكون من ثلثي فضة وثلث من نحاس. ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤، ص ٢٧٥؛ الشرباصي، المعجم الاقتصادي، ص ١٥٧.

(٤٧)*الحنطة القيمية: هي نوع من الحنطة حبها كبيره، وهي أفضل انواع الحبوب، وتنسب الى لقيم إحدى قرى الطائف التي لاتزال معروفة الى الآن بهذا الاسم. ينظر: العبيدي، عبد الحبار منسي، الطائف ودور قبيلة ثقيف من العصر الجاهلي الاخير حتى قيام الدولة الاموية، دار الرفاعي، (الرياض، ١٩٨٢م)، ص ٥٠.

(٤٨) الفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ٢٠٩.

(٤٩) ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ١٨١؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٣٩٤.

(٥٠)*الصاع: مكيال لأهل المدينة يأخذ أربعة امداد، والصاع شبيه بالمكوك إناء مستطيل. ينظر: الجليلي، المكايل والاوزان والنقود العربية، ص ١٠٠.

- (٥١) الجزري، شمس الدين ابي عبدالله محمد بن ابراهيم بن ابي بكر القرشي (ت ٧٣٨هـ): تاريخ حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاكابر والاعيان من ابنائه المعروف بتاريخ ابن الجزري، تحقيق، عمر عبدالسلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط ١، (بيروت، ١٩٩٨م)، ج ٢، ص ١٧٩.
- (٥٢) الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ٢٥١-٢٥٧؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٢٩-٣٣٠؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ١٨٧.
- (٥٣) المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ١٩٠.
- (٥٤) ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٢١٢-٢١٦؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤٠٣.
- (٥٥)* الشريف عجلان بن رميثة، هو عجلان بن رميثة بن ابي نمي الحسيني أمير مكة. تولى امانة مكة دون ابيه من قبل الملك الصالح. ينظر: ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٢٦٦.
- (٥٦) ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٢٧؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤٠٣.
- (٥٧) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٣٠؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٣٣.
- (٥٨) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٣٠؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٣٥.
- (٥٩) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٣٠؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٣٨؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤١٠.
- (٦٠) المقرئزي، السلوك، ج ٤، ص ١٠١؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٤١.
- (٦١)* عين حنين: وهي احد العيون الموجودة في مكة وكانت متصلة مع عين زبيدة التي انشنتها في مكة المكرمة. ينظر: الفاسي، شفاء الغرام، ج ١، ص ٤٤٨-٤٤٩.
- (٦٢) ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٥٨؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤١٠.
- (٦٣) المقرئزي، السلوك، ج ٤، ص ٢١٢-٢١٣؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٦٥؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤١١.
- (٦٤) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٣٠؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٧٤.
- (٦٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٣٠؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٢٧٨؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤١٢.
- (٦٦)* الجرب: بثر يعلو ابدان الناس والابل . ينظر: ابن منظور: لسان العرب ج ١ ص ٥٦٤ .
- (٦٧)* يلبغا الخاصكي: هو الامير يلبغا الخاصكي مملوك السلطان حسن بن محمد بن قلاوون فثار على سلطانه فقتله سنة ٧٦٢هـ. ينظر: المقرئزي، السلوك، ج ٣، ص ٤١٩.
- (٦٨) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٢٥٩-٢٦٠؛ الفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ٢٠٩؛ الفاسي، الزهور المقتطفة، ص ٣٤٠؛ المقرئزي، السلوك، ج ٤، ص ٢٧٨؛ ابن فهد، اتحاف الوري،

- ج ٣، ص ٣٠٢-٣٠٣؛ الحنبلي، أبي الفلاح عبدالحى بن العماد (ت ١٠٨٩م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق، محمود الارناؤوط وعبدالقادر الارناؤوط، دار بن كثير للطباعة والنشر، ط ١، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج ٨، ص ٣٥٥.
- (٦٩) الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤١٧.
- (٧٠) ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٣٣٢-٣٣٣.
- (٧١) الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤١٨.
- (٧٢) المقرئ، السلوك، ج ٥، ص ١٣١-١٣٢؛ ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بأبناء الغمر، لجنة احياء التراث الاسلامي، (القاهرة، ١٩٦٩م)، ج ١، ص ٢٧٦؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٣٣٧؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤١٩.
- (٧٣) *القطاني: اوالقطينة: هي الحبوب التي تدخر كالحمص والعدس والباقلي والترمس والدخن والارز والجليان. ينظر: ابن سيدة، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨هـ): المحكم والمحيط الاعظم، تحقيق عبدالحميد هنداي، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ٢٠٠٠م)، ج ٦، ص ٢٨٤.
- (٧٤) *الثمام: اسم للدخن في بعض الأقطار. ينظر: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ابراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، الناشر دار الدعوة، لا.ت، ج ١، ص ١٠١.
- (٧٥) الفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ٢١٠؛ الفاسي، الزهور المقتطفة، ص ٣٤١-٣٤٢؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٣٧٩-٣٨٠؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤٢٤.
- (٧٦) ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبدالرحيم (ت ٨٠٧هـ): تاريخ ابن الفرات، تحقيق، قسطنطين رزيق، (بيروت، ١٩٣٩م)، ج ٩، ص ٣١٢-٣١٣.
- (٧٧) ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٣٩١؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤٢٥.
- (٧٨) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٣١.
- (٧٩) المقرئ، السلوك، ج ٦، ص ١٦؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٤١٩؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤٢٨.
- (٨٠) *جلاّب: نوع من المراكب كانت تحمل التجارة في البحر الاحمر، وخاصة بين الحجاز واليمن. ينظر: الدهان، محمد أحمد، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، ط ١، (دمشق، ١٩٩٠م)، ص ٥٣.
- (٨١) *سواكن، بلدة مشهور على ساحل بحر الجار قرب عيذاب ترفأ إليها سفن الذين يقدمون من جدة وأهلها بجاة سود نصارى. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٨٩.
- (٨٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٤١٩؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٤٣٢؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤٢٩.

(٨٣)*الأفرنتي: هو صنف من النقود الذهبية يقال له الافرنتي والافلوري والبندقي، الدوكان. ويجلب من بلاد الأفرنج، ولم يعرف هذا الصنف قديماً وأما حدث بالقاهرة في حدود سنة ٧٩٠هـ وكثر حتى صار نقداً رائجاً. ينظر: المقرئ، السلوك، ج٦، ص٣٧٩؛ ابن فهد، أتحاف الوري، ج٣، ص٥٣٥.

(٨٤) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٣٢-٣٣٤؛ المقرئ، السلوك، ج٦، ص٣٤٥؛ ابن فهد، أتحاف الوري، ج٣، ص٤٩٨ فما فوق.

(٨٥) المقرئ، السلوك، ج٦، ص٣٩٥.

(٨٦)*وادي مر: او بطن مر: وهي قرية عظيمة حسنة كثيرة النخل والزروع. ينظر: ابن رسته ابو علي احمد بن عمر، (ت٢٩٠هـ)، الاعلاق النفيسة، وضع حواشيه، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٩٨م)، ص١٥٦.

(٨٧) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٣٤؛ ابن فهد، أتحاف الوري، ج٣، ص٥٣٥؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٤٣٧.

(٨٨) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٣٣٤؛ ابن فهد، أتحاف الوري، ج٣، ص٥٦١.

(٨٩) المقرئ، السلوك، ج٦، ص٥٠٥؛ ابن فهد، أتحاف الوري، ج٣، ص٥٦٧؛ الصيرفي، الخطيب الجوهري علي بن داود(ت٩٠٠هـ): نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان، تحقيق، حسن حبشي، دار الكتب(القاهرة، ١٩٧١م)، ج٢، ص٤٥٣؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٤٣٩.

(٩٠) الفاسي، العقد الثمين، ج٢، ص٢١٠؛ المقرئ، السلوك، ج٦، ص٥٠٥؛ ابن فهد، أتحاف الوري، ج٣، ص٥٧٢.

(٩١)*الازل: تقع بين القاهرة ومكة الى الجنوب من المويلج، وارض الازل سبخة قليلة النبات، وكان فيها خان للناصر محمد بن قلاوون، وفيها تحفظ ودائع أهل الركب بالرجعه، ويعد الازل من المناهل الكبار المعدة لاستعداد المحتاح من الحجاج، وينصب فيها سوق كبير. ينظر: الجزيري، الدرر الفرائد، ج٢، ص١٤٥-١٤٨.

(٩٢) المقرئ، السلوك، ج٧، ص٦٩ فما فوق؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٤٤٠.

(٩٣) الفاسي، العقد الثمين ج١، ص٢١٠-٢١١؛ المقرئ، السلوك، ج٧، ص٩٧-٩٨.

(٩٤) المقرئ، السلوك، ج٧، ص١٢٨.

(٩٥) المقرئ، السلوك، ج٧، ص١٧٧؛ ابن فهد، أتحاف الوري، تحقيق، عبدالكريم علي باز، جامعة ام القرى، ط١، (السعودية، ١٩٨٨م)، ج٤، ص٢٧.

(٩٦) ابن فهد، أتحاف الوري، ج٤، ص٦٩-٧٠؛ الصيرفي، نزهة النفوس والابدان، (طرابلس، ١٩٧٢م)، ج٣، ص٢٨٥؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٤٥١.

(٩٧)* نخله: وهي نخله اليمانية، وادي يصب فيه يدعان وبه مسجد لرسول الله (ﷺ) وبه عسكرت هوازن يوم حنين، ويجتمع بوادي نخله الشامية في بطن مر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٨، ص ٣٨١-٣٨٢.

(٩٨) المقرئ، السلوك، ج ٧، ص ٤٤٩؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٤، ص ١٤٠.

(٩٩) المقرئ، السلوك، ج ٧، ص ٤٧٦.

(١٠٠) ابن حجر العسقلاني، انباء الغمر بأبناء الغمر، دار الكتب العلمية، ط ٢، (بيروت، ١٩٨٦م)، ج ٩، ص ١٦٧-١٦٨؛ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر بن عثمان (ت ٩٠٢هـ):

التبر المسبوك في ذيل السلوك، الناشر مكتبة الكليات الازهرية، (القاهرة، بلا.ت)، ص ١٩.

(١٠١)* الاشرفية، نسبة الى الملك الاشرف برسباي. ينظر: المقرئ، السلوك، ج ٧، ص ٥٥.

(١٠٢) ابن تغري بردي، حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، تحقيق، فهيم محمد شلتوت، لجنة احياء

التراث الاسلامي، (القاهرة، ١٩٩٠م)، ج ١، ص ٢٤٨.

(١٠٣) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج ١، ص ٢٨٣؛ السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٤٧؛

الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤٦١.

(١٠٤) السخاوي، التبر المسبوك، ص ٣٨٢.

(١٠٥) ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٤، ص ٣٩٦؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤٦٥.

(١٠٦) ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٤، ص ٦١٢.

(١٠٧) ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٤، ص ٦٣٤-٦٣٩؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤٧٣.

(١٠٨) ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٤، ص ٦٤٤.

(١٠٩) الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤٧٣.

(١١٠) الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤٧٤.

(١١١) ابن اياسن محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ): بدائع الزهور في وقائع الدهور، مطابع الشعب،

(القاهرة، ١٩٦٠م)، ج ٢، ص ٥٢٧.

(١١٢) الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤٧٩.

(١١٣) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٥٧٨.

(١١٤) ابن اياس، بدائع الزهور، ج ٢، ص ٥٨٦.

(١١٥)* الاشرف قايتباي: المحمودي الاشرفي ثم الظاهرين ابو النصر سيف الدين سلطان الديار

المصرية، من ملوك الشراكة تولى سلطنة مصر سنة ٨٧٢هـ، وأستمر الى أن توفي بالقاهرة سنة

٩٠١هـ، فكانت مدته تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر. ينظر: المقرئ، السلوك، ج ٣، ص ٤٢٦؛

الزركلي، الاعلام، ج ٥، ص ١٨٨.

- (١١٦) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٢، ص٧٤٧-٧٤٨.
- (١١٧) ابن اياس، بدائع الزهور، ج٣، ص١١٢٣.
- (١١٨)*السلطان الظاهر بيبرس: هو السلطان بيبرس بن عبدالله ركن الدين ابو الفتح الصالحي تولى السلطة سنة (٦٥٨هـ) بعد أن قتل قطز، ويعد المؤسس الحقيقي لدولة المماليك البحرية توفي سنة ٦٧٦هـ. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١٠، ص٢٠٧-٢٠٨.
- (١١٩) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن عثمان(ت٩١١هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ١٩٦٨م، ج٢، ص٩٦.
- (١٢٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ج١٣، ص٢١٦؛ الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٢٨٩؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص٩٤ فما فوق.
- (١٢١)*انس ابن السلطان كتبغا: كان يلقب المجاهد، ومارس الفروسية ورمي الشباب حتى صار أوجد عصره، وحج سنة ٧٩٤هـ فصرف أموالاً كثيرة وسقى الحاج في طول الطريق. ينظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج١، ص٤٩٦.
- (١٢٢) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٢٩١-٢٩٢.
- (١٢٣)*الامير بكتمر الجوكندري الكبير سيف الدين بكتمر الجوكندار وكان احد الامراء الذين يشار اليهم ايام سلال والباشنكير، وشغل نائب السلطان بمصر قتل سنة ٧١١هـ. ينظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١، ص١٢٤-١٢٥.
- (١٢٤) ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١٣٢.
- (١٢٥)*سيف الدين سلال: هو الامير سيف الدين التتري الصالحي المنصوري، وكان من مماليك الصالح علاء الدين علي بن منصور قلاوون، ثم أصبح من أتباع المنصور، عمل نائباً السلطان بيبرس الجاشنكير الى أن قبض عليه الملك الناصر وحبس سنة ٧١٠هـ. ينظر: الكتبي، فوات الوفيات، ج١، ص٤٦٨.
- (١٢٦) الفاسي، شفاء الغرام، ج٢، ص٢٩٣؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٣٥؛ ابن فهد، احاف الوري، ج٣، ص١٣٨-١٤٠؛ حسين، حمدي عبدالمنعم محمد، دراسات في تاريخ الايوبيين والمماليك، دار المعرفة الجامعية، (مصر، ٢٠٠٠م)، ص٢٢٦-٢٢٧.
- (١٢٧) ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١٦٤-١٦٥؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج١، ص٣٩٢.
- (١٢٨)*دمامل: قرية كبيرة بصعيد مصر، شرقي النيل على شاطئه، فوق قوص، فيها بساتين ونخل كثير. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٠٦.
- (١٢٩) الفاسي، العقد الثمين، ج١، ص١٩٤؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج٣، ص١٧٥؛ ابن فهد الهاشمي، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج٢، ص١١٧؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج١،

- ص ٣٩٣؛ سرور، محمد جمال الدين: دولة بني قلاوون في مصر الحالة السياسية والاقتصادية، دار الفكر العربي، (القاهرة، لا.ت)، ص ١٢٧.
- (١٣٠) ابي الفداء، تاريخ ابي الفداء، تحقيق، محمود ديوب، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ١٩٩٧م) ج ٢، ص ٤٩٠؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٢١٧.
- (١٣١) الفاسي، العقد الثمين، ج ١، ص ١٩٦؛ المقريزي، السلوك، ج ٤، ص ٢٧٨؛ ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٣٠٢-٣٠٣؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤١٥.
- (١٣٢)* الامير جركس الخليلي الامير آخور أمير الخيل، وهو أحد أمراء السلطان الظاهر برقوق توفي سنة ٧٩١هـ. ينظر: ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ٢٠٠-٢٠١.
- (١٣٣) ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٣٤٨؛ الصيرفي، نزهة النفوس، ج ١، ص ١٢٢.
- (١٣٤)* الملك الظاهر برقوق: هو السلطان الملك الظاهر ابو سعيد برقوق ابن أنص الجركسي العثماني، تولى أمر السلطنة بمصر سنة ٧٨٤هـ، وكان اعظم ملوك الشراكسة توفي سنة ٨٠١هـ. ينظر: المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج ٣، ص ٤٢٠-٤٢١؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج ١١، ص ١٨١؛ السخاوي، الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، تحقيق، عبداللطيف حسن، دار الكتب العلمية، ط ١، (بيروت، ٢٠٠٣م) ج ٣، ص ١١.
- (١٣٥) الفاسي، شفاء الغرام، ج ٢، ص ٣٣١؛ الجزيري، الدرر الفرائد، ج ١، ص ٤٢٤.
- (١٣٦)* الملك الظاهر ططر: هو السلطان الملك الظاهر سيف الدين ابو الفتح ططر، تسلطن سنة ٨٢٤هـ، وهو من ملوك الترك بالديار المصرية وتوفي سنة ٨٢٤هـ، وكانت مدة سلطنته أربع وتسعون يوماً. ينظر المقريزي، السلوك، ج ٧، ص ٣٩-٤٣؛ ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٣٥-٤٤.
- (١٣٧) الفاسي، العقد الثمين ج ١، ص ٢٠١-٢٠٢.
- (١٣٨)* الاشرف برسباي، هو السلطان الملك الاشرف سيف الدين ابو النصر برسباي الدقماقي الظاهري سلطان الديار المصرية تسلطن سنة ٨٢٥هـ. ينظر: ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج ١٤، ص ٧٨.
- (١٣٩) ابن فهد، اتحاف الوري، ج ٣، ص ٦٣٤.

الأثر الفني للروايات في كتاب "غاية النهاية في طبقات القراء" لابن الجزري ((ت ٨٣٣هـ)) / دراسة منهجية

أ.د. فاطمة زبارع نيزان
مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

المخلص

توصل البحث في اعلاه الى عدد من النقاط اذ ذكرت بعض منها في نهاية كتاب "ابن الجزري" فيما يتعلق بالروايات التي تلقته. وعلاوة على ذلك، فهي غير مدرجة في الكتاب بصيغة واحدة وقد تشعبت في اتجاهات مختلفة من ناحية اسلوب المعالجة، الذي وجد في ثلاثة اتجاهات بوصفه جزءاً من نظريته في التقديم سواء كانت في القراءة او في الرواية او في كيفية عرض تلك الروايات، التي تداخلت مع بعض التأملات والتأثيرات الجمالية وطريقة تلقي الاتجاهات سواء كانت مباشرة او غير مباشرة. اذ اوجدت بعض القضايا النقدية التي بينت مكانته في الرواية ويعزى هذا السبب الى ان ابن الجزري كان عصرياً الا ان هذا الامر قد انجز في ضوء المنهاج العام الذي يستند الى التحليل الممنهج وتدقيق الروايات بالكامل. واعتمدت عملية التحليل على نوع النص الذي حدد نوع الرواية واجريت محاولات على نصوص روائية اخرى مضافة لتسليط الضوء على القضايا الفنية التي حدثت عند قراءة الروايات بطريقة ممنهجة (لاين دي) في طيف الاتجاه. ونرى ايضا ان هذا الامر يبين نوع الرواية سواء يقولون ان الترك في اغلب الاوقات بل الترك يكسبه المفسر ان كان عاماً او خلاف ذلك او بيان نوع الرواية استنادا الى اسلوبها على نحو خاص .

وسواء كنت لم تحدد اسماء الرواة وكان شغفه في روايته ان تكون دقيقة وفقاً لنظريته النقدية التي تهدف الى شرح اهم السياقات الفنية والنقدية الخاص بها من خلال اطار فني مخصص لتلك السياقات. وتم اعداد بعض الاطر الفنية للرواية بالاعتماد على منهجية السياقات وذلك عن طريق اتباع المنهجية السياقية التي قدمتها ابن الجزري وفقاً لمنهجية الادراك المباشرة وغير المباشرة في ثنايا هذا البحث

Abstract

The above research reached a number of points, some of which were mentioned at the end of the book "Ibn al-Jazri" in relation to the narratives it received. Moreover, they are not included in the book in one format and have diverged in different directions in terms of the method of treatment, which is found in three directions as a part of his theory in the presentation whether in reading or in the novel or in how the presentation of those novels, which overlapped with some Reflections and aesthetic effects and the way to receive trends, whether direct or indirect. As it created some monetary issues that showed his place in the novel and this is due to the fact that Ibn al-Jazri was a modern, but this has been done in the light of the general curriculum, which is based on systematic analysis and audit of the novels in full. The process of analysis was based on the type of text that identified the genre of the novel and attempts were made on other narrative texts added to highlight the technical issues that occurred when reading novels in a systematic way (Lane DI) in the trend spectrum. We also see that this indicates the type of the novel, whether they say that the majority of the time left, but the Turk earns the interpreter if it was a year or otherwise or a statement of the type of novel based on its style in particular.

And whether you did not specify the names of narrators and his passion in his novel to be accurate and according to his monetary theory, which aims to explain the most important technical and monetary contexts through a technical framework dedicated to those contexts. Some of the artistic frameworks of the novel were prepared based on the contextual context, by following the contextual methodology provided by Ibn al-Jazri according to the methodology of direct and indirect perception in this research.

مُقَدِّمَةٌ

يأخذ هذا النوع من الدراسات أهميته التي تقوم على أساس دراسة المرويات من خلال مؤلف له حضوره ومشاركة في رفد الحضارة العربية الإسلامية، لذا يعد كتاب "غاية النهاية في طبقات القراء" لابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، من أبرز تلك المصادر التي كان لها أثرها في البناء الفكري والحضاري آنذاك، لذا تهدف هذه الدراسة إلى البحث في الروايات الخاصة بهذا الكتاب من ناحية منهجية موضحين الأثر الفني لتلك الروايات في كل مناحيها واتجاهاتها سواء قراءة أو رواية أو بالإجازة وغيرها، والعرض المنهجي لتلك الروايات، لذا تعتمد هذه الدراسة على أساس التحليل المنهجي لتلك الروايات التي أوردها ابن الجزري في الكتاب من خلال التراجم، الذي يوضح فيها الأثر الفني الذي تبلور في صيغته المختلفة على الروايات منها، في نوع الإشارة إلى الرواية، وتحديد نوعها سواء كانت في القراءة بالروايات أو بالا جازه، والطريقة التي يتم من خلالها رواية القراءة ونوع الرواية ومنهجه النقدي في إيضاح دقة الرواية، أو تبين السياقات الفنية التي يتم تحديدها على الرواية، ومنهجه الذي اعتمده في عرض الروايات، لذا فإن دراسة مثل هذه المواضيع يحتاج إلى الدقة في التعامل مع النصوص الواردة في الكتاب لأنها تقوم على أساس التحليل الدقيق من خلال تلك الروايات.



المبحث الأول

ابن الجزري: السيرة والمكانة العلمية

أولاً: سيرة ابن الجزري

١- اسمه ولقبه:

أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف بن الجزري أبو بكر^(١)، أبو الخير شمس الدين العمري الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي^(٢)، أو كما أورده السخاوي أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الشهاب أبو بكر^(٣).

ولقب بالجزري نسبة إلى الجزيرة من ديار بكر^(٤)، وهناك ألقاب أخرى تميز بها فضلاً عن هذا منها: أبو الخير^(٥)، شمس الدين^(٦)، شهاب الدين^(٧).

وهناك بعض الألقاب التي أسبغت على اسمه غلب عليها الطابع والدرجة العلمية التي كان عليها ابن الجزري منها: الحافظ^(٨)، المقرئ^(٩)، شيخ الإقراء^(١٠)، العلامة^(١١)، المتكلم والحجة^(١٢)، الشيخ^(١٣).

٢- ولادته:

ولد ابن الجزري في ليلة الجمعة السابع عشر من رمضان سنة ثمانين وسبعمائة بدمشق كما ورد في كتابه ((غاية النهاية في طبقات القراء)) وهي الرواية الأصح بتقديرنا^(١٤)، إلا أن هناك تضارب في بعض الروايات الأخرى حول ولادته، منها أنه ولد سنة إحدى وخمسين وسبعمائة^(١٥)، وأخرى أنه ولد بدمشق ليلة السبت الخامس والعشرين من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وسبعمائة^(١٦).

٣- وفاته:

مثلاً كان هناك تضارب في بعض الروايات حول ولادة ابن الجزري، فإن هناك تضارب حول وفاته في بعض الروايات، فمن يقول أنه توفي سنة سبع وعشرين وثمانمائة^(١٧)، وأنه كان حياً قبل سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة كما يقول الشيخ محمد علي الضباع^(١٨)، وتوفي سنة تسع وخمسين وثمانمائة^(١٩)، وجميع هذه الروايات فيها نوع من عدم الصحة أو الاختلاف الغير صحيح، إذ إن والده ترجم له حتى سنة تسع وعشرين وثمانمائة^(٢٠)، وهذا يعني استبعاد الرأي القائل أنه توفي حسب سني الروايات السابقة،

لأنه توفي في حياة والده ومن غير المعقول ان لا يذكر والده وفاة ابنه إذا كانت قد حصلت في حياته بل على العكس من ذلك، ان هذا التاريخ قد ذكره والده لأنه كتب فيه لابنه احمد الجزري^(٢١).

ثانياً: مكانته العلمية

١. ثقافته:

عني ابن الجزري بطلب العلم، لاسيما انه نشأ وتربى وتلقى العلم في صغره على يد والده المعلم والمربي الأول لابن الجزري، ورغبته الصادقة في ذلك فضلاً عن رحلاته الكثيرة وملازمته لعلماء عصره كان له اثر في تكوين شخصيته العلمية، فأصبح ذا شأن كبير إذ برع في علوم عدة، فيشير الحسيني انه كان إماماً في القراءات وغيرها من العلوم الأخرى قائلاً: "...وكان إماماً في القراءات لا نظير له في عصر الدنيا حافظاً للحديث وغيره..."^(٢٢)، وأشاد السيوطي بعلمه والعلوم التي برع بها إلا انه أخذ عليه عدم معرفته بالفقه كما يقول: "...وبرع في القراءات... وكان إمام في القراءات لا نظير له في عصره في الدنيا حافظاً للحديث وغيره أئقن فيه ... ولم تكن له في الفقه معرفة"^(٢٣)، وأشاد به ابن العماد وبعلمه على مستوى الأمة الإسلامية وبفصاحته وبلاغته قائلاً: "...مقرئ الممالك الإسلامية وكان شكلاً حسناً مثرياً فصيحاً بليغاً..."^(٢٤).

٢. شيوخه:

تلقى ابن الجزري علومه على عدد من الشيوخ الذين كان لهم دور كبير في صقل شخصيته العلمية والوصول إلى ما هو عليه من علم ومعرفة ورفعة ومكانة عالية في عصره، وكان والده أول شيوخه الذين نهل منهم العلم كونه المعلم والمربي الأول الذي أحاط به ورعاه مما له أثره على سيرته العلمية، كما يقول عنه "...و حفظ ... قصدني في العشر ولما رحلت بأخيه لقراءة القراءات على ابن العسقلاني آخر أصحاب النقي الصايغ قرأ معه عليه قطعة من أول القرآن... وأكمل على أيضاً القرآن بالقراءات العشر وقرأ على كتابي النشر و "التقريب" والطيبة..."^(٢٥)، وأشاد به والده لأنه شرح منظومته في غيابه قائلاً: "... ولما كان بمصر بلغني وأنا مجاور لمكة شرح طيبة النشر فأحسن فيه ما شاء الله مع انه لم يكن عنده نسخة بالحواشي التي كتبتها عليه ومن قبل ذلك شرح

مقدمة التجويد ومقدمة الحديث من نظمي في غاية الحسن...^(٢٦)، ومن شيوخه الآخرين نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر وكان لهم الأثر الأكبر في تكوين شخصيته العلمية: الصلاح بن الاعزازي الذي اخذ منه كما يقول: "...فأدرك الصلاح بن محمد بن احمد بن أبي عمر آخر أصحاب البخاري وأجازه..."^(٢٧)، وأشار إلى عدد من الشيوخ والمسندين الذين أجازوه لعلو منزلته العلمية، كما يقول عنه والده: "... وكذلك أجازة المشايخ والمسندون إذ ذاك كالقاضي ابن شهبة وابن عوض والتاج محبوب وابن السلار والحافظ ابن المحب وحضر عندهم وسمع من آخرين..."^(٢٨)، وأخذ من الصلاح محمد بن عمر الصامت (ت ٧٨٩ هـ)، كما يقول عنه: "...وحدثني بكثير من مسموعاته وقرأت عليه كثيراً وسمعت... لا يألف لأحد غيره وربما جاءني إلى منزلي وأسمعني وأسمع أهلي وأولادي..."^(٢٩)، وأشار إلى أخذ القراءات على ابن العسقلاني (ت ٧٩٣ هـ)^(٣٠)، عندما رحل إليه مع أخيه قائلاً: "... رحلت بأخيه لقراءة القراءات على ابن العسقلاني... قرأت معه عليه قطعة من أول القرآن..."^(٣١)، ويزيد السخاوي انه سمع على ابن العسقلاني قائلاً: "...ومما سمعه على ابن العسقلاني جميع القراءات..."^(٣٢)، وقرأ أيضاً على إبراهيم بن احمد الحريري (ت ٨٠٠ هـ)^(٣٣) الذي أجازته كما يقول: "...ثم أقرأ فقرأ عليه... ابن أبو بكر احمد... وحدثهم بالقراءات أيضاً عن جماعة بالإجازة..."^(٣٤).

وهذا يدل على سعة علمه واختلاف معارفه ومنابع علمه الأصلية وتعدد علمائه الذين أخذ عليهم له دور في صقل شخصيته العلمية، والفضل في ذلك يعود لوالده الذي اهتم به ووجهه الوجهة الصحيحة والأولى في تلقي العلوم.

٣. تلامذته:

مثلاً نهل ابن الجزري العلوم المختلفة من المشايخ والأساتذة، كان له عدد من التلاميذ نهلو منه العلوم المختلفة سواء بالسماع أو القراءة أو الإجازة، منهم على سبيل المثال لا الحصر: إبراهيم بن احمد الطباطبائي "سمع على ابن الجزري جميع الأربعين النووية..."^(٣٥)، واحمد بن علي بن عمر "قرأ على ابن الجزري طبيته من حفظه وأجاز له..."^(٣٦)، واحمد بن محمد البنجوري "سمع على ابن الجزري..."^(٣٧)، وشاهين المنصوري "سمع على ابن الجزري الشفاء..."^(٣٨)، وعلى بن محمد الأنصاري "...قرأ ابن الجزري

مشيخته الفخر^(٣٩)، وعمر بن عبد الحميد المدني "...سمع على ابن الجزري الشفا في سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة وضبط الأسماء..."^(٤٠)، ومحمد بن إبراهيم الخجندي "...قرأ الأربعين بتمامها في مجلس واحد على ابن الجزري في ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين بالحرم النبوي..."^(٤١)، والحسين حمزة بن علي "...قرأ القراءات على ابن الجزري..."^(٤٢)، ونور الدين أبو الحسن الأشموني الذي اخذ عن ابن الجزري القراءات كما يقول ابن العماد^(٤٣)، وبدر الدين محمد بن أبي بكر ألمشدي "...وسمع المسند على الخير الملتوني وابن الجزري..."^(٤٤)، وعلي بن محمد الجعبري الذي درس مصنفاته على ابن الجزري كما يقول أنعمي "...قدم دمشق سنة اثنتين وثلاثين واخذ عنه شهاب الدين أطبيي الحديث ومصنفات ابن الجزري..."^(٤٥)

٤. رحلاته

كانت الرحلة في طلب العلم من لوازم طريق العلماء ومنهجهم في التحصيل العلمي، إذ كان طالب العلم يأخذ من شيوخ بلده ثم يرحل إلى البلدان الأخرى للأخذ من علمائها والاستفادة منهم قدر الإمكان، ويشير لنا ابن الصلاح بهذا الخصوص قائلاً: "...وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فليرحل إلى غيره..."^(٤٦)، وبما إن ابن الجزري نهل العلم وهو صغير فكانت أولى رحلاته العلمية مع والده وأخيه كما يقول: "...ولما رحلت بأخيه لقراءة القراءات... قرأ معه القرآن بالقراءات..."^(٤٧)، أما رحلته الثانية التي لم يحدد وجهتها كما يقول "...قرأ فيها القراءات العشر والشاطبية على إبراهيم بن احمد الشامي..."^(٤٨)، ثم رحل إلى بلاد الروم رسولاً فكانت الوقعة التيمورية، كما يقول "...لما وقعت الفتنة التيمورية بالروم كان معي عندما طلبني الأمير تيمورلنك فأرسلته عني رسولاً إلى السلطان الناصر فرج بن برقوق..."^(٤٩)، وكانت له رحلة أخرى للحج، كما يقول "...توجهت إلى الحج وجاورت..."^(٥٠).

٥. الوظائف التي تقلدها:

تصدر ابن الجزري للإقراء والتدريس والإملاء في المدارس المنتشرة آنذاك، وأقبل عليه طلبه العلم، لذا كانت أولى وظائفه تقلده وظائف أخيه بعد وفاته في مصر بأمر من السلطان أشرف برسباي، كما يقول "...وولاه السلطان الأشرف برسباي وظائف أخيه أبي

الفتح رحمه الله التي كان أخذها على مشيخة الإقراء بالمدرسة العادلية الكبرى والمشيخة الكبرى بمدرسة أم صالح وتدريس الصلاحية بدمشق والتصدير بالجامع الأموي وتدريس الأتابكية بسفح قاسيون...^(٥١)، ويذكر الحسني انه ولي قضاء شيراز^(٥٢)، وعين لقضاء بلاد الشام^(٥٣)، ومن جملة اهتمامه بالقراء أنشأ لهم مدرسة خاصة ودرس فيها كما يقول ابن العماد "...وعمر للقراء مدرسة سماها دار القرآن وأقرأ الناس..."^(٥٤).

٦. مؤلفاته:

كان لابن الجزري عدداً من المؤلفات التي جعلت منه مؤلفاً يشار له بالبنان، وكان السائد منها جاء في القراءات متطابقاً وميوله إذ كان مقرئاً قبل كل شيء، لذا كانت مؤلفاته على النحو الآتي، منها على سبيل ((ملخص تاريخ الإسلام))^(٥٥)، ((ذات الشفاء في سيرة النبي والخلفاء))^(٥٦)، ((فضائل القرآن))^(٥٧)، ((سلاح المؤمنين))^(٥٨)، ((منجد المقرئين))^(٥٩)، ((الحسن الحصين في الأدعية والأذكار المأثورة))، وحاشية سماها ((مفتاح الحسن الحصين))^(٦٠)، ((التتمة في القراءات))^(٦١)، ((تحرير النشر في القراءات العشر))^(٦٢)، ((الدرة المضيئة في القراءات))^(٦٣)، ((المقدمة الجزرية - أرجوزة في التجويد))^(٦٤)، ((أسنى المطالب في مناقب علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه))^(٦٥)، ((الهداية في علم الرواية في المصطلح))^(٦٦)، ((الزهر الفائح في ذكر من نثره عن الذنوب والقبائح))^(٦٧)، ((شرح الجزرية في علم التجويد المسمى الحواشي المفهمة في شرح المقدمة))^(٦٨)، ((عدة الحسن الحصين من كلام سيد المرسلين))^(٦٩)، ((المصعد الأحمد في ختم مسند الإمام احمد))^(٧٠)، ((المقدمة في تجويد القرآن))^(٧١)، ((منجد المقرئين ومرشد الطالبين))^(٧٢).

المبحث الثاني

الأثر الفني للروايات في كتاب "غاية النهاية"/دراسة منهجية

أولاً : المنهج العام للروايات

اتبع ابن الجزري في كتابه "غاية النهاية" منهجاً قائماً على أساس الدراسة والتحليل لمجمل الروايات التي أوردها في كتابه هذا من خلال نقل مرويات القراء الذين ترجم لهم، وكان منهجه في هذا الموضوع متنوع ودقيق وهذا يعود إلى كونه محدثاً

بالدرجة الأولى لذا نجده صاغ تلك الروايات بأسلوب منهجي سواء كانت تلك الصياغات بشكل مباشر أو غير مباشر وهذا ما لمسناه في كتابه هذا ووقفنا عند نصوصه الخاصة بهذا الموضوع الذي كانت عليه، لذا كان اتجاهه العام في هذا الموضوع دقيقاً من خلال الرواية من الشيخ أو عدد منهم كما يقول ((... روى القراءة عنه أبو الكرم الشهرزوري...))^(٧٣)، أو أكثر من واحد كما في قوله ((... روى القراءة عنه ابنه إبراهيم وعلي الوزان...))^(٧٤)، أو نراه لا يحدد فيما إذا كانوا أكثر من ذلك فنراه يستعمل ألفاظاً دالة على ذلك في حالة رواية مترجمه عن غير من الواحد، كما يقول ((... انه روى عنه غير واحد من الأئمة...))^(٧٥)، أو في حالة رواية القراءة عنه عن مجموعة، كما في قوله ((... روى القراء عن أبي عمرو وابن العلاء... روى القراءة عنه...))^(٧٦) . وفي اغلب المرات وكجزء من منهجه نراه يتجه إلى تحديد نوع الرواية سواء كانت رواية أو سماع، كما في قوله ((... روى الشاطبية...))^(٧٧) . أو سماعاً، كما يقول ((... روى القراءة سماعاً عن، رواها عنه...))^(٧٨)، أو الاثنين معاً، كما في قوله ((... روى القراءة عنه سماعاً... وعرضاً...))^(٧٩)، أو الاثنين عرضاً، كما يقول ((... روى القراءة عرضاً عن، روى القراءة عنه عرضاً...))^(٨٠)، أو أشار إلى رواية الحروف لعلم معين، منها في قوله ((... روى الحروف عنه في كتاب الشاطبية...))^(٨١)، أو يشير إلى اسم الراوي الذي اخذ منه نحو قوله ((... روى الحروف عن ابن كثير...))^(٨٢)، أو يشير إلى ورود الرواية عن مترجمه، نحو قوله ((... وردت الرواية عنه في حروف القرآن...))^(٨٣)، وكجزء من منهجه في هذا الباب نجده يشير إلى عدم معرفته بمن روى عنه وهذا دليل على دقة في إيراد الرواية نحو قوله ((... روى عنه... ولا يعلم احد روى غيره...))^(٨٤)، ولزيادة الدقة نراه يتجه إلى عرض نوع الحروف التي يتم روايتها وأخذها منه، كما في قوله ((... روى حروف ورش عرضاً عن، أخذها عنه عرضاً...))^(٨٥)، وكذلك يشير إلى عدم المخالفة في رواية الرواية، كما في قوله ((... ولم يخالف...))^(٨٦)، أو يشير إلى عدم رواية الرواية احد غيره، كما يقول ((... ولا يعلم احد روى غيره...))^(٨٧)، ومن منهجه أيضاً انه لا يحدد نوع الروايات بشكل دقيق من غير أن يعلل سبب اتجاهه هذا، كما يشير ((... قرأ الروايات...))^(٨٨)، و ((... قرأ بعض الروايات على...))^(٨٩)، و ((... روى الحروف

عن...))^(٩٠)، و ((...روى عن...))^(٩١)، ويحدد المورد الذي اخذ منه معلوماته عن الرواية، نحو قوله ((...ذكره عبد الله بن جارود وروى عنه...))^(٩٢).

وفي بعض الأحيان نراه يستعمل ألفاظا وعبارات دالة على منهجه في هذا الموضوع منها : روى له^(٩٣)، روى^(٩٤)، ناقل^(٩٥)، روى عنه اختياره^(٩٦)، روى حرف^(٩٧)، عارفا^(٩٨)، اخذ الروايات^(٩٩)، قرأنا عليه^(١٠٠).

لذا نجد إن ابن الجزري اوجد له منهجا قائما على أساس الدراسة والتحليل لمجمل القضايا المتعلقة بهذا الموضوع التي توضح لنا الآثار الفنية التي ترتب عليها منهجه هذا وعملت على صياغة هذه الروايات في ضوء منهجه العام الذي اختطه في كتابه هذا الذي اظهر لنا أشكال هذه الاتجاهات المنهجية.

ثانياً: التحليل المنهجي للروايات

ان نظره عامة إلى الأسس التي ترتبت عليها تلك الروايات والمنهج الذي سار عليه ابن الجزري في كتابه هذا نجده اتخذ منهجا قائما ضمن المحددات الفنية التي كانت عليه نصوص هذا الموضوع لأنها لم ترد كلها في اتجاه واحد، وإنما كانت متنوعة ضمن الحالات التي كانت عليها، لذا سنورد تلك الآثار الفنية للروايات على النحو الآتي:

١. نوع الإشارة إلى الرواية:

اتخذ ابن الجزري في هذا الموضوع منهجا أساسه تلك العوامل التي دفعته إلى اتخاذ منهج في تحديد نوع الإشارة إلى تلك الروايات، وهذا المنهج يختلف من واحد إلى اخر منها، انه كان يشير إلى قراءة مترجمه على احد الشيوخ ثم يروي من شيخ الي آخر ثم يروي عنه جماعة، كما في ترجمة ابان بن يزيد بن احمد العطار ((...قرأ على عاصم وروى الحروف عن قتادة بن دعامة، وروى القراءة عنه بكار بن عبد الله العودي وحرمي بن عمارة وشيبان بن فروخ وشيبان بن ماويه وعباس بن الفضل وعبد الوهاب بن عطاء وعلي بن نصر الجهضمي وعبيد بن عقيل وهارون بن موسى ويونس بن حبيب ووكيح...))^(١٠١).

٢. تحديد نوع الرواية:

اعتمد ابن الجزري في كتبه "غاية النهاية" أسلوب التنوع في تحديد نوع الرواية التي يوردها وتعامل معها مستعملاً في ذلك أسس منهجية لها اثرها في البناء الفني للنص الذي تتداخل فيه أكثر من حلة منهجية مع صياغتها بأسلوب منهجي واحد يدخل في باب واحد منها، الإشارة إلى رواية القراءة بإجازة من كتاب عن احد شيوخه في نوعها رواية وسماعاً، كما في ترجمة إبراهيم بن احمد الاسكندري ((...شيخنا روى القراءات لنا إجازة من كتاب الكامل عن عمر بن غدير القواس عن الكندي وسماعاً من الشاطبية عن الخطيب احمد بن إبراهيم بن سباع الفزاري بسماعه من السخاوي، سمعها منه جماعة من الطلبة وابني محمد في الثانية...))^(١٠٢)، وكذلك يشير إلى حصول مترجمه على الرواية عرضاً وسماعاً من غير أية تفصيلات، كما في ترجمة إبراهيم بن احمد بن جعفر بن موسى البغدادي ((...روى القراءة عرضاً وسماعاً عن علي بن سليم الخصيب صاحب الدوري وعن جعفر بن محمد وعن احمد بن محمد الجوزي والحسن بن جعفر...))^(١٠٣)، أو يشير صراحة إلى القراءة سماعاً من غير عرض، كما في ترجمة عبد الله بن احمد بن علي ((...روى حروف الأعشى عن أبي بكر سماعاً من غير عرض عن الحسن بن داود النصار...))^(١٠٤)، وفي بعض الأحيان نراه يورد الرواية قراءة عن احد سماعاً فقط، كما في ترجمة إبراهيم بن عمر البغدادي ((...روى قراءة أبي بكر بن عباس عن أبيه سماعاً عن يحيى بن ادم، رواها عنه أبو بكر بن مجاهد وجعفر بن احمد الواسطي...))^(١٠٥)، أو رواية الرواية بالسند، كما في ترجمة إبراهيم بن نوح الاصبهاني ((...روى القراءة عن أبي خالد الزندلاني عن قتيبة وعن محمد بن عيسى اختياره الثاني...))^(١٠٦)، أو يشير إلى رواية القراءة سماعاً فقط، كما في ترجمة إبراهيم بن الحسن بن علي ((...روى القراءة سماعاً عن قالون...))^(١٠٧)، أو رواية القراءة عرضاً فقط، كما في ترجمة إبراهيم ((...روى القراءة عرضاً عن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن وهب...))^(١٠٨)، أو يقتصر في ذكره على رواية القراءة فقط، كما في ترجمة إبراهيم بن احمد الايلي ((...روى القراءة عن احمد بن الحسين بن علي...))^(١٠٩).

ونراه في بعض الأحيان يغير في اتجاهه المنهجي هذا وهذا يعود إلى أسباب لا يذكرها أحيانا، إلا أنه يركز عليها في بعض الحالات ومنها رواية القراءة عنه عرضا وهو يروي عرضا عن أحد، كما في ترجمة إبراهيم بن زياد أبو إسحاق القنطري ((...روى القراءة عرضا عن محمد بن يحيى الكسائي الصغير، روى القراءة عنه عرضا محمد بن عبد الله بن مرة وفارس بن موسى الضراب ونصر...))^(١١٠)، أو السماع أو من روى القراءة عنه سماعا القراءة عنه سماعا أبو طاهر أحمد بن علي بن سوار ((...))^(١١١).

٣. القراءة بالروايات

ونراه في بعض الأحيان يحدد نوع القراءة ولا سيما بالروايات، كما في ترجمة إبراهيم بن عبد الملك القزويني ((...قرأ على أبي معشر الطبري بالروايات...))^(١١٢)، وإبراهيم بن لاجين ((...قرأ بالروايات على محمد بن أحمد الصايغ وسبط زيادة...))^(١١٣)، أو يشير إلى تلاوة مترجمه بالروايات، كما في ترجمة أحمد بن علي بن أحمد الشيخ ((...تلا بالروايات على صالح بن عبد الله بن الصباغ والشيخ علي بن أبي محمد بن سعد الديواني...))^(١١٤)، وفي ضوء هذا الاتجاه نراه يذكر الروايات من غير تحديد لمجموعها أو نوعها، كما في ترجمة أحمد بن محمد بن عبد الله ((...قرأ على أبي عبد الله الفاسي الروايات...))^(١١٥)، ويشير إلى شهرة مترجمه من خلال قراءة الروايات على أحد الأعلام، كما في ترجمة إسماعيل بن عثمان الحنفي ((...وكان من كبار العصر قرأ بالروايات على السخاوي...))^(١١٦).

٤. الرواية بالإجازة

تشكل الرواية بالإجازة من أهم الاتجاهات التي عمل عليها ابن الجزري في كتابة "غاية النهاية" فنراه قدم لنا صورا من تلك الروايات سواء كانت على مستوى تراجمه أو مؤلفاتهم، ومنا رواية القراءات بالإجازة، كما في ترجمة إبراهيم بن عمر الجعبري ((...لم تقع له بالتلاوة عن كل من العشر إلا رواية واحدة وروى القراءات بالإجازة عن الشريف الداعي وروى الشاطبية بالإجازة عن عبد الله بن إبراهيم بن محمود الجزري...))^(١١٧)، وأحمد بن رجب بن الحسن السلمي ((...وروى الشاطبية عن القاضي أبي عبد الله محمد بن جماعة إجازة...))^(١١٨)، أو نراه هنا يحدد من يروي عنه بالإجازة ولزيادة في الدقة نراه

يحدد نوع الإجازة الواردة الذكر، كما في ترجمة احمد بن محمد أبو طاهر ((...روى القراءات عنه عيسى بن عبد العزيز بن عيسى وروى عنه القراءات بالإجازة العامة الكمال الضرير...))^(١١٩)، ومن أجل الدقة أكثر في هذا الموضوع نراه عندما يعرض لكتاب احد مترجميه يفضل الطريقة التي اتبعها مترجمه في مؤلفه عن طريق ترتيب الرواة كأساس منهجي في كتابه، كما في ترجمة احمد بن محمد الواسطي ((...رأيت من نظمه كتاب المغنية في العشر على طريقة درر الأفكار عن شيخ راو ورأيت له أيضا كتاب العشر المبهرة في قراءات العشرة أرجوزة وفيها أيضا عن كل راو واحد إلا عاصما فذكر عنه أبا بكر وحفص رواها عنه بالإجازة...))^(١٢٠).

٥. رواية القراءة

استعمل ابن الجزري منهجا خاصا في عرض هذا الموضوع من خلال نصوص الكتاب وهذا المنهج نراه لم يتحدد وفق قواعد وأسس معينة وإنما اختلفت الاتجاهات والإشارات إليه سواء من الرواية أو القراءة مدفوعا في ذلك باتجاهات منهجية مختلفة قادته إلى الوصول إلى هذا الاتجاه، فنراه تارة يروي القراءة عن احد ثم يروي عنه، كما في ترجمة إبراهيم بن وكيع ((...روى القراءة عن أبيه عن إبان عن قتادة بن دغامة، روى القراءة عنه محمد بن محرم الجهوري))^(١٢١)، أو رواية القراءة عنه عرضا وروى عنه عرضا أيضا، كما في ترجمة إبراهيم بن الوليد الانطاكي ((روى القراءة عرضا عن عبد الصمد عن ورش، روى القراءة عنه عرضا المطوعي))^(١٢٢)، أو يستعمل ألفاظا معينة في الإشارة إلى رواية راوي الرواية ومعه مجموعة لم يحدد أسمائهم، كما في ترجمة احمد بن حرب بن غيلان ((...وروى عنه المحاملي وغيره...))^(١٢٣)، أو رواية الرواية قراءة وسماعا، كما في ترجمة احمد بن الحسن بن علي ((...روى القراءة قراءة وسماعا عن محمد بن يحيى الكسائي...))^(١٢٤)، أو الرواية عرضا وسماعا، كما في ترجمة احمد بن سعد بن احمد ((روى عنه التيسير عرضا وسماعا...))^(١٢٥)، أو يروي ويروي عنه القراءة عرضا، كما في ترجمة احمد بن عبد الله بن الحسين ((...روى القراءة عن أبي بكر النقاش، روى القراءة عنه عرضا أبو الحسن الخياط))^(١٢٦). ونجد في بعض الأحيان يورد الروايات التي يحصل عليها مترجمه بالتفصيل، كما في ترجمة احمد بن علي بن عبيد الله بن

عمر ((...روى قراءة الإمام محمد بن إدريس الشافعي...ورواية المسيبي عن محمد بن عبد الواحد...ورواية الثعلبي عن ابن ذكوان...ورواية الفجلي عن حمزة...ورواية أبي بكر عن إبراهيم بن عمر البرمكي ورواية الدوري عن الكسائي...ورواية أبي الحارث عن عبيد الله بن احمد بن علي الكوفي ورواية سورة عن الكسائي...وروى عنه الحروف الحافظ أبو طاهر السلفي (...))^(١٢٧)، ونجد انه يؤكد صحة مصدر حصول مترجمه على الرواية، كما في ترجمة احمد بن عمر بن حفص الوكيعي ((...روى القراءة عن يحيى بن ادم، روى القراءة عنه ابنه إبراهيم وعلي بن احمد الوزان وفيما ذهب إليه أبو عمرو الحافظ وهو الصحيح...))^(١٢٨).

٦. نوع رواية الكتب

اتخذ ابن الجزري اتجاهات منهجية في رواية الكتب وفقا لاتجاهات معينة تتحدد في ضوء اتجاهاته وميوله تجاه الرواية فيها، فنراه يورد في ترجمة مترجمه لرواية أكثر من كتاب، كما في ترجمة احمد بن فرحون ((...روى عنه الشاطبية والتيسير...))^(١٢٩)، أو عكس ذلك يروي كتاب واحد من أكثر من شيخ أو مقرر، كما في ترجمة احمد بن محمد المحروق ((...روى الشاطبية عن عبد الصمد بن أبي الحسين وعن حسين بن قتادة...))^(١٣٠)، وسليمان بن موسى بن سالم الكلاعي ((...لروى تلخيص أبي معشر عن أبي عبد الله بن حميد سماعا...وروى التيسير قراءة علي بن زرقون رواه عنه سماعا...))^(١٣١).

٧. الرواية من غير تحديد الاسماء

ونراه في بعض الأحيان يسلك في كتابه أسلوب يقوم على أساس عدم الإشارة إلى تحديد أسماء الرواة مستعملا في ذلك عبارات دالة على ذلك منها مشيرا إلى كونه رأسا في الرواية، كما في ترجمة احمد بن محمد السمرقندي ((...روى عن غير واحد من الأئمة إن من اخذ القراءة أو الرواية من طريق واحد فلم يشتم رائحتها...وكان شيخ القراء بسمرقند انتهى إليه التحقيق والرواية...))^(١٣٢)، ونجده أيضا يورد اشتها ر رواية أخرى عن طريق مترجمه، كما في ترجمة احمد بن محمد البغدادى ((...واشتهرت رواية حفص من طريقه...))^(١٣٣)، ويشير إلى رواية مترجمه كونها من حيث الأهمية عزيزة، كما في

ترجمة العباس بن الفضل الواسطي ((...وروايته عزيزة...))^(١٣٤)، ويحدد فيما إذا كانت روية مترجمه رواية أو قراءة، كما في ترجمة احمد بن محمد الشيباني ((...فانه معروف بالرواية عنه لا بالقراءة...))^(١٣٥)، ويحدد في ضوء هذا الاتجاه مجموعة من يروى عنهم رواية، كما في ترجمة احمد بن محمد بن عبد الله ((...روى القراءة عنه محمد بن يونس وابن مجاهد واحمد بن عبيد الله وعلي بن الحسين بن الرمثي...))^(١٣٦)، مشيراً إلى عدم مخالفة مترجمه في الرواية مع غيرها من الروايات الأخرى في بعض المواضع وهذا جزء من دقته في منهجه هذا، كما يقول في ترجمة احمد بن محمد البغدادي ((...ولم يخالف الوراق لزيد في روايته عن ابن فرج عن الدوري عن الكسائي إلا في حرف واحد وهو "أول كافر"))^(١٣٧).

٨. الدقة في إيراد الرواية:

اتخذ ابن الجزري منهجا دقيقا في إيراد رواياته الخاصة بهذا الموضوع سواء كان تصحيح أو تأكيد على إن مترجمه لراو، أو وصف الكتاب المروي وغيرها من الاتجاهات الخاصة بهذا الموضوع التي تعكس لنا أهدافه هذه، كما في ترجمة احمد بن محمد بن هارون عندما صحح اسم المترجم له قائلا ((...يعرق بابن الوراق كذا هو في المستتير في موضوع وسماه في رواية الدوري عن الكسائي...))^(١٣٨)، ويؤكد في بعض تراجمه إن مترجمه راو من أجل الدقة في البحث عندما يورد اسم مترجمه، كما في ترجمة اسحق بن إبراهيم بن عثمان المروزي ((...راو، روى القراءة عن حفص عن عاصم...روى عنه يحيى بن إسماعيل البجلي...))^(١٣٩).

٩. المحددات الفنية للرواية

اتخذ ابن الجزري في روايات كتابه منهج دقيق وواضح في تحديد الأسس والسياقات التي شكلت روايته وهذا يدل على دقته في إيراد روايته وتحديد المصدر الأساس لها سواء كانت من كتاب محدد أو غيره، كما في ترجمة اسحق بن إبراهيم بن المظفر أبو الفضل الوزيري ((...وروى عنه الحروف من التيسير والشاطبية...))^(١٤٠)، ويذكر من روى القراءة مؤكدا صاحب من روى عنه، كما في ترجمة إسحاق بن المنصور الكوفي ((...روى القراءة عن عبد الله بن منصور صاحب حمزة...))^(١٤١)، وإسحاق بن موسى

الأنصاري ((...روى القراءة عنه عبد الله بن عمرو...))^(١٤٢)، أو روايتين مختلفتين، كما قوله في ترجمة إسحاق بن يوسف بن يعقوب الأزرق الواسطي ((...روى القراءة عن أبي عمرو وحروف عاصم عن أبي بكر بن عباس، وروى عن الأعمش وابن عون وخلق...))^(١٤٣)، وإسماعيل بن شعيب النهاوندي ((...روى الحروف عن إسحاق بن محمد بن منده، روى القراءة عنه عبد الله بن أحمد بن طالب وعبد الواحد بن أبي هاشم...))^(١٤٤).

١٠. السياقات الفنية للرواية

عمد ابن الجزري في بعض الأحيان إلى تقديم بعض المعلومات الدقيقة عن الكتاب الذي يتم من خلاله الرواية سواء في عدد أو مجموع ما يحويه من روايات وهذا يمثل لنا الجانب الوصفي للكتاب، كما في ترجمة اسعد بن الحسين بن سعد بن علي ((...فأن هذا الكتاب جمعت فيه خمسين رواية عن القراء الذين أجمعت الأمة على امامتهم والافتداء بقراءاتهم وذكرت في كل رواية ما وقع إلي من طريق عال مذكور زهاء أربعمائة طريق...))^(١٤٥)، وكذلك يشير إلى نوع الإسناد في الرواية فبما إذا كان مجهول وهذا جزء من منهجه الذي يتداخل مع توثيق الرواية وبيان مدى دقتها، كما في ترجمة جعفر بن موسى بن عبد العزيز الهلالي ((روى قراءة عاصم عن أبي بكر بن محمد بن زريق عن الحارث بن نبهان عن عاصم، رواها عنه أبو عمر الدوري...وهو إسناد مجهول والله اعلم))^(١٤٦)، أو يستعمل بعض الألفاظ التي تدل على حصول مترجمه على ال رواية بطرق أخرى بشكل دقيق، كما في ترجمة حذيفة بن اليمان "رضي الله عنه" ((وردت الرواية عنه في حروف القرآن...))^(١٤٧)، والربيع بن الخيثم أبو يزيد الكوفي ((...وردت عنه الرواية في حروف القرآن...))^(١٤٨)، وهناك بعض الملاحظات التي تشير إليها على بعض الروايات الغريبة أو المفارقات التي في هذا الموضوع مستعملا بعض الألفاظ الدالة على ذلك، كما في ترجمة الحسن بن سليمان الأنطاكي ((...والغرائب من الروايات))^(١٤٩)، والزيبر بن محمد بن عبد الله العمري ((راوي...وهو ثقة تلقى الناس رويته عن أبي جعفر بالقبول مع ما فيها من غرائب التسهيل...))^(١٥٠).

وفي نفس هذا الاتجاه نراه يحدد روايته بالنسبة للكتاب، كأن تكون رواية كتاب من شخصين، كما في ترجمة الحسن بن عبد الله بن ربحان ((...قرأ على الكما الضرير وروى الشاطبية عنه وعن ابن الأزرق...))^(١٥١)، ويحدد آخر من روى عن أحد مترجميه، كما في ترجمة الحسن بن الصفر ((...قرأ لأبي عمرو علي زيد بن علي بن أبي بلال وهو آخر من روى عنه...))^(١٥٢)، أو يقدم أنه آخر من روى عن أحد القراء، كما في ترجمة سهل بن محمد بن أحمد بن الحسين ((...وهو آخر من روى عن الهذلي...))^(١٥٣)، أو يحدد ويرجح كون هذه الرواية رواية سماع لا عرض كما وضح ذلك بناء على الاحتمال، نحو قوله في ترجمة الحسن بن أبي الحسن ((...فيحتمل أن يكون ذلك رواية سماع لا عرض...))^(١٥٤)، ويستعمل لفض صاحب رواية الكتاب، كما في ترجمة الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البغدادي ((...صاحب رواية كتاب الشمس المستنيرة في التسعة الشهيرة...))^(١٥٥)، وعبد الواحد بن حمد بن سنيذة ((...وروى كتاب الكامل للهذلي عنه...))^(١٥٦)، أو أنه قرأ بالروايات الكثير على عدد من العلماء، كما في ترجمة عبد الولي بن عبد الرحمن ((...قرأ بالروايات الكثير على أحمد بن محمد بن إسماعيل وعلي ابن عساكر البطائحي وسعد الله بن الدحجاني ومسعود بن الحسين بن علي...))^(١٥٧)، وهناك بعض الملاحظات الدقيقة له على الروايات في حال تكرارها لأكثر من واحد من مترجميه فإنه يوضح ذلك، كما في ترجمة الحسين النجار ((روى القراءة عن سليم والحسين النجار روى القراءة عن سليم أيضا))^(١٥٨)، أو يصحح فيما إذا كان هناك خطأ في اسم الراوي عنه، كما في ترجمة حميد بن وزير أبو بشر القطان النيلي ((...إن الراوي عنه مسلم بن سفيان لا الحسن بن مسلم بن سفيان والحسن بن مسلم يروي عن أبيه مسلم عن حميد بن وزير...))^(١٥٩)، أو نراه ينزل إلى أدق التفاصيل في منهجه والإيضاح الفني للرواية فيذكر أو يحدد الجزء اليسير أو البسيط لروايته محددا اتجاهه لغيره، كما في ترجمة سالم بن مولى أبي حذيفة بن عيينة بن أبي ((...وقد روى له بن أبي الدنيا حديثا واحدا في كتاب أحوال القيامة ولا أعلم له غيره))^(١٦٠)، أو رواية الكتاب كاملا عنه، كما في ترجمة شعلان بن شيبه ((...وروى عنه كتاب التمام...))^(١٦١)، أو في نفس هذا الاتجاه يذكر سلسلة الإسناد في رواية لأكثر من كتاب وراو، كما في ترجمة عبد

الكريم بن عبد الصمد ((...وروى كتاب تفسير النقاش عن شيخه اليزيدي وتفسير الثعلبي عن أبي بكر بن عباس وهو من المقلين عنه...))^(١٦٢)، ولا يحدد ذلك وإنما يذكر فيما إذا كان كثيرا، كما في ترجمة عبد الهادي بن عبد الكريم ((...روى الكثير من الحديث عن الاتاجي والخشوعي وقاسم المقدسي...))^(١٦٣)، أو نراه يغفل عن مترجمه رواية مجاميع معينة ومتنوعة من الروايات كل حسب الصيغة المنهجية التي وردت فيها الترجمة ثم يروي عته أيضا، كما في ترجمة سليمان بن سالم بن عبد الناصر القدسي ((...روى الشاطبية سماعا عن أحمد بن سليمان بن مروان البعلبكي عن السخاوي، رواها عنه سماعا الفخر عثمان بن عبد الرحمن...))^(١٦٤)، وسليمان بن سليمان البصري الذي كرس نوع الرواية بالحروف قائلا ((...روى الحروف عن عاصم الجحدري وأبي عمرو بن العلاء، روى الحروف عته نصر بن علي الجهضمي...))^(١٦٥)، وسليمان بن أيوب بن الوليد ((...روى القراءة عن خلف وترك الحذاء وأبي حمدون الطيب بن إسماعيل، روى القراءة عته أحمد بن عبد الله بن الخشف وأحمد بن محمد الآدمي وعبد الرحمن بن إسحاق الكوفي ومحمد بن القاسم بن بشار الانباري وغيرهم...))^(١٦٦) .

ثالثا: الاتجاهات الفنية لقراءة الروايات

أشار ابن الجزري في كتابه هذا إلى من قرأ بالروايات من مترجميه متخذا في ذلك أسلوبا منهجيا قائما على أساس التحليل لتلك الروايات مظهرا في ذلك بعض المزايا من التحليل فنراه يورد بعض الألفاظ والمصطلحات الدالة على ذلك من الكثرة وما يرتبط فيها سواء كانت بصورة مباشرة أو بالاجازة، كما في ترجمة عبد القاهر بن عبد السلام ((...قرأ بالروايات الكثيرة على أبي عبد الله محمد بن الحسين بن أذر بهرام الكارزيني...))^(١٦٧)، أو يكثر بالرواية عن أحد الشيوخ، كما في ترجمة عبد القدوس بن عبد المجيد ((...روى القراءة عن الكسائي وهو من المكثرين عنه...))^(١٦٨)، أو ((رواية القراءة الكثير بالاجازة عن أبي علي الأهوازي...))^(١٦٩) .

١- منهجه في عرض الروايات

اتبع ابن الجزري منهجا في عرض الروايات التي يتم عرضها من قبل المقرئ أو صاحب الترجمة في كتابه "غاية النهاية" على شيخه، كما في ترجمة سهيل بن محمد بن

جلاب الكوفي ((...عرض علة خالد بن يزيد الطيب...وروى عنه علي بن محمد النخعي...))^(١٧٠)، أو فق يشير الى الرواية والعرض، كما في ترجمة أبو سلمه الحمراوي ((...روى القراءة عرضا عن احمد بن إسحاق الخياط، روى القراءة عنه عرضا خلف بن إبراهيم))^(١٧١)، أو فقط عرضا وعرض عليه، كما في ترجمة أبو سعيد العسكري ((عرض على أبي حاتم السجستاني، عرض عليه محمد بن عبد الله بن شاكر))^(١٧٢)، أو عرض على احد وروى القراءة عنه عرضا ((...وعرض على ابن محيصن وعبد الله بن كثير...روى القراءة عنه عرضا إسماعيل القسط مع انه عرض على ابن كثير وابنه داود بن شبل...))^(١٧٣).

ويشير إلى رواية القراءة عرضا وسماعا عن مترجمه، كما في ترجمة طاهر بن عبد المنعم بن غلبون ((...روى القراءات عنه عرضا وسماعا الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد وإبراهيم بن ثابت الاقليسي ومحمد بن بالشباز الجوهري وأبو الفضل بن عبد الرحمن الرازي وأبو عبد الله محمد بن احمد القزويني...))^(١٧٤)، وكان يروي عرضا وسماعا مع إيضاح بعض التغيرات في إسناد الرواية عند تكرار الأخذ من غير مع تصحيح بعض أسماء المسندين وهذا جزء من منهجه في إيراد روايته دقيقة ومضبوطة، كما في ترجمة الطيب بن إسماعيل البغدادي ((...روى الحروف عن سليمان بن داود الهاشمي وحجاج بن منهال...روى القراءة عنه عرضا وسماعا الحسن بن الحسين الصواف...وفي تجريد الفحام اسند رواية أبي احمدون عن الفارسي عن الحسين الصواف عن أبي احمدون...))^(١٧٥)، أو يروي من غير عرض فقط سماع بصيغة منهجية تختلف عنا ورد في أعلاه، كما في ترجمة عبيد الله بن معاذ العنبري ((...روى الحروف سماعا من غير عرض...وروى عنه البخاري في صحيحه بلا واسطة وباقي الكتب الخمسة بواسطة...))^(١٧٦).

٢- منهجه في نقد الروايات

عرف ابن الجزري كونه محدثا وهو الأمر الذي أهله لان يكون ناقدا قبل كل شيء وكجزء من منهجه في نقد الروايات التي تصله أو ما يلاحظه على نصوص

مترجميه معللا ذلك في بعض الأحيان لأسباب غير معروفة، وهذا ما نراه عندما يتدخل في تصحيح ما يوجب منها تصحيحه، كما في ترجمة سهل بن محمد بن عثمان السجستاني ((...وقد اضطررب في إسناد روايته عن ابن كثير في الكامل وقدم وأخر وقلب الأسماء وخط الرجال بعضها ببعض واحتمال الصواب أن يكون عثمان بن علي شيخ الهذلي رواها عن أبي الحسن العلاف عن محمد السلمي عن علي بن احمد المكي عن أبي حاتم عن القطعي عن عبيد بن عقيل ومحبوب بن الحسن وعلي بن نصر الجهضمي عن مسلم بن خالد عن ابن كثير...))^(١٧٧)، وما يترتب عفي ذلك من حصول بعض المشاحنات نتيجة الاختلافات في الروايات، كما في ترجمة عبد الباقي بن الحسن بن احمد ((...ولما حصل الروايات ورجع إلى دمشق يقرئ بها حصل بينه وبين شيوخها اختلاف فتعصب له قوم وتعصب آخرون عليه حتى تطاول بعضهم إلى بعض فخرج منها إلى الديار المصرية...))^(١٧٨)، وكون الرواية منقطعة، كما في ترجمة عبد الرحمن بن قلوما ((...روى القراءة عنه عرضا رجاء بن عيسى الجوهري واحمد بن محمد بن حنبل ورواية في الكامل منقطعة))^(١٧٩)، وفي ضوء هذا الاتجاه النقدي نراه يشير إلى ما يرافق أحيانا الرواية من بعض الطرق الغريبة في الرواية، كما في ترجمة صالح بن اسحق أبو عمر الجرمي ((روى القراءة عن سيبويه ويونس بن حبيب عن أبي عمرو، روى القراءة عنه أبو عثمان المازني، وهذه طريقة نحوية غريبة في كتاب الكامل لم نروها من غيره))^(١٨٠)، وكان يشير إلى الشواذ من الروايات، كما في ترجمة طلحة بن سليمان السمان ((...وله شواذ تروى عنه...))^(١٨١)، وفي مثل هذا النقدي نراه يشيد بمترجمه وكونه راو، أو ثقة، أو عالي الإسناد، وغيرها من الألفاظ والعبارات الخاصة بهذا الموضوع، كما في ترجمة عبيد بن عقيل كونه راو صدوق ((راو ضابط صدوق...))^(١٨٢)، وفي تضعيف الرجال كانت له إشارات في ذلك، كما في ترجمة عنبه بن الملك ((...عالي الإسناد عديم النظر...إلا انه اضطررب في رواية ورش إسنادا واختلافا خصوصا من طريق الأزرق فأسندها إليه فيما قاله...))^(١٨٣)، ويشير إلى عدم إتقان مترجمه في القراءة كونه صحيح لها، كما في ترجمة عقيل بن علي البغادي ((...انه لم يكن بمتقن ولكنه صحيح القراءة والرواية...))^(١٨٤).

وكجزء من منهجه هذا نراه يتدخل في تصحيح بعض ما يرد له من أخطاء رغم شكه المستمر فيها، كما في ترجمة عمر بن سراج ((...وذكر إن الراوي عن الحسن بمن مسلم وليس كذلك وإنما الراوي عته مسلم بن شعبان والحسن بن مسلم يرويه عن أبيه مسلم عن عمر بن سراج والله اعلم))^(١٨٥)، وكذلك في إسناد رواية نراه يصحح في حال إمكانيته وقدرته على ذلك، كما في ترجمة عمرو بن ميمون ((...واسند رواية أحمد بن جبير عن حمزة ثم أعاده على الصواب في رواية أبي عثمان القناء عن حمزة في مكان آخر))^(١٨٦)، أم تصحيح إسناد الرواية فنراه يشير إليه صراحة، كما في ترجمة عيسى بن مهران بن عمرو ((...وهذا إسناد لا اعرفه وبهذا الإسناد اسند الالهوازي رواية حماد بن زيد عن عاصم أيضا))^(١٨٧).

وهناك اتجاه آخر سلكه ابن الجزري في النقد انه عندما يروي اختياره يشير إلى مخالفته منهج مترجمه في الرواية، كما في ترجمة عمر بن عبد الواحد الدمشقي ((...وروى عنه اختياره الذي خالف فيه عبد الله بن عامر...))^(١٨٨)، وعند اتساع رواية مترجمه رغم انه متروك الحديث، كما في ترجمة عمر بن هارون البلخي ((...متروك الحديث ... مع سعة ماروى...))^(١٨٩).

٣- راية في تقدير إمكانية الرواية

كان لابن الجزري اتجاه منهجي خاص في تبيان إمكانية الرواية من قبل مترجميه ونوع الرواية فيما إذا كانت قوية وتعزز من انتفاع الناس منها، كما في ترجمة علي بن أحمد بن محمد الغرناطي ((...تصدر للإقراء والرواية وانتفع الناس به كثيرا...))^(١٩٠)، وأشار إلى الطريقة العالية التي وردت كانت فيها رواية مترجمه، كما في ترجمة علي بن الحسن بن الرقي ((...وقد وقعت لي رواية السوسي من طريقة عالية...))^(١٩١)، وانفراد مترجمه برواية معينة لم تروى عنه من قبل غيره، كما في ترجمة علي بن محمد بن صالح الجوخاني ((...وقد انفرد عنه ابن سوار بكسر النون "تتقون إن كفرت" (المزمل: آية ١٧) لم يرويه عنه غيره))^(١٩٢)، محددا بالعمر لمترجمه فيما إذا كانت روايته عالية، كما في ترجمة علي بن محمد بن علي بن هذيل ((...علو روايته ... وروى العلم على نحو ستين سنة...))^(١٩٣)، وفي كثير من الروايات يكون مترجمه أعلى من

الشيخ، كما في ترجمة علي بن محمد الواسطي ((...كان أعلى من شيخ الشاطبي بل في كثير من الروايات...))^(١٩٤)، وانفراد مترجمه بالرواية الحسنة، كما في ترجمة عصمة بن عروة ((...وهو المنفرد عن أبي بكر برواية مستطر بتشديد الراء لم يروه غيره...))^(١٩٥)، وفي نفس هذا الاتجاه نراه يؤكد صحة حصول مترجمه على الرواية، كما في ترجمة احمد بن عمر بن حفص الوكيعي ((...روى القراءة عن يحيى بن ادم، روى القراءة عنه ابنه إبراهيم وعلي بن احمد الوزان فينا ذهب إليه أبو عمرو الحافظ وهو الصحيح...))^(١٩٦).

٤- بعض الألفاظ المنهجية للرواية

ثمة ألفاظ منهجية وردت في بعض الروايات التي أوردها ابن الجزري في روايات كتابه هذا لن نتمكن من درجها تحت عنوان واحد وإنما جاءت بهذه الصيغ منها، استعماله بعض الألفاظ الدالة على كثرة ما روى عنه مترجمه منها خلق، كما في ترجمة إبراهيم بن أبي عيلة الدمشقي ((...وروى عنه مالك بن انس وابن المبارك وخلق...))^(١٩٧)، كما يشير الى غزارة رواية مترجمه من حيث الكم، كما في ترجمة العباس بن الفضل الواسطي ((...وروايته غزيرة...))^(١٩٨).

٥- الشمول المكاني لروايات مترجميه

وفي بعض الأحيان نراه يحدد المكان الذي التقى فيه مترجمه عند الرواية عن احد، كما في ترجمة إبراهيم بن علي العلاف ((...روى القراءة عنه عرضا محمد بن الحسين وذكر انه لقيه بدمشق...))^(١٩٩)، وكان يشير إلى اختيار مترجمه للرواية في مكان وكانت قراءته في مكان آخر، كما في ترجمة الطيب بن إسماعيل ((...وهو الذي روى عنه اختياره وقرأ به في الري وأخذ الناس عنه هناك...))^(٢٠٠) ويعزو هذا إلى شهرة مترجمة في مدينة ما من خلال رواية راو آخر، كما في ترجمة العباس بن الوليد بن مرداس ((...شيخ اصبهان في رواية قتيبة...))^(٢٠١).



الخاتمة

ومما تقدم نخلص من خلال هذا البحث إلى جملة من الأمور التي يتم منا معالجة بعض القضايا التي وردت في كتاب ابن الجزري "غاية النهاية" التي تخص الروايات التي وردت فيه، وهي أنها لم ترد في الكتاب على نسق واحد ونما جاءت في اتجاهات مختلفة من حيث المنهج الذي وجدناها عليه في ثلاث اتجاهات وهذا جزء من منهجه في عرضها سواء في القراءة أو الرواية أو كيفية عرضه هذه الروايات، وقد تداخلت مع هذه الاتجاهات بعض الملاحظات أو الآثار الفنية التي حددت اتجاهاتها وطريق ورودها سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، وأوجدت من خلال ذلك بعض القضايا النقدية التي حددت موقفه في الرواية ونعزو سبب ذلك كون ابن الجزري محدثاً، إلا أنه في ضوء منهجه العام التزم خطه المنهجي القائم على أساس التحليل والتدقيق لمجمل تلك الروايات فراه من خلال النصوص يحدد نوع الإشارة إلى الرواية، ويحاول في نصوص أخرى إضافة نصوص على الروايات توضح الحالات الفنية التي حصلت عند قراءة الروايات في خط منهجي دال على ذلك الاتجاه، ونراه كذلك يحدد نوع الرواية سواء كانت بالإجازة ذاكرة في أغلب المرات نوع الإجازة التي يحصل عليها مترجمه سواء كانت عامة أو غير ذلك، أو يحدد نوع الرواية وفق اتجاهاتها المعينة سواء في عدم تحديد أسماء الرواة، وحرص أن تكون روايته دقيقة وفقاً لمنهجه في النقد موضحاً أهم السياقات الفنية لها ونقدها من خلال متابعة الأطر الفنية لتلك السياقات .

وبذا نكون قد قدمنا من خلال هذا البحث بعض الأطر الفنية للرواية من خلال اتباع السياقات المنهجية للرواية من خلال إتباع السياقات المنهجية لها التي قدمها ابن الجزري وفق تصورات المنهجية المباشرة وغير المباشرة.



هوامش البحث ومصادره

- (١) غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره براجستراسر، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣م)، ١ / ١٢٩ ؛ شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ضبطه وراجعها الشيخ علي محمد الضباع، ط١ (مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٠ م)، ص ص ٣-٤؛ شرح طيبة النشر في القراءات العشر، حققه وعلق عليه الشيخ أنس مهرة، ط٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م)، ص٣، أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسين بن حمزة الحسيني (ت ٧٦٥ هـ)، ذيل تذكرة الحفاظ، تحقيق حسام الدين القدسي، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ١ / ٣٧٦ - ٣٧٧؛ أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ)، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان، ط٢ (حيدر آباد الهند، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢م)، ١ / ٣٣ ؛ جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت) ١٤ / ١٦ ؛ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ)، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٣٣م)، ١ / ٦١، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (بيروت، مكتبة دار الحياة، د.ت) ٢ / ١٩٣ ؛ ذيل طبقات الحفاظ للذهبي، نشر باعتناء وستقلد (غوتتجي، ١٨٣٣ - ١٨٣٤م)، ١ / ٥٤٩ ؛ عبد الرحمن بن محمد أبو اليمن العلمي (ت ٩٢٧ هـ)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط٢ (النجف، الحيدرية، ١٩٦٨م)، ٢ / ٤٥٤؛ عبد القادر بن محمد أنعمي الدمشقي (ت ٩٢٧ هـ)، الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠ هـ)، ١ / ٢٤٥ ؛ عصام الدين أبو الخير احمد بن مصطفى طاش كبرى زادة (ت ٩٦٨ هـ)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، (القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٩٦٨م)، ١ / ٣٩٢ ؛ والشقائق العمانية في علماء الدولة العثمانية، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٥ م)، ١ / ٣٩؛ ابو الحسنات محمد بن عبد الحي بن الحافظ محمد بن عبد الحليم بن محمد بن أمين اللكنوي (ت ١٣٠٤ هـ)، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عني بتصحيحه وتعليق الزوائد عليه السيد محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، (بيروت، دار المعرفة، د.ت)، ص ١٤؛ احمد بن محمد المقرئ التلمساني (ت ١٠٤١ هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق د. إحسان عباس، (بيروت، دار صادر ١٩٦٨م)، ٢ / ١١٧٣ ؛ محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠ هـ)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (بيروت، دار المعرفة،

د.ت)، ٢ / ٤٥ - ٤٦ ؛ صديق بن حسن القنوجي (ت ١٣٠٧هـ)، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، (بيروت، دار النشر العلمية، ١٩٧٨م)، ٢ / ١١٤ ؛ جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، (بيروت، مكتبة دار الحياة، ١٩٦٧ م)، ٣ / ٢٤٧ ؛ دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية احمد الشنتاوي وآخرين، (بيروت، دار الفكر العربي، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣م)، ١ / ١١٨ ، Brockleman G. Geschicht Dear Arabischin litteratur (Leiden, 1939: 2-274)

(٢) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، ذيل طبقات الحفاظ، نشر باعتناء وستنفلد، (غوتتجي، ١٨٣٣-١٨٣٤)، ٣ / ٨٥ .
(٣) الضوء اللامع، ٢ / ١٩٣ .

(٤) اسم لبلدة واحدة يقال لها جزيرة عمر، وبلاد عدة منها: الموصل، سنجار، حران، الرقة، رأس عين، آمد، ميفارقين، وهي بلاد بين دجلة والفرات يقال لها الجزيرة، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢هـ)، الأنساب، عني بتصحيحه والتعليق عليه عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط ١ (الهند، وزارة المعارف للتحقيقات العلمية، ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣)، ٣ / ٦٣٩، ابن حجر: الدرر الكامنة، ١ / ٢٥٦، السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ، ١ / ٥٤٩ ؛ مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م)، ٢ / ١٦٤٧ ؛ أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت)، ٤ / ٢٠٤ ؛ الشوكاني: البدر الطالع، ٢ / ٤٥ .

(٥) السيوطي: طبقات الحفاظ، ١ / ٥٤٩ ؛ ابن العماد: م.ن، ٤ / ٢٠٤ .
(٦) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ١٤ / ٢٧٦ ؛ ألنعمي: م.ن، ١ / ١١٢ .
(٧) إسماعيل بن عمرو كثير القرشي أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية في التاريخ، (بيروت، مكتبة المعارف، د.ت)، ١٤ / ٢٠٦ .
(٨) ابن حجر: الدرر الكامنة، ١ / ٣٣ ؛ السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ، ١ / ٥٤٩ ؛ ابن العماد: م.ن، ٤ / ٢٠٤ .

(٩) ابن العماد: م.ن، ٤ / ٢٠٤ ؛ دائرة المعارف الإسلامية، ١ / ١١٨ .
(١٠) السيوطي: م.ن، ١ / ٥٤٩ .
(١١) ألنعمي: م.ن، ١ / ٢٤٥ .
(١٢) دائرة المعارف الإسلامية، ١ / ١١٨ .
(١٣) ابن تغري بردي: م.ن، ١٤ / ٢٧٦ .

- (١٤) ابن الجزري: ١/ ١٢٩ ؛ السخاوي: الضوء اللامع، ٢/ ١٩٣ ؛ إسماعيل باشا محمد الباباني البغدادي (ت ١٣٣٩هـ)، هدية العارفين - أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (استانبول، وكالة المعارف، ١٩٥٥م)، ١/ ١٢٨ ؛ خير الدين الزركلي: الأعلام - قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط٣ (بيروت، ١٩٦٩م)، ١/ ٢٢٧.
- (١٥) السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ، ١/ ٥٤٩.
- (١٦) ابن العماد: م.ن، ٤/ ٢٠٤ ؛ يوسف آليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، (القاهرة، سركيس، ١٣٤٦هـ)، ص ص ٦٢-٦٣.
- (١٧) حاجي خليفة: كشف الظنون، ٢/ ٧٩٩.
- (١٨) شرح طيبة النشر، صص ٥، ١٥، ٥٥ ؛ الزركلي: الأعلام، ١/ ٢٧.
- (١٩) مقدمة شرح كتاب طيبة النشر، ص ٣-٤.
- (٢٠) ابن الجزري: غاية النهاية، ١/ ١٣٠.
- (٢١) م.ن: ١/ ١٢٩.
- (٢٢) ذيل تذكرة الحفاظ، ١/ ٣٧٧.
- (٢٣) ذيل طبقات الحفاظ، ١/ ٥٤٩.
- (٢٤) شذرات الذهب، ٤/ ٢٠٥.
- (٢٥) ابن الجزري: غاية النهاية، ١/ ١٢٩ - ١٣٠.
- (٢٦) م.ن: ١/ ١٣٠.
- (٢٧) م.ن: ١/ ١٥٩ ؛ السخاوي: الضوء اللامع، ٢/ ١٩٣ ؛ والإجازة عبارة عن آذان الشيخ لتلميذه برؤية مسموعاته ومؤلفاته ساء التي سمعها من شيخه أو التي لم يسمعها منه ولم يقرأها عليه، السخاوي: فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث، تحقيق علي حسني علي ؛ (الهند، الجامعة السلفية، ١٤٠٧) ٣/ ٨٨ ؛ صبحي الصالح: علوم الحديث ومصطلحه، (دمشق، جامعة دمشق، ١٣٧٩ هـ/ ١٩٥٩م)، ص ٩٤.
- (٢٨) م.ن: ١/ ١٢٩.
- (٢٩) محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المقدسي ألسالحي الحنبلي الشهير بابن المحب الصامت، ولد يوم الجمعة أول رمضان سنة ٧١٢هـ، خرّج وأفاد وسمع منه الطلبة والحفاظ، وانتهى إليه الحفظ في زمانه، توفي سنة ٧٨٩هـ، ابن الجزري: غاية النهاية، ٢/ ١٧٤ - ١٧٥، السيوطي: ذيل طبقات الحفاظ، ١/ ٣٦٦-٣٦٧ ؛ كحاله: معجم المؤلفين، ١٠/ ٩٦.

(٣٠) محمد بن محمد بن أحمد أبو الفتح العسقلاني ثم المصري، رحلة القراء بالديار المصرية، ولد سنة ٧٠٤ هـ بخلق جامع طولون، توفي سنة ٧٩٣ هـ. بمنزله جوار الجامع الطولوني، ابن الجزري: م.ن: ٨٢ / ٢ ؛ السخاوي: الضوء اللامع، ١٩٣ / ٢ ؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ٦ / ٣٣٠.

(٣١) ابن الجزري: م.ن، ١٢٩ / ٢.

(٣٢) الضوء اللامع، ٩٣ / ٢.

(٣٣) إبراهيم ابن أحمد بن عبد الواحد بن عبد المؤمن بن سعيد بن علوان بن كامل أبو اسحق الشامي الحريري، ولد سنة ٧٠٩ هـ بدمشق، قرأ القراءات وغيرها وأجازه جماعته، توفي سنة ٨٠٠ هـ بمصر وهو آخر المسندين لها، ابن الجزري: م.ن، ١ / ٧-٨ ؛ السخاوي: م.ن، ٢ / ١٩٣، ابن العماد: م.ن، ٦ / ٣٣٠.

(٣٤) ابن الجزري: م.ن، ١ / ١٢٩.

(٣٥) السخاوي: التحفة اللطيفة، ١ / ٦١.

(٣٦) م.ن: ١ / ١٢٢.

(٣٧) م.ن: ١ / ١٢٨.

(٣٨) م.ن: ١ / ١٤٠.

(٣٩) م.ن: ٢ / ٢٩٥.

(٤٠) م.ن: ٢ / ٣٤٤.

(٤١) م.ن: ٢ / ٤٠٣-٤٠٤ - والإملاء من أساليب التعليم في التربية الإسلامية، وكانت تعقد له المجالس ويملي فيها الشيخ من حفظه، لذلك عدّ الإملاء أعلى مراتب السماع وفيه أحسن وجوه التحمل وأقواها لا يتصدى له إلا المحدث العارف، السيوطي: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، (بيروت، دار إحياء الكتب، ١٩٧٩ م)، ٢ / ١٣٢ فما بعدها ؛ شاكر محمود عبد المنعم العسقلاني دراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٧٦ م- رسالة دكتوراه) ١ / ٢١٢.

(٤٢) الأنعمي: الدارس، ١ / ٤٦٠.

(٤٣) شذرات الذهب، ٤ / ١٦٥.

(٤٤) م.ن: ٤ / ١٨٦.

(٤٥) الدارس: ٤ / ٢٢٣.

(٤٦) أبو عمر وعثمان بن الصلاح والشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ)، علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، (بيروت، المكتبة العلمية، د.ت)، ص ٢٢٢ ؛ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (ت

٤٦٣هـ)، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، (بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت)، ص ١٦ وما بعدها.

(٤٧) ابن الجزري: غاية النهاية، ١/ ١٢٩.

(٤٨) م.ن.

(٤٩) م.ن: ١/ ١٣٠ - حصلت الواقعة التيمورية في سنة ٧٩٩هـ، إذ أخذ عسكر تيمورلنك ارزنجان وقتل أهلها ونهب ما فيها، فلما بلغ سلطان مصر والشام الظاهر برقوق ذلك أرسل نوابه في الشام أن يتوجهوا إلى شاطئ الفرات فخرجوا كلهم وأقاموا هناك فلما اشرفوا على سيواس انهزم التتار منهم فقصدته قرايلوك بن علي التركي أواخر سنة ثمانمائة فانكسر عسكر سيواس، السخاوي: الضوء اللامع، ١/ ٣٧١ ؛ محمد كرد: خطط الشام، ٢ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م)، ٢/ ١٦٣.

(٥٠) م.ن: ١/ ١٣٠.

(٥١) ابن الجزري: غاية النهاية، ١/ ١٣٠ - الملك الاشرف برسباي هو سيف الدين ابو النصر برسباي الدقماقي، بويع بالسلطنة سنة ٨٢٥ هـ، فكانت مدة ولايته ست عشرة سنة وثمانية أشهر، بدر الدين محمود بن احمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، الروض الزاهر في سير الملك الظاهر ططر، تحقيق هانس ارنست، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م)، ص ٢ ؛ عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١٠٤٩هـ)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، (القاهرة، السلفية، د.ت)، ٤/ ٣٨-٣٩.

(٥٢) ذيل تذكرة الحفاظ، ١/ ٣٧٧.

(٥٣) ابن العماد: شذرات الذهب، ٤/ ٢٠٤.

(٥٤) م.ن.

(٥٥) مخطوط - عبد الجبار: م.ن، ١/ ٧١.

(٥٦) م.ن.

(٥٧) مخطوط جزء منه - الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٧٥.

(٥٨) مخطوط في الحديث . م.ن.

(٥٩) مطبوع، م.ن.

(٦٠) مطبوع - من الكتب الجامعة للأدعية والأوراد والأذكار الواردة في الأحاديث والآثار، فرغ من تأليفه سنة ٧٩١هـ في دمشق، طبع حجر في مصر ١٢٧٧ ص ١٦٠، بولاق ١٣٢٠، وبهامش كتاب خزينة الأسرار جليلة الأذكار لمحمد حقي النازلي، سركيس معجم المطبوعات، ص ٦٣.

(٦١) مخطوط - الزركلي: م.ن، ٧/ ٢٧٥.

- (٦٢) م.ن: دائرة المعارف الإسلامية، ١/ ١١٩.
- (٦٣) لتتميم القراءات العشر، نظمها تكملة للشاطبية على وزنهما ورد بها في مجموعة رقم ٨٦، (القاهرة، ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م)، سركيس: م.ن، ص ٦٣؛ عبد الجبار: ذخائر التراث، ١/ ٧١.
- (٦٤) مطبوع - او المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه وتعرف بالجزرية منظومة من ٧ أبيات في التجويد، سركيس: م.ن، ص ٦٣.
- (٦٥) الزركلي: م.ن، ٧/ ٢٧٥.
- (٦٦) الزركلي: الأعلام، ٧/ ٢٧٥.
- (٦٧) مطبوع ثلاث طبعات - مط عبد الرزاق ١٣٠٥هـ، ص ٦٤، مط الميمنة ١٣١٠ هـ، ص ٦٣؛ العلمية ١٣١٣ هـ؛ عبد الجبار: ذخائر التراث، ١/ ٧١.
- (٦٨) مطبوع (بولاق، ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١م)، ص ٦٤؛ عبد الجبار: م.ن، ١/ ٧.
- (٦٩) شرح حسنين مخلوف (القاهرة، لجنة البيان العربي، ١٩٦١م)، ص ٢٠، م.ن.
- (٧٠) مطبوع- (القاهرة، السعادة، ١٣٤٧هـ / ١٩٣٨م)، جزئين، م.ن.
- (٧١) مطبوع - (كلكتة، د.ت)، م.ن.
- (٧٢) مطبوع - تحقيق عبد الحي الغرقاوي (القاهرة، مكتبة القدس، ١٣٠٥هـ / ١٩٣١م)، ص ٧٩؛ (القاهرة، مكتبة جمهورية مصر، ١٩٧٧م)، ص ٢٩٦. م.ن.
- (٧٣) ابن الجزري: غاية النهاية، ١/ ٨٧.
- (٧٤) م.ن.
- (٧٥) م.ن، ١/ ٩٨.
- (٧٦) م.ن، ١/ ١١١.
- (٧٧) ابن الجزري: غاية النهاية، ١/ ٩٥.
- (٧٨) م.ن. ١/ ١٠٠.
- (٧٩) م.ن، ١/ ١٤٠.
- (٨٠) م.ن، ١/ ١٤٦.
- (٨١) م.ن، ١/ ١٥١.
- (٨٢) م.ن، ١/ ١٧٣.
- (٨٣) م.ن، ١/ ١٨٦.
- (٨٤) م.ن، ١/ ٢٢٤.
- (٨٥) م.ن، ١/ ٢٦١.
- (٨٦) م.ن، ١/ ١١١.

- (٨٧) م.ن، ٢٢٤/١.
- (٨٨) م.ن، ٤/٢.
- (٨٩) م.ن، ٧٥/٢.
- (٩٠) م.ن، ٤٢/٢.
- (٩١) م.ن، ٣٣/٢.
- (٩٢) م.ن، ٩٢/٢.
- (٩٣) م.ن، ١٤٨/٢.
- (٩٤) م.ن، ٤٨/٢.
- (٩٥) م.ن، ١٦٥/٢.
- (٩٦) م.ن، ١٦٦/٢.
- (٩٧) ابن الجزري: غاية النهاية، ١٧٠/٢.
- (٩٨) م.ن، ١٩٢/٢.
- (٩٩) م.ن، ٢١٦/٢.
- (١٠٠) م.ن، ٢٢٧/٢.
- (١٠١) م.ن، ١١/١.
- (١٠٢) ابن الجزري: م.ن، ١٢/١.
- (١٠٣) م.ن، ١٣/١.
- (١٠٤) م.ن، ٣٣٦/١.
- (١٠٥) م.ن، ١٤/١.
- (١٠٦) م.ن، ١٥/١.
- (١٠٧) م.ن، ١٧/١.
- (١٠٨) م.ن، ١٧/١.
- (١٠٩) ابن الجزري: غابة النهاية، ١٥/١.
- (١١٠) م.ن، ٢٠/١.
- (١١١) م.ن، ٢٦/١.
- (١١٢) م.ن، ٢٣/١.
- (١١٣) م.ن، ٣٢/١.
- (١١٤) م.ن، ٨٠/١.
- (١١٥) م.ن، ١١٢/١.

- (١١٦) م.ن، ١/١٥١.
- (١١٧) ابن الجزري: غاية النهاية، ١/٢٥.
- (١١٨) م.ن، ١/٥٣.
- (١١٩) م.ن، ١/٩٩.
- (١٢٠) م.ن، ١/١٢٠.
- (١٢١) م.ن، ١/٣١.
- (١٢٢) م.ن.
- (١٢٣) م.ن، ١/٤٦.
- (١٢٤) م.ن، ١/٤٧.
- (١٢٥) ابن الجزري: م.ن، ١/٥٥.
- (١٢٦) م.ن، ١/٧٠.
- (١٢٧) م.ن، ١/٨٢.
- (١٢٨) م.ن، ١/٨٧.
- (١٢٩) م.ن، ١/٩٠.
- (١٣٠) م.ن، ١/٩٥.
- (١٣١) م.ن، ١/٢٨٦.
- (١٣٢) ابن الجزري : م.ن، ١/٩٨.
- (١٣٣) م.ن، ١/١٠٣.
- (١٣٤) م.ن، ١/٣٢١.
- (١٣٥) م.ن، ١/١٠٤.
- (١٣٦) م.ن، ١/١٠٩.
- (١٣٧) م.ن، ١/١١١.
- (١٣٨) م.ن، ١/١٢١.
- (١٣٩) م.ن، ١/٧٦.
- (١٤٠) -ابن الجزري: م.ن، ١/١٤٢.
- (١٤١) م.ن، ١/١٤٤.
- (١٤٢) م.ن، ١/١٤٤.
- (١٤٣) م.ن، ١/١٤٤.
- (١٤٤) م.ن، ١/١٤٩.

- (١٤٥) م.ن، ١/١٤٥.
- (١٤٦) م.ن، ١/١٨١.
- (١٤٧) - ابن الجزري: م.ن، ١/١٨٦.
- (١٤٨) م.ن. ١/١٨٦، ٢٧٤.
- (١٤٩) م.ن، ١/١٩٦.
- (١٥٠) م.ن، ١/٢٦٦.
- (١٥١) م.ن، ١/١٩٩.
- (١٥٢) م.ن، ١/٢٠٣.
- (١٥٣) م.ن، ١/٢٨٩.
- (١٥٤) م.ن، ١/٢١٣.
- (١٥٥) = م.ن، ١/٢٢٧.
- (١٥٦) - م.ن، ١/٤٢٢.
- (١٥٧) م.ن، ١/٤٢٦.
- (١٥٨) ابن الجزري: م.ن، ١/٢٢٩.
- (١٥٩) م.ن، ١/٢٣٩.
- (١٦٠) م.ن، ١/٢٧٤.
- (١٦١) م.ن، ١/٢٨٠.
- (١٦٢) م.ن، ١/٣٤٠.
- (١٦٣) م.ن، ١/٤٢١.
- (١٦٤) م.ن، ١/٢٨٤.
- (١٦٥) م.ن، ١/٢٨٥.
- (١٦٦) م.ن، ١/٢٨٧.
- (١٦٧) ابن الجزري: م.ن، ١/٣٥٨-٣٥٩.
- (١٦٨) م.ن، ١/٣٥٩.
- (١٦٩) م.ن، ١/٣٦٠.
- (١٧٠) م.ن، ١/٩٠.
- (١٧١) م.ن، ١/٢٩٠.
- (١٧٢) م.ن، ١/٢٩١.
- (١٧٣) م.ن، ١/٢٩٣.

- (١٧٤) ابن الجزري :م.ن، م٣٠٧-٣٠٨.
- (١٧٥) - :م.ن، ٣١١/١.
- (١٧٦) م.ن، ٤٣٩/١.
- (١٧٧) م.ن، ٢٩٠/١.
- (١٧٨) ابن الجزري: م.ن، ٣٢٣/١.
- (١٧٩) م.ن، ٣٤٠/١.
- (١٨٠) م.ن، ٣٠١/١. وانظر ايضا ٥٣١.
- (١٨١) م.ن، ٣٠٩/١.
- (١٨٢) م.ن، ٤٤١/١.
- (١٨٣) م.ن، ٤٤٤/١.
- (١٨٤) م.ن، ٤٥٦/١.
- (١٨٥) م.ن، ٥٢٢/١.
- (١٨٦) م.ن، ٥٣٢/١.
- (١٨٧) ابن الجزري: م.ن، ٥٤٢/١.
- (١٨٨) م.ن، ٥٢٤/١.
- (١٨٩) م.ن، ٥٢٨/١.
- (١٩٠) م.ن، ٤٦٤/١.
- (١٩١) م.ن، ٤٧٣/١.
- (١٩٢) م.ن، ٥٠٢/١.
- (١٩٣) م.ن، ٥٠٧/١.
- (١٩٤) م.ن، ٥١٢/١.
- (١٩٥) ابن الجزري:م.ن، ٤٥٤-٤٥٥.
- (١٩٦) م.ن، ٨٧/١.
- (١٩٧) م.ن، ٢٤/١.
- (١٩٨) م.ن، ٣٢١/١.
- (١٩٩) م.ن، ٢٥/١.
- (٢٠٠) م.ن، ٣١١/١.
- (٢٠١) م.ن، ٣٢/١.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن تغري بردي: جمال الدين أبو المحاسن يوسف الاتاكي (ت ٨٧٤ هـ).
- ١- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر).
البغدادى: إسماعيل باشا محمد الباباني (ت ١٣٣٩ هـ).
- ٢- هدية العارفين - أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، (استانبول، وكالة المع غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره براجستراسر، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م).
- ابن الجزري: احمد بن محمد بن علي بن يوسف (ت ٨٣٣ هـ).
- ٣- شرح طبية النشر في القراءات العشر، ضبطه وراجعه الشيخ علي محمد الضباع، ط ١ (مصطفى البابي الحلبي، ١٩٥٠ م).
- ٤- شرح طبية النشر في القراءات العشر، حققه وعلق عليه الشيخ أنس مهرة، ط ٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م).
- ٥- غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره براجستراسر، (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٥٢ هـ / ١٩٣٣ م).
- حاجي خليفة: مصطفى بن عبد الله القسطنطيني الرومي الحنفي (ت ١٠٦٧ هـ).
- ٦- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٢ م).
- ابن حجر العسقلاني: أبو الفضل احمد بن علي بن محمد (ت ٨٥٢ هـ).
- ٧- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق د. محمد عبد المعيد حان، ط ٢ (حيدر آباد الدكن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٧٢ م).
- الحسيني: أبو المحاسن محمد بن علي بن الحسين بن حمزة (ت ٧٦٥ هـ).
- ٨- ذيل تذكرة الحفاظ، تحقيق حسام الدين القدسي، (بيروت، دار الكتب العلمية).
- الخطيب البغدادي: أبو بكر (٤٦٣ هـ).
- ٩- الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، (بيروت، دار الكتب العلمية).
- ١٠- دائرة المعارف الإسلامية، نقلها إلى العربية احمد الشنتاوي وآخرون، (بيروت، دار الفكر العربي، ١٩٣٣ م).
- الزركلي: خير الدين.
- ١١- الأعلام/ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط ٣ (بيروت، ١٩٦٩ م).

زيدان: جرجي.

- ١٢- تاريخ آداب اللغة العربية، (بيروت، مكتبة دار الحياة، ١٩٦٧م).
- السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ).
- ١٣- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٣٣م).
- ١٤- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (بيروت، دار مكتبة الحياة).
- ١٥- فتح المغيـث بشرح ألفية الحديث، تحقيق علي حسني علي، (الهند، الجامعة السلفية، ١٤٠٧هـ).
- سركيس: يوسف آليان
- ١٦- معجم المطبوعات العربية والمعرّبة، (القاهرة، سركيس، ١٣٤٦هـ).
- السمعاني: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ).
- ١٧- الأنساب، عني بتصحيحه والتعليق عليه عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط١ (الهند، وزارة المعارف للتحقيقات العلمية، ١٩٦٣م).
- السيوطي: عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين (ت ٩١١هـ).
- ١٨- ذيل طبقات الحفاظ، نشر باعثناء وستنفد، ٠ غوتنجي، ١٨٣٣-١٨٣٤).
- ١٩- تدريب الراوي بشرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، (بيروت، دار إحياء الكتب، ١٩٧٩م).
- الشوكاني: محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ).
- ٢٠- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (بيروت، دار المعرفة).
- الصالح: صبحي.
- ٢١- علوم الحديث ومصطلحه، (دمشق، جامعة دمشق، ١٩٥٩م).
- ابن الصلاح: أبو عمرو عثمان الشهرزوري (ت ٦٤٣هـ).
- ٢٢- علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، (بيروت، المكتبة العلمية).
- طاش كبري زاده: عصام الدين أبو الخير احمد بن مصطفى (ت ٩٦٨هـ).
- ٢٣- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، (القاهرة، دار الكتب الحديثه، ١٩٦٨م).
- ٢٤- الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٧٥م).
- العاصمي المكي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت ١٠٤٩هـ).
- ٢٥- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، (القاهرة، السلفية).

- عبد الجبار: عبد الرحمن .
- ٢٦- ذخائر التراث العربي الإسلامي، (البصرة، جامعة البصرة، ١٩٨١م).
- عبد المنعم: شاكر محمود.
- ٢٧- ابن حجر العسقلاني دراسة مصنفاته ومنهجه وموارده في كتابه الإصابة، (جامعة بغداد، كلية الآداب، ١٩٧٦م/أطروحة دكتوراه).
- العلمي: عبد الرحمن بن محمد أبو اليمن (ت ٩٢٧هـ).
- ٢٨- الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ط٢ (النجف، الحيدريه، ١٩٦٨م).
- ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (ت ١٠٨٩هـ).
- ٢٩- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت، دار الكتب العلمية).
- العيني: بدر الدين محمود بن احمد (ت ٨٥٥هـ).
- ٣٠- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ططر، تحقيق هانس ارنست، (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٢م).
- القنوجي: صديق بن حسن (ت ١٣٠٧هـ).
- ٣١- أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبار زكار، (بيروت، دار النشر العلمية، ١٩٧٨م).
- كرد: محمد.
- ٣٢- خطط الشام، ط٢ (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٧١م).
- ابن كثير: إسماعيل بن عمرو أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ).
- ٣٣- البداية والنهاية في التاريخ، (بيروت، مكتبة المعارف).
- اللكوني: أبو الحسنات محمد بن عبد الحي بن الحافظ محمد بن عبد الحليم (ت ١٣٠٤هـ).
- ٣٤- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، عني بتصحيحه وتعليق الزوائد عليه السيد مجد بدر الدين أبو فراس النعساني، (بيروت، دار المعرفة).
- المقري: احمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١هـ).
- ٣٥- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق د. إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٩٦٨م).
- النعمي: عبد القادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٢٧هـ).

٣٦- الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ).

37- Brockleman G G.eschicht Dear Arabischin littertur (Leiden,1939)>

الجدول

أولا جدول رقم (١)

١- نوع رواية الحروف

العدد	رواية الحروف	ت
٨٦	روى الحروف عن روى عنه	١-
٩	روى عنه الحروف فقط	٢-
١٣	روى الحروف فقط	٣-
١	روى الحروف عرضا، أخذها عرضا	٤-
٥	روى الحروف، روى القراءة عنه عرضا	٥-
٥	روى القراءة، روى الحروف	٦-
٦	روى الحروف سماعا من غير عرض	٧-
٨	روى الحروف عن، روى القراءة عنه	٨-
٣	روى الحروف عن، روى القراءة عنه عرضا وسماعا	٩-
٦	روى الحروف سماعا، روى عنه	١٠-
١	روى الحروف عرضا وسماعا، روى عنه	١١-
٣	روى الحروف سماعا، روى القراءة عنه عرضا	١٢-
١٠	روى الحروف عن	١٣-
١٥٦	المجموع	

٢- تحديد نوع الحروف المروية من مصادرها

العدد	مصادر رواية الحروف	ت
١	كتاب الإيجاز لسبط الخياط	١-

١	المكيين	٢-
١٠	كتاب الشاطبية	٣-
٢	حروف أهل مكة	٤-
١	كتاب قراءة ورش	٥-
١	التجريد لابن فحام	٦-
٧	التيشير	٧-
٢	حز الأمانى	٨-
٢	كتاب أبي عبيد	٩-
١	حروف الأعشى	١٠-
٤	كتاب الكافي	١١-
٤	كتاب الكامل للهذلي	١٢-
١٤	حروف القرآن الكريم	١٣-
٣	ابن كثير	١٤-
٢	غاية ابن مهران	١٥-
١	الصحيح	١٦-
١	كتاب سيبويه والإيضاح	١٧-
١	حروف الأعمش	١٨-
١	كتاب معاني القرآن	١٩-
٢	حروف الشاميين	٢٠-
١	حروف الحمصيين	٢١-
١	حروف نافع	٢٢-
١	حروف أبي عمرو	٢٣-
٢	كتاب جمال القراء	٢٤-
١	حروف من قراءة عاصم	٢٥-

٢٦-	التبصرة	١
٢٧-	سبعة ابن مجاهد	٣
٢٨-	حروف الكسائي	١
	المجموع	٧٠

ثانياً جدول رقم (٢)

١- رواية القراءة

ت	نوع رواية القراءة	العدد
١-	روى القراءة، روى الحروف	٧
٢-	روى القراءة، روى عنه الحروف	٢
٣-	روى القراءة سماعاً، رواها سماعاً	٨
٤-	روى القراءة، رواها عنه سماعاً	١
٥-	روى القراءة عن أو عنه	٣٠٣
٦-	روى القراءة عنه، روى عنه القراءة	١٩٤
٧-	روى القراءة عرضاً، روى عنه	٤٧
٨-	روى القراءة عرضاً فقط	١٠٨
٩-	روى القراءة عرضاً وسماعاً	١٠
١٠-	روى القراءة عرضاً، روى عنه عرضاً	٧٠
١١-	روى القراءة عرضاً وسماعاً، روى القراءة عنه	٦
١٢-	روى القراءة والحروف	١
١٣-	روى القراءة عنه عرضاً، روى الحروف	٣
١٤-	روى القراءة إجازة	١٣
١٥-	روى القراءة سماعاً	٦
١٦-	روى القراءة عن، روا عنه عرضاً وسماعاً	١
١٧-	قرأ عليه، روى القراءة عنه	٢

٦	روى القراءة سماعاً، رواها عنه سماعاً	١٨-
٤	روى القراءة عرضاً، روى عنه الحروف	١٩-
٣٥	قرأ بالروايات	٢٠-
١٢	تلا بالروايات	٢١-
٨٣٩	المجموع	

٢- بعض الألفاظ الواردة في الرواية

ت	الألفاظ الواردة في الرواية	العدد
١-	عرض الروايات	٢
٢-	قراءة من رواية عامة	١
٣-	عارفاً بالروايات	١
٤-	أخذ الرواية	١
٥-	ناقل للروايات، روى	١
٦-	وردت الرواية عنه	٣
٧-	روى القراءة عنه، قرأ عليه	١
٨-	روى القراءة سماعاً، روى الحروف	٢
	المجموع	١٢

٣- نوع رواية القراءة من مصادرها

ت	مصادر رواية القراءة	العدد
١-	التيسير	٣
٢-	التذكرة	١
٣-	الشاطبية	٢
٤-	حديث التكبير	١
٥-	رواية ورش	١

٦-	كتاب السبعة لابن مجاهد	١
٧-	اختيار أبي حاتم	١
٨-	غاية ابن مهران	١
٩-	اختيار اليزيدي	١
	المجموع	١٢

ثالثاً- جدول رقم (٣)

- روايات لم تحدد:

ت	الروايات الغير محددة	العدد
١-	روى عنه، روى بالإجازة	١
٢-	اعتمد على روايته	١
٣-	روى عنه	٩٨
٤-	له اختيار شاذ	٣
٥-	روى عنه سماعا	٢
٦-	روى عن، روى عته	٧
٧-	يروى عن	١
٨-	عرض ورواية	٢
٩-	عرض عليه الرواية واختياره	١
١٠-	روى اختياره	١
١١-	مطابقة الروايات	١
١٢-	من غير رواية	٢
	المجموع	١٢٠

مؤتمر لوزان ونتائجه على تركيا الحديثة

د. أحمد محمود علو السامرائي

جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

يعد مؤتمر لوزان علامة فارقة في سلسلة المؤتمرات الدولية المنعقدة بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨م، لاسيما أن المؤتمر انعقد في ظروف استثنائية ولغايات متعددة، فكل دولة شاركت في أعمال المؤتمر كان لها أهداف وغايات معينة أرادت من خلال المؤتمر تحقيقها على حساب الدول الأخرى، إلا إن الإنجاز الذي حققه مصطفى كمال لدولته الجديدة كان نصراً بحق، لاسيما وأنه عمل جاهداً على إبراز القضية التركية إلى حيز الوجود، وقد نجح في ذلك فانبثقت دولة ذات سيادة، اعترف بها الأعداء قبل الأصدقاء وبذلك حققت الحكومة التركية ما كانت تراه ضرورياً في تعزيز الدولة الجديدة وإبرازها إلى حيز الوجود لتكون فيما بعد من الدول التي يحتذى بها.

Abstract

It is concerned that Luzan Conference is a special mark in the series of the International Exceptional conferences, after the first world war 1914-1918, since the conference is obtained in an exceptional circumstances and for a special issues, each state shares in the conference to complete the victory on other states and countries, but the deal that (**Mustafa Kamal**) for his new state was a real victory, where he worked so hard to perform the Turkish Case to the Existence and he succeeded to control his state.

The enemies confess by this state before the friends, hence, the Turkish Government achieved what is they see it is necessary and in achieving this state to be one of the most important states in the region.

مُقَدِّمَةٌ

تعد معاهدة لوزان من أبرز المعاهدات التي وقعتها الحكومة التركية، لاسيما أنها حققت انتصاراً على الحلفاء، وبخاصة أن الدول الأوروبية كانت تبحث عن المنافع الاقتصادية والنفوذ السياسي في المنطقة، ولاسيما في منطقة المضائق، لذلك فإن التنافس الأوروبي كان واضحاً من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من تلك المنافع من طريق فرض سيطرة كل دولة على منطقة تراها ضرورية لتعزيز مناطق نفوذها.

إن البعد القومي كان الوتر الذي حاولت الدول الأوروبية أن تعزف عليه في المؤتمر بعد تداعيات المسألة اليونانية وأثرها على الدول العثمانية والتي كانت تشكل للمؤتمرين منطلقاً لهم في محاولاتهم لفرض سيطرتهم وتقنيت كيان الدولة العثمانية الذي بدأ منذ معاهدة كارلوفيتز (Carloviz) ١٦٩٩م، إلا أن الحلفاء اصطدموا بحكومة جديدة قلبت الأوراق عليهم واستطاعت أن تجاري قوة الدول الأوروبية بلباقة وحضور مميز مما غير الكثير من المقررات المعدة سلفاً وحققت نصراً للأتراك غير معالم خارطة الدولة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وأبرز إلى العالم دولة جديدة ذات كيان سياسي مستقل.

المبحث الأول

الأحداث التي سبقت انعقاد مؤتمر لوزان

أ. مؤتمر فرساي:

شهد الربع الأول من القرن العشرين فوضى واضحة للأتراك حتى أطلق المؤرخون على هذا العصر اسم عصر الأشخاص والحكومات، إذ كانت الحكومات تظهر وتسقط حتى شهدت البلاد نحو أربع وعشرين تغييراً للحكومة في إسطنبول بين الأعوام (١٩٠٨ - ١٩١٨م)، حتى أن السفارة البريطانية رفعت تقريراً إلى حكومة لندن عام ١٩٠٧م أشارت فيه "في الوقت الحاضر فإن جميع الإدارات الإقليمية سقطت في حالة من الفوضى السياسية والاجتماعية الناشئة عن ذلك، فضلاً عن إلغاء الضرائب

والتجنيد الإلزامي وحتى إقالة الولاة ولا يمكن أن ننسى التحريض على الفتنة والعصيان بشكل علني...^(١).

استمرت أوضاع البلاد تسير من سيء إلى أسوأ ولاسيما إذا ما علمنا أن المدة التي أعقبت انتهاء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م)^(٢)، كانت مدة اضطراب وتغيرات على مختلف الأصعدة ولاسيما بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، ناهيك عن محاولات دول الغرب المستمرة الحد من دور الدولة الجديدة بعد أن وقع الحلفاء اتفاقية مع الدول المنهزمة^(٣)، في مودروس (Mudros) في ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ م^(٤).

عقد مؤتمر فرساي في باريس في ١٨ يناير كانون الثاني ١٩١٩ م لتسوية مخلفات الحرب العالمية الأولى، إذ حضره مندوبون عن (٢٧) دولة وكيان سياسي، إذ وقع المؤتمر على خمس معاهدات مع الدول المنهزمة في الحرب بعد أن قسمت دول المؤتمر إلى (٥٢) لجنة، فضلاً عن العديد من الخبراء في شتى الميادين^(٥)، كان لبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية دور كبير في وضع قرارات المؤتمر حتى عرفوا بإسم "الثلاثة الكبار"، إذ ترأس رئيس وزراء فرنسا (جورج كليمنصو)^(٦) (Georges Clemenceau) (١٨٤١-١٩٢٩ م) الوفد الفرنسي في حين كان رئيس وزراء بريطانيا (دافيد لويد جورج)^(٧) (David Lloyd George) (١٩٦٣-١٩٤٥ م) ممثلاً عن بريطانيا و(توماس وودر ولسن)^(٨) (Thomas Woodrow Wilson) (١٨٥٦-١٩٢٤ م) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية متراًساً لوفد بلاده، في حين لم يكن هناك دور لممثل إيطاليا (أورلاندو)^(٩) (Orlando)، الذي انسحب من المؤتمر وممثل اليابان سيونجي وزير خارجيتها إذ كان دورهم ثانوياً^(١٠).

استمر مؤتمر الصلح في جلساته حتى كانون الثاني ١٩٢١ م، وقد كشف سير المفاوضات عن تجاهل مؤتمر الصلح إلى حد كبير البنود الأربعة عشر للرئيس الأمريكي ولسن^(١١)، إذ أرادت الدول الكبرى الحصول على أكبر قدر ممكن من التعويضات في الحرب، لذلك وضعت المعاهدة ضوابط وقيود شديدة على الدول الخاسرة ولاسيما الدولة العثمانية، وقد تباينت الآراء بين المؤتمرين، إذ كانت وجهة النظر

البريطانية والفرنسية ترغب في تقسيم أملاك الدولة العثمانية^(١٢)، في حين تبنت الولايات المتحدة الأمريكية فكرة الانتداب على أن تكون هي الدولة المنتدبة على الدولة العثمانية، إلا أن هذا المقترح رفض من الدول الكبرى، فحاولت الدول الأخرى تقديم حجج بأحقيتها في السيطرة على المناطق المتنازع عليها، وقد فض المؤتمر عن توزيع نظام الانتداب على الدولة العثمانية من قبل مجلس الحلفاء الأعلى في ٢٣ حزيران ١٩١٩م مع عقد معاهدة معها هي معاهدة سيفر ١٩٢٠م^(١٣).

ب. معاهدة سيفر ١٩٢٠م:

إن عقد معاهدة سيفر مع الدولة العثمانية كان أمراً في غاية الصعوبة للدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى، لاسيما وأن الحلفاء مهدوا لهذا في وقت سابق، إذ تم توقيع معاهدة سايكس-بيكو ١٩١٦م ووعد بلفور عام ١٩١٧م لاقتسام أملاكها وتوزيعها فيما بينهم^(١٤)، وقع الحلفاء معاهدة سيفر (Sevres) في ١٥ آب ١٩٢٠م^(١٥)، والتي تضمنت ١٣ باباً و ٤٤٣ بنداً، إذ أملت الحلفاء شروطهم على الدولة العثمانية والتي ما كان عليها إلا الموافقة وهي صاغرة على تلك الشروط وقد تضمنت المعاهدة^(١٦):

- (١) أن تبقى إسطنبول عاصمة للدولة العثمانية.
- (٢) تدويل الأراضي المجاورة للدولة العثمانية.
- (٣) كافة مع تشكيل لجان سيطرة مؤلفة من ممثلي الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، واليابان، وروسيا، واليونان، ورومانيا، وبلغاريا.
- (٤) إعلان كردستان دولة ذات استقلال داخلي أو كدولة مستقلة إذا تم إقرار ذلك على وفق استفتاء عام^(١٧).
- (٥) إدارة اليونان منطقة أزمير خمس سنوات يجري استفتاء بعد انتهاء الخمس سنوات يتم فيه تقرير المصير^(١٨).
- (٦) فصل العراق عن الدولة العثمانية وعده دولة مستقلة بشرط أن تتولى دولة منتدبة إدارة شؤونها، فضلاً عن استقلال الحجاز، ومصر، والسودان^(١٩).
- (٧) تنازل تركيا عن حقوقها في قبرص، ومراكش، وتونس، وليبيا.

(٨) إعلان أرمينيا دولة مستقلة.

(٩) حماية الأقليات.

(١٠) تمنح إيطاليا جميع المناطق الواقعة إلى جنوب غرب الأناضول إلى تراقيا

الشرقية بما في ذلك أدرنة وغاليبولي ومارتيزا وجنوب الدوديكاينز .

(١١) منحت اليونان أيضاً عدد من الجزر المهمة مثل غوكسيادا (Gokceada)،

وإمبروس (Imbros)، وبوزغادا (Bozcada)، وتينيدوس (Tenedos)،

والملاحظ أن هذه الجزر تقود إلى مدخل الدردنيل (Dardanilles) (٢٠).

(١٢) منح قيليقية وكردستان ومعظم أراضي الأناضول الجنوبية لفرنسا (٢١).

(١٣) فضلاً عن كل ما ذكر فإن المعاهدة احتوت أيضاً على بنود مالية وتجارية

وتنظيمية (٢٢).

لم يكن أمام السلطان العثماني سوى قبول المعاهدة صاغراً على العكس من "حكومة القوميون" (بقيادة مصطفى كمال) (٢٣)، إذ إن حكومة أنقرة ذهبت بهذه المعاهدة وصممت على مواصلة الحرب ولاسيما وأن مشروع الوساطة الذي قدمته الحكومة البريطانية إلى الدول الأوروبية رفض وبشدة من قبل اليونان، التي باتت عازمة أكثر من السابق على مواصلة القتال رغم الخسائر المتلاحقة التي تكبدتها من قبل الجيش العثماني لاسيما وأن الحملة اليونانية على الأناضول باءت بالفشل فاضطرت بريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، إلى طلب الهدنة (٢٤).

ت. صلح مودانيا Armistice of Mudanya

بدأت الدول الأوروبية بدعوة الحكومة التركية إلى عقد مؤتمر صلح على إثر الانتصارات التي حققتها القوات التركية على القوات اليونانية وقد تم لهم ما أرادوا (٢٥)، إذ عقد مؤتمر في مودانيا في ٣ تشرين الأول ١٩٢٢م (٢٦)، مثل الجانب التركي عصمت إينونو في حين مثل فرنسا الجنرال جاريي (Charpy) (٢٧)، ومثل بريطانيا المندوب السامي البريطاني جارلس هارنغتون (C. H. Harington) (٢٨)، أما إيطاليا فقد مثلها

الجنرال مونبيليه (Monbellih)^(٢٩)، وعن اليونان كان الممثلان الكولونيل سرياني (Sariyanni)، والجنرال موزاكي (Mazaraki)^(٣٠).

استمرت مفاوضات المؤتمر اسبوعاً كاملاً كانت بين مد وجزر، لاسيما أن الأطراف المناقشة لم تتوصل إلى حلول ترضي جميع الأطراف بخاصة وأن مشكلة المضائق وصلت إلى طريق مسدود بعد أن رفض المفاوضون الطلب التركي بالانسحاب من تراقيا الشرقية وقارا جاق في مدة أقصاها ثلاثين يوماً، فضلاً عن مشاكل تتعلق بالسكان والأقليات^(٣١).

نتيجةً لكل ما ذكر وبخطوة جريئة قام بها عصمت إينونو وبدهائه المعهود هدد باستئناف العمليات العسكرية في (قلعة جنة) والتي استطاعت القوات التركية الوصول إليها، فما كان من الجنرالات المفاوضون إلا مغادرة مودانيا والتوجه نحو استانبول لمشاورة حكوماتهم إزاء التطورات الجديدة، وهنا برز الموقف البريطاني بتوجيه إنذار للأتراك بالانسحاب من المنطقة المحايدة وإلا فإن الحكومة البريطانية مضطرة لاستخدام القوة ضدهم وكاد الإنذار يتحقق لولا تدخل الحكومة الفرنسية التي حلت وسيطاً ناجحاً في دأب الصدع واستطاعت بجهود حثيثة تقريب وجهات النظر فأسهم ذلك في عودة المفاوضات من جديد في ١١ تشرين الثاني ١٩٢٢م^(٣٢).

انتهت المفاوضات وعقدت الهدنة رسمياً في ١٦ تشرين الثاني ١٩٢٢م، والتي تضمنت عدداً من البنود إلا أن الأبرز بينها:

- (١) استعادة تركيا لتراقيا حتى مارتيزا بعد جلاء القوات اليونانية منها.
- (٢) تبقى الجيوش التركية في الأناضول لحين إتمام عقد المعاهدة.
- (٣) إن على القوات المتحالفة أن تبقى في استانبول وضواحيها وأن تتمركز في مناطقها، وقد وافق الحلفاء على ذلك، وهذا اعتراف واضح من قبل الحلفاء بعودة السيادة التركية إلى استانبول.
- (٤) عدم إنشاء أي جيش أو قوة عسكرية في منطقة تراقيا الشرقية ويبقى الأمر ساري المفعول لحين عقد معاهدة السلام.

(٥) عدم القيام بأية تحصينات دفاعية في (قلعة جنة) سواء أكانت هذه التحصينات من الجانب التركي أو اليوناني.

(٦) تقوم تركيا بإرسال قوة عسكرية إلى تراقيا لغرض إعادة الأمن والهدوء إلى المنطقة^(٣٣).

(٧) اعتراف الحلفاء بعودة السيادة التركية إلى إسطنبول^(٣٤).

(٨) تأسيس فيلق من الجندرمة العثمانية على أن لا يزيد عددها عن ٨ آلاف شخص^(٣٥).

يعد صلح مودانيا خطوة نحو الأمام في صالح مصطفى كمال ولاسيما أنها أدت إلى إنهاء معاهدة سيفر ولم يعد لها أي أهمية تذكر، كما مثلت بشكل صريح ضعفاً واضحاً من قبل الحلفاء يقابله إصرار وقوة ومن قبل حكومة أنقرة التي أجبرت الحلفاء على تنفيذ مطالبها بشكل أو بآخر، وبالتالي سمحت بشكل مباشر في أن تتبوأ حكومة أنقرة موقعاً بين الدول الكبرى لاسيما بعد بدأ الحلفاء ينظرون إلى تركيا بنظرة مختلفة عن السابق، مما أسهم في شكل كبير في تقديم الدول الكبرى دعوة إلى حكومة أنقرة وإسطنبول معاً لحضور مؤتمر لوزان الذي سيعقد في سويسرا^(٣٦).

المبحث الثاني

مؤتمر لوزان

أ. أعمال المؤتمر:

بدأ مؤتمر لوزان أعماله في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٢٢م ممثلاً بالدول المؤتمرة، إذ مثل حكومة أنقرة عصمت إينونو وعضوية كل من حسن بك نائب طرابزون ورضا نور نائب سينوب، فضلاً عن مجموعة من المستشارين^(٣٧)، أما من جانب الحلفاء فقد حضر المؤتمر ممثلون عن كل من فرنسا، وبريطانيا، ورومانيا، ويوغسلافيا، وبلغاريا، وألبانيا، وإسبانيا، وبلجيكا، والنرويج، والبرتغال، والسويد، فضلاً عن الاتحاد السوفيتي الذي دعي إلى المؤتمر لحساسية موقفه إزاء قضية المضائق^(٣٨).

ألقيت على عاتق عصمت إينونو العديد من المهام مما جعل مهمته صعبة للغاية، إذ أنه كان يمثل أمة تحاول النهوض من جديد وقلب تسويات معاهدة سيفر^(٣٩)، فضلاً عن الاستقلال التام في مختلف النواحي ولاسيما إلغاء الامتيازات الأجنبية في البلاد^(٤٠)، خاصة وأن الحلفاء لازالوا يسعون إلى معاملتهم كأمة مهزومة إلا أن إصرار عصمت إينونو على موقفه في أن تعامل حكومة أنقرة يجب أن تعامل كحكومة مستقلة ذات سيادة متساوية مع الدول الحاضرة في المؤتمر جميعها^(٤١).

كانت المفاوضات تتعثر بين الحين والآخر لاسيما وأن ممثل الحكومة البريطانية اللورد كرزن (G. Nathaniel Curzon)^(٤٢)، كانت مواقف عصمت إينونو لا تروق له ولاسيما بعد أن أثارت مسألة الحماية والأقليات والامتيازات الأجنبية، فضلاً عن المضائق وما شابه ذلك، إذ أصر عصمت إينونو على موقفه من إنه جاء ليحافظ على سيادة تركيا كما أنه أوضح أنه لن يقوم بالتوقيع على أية معاهدة تقييد من الحرية الاقتصادية والقضائية لبلاده، فما كان من أحد الدبلوماسيين البريطانيين أن يصفه بأن "عصمت إينونو والذي يعنى بمجموعة من الممنوعات وعلى ما يبدو كان كتوماً على جميع المناقشات حول مواضع عدة.. أما عناده وإصراره أدى إلى نفاذ صبر الحلفاء لاسيما وإنه استخدم صمته من أجل كسب الوقت والتفكير بتأني مما أثار حفيظة ممثلي الدول الكبرى..."^(٤٣).

كانت التعليمات التي يتلقاها عصمت إينونو من حكومة أنقرة تصله على شكل رسائل وبرقيات تعطى على الفور حتى وإن كان الوقت متأخراً وهنا برع عصمت إينونو بإرسال الردود بسرعة^(٤٤).

ب. لجان المؤتمر :

تشكلت في المؤتمر ثلاث لجان اختص كل منها بجانب وكالاتي:-

(١) اللجنة الأولى: اختصت بالقضايا العسكرية والحدود والأقليات والمضائق.

(٢) اللجنة الثانية: تناولت الأقليات والأجانب الموجودين في تركيا.

(٣) اللجنة الثالثة: عالجت هذه اللجنة كل ما يتعلق بالمسائل المالية، فضلاً عن المسائل الاقتصادية.

كانت مهام اللجنة الأولى معقدة للغاية لاسيما أن مشكلة المضائق من أبرز الأمور التي تمت مناقشتها في المؤتمر، إذ إن المضائق تشكل أهمية خاصة لمعظم الدول في رسم سياستها وبخاصة الدول الكبرى، لذلك تباينت مواقف الدول الكبرى حيال ذلك إذ أراد الاتحاد السوفيتي إغلاق المضائق بشكل واضح وعدم فتحها للملاحة وجاء ذلك على لسان لينين ذلك حينما قال^(٤٥): "إن موقف بلاده يتضمن برنامج إغلاق المضائق في وجه كل السفن الحربية في زمن السلم والحرب وهذا يخدم المصالح التجارية المباشرة لكل الدول وليس مصالح الدول التي تتأخم أراضيها المضائق فقط بل مصالح كل الدول الأخرى"^(٤٦).

أما بريطانيا فقد أرادت فتح المضائق لأنها حققت مكاسب كبيرة لم تشئ أن تخسرها تحت أي ظرف طارئ، فضلاً عن "رغبتها في حرية الملاحة في وقت السلم، أما في وقت الحرب تكون منزوعة السلاح..."^(٤٧).

انقسم المؤتمر بين مؤيد لموقف الاتحاد السوفيتي وبين معارض له وينطبق الأمر ذاته على الموقف البريطاني، إلا أن الملفت للنظر أن الموقف التركي كان مؤيد للرأيين لاسيما وأنهم في بادئ الأمر كانوا متحمسين لموقف الاتحاد السوفيتي لأنهم أدركوا أن عملية فتح المضائق ستشكل تهديداً واضحاً على المصالح التركية والروسية على حد سواء، إلا أن الأمر لم يستمر على وتيرة واحدة بخاصة وأن عصمت إينونو أبدى تأييداً كبيراً للموقف البريطاني لأنه كان يدرك إن مخالفة الموقف البريطاني ستؤدي حتماً إلى امتعاض الجانب البريطاني مما تعثر عملية السلام وعلى الرغم من ذلك، إلا أن الأمور لم تسر كما كان مقدراً لها، إذ لم تتوصل الأطراف المتنازعة إلى حلول فعلية أو كفيلة بإزاء ذلك على الرغم من أن هذه المناقشات استمرت حتى ١ شباط ١٩٢٣م^(٤٨).

أما القضية الأخرى التي علقت فكانت قضية تراقيا الخاصة بتثبيت حدود تركيا الأوروبية، إذ كانت مطالب الجانب التركي وعلى لسان عصمت إينونو "أن يجعل المنطقة

الممتدة من البحر الأسود إلى مريج Meric ضمن حدود تركيا وإعادة جزيرتي إمبروس وتسينيدوس إلى السياسة التركية لقربها من مضيق الدردنيل"، إلا أن ممثلي دول الوفاق واليونان ورومانيا رفضوا تلك المطالب، لذا علقت تلك القضية^(٤٩).

أما فيما يخص الأقليات فقد اقترح اللورد كرزن أن يتم إنشاء وطن قومي للأرمن على أن يتم تحت إشراف عصبة الأمم، والملفت للنظر أن هذا المقترح حظي بتأييد فرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية واليونان وصربيا، إلا أن ممثل حكومة أنقرة رفض المقترح بشدة وعد هذا الأمر من بين الأمور التي أدت إلى إثارة هذه الأقليات في الدولة العثمانية منذ عهد السلطان محمد الثاني^(٥٠)، لاسيما وأن الدول أخذت هذا الأمر ذريعة للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة مما أسهم في إثارة القلاقل داخل الإمبراطورية وبالتالي فإن حكومة أنقرة ترفض بشدة مثل هذه المقترحات لأنها تمس بأمن وأمان الحكومة التركية وأن الحكومة الجديدة قادرة على حل أي أزمات ومشاكل داخلية، إلا أن إصرار الدول الكبرى على موقفها أدى إلى أن يضطر عصمت إينونو إلى توقيع معاهدات لحماية الأقليات، فضلاً عن إعلان عفو عام عن المتمردين كلهم ودخول تركيا عصبة الأمم^(٥١).

أما قضية الموصل التي طالب بضمها الأتراك وكانت حجتهم في ذلك أنهم ضموها إلى بلادهم قبل توقيع هدنة مودروس، لذلك عقدت من أجل ذلك عدد من الاجتماعات وجررت مفاوضات عدة، لاسيما وأن الجانب التركي كان لا يتوانا وعلى لسان ممثله في أن بلاده مصممة على ضم الموصل، إلا أن ذلك الأمر أثار حفيظة كرزن الذي طالب بأن تحال القضية إلى عصبة الأمم الأمر الذي رفضه الجانب التركي مطالباً بإجراء استفتاء في ولاية الموصل وهنا احتدم السجال بين الجانبين، إذ رفض الأتراك ذلك الأمر وبشدة إلا أن الجانب البريطاني أصر على موقفه، مما أدى إلى فشل المرحلة الأولى من المناقشات دون التوصل إلى حل لذلك الأمر^(٥٢).

عاد المؤتمر إلى الانعقاد من جديد في ٢٣ نيسان ١٩٢٣م، إذ بقي عصمت إينونو ممثل عن الجانب التركي فيما تولى برامبولد رئاسة الوفد البريطاني بدلاً عن

كرزن، استمرت المفاوضات بين مد وجر بشأن قضية الموصل، إذ احتدمت المناقشات من جديد وطالبت بريطانيا تقليص مدة عرضها على عصبة الأمم إلى ٩ أشهر بدلاً من عام^(٥٣)، فضلاً عن قضايا تتعلق بمشكلة المضائق ومسألة الحدود مع تراقيا وجلاء القوات عن البلاد فأبرق مصطفى كمال إلى عصمت إينونو بدعوة إلى التأكيد على جلاء القوات المتحالفة عن البلاد، مما أدى إلى عقد العديد من الجلسات والمفاوضات بين الجانب التركي والبريطاني حتى صرح ممثل الجانب البريطاني "إن تسوية تلك المشاكل سيقود إلى تسوية مسألة الجلاء وبما يتناسب وجهة النظر التركية"، كان ذلك الأمر بمثابة دواء ناجع للحكومة التركية والتي أحست بالاطمئنان على مستقبل المفاوضات^(٥٤).

أما اللجنة الثانية فقد كانت برئاسة الماركيز غاروني (La- Marquis Garroni)، وكان موقف الجانب التركي إلغاء الامتيازات لأنها وعلى حد قولهم تمس استقلال البلاد وسيادة أراضيها، إلا أن الدول المفاوضات رفضت ذلك وبشدة مستدئين في ذلك إلى حجج واعتبارات قدمت، كان الأبرز بينها، أن تلك الامتيازات عقدت على وفق معاهدات واتفاقيات، إلا أن الجانب التركي رفض ذلك ورد بحزم على ما ورد إذ أشار عصمت إينونو "إن تلك الامتيازات تتعارض مع استقلال الشعب واستناداً إلى ذلك ألغيت الامتيازات منذ عدة سنوات ولم يبق للجنة إلا تنظيم علاقات تركيا مع غيرها من الدول مثلما أقامت هذه الدول العلاقات فيما بينها دون أن تمس سيادتها الوطنية"^(٥٥).

أما المشكلة الأخرى والهامة والتي تناولتها هذه اللجنة هي مشكلة تبادل السكان، إذ تمت عملية تبادل السكان بصورة إلزامية ليونان الأناضول وأترك اليونان وبموجب ذلك ارتحل نحو (١٨٨,٠٠٠) نسمة من تركيا إلى اليونان بينما ارتحل (٣٨٨,٠٠٠) تركي من اليونان إلى تركيا^(٥٦).

أما اللجنة الثالثة فقد كانت برئاسة وزير خارجية فرنسا باربيه (Barrere)، والذي قرر في تشرين الثاني ١٩٢٢م تشكيل ثلاث لجان كل لجنة تأخذ على عاتقها شأن معين سواء أكان اقتصادياً أم تجارياً أم كمركياً، فضلاً عن مشكلة الديون العثمانية، إلا أن الرد العثماني كان حازماً حيال ذلك، إذ أشاروا إلى "أنه يجب إلغاء القيود الاقتصادية

وتوزيع الديون العامة للدولة العثمانية بين جميع الدول التي كانت جزءاً من الدولة العثمانية^(٥٧).

وهكذا انتهت المرحلة الأولى من المفاوضات من دون التوصل إلى نتائج مرضية، إذ عاد عصمت إينونو إلى تركيا فأسرع إلى لقاء مصطفى كمال في اسكي شهر، لأن الأخير أراد أن يتعرف عن كثب على الأمور التي حدثت أثناء المؤتمر جميعها^(٥٨).

إن تسابق الأحداث ولاسيما بعد أن استطاع مصطفى كمال من تقوية الموقف التركي باحتلاله شرقي ثريس (Thrace) مما أسهم في تحسين موقف بلاده السياسي بخاصة بعد أن استطاع أن ينظم حزبه السياسي حزب الشعب في ٦ كانون الأول ١٩٢٣م، كما قام أيضاً بإرسال العديد من المذكرات الاحتجاجية إلى لوزان يسرد فيها الفضائح التي ارتكبتها اليونانيون في ثريس وأناطوليا، فضلاً عن ذلك فقد قام المجلس الوطني الكبير بوضع مقترحاته من أجل السلام في ٨ آذار ١٩٢٣م حملها عصمت إينونو معه إلى مؤتمر لوزان الذي استأنف أعماله من جديد في ٢٣ نيسان من العام نفسه، إلا أن المناقشات عادت من حيث بدأت لاسيما بعد أن أصر الجانب التركي على إلغاء الامتيازات التي منحتها الدولة العثمانية للدول الأوربية وهذا ما أثار مفاوضات دول التحالف الدولي الذين وضعوا جانباً من الاتفاقيات التي بحثت وقدموا مسودة كانت روحها ومضمونها متناقضة مع مفهوم استقلال تركيا ولهذا رفضت من الحكومة التركية الممثلة بعصمت إينونو الذي قام بدوره بتقديم مقترحات مضادة لهذه المسودة مما رفضت من قبل ممثلي الدول مما أسهم في احتدام النقاشات من جديد^(٥٩).

بعد انتهاء المرحلة الأولى من المؤتمر وبدأ المرحلة الثانية التي كانت الحاسمة والتي بدأت من ٢٣ نيسان ١٩٢٣م وانتهت في ٢٤ تموز ١٩٢٣م والتي تم التوقيع عليها من قبل عصمت إينونو عن الجانب التركي بعد أن منحه مصطفى كمال هذا الشرف^(٦٠). تألفت المعاهدة من ١٧ وثيقة تتعلق بكافة ما تم مناقشته أثناء انعقاد جلسات المؤتمر^(٦١).

جـ. بنود المعاهدة:

تضمنت معاهدة لوزان عدداً كبيراً من البنود والملاحق، إلا أن الأبرز من بينها:-

- (١) عقد معاهدة الصلح مع تركيا.
- (٢) تحصل تركيا على شرقي تريس إلى غرب نهر مارتيسا (Martissa River) من ضمن ذلك مدينة أدريانوبل (Adrianople) أدنة حالياً (Edirn)^(٦٢).
- (٣) منحت تركيا على إمبروس (Imbros)، وتتيديوس (Tenedos)، وجزر الأرنب (Rabbit Islands)، بينما تخلت تركيا عن معظم جزر بحر إيجه وذهبت إلى اليونان ويعزى سبب ذلك إلى وجود سكان يونانيين هناك^(٦٣).
- (٤) تخلت تركيا عن جزر الدوديكانيسيا (Dodecanesia)، ورودرس (Rhdes)، وكاستيلوريزو (Castellorizo) إلى إيطاليا.
- (٥) حصلت بريطانيا وفرنسا على منطقة إنزاك (Anzac Area) في شبه جزيرة غاليبولي، إذ عينت هذه الدول كأوصياء على هذه المنطقة من أجل العناية بقبور الجنود الذين قتلوا أثناء الحرب العالمية الأولى في حملة عام ١٩١٥م.
- (٦) تخلت تركيا عن مطالبها جميعها في ليبيا ومصر والسودان وفلسطين وسوريا.
- (٧) اعترفت تركيا بضم قبرص إلى بريطانيا.
- (٨) وعدت تركيا بمنح الأقليات إصلاحات قضائية وأنها ستعمل جاهدة على الإفادة من الفقرات الخاصة بالمؤتمر والمتمثلة بحقوق الأقليات ولاسيما مناطق أوربا الشرقية.
- (٩) تم التخلي عن مطالب الحلفاء الخاصة جميعها بالتعويضات الناجمة عن الحرب العالمية الأولى، فضلاً عن تخلي تركيا عن الإصلاحات جميعها التي كان من المقرر القيام بها في اليونان.
- (١٠) رفعت القيود عن الجيش التركي سواء أكانت برية أم بحرية أم جوية^(٦٤).
- (١١) أما فيما يتعلق بمشكلة الموصل فإنه تم توقيع معاهدة في ٤ تشرين الأول ١٩٢٣م لتداول بين الجانبين التركي والبريطاني في ذلك وإذا لم يتوصل الجانبان إلى أي اتفاق فإن القضية ستحول إلى عصبة الأمم، في لوزان حددت المادة

الثالثة تعيين الحدود بين تركيا والعراق بترتيب ودي من قبل بريطانيا وتركيا معاً خلال ٩ أشهر، عقدت الدولتان خلال تلك المدة مؤتمر القسطنطينية ١٩ مارس ١٩٢٤م لكنها لم تغلح في إيجاد حل للمشكلة^(٦٥).

(١٢) تجريد عدد من الجزر من الأسلحة ولاسيما مايتلين (Mytilen)، وكيوس (Cuios)، وساموس (Samos)، وأكاريا (Ikaria).

(١٣) فضلاً عن ذلك فقد تم توقيع ميثاق المضائق، إذ اعترفت فيه الدول التي وقعته بأن المضائق أصبحت منزوعة السلاح^(٦٦)، فضلاً عن حرية المرور والملاحة بالبحر والجو في مضيق الدردنيل وعبر ممر مرمرة ومضيق البسفور، فضلاً عن ذلك فقد نظمت المادة الثانية منه قواعد مرور وملاحة السفن والطائرات التي تدار في وقت السلم والحرب، كما أن المادة الثالثة والتاسعة الخاصة بالمضائق تضمنت تجريد السلاح من المناطق المحيطة بالمضائق، إذ سمح لتركيا بالاحتفاظ بـ (١٢) ألف جندي، فضلاً عن قاعدة بحرية وبموجب ذلك انسحبت قوات الحلفاء من الحلفاء^(٦٧).

(١٤) تم الاتفاق على تبادل السكان بين تركيا واليونان إذ تم تبادل نحو مليون و (٤٠٠) ألف يوناني في تركيا^(٦٨).

(١٥) تضمنت المعاهدة رسائل متبادلة ومواثيق متبادلة بين الدول^(٦٩).

د. نتائج المعاهدة:

(١) إن المعاهدة حققت لتركيا الحصول على السيادة الكاملة من حدودها، إلا أن شروطها كانت غامضة وأن تنفيذها يستغرق وقتاً، فعلى سبيل المثال تم ذكر 'كل من الأطراف المتعاقدة تقبل بقدر ما يتعلق الأمر بذلك لاسيما الامتيازات في تركيا بكل شروطها... على أن تركيا أُجبرت على تطبيق جميع ما يتعلق بالعقود السابقة'^(٧٠).

(٢) كان هنالك خلاف شديد فيما يتعلق بالدين العام، إذ إن المعاهدة حددت فقط حجمه و حددت الالتزامات الواجب على تركيا تنفيذها.

(٣) المحاكم الأجنبية تم إلغاؤها، فضلاً عن ذلك فإن المقيمين الأجانب أُجبروا على قبول الاحتكام في المحاكم التركية، وحتى المراقبين الذين سمح لهم بمراقبة المحاكم انحسر

دورهم على كتابة التقارير والإبلاغ عن الشكاوى فقط دون التدخل في الأحكام الصادرة^(٧١).

(٤) حُلّت مشكلة نفقات الترميم عندما اعترفت اليونان بالتزامها بدفع الأضرار التي سببتها في أناتوليا بسبب حركات الجيش اليوناني.

(٥) سمحت تركيا لجميع مواطنيها الأتراك الذين لا يتكلمون اللغة التركية باستخدام لغتهم في تعاملاتهم وعلاقاتهم.

(٦) سمح للمسلمين من غير الأتراك بتأسيس وتشغيل المؤسسات الخيرية والدينية والاجتماعية والثقافية حسب رغبتهم^(٧٢).

(٧) أُعدت الساحة المقابلة لقصر (دولمة نفجه) للاحتفال جلاء القوات البريطانية عن تركيا لذلك سارت الفرق العسكرية من الجيش التركي الوطني في احتفال مهيب في ٦ تشرين الأول ١٩٢٣م في العاصمة استانبول تحييا للجماهير المحتفلة.

(٨) قام المجلس الوطني الكبير في ١٣ تشرين الأول ١٩٢٣م بتمرير قانون جعل من مدينة أنقرة العاصمة الرسمية للدولة التركية^(٧٣).

(٩) في ٢٩ تشرين الأول ١٩٢٣م تم إعلان الدستور الجديد للبلاد كما أعلن أن الدولة ذات نظام جمهوري وبسيادة الشعب^(٧٤).

(١٠) انتخب مصطفى كمال كأول رئيس للدولة وعصمت إينونو كأول رئيس وزراء للجمهورية التركية^(٧٥).

(١١) أطلقت معاهدة لوزان حرية كبيرة وواضحة لمصطفى كمال في بناء دولة علمانية قوية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن رداء الدين والسيادة الدينية التي طالما احتفظت بها الدولة العثمانية قد خلعه مصطفى كمال وبالتالي مهد الطريق إلى صلح مع الغرب^(٧٦).

(١٢) كانت هناك خطوة واحدة متبقية بإلغاء الخلافة، وسنحت الفرصة لمصطفى كمال عندما كتب السلطان عبدالمجيد إلى مصطفى كمال يطالبه بزيادة امتيازاته فما كان من الأخير إلا أن رد عليه "ليعلم الخليفة والعالم أجمع من أن الخليفة والخلافة أصبحت أمراً غير ذي معنى ولاوجود له... نحن لا يمكننا أن نعرض الجمهورية

التركية لأي نوع من أنواع الخطر على استقلالها عن طريق وجود منصب الخليفة... في النهاية أصبحت الخلافة بالنسبة لنا ذكرى تاريخية..." لذلك في ٢٩ شباط ١٩٢٤م حضر عبدالمجيد آخر جمعة في سلامك (Selamlic)، وكانت آخر مناسبة رسمية لأعضاء السلالة العثمانية وبعدها في ٣ آذار ١٩٢٤م، قام المجلس الوطني الكبير بإلغاء الخلافة التي امتدت إلى (٦٤٠) عاماً، وبدأ عهد جديد من التاريخ التركي، وبذلك تقلصت مساحة تركيا نحو (٢٩٥,٠٠٠) ميل مربع وبسكان أكثر من ١٣ مليون نسمة^(٧٧).

(١٣) كانت معاهدة لوزان الخطوة الأخيرة في عملية طويلة لإضعاف الدولة العثمانية، تلك الدولة مترامية الأطراف والتي استعصت على الدول الأوروبية عندما كانت في أوج عظمتها وقوتها، لذلك بدأ المخطط الأوربي منذ كارلوفيتز ١٦٩٩م ولغاية القرن العشرين لاسيما وأن الإمبراطورية العثمانية بدأت تتقلص بشكل مضطرد، أما المراحل النهائية من تقسيم الدولة العثمانية فكانت عند قيام النمسا بضم البوسنة والهرسك عام ١٩٠٨م واستمر الأمر كذلك بالحرب التركية- الإيطالية (١٩١١-١٩١٢م) وحرب البلقان (١٩١٢-١٩١٣م)، ونهاية المطاف كانت في مؤتمر لوزان (١٩٢٢-١٩٢٣م) اكتمل تفكيك الإمبراطورية^(٧٨).

(١٤) كان الموقف التركي حيال المعاهدة إنها نصر دبلوماسي والذي هو النظير للنصر العسكري النهائي، إذ بين مصطفى كمال أهمية المعاهدة "بأنها وثيقة تعبر عن الفشل النهائي للمؤامرة على تركيا مؤامرة نسجت خيوطها قبل عدة قرون... مؤامرة كانت ستنتج بمعاهدة سيفر... هذا النصر الدبلوماسي لا يوجد ما يماثله مدوناً في التاريخ العثماني..."^(٧٩).

(١٥) إن اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية والدول المنتصرة في الحرب العالمية الأولى بالدولة التركية الحديثة بعد توقيعهم على معاهدة لوزان كان بمثابة الإقرار بالنظام الجديد في تركيا^(٨٠)، لاسيما وأن الولايات المتحدة الأمريكية عملت على انتهاج سياسة مخالفة للسابق إذ أصبح التعاطي مع تركيا وفق اعتبارات دولية^(٨١).



- (1) Bernard Lewis, the Emergence of Modern Turkey, London, 1966, P. 198.
- (2) Richard D. Robinson, The first Turkish Republic, A case study in National Development, Harvard University Press Cambridge, Massachuselts, P. 55.
- (3) Harold N. V. Tewporley, History of the Peace conference of Paris London, 1924, Vol.6, PP. 22-24;

جراهام فولد، الجمهورية التركية الجديدة، تركيا كدولة محورية في العالم الإسلامي مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية/ ط ١ / ٢٠٠٩، ص ٤٣.

(٤) هدة مودروس: هدنة فرضها الحلفاء على الدولة العثمانية والتي أدت بشكل واضح إلى فتح مضيق الدردنيل والبسفور لسفن الحلفاء، فضلاً عن شروط مجحفة بحق الدولة العثمانية والتي تمثلت بتسليم البوارج الحربية وتقليص الجيش العثماني ونزع أسلحته، فضلاً عن ذلك فإن الهدنة منحت الحلفاء حق احتلال أي موقع يروونه استراتيجياً ومهماً لتعزيز قوتهم ومكانتهم. للمزيد من التفاصيل ينظر:

H. Eroglu, Turilop Tarihi, Istanbul, 1982, SS. 90-93.

- (5) Charles loch Mowat, Britain Between the wars 1918-1940, London, Meth, ild, 1955, P. 59; Richard D. Robinson, Op. Cit., P. 57.

(٦) جورج كليمنصو (١٨٤٠-١٩٢٩م): سياسي فرنسي ولد في مدينة لاميندي، درس الطب بباريس، استطاع أن يتقلد منصب رئيس بلدية مونمارتر امتاز بتزمته حتى أطلق عليه لقب النمر في عام ١٩٠٦م أصبح نائباً في البرلمان ووزير للداخلية وفي عام ١٩١٧م أصبح رئيساً للوزراء. للمزيد من التفاصيل ينظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol.2, P. 984.

(٧) ديفيد لويد جورج (١٨٦٣-١٩٤٥م): من ألمع السياسيين البريطانيين، ولد في مانجستر ودرس القانون في جامعتها، أصبح وزيراً للتجارة (١٩٠٢-١٩٠٨م)، ثم تقلد منصب وزير الخزانة (١٩٠٨-١٩١٥م) واقترح أثناء ذلك لائحة الميزانية الشعبية والتي نتج عنها تقليص الحق التشريعي لمجلس اللوردات في النقض، عين عام ١٩١٥م وزيراً للذخائر، ثم أصبح وزيراً للحرب عام ١٩١٦م، وفي كانون الأول من العام نفسه أصبح رئيساً للوزراء. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Grolier Encyclopedia, New York, Grolier in Corporated, 1961, Vol.10,

P. 177.

(٨) توماس وودر ولسن (١٨٥٦-١٩٢٤م): درس في جامعة برنستون القانون وأصبح أستاذاً لمادة القانون والسياسة في الجامعة التي درس فيها عام ١٨٩٠م وانتخب عام ١٩٠٢م رئيساً للجامعة، شغل منصب حاكم ولاية نيوجرسي عام ١٩١٠م عن الحزب الديمقراطي، ثم أصبح رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية خلال المرحلة (١٩١٣-١٩٢١م). للمزيد من التفاصيل ينظر:

The New Encyclopedia Britannica, Vol.10, P. 696.

(٩) فيتوريو إيمانويلي أورلاندو (١٩ مايس ١٨٦٠ - ١ تشرين الأول ١٩٥٢م): رئيس وزراء إيطاليا، (١٩١٧-١٩١٩م)، مثل إيطاليا في مؤتمر الصلح في فرنسا ١٩١٩م لم تقلح جهوده في الحصول على الأراضي التي كانت فرنسا وبريطانيا قد وعدت بها إيطاليا بموجب معاهدة لندن السرية (١٩١٥م). للمزيد من التفاصيل ينظر:

H. James Burgwyn, legend of the Mutilated victory: Italy, the Great War and Paris peace conference, 1915-1919, 1993, P. 55.

(10) H. James Burgwyn, Op. Cit., P. 562.

(11) Charles loch Mowat, Op. Cit., P. 60; H. James Burgwyn, Op. Cit., P. 57.

(12) William Miller, the Ottoman Empire and its Successors 1801-1926, London, 1966, P. 291.

(13) Harold, M. U. Temperley, Op. Cit., P. 61.

(14) Maurice Vaisse "Dictionnaire Cles Relation Internationales ou Siecle", Armand Colin, Paris, 2000, P. 235.

(١٥) جورج لتشفوسكي، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، ج١، ترجمة: جعفر خياط، بغداد، دار المتنبّي، ١٩٦٤، ص ١٤٠.

(١٦) أمين محمد سعيد وكريم خليل ثابت، مصطفى كمال باشا وتاريخ الحركة الوطنية في الأناضول، طُبعت على نفقة مجلة اللطائف المصورة، مصر، القاهرة، ١٩٢٢، ص ٥؛

Harold, M. V. Temperley, Op. Cit., P. 6.

(١٧) فاضل حسين، مشكلة الموصل ودراسة في الدبلوماسية البريطانية- العراقية- التركية وفي الرأي العام، بغداد، ١٩٦٧، ص ٢٣.

(18) Maurice vaisse, Op. Cit., P. 237; Tozun Bahcheti Greek, Turkish Relation Scince 1955, Sanfrancisco, West. View Press, 1990, P. 5.

(١٩) محمد قاسم وحسين حسني، تاريخ القرن التاسع عشر، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة، ١٩٤١، ص ٢٧٦؛ بيير رونوف، تاريخ القرن العشرين ١٩٠٠-١٩٤٨م تعريب: نور الدين حاطوم، دمشق، ١٩٥٩، ص ٩٩.

(20) Maurice Vaisse, Op. Cit., P. 238.

(٢١) لويس شنايدر، ترجمة: سعيد عبود السامرائي، دار مكتبة الحياة، بيروت، بلا، ص ١٥٧.

(22) Tozun Bahcheli Greet Op. Cit., PP. 7-8.

(٢٣) مصطفى كمال (١٩ مايو ١٨٨١ - ١٥ نوفمبر ١٩٣٨م): من عائلة ألبانية الأصل متوسطة، إذ كان أبوه يعمل موظفاً بسيطاً، في ميناء سيلانيك دخل المدرسة الرشيدية العسكرية، بعدها التحق عام ١٨٩٩م بالكلية الحربية في إسطنبول وتخرج منها عام ١٩٠٥م، وتنسب للعمل في الجيش الثالث عام ١٩٠٧م، اشترك في الحرب الإيطالية الليبية عام ١٩١٢م وحرب البلقان ١٩١٢م، عين ملحفاً عسكرياً في صوفيا عام ١٩١٥م، أصبح قائداً للجيش السابع في فلسطين، قاد حركة المقاومة وأصبح الرجل الأول في بناء وتأسيس الجمهورية المدنية في تركيا. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Lord Kimros, Atatürk the Rebirth of National, London, 1964, P. 18;

the Encyclopedia Britannica, Vol.2, U.S.A., 1988, PP. 255-257.

(24) Tozun Bahcheli Greek, Op. Cit., P. 9.

(٢٥) فاضل حسين، مشكلة الموصل، ص ٢٩.

(٢٦) أحمد عبدالرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ط ٣، دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٣١٠.

(٢٧) الجنرال جاري (١ أيلول ١٨٦٥ - ٢٥ تشرين الثاني ١٩٤٥م): ولد في مدين أون الفرنسية، تخرج من الكلية العسكرية الفرنسية ليعمل ضابطاً في سلاح المدفعية البحرية مثل فرنسا في صلح مودانيا توفي إثر إصابته بنوبة قلبية. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Atatürk Modern Turkey'nin kurucusu, Istanbul, 2012, P. 184.

(٢٨) جارس هارنغتون (٣١ أيار ١٨٧٢ - ٢٢ تشرين الأول ١٩٤٠م): درس في الأكاديمية العسكرية البريطانية تخرج منها عام ١٨٩٠م برتبة ملازم ثاني، تقلد العديد من المناصب، كان الأبرز من بينها أن تولى منصب المندوب السامي البريطاني في إسطنبول. للمزيد من التفاصيل ينظر:

The New Encyclopaedia Britannica, Vol.15, P. 112.

(٢٩) مونبيلييه (١٨٨٢-١٩٥٨م): ضابط يوناني تقلد العديد من المناصب إلى أن ارتقى منصب رئيس أركان الجيش اليوناني، اشترك في الحرب اليونانية التركية (١٩١٩-١٩٢٢م)، فضلاً عن ذلك اشترك في مؤتمر لندن في شباط ١٩٢١م كعضو عن الجانب اليوناني، كما انتخب عضواً في المجلس الوطني الذي وضعته جبهة التحرير الوطني في اليونان بعد أن تحررت من الاحتلال الألماني عام ١٩٤٤م. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Army History Directorate 2001, P. 151.

(٣٠) الجنرال موزاكي (١٨٧٤-١٩٤٣م): ضابط في الجيش اليوناني اشتهر بشجاعته لذلك اشترك في العديد من الحروب إلى أن تقلد منصب ميجر وأصبح رئيس أركان فرقة المشاة الخامسة التابعة للجيش اليوناني في الحرب العالمية الأولى، وبقي يتقلد المناصب إلى أن اعتلى منصب رئيس أكاديمية أثينا للدراسات التاريخية وبقي في هذه المناصب إلى عام ١٩٣٧م. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Encyclopaedia International, Vol.8, P. 180.

(٣١) علاء طه ياسين، عصمت إينونو ودوره السياسي في تركيا ١٨٨٤-١٩٧٣، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، كلية التربية- الجامعة المستنصرية، ٢٠٠٥، ص ٦١.

(32) Tozun Bahcneli Greek, Op. Cit., P. 11.

(33) T. C. Basbakaulik, Devlet Arsivleri Genel Mudurlugu Osmanli Arsivi Daire Baskanligi yahini Noll, Akara, 1993, S. 120.

(34) Sonyel Turkish, Diplomacy 1918-1923, Mustafa. Kemal and Turkish Novement, London, N.D., P. 149.

(٣٥) فاضل حسين، مشكلة الموصل، ص ٢٩؛

Sonyel Turkish, Op. Cit., PP. 150-152.

(36) Tozun Bancheli Greek, Op. Cit., P. 14.

(37) A. N. Koracan, lozon kouferansi, ve Ismet pasa, Istanbul, 1945, P. 61.

(38) Ibid., P. 60.

(39) Mostafa turan, Iunan Mezlim 1919-1923, Ankara, Arastirma Merkize, 1999, P. 9.

(40) Stanford Show and Ezeal K. Show, History of the ottoman Empire and Modern Turkey, 1808-1975, Vol.2, combridge University, 1978, P. 126.

(٤١) آرسين كلايسي أوغلو، السياسة الخارجية التركية إزاء الأمن الإقليمي والتعاون في الشرق الأوسط، المستقبل العربي، العدد ٤٢ نيسان ١٩٩٩، ص ٣٧.

(٤٢) اللورد كرزون (١١ يناير ١٨٥٩ - ٢٠ مارس ١٩٢٠م): سياسي بريطاني لامع من حزب المحافظين دخل البرلمان عام ١٨٨٦م شغل منصب الحاكم العام للهند للمدة (١٨٩٩-١٩٠٥م)، كما تقلد منصب وزير خارجية بريطانيا خلال الأعوام (١٩١٩-١٩٢٤م)، بدأ بريقه بالإنطفاء بعد انتهاء مؤتمر لوزان. للمزيد من التفاصيل ينظر:

Curzon, Russia in central Asia, London, 1967, PP. 311-316.

(43) Stanford Show and Ezealk., Op. Cit., P. 129.

(44) A. N. Korakan, Op. Cit., P. 64.

(45) Stanford Show and Ezeal K. Show, Op. Cit., P. 4.

(46) A. N. Koracan, Iozon Konferansi, ve Ismet Pastanbul, 1943, P. 59.

(47) H. B. Sharabi, Government and Politicis of The Middle East in twentieth century Princeton, 1962, P. 37.

(٤٨) فتحية البنراوي، محمد نصر مهنا، قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته السياسية بين الماضي والحاضر، ط١، منشأة المعارف، الاسكندرونه، ١٩٨٣، ص ٥٢٤؛

H. B. Sharabi, Op. Cit., P. 38.

(49) Walter Consuelo langsam, the world Since 1914, New York, the Macmillan Company, 1940 , P. 698.

(٥٠) السلطان محمد الثاني (١٤٢٩-١٤٨١م): محمد الثاني بن مراد الثاني بن محمد الأول حاكم الدولة العثمانية (١٤٥١-١٤٨١م)، اشتهر بلقب الفاتح لفتحته القسطنطينية، كان مولعاً بقراءة كتب التاريخ وسير مبار فاتحي العالم وحكامه وسماعها كالإسكندر الكبير، كما اهتم بإدارة دولته مدنياً وقانونياً حتى عرف بلقب محمد القانوني لوضعه قانون الدولة الأول. للمزيد من التفاصيل ينظر: سيد رضوان علي، السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ١٩٨٢، ص ١-١٥.

(51) Walter cousuel langsam, Op. Cit., P. 699.

(52) Sctt, George, The Rise and fall of laague of Nations, London, itutchinsou, 1973, PP. 130-133.

(53) Ibid., P. 135.

(٥٤) علاء طه ياسين، المصدر السابق، ص ٦٩-٧٠؛

Walter Cousuel Langsam, Op. Cit., P.

699.

(55) William Miller, the Ottoman Empire and its Successors 1801-1926, London, 1966, PP. 562-565.

(٥٦) محمد فاتح عقيل، مشكلات الحدود السياسية، ج١، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة، ١٩٦٢، ص٥٩٨.

(57) William miller, Op. Cit., P. 567.

(58) Turkish National Commission for Unesco, Ataturk, Ankara University, 1963, P. 134.

(٥٩) الكابتن هـ. س. أرمسترونج، الذئب الأغبر مصطفى كمال، مطبعة الهلال، دار الهلال، مصر، ١٩٥٢، ص١٩٠.

(60) Stanford Show and Ezeal K. Show, Op. Cit., P. 130.

(٦١) فاضل حسين، كاظم هاشم نعمة، التاريخ الأوربي، ط١، ١٩٨٢، ص٢٣٣؛

Stanford Show and Ezeal K. Show, Op. Cit., P. 131.

(62) Walter Consuelo langsam, Op. Cit., P. 699.

(٦٣) علي صبيح، السياسات الدولية بين الحربين العالميتين ١٩١٤-١٩٣٩، ط١، دار المنهل اللبناني، مكتبة رأس النبع، بيروت، ص٦٨.

(64) Tozun Bancheli, Op. Cit., P. 510.

(٦٥) فاضل حسين، كاظم هاشم نعمة، المصدر السابق، ص٢٣٣.

(٦٦) ج. ب. ديروزيل، التاريخ الدبلوماسي في القرن العشرين ١٩١٩-١٩٥٤، ج١، ترجمة: خضر خضر، مكتبة الجامعة، ١٩٨٥، ص٤٣.

(67) Harry. N. Howard, Op. Cit., P. 126.

(٦٨) ج. ب. ديروزيل، المصدر السابق، ص٤٣.

(69) Turkish National, Op. Cit., P. 135.

(70) Stanford J. Show and Ezel kural Show, Op. Cit., P. 366.

(71) Ibid., PP. 367-368.

(72) Tozun Bahcheli, Op. Cit., P. 515.

(73) H. B. Sharabi, Op. Cit., P. 40.

(74) Rechard Robinso, The first Tarkish Republic, Harrard, 1963, P. 78.

(75) Tzun Bahcheli, Op. Cit., P. 14.

(٧٦) رشيد رضا، علي عبد الرزاق، عبد الرحمن الشهبندر، الدولة والخلافة في الخطاب العربي إبان الثورة الكمالية في تركيا، دراسة وتقديم: وجيه كوثراني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٦٦، ص٨.

(77) Stanford J. Shaw, Ezel kural Shaw, Op. Cit., P. 369;

الكابتن أرمسترونج، المصدر السابق، ص٢٠٠.

(78) Harry N. Haward, the Partition of Torkien A Dipolomtic History 1913–1923, New York, 1966, P. 33.

(79) Turkish National..., P. 135.

(٨٠) أمين عباس نذير، العلاقات الأمريكية التركية ١٩٣٩–١٩٤٥، ط١، بغداد، ٢٠١٤، ص ٢٤.

(81) Denovo A. John, American Interests and Politics in Middle East 1900–1939, Minneapolis, 1963, P. 239.

كتاب الهبة من كتاب مُعَيَّنِ الْمُفْتِي عَلَى جَوَابِ الْمُسْتَفْتِي تَأليفُ
الإمام شمس الدين محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الخطيب
التمرتاشي الغزي الحنفي المتوفى سنة ١٠٠٤هـ دراسة وتحقيق

د. محمد عباس جاسر محمد
الجامعة العراقية / كلية الآداب
&
أ.م.د. محمود شمس الدين عبد الأمير
كلية العلوم الإسلامية / الفلوجة – جامعة الأنبار

الملخص

يعد كتاب "الهبة من كتاب مُعَيَّنِ الْمُفْتِي عَلَى جَوَابِ الْمُسْتَفْتِي" للمؤلف الإمام شمس الدين محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد الخطيب التمرتاشي الغزي الحنفي (ت ١٠٠٤هـ) واحدة من أهم الكتب في فقه الإمام أبو حنيفة النعمان (رحمه الله) وذلك لاحتوائه على مواضيع يشار لها بالبنان جمعت من أمهات الكتب المعتمدة في العقيدة واستعراض تصريحات رجال المذاهب من تصريحات هامة في وقته الخاص او في العصور السابقة. ويهدف البحث الحالي الى اجراء دراسة وتحقيق على هذا الكتاب لبيان النقاط الهامة فيه. ويذكر ان هذا البحث لم يدرس سابقاً من جانب اي باحث رغم وجود دراسات مشابهة. ونسأل الله عزه وجل ان يوفقنا في مسعانا بأذنه تعالى.

Abstract

The book "The gift from the book of the Mufti on the answer of the respondent" by the author Imam Shams al-Din Muhammad ibn Abdullah ibn Ahmad ibn Muhammad al-Khatib al-Tamratashi al-Ghazi al-Hanafi (T 1004) is one of the most important books in the jurisprudence of Imam Abu Hanifa al-Nu'man. Her sons collected from the mothers of books adopted in the doctrine and review the statements of men of the doctrines of important statements in his own time or in previous eras. The current research aims at conducting a study and investigation on this book to clarify the important points in it. It is noteworthy that this research was not studied earlier by any researcher, despite the existence of similar studies. We ask God Almighty to help us in our endeavors with His permission

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي اصطفى للعلوم رجالاً فضلهم بالعقل الذي هو أساس الفضائل؛ وينبوع الادب؛ وقوام الدنيا وعمادها؛ وبه يناط ^(١) التكليف، وبفقدته يرفع عن العبد. والعلم بحر واسع عميق الغور ^(٢) والاحاطة بجميع العلوم محال، وأشرفها قدراً وأكثرها نفعاً لبني البشر علوم الدين فبمعرفتها يرشدون ، وبجهلهم بها يضلون.

ان من أشرف العلوم بعد صحة الاعتقاد والسير على السراط السوي علم الفقه - قال رسول الله (ﷺ) (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين) ^(٣) والتراث الإسلامي مليئ بكتب فقهية غنية بمواردها ومسائلها بذل كاتبوها قصار جهدهم ومبلغ علمهم فيها رحم الله السلف وجعل الخير في هذا الخلف ومن نعم الله علي أن جعلني أسير في هذا الطريق متلمساً للنور الذي جاء به محمد (ﷺ) من عند الله تبارك وتعالى .

أمام هذا الاهتمام الكبير من لدن فقهاءنا الأجلاء لهذا الجانب من فقهاء الأصيل، فقد ارتأيت أن أبذل ما بوسعي من جهد لتناول جزئية يسيرة ، فاستعنت بالله تعالى لأكتب في الهبة .

ولكي أحوز فضيلة أخرى في خدمة جانب من تراثنا الفقهي المخطوط، فقد ارتأيت أن أعمد إلى تناول كتاب الهبة من كتاب معين المفتي على جواب المستفتي للعلامة التمرتاشي الحنفي (المتوفى سنة ١٠٠٤هـ) ، وهو كتاب مهم جداً في موضوعه، ويعمد على تحقيقه أكثر من طالب علم على حد علمي ، ولما وجدت كتاب الهبة منه لم يحقق بعد، فقد استخرت الله تعالى في أن أتأوله بحثاً ودراسة وتحقيقاً؛ لأخرجه إلى النور ، ولأضع بين يدي القارئ للفقهاء الإسلامي دراسة متواضعة في موضوع الهبة .

وإن كتاب معين المفتي على جواب المستفتي الذي ألفه الإمام شمس الدين محمد بن عبد الله بن الخطيب التمرتاشي الغزي الحنفي، يعد واحداً من بين الكتب المهمة في فقه الإمام أبي حنيفة - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - ، لما لمصنفه من مكانة مرموقة بين فقهاء المذهب المتأخرين، ولما أودعه - رَحِمَهُ اللهُ - فيه من نفائس المسائل التي جمعها من

أمهات الكتب المعتمدة في المذهب، مستعرضاً فيها أقوال أصحاب المذهب ورجاله ممن يؤخذ بأقوالهم ويعتمد عليها ، مشيراً إلى ما وقع منها فعلاً في عصره أو في العصور السابقة له.

ومما يميز الكتاب أن مصنفه -رَحِمَهُ اللهُ- قد اعتمد في ترتيبه على أبواب الفقه المتعارف عليها عند فقهاء المذهب.

وقد عمد المصنف إلى تقسيم الكتاب إلى ثلاثة فنون:

الفن الأول: جعله في علم الكلام ، فأتى فيه بخلاصة مباحث علم الكلام، وأهم المفردات التي يبغيها طلبة العلم في هذا الفن.

الفن الثاني: جعله في علم أصول الفقه، فتناول فيه أهم مباحث هذا الفن معتمداً فيه على أمهات المراجع، أكثرها فيه من النقل ، وبعبارة جزلة عذبة.

الفن الثالث: جعله للفقه، ورتبه على الأبواب الفقهية المعروفة ، وهو أهم وأطول الفنون الثلاثة، فهو يمثل أكثر من ثلاثة أرباع الكتاب تقريباً، وهو جوهر الكتاب.

وكتاب الهبة منه يقع في خمس لوحات، عمدت إلى نسخه ومقابلته بعد أن حصلنا على نسختين خطيتين من الكتاب، ثم عمدت إلى خدمة النص تحقيقاً علمياً، ثم كللنا العمل بوضع دراسة متواضعة ضمنيتها ترجمة لمؤلف الكتاب، ولمصطلحاته فيه، ثم عملي في تحقيقه ووصف النسخ الخطية المعتمدة.

ومما يجدر بنا ذكره هنا، أن موضوع هذا البحث لم يسبق أن دُرِسَ أو تناوله أحد من الباحثين بالدراسة العلمية، مع أن هناك دراسات مماثلة سابقة لكتاب الهبة من كتب مهمة في الفقه الإسلامي ، وهذه الدراسة المتواضعة التي نقدمها اليوم تأتي على خطى السابقين ممن نهلوا من كتب السلف وتمعنوا في مخطوطاتهم التي وصلت إلينا، عسى أن يكتب الله تعالى لنا التوفيق والسداد في تقديمها على الوجه المرضي والمقبول.

وقد اقتضت خطة البحث أن تكون مقسمة على قسمين:

القسم الدراسي، وتضمن مباحث:

البحث الأول: في التعريف بمؤلف الكتاب العلامة التمرتاشي -رحمه الله تعالى-.

البحث الثاني: منهج التمرتاشي والمصطلحات التي استعملها في كتابه.

المبحث الثالث: عملنا في التحقيق ونسبة الكتاب إلى مؤلفه ووصف النسخ الخطية.

المبحث الرابع: عملنا في التحقيق ووصف النسخ الخطية.

القسم التحقيق، وقد تضمن النص الكامل لكتاب الهبة من كتاب معين المفتي على

جواب المستفتي للعلامة التمرتاشي الحنفي (المتوفى سنة ١٠٠٤هـ).

هذا وقد بذلنا ما في وسعنا من أجل إخراج هذه الدراسة المتواضعة بأفضل حلة، فإن نكن قد وفقنا في ذلك فهو فضل الله تعالى وحسن توفيقه، وإن تكن الأخرى ، فحسبنا أن لم ندعِ لعملنا هذا الكمال، إنما سعينا صادقاً ومخلصاً لنكون ممن نالوا شرف خدمة شريعتنا السمحاء، وفقهنا العظيم، وعلى من يجد فيه هفوة أو زلة أو خطأ، أن يغفر لي ذلك ، ويلتمس لي عذراً.

اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ، ولعظيم سلطانك، سبحانه، لا نحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك.

وصلى الله وسلم وشرف وكرّم على رسوله النبي المصطفى الهادي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وصحابته الغر الميامين ، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

المبحث الأول

مؤلف الكتاب العلامة التمرتاشي - رحمه الله تعالى -

سنتناول في هذا المبحث ترجمة للعلامة التمرتاشي مؤلف كتاب معين المفتي على جواب المستفتي، فنقف عند اسمه وولادته وشيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ووفاته، وبما لا يمثل إسهاباً في تناوله، وذلك خشية الابتعاد عن صلب مادة هذا البحث الذي يتعلق بكتاب الهبة ، فجعلنا هذا المبحث على مطلبين:

المطلب الأول

اسمه ولقبه وولادته

هو الإمامُ شمسُ الدّينِ محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ محمدٍ الخطيب بن إبراهيم بن محمد الخطيب التمرتاشي^(٤) العمري الغزي الحنفي^(٥).
لقبه: شمس الدين^(٦).

ولادته:

ولد الامام شمس الدين محمد بن عبد الله التمرتاشي في مدينة غزة بفلسطين سنة (٩٣٩هـ) ولذلك يقال في نسبته الغزي ثم رحل الى القاهرة وأخذ فيها العلوم المختلفة ثم رجع الى بلده وصار فيها رأساً للعلوم ومرجعاً في الفقه على مذهب الامام أبي حنيفة (رحمه الله) وكان رأس الحنفية في عصره (٧).

المطلب الثاني

مكانته العلمية

شيوخه:

أخذ العلامة التمرتاشي -رحمه الله- العلم عن جملة من علماء عصره، أبرزهم:

- ١ - الشمس محمد بن المشرقي الغزي المفتي (٨).
- ٢ - العلامة ابن نجيم زين الدين بن ابراهيم الشهير بأبن نجيم الحنفي المصري من مصنفاته شرح المنار وكتب اخرى التي جمعها ولده أحمد وقد توفي سنة (٩٧٠هـ) (٩).
- ٣ - أمين الدين ابن عبد العال الحنفي المصري، له الفتاوى التي جمعها تلميذه برهان الدين إبراهيم بن سليمان وقد سماها : العقد النفيس فيما يحتاج إليه للفتوى والتدريس، وقد توفي سنة ٩٧١هـ (١٠).
- ٤ - علي بن امر الله المعروف بابن الحنائي، الذي كان قاضياً للقضاة بمصر، له من المؤلفات: طبقات الحنفية الشهيرة، والرسالة السيفية والقلمية، وحاشية على حاشية السيد الشريف الجرجاني على المطول للفتاواني، وديوانه، وغيرها، وقد توفي سنة ٩٧٩هـ في مدينة أدرنة بتركيا (١١).

تلاميذه:

- ١- صالح بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن ابراهيم الخطيب التمرتاشي الغزي الحنفي كان فاضلاً متبحراً باحثاً وله احاطة بفروع المذهب أخذ عن والده شمس الدين، ورحل الى مصر وأخذ عن علمائها وتصدر في ذلك القطر بعد وفاة والده وله مؤلفات كثيرة منها حاشية على الاشباه والنظائر التي سماها زواهر الجواهر (ت ١٠٥٥هـ) (١٢).

- ٢- محفوظ بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطيب التمرتاشي الغزي الحنفي ، حيث تنقّف على يد والده شمس الدين ، ثم رحل الى القاهرة فأخذ بها عن كبعلاء في المذهب الحنفي ثم رجع الى بلاده وتوفي فيها^(١٣).
- ٣- الشيخ أحمد بن عمار من أهالي القدس^(١٤).
- ٤- الشيخ محمد بن عمار من أهالي القدس^(١٥).
- ٥- الشيخ البرهان الفتياني^(١٦).
- ٦- الشيخ عبد الغفار العجمة^(١٧).

مؤلفاته :

أما أبرز مؤلفاته وأشهرها: كتابه (تنوير الأبصار) في الفقه، وقد اعتنى بشرحه علماء عصره، وهو من كتبه المطبوعة ذائعة الصيت، ولإمام التمرتاشي -رحمه الله تعالى- عليه شرح أيضاً سمّاه بـ(منح الغفار) .

ومعين المفتي على جواب المستفتي، في فروع الحنفية، وهو هذا الكتاب الذي نحن بصدد تحقيق كتاب الهبة منه.

وله أيضاً: شرح الكنز، وحاشية على الدرر والغرر، ومواهب المنان في الفقه، والفتاوى، ومسعفة الحكام على الأحكام، ورسالة في عصمة الأنبياء، وشرح مختصر المنار في أصول الفقه، وله كتاب الوصول إلى قواعد الأصول، ومنظومة في التوحيد، ورسالة في التصوّف، وإعانة الحقيّر في شرح زاد الفقير لابن همام، وشرح العوامل في النحو للجرجاني، وله عقد الجواهر النيرات ، وهو كتاب في فضائل الصحابة العشرة، ورسالة في وقف النقود، وغير ذلك^(١٨).

وفاته :

ان جميع المراجع التي ترجمت له ذكرت أنه توفي سنة ١٠٠٤ هـ، وبعضها حدد بأنها كانت في أواخر شهر رجب الفرد من تلك السنة، إلا أنني وصل إلى علمي أن بعض طلبة العلم يحقق في تصحيح أن وفاته -رحمه الله تعالى- كانت بعد سنة ١٠٠٧ هـ ؛ إذ ذُكِرَ أن ثمة نسخة مخطوطة من إحدى مؤلفاته كتبها بخطه وقد أرخها

سنة ١٠٠٧ هـ، ولم أتأكد أنا من دقة هذا الأمر، فإن صحَّ ذلك فينبغي أن يقال بأنه كان حيا سنة ١٠٠٧ هـ، وقد كانت وفاته في مدينة غزة التي ولد فيها والله أعلم^(١٩).

المبحث الثاني

منهج التمرتاشي والمصطلحات التي استعملها في كتابه

يعتبر كتاب معين المفتي على جواب المستفتي للإمام التمرتاشي واحدا من الكتب المتأخرة المهمة عند فقهاء السادة الأحناف؛ لما لمؤلفه من مكانة مرموقة بين متأخري فقهاء المذهب، ولأنه جعله متميزا عن باقي الكتب المؤلفة في مجاله من حيث المادة العلمية التي حواها، فإنه قد جمع فيه أهم ما يحتاجه المفتي من مسائل تمس الحاجة إليها، ولم يجعله كباقي كتب الفقه الأخرى التي تناولت الموضوعات المعروفة، فقال في سبب تأليفه : ((لما رأيتُ الهممَ راغبةً عن مطالعةِ الكتبِ المبسوطَةِ، والنفوسَ مائلةً إلى حفظِ المختصراتِ المحرَّرةِ المضبوطةِ، أردتُ أن أكتبَ في هذا الدفترِ ما وقفتُ عليه من المسائلِ المحرَّرةِ ، والقواعدِ الأصوليةِ المشتهرةِ؛ ليكونَ عوناً لمن ابتليَ بمنصبِ الفتوى، وزاداً في سلوكِ سبيلِ التقوى...))^(٢٠).

كما تميز أيضا بأنه لم يجعله على طريقة المسائل المتفرقة، بل جعله مرتبا على الأبواب الفقهية المعروفة، فيستطيع الباحث عن مسألة ما أن يجدها في بابها المعني بها من غير عناء.

ومما ميَّز الكتاب أيضا أنه رحمه الله تعالى - جعله مقسما على ثلاثة أقسام سمي كل قسم منها فناً، الأول تكلم فيه عن علم الكلام، والثاني تكلم فيه عن علم أصول الفقه، وهو أوسع من الأول ، والثالث جعله لمادة الكتاب الفقهية التي ألفه من أجلها، وهو القسم الأوسع إذ يشكل أكثر من ثلاثة أرباع الكتاب تقريبا.

قال رحمه الله تعالى:- ((وجعلتُهُ مشتملاً على شذرةٍ من علمِ الكلام، ونبذةٍ من أصولِ الأحكام، وطائفةٍ من مسائلِ معرفةِ الحلالِ والحرام...))^(٢١).

وقد درج المصنف فيه على ما درج عليه أسلافه وأقرانه من فقهاء السادة الأحناف، فلم يكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية، أو الحديث الشريف، ففي مجمل

الكتاب لم يتجاوز عدد الأحاديث التي أوردها بضعة وخمسين حديثاً، مع أن المادة العلمية للكتاب قيمة وكبيرة جداً.

كما أنه رحمه الله- قد أكثر من النقل عن سابقيه، وهو في الغالب يشير إلى المصدر الذي ينقل منه، وقد يكون بإمكاننا أن نصفه بأنه أكثر من النقل إلى حد بعيد، فقلما توجد صفحة من الكتاب إلا وفيها على الأقل من ثلاثة إلى أربعة نقول تقريباً، أو نقل واحد مثلاً لكنه يستغرق الصفحة كلها ! ، كما فعل في أول كتاب الإقرار الذي نعمل على تحقيقه في هذا البحث، وهذا أمر مألوف عند متأخري فقهاء السادة الأحناف.

ولابد من القول بأن المصنف قد اعتمد على عدد كبير من كتب الفقه الحنفي في جمع المادة العلمية لكتابه، وبما يبعث في النفس ثقة وطمأنينة إلى ضبط هذا السفر العظيم، وبما يعكس سعة علمه واطلاعه على إرث سابقيه من فقهاء المذهب ، وإمامه بكل ما دونه فيه من مسائل، كما لابد من الإشارة إلى أنه لا يكتفي بالنقل المحض المجرد عن إبداء رأيه في المسألة التي تتطلب ذلك، فإنه كثيراً ما يعترض في أثناء الكلام بالقول: قلت الأصح كذا ، أو قلت كذا وكذا.

كما أنه عمد أيضاً إلى استعمال كثير من المصطلحات الخاصة بفقهاء المذهب الحنفي، وفيما يأتي طائفة منها:

- الإمام أو إمام المذهب، يعني به الإمام أبا حنيفة عليه من الله الرحمة والرضوان.

- الصحابان، هما أبو يوسف ومحمد بن الحسن -رحمهما الله تعالى-.
- الشيخان ، المراد بهما أبو حنيفة وأبو يوسف -رحمهما الله تعالى-.
- الأئمة الثلاثة، المراد بهم أبو حنيفة والصحابان - رحمهم الله تعالى-.
- عنده أو مذهبه، أي عند الإمام أبي حنيفة -رحمه الله تعالى-.
- المتقدمون والمتأخرون، يراد بالأول كل من أدرك الأئمة الثلاثة أو أحدهم، ويراد بالثاني من لم يدرك أحدا منهم.
- قالوا: يستعمل فيما فيه اختلاف المشايخ.

- قيل، صيغة تمريض تستعمل فيما لا يجزم بصحته إلا حسب سياق صاحب الكتاب أو بالقرينة.

- عامة المشايخ، يراد به أكثر مشايخ الحنفية.

- يجوز، تستعمل بمعنى يصح ، وأحيانا بمعنى يحل.

- لا بأس، أكثر استعمالها في المباح وما كان تركه أولى، وأحيانا تستعمل في المندوب.

- المتون، يراد بها المتون المعتمدة ، كبداية المبتدي ومختصر القدوري، والمختار والنفاية والكنز.

- ظاهر الرواية أو مسائل الأصول، وهي المسائل التي رويت عن أصحاب المذهب الثلاثة، ويلحق بهم زفر بن الهذيل والحسن بن زياد وغيرهما ممن أخذ عن الإمام أبي حنيفة، وهم المتقدمون من فقهاء المذهب، وهذه المسائل هي الموجودة في كتب محمد بن الحسن الست: المبسوط والزيادات والسير الصغير والسير الكبير والجامع الصغير والجامع الكبير، وسميت بظاهر الرواية ؛ لأنها رويت عن الإمام محمد بن الحسن برواية الثقات وتواترت عنه.

- مسائل النوادر ، وهي المسائل التي رويت عن أصحاب المذهب المذكورين لكن ليس في الكتب المشهورة بل في كتب غيرها تنسب إلى محمد بن الحسن كالكيسانيات والهارونيات والرقيات والجرجانيات.

ولعله استعمل غير ذلك من رموز ومصطلحات لكن المقام لا يتسع لذكرها جميعا ، وهذا أهم ما لا بد من ذكره.

المبحث الثالث

عملي في التحقيق ونسبة الكتاب إلى مؤلفه ووصف النسخ الخطية

المطلب الأول

عملي في التحقيق

يسر الله تعالى لنا أن نحصل على نسختين خطيتين من هذا الكتاب، سنقف بعد قليل على وصفهما، وقد تميزت النسخة العراقية بأنها الأقدم والأقل سقطاً؛ من أجل ذلك فقد اخترناها لتكون النسخة الأم، فاعتمدناها أصلاً في عملنا. ثم نسخت النسخة الأم، ثم قابلنا النسخة المصرية عليها. وثقت الأقوال والنصوص التي نقلناها العلامة التمرتاشي من مصادرها. أوضحنا الغريب من الألفاظ والمصطلحات التي وردت في النص المحقق من الكتاب.

ترجمنا للأعلام الذين ذكرهم في النص المحقق من الكتاب، كما ترجمنا للكتب التي أورد ذكرها فيه.

كتبنا النص المحقق حسب الواقع المقروء به الآن، كقولهم (المسائل) جعلناها (المسائل)، كما استعملنا إشارات وفواصل الكتابة حسب نظام الترقيم الحديث.

استعملنا القوسان المعقوفان [] لحصر العبارة الساقطة من إحدى النسختين، واستعملنا القوسان الهلاليان المزدوجان ((...)) لحصر النص المنقول، واستعملنا الخط المائل /ك: ٢٢٠/ لبيان نهاية اللوحة في النسخة المخطوطة والحرف داخله يشير إلى رمز النسخة الذي بينته في المطلب الآتي.

استعملنا القوسان الهلاليان المفردان للدلالة على اسم كتاب ذكره صاحب المخطوط.

قدمنا التحقيق بدراسة أهم مسائل الهبة دراسة مقارنة مما يكون متما لما ذكره العلامة التمرتاشي في كتابه، فتناولنا مفهومه وتأصيله الشرعي وأهم أحكام أركانه، وذلك في القسم الدراسي؛ ليكون متما لعملنا في التحقيق.

هذا، ولم يرد في كتاب الهبة من معين المفتي للتمرتاشي شيء من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

المطلب الثاني

نسبة الكتاب إلى مؤلفه ووصف النسخ الخطية

لم أجد من شك في نسبة هذا الكتاب إلى العلامة التمرتاشي رحمه الله تعالى -، فهذا هو المثبت على ورقة العنوان من النسختين الخطيتين اللتين اعتمدتهما في التحقيق، وهو ما ذكره الذين ترجموا له^(٢٢)، وهو ما وثقه م فهرس المكتبة القادرية^(٢٣)، كما أنه المشهور عند متأخري السادة الأحناف، فإنهم تداولوا هذا الكتاب وتدارسوه، ونقل من جاء بعده عنه، كالعلامة ابن عابدين في حاشيته الشهيرة التي وضعها على كتاب الدر المختار شرح تنوير الأبصار للعلامة التمرتاشي، فقال رحمه الله: ((قوله: في معينه، وهو معين المفتي للمصنف))^(٢٤)،

وقد ذكر صاحب كشف الظنون عنوانا قريبا منه هو: (معين المفتي في الجواب على المستفتي)، قال فيه: ((معين المفتي في الجواب على المستفتي، لمولى محمد المفتي بأسكوب^(٢٥)، المعروف ب(كور مفتي)، المتوفي سنة ١٠٣٠ هـ ثلاثين والـف، وهو مجموعة لطيفة، جمع فيها مسائل كثيرة بعبارة من الكتب المعتمدة))^(٢٦).

وهذا الكتاب توجد منه نسخة في مكتبة جامعة الملك سعود في المملكة العربية السعودية برقم ٦٦٥١ وهي تقع في ٢٤٩ ورقة، وهو كتاب باللغتين العربية والتركية، جمع مسائل متناثرة في الفقه على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة رحمه الله - وهو غير الكتاب الذي نحن بصدد تحقيقه.

والذي يعني أن (معين المفتي على جواب المستفتي) هو للإمام العلامة التمرتاشي الحنفي، وهو الذي وصلت عدة نسخ منه إلينا، ونسبته لمؤلفه صحيحة سليمة لا يعترضها شك.

النسخ الخطية المعتمدة:

اعتمدت في إخراج الكتاب على نسختين خطيتين:

الأولى: نسخة المكتبة القادرية ببغداد، العراق، برقم ٣٧٠ فقه حنفي، وتقع في ٢٢٦ ورقة، وهي ترقى إلى القرن الحادي عشر ، وقد كتبت بخط الإجازة^{٢٧}، وقد رمزت لها بالرمز: ق .

الثانية: نسخة المكتبة البلدية في الإسكندرية، بمصر، برقم ١١٩٧ ج ، وتقع في ٣٠٥ ورقة، وقد تم نسخها سنة ١٢٦٧هـ، بخط النسخ الجيد، وقد رمزت لها بالرمز : ك ، إلا أن فيها سقطا وخللا ليس بالقليل.

ومع أن نسخة المكتبة القادرية ببغداد أقدم وأفضل من النسخة المصرية إلا أنها لا تخلو أيضا من سقط ، ومع ذلك فقد أعتمدتها لتكون أمّا أو أصلاً ، فأثبتتها وقابلنا النسخة المصرية عليها وأثبتت الفروقات بينهما في الهامش، وأحيانا أثبت ما في المصرية وأشار إلى الفرق عن القادرية في الهامش.

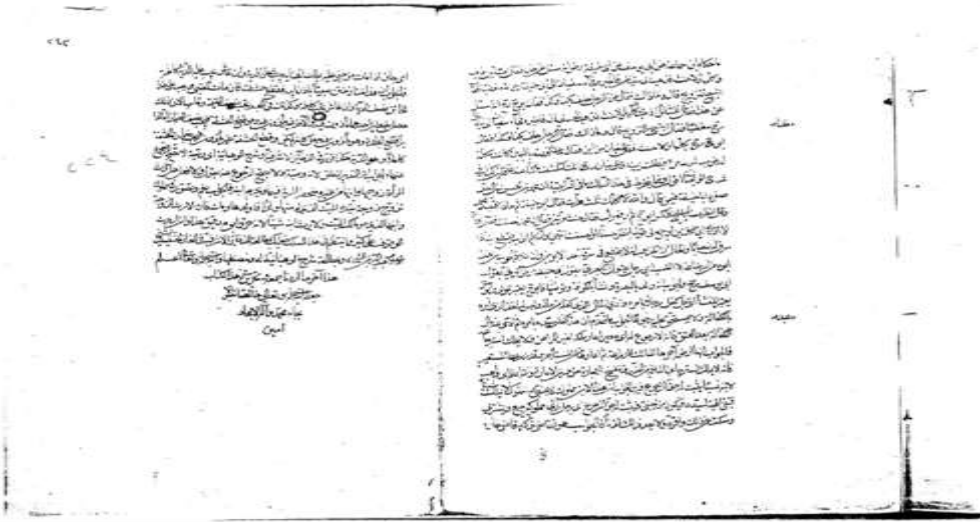
وفيما يأتي بعض نماذج من صور المخطوطتين:



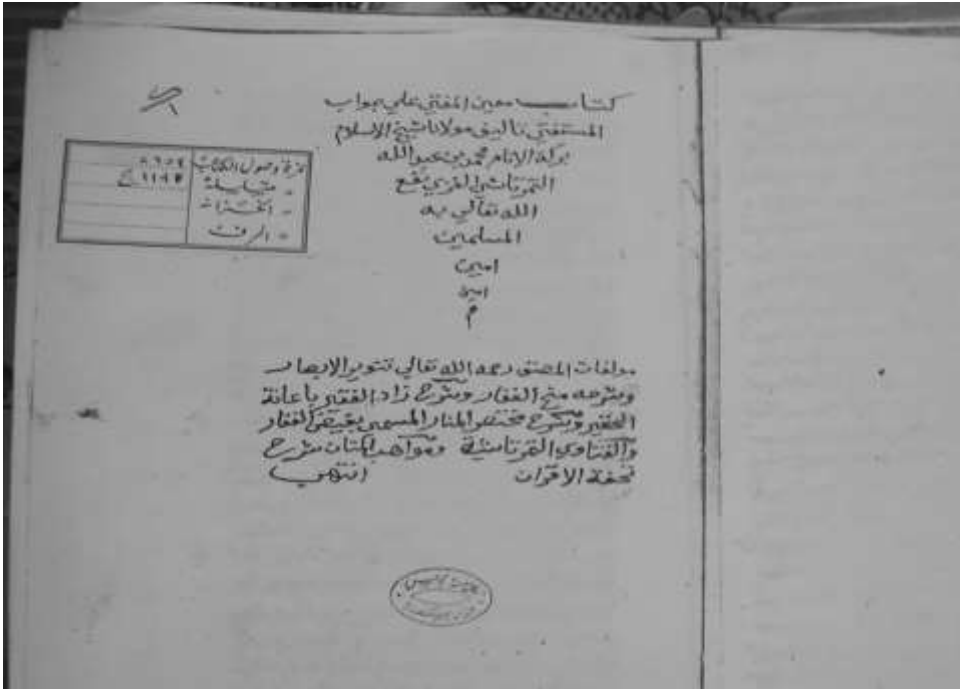
الورقة الأولى من نسخة المكتبة القادرية (ق)



الورقة الثانية من نسخة المكتبة القادرية (ق)



الورقة الأخيرة من نسخة المكتبة القادرية (ق)



الورقة الأولى من نسخة المكتبة الإسكندرية بمصر (ك)



الورقة الثانية من نسخة المكتبة الإسكندرية بمصر (ك)



الورقة الأخيرة من نسخة المكتبة الإسكندرية بمصر (ك)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قسم التحقيق

كتاب الهبة

هي لغة التفضل على الغير بما ينفعه ولو غير مال في المختار، وهب له شيئاً بوزن وضع يضع وضعاً ووهباً ، بفتح الهاء، وهبةً، بكسر الهاء، والاسم الواهب والموهبة بكسر الهاء فيهما والانتها بقبول الهبة والاستيها ب سؤال الهبة رجل وها ب ووهابة كثير الهبة والهاء للمبالغة انتهى^(٢٨).

وفي الشرع هي: تملك العين بلا عوض فخرجت العارية^(٢٩) والإباحة^(٣٠) والإجارة^(٣١) والبيع وهبة الدين ممن عليه فانه إسقاط وان كان بلفظ الهبة^(٣٢).

وفي (الاختيار)^(٣٣) ، أن الهبة نوعان: تملك وإسقاط وعليهما الإجماع^(٣٤)،

وأما هبة الدين من غير من هو عليه فصحيحة بشرط أن يأمره بقبضه كما في (البحر)^(٣٥) نقلاً عن (المنتقى)^(٣٦) وغيره^(٣٧).

وسببها إرادة الخير للواهب دنيوي كالعوض وحسن الثناء والمحبة من الموهوب له وأخروي.

وشرائط صحتها في الواهب العقل والبلوغ والملك فلا تصح هبة المجنون والصغير والعبد ولو مكاتباً أو أم ولد أو مدبراً أو مبعوضاً وغير المالك، وفي الموهوب أن يكون مقبوضاً غير مشاع مميزاً غير مشغول.

وركنها هو الإيجاب والقبول، وحكمها ثبوت الملك للموهوب له غير لازم حتى يصح الرجوع والفسخ وعدم صحة خيار الشرط فيها، فلو وهبه على أن الموهوب له بالخيار ثلاثة أيام صحت الهبة إن اختارها قبل أن يتقراً/ق: ١٧٨.

ولو أبرأه على أنه بالخيار ثلاثة أيام صح الإبراء وبطل الخيار كذا في (الخلاصة)^(٣٨) يعتقه صحت الهبة وبطل الشرط^(٣٩).

ومحاسنها كثيرة حتى قال الإمام أبو منصور^(٤٠): يجب على المؤمن أن يعلم ولده الجود والإحسان كما يجب عليه أن يعلمه التوحيد والإيمان إذ حب الدنيا رأس كل خطيئة، كذا في (النهاية) ^(٤١)(٤٢) .

تصح الهبة في محوز مقسوم أو مشاع لا يقسم ولا تصح في مشاع يقسم، ثم الحد الفاصل بين ما يحتمل القسمة وما لا يحتملها أن كل ما كان مشتركاً بين اثنين وطلب أحدهما القسمة وأبى الآخر فإن كان للقاضي أن يجبر الأبى على القسمة فهو مما يحتملها كالدار والبيت الكبير وإن كان مما لا يجبره فهو ما لا يحتملها كالعبد والحمام والبيت الصغير والحائط.

ويشترط^(٤٣) في صحة هبة المشاع الذي لا يحتملها أن يكون قدراً معلوماً حتى لو وهب نصيبه من عبد ولم /ك: ٢٤٣/ يعلمه به لم يجز؛ لأنها جهالة توجب المنازعة كما في (البحر)^(٤٤) .

قلت: وفي (الفوائد التاجية) ^(٤٥): لو قال وهبت نصيبي لك من هذا العبد والموهوب له^(٤٦)

لا يعلم كم نصيبه^(٤٧) صح، وقيل لا يصح قياساً على البيع، ثم رقم لبعض المشايخ وقال لو وهب نصيبه من العبد أو الدار ولم يدر كم هو لم يجز^(٤٨) ويضمن إن قبض الجميع^(٤٩) .

والمراد بالشيوع المفسد هو الشيوع المقارن للعقد لا الطارئ كأن يرجع الواهب في بعض الهبة شائعاً فإنه لا يفسدها أما الاستحقاق فيفسد الكل؛ لأنه مقارن لا طارئ كما في (البحر) (وجامع الفصولين)^(٥٠) (والعمادية)^(٥١) وغيرها من الكتب المعتمدة^(٥٢) . وقد جعل^(٥٣) صدر الشريعة^(٥٤) الاستحقاق من قبيل الشيوع الطارئ لا المقارن، وردّه من لا خسرو^(٥٥) في شرحه حيث قال بعد نقله عن (الكافي) ^(٥٦) أن الاستحقاق مبطلها^(٥٧) .

وقال صدر الشريعة : المفسد هو الشيوع المقارن لا الشيوع الطارئ، كما إذا وهب ثم رجع في البعض الشائع أو استحق الشائع، بخلاف الرهن فإن الشيوع الطارئ [مفسد، وفي الفصولين: أن الشيوع الطارئ]^(٥٨) لا يفسد الهبة بالاتفاق وهو أن يرجع في بعض

الهبة شائعاً أما الاستحقاق فيفسد الكل؛ لأنه مقارن للطارئ كذا ذكر شيخ الإسلام أبو بكر^(٥٩) في هبة المحيط^(٦٠).

أقول عد صورة الاستحقاق من أمثلة الشيوخ الطارئ غير صحيح، والصحيح ما في (الكافي) و(الفصولين)، فإن الاستحقاق إذا ظهر بالبينة كان مستنداً إلى ما قبل الهبة، فيكون مقارناً لها لا طارئاً عليها والله اعلم^(٦١).

الهبة الفاسدة تفيد الملك بالقبض وبه يفتى، كذا في (البزاية)^(٦٢) و(جامع الفصولين) و(الفصول العمادية)، وفي موضع آخر من (الفصول العمادية) قال: وهبة المشاع إذا فسدت لا تفيد الملك وإن قبض الجملة مروى ذلك عن أبي يوسف^(٦٣)، وهو الصحيح انتهى^(٦٤).

وفي الخلاصة^(٦٥): الهبة الفاسدة مضمونة^(٦٦) بالقبض أما لأنه يثبت للموهوب له بالقبض هو المختار انتهى^(٦٧).

يجوز هبة البناء دون العرصه إذا أذن له، أي: الموهوب له للواهب في نقضه كما في (شرح الغرر)^(٦٨)^(٦٩)، وفي (شرح النظم الوهباني)^(٧٠) لشيخ الإسلام عبد البر^(٧١) نقلاً عن (الذخيرة)^(٧٢) و(المنية)^(٧٣) و(التتمة)^(٧٤): أن هبة البناء بدون الأرض

جائزة^(٧٥)، واستدل في (التتمة) عما في كتاب الشفعة أن المشتري إذا قال اشتريت الأرض والبائع وهب البناء وقال الشفيع لا بل اشتريتها فالقول قول المشتري انتهى^(٧٦)، قال شيخ الإسلام المذكور: وعندي في الاستدلال به نظر؛ لأنه قد يدعي أن الصحة هنا إنما جاءت من قبل تقدم ملكه للأرض، وينبغي أن لا تصح هبة البناء بدون الأرض؛ لأن القبض شرط في الهبة وهذا بمنزلة المشاع، ألا تراهم قالوا هبة النخل بدون الأرض بمنزلة هبة المشاع، وقد صرحوا في كتاب الرهن بأن رهن البناء بدون الأرض وعكسه لا يصح؛ لأنه بمنزلة الشائع فتأمله انتهى^(٧٧).

قلت: كلام من لا خسر المتقدم شاهد عدل لما قال شيخ الإسلام لأنه شرط في صحة هبة البناء بدون عرصه إذن الواهب للموهوب له في نقضه وسوى /ك: ٢٤٤/ بينه وبين هبة الأرض والنخل دون الزرع كالتمر فدل بمفهومه على عدم صحة البناء بدون الأرض عند عدم الإذن المذكور.

وفي (الفصول العمادية): إذا وهب /ق: ١٧٩/ لبناً في ضرع أو صوفاً على ظهر غنم أو نخلاً أو زرعاً في الأرض أو تمرّاً في نخل أو أرضاً فيها نخل وزرع دونهما حيث لا يجوز ثم لو قطع أو حلب جاز؛ لأن امتناع الجواز للاتصال وذلك يمنع القبض كالشائع، فإذا زال ذلك الاتصال يجوز انتهى^(٧٨).

فإن قلت: قد صرحوا بأنه لو وهب ولداً في بطن لا يجوز الهبة بالتسليم بعد الولادة في الصحيح، قلت: قد فرقوا بينهما بأنه يمكن الوقوف على اللبن في الضرع بالحلب؛ لأنه في وسعه ولا يمكنه في الولد؛ لأنه ليس في وسعه فيكون بمنزلة تعليقه بالخطر والأول كالناجز والله اعلم.

لا يجوز هبة المريض ولا صدقته إلا إذا قبضت صارت من الثلث، وإذا مات الواهب قبل التسليم بطلت، فيجب أن يعلم أن هبة المريض عقد وليست بوصية وقد تبرع بالهبة فيلزم تبرعه بقدر ما جعل الشرع وهو الثلث، إذا كان التصرف عقد هبة يشترط سائر شرائط الهبة، ومن جملتها قبض الموهوب له قبل موت الواهب ولم يوجد فيطلب منه، كذا في (شرح النظم الوهباني) نقلاً عن (الذخيرة)^(٧٩).

فإن قلت: قد صرح في (الكنز)^(٨٠) بكون هبة المريض وصية^(٨١) فكيف قال في (الذخيرة) عقد وليست بوصية؟ قلت: المراد بقول (الكنز) تحريره في مرضه ومحاباته وهبته وصية أي حكم هذه التصرفات كحكم الوصية حتى تعتبر من الثلث ويزاحمه أصحاب الوصايا في الضرب لا حقيقة الوصية؛ لأن الوصية إيجاب بعد الموت وهذه التصرفات منجزة في الحال، هكذا قرره الإمام الزيلعي^(٨٢) - رحمه الله تعالى -^(٨٣) وبه يزول الإشكال والله اعلم.

سئل القاضي بديع الدين^(٨٤) عن اشترى لحماً مثلاً فوجده زائداً بثمن من فقال البائع له وهبتك، قال: لا يصح هبته، كذا في (الفوائد التاجية)، قلت لأنها هبة الشائع في محتمل القسمة والله اعلم.

باع متاعاً وقبض الثمن من المشتري ثم أبرأ البائع المشتري من الثمن بعد القبض يصح إبرأؤه ويرجع المشتري على البائع بما كان دفعه إليه من الثمن، وكذا لو أبرأ الدائن المديون بعد إيفاء الدين وقبضه صح ورجع المديون عليه كما مر.

والأصل فيه أن الديون تقضي بأمثالها لا بأعيانها، فإذا أبرأ مما في الذمة بقي ما قبضه لا في مقابلة شيء فيستحق المطالبة به ويلزم رده إذا طالبه به والله أعلم [كذا في شرح الوهبانية نقلاً عن النهاية والمبسوط^(٨٥) والله أعلم^(٨٦)]

قالت لزوجها وهبت مهري منك على أن لا تظلمني فقبل صحت الهبة، فلو ظلمها بعد ذلك فالهبة ماضية^(٨٧)، ونسبه إلى أبي بكر الاسكافي^(٨٨) وأبي قاسم الصفار^(٨٩)، وعلمه قاضي خان^(٩٠) بأنه تعليق للهبة بالقبول فإذا قبل تمت الهبة فلا يعود بعد ذلك، ونظر له بما إذا قال لامرأته أنت طالق على دخولك الدار فقبلت /ك: ٢٤٥/ وقع الطلاق وبه جزم الصدر الشهيد^(٩١) في العدة فيها وفي أجناسها، وابن مقاتل^(٩٢) قال مهرها عليه على حاله إن ظلمها ؛ لأنها لم ترض بالهبة إلا بهذا الشرط، وإذا فات الشرط فات الرضا، أما الطلاق فالرضا فيه ليس بشرط، واستدل بمسألة الحج الآتية ، قال والفتوى على هذا القول، انتهى، كذا (في شرح نظم ابن وهبان)^(٩٣) وتام تحرير هذا المقام يطلب من ثمة والله أعلم.

وهب نصيبه في الدار لشريكه أو من شيء يحتمل القسمة لا يجوز إجماعاً ، وفي (الزاهد العنتابي)^(٩٤): لو وهب النصف من شريكه من دار لم يجز ، وقيل يجوز، وهو المختار، كذا في (الفوائد التاجية)^(٩٥).

قلت : وفي (الفصول العمادية) قال: وأما هبة المشاع فيما لا يحتمل القسمة يجوز من الشريك ومن الأجنبي ، وفيما يحتملها فلا يجوز من الشريك ولا من الأجنبي انتهى^(٩٦).

وفي (الخانية)^(٩٧): وهب نصيبه مما يقسم كالدار والأرض والمكيل والموزون من غير شريك لا يجوز عند الكل ، وإن وهب من شريكه لا يجوز عندنا، وقال ابن أبي ليلى^(٩٨) -رَحِمَهُ اللهُ- يجوز انتهى^(٩٩).

وصرح بعدم صحة هبة المشاع فيما يقسم لشريكه ، قال مولانا صاحب البحر فيه: وفي شرح الزيلعي الكنز للإمام : وهب جزءاً شائعاً من شريكه لم يجز أيضاً ؛ لأن القبض الكامل لا يتصور فيه ، وهو علة لثبوت الملك، وتام تعليقه^(١٠٠) ينظر ثمة، وهكذا في عامة الكتب المعتمدة، وكان هو المذهب والله أعلم.

هبة المشغول لا يجوز إلا في مسألة ما إذا وهب الأب لولده الصغير ، كما في (الذخيرة) (١٠١).

قبول الصبي العاقل الهبة صحيح إلا إذا وهب له ما لا نفع به، ويلحقه مؤونة فإن قبوله باطل.

تمليك الدين ممن ليس عليه الدين باطل ، إلا إذا سلطه على قبضه ، ومنه : لو وهبت من ابنها ما على ابن لها/ق: ١٨٠ / فالمعتمد الصحة ؛ للتسليط ، وتتفرع على هذا الأصل لو قضى دين غيره على أن يكون له لم يجز، ولو كان وكيلاً بالبيع كما في (جامع الفصولين) (١٠٢) .

وليس منه إذا أقر الدائن أن الدين لفلان وأن اسمه عارية فيه فهو صحيح ؛ لكونه إخباراً لا تمليكاً، ويكون للمقر ولاية قبضه كما في (البرزانية)، كذا في (الفوائد الزينية) (١٠٣)(١٠٤).

قلت: وبه صرح في (الحاوي القدسي) (١٠٥) حيث قال : ولو قالت المرأة مهري الذي لي على زوجي فلان أن وگلتها بالقبض أو أدنت به أو سلطته عليه جاز فإن قالت الدين الذي على زوجي لعمر ولم تسلطه على القبض ولكن قالت وأسمي في كتاب الدين عارية صحيح ولو لم تقل هذا لم يصح، انتهى (١٠٦)(١٠٧).

ولو منعها أبواها وقال لو وهبت لي مهرک بعثتک إليهما فوهبت له بعض مهرها فبعثها أو لم يبعثها فالهبة باطلة ؛ لأنها كالمكرهة ، وهبة المكرهة باطلة، كذا في (المجتبى) (١٠٨)(١٠٩).

فأفاد تصور الإكراه من الزوج وإن منعها عن أبويها إكراه والله أعلم. وفي المجتبى أيضاً: ضرب امرأته حتى وهبت صداقها ولم يعوضها فالبراءة باطلة والله أعلم (١١٠).

وفيه : هبة الدين ممن عليه الدين لا تصح إلا بالقبول ، خلافاً لزفر (١١١) ، بخلاف الإبراء [(١١٢) ؛ لأن الهبة تمليك والإبراء إسقاط، وقيل على عكسه، والأول أصح انتهى (١١٣).

وفي (شرح النظم الوهباني) من كتاب الهبة ذكر ما يتعلق ما نحن بصدده ثم قال والحاصل أن هبة الدين ممن عليه الدين لا يتم إلا بالقبول والإبراء يتم من غير قبول ولكن للمديون حق الرد قبل موته إن شاء^(١١٤).

قلت: وقد قدم الشارح المذكور في كتاب الوكالة نقلاً عن (الذخيرة) و(الواقعات)^(١١٥) أن عامة المشايخ - رحمهم الله - تعالى على أن هبة الدين ممن عليه الدين وإبرأؤه يتم من غير قبول^(١١٦).

قلت: وفي (العمادية) إن المذكور في أكثر الكتب والشروح أن القبول ليس بشرط عندنا وهو الصحيح ثم ذكر عن الصغرى أنه يرتد بالرد، وهل يشترط لصحة الرد مجلس الإبراء، اختلف المشايخ - رحمهم الله تعالى -.

ولو قال أبرأتني مما لك علي فقالت أبرأتك فقال لا أقبل فهو بريء انتهى^(١١٧). وفي (الفوائد التاجية): رب الدين إذا وهب الدين من المديون فلم يقبل ولم يرد حتى افترقا فجاء بعد أيام ورد الصحيح أنه لا يرتد.

هذا الاختلاف بناءً على أن الرجحان في هبة الدين من المديون عما عليه الدين لظرف الإسقاط أم لظرف التملك؟ فمن قال للتمليك قال يقتصر الجواب على المجلس، ومن قال الإسقاط لا يقتصر والله اعلم.

اثنا عشر ينقطع به حق الرجوع إذا كان الموهوب له ذا رحم محرم منه أو كانت زوجته أو كان زوجها أو كان أجنبياً وعوضها، وقال خذ هذه عوض هبتك أو بدلا عنها أو جزاءً عنها أو مكافأة عنها أو في مقابلتها أو مات أحدهما أو خرج عن ملكه أو زاد فيها زيادة متصلة بأن كان عبداً صغيراً فكبر أو كان مهزولاً فسمن أو كانت أرضاً فبنى فيها أو كان ثوباً فخاطه أو صبغه صبغاً يزيد فيه أو غيره عن حاله بأن كان حنطة فطحنها أو دقيقاً فخبزه أو سويقاً فلته بسمن أو كان لبناً فاتخذة جبناً أو سمناً أو أقطاً أو كانت جارية فعلمها القرآن والكتابة والمشط.

تسعة أشياء لا ينقطع به حق الرجوع إذا زادت قيمته أو ولدت الموهوبة يرجع في الأم دون الولد أو أنثرت الشجرة يرجع في الشجر دون الثمر أو كان ثوباً فقطعه ولم يخطه أو كان داراً فانهدم شيء منها أو وهب لبني عمه أو في مرضه لورثته ثم مات

الواهب عقبه فلورثته الرجوع فيه أو وهب لأخيه أو لأجنبي عبدا يرجع في نصيب الأجنبي أو استحق العوض يرجع في الهبة أو استحققت الهبة يرجع في العوض كذا في (خزانة الفقه)^(١١٨) للفقيه أبي الليث - رحمه الله تعالى - (١١٩).

اقول ما ذكره الفقيه - رحمه الله - من أن الولادة لا تمنع الرجوع في الأم هو المشهور المنقول في عامة الشروح والفتاوى، وممن صرح بذلك مولانا صاحب البحر فيه، حيث قال وقيد بالمتصلة؛ لأن المنفصلة كالولد والأرث والعقد غير مانع عن الرجوع في الاصل والزيادة للموهوب له بخلاف الرد بالعيب حيث يمنع زيادة الولد /ك: ٢٤٧/ انتهى (١٢٠).

لكن رأيت بخط موثق به ما صورته: وفي (السراج الوهاج)^(١٢١): /ق: ١٨١/ ولو وهب له جارية فحبلت في يد الموهوب له فأراد الرجوع فيما قبل انفصال الولد لم يكن له ذلك؛ لأنها متصلة بزيادة لم تكن موهوبة؛ لأن الولد يحدث جزءاً جزءاً فلا يصل إلى الرجوع فيما وهب إلا بالرجوع فيما لم يهب كالزيادة المتصلة انتهى (١٢٢).

فعلى هذا يجب التفصيل بين كون الولد منفصلاً فلا يمنع أو متصلاً فيمنع كالزيادة المتصلة وهو ظاهر، قال في البحر ومراده ، -أي: صاحب الكنز - بقوله فالدال الزيادة المتصلة في العين الموجبة لزيادة القيمة^(١٢٣)، فدخل الجمال والخياطة والصبغ، وزيادة القيمة بالنقل من مكان إلى مكان وإسلام العبد وعفو ولي الجناية عنه وسماع الأصم وإبصار الأعمى والزيادة في العين فقط كطول الغلام، وفداء الموهوب له لو كان الموهوب جنى خطأً، وتعليم القرآن والكتابة أو الصنعة أو البناء والغرس إذا كان لا يوجب زيادة في الأرض كبناء تنور الخبز في غير محله وإن كان يوجب في قطعة منها امتنع فيها فقط .

وفي (الخانية) ما يخالف بعضه فانه ذكر أن الزيادة لو ذهبت كان للواهب أن يرجع في هبته ولو علمه القرآن أو الكتابة أو القراءة أو كانت اعجمية فعلمها الكلام أو شيئاً من الحروف لا يرجع الواهب في هبته لحدوث الزيادة في^{١٢٤} العين وذكر في المحيط الأولى بلا خلاف وتمام تحرير هذا المقام بلا مزيد عليه من الكلام يطلب من ثمة والله اعلم^(٥).

بعث إلى امرأته متاعاً وبعثت أيضاً ثم افترقا بعد الزفاف وادعى انه عارية وأراد الاسترداد وأرادت الاسترداد أيضاً يسترد كل ما أعطى؛ لأن المرأة زعمت أن الإعطاء كان عوضاً عن الهبة ولم تثبت الهبة فلا يثبت العوض انتهى من (البزازية)^(١٢٥). وفي (الخانية) ولو وهبت المرأة شيئاً لزوجها وادعت انه استكرهها في الهبة تسمع دعواها انتهى^(١٢٦).

قص الثوب يمنع وغسله لا.

ولو وهب كافراً فأسلم سقط، كذا في (المجتبي) وبه صرح في (الخانية) حيث قال: ولو وهب عبداً كافراً فأسلم عند الموهوب له لا يكون للواهب أن يرجع في الهبة؛ لأن الإسلام زيادة انتهى^(١٢٧).

وهب له شاة فضحى فله الرجوع عند أبي حنيفة^(١٢٨) ومحمد^(١٢٩) خلافاً لأبي يوسف^(١٣٠)، ثم إذا رجع عندهما جازت الأضحية وعلى هذا التمتع^(١٣١) والقران^(١٣٢) والنذر^(١٣٣)، كذا في (المجتبي)^(١٣٤).

دفع إلى أجنبية عيناً لإرادة الزنا، فإن قال دفعته إليك لأزني بك فله الطلب، وإن دفعها لإرادة الزنا وهي قائمة فله الاسترداد وإلا فلا^(١٣٥).

وهبت هذه الغرارة الحنطة وهذا الزق^(١٣٦) السمن لا تدخل الغرارة والزق في الهبة، وكذا على عكسه^(١٣٧)، مع^(١٣٨).

وهبت لزوجها جميع أملاكها لا يدخل المهر، كذا في (القنية)^(١٣٩)(^{١٤٠}).

رجل دفع إلى رجل ثوبين وقال أيهما شئت فهو لك والآخر لفلان، فإن بين الذي له قيل إن تفرقا جاز وإلا فلا.

رجل له على آخر ألف درهم نقد بيت المال وألف درهم فقال وهبت /ك: ٢٤٨/ احد المالين منك جاز وإليه البيان والى ورثته بعد وفاته.

إذا وهب للصغير شيئاً فعوضه الأب من مال الصغير شيئاً لم يصح وللواهب أن يرجع في الهبة، كذا في (السراجية)^(١٤١).

وفي (مجمع ابن الساعاتي)^(١٤٢) وأجاز (محمد) هبة الأب مال ابنه الصغير بشرط عوض مساو قيمته معنى، وقال لا يجوز^(١٤٣) انتهى.

أقول: يحتاج إلى الفرق على قولهما بين هذا وبين ما نقله مولانا صاحب البحر عن أوقاف الناضحي من قوله ولو وهب الواقف الأرض التي شرط الاستبدال به ولم يشترط عوضاً لم يجز وإن شرط عوضاً فهو كالبيع .

قال لذي رحم محرم خذ هذه الخمسة دنانير ورماها بين يديه فقبل أن يقبض اخذ قال لم يصح الهبة؛ لأنه ما تم القبض وبالتخلية لا يصير قابضاً كما في (الفوائد التاجية) قلت: ورأيت في بعض المعتمرات أن التخلية في الهبة قبض في المنقول والعقار فكذا في الرهن.

وعن أبي يوسف لا يصح في المنقول حتى يوجد النقل فليتأمل عند الفتوى والله اعلم.

وفي (الفوائد التاجية) سئل برهان الدين عمن مات مفلساً وعليه دين فتبرع إنسان بقضاء دينه هل يسقط دينه قال لا؛ لأن إسقاط الساقط لا يتصور؛ لأنه سقط الدين بموته مفلساً؛ لأن دينه^(١٤٤) لم يبق، ولا تبطل حق المطالبة في الآخرة انتهى والله اعلم.

□

هوامش البحث ومصادره:

- (١) هذا منوط به : أي معلق، ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهداية، ١٥٦/٢٠.
- (٢) (غور) الماء ذهب في الأرض وسفل فيه، ينظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة، ٦٦٥/٢.
- (٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط١ (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م)، ١١/٥.
- (٤) تمرتاش: - قرية من قرى خوارزم ينظر: معجم البلدان، للإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٧هـ)، دار صادر بيروت، ط٢ سنة ١٩٩٥م، ٤٦/٢، مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، للإمام عبد المؤمن بن عبد الحق، أبن شمائل القطعي البغدادي الحنبلي صفي الدين (ت ٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، ط١ سنة (١٤١٢هـ)، ٢٧٤/١.
- (٥) ينظر: خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر، للإمام محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد الحموي الأصل الدمشقي (ت ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩/٤، الاعلام، للإمام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥ (سنة ٢٠٠٢م)، ٢٣٩/٦، المعجم، للإمام عمر بن رضا بن محمد بن راجب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (١٤٠٨ هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦/١٠.
- (٦) الاعلام، للزركلي، ٢٣٩/٦.
- (٧) ينظر خلاصة الاثر، ١٩/٤، الاعلام، للزركلي، ٢٣٩/٦، معجم المؤلفين، ١٩٦/١٠.
- (٨) لم أقف له على ترجمة، ينظر: الاعلام، للزركلي، ٢٣٩/٦.
- (٩) ينظر: الاعلام، للزركلي، ٤٦/٣، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للإمام مصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، دار احياء التراث العربي سنة (١٩٤١م)، ١٥١٦/٢.
- (١٠) ينظر: معجم المؤلفين، ١٧٣/١٠، كشف الظنون، ١١٥٣/٢، هدية العارفين وأسماء المؤلفين وأثار المصنفين، للإمام اسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، ٢٤٧/٢.

(١١) ينظر: سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيس، الذهبي (ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣ سنة (١٤٠٠ هـ)، ١١١٢/٢٣.

(١٢) خلاصة الاثر، ٢٣٩/٢، معجم المؤلفين، ١١/٥.

(١٣) خلاصة الاثر، ٣١٥/٤، ولم يذكر صاحب الكتاب له على سنة وفاة.

(١٤) خلاصة الاثر، ٢٠/٤، ولم أعر لهم على ترجمة كاملة.

(١٥) المصدر نفسه.

(١٦) المصدر نفسه.

(١٧) المصدر نفسه.

(١٨) ينظر: كشف الظنون: ٥٠١/١، الأعلام: ٢٤٠/٦، معجم المطبوعات العربية والمغرب، للاستاذ يوسف بن اليان بن موسى سركريس (ت ١٣٥١هـ)، مطبعة سركريس بمصر سنة (١٣٤٦هـ)، ٦٤٢/٢، هدية العارفين، ٢٦٢/٢.

(١٩) ينظر في ترجمة الإمام التمرناشي -رحمه الله تعالى- : الأعلام للزركلي: ٢٣٩/٦، معجم المطبوعات، لسركيس: ٦٤١/١، كشف الظنون: ٥٠١/١، خلاصة الأثر: ١٨-٢٠، هدية العارفين: ٢٦٢/٢، إيضاح المكنون: ٣٦/١، معجم المؤلفين: ١٩٦-١٩٧.

(٢٠) معين المفتي على جواب المستفتي: الورقة ٢.

(٢١) المصدر نفسه.

(٢٢) كالزركلي في الأعلام: ٢٤٠/٦، وصاحب كشف الظنون: ١٧٤٦/٢، حيث ذكر أنه فرغ من تأليفه سنة ٩٨٥هـ.

(٢٣) ينظر: الآثار الخطية في المكتبة القادرية ببغداد للدكتور عماد عبد السلام رؤوف: ١٦٧/٢.

(٢٤) حاشية ابن عابدين: ٦١١/٥، وتكرر ذلك في: ٦١١/٦، و: ١٦٣/٨.

(٢٥) وهي اليوم مدينة بتركيا.

(٢٦) كشف الظنون: ١٧٤٦/٢.

(٢٧) ينظر: الآثار الخطية في المكتبة القادرية ببغداد: ١٦٧/٢.

(٢٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي) ت ٣٩٣هـ) تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، سنة ١٤٠٧هـ، ٣٣٥/١، معجم مقاييس اللغة للإمام احمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ، ١٤٦/٦، مختار الصحاح للإمام زين الدين أبو

عبد الله محمد بنابي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة النموذجية، بيروت، ط ٥. سنة ١٤٢٠هـ، ٢٤٦/١.

(٢٩) العاربه : من التعاور وهو التداول والتناوب مع الرد والاعاره مصدر عار والاسم منه العاربه. ينظر: الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية للإمام أيوب بن موسى الحسيني الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٦٥٢/١، تاج العروس، ١٦٣/١٣.

(٣٠) الإباحة : هي الإذن باتيان الفعل كيف شاء الفعل . ينظر: التعريفات للإمام علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ سنة ١٤٠٣هـ، ٨/١، معجم لغة الفقهاء للأستاذ محمد رواس والأستاذ حامد صادق، دار النفائس، ط ٢، سنة ١٤٠٨هـ، ٣٧/١.

(٣١) الاجاره : عبارة عن العقد على المنافع بعوض، وهو مال. ينظر: التعريفات، ١٠/١، التوقيف على مهمات التعاريف للإمام زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحداد (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ط ١، سنة ١٤١٠هـ، ٣٨/١.

(٣٢) البحر الرائق شرح كنز الدقائق للإمام زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري (ت ٩٧٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي، ط ٢، ٢٨٤/٧.

(٣٣) الاختيار لتعليل المختار، للإمام عبد الله بن مودود الموصللي البلادي مجد الدين ابو الفضل الحنفي (ت ٦٨٢هـ)، ينظر : أسماء الكتب للإمام عبد اللطيف بن محمد بن مصطفى الحنفي (ت ١٠٧٨هـ) تحقيق د. محمد التونجي، دار الفكر، ط ٣، سنة ١٤٠٣هـ، ٢٦/١، الدليل إلى المتون العلمية للأستاذ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، دار الصميعي، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ١٤٢٠هـ، ٣٦٠/١.

(٣٤) الاختيار لتعليل المختار للإمام عبد الله بن مودود الموصللي الحنفي (ت ٦٨٢هـ) مطبعة الحلبي، القاهرة، سنة ١٣٥٦هـ، ٤٨/٣.

(٣٥) البحر الرائق شرح كنز الدقائق للإمام زين العابدين بن إبراهيم بن محمد بن نجيم المصري الحنفي (ت ٩٧٠هـ)، ينظر : معجم المطبوعات العربية، ٣٦٥/١، هدية العارفين، ٣٧٨/١، الدليل إلى المتون العربية، ٣٦٧/١.

(٣٦) المنتقى للإمام الحاكم الشهيد ابو الفضل محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله المروزي (ت ٣٣٤هـ)، ينظر كشف الظنون، ١٨٥١/٢. لم اعثر عليه

(٣٧) البحر الرائق، ٢٨٤/٧.

(٣٨) خلاصة الفتاوى، للإمام طاهر بن أحمد بن عبد الله الرشيد البخاري (ت ٥٤٢هـ)، ينظر كشف الظنون عن أسماء الكتب و الفنون، للإمام مصطفى بن عبد الله المشهور بحاجي خليفة ت ١٠٦٧هـ، مكتبة المثنى - بغداد، سنة ١٩٤١م، ١/٧٨١. لم اعثر عليه

(٣٩) البحر الرائق ٢٨٤١٧، رد المحتار على الدر المختار للإمام ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي الحنفي (ت ١٢٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ٢ سنة ١٤١٢هـ، ٦٨٨١٥.

(٤٠) وهو الإمام محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتردي، من أئمة علماء الكلام، نسبته إلى ما تريد، (محلة بسمر قند)، شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة (رحمة الله)، (ت ٣٣٣هـ)، ينظر الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية، للإمام عبد القادر بن محمد بن نصر الله، القرشي، الحنفي (ت ٧٧٥هـ)، الناشر مير محمد، كتب خانة، كراشي، ١٣٠١٢، الأعلام للزركلي، ١٩١٧.

(٤١) النهاية في الفروع، للشيخ محمد بن عمر المعروف بمنلا عرب الواعض الحنفي (ت ٩٣٨هـ) ينظر كشف الظنون، ١٩٨٩/٢، لم اعثر عليه.

(٤٢) البحر الرائق ٢٨٤١٧، مجمع الانهر في شرح ملتقى الابحر، للإمام عبد الرحمن بن سليمان المدعو بشيخي زاده (ت ١٠٧٨هـ) دار أحياء التراث العربي، ٣٥٣١٢، رد المحتار، ٦٨٧١٥.

(٤٣) في ك : (فيشترط).

(٤٤) البحر الرائق ٢٨٦١٧.

(٤٥) لم اعثر على الكتاب ولا على ترجمته

(٤٦) في ك : (به).

(٤٧) في ق : (يصيبه).

(٤٨) (لم يجز) ساقطة من : ك .

(٤٩) البحر الرائق ٢٨٦١٧.

(٥٠) جامع الفصولين: للإمام بدر الدين محمود بن إسرائيل بن إسماعيل الشهير بأبن قاضي سماونه الحنفي (ت ٨٢٣هـ) وهو كتاب مشهور متداول في ايدي الحكام، والمفتين لكونه في المعاملات خاصة. ينظر: كشف الظنون ٥٦٦١١، معجم المطبوعات ٢١٠١١، هداية العارفين، ٤١٠١٢. لم اعثر عليه

(٥١) لم اعثر على الكتاب ولا على ترجمته

(٥٢) البحر الرائق ٢٨٦١٧.

(٥٣) في ك : (وجعل).

(٥٤) وهو الإمام عبيد الله بن مسعود بن أحمد المحبوبي الحنفي (ت ٧٤٧هـ)، ينظر الإعلام للزركلي، ١٩٧١٤.

(٥٥) منلا خسرو: وهو الإمام محمد بن فرامرز بن علي، المعروف بمنلا أو المولى خسرو : عالم بفقهاء الحنفية والأصول، رومي الأصل اسلم أبوه ونشأ وهو مسلم فتجر في علوم المعقول والمنقول وتولى التدريس في زمن السلطان محمد بن مراد بمدينة بروسة وولي القضاء في القسطنطينية وتوفي بها (ت ٨٨٥هـ) من كتبه درر الحكام في شرح غرر الأحكام، ومراقبة الوصول في علم الأصول. ينظر: الأعلام للزركلي ٣٢٨١٦.

(٥٦) الكافي في الفروع، للإمام محمد بن أحمد بن عبد المجيد بن إسماعيل المروزي من أكابر فقهاء الحنفية (ت ٣٣٤هـ) ينظر هدية العارفين، ٣٧١٢. لم اعثر على الكتاب مخطوطا أو مطبوعا (٥٧) البحر الرائق ٢٣٩١٧.

(٥٨) ما بين المعكوفين ساقط من : ك .

(٥٩) وهو الإمام أحمد بن علي الرازي، ابوبكر الجصاص، فاضل من أهل الرأي، سكن بغداد، ونهته إليه رئاسة الحنفية (ت ٣٧٠هـ)، ينظر سير أعلام النبلاء، ٣٤٤١١٢، الأعلام للزركلي، ١٧١١١. (٦٠) درر الحكام بشرح غرر الأحكام، للإمام محمد بن فرامرز بن علي الشهير بمنلا خسرو (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتب العربية، ٢١٩١٢، البحر الرائق، ٢٣٩١٧.

(٦١) المصدر نفسه

(٦٢) البزازیة في الفتاوى، للشيخ محمد بن محمد بن شهاب المعروف بابن البزازی الحنفي (ت ٨٢٧هـ)، ينظر كشف الظنون، ٢٤٢١١، هدية العارفين، ١٨٥١٢. لم اعثر عليه.

(٦٣) يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، صاحب الإمام أبو حنيفة وتلميذه وأول من نشر مذهبه ولد في الكوفة سنة (١١٣هـ) وتفقّه بالحديث والرواية وولي القضاء ببغداد، (ت ١٨٢هـ) ينظر: الطبقات الكبرى للإمام أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العربية، بيروت، ط ١، سنة ١٤١٠هـ، ٢٣٨١٧، الأعلام للزركلي، ١٩٣١٨.

(٦٤) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، ٣٥٦١٢.

(٦٥) في ق : (الخانية).

(٦٦) في ك : (يضمن به).

(٦٧) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الابحر، ٣٥٦١٢.

(٦٨) درر الحكام شرح غرر الأحكام للإمام محمد بن فرامرز بن علي، المعروف بمنلا أو المولى خسرو : عالم بفقهاء الحنفية (ت ٨٨٥هـ)، ينظر هدية العارفين، ٢١١١٢.

(٦٩) درر الحكام شرح غرر الأحكام، ٢٢١١٢.

- (٧٠) تفصيل عقد الفرائد، بتكميل قيد الشرائد، شرح منظومة ابن وهبان في الفروع، للإمام عبد البر بن محمد بن محمد بن محمود ابن الشحنة، أبو البركات الحلبي الحنفي (ت ٩٢١هـ)، ينظر، كشف الظنون، ١٨٦٥/٢، هدية العارفين، ٤٩٨١. لم اعثر على الكتاب
- (٧١) الإمام عبد البر بن محمد بن محمد بن محمد، أبو البركات، سري الدين، المعروف بابن الشحنة، قاض، فقيه حنفي، له نظم و نثر، ولد بجلب، وتولى القضاء في حلب، وانتقل إلى القاهرة، وتولى القضاء فيها، وصار جليس السلطان الغوري وسميره (ت ٩٢١هـ)، ينظر الإعلام للزركلي، ٢٧٣/٣.
- (٧٢) ذخيرة الفتاوى: للإمام، برهان الدين محمود بن احمد بن عبد العزيز بن عمر بن مازة البخاري (ت ٦١٦هـ) ينظر كشف الظنون، ٨٢٣/١. ولم اعثر على الكتاب .
- (٧٣) منية المفتي في الفروع، للإمام يوسف بن أبي سعيد احمد السجستاني الفقيه الحنفي، نزيل سيواس، (ت ٦٣٨هـ)، ينظر هدية العارفين، ٥٥٤/٢. وهو مخطوط موجود في مكتبة هوتون، جامعة هارفارد، امريكا.
- (٧٤) لم اعثر له على ترجمه في كتب التراجم.
- (٧٥) منية المفتي في الفروع للإمام يوسف بن أبي سعيد احمد السجستاني الفقيه الحنفي نزيل سيواس، (ت ٦٣٨هـ)، ل ٢١٣، منظومة ابن وهبان في فروع الحنفية، للإمام عبد الوهاب بن احمد بن وهبان دمشقي (ت ٧٦٨هـ)، وهبة قصيدة رائية، من البحر الطويل، تحتوي على اربعمئة بيت، الكتب الخانية الأزهرية، مصر، ل ١٤٤.
- (٧٦) مجمع الضمانات، للإمام أبو محمد غانم بن محمد البغدادي الحنفي، (ت ١٠٣٠هـ)، دار الكتاب الا سلامي، ٣٣٦/١.
- (٧٧) الاختيار لتعليل المختار، ٥٠١/٣، مجمع الانهر في شرح ملتقى الابحر، ٣٦٤/٢.
- (٧٨) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ٢٨٧/٧، مجمع الضمانات، ٣٣٦/١.
- (٧٩) ينظر المحيط البرهاني في فقه النعماني، للإمام أبو المعالي، برهان الدين محمود بن عبد العزيز بن عمر الحنفي، (ت ٦١٦هـ)، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ١٤٢٤هـ، ٢٥٩/٦.
- (٨٠) كنز الدقائق في فروع الحنفية، للشيخ الإمام، أبي البركات: عبد الله بن احمد، المعروف: بحافظ الدين النسفي، (ت ٧١٠هـ)، ينظر كشف الظنون، ١٥١٦/٢.
- (٨١) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، للإمام عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي، (ت ٧٤٣هـ)، مطبعة بولاق، القاهرة، ط ١، ١٣١٣هـ، ١٩٦/٦، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ٤٩٠/٨.

(٨٢) عثمان بن علي بن محجن، فخر الدين الزيلعي، فقيه حنفي، قدم القاهرة سنة (٧٠٥ هـ)، ودرس فيها توفي في رمضان سنة (٧٤٣ هـ)، ينظر الجواهر المضيئة، ١١ ٣٤٥، الإعلام للزركلي، ٢١٠١٤.

(٨٣) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ١٩٦١٦.

(٨٤) احمد بن أبي بكر بن عبد الوهاب، القزويني، ابو عبد الله، بديع الدين، كان مقيما بسيواس سنة (٦٢٠ هـ)، ينظر الجواهر المضيئة، ٥٦١١، ولم تذكر له كتب التراجم على وفات.

(٨٥) المبسوط، للإمام محمد بن احمد بن أبي سهل، شمس الأئمة السرخسي، (ت ٤٨٣ هـ)، ينظر هدية العارفين، ٧٦١٢.

(٨٦) ما بين المعكوفين ساقط من : ق .

(٨٧) المبسوط، ٤١١١١.

(٨٨) وهو محمد بن احمد، ابو بكر الاسكافي، البلخي، اماما كبيرا في المذهب (ت ٣٣٦ هـ)، ينظر، الجواهر المضيئة، ٢٣٩١٢.

(٨٩) وهو احمد بن عصمة، ابو القاسم الصفار، الملقب (حم)، الفقيه المحدث، (ت ٣٢٦ هـ)، ينظر الجواهر المضيئة، ٧٨١١.

(٩٠) وهو الحسن بن منصور بن أبي القاسم محمود بن عبد العزيز الاوزجندي الفرغاني الإمام الكبير (ت ٥٩٢ هـ)، ينظر: الجواهر المضيئة ٣٨٣١٢.

(٩١) وهو عمر بن عبد العزيز بن مازة، حسام الدين، المعروف بالصدر الشهيد، من أكابر علماء الحنفية، قتل بسمرقند سنة (٥٣٦ هـ)، ودفن في بخارى، ينظر الجواهر المضيئة، ١٦٨١٢، الإعلام للزركلي، ٥١١٥.

(٩٢) وهو محمد بن مقاتل الرازي، قاضي الراي، من أصحاب محمد بن الحسن الشيباني، (ت ٢٤٨ هـ)، ينظر الجواهر المضيئة، ١٢ ١٣٤.

(٩٣) البحر الرائق شرح كنز الدقائق، ١٩٨١٦.

(٩٤) لم اعثر له على ترجمة في كتب التراجم، ولا على الكتاب.

(٩٥) المبسوط، ٦٦١١٢، تبيين الحقائق، ٩٣١٥.

(٩٦) المبسوط، ٦٦١١٢، تبيين الحقائق، ٩٣١٥.

(٩٧) الفتاوى الخانية، للإمام الحسن بن منصور بن ابي القاسم محمود بن عبد العزيز (ت ٥٩٢ هـ)، ينظر، الجواهر المضيئة، ٣٨٣١٢، لمحات في المكتبة و البحث والمصادر، للشيخ محمد عجاج بن محمد بن تميم بن صالح الخطيب، مؤسسة الرسالة، ط ٩، سنة ١٤٢٢ هـ، ٣٩٠١١. لم اعثر على الكتاب

(٩٨) ابو عيسى، عبد الرحمن بن ابي ليلي بن يسار وقيل داود بن بلال بن احيحة ابن الجلاح الانصاري (ت ٨٣هـ)، ينظر تاريخ بغداد للامام ابو بكر، احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار العرب الاسلامي- بيروت، ط ١، سنة ١٤٢٢هـ، ٥٥١١. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، للامام ابو العباس، شمس الدين بن احمد بن محمد بن ابراهيم خلكان الاربلي، (ت ٦٨١هـ)، تحقيق، احسان عباس، دار صادر- بيروت- ط ١ - ١٩٧١م، ١٢٦١٣.

(٩٩) ينظر لسان الحكام في معرفة الاحكام، للامام أحمد بن محمد بن محمد، لسان الدين، ابن الشحنة، الحلبي، (ت ٨٨٢هـ)، البابي الحلبي، القاهرة، ط ٢، سنة ١٩٧٣م، ٣٧٠١١.

(١٠٠) تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، ٩٤١٥.

(١٠١) رد المحتار على الدر المختار، ٦٩٠١٥-٦٩١.

(١٠٢) المصدر نفسه، ٧٠٨١٥.

(١٠٣) الفوائد الزينية الملتقطة من الفوائد الحسينية، للامام زين الدين بن ابراهيم بن محمد بن محمد بن ابي بكر الشهير بابن نجيم، (ت ٩٠٧هـ)، ينظر كشف الظنون، ١٢٩٧١٢، هدية العارفين، ٣٧٨١١. لم اعثر على الكتاب.

(١٠٤) رد المحتار، ٧٠٩١٥.

(١٠٥) الحاوي القدسي في الفروع، للقاضي جمال الدين، احمد بن محمد بن نوح القابسي، الغزي، الحنفي، (ت ٥٩٣هـ)، ينظر كشف الظنون، ٦٢٧١١، هدية العارفين، ٨٩١١. لم اعثر عليه.

(١٠٦) رد المحتار على الدر المختار، ٦٠٩١٥.

(١٠٧) في ق : (ولو انتهى).

(١٠٨) لم اعثر له على ترجمه.

(١٠٩) رد المحتار على الدر المختار، ٧٠٧١٥.

(١١٠) المصدر السابق.

(١١١) زفر بن الهذيل بن قيس بن سالم بن قيس بن مكمل بن ذهل بن ذويب بن عمر (ت ١٥٨هـ)، ينظر تاريخ اصبهان، للامام ابو نعيم، احمد بن عبد الله بن احمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الاصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق سيد كسرو حسن - ط ١ - سنة ١٤١٠هـ، ٣٧٣١١، وفيات الاعيان، ٣١٧١٢.

(١١٢) ما بين المعكوفين ساقط من : ك، ومقداره لوحة كاملة.

(١١٣) المحيط البرهاني، ٢٤٥١٦.

(١١٤) المبسوط، ٨٣١١٢.

- (١١٥) الوقعات في الفروع، للإمام احمد بن محمد بن عمر الناطفي الطبري الحنفي (ت٤٤٦هـ)، ينظر هدية العارفين، ٧٦١.
- (١١٦) المحيط البرهاني، ٢٤٥١٦.
- (١١٧) قرة عين الأخيار لتكملة رد المحتار على الدر المختار، للإمام، علاء الدين، محمد بن محمد بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي (ت١٣٠٦هـ)، دار الفكر، بيروت- لبنان-، ٣٢٧٨.
- (١١٨) خزانة الفقه، للإمام أبي الليث، نصر بن محمد، الفقيه، السمرقندي، الحنفي، (ت٣٨٣هـ)، ينظر، كشف الظنون، ٧٠٣١.
- (١١٩) مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر، ٣٦٠١٢.
- (١٢٠) ينظر، البحر الرائق، ٢٩١١٧.
- (١٢١) السراج الوهاج الموضح لكل طالب محتاج، للإمام أبو بكر بن علي، المعروف بالحداد، (ت٨٠٠هـ)، ينظر كشف الظنون، ١٦٣١٢.
- (١٢٢) البحر الرائق، ٢٩١١٧.
- (١٢٣) المصدر نفسه. .
- (١٢٤) درر الحكام شرح غرر الأحكام، ٢٢٤١٢، البحر الرائق، ٢٩١١٧.
- (١٢٥) البحر الرائق، ٢٩٤١٧، مجمع الانهر، ٣٦٦١٢.
- (١٢٦) المبسوط، ٢٩٤١٢، البحر الرائق، ٢٩٤١٧.
- (١٢٧) تبين الحقائق، ٩٩١٥، مجمع الانهر، ٣٦١١٢.
- (١٢٨) أبو حنيفة النعمان بن ثابت، التيمي بالولاء، ابو حنيفة: إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، احد ألائمه الأربعة عند هل السنة، ولد في الكوفة سنة (٨٠هـ) وكان يبيع الخز ويطلب العلم في صباه، ثم انقطع لتدريس والإفتاء، ثم عرض عليه القضاء فمتنع إلى أن مات في السجن سنة (١٥٠هـ)، ينظر وفيات الأعيان، ٤٠٥١٥، الاعلام للزركلي، ٣٦١٨.
- (١٢٩) وهو أبو عبد الله، محمد بن الحسن الشيباني، مولى لبني شيبان، حضر مجلس أبي حنيفة سنتين ثم تفقه على يد أبي يوسف، وصنف الكتب الكثيره ونشر علم ابي حنيفة، توفي سنة (١٥٨هـ)، ينظر، فتح الباب في الكنى والألقاب، للإمام أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدى، ت (٣٩٥هـ) تحقيق أبو قتيبة نظر محمد الفارياي، مكتبت الكوثر، الرياض، السعودية، ط ١، سنة ١٤١٧هـ، طبقات الفقهاء، للإمام أبو إسحاق، إبراهيم بن علي الشيرازي، ت (٤٧٦هـ) تحقيق احسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ١٩٧٠م.
- (١٣٠) وهو يعقوب بن البراهيم بن حبيب الانصاري، الكوفي، صاحب ابي حنيفة، وتلميذة، واول من نشر مذهبه، كان فقيها علامة، من حفاظ الحديث، ولد في الكوفة، سنة (١١٣هـ) ولي القضاء

ببغداد، ايام المهدي والهادي والرشيد، ت(١٨٣هـ)، ينظر الاعلام للزركلي، ١٩٣٨، معجم المؤلفين، ٣٤٠١١٣.

(١٣١) التمتع في اللغة: ما يستمتع به الإنسان في كل حوائجه، أما في الاصطلاح: هم الجمع بين أفعال الحج والعمرة في أشهر الحج في سنة واحدة في احرامين بتقديم أفعال العمرة من غيره أن يلم باهله الماما صحيحا. ينظر، كتاب العين، للإمام، أبو عبد الرحمن، خليل بن احمد الفراهيدي، ت(١٧٠هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٨٣١٢، التعريفات، ٩١١١.

(١٣٢) القرآن في اللغة: بكسر القاف وهو الحبل الذي يتقلده البعير ويقاد به، أما في الاصطلاح: هو الجمع بين العمرة والحج بإحرام واحد في سفر واحد، ينظر، تهذيب اللغة، للإمام أبو منصور، محمد بن احمد بن الازهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، سنة ٢٠٠١م، ٨٨١٩، التعريفات، ٢٢٣١١.

(١٣٣) النذر في اللغة: هو ما نذره الإنسان فيجعله على نفسه نحبا واجبا، أما في الاصطلاح: إيجاب عن الفعل المباح على نفسه تعظيما لله تعالى. ينظر، العين، ١٨٠١٨، التعريفات، ٣٠٨١١.

(١٣٤) المبسوط، ٩٩١١٢، المحيط البرهاني، ٢٤٩١٦.

(١٣٥) القنية المنية لتتميم الغنية، للإمام مختار بن محمود بن محمد الأزهري، ت(٦٥٨هـ)، ص٢١٣.

(١٣٦) الرق: هو السقاء الذي يحمل فيه الخمر، ينظر الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للإمام أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت(٣٩٣هـ)، تحقيق احمد عبد الغفور عطا، ط٤، سنة ١٤٠٧هـ، ١٤٩١٤، لسان العرب، للإمام محمد بن مكرم بن علي بن منظور، ت(٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ، ١٤٣١٠.

(١٣٧) درر الحكام شرح اغرر الأحكام، ٢٢٠١٢.

(١٣٨) الرمز في ق: (ففي عمن).

(١٣٩) القنية، للإمام مختار بن محمود بن محمد الزاهدي، ت(٦٥٨هـ) ينظر، أسماء الكتب للإمام عبد الطيف بن محمد بن مصطفى الشهير ب(رياض زاده)، الحنفي، ت(١٠٧٨هـ)، تحقيق د. محمد التونجي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط٣، سنة ١٤٠٣هـ، ٣٣٤١١.

(١٤٠) القنية، للإمام مختار بن محمد الزاهدي، ت(٦٥٨هـ)، ص٢١٥.

(١٤١) مجمع الانهر، ٣٥٨١٣.

(١٤٢) مجمع البحرين وملتنقى النهرين في فروع الحنفية، للإمام، مظفر الدين، احمد بن علي بن ثعلب، المعروف: بابن الساعاتي، البغداد، الحنفي، ت(٦٩٤هـ)، كشف الظنون، ١٥٩٩٢.

(١٤٣) البحر الرائق، ٢٩٥١٧.

(١٤٤) في ك: (ذمته).

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ١. الآثار الخطية في المكتبة القادرية ببغداد للدكتور عماد عبد السلام رؤوف: ١٦٧/٢.
- ٢. الاختيار لتعليل المختار، للإمام عبد الله بن مودود الموصلي البلدحي مجد الدين ابو الفضل الحنفي (ت ٦٨٢هـ).
- ٣. أسماء الكتب للإمام عبد اللطيف بن محمد بن مصطفى الحنفي (ت ١٠٧٨هـ) تحقيق د. محمد التونجي، دار الفكر، ط ٣، سنة ١٤٠٣هـ.
- ٤. الاعلام، للإمام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥ (سنة ٢٠٠٢م).
- ٥. البحر الرائق شرح كنز الدقائق للإمام زين الدين بن إبراهيم بن محمد المعروف بابن نجيم المصري (ت ٩٧٠هـ)، دار الكتاب الإسلامي، ط ٤.
- ٦. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- ٧. تاريخ اصبهان، للإمام ابو نعيم، احمد بن عبد الله بن احمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الاصبهاني (ت ٤٣٠هـ)، تحقيق سيد كسرو حسن - ط ١ سنة ١٤١٠هـ.
- ٨. تاريخ بغداد للإمام ابو بكر، احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، دار العرب الاسلامي بيروت، ط ١، سنة ١٤٢٢هـ، ٤٥٥/١١.
- ٩. تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، للإمام عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي، (ت ٧٤٣هـ)، مطبعة بولاق، القاهرة، ط ١، ١٣١٣هـ.
- ١٠. التعريفات للإمام علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١ سنة ١٤٠٣هـ.
- ١١. تهذيب اللغة، للإمام أبو منصور، محمد بن احمد بن الازهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، سنة ٢٠٠١م.
- ١٢. التوقيف على مهمات التعاريف للإمام زين الدين محمد بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحداد (ت ١٠٣١هـ)، عالم الكتب ط ١، سنة ١٤١٠هـ.
- ١٣. الجواهر المضيئه في طبقات الحنفية، للإمام عبد القادر بن محمد بن نصر الله، القرشي، الحنفي (ت ٧٧٥هـ)، الناشر مير محمد، كتب خانة، كراشي.
- ١٤. حاشية ابن عابدين: ٦١١/٥، وتكرر ذلك في: ٦١١/٦، و: ١٦٣/٨.

١٥. خلاصة الاثر في أعيان القرن الحادي عشر، للإمام محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد الحموي الأصل الدمشقي (ت ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت.
١٦. درر الحكام بشرح غرر الأحكام، للإمام محمد بن فرامرز بن علي الشهير بمنلا خسرو (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتب العربية.
١٧. الدليل إلى المتون العلمية للأستاذ عبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، دار الصمعي، المملكة العربية السعودية، ط ١، سنة ١٤٢٠هـ.
١٨. رد المحتار على الدر المختار للإمام ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي الحنفي (ت ١٢٥٢هـ)، دار الفكر، بيروت، ط ٢ سنة ١٤١٢هـ.
١٩. سير أعلام النبلاء، للإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الارنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط ٣ سنة (١٤٠٠هـ).
٢٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للإمام أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ) تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، سنة ١٤٠٧هـ.
٢١. طبقات الفقهاء، للإمام أبو إسحاق، إبراهيم بن علي الشيرازي، ت (٤٧٦هـ) تحقيق احسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ١٩٧٠م.
٢٢. الطبقات الكبرى للإمام أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العربية، بيروت، ط ١، سنة ١٤١٠هـ.
٢٣. الطبقات الكبرى للإمام أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي المعروف بابن سعد (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العربية، بيروت، ط ١، سنة ١٤١٠هـ.
٢٤. العين، للإمام، أبو عبد الرحمن، خليل بن احمد الفراهيدي، ت (١٧٠هـ)، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
٢٥. فتح الباب في الكنى والألقاب، للإمام أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى العبدى، ت (٣٩٥هـ) تحقيق أبو قتيبه نظر محمد الفاريالي، مكتبت الكوثر، الرياض، السعودية، ط ١، سنة ١٤١٧هـ.
٢٦. قرعة عين الأخيار لتكملة رد المحتار على الدر المختار، للإمام، علاء الدين، محمد بن محمد بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي (ت ١٣٠٦هـ)، دار الفكر، بيروت لبنان.
٢٧. الفنية المنية لتتيم الغنية، للإمام مختار بن محمود بن محمد الأزهرى، ت (٦٥٨هـ).
٢٨. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للإمام مصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، دار احياء التراث العربي سنة (١٩٤١م).

٢٩. كنز الدقائق في فروع الحنفية، للشيخ الإمام، أبي البركات: عبد الله بن أحمد، المعروف: بحافظ الدين النسفي، (ت ٧١٠هـ).
٣٠. لسان الحكام في معرفة الاحكام، للإمام أحمد بن محمد بن محمد، لسان الدين، ابن الشحنة، الحلبي، (ت ٨٨٢هـ)، البابي الحلبي، القاهرة، ط ٢، سنة ١٩٧٣م.
٣١. لسان العرب، للإمام محمد بن مكرم بن علي بن منظور، ت (٧١١هـ) دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
٣٢. المبسوط، للإمام محمد بن أحمد بن أبي سهل، شمس الأئمة السرخسي، (ت ٤٨٣هـ).
٣٣. مجمع الانهر في شرح ملتقى الابر، للإمام عبد الرحمن بن سليمان المدعو بشيخي زاده (ت ١٠٧٨هـ) دار أحياء التراث العربي.
٣٤. مجمع البحرين وملتقى النهرين في فروع الحنفية، للإمام، مظفر الدين، أحمد بن علي بن ثعلب، المعروف: بابن الساعاتي، البغدادي، الحنفي، ت (٦٩٤هـ)، كشف الظنون.
٣٥. مجمع الضمانات، للإمام أبو محمد غانم بن محمد البغدادي الحنفي، (ت ١٠٣٠هـ)، دار الكتاب الاسلامي.
٣٦. المحيط البرهاني في فقه النعماني، للإمام أبو المعالي، برهان الدين محمود بن عبد العزيز بن عمر الحنفي، (ت ٦١٦هـ)، تحقيق عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، سنة ١٤٢٤هـ.
٣٧. مختار الصحاح للإمام زين الدين أبو عبد الله محمد بنابي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ) تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة النموذجية، بيروت، ط ٥. سنة ١٤٢٠هـ.
٣٨. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، للإمام عبد المؤمن بن عبد الحق، أبن شمائل القطعي البغدادي الحنبلي صفي الدين (ت ٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، ط ١ سنة (١٤١٢هـ) .
٣٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط ١ (١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م).
٤٠. المعجم، للإمام عمر بن رضا بن محمد بن راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (١٤٠٨ هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٤١. معجم البلدان، للإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٧هـ)، دار صادر بيروت، ط ٢ سنة ١٩٩٥م.
٤٢. معجم المطبوعات العربية والمغرب، للاستاذ يوسف بن اليان بن موسى سركيس (ت ١٣٥١هـ)، مطبعة سركيس بمصر سنة (١٣٤٦هـ)، ٦٤٢/٢، هدية العارفين، ٢٦٢/٢.

٤٣. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.
٤٤. معجم في المصطلحات والفروق اللغوية للإمام أيوب بن موسى الحسني الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٤٥. معجم لغة الفقهاء للأستاذ محمد رواس والأستاذ حامد صادق، دار النفائس، ط ٢، سنة ١٤٠٨هـ.
٤٦. معجم مقاييس اللغة للإمام أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت ٣٩٥هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، سنة ١٣٩٩هـ.
٤٧. منية المفتي في الفروع، للإمام يوسف بن أبي سعيد أحمد السجستاني الفقيه الحنفي، نزيل سيواس، (ت ٦٣٨هـ).
٤٨. هدية العارفين وأسماء المؤلفين وأثار المصنفين، للإمام اسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت ١٣٩٩هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٤٩. وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، للإمام أبو العباس، شمس الدين بن أحمد بن محمد بن إبراهيم خلكان الاربلي، (ت ٦٨١هـ)، تحقيق، احسان عباس، دار صادر بيروت ط ١ - ١٩٧١م.

إتحاف الأحبة بالجواب عن مسألة الضبّة محمد أبي هادي الجوهري الصغير (ت ١٢١٥هـ) دراسة وتحقيق

أ.م.د. عبد المنعم احمد حسين

الجامعة العراقية / كلية الآداب

الملخص

إن كثيراً من الرسائل الفقهية الصغيرة الحجم لم تتل عناية الباحثين مع ما فيها من فوائد جمة، لعدم إمكانية تقديمها لنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه، أو لصعوبة الوقوف على مثل هذه الرسائل التي تكون في الغالب ضمن مجاميع كثيرة يصعب التعرف على مؤلفيها أو على موضوعاتها.

ومن هذه الرسائل الصغيرة النافعة رسالة باسم (إتحاف الأحبة بالجواب عن مسألة الضبّة) للجوهري الصغير . رحمه الله تعالى ، ومع صغر الرسالة إلا أنها تضمنت معلومات نافعة، وجهداً محموداً في مناقشة أقوال فقهاء الشافعية في حكم الضبة، وفائدة هذه الرسالة هو إمكانية قياس غير الضبة عليها مما يكثر استخدامه اليوم من أدوات فضية أو ذهبية.

Abstract

There are many short letters which did not get the attention of researchers, though they embrace great benefits, because they cannot be M.A theses or PhD dissertations or for being difficult to deal with them where they are part of big collections where their authors or subjects cannot be identified.

And one of these beneficial shorts letters, is a letter titled "Impressing Lovers with the Answer of AL-Dhabah Issue" By Mohammad Abi Hadi AL-Jawhari AL-Sagheer – May Allah rest his soul in peace- Although the letter is so short, it included useful information and good efforts with reference to discussing the sayings of Shafii scholars in the AL-Dhabah Issue: "the one who drinks water in a silver or golden bowl" the benefit of letter is found where you can measure Non-Dhabah things where they are mostly used like silver or golden tools.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، والصلاة والسلام على الحبيب محمد، وعلى أصحابه الرُّكَّع السُّجَّد.
وبعد:

فإن كثيراً من الرسائل الفقهية الصغيرة الحجم لم تتل عناية الباحثين مع ما فيها من فوائد جمة، لعدم إمكانية تقديمها لنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه، أو لصعوبة الوقوف على مثل هذه الرسائل التي تكون في الغالب ضمن مجاميع كثيرة يصعب التعرف على مؤلفيها أو على موضوعاتها.

ومن هذه الرسائل الصغيرة النافعة رسالة باسم (إتحاف الأحبة بالجواب عن مسألة الضبة) للجوهري الصغير . رحمه الله تعالى .، ومع صغر الرسالة إلا أنها تضمنت معلومات نافعة، وجهداً محموداً في مناقشة أقوال فقهاء الشافعية في حكم الضبة، وفائدة هذه الرسالة هو إمكانية قياس غير الضبة عليها مما يكثر استخدامه اليوم من أدوات فضية أو ذهبية، فرغبت في تحقيقها لينتفع بها طلبة العلم من جهة، وللمساهمة في نشر تراثنا العربي من جهة أخرى.

وقد قسمت هذا البحث على مقدمة وقسمين:

القسم الأول: القسم الدراسي، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلف.

المبحث الثاني: التعريف بالرسالة ومنهجي في التحقيق.

القسم الثاني: النص المحقق.

ومع أن نسخة الرسالة نسخة فريدة، إلا أنها اتصفت بوضوح الخط، كما أنني تأكدت من ضبط الألفاظ بالرجوع إلى الكتب التي أشار إليها المؤلف . رحمه الله تعالى . في رسالته.
وفي الختام أسأل الله عَزَّ وَجَلَّ أن أكون قد وفقت في تقديم هذه الرسالة والتعريف بها، وأن يجعل جميع أعمالنا خالصة لوجه الله تعالى.

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

القسم الأول

القسم الدراسي

المبحث الأول

التعريف بالمؤلف

أولاً - اسمه ونسبه وكنيته ولقبه :

هو أبو هادي محمد بن أحمد بن حسن بن عبد الكريم الخالدي، الشهير بابن الجوهري، أو الجوهري الصغير^(١)، وهذا ما لا خلاف فيه بين من ترجم له. وقد ذكر المؤلف اسمه في خاتمة رسالته بقوله: "محمد أبي هادي الجوهري الصغير"^(٢).

الخالدي: لم توضح المصادر التي بين أيدينا هذه النسبة، وإن كان الشائع في الانتساب إلى الخالدي هو النسبة إلى الجد^(٣).

الجوهري: وكذا لم تذكر المصادر شيئاً عن هذه النسبة، وإن كان الغالب على الظن أنها نسبة إلى مهنة بيع الجواهر، ويرجح هذا أن أبا هادي . رحمه الله تعالى . كان من عائلة ثرية كما سيأتي هنا.

وعرف بالصغير؛ لأنه كان أصغر إخوته^(٤).

ثانياً - ولادته:

لا خلاف بين من ترجم له أنه ولد سنة (١١٥١هـ)^(٥).

ثالثاً - أسرته:

نشأ أبو هادي في بيت علم ودين.

فوالده: احمد بن حسن بن عبد الكريم بن محمد بن يوسف الخالدي، الشافعي، القاهري، الأزهري، الشهير بالجوهري. فقيه، متكلم. ولد بمصر سنة (١٠٩٩هـ)، وتوفي بالقاهرة في ٨ جمادى الأولى سنة (١١٨١هـ). له عدد من المؤلفات، منها حاشية على شرح الجوهرة لعبد السلام اللاقاني، وفيض الإله المتعال في إثبات كرامات الأولياء في الحياة وبعد الانتقال، وخالص النفع في بيان المطالب السبعة في علم الكلام، والمباحث

المرضية السنية في نزاهة الأنبياء عن كل ما ينقص مقاماتهم العلية الزكية ومنقذة العبيد عن ربة التقليد في التوحيد، وقد اشتغل بالتدريس في الأزهر حتى وفاته . رحمه الله تعالى (٦).

والجوهري أحد إخوة ثلاثة (٧)، وأخوه الأكبر: أحمد، تتلمذ الشيخ . رحمه الله تعالى . عليه (٨). والذي يبدو أن أخاه حمل اسم أبيه أحمد أيضاً، ولا تتوافر لدينا عن أخويه، ولعلهما لم يكونا من أصحاب العلم أو أنهما لم يبلغا فيه مرتبة مرموقة، كما لا تتوافر معلومات وافية عن أخيه أحمد.

وتزوج الجوهري الصغير ببنت الخواجا الكريمي، وسكن بدارها المجاور لبيت والده بالأزكية (٩).

رابعا - نشأته وحياته العلمية:

نشأ أبو هادي . رحمه الله تعالى . في حجر والده، وقرأ عليه وعلى أخيه الأكبر الشيخ أحمد، وعلى غيرهما من المشايخ، وحج مع والده في (١١٦٨هـ) وجاور معه، وتلقى العلم عن بعض شيوخ مكة أيضاً (١٠).

وعند عودته إلى بلاده، اتخذ له مكاناً خاصاً بمنزل والده يجلس فيه، وكان والده يرسل زواره أو طلابه إلى ولده ليتلقون العلوم عنه، أو يطلبون الدعاء منه، وكان والده يحدث زواره عن مزايا ولده وكراماته ومكاشفاته ومجاهداته وزهدياته، فازداد اعتقاد الناس فيه، وعاشر العلماء ومشايخه وقرنائه، وتوثقت العلاقة بينه وبينهم (١١).

ولما مات أخوه الكبير الشيخ أحمد، الذي تصدر للتدريس بعد والده في الأزهر، وفي المشهد الحسيني في رمضان، أجمع الناس على تقدم محمد محله؛ لكنه امتنع من ذلك، وواظب على طريقته في إملائه دروسه بالأشرفية (١٢).

في سنة (١١٨٧هـ) حج البيت الحرام وجاور بمكة المكرمة سنة، وعقد دروساً بالحرم وانتفع به الطلبة، ثم عاد إلى وطنه، واستمر على عادته في اعتزال الناس، ورد الهدايا، وصار الأمراء يترددون لزيارته، وربما احتجب عن ملاقاتهم، ولم يعهد عليه أنه دخل بيت أمير قط، أو أكل من طعام أحد قط، إلا بعض أشياخه المتقدمين، وكانت شفاعته لا ترد عند الأمراء والأعيان، وازدادت شهرته وطار صيته، ووفدت عليه الوفود

من الحجاز والغرب والهند والشام والروم، وقصدوا زيارته والتبرك به^(١٣).

وفي سنة (١١٩٩هـ) لما حصلت فتنة بين أمراء مصر، سافر بأهله وعياله للحج وقصد المجاورة، فجاور سنة، واشتغل بالتدريس هناك واقتنى كتباً نفيسة، ثم عاد إلى مصر، وظل على عادته في العزلة، بل بالغ في ذلك، واستمرت دروسه بالأشرفية، وأحياناً بزاويتهم بدري شمس الدولة، وأحياناً بمنزله بالأزبكية^(١٤).

ولما احتل فرنسا مصر، اختلت الأمور وشارك الناس في تلقي البلاء، وذهب ما كان له بأيدي التجار، فنهب بيته وكتبه التي جمعها، وتراكت عليه الهموم والأمراض، وحصل له اختلاط، ولم يزل حتى توفي^(١٥).

خامساً - صفاته ومكانته :

وصفه البيطار بقوله: " كان آية في الفهم والذكاء، والغوص والاقتماد على حل المشكلات، وأقرأ الكتب وألقى الدروس بالأشرفية، وأظهر التعفف والانجماع عن خلطة الناس، والذهاب والتردد إلى بيوت الأعيان، والتزهد عما بأيديهم، فأحبه الناس وصار له أتباع ومحبون، وساعده على ذلك الغنى والثروة وشهرة والده، وإقبال الناس عليه ومدحهم له وترغيبهم في زيادته "^(١٦).

وما تقدم في السطور السابقة يتبين لنا أن أبا هادي . رحمه الله تعالى . كان قوي الشخصية، لا يتردد إلى الحكام والأمراء، وعلى الرغم من إقبالهم عليه، إلا أنه كان لا يتردد من نصحهم ،وكما قال البيطار: " وكانت شفاعته لا ترد عند الأمراء والأعيان، مع الشكيمة والصدع بالأمر والمناصحة في وجوههم إذا أتوا إليه "^(١٧).

وقد بلغ أبو هادي . رحمه الله تعالى . منزلة سامية بين الناس يدل عليها الوفود التي تزوره من بلاد بعيدة للتبرك به.

وقد حكى كل من البيطار والجبرتي الحكاية الآتية التي تشير إلى قوة نفوذه بين الأمراء والعلماء :

"لما توفي الشيخ أحمد الدمنهوري (ت ١١٩٢هـ) وتولى مشيخة الأزهر الشيخ عبد الرحمن العريشي الحنفي (ت ١١٩٣هـ)، باتفاق الأمراء والمتصدرين من الفقهاء، وهاجت حفاظ الشافعية، ذهبوا إليه وطلبوه للمشيخة فأبى ذلك، ووعدهم بالقيام لنصرتهم

وتولية من يريده، فاجتمعوا ببيت الشيخ البكري (ت ١٢٢٣هـ)، واختاروا الشيخ أحمد العروسي (ت ١٢٠٨هـ) لذلك، وأرسلوا إلى الأمراء فلم يوافقوا على ذلك، فركب الجوهرى بصحبة الجمع إلى ضريح الإمام الشافعي، ولم يزل حتى نقض ما أبرمه العلماء والأمراء، ورد المشيخة إلى الشافعية، وتولى الشيخ أحمد العروسي، وتم له الأمر، ولما توفي الشيخ أحمد العروسي كان الجوهرى غائباً عن مصر في زيارة السيد أحمد البدوي، فأهمل الأمر حتى حضر وتولى الشيخ عبد الله الشرقاوي (ت ١٢٢٧هـ) بإشارته^(١٨).

ومع أن هذا النص يظهر عصبية مذهبية ممقوتة، لا تليق بمؤسسة علمية مثل الأزهر، وأن هذا قد أضر بالمسلمين وأضعفت مواقفهم، لذا لم يكن مستغرباً أن تحتل فرنسا مصر لولا هذا التشرذم.

سادساً - شيوخه :

تتلمذ الجوهرى الصغير فضلاً عن أبيه وأخيه على عدد من المشايخ، ففي مصر تتلمذ على الشيخ خليل المغربي (ت ١١٧٧هـ) الفقهى المالكي، والشيخ محمد الفرماوي (ت ١١٩٩هـ) النحوي، وأجازه الشيخ محمد الملوي (ت ١١٩٦هـ) بما في فهرسته^(١٩). وحضر دروس الشيخ عطية الأجهوري (ت ١٩٠هـ) في الأصول والفقه وغير ذلك، فلزمه وبه تخرج في الإلقاء، وحضر الشيخ علي الصعيدي (ت ١١٨٩هـ) والبراي (ت ١١٨٢هـ)، وتلقى عن الشيخ حسن الجبرتي الحنفي (ت ١١٨٨هـ) والد المؤرخ الجبرتي كثيراً من العلوم، ولزم التردد عليه والأخذ منه مع الجماعة ومنفرداً، وكان يحبه ويميل إليه ويقبل بكليته عليه^(٢٠).

وحج مع والده في (١١٦٨هـ) وجاور معه، فاجتمع بالشيخ السيد عبد الله الميرغني (ت ١١٩٣هـ) صاحب اللطائف^(٢١).

سابعاً - تلاميذه :

لا شك أن عدد من تتلمذ على الجوهرى الصغير عدد كبير؛ ولكن الذي حفظت لنا كتب التاريخ والتراجم بعض أسمائهم هما:

١ . المنزلوي: حسين بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن أحمد ابن أحمد المنزلوي الشافعي خطيب جامع المشهد الحسيني في مصر، المتوفى سنة (١٢١٢هـ).

تتلمذ على الجوهري الصغير. له عدد من المصنفات^(٢٢).

٢. الجزائري: علي بن عبد القادر بن عبد الرحمن بن علي بن علي ابن علي بن الأمين، وبه عرف، العلوي النسب، الأندلسي الأصل، الجزائري الدار، المالكي الشاذلي، المتوفى سنة (١٢٣٦هـ) بالجزائر، مفتي المالكية. تتلمذ على الجوهري الصغير^(٢٣).

ثامناً. مذهبه:

الجوهري الصغير شافعي المذهب، كما تقدم، وهو صوفي المشرب وكانت له "مزاييا وكرامات ومكاشفات ومجاهدات وزهديات، فازداد اعتقاد الناس فيه"^(٢٤)، وقد كانت تأتية الوفود من مختلف البقاع للتبرك به، ويشهد على هذا أيضاً مؤلفاته الآتية في التصوف.

تاسعاً. ثناء العلماء عليه:

أثنى عليه اثنان من معاصريه أولهما البيطار الذي قال عنه: "الإمام الألمي والذكي اللوذعي، من عجت طينته بماء المعارف وتآخت طبيعته مع العوارف، العمدة العلامة والنحرير الفهامة، فريد عصره ووحيد دهره"^(٢٥).

وقال: "كان من محاسن مصر والفريد في العصر، ذهنه وقاد ونظمه مستجاد، وكان رقيق الطبع لطيف الذات، مترفهاً في مأكله وملبسه"^(٢٦).

وقال عنه الجبرتي الذي كان والده شيخاً للجوهري الصغير: "الإمام الألمي والذكي اللوذعي من عجت طينته بماء المعارف، وتآخت طبيعته مع العوارف، العمدة العلامة والنحرير الفهامة فريد عصره ووحيد دهره"^(٢٧).

وبغض النظر عن ألفاظ التقويم التي كانت تطبع الأساليب الكتابية في تلك الحقبة، إلا أن ما ذكر عنه يؤيد مكانته العلمية والاجتماعية والدينية.

عاشراً. مؤلفاته:

بعد التقصي في كتب التراجم وفهارس المخطوطات أحصيت للمؤلف. رحمه الله تعالى. عدداً من الكتب بعضها مطبوع، وبعضها مخطوط، وبعضها مفقود كما بينت ذلك إزاء كل منها، وهي على العموم تفيد سعة إطلاعه، وتنوع معارفه، وبراعته في علوم عصره. وهذه المؤلفات هي:

١. إتحاف الأحبة بالجواب عن مسألة الضبّة، رسالة^(٢٨). وهي موضوع هذا التحقيق.
٢. إتحاف الآمال بجواب السؤال في الحمل والوضع لبعض الرجال، في الفقه^(٢٩)، مفقود.
٣. إتحاف الراغب إلى نهج الطالب لأشرف المطالب، في الفقه^(٣٠). مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٣١).
٤. إتحاف الرفاق ببيان أقسام الاشتقاق، في التصريف^(٣٢)، مخطوط في دار الكتب المصرية^(٣٣).
٥. إتحاف الطرف في بيان متعلق الظرف، في النحو^(٣٤). مفقود.
٦. إتحاف الكامل ببيان تعريف العامل، في النحو^(٣٥). مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٣٦).
٧. إتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف، في الفقه^(٣٧). مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٣٨).
٨. إتحاف أولي الألباب بشرح ما يتعلق بسي من الإعراب طبع بمصر سنة ١٢٧٨هـ، وهو من تعلقات علم النحو سي التي هي جزء لاسيما^(٣٩).
٩. آثار التنوير بشرح الحزب الكبير، رسالة في التصوف، مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٤٠).
١٠. أحوال النفس رسالة في التصوف، مخطوط في المتحف الآسيوي بسان بطرسبرج في روسيا^(٤١).
١١. الأربعون حديثاً في الحث على ترك الظلم. مخطوط في مكتبة الجامعة بيروت^(٤٢).
١٢. أركان الحج، رسالة في الفقه^(٤٣)، مفقودة.
١٣. امتثال الإشارة بشرح نتيجة البشارة، في البلاغة^(٤٤)، مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٤٥).
١٤. إهداء القرب للنبي عليه السلام رسالة في الفقه^(٤٦).

١٥. إيضاح المبهم من ضابط الربوي وقاعدة مد عجوة ودرهم . رسالة في الفقه^(٤٧) .
مخطوط في المكتبة المركزية بالمملكة العربية السعودية^(٤٨) .
١٦. تاريخ المدد للرسل . مخطوط في مكتبة المصغرات الفيلمية بقسم المخطوطات
بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة^(٤٩) .
١٧. التحفه البهية شرح نظم الأجرومية، في النحو، مخطوط في مكتبة مكة
المكرمة^(٥٠) .
١٨. تحقيق الفرق برسمه بين علم الجنس وبين اسمه، في على الوضع^(٥١) . مخطوط
في المكتبة الأزهرية بمصر^(٥٢) .
١٩. تعريف شكر المنعم رسالة في الرقائق^(٥٣) .
٢٠. تقرير الأزهرى على حاشية الحفنى على شرح السمرقندي على الرسالة العضدية،
في على الوضع . مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٥٤) .
٢١. التوجه إلى القبلة في السفينة، رسالة في الفقه، مخطوط في المكتبة الأزهرية
بمصر^(٥٥) .
٢٢. ثمرة غرس الاعتناء بتحقيق أسباب البناء، في علم الوضع^(٥٦) . مفقود.
٢٣. حاشية على شرح ابن قاسم العبادي إلى البيوع^(٥٧) ، مفقود.
٢٤. حلية ذوي الأفهام بتحقيق دلالة العام، في أصول الفقه^(٥٨) ، مخطوط في المكتبة
الأزهرية بمصر^(٥٩) .
٢٥. خلاصة البيان في كيفية ثبوت رمضان . رسالة في الفقه^(٦٠) ، مخطوط في
الخدوية بمصر^(٦١) .
٢٦. الدر النظم في تحقيق الكلام القديم، في العقيدة^(٦٢) . مخطوط في المكتبة الأزهرية
بمصر^(٦٣) .
٢٧. الروض الأزهر في شرح حديث من رأى منكم منكراً، رسالة في الرقائق^(٦٤) ،
مخطوط في خزانة تطوان بالمغرب^(٦٥) .
٢٨. الروض الوسيم في المفتى به من مذهب الشافعي القديم، في الفقه^(٦٦) . مخطوط
في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالسعودية^(٦٧) .

٢٩. زهر الأفهام في تحقيق الوضع وما له من الأقسام، في الوضع^(٦٨) مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٦٩).
٣٠. شرح الجزرية، في القراءات^(٧٠). مفقود.
٣١. شرح الجوهري الصغير على نظم الاجهوري في إعراب البسمله، مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٧١).
٣٢. شرح العقيدة الجزائرية. مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٧٢).
٣٣. شرح المعجم الوجيز لشيخه السيد عبد الله الميرغني، وقد اعتنى به وقرأه درساً^(٧٣). مفقود.
٣٤. لطائف التوحيد على متن منقذة العبيد، شرح فيه عقيدة والده، في كراريس أجاد فيه جداً^(٧٤). مخطوط في المكتبة المركزية بمكة المكرمة^(٧٥).
٣٥. فتح الرحمن في سهوله التوجه وإتمام الأركان، رسالة^(٧٦). مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٧٧).
٣٦. الفطرة السليمة في تحقيق دلالة القرآن على الصفة القديمة، مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٧٨).
٣٧. القنوت رسالة في الفقه. مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٧٩).
٣٨. القول الثابت في مقدار نصاب النابت، رسالة في الزكاة^(٨٠). مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٨١).
٣٩. القول الفاخر في تعلق علم الله بان نعيم الجنة ليس له آخر، في العقيدة، مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٨٢).
٤٠. القول المشفي لتحقيق تعريف الشكر العرفي، رسالة^(٨٣)، مخطوط في مكتبة الدولة بألمانيا^(٨٤).
٤١. القول المفيد على خلاصه التوحيد. مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٨٥).
٤٢. اللعة الألمعية في قول الشافعي بإسلام القدرية، في العقيدة^(٨٦). مفقود.
٤٣. منهج الطالبين في مختصر منهاج العابدين، في الفقه وزاد عليه فوائد^(٨٧).
٤٤. مرقى الوصول إلى معنى الأصولي والأصول^(٨٨). مخطوط في الظاهرية بمصر،

- وفي مكتبة برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية^(٨٩).
 ٤٥. مسألة الغصب، رسالة في الفقه^(٩٠). مفقودة.
 ٤٦. مسألة ذوي الأرحام رسالة في الفقه^(٩١). مفقودة.
 ٤٧. ملحة لطيفة ومنحة شريفة. رسالة في الفقه. مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٩٢).
 ٤٨. منثور المنثور في الساجور، أو الدر المنثور في الساجور^(٩٣). مخطوط في المكتبة الأزهرية بمصر^(٩٤).
 ٤٩. نظم الجواهر الإيمانية في شرح العقائد النسفية^(٩٥). مخطوط في دار الكتب المصرية^(٩٦).
 وله غير ذلك منظومات وضوابط وتحقيقات رحمه الله تعالى^(٩٧).

أحد عشر - وفاته:

توفي . رحمه الله تعالى . يوم الأحد حادي عشرين شهر ذي القعدة الحرام عام (١٢١٥هـ) بحارة برجوان، وصلي عليه بالأزهر في مشهد حافل، ودفن عند والده وأخيه بزاوية القادرية بدرب شمس الدولة^(٩٨).

المبحث الثاني

التعريف بالرسالة، ومنهجي في التحقيق

المطلب الأول

التعريف بالرسالة

الرسالة عبارة عن جواب سؤال سئل عنه الجوهري . رحمه الله تعالى .، وهي تتعلق بحكم اتخاذ الغطاء المصنوع من الفضة والذي تسد به آنية ماء الورد.
أولاً - اسم الرسالة:

صرح المؤلف باسم الرسالة بقوله: " وسميته بإتحاف الأحبة بالجواب عن مسألة الضبة "^(٩٩).

ثانياً - نسبة الرسالة:

ولا خلاف في نسبة هذه الرسالة إليه؛ ولكن ورد في فهرس خزنة التراث أن

مؤلفها مجهول مع أنه يمكن معرفة اسم مؤلفها من رقم المخطوط إذ جاء بلفظ (٢٥٥١) [جوهري ٤١٨٦١] (١٠٠).

ثالثاً. المنهج العام:

الرسالة مع إيجازها إلا أنها ركزت على مختلف أقوال فقهاء الشافعية في المسألة، وقد اعتمد المؤلف في جوابه على إيراد أقوال أبرز فقهاء الشافعية بدءاً من الإمام الرافعي في كتابه فتح العزيز في شرح الوجيز، ثم رجع إلى كتاب المهمات ونقل اعتراضات الإمام الإسنوي وردود الآخرين عليه.

وكان بعد إيراد الأقوال يذكر رأيه في المسائل المطروحة.

وقد اتصف نقله بالدقة البالغة.

رابعاً. بيانات المخطوطة:

١. عائدة المخطوطة: مخطوطات الأزهر.
 ٢. رقم المخطوط: ٣٢٨٠٣٠. [٢٥٥١] جوهري ٤١٨٦١.
 ٣. عدد الأسطر: ١٧ سطراً.
 ٤. عدد الأوراق: ٦.
 ٥. الحجم: ١١ × ٢١ سم.
 ٦. نوع الخط: نسخ.
 ٧. الملاحظات: النسخة واضحة.
- وللرسالة نسخة أخرى محفوظة الخزانة العامة/ الرباط (٣٤٥٦) (١٨٨٤د)/ ١٧ - (و ١١٥ اب - ١١٨ أ) (١٠١).

المطلب الثاني

منهجي في التحقيق

١. وثقت الأقوال التي استشهد بها.
٢. ترجمت للأعلام الواردة أسماؤهم في النص المحقق.
٣. وضحت النص بما يتطلبه الخط العربي من علامات التنقيط والرموز، وتقسيم الكلام على فقرات، وتقرعات.

٤. تأكدت من صحة النص بالرجوع إلى الكتب التي استشهد بها المؤلف.
٥. لأن الرسالة في الفقه، فقد اشتملت على بعض الاصطلاحات الفقهية الشائعة، لذلك لم أعرف بها لشيوعها واشتهارها.

القسم الثاني

النص المحقق



اللوحة الأولى

فيما مر لا يمكن وضع شيء فيه اذ ليس هو مطلق
الانتفاع الانتفاع كما هو ظاهر وما وقع في نسخ
الرشدي من لفظ عليه بدل فيه يجب اصلاحه
لانه حكاية لعبارة شرح وهو لا يقبل
والحاصل انه متى استعمل بوضع شيء عليه
حرم ذلك الاستعمال ومنه صلح لانه يستعمل
استعمال الانية وحده بان يوضع فيه شيء
فيكون كالانية عرفا ولو صغيرا حرم مطلقا
سواء فصل كغذاء الصندوف او انفصل
كالما لوف الآن هذا ولا يبعد ان يقال ان
ذلك الرأس بعض اجزاء المصلى بل كل
ذلك الاناء من خصوصية كثير والمختص
للزينة بشرطها غايتها انه لم يسمو في
البعض الاخر لصلحته ملء الاناء به
الا ترى انه لو سمي كان من الصنعة لا محالة
وعلى هذا فتفصيل الرمي المأثور في الرأس
الذي ليس جزءا من صنعة لا مطلقا وهذا
وجيب

وجيب جذا الوجد نقل بعينه غير ان
اطلاقهم وعدم تعييدهم الصنعة بكونها
جزءا واحدا يشعر به فليتنا مل بانصاف
انتهى ونقلت من خط مولعها

حفظه الله تعالى وكتب

تحتها الكاتبة الفقيرة

الحفيرة محمد ابى

هادي الجوري

الصنيرة

عنايته

سولة

ادبه

ام

اللوحة الأخيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فقد سألتني بعض الأصحاب . ضاعف الله لي وله الأجر والثواب . عن حكم ما يوضع على قمقم^(١٠٢) ماء الورد من الفضة، فأجبت به بجواز ذلك سائلاً عون القادر المالك . وسمّيته بـ(إتحاف الأحبة بالجواب عن مسألة الضبّة).

فقلت: عبارة الرافعي^(١٠٣) في الشرح الكبير^(١٠٤) عند ذكر المضرب^(١٠٥) حيث قال: وههنا مباحثات... إلى أن قال: الخامسة قدر الضبّة المجوزة لو اتخذ منها إناء صغير، كالمكحلة، وظرف الغالية^(١٠٦)، هل يجوز ؟

حكى فيه وجهان للشيخ أبي محمد^(١٠٧): أحدهما . نعم، كما لو ضرب به غيره، والأظهر: لا؛ لأنّهي يقع عليه اسم الآنية، فيندرج تحت النهي، وخصصوا هذا التردد بالفضة، وقياس ما سبق التسوية بين الذهب والفضة [ب٢].

وذكر في التهذيب^(١٠٨): أنه لو اتخذ للإناء حلقة من فضة، أو سلسلة، أو رأساً يجوز؛ لأنه منفصل عن الإناء لا يستعمله. ولك أن تقول: لا نسلم أنه لا يستعمله، بل هو مستعمل بحسبه تبعاً للإناء، ثم هب أنه لا يستعمل؛ لكن في اتخاذ الأواني من غير استعمال خلاف سبق، فليكن هذا على الخلاف أيضاً. ويجوز أن يوجّه التجويز بالمضرب، أو تجعل هذه الأشياء كلها كالظروف الصغيرة، كما سبق، والله أعلم^(١٠٩). انتهى منه بالحرف.

وقال في المهمات^(١١٠) بعد سوق معنى عبارته، ما نصّه: واعلم أن الحلقة والسلسلة لا وقفة في جوارها، وقد سبقنا في كلام الرافعي في أثناء الاستدلال على المضرب، وأما الرأس؛ فإن جماعة قد وافقوا صاحب التهذيب على الجواز فيه، وعلّوه بأنه منفصل عن الإناء لا يستعمله، كذا ذكره في شرح المذهب^(١١١). ثم قال: وينبغي [أ٣] إلحاقه بالمضرب في التفصيل والخلاف. وقال في الروضة^(١١٢): قد وافق البغوي جماعة، ولا يعرف فيه خلاف. قلت: وقد ظهر من تعليلهم الرأس بالانفصال أنه شيء مستقبل

يغطي الإناء، ويزيده إيضاحاً كلام الخوارزمي^(١١٣) في الكافي؛ فإنه قال: لو اتخذ الموزة رأساً من فضة، فيجوز؛ لأنه منفصل عنه لا يستعمله وقت الشرب، فعلى قياسه لو كان الذي يوضع فيه الكوز^(١١٤) من فضة يحتمل أن يجوز^(١١٥). هذه عبارته.

وعلى هذا، فضايط الاستعمال المحرم أن يتعلق ببدنه، كأكل منه، أو شرب، أو نحوها، وذلك مفقود في غطاء الكوز، وفيما يجعل فيه، وهكذا الحرير أيضاً إنما يحرم منه ما يتعلق ببدنه كالجلوس عليه، والجلوس تحته لوقاية الحر والبرد، وستره عن الناس، ويصير هذا نظير ما قالوه^(١١٦) في الأعيان النجسة [٣ب] كجلود الميتة: إنه يحرم استعمالها فيما يتعلق ببدنه دون غيره، حتى يحرم الامتشاط بمشط العاج، وليس الجلد النجس دون جعل الأشياء فيه. ووقع في مشط العاج كلامٌ مهمٌ، تعرفه قبيل صلاة العيد^(١١٧)، وحينئذٍ، فيكون غطاء العمامة، وكيس الدراهم، ونحو ذلك أولى بالجواز من غطاء الكوز، وما يوضع فيه. انتهى مهمات بالحرف للعلامة الإسنوي . رحمه الله تعالى^(١١٨).

وفي معقبات ابن العماد على المهمات^(١١٩) ما محله: إن رأس الكوز له صور، منها: أن ينكسر الذي يلاقي فم الشارب، فيتخذ من فضة، وهذه تجوز ولو مع الكبر؛ لأنها للحاجة.

الثانية . أن يتخذ الكوز من فخار أو خشب، ويتخذ له رأساً من فضة، ويسمى حلقة الكوز.

وفي كلام العبادي^(١٢٠) ما يدلّ على أن المراد برأس الكوز هذه الصورة، وما قبلها^(١٢١).

الثالثة . أن يتخذ [٤أ] للإناء غطاءً، ويصله بسلسلة أو مسمار كغطاء المبخرة، وهذه كالبضبة الكبيرة للحاجة؛ لأن تغطية الإناء مستحبة.

الرابعة . أن يتخذ له غطاءً منفصلاً عنه بحيث لا يصلح للاستعمال على حدته، كالمخذ على صورة الدينار الكبير، فهذه لا توقّف في جوازه؛ لأنه سبيكة الذهب التي يُغطى بها الكوز.

الخامسة . أن يتخذ على هيئة يمكن استعماله وحده، كالمخذ على هيئة الطبق

الصغير، فهذا لا يجوز استعماله ولا اتخاذه.

إذا علمت ذلك، فالمراد برأس الكوز في كلام البغوي^(١٢٢)، وغيره^(١٢٣) هو المسمر فيه على هيئة غطاء الصندوق، وكالمتخذ لحق^(١٢٤) الأشنان^(١٢٥).

وأما المنفصل، فيسمى غطاءً، ولا يسمى رأساً، فقد تبين أن الإسنوي فهم رأس الكوز على غير وجهه، وأنه جعل الاستعمال المحرم ما يتعلق بالبدن، وهذا لا يجري إلا على القول بإباحة [٤ب] الاتخاذ، وأنه أطلق في حرمة الامتشاط بمشط العاج، وليس كذلك، وإنما يحرم إذا كان هناك رطوبة.

وأنه أطلق في جواز جعل الأشياء في الجلد النجس، ومحلّه عند الجفاف، وأنه جَوَّزَ غطاء العمامة، وكيس الدراهم، وهو من الأغاليط الفاحشة؛ لأن كلّ ما ينسب إلى الإنسان له حكم ما يلبس، كما صرّح به الأصحاب^(١٢٦).

فتبين خطأ ما ذكر من خمسة أوجه. انتهى مع بعض اختصار^(١٢٧).

وعبارة ابن حجر^(١٢٨) في التحفة: وتجوزهم الاستنجاء بالنقد، محله في قطعة لم تهيأ؛ لأنها حينئذ لا تعدّ إناءً، ولم تطبع؛ لأنه لا احترام لها، واتخاذ الرأس من النقد للإناء محله أيضاً إن لم يسمّ إناءً بأن كان صفيحة لا تصلح عرفاً لشيء مما تصلح له الآنية، ومع ذلك يحرم، نحو وضع شيء عليه للأكل منه مثلاً، كما هو ظاهر؛ لأنه استعمال له، فهو إناء بالنسبة إليه، وإن لم يسمّ إناءً على الإطلاق، نظير الخلال^(١٢٩) [٥أ] والمرود^(١٣٠).

والأوجه. كما قال بعضهم. أن المدار على إمكان الانتقاع به وحده وعدمه، لا بسمره فيه وعدمه، أو سلسلة منها، فكذا، فإن كان لمحض الزينة اشترط صغرهما عرفاً، كالضبة فيما يظهر^(١٣١).

وألحق صاحب الكافي^(١٣٢) في احتمال له طبق الكيزان^(١٣٣) بغطاء الكوز، والمراد منه صحيفة فيها ثقب الكيزان، وفي إباحته بُعد؛ فإن فرض عدم تسميته إناءً، وكانت الحرمة منوطة بها، فلا بُعد فيه حينئذ بالنسبة لاتخاذها واقتنائها، أما وضع الكيزان عليه، فاستعمال له، والمتجه الحرمة نظير ما مرّ في وضع الشيء على الإناء. انتهى المراد منه مع بعض اختصار^(١٣٤).

وكتب عليه العلامة الرشيدي^(١٣٥) ما نصّه: قوله: والأوجه كما قال بعضهم أن المدار على إمكان الانتفاع به، أي: المذكور في قوله: فيما مرّ، لا يمكن وضع شيء فيه [هـ]. وحاصله: إن المراد بإمكان ذلك فيه بالنقل إليه في حد ذاته، وإن منع منه نحو تسمير، هكذا ظهر، فليتأمل^(١٣٦). انتهى.

ولا يخفى أن الذي تكاد تصرّح به هذه النصوص لاسيما عبارة الشيخين، أعني: ابن حجر، و (م ر) ^(١٣٧) في شرحيهما أن حلق القمقم المتصل به من قبيل الضبّة لا محالة؛ لأنه صلاح خلله من صبّ بكثرة ونحوه، وأن غطاءه إن لم يصلح للانتفاع به وحده انتفاع الآنية بأن يوضع فيه شيء لم يحرم، إلا إن وضع عليه شيء فيحرم ذلك الوضع؛ لأنه آنية بالنسبة إلى ذلك الشيء؛ وإن لم يكن آنية على الإطلاق^(١٣٨).

وقول (م ر) أن المدار على إمكان الانتفاع به وحده^(١٣٩)، أي: بوضع شيء فيه لا مطلق الانتفاع، وإلا لم يحلّ غطاء أصلاً؛ لأن تغطية الإناء من أكبر الانتفاعات. وقد أشار إلى ذلك العلامة الرشيدي بقوله، أي: المذكور في قوله [أ] فيما مرّ: لا يمكن وضع شيء فيه، إذ ليس هو مطلق الانتفاع^(١٤٠)، كما هو ظاهر.

وما وقع في نسخ الرشيدي من لفظ (عليه) بدل (فيه) يجب إصلاحه؛ لأنه حكاية لعبارة شرح (م ر)، وهي ب(في) لا ب(على)^(١٤١).

والحاصل: إنه متى استعمله بوضع شيء عليه حرم ذلك الاستعمال، ومتى صلح لأن يستعمل استعمال الآنية وحده بأن يوضع فيه شيء، فيكون كالآنية عرفاً ولو صغيراً حرم مطلقاً سواء اتصل كغطاء الصندوق أو اتصل، كالمألوف الآن.

هذا ولا يبعد أن يقال: إن ذلك الرأس بعض أجزاء المصلح بها خلل ذلك الإناء من نحو صبّ كثيراً، والمتخذة للزينة بشرط غايته أنه لم يسمر في البعض الآخر، لمصلحة ملئ الإناء بسهولة.

ألا ترى أنه لو سمر كان من الضبّة لا محالة، وعلى هذا فتفصيل الرملي^(١٤٢) المار في الرأس؛ الذي ليس جزءاً من ضبة لا مطلقاً، وهذا [ب] وجيه جداً، لو وجد نقل يعضّده، غير أن إطلاقهم وعدم تقييدهم الضبّة بكونها جزءاً واحداً يُشعر به، فليتأمل بإنصاف^(١٤٣). انتهى.

ونقلت من خط مؤلفها حفظه الله تعالى.
وكتب تحتها لكاتبه الفقير الحقير محمد أبي هادي الجوهري الصغير عفا عنه مولاه
أمين.

(١) ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، (ت ١٣٣٥هـ)، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار، من أعضاء مجمع اللغة العربية، الناشر: دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م: ١٣٢١؛ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبدالرحمن بن حسن الجبرتي، (ت ١٢٣٧هـ)، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ: ٢/ ٤٤٠؛ إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لإسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني أصلاً والبغدادي مولداً ومسكناً، (ت ١٣٣٩هـ)، طبع بعناية محمد شرف الدين يالتقاي ورفعت بيلكه الكليسي، منشورات مكتبة المثنى ببغداد. وهي الطبعة المصورة على طبعة استانبول ١٩٤٥م: ١ / ١٨؛ معجم المطبوعات العربية والمعرية، ليوسف الياس سركريس، (ت ١٣٥١هـ)، مكتبة المرعشي النجفي، مطبعة سركريس، مصر، ١٣٤٦هـ. ١٩٢٨م: ٢ / ٧٢٢؛ الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، لخير الدين الزركلي الدمشقي، (ت ١٣٩٦هـ. ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م: ١٦/٦؛ معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، (ت ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى. بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٣٧٦هـ. ١٩٥٧م: ٨ / ٢٥٠.

(٢) إتحاف الأحياء: اللوحة ٦.

(٣) ينظر: المؤلف والمختلف (الأنساب المتفقة في الخط المتماثلة في النقط)، لمحمد بن طاهر بن علي بن القيسراني، (ت ٥٠٧هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ: ٤٨.

(٤) ينظر: حلية البشر: ١٣٢١؛ عجائب الآثار: ٢ / ٤٤٠.

(٥) ينظر: حلية البشر: ١٣٢١؛ عجائب الآثار: ٢ / ٤٤٠؛ إيضاح المكنون: ١ / ١٨؛ الإعلام: ١٦/٦؛ معجم المؤلفين: ٨ / ٢٥٠.

(٦) ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لأبي الفضل السيد محمد أفندي بن السيد علي أفندي بن محمد المرادي البخاري الدمشقي النقشبندي مفتي الحنفية بدمشق، (ت ١٢٠٦هـ)، دار البشائر الإسلامية، ودار ابن حزم، ط٣، بيروت، ١٤٠٨هـ. ١٩٨٧م: ٩٧/١؛ حلية البشر: ١٣٢١؛ عجائب الآثار: ٢ / ٤٤٠؛ هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني أصلاً والبغدادي مولداً ومسكناً، (ت ١٣٣٨هـ)، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ. عن المطبعة البهية في

أستأبول ١٩٥١م: ٧٨/١؛ فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات،
لمحمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني (١٣٨٢هـ)، نشر
باعتناء د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م: ٢٢١/١،
٢٢٢؛ معجم المؤلفين: ١٩٣/١.

- (٧) ينظر: حلية البشر: ١٣٢١؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤٠
- (٨) ينظر: حلية البشر: ١٣٢١؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤١.
- (٩) ينظر: حلية البشر: ١٣٢١ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤١.
- (١٠) ينظر: حلية البشر: ١٣٢١؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤٠.
- (١١) ينظر: حلية البشر: ١٣٢١ . ١٣٢٢؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤٠ . ٤٤١.
- (١٢) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٢؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤١.
- (١٣) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٢؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤١.
- (١٤) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٢؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤١ . ٤٤٢.
- (١٥) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٣؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤٢.
- (١٦) ينظر: حلية البشر: ١٣٢١؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤٠ . ٤٤١.
- (١٧) حلية البشر: ١٣٢٢. وينظر: عجائب الآثار: ٢/ ٤٤١.
- (١٨) حلية البشر: ١٣٢٣؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤٢.
- (١٩) ينظر: حلية البشر: ١٣٢١؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤٠.
- (٢٠) ينظر: حلية البشر: ١٣٢١؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤٠.
- (٢١) ينظر: حلية البشر: ١٣٢١؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤٠.
- (٢٢) ينظر: حلية البشر: ٥٥١؛ عجائب الآثار: ٢/ ١٧٨؛ هدية العارفين: ٣٢٧/١.
- (٢٣) ينظر: فهرس الفهارس: ٢/ ٧٨٥.
- (٢٤) حلية البشر: ١٣٢١؛ عجائب الآثار: ٢/ ٤٤٠.
- (٢٥) حلية البشر: ١٣٢١.
- (٢٦) المصدر نفسه: ١٣٢٣.
- (٢٧) عجائب الآثار: ٢/ ٤٤٠؛ إيضاح المكنون: ٣/ ١٤؛ هدية العارفين: ٣٥٢/٢.
- (٢٨) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٢٩) ينظر: المصدر نفسه: ١٣٢٤.

- (٣٠) ينظر: إيضاح المكنون: ١ / ١٨؛ فهرست الكتب العربية المحفوظة بالكتبخانة: ٣ / ٢٢٥؛ فهرست الخزانة التيمورية، القاهرة، ١٩٤٨م: ٣/٦٦؛ معجم المطبوعات: ٧٢٢؛ الإعلام: ١٦/٦؛ معجم المؤلفين: ٨ / ٢٥٠.
- (٣١) ينظر: خزانة التراث. فهرس مخطوطات، قام بإصداره مركز الملك فيصل، السعودية، بلا تاريخ: الرقم التسلسلي (١٠٣٤٣٦).
- (٣٢) ينظر: إيضاح المكنون: ١ / ١٨؛ الكتبخانة ٣ / ٢٢٥؛ التيمورية: ٣/٦٦؛ معجم المطبوعات: ٧٢٢؛ الإعلام: ١٦/٦؛ معجم المؤلفين: ٨ / ٢٥٠.
- (٣٣) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (٣٨٠٤٩).
- (٣٤) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٣٥) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٣٦) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٧٦٢٦).
- (٣٧) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٣٨) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٣٤٣٧).
- (٣٩) ينظر: اكتفاء الفروع بما هو مطبوع، لأدوارد كرنيليوس فاندريك، (ت ١٣١٣هـ)، صححه وزاد عليه: محمد علي الببلاوي، مطبعة التأليف (الهلال)، مصر، ١٣١٣هـ - ١٨٩٦م: ٤٦٤؛ إيضاح المكنون: ١ / ١٨؛ الكتبخانة ٣ / ٢٢٥؛ التيمورية: ٣/٦٦؛ معجم المطبوعات: ٧٢٢/٢؛ الإعلام: ١٦/٦.
- (٤٠) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٩٩٠٠).
- (٤١) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (٣٨٠٥٠).
- (٤٢) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (٨٢٢٧٩).
- (٤٣) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٤٤) ينظر: هدية العارفين: ٢/٣٥٣.
- (٤٥) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٨٢٤٧).
- (٤٦) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٤٧) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٤٨) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (٦٠٣٤١).
- (٤٩) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (٨٠٣٥٩).
- (٥٠) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٥٥٩٨).
- (٥١) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.

- (٥٢) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٧٤٩٩).
- (٥٣) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٣.
- (٥٤) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٧٥٠٠).
- (٥٥) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٥٧٣٤).
- (٥٦) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤؛ هدية العارفين: ٣٤٧/٣؛ إيضاح المكنون: ٣٥٣/٢.
- (٥٧) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٥٨) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٥٩) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (٧٩٨٧٦).
- (٦٠) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤؛ إيضاح المكنون: ١ / ١٨؛ الكتبخانة ٣ / ٢٢٥؛ التيمورية: ٣ / ٦٦؛ معجم المطبوعات: ٧٢٢؛ الإعلام: ١٦/٦.
- (٦١) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (٣٨٠٤٦).
- (٦٢) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٦٣) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٥٩٩٥).
- (٦٤) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٦٥) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (٨٧٥٣٨).
- (٦٦) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤؛ إيضاح المكنون: ١ / ١٨؛ الكتبخانة ٣ / ٢٢٥؛ التيمورية: ٣ / ٦٦؛ معجم المطبوعات: ٧٢٢؛ الإعلام: ١٦/٦.
- (٦٧) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٢٨٢٣).
- (٦٨) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٦٩) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٧٥١٨).
- (٧٠) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٣.
- (٧١) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٨١٠٦).
- (٧٢) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٦١٣٦).
- (٧٣) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٣.
- (٧٤) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٧٥) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (٦٢٢١٤).
- (٧٦) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٧٧) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (٣٨٠٥١).
- (٧٨) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٦٢٣٢).

- (٧٩) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٥٧٣٣).
- (٨٠) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٨١) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٥٧٩٤).
- (٨٢) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٦٢٤٣).
- (٨٣) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٨٤) خزانة التراث: الرقم التسلسلي (٣٨٠٤٨).
- (٨٥) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٥٨٥٣).
- (٨٦) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤؛ معجم المؤلفين: ٨ / ٢٥٠.
- (٨٧) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٣؛ إيضاح المكنون: ١ / ١٨؛ الكتبخانة ٣ / ٢٢٥؛ التيمورية: ٦٦/٣؛ معجم المطبوعات: ٧٢٢؛ الإعلام: ١٦/٦؛ معجم المؤلفين: ٨ / ٢٥٠.
- (٨٨) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤؛ إيضاح المكنون: ١ / ١٨؛ الكتبخانة ٣ / ٢٢٥؛ التيمورية: ٦٦/٣؛ معجم المطبوعات: ٧٢٢؛ الإعلام: ١٦/٦؛ معجم المؤلفين: ٨ / ٢٥٠.
- (٨٩) ينظر: خزانة التراث: رقم (٣٨٠٤٥).
- (٩٠) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٩١) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٩٢) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (١٠٣٧١١).
- (٩٣) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤؛ إيضاح المكنون: ١ / ١٨؛ الكتبخانة ٣ / ٢٢٥؛ التيمورية: ٦٦/٣؛ معجم المطبوعات: ٧٢٢؛ الإعلام: ١٦/٦.
- (٩٤) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (٣٨٠٥٢).
- (٩٥) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤؛ إيضاح المكنون: ١ / ١٨؛ الكتبخانة ٣ / ٢٢٥؛ التيمورية: ٦٦/٣؛ معجم المطبوعات: ٧٢٢؛ الإعلام: ١٦/٦.
- (٩٦) ينظر: خزانة التراث: الرقم التسلسلي (٣٨٠٥٣).
- (٩٧) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٤.
- (٩٨) ينظر: حلية البشر: ١٣٢٣؛ عجائب الآثار: ٢ / ٤٤٠؛ إيضاح المكنون: ١ / ١٨؛ معجم المطبوعات: ٧٢٢؛ الإعلام: ١٦/٦؛ معجم المؤلفين: ٨ / ٢٥٠.
- (٩٩) إتحاف الأحبة: اللوحة ١.
- (١٠٠) خزانة التراث: الرقم التسلسلي: (١٠٣٤٣٥).
- (١٠١) ينظر: فهرس المخطوطات العامة بالمغرب، الخزانة العامة: ٣ / ١ / ٢٤٠.

(١٠٢) القمقم والقمقمة: وعاء من النحاس يسخن فيه الماء، يكون ضيق الرأس، وله عروتان، قال الأصمعي: هو رومي معرب. ينظر: لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٦٨م: مادة (قمقم) ٤٥/ ١٥.

(١٠٣) هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن المفضل بن الحسن القزويني صاحب الشرح الكبير (الفتح العزيز في شرح الوجيز) وكذلك كتاب (المحرر) و (التدوين في أخبار قزوين)، كان متضلعا في العلوم الشرعية وفي علم الحديث ولادته سنة (٥٥٥ هـ)، توفي سنة (٦٢٣ هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، لأبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، (ت ٧٧١ هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، و د. محمود محمد الطناحي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، ط ٢، ١٤١٣ هـ. ١٩٩٢م: ٢٨١/٨.

(١٠٤) فتح العزيز شرح الوجيز، للرافعي، دار الفكر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ: ٣٠٩/١.

(١٠٥) المضبيب: هو المشدود بالضبات، جمع ضبة: وهي حديثه العريضة التي يضبيب بها على الاستعارة، ومنه ضبيب أسنانه بالفضة: إذا شدها بها. ينظر: المغرب في ترتيب المعرب، لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز الخوارزمي، (ت ٦١٠ هـ)، دار الكتاب العربي، بلا تاريخ: ٤/٢.

(١٠٦) الغالية: نوع من الطيب مركب من مسك وعنبر وعود ودهن. يذكر أنها صنعت لبعض ملوك بني مروان سليمان أو هشام أو غيره، وأنهم لما رفعوا الحساب فيها وقد أكثروا النفقة عليها قال: هذه غالية فلقبت بها. ينظر: غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، (٣٨٨ هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، ط ٢، ١٤٠٢ هـ. ١٩٨٢م: ٢٦٣/٢.

(١٠٧) هو محيي السنّة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء أوابن الفراء البغوي ولد سنة (٤٣٦ هـ). وهو فقيه، محدث، مفسر. له مصنفات كثيرة. توفي بمرور سنة (٥١٠ هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٧٥/٧.

(١٠٨) التهذيب في فقه الإمام الشافعي، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، (ت ٥١٦ هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨ هـ. ١٩٩٧م: ٢١٣/١.

(١٠٩) فتح العزيز: ٣٠٩/١.

- (١١٠) المهمات في شرح الرافعي والروضة، لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي، (ت ٧٧٢هـ)، تحقيق: أبي الفضل أحمد بن علي الدمياطي، تقديم: الدكتور أحمد آل سبالك، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ: ١٠٤/١.
- (١١١) المجموع شرح المذهب، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: محمود مطرحي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م: ٢٦٠/١.
- (١١٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، (ت ٦٧٦هـ)، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م: ٤٥/١.
- (١١٣) هو أحمد بن محمد الخوارزمي الضرير، كان حافظاً متقناً للفقه، لم يكن في عصره من الشيوخ ببغداد بعد أبي الطيب أفقه منه، من مصنفاته الكافي في الفقه، توفي ببغداد سنة (٤٤٨هـ). ينظر: طبقات الشافعية الكبرى: ٨٣/٤؛ طبقات الشافعية، لجمال الدين عبدالرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي، (ت ٧٧٢هـ)، تحقيق: عبدالله الجبوري، رئاسة ديوان الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة الإرشاد، ط١، بغداد، ١٩٧٠م: ٥٣/٢.
- (١١٤) الكوز: من الأواني كوب له عروة، فإن لم يكن له عروة فهو كوب، مأخوذ من الفعل كاز الشيء إذا جمعه. ينظر: لسان العرب: مادة (كوز) ٤٠٣/٥.
- (١١٥) المهمات: ١٠٤/١.
- (١١٦) ينظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، (ت ٥٥٨هـ)، تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج، جدة، ط١، ١٤٢١ هـ. ٢٠٠٠م: ٧٩/١؛ المجموع: ٢١٧/١.
- (١١٧) صلاة العيد من كتاب المهمات: ٢٥٣/٢.
- (١١٨) المهمات: ١٠٤/١. ١٠٥.
- (١١٩) هو كتاب التعقبات على المهمات لأحمد بن عماد بن يونس شهاب الدين الاقحيسي (ت ٨٠٨ هـ). قال حاجي خليفة في كشف الظنون: "وأكثر فيها من تخطئته - أي الاسنوي - ونسبة لسوء الفهم وفساد التصور مع قوله: انه قرأ الاصل على مصنفه، واعتذر عنه بعضهم وقالوا: لو أورد الكلام ساذجاً لم يلتفتوا إليه لكون الإسنوي عندهم اجل واعلم. انتهى". كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبي، (ت ١٠٦٧هـ)، طبع بعناية محمد شرف الدين يالتقايا، ورفعت بيلكه الكليسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م: ١٩١٤/٢.
- (١٢٠) هو أبو الحسن العبادي ابن أبي عاصم، كان من كبار الخراسانيين، وهو مصنف كتاب الرقم، توفي سنة (٤٩٥هـ) وله ثمانون سنة نقل عنه الرافعي. ينظر: طبقات الشافعية، لأبي بكر بن

أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، (ت ٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ: ٢/ ٢٧٦.

(١٢١) ينظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لأبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي، (ت ٩٢٦هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا تاريخ: ٢/ ٢٠؛ تحفة المحتاج في شرح المنهاج، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، (ت ٩٧٤هـ)، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، ١٣٥٧ هـ. ١٩٨٣ م: ٣/ ٢٨.

(١٢٢) التهذيب: ١/ ٢١٣.

(١٢٣) ينظر: فتح العزيز: ١/ ٣٠٩.

(١٢٤) وعاء أو إناء يتخذ من خشب أو عاج أو غيرهما. ينظر: تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالسلام محمد هارون، راجعه: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٣٨٤ هـ. ١٩٦٤ م: مادة (حق) ٣/ ٢٤٥.

(١٢٥) الأشنه: شيء من الطيب أبيض كأنه مقشور. قال ابن بري: الأشن شيء من العطر أبيض دقيق كأنه مقشور من عرق، قال أبو منصور: ما أراه عربيا. و الأشنان والإشنان بالضم والكسر، نوع من الحمض معروف تغسل به الثياب والأيدي من الحمض: معروف الذي يغسل به الأيدي، والضم أعلى. ينظر: لسان العرب: مادة (أشن) ١٣/ ١٨؛ تاج العروس من جواهر القاموس، لمحيي الدين أبي الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي، (ت ١٢٠٥هـ)، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥ م: مادة (أشن) ٩/ ١٢٣.

(١٢٦) ينظر: المنهج القويم، لشهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، (ت ٩٧٤هـ)، حققه وشرح ألفاظه: د. مصطفى ديب البغا وآخرون، دار الفحاء، مؤسسة علوم القرآن، ط٣، بيروت، ١٩٧٨ م: ١٩٨؛ تحفة المحتاج: ٣/ ٧.

(١٢٧) ينظر: المهمات: ١/ ١٠٤. ١١٢.

(١٢٨) هو شيخ الإسلام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، الفقيه المحدث، مولده في محلة أبي الهيثم (من إقليم الغربية بمصر) سنة (٩٠٩هـ) وإليها نسبته. مات بمكة سنة (٩٧٤هـ). له مؤلفات كثيرة. ينظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر، لعبدالقادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس، (ت ١٠٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ: ٢٥٨.

(١٢٩) الخلال: العود الذي يتخلل به. ينظر: مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، ط٥، ١٤٢٠ هـ. ١٩٩٩ م: مادة (خلل) ٩٦.

(١٣٠) تحفة المحتاج: ١١٩/١.

(١٣١) ينظر: تحفة المحتاج: ١١٩/١؛ نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس شهاب الدين أحمد بن حمزة الرملي المنوفي المصري الأنصاري الشهير بالشافعي الصغير، (ت ١٠٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م: ١٠٧/١.

(١٣٢) أي الخوارزمي.

(١٣٣) الكيزان: جمع الكوز. ينظر: لسان العرب: مادة (كوز) ٤٠٢/٥.

(١٣٤) ينظر: المنهاج القويم: ١٨٨؛ تحفة المحتاج: ١١٩/١؛ نهاية المحتاج: ١٠٧/١.

(١٣٥) هو أحمد بن عبد الرزاق بن محمد بن أحمد المغربي الرشيد، فقيه شافعي، مغربي الأصل، مولده ووفاته في رشيد (بمصر) وجاور بالأزهر، ثم عاد إلى رشيد فعكف على التدريس والتأليف. مات سنة (١٠٩٦هـ). ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الله المحبي (ت ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٩١م: ٢٣٢/١.

(١٣٦) حاشية الرشيد بهامش نهاية المحتاج: ١٠٧/١.

(١٣٧) أي الرملي. رحمه الله تعالى.. ينظر: الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، لأبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي، (ت ٩٢٦هـ)، وعليه حاشية الشيخ أحمد بن قاسم العبادي الشافعي، (ت ٩٩٢هـ)، وحاشية الشربيني (ت ٩٧٧هـ)، المطبعة الميمنية، مصر، بلا تاريخ: ٢/١.

(١٣٨) ينظر: تحفة المحتاج: ١١٩/١؛ نهاية المحتاج: ١٠٧/١.

(١٣٩) نهاية المحتاج: ١٠٧/١.

(١٤٠) ينظر: حاشية الرشيد: ١٠٧/١.

(١٤١) ينظر: نهاية المحتاج وحاشية الرشيد: ١٠٧/١.

(١٤٢) هو شهاب الدين محمد بن أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي الشافعي، والرملي نسبة إلى رملة المنوفية بمصر، ولد سنة (٩١٩هـ) يقال له: الشافعي الصغير وتوفي سنة (١٠٠٤هـ). ينظر: خلاصة الأثر: ٣/٣٤٢.

(١٤٣) ينظر: تحفة المحتاج: ١٢٥/١.

المصادر والمراجع

١. إتحاف الأحبة، مخطوطات الأزهر، رقم المخطوط: ٣٢٨٠٣٠. [٢٥٥١] جوهري ٤١٨٦١.
٢. أسنى المطالب في شرح روض الطالب، لأبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي، (ت ٩٢٦هـ)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بلا تاريخ.
٣. الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، لخير الدين الزركلي الدمشقي، (ت ١٣٩٦هـ. ١٩٧٦م)، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٥، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م.
٤. اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، لأدوارد كرنيليوس فاندريك، (ت ١٣١٣هـ)، صححه وزاد عليه: محمد علي الببلاوي، مطبعة التأليف (الهلال)، مصر، ١٣١٣هـ. ١٨٩٦م.
٥. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لإسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني أصلاً والبغدادي مولداً ومسكناً، (ت ١٣٣٩هـ)، طبع بعناية محمد شرف الدين ياللقايا ورفعت بيلكه الكليسي، منشورات مكتبة المثنى ببغداد. وهي الطبعة المصورة على طبعة استانبول ١٩٤٥م.
٦. البيان في مذهب الإمام الشافعي، لأبي الحسين يحيى بن أبي الخير ابن سالم العمراني اليمني الشافعي، (ت ٥٥٨هـ)، تحقيق: قاسم محمد النوري، دار المنهاج، جدة، ط ١، ١٤٢١هـ. ٢٠٠٠م.
٧. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحيي الدين أبي الفضل محمد مرتضى الحسيني الواسطي الحنفي الزبيدي، (ت ١٢٠٥هـ)، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.
٨. تحفة المحتاج في شرح المنهاج، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، (ت ٩٧٤هـ)، المكتبة التجارية الكبرى بمصر لصاحبها مصطفى محمد، ١٣٥٧هـ. ١٩٨٣م.
٩. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبدالسلام محمد هارون، راجعه: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ١٣٨٤هـ. ١٩٦٤م.
١٠. التهذيب في فقه الإمام الشافعي، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط ١، ١٤١٨هـ. ١٩٩٧م.
١١. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، لعبد الرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الميداني الدمشقي، (ت ١٣٣٥هـ)، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده: محمد بهجة البيطار، من أعضاء مجمع اللغة العربية، الناشر: دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م.
١٢. خزانة التراث. فهرس مخطوطات، قام بإصداره مركز الملك فيصل، السعودية، بلا تاريخ.
١٣. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد أمين بن فضل الله بن محب الله المحبي (ت ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٩١م.
١٤. روضة الطالبين وعمدة المفتين، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، (ت ٦٧٦هـ)، إشراف زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ. ١٩٨٥م.

١٥. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، لأبي الفضل السيد محمد أفندي بن السيد علي أفندي بن محمد المرادي البخاري الدمشقي النقشبندي مفتي الحنفية بدمشق، (ت ١٢٠٦هـ)، دار البشائر الإسلامية، ودار ابن حزم، ط٣، بيروت، ١٤٠٨هـ. ١٩٨٧م.
١٦. طبقات الشافعية الكبرى، لأبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي ابن عبد الكافي السبكي، (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، و د. محمود محمد الطناحي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، ط٢، ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م.
١٧. طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، (ت ٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٨. طبقات الشافعية، لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي، (ت ٧٧٢هـ)، تحقيق: عبدالله الجبوري، رئاسة ديوان الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي، مطبعة الإرشاد، ط١، بغداد، ١٩٧٠م.
١٩. عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لعبد الرحمن بن حسن الجبرتي، (ت ١٢٣٧هـ)، دار الجيل، بيروت، بلا تاريخ.
٢٠. الغرر البهية في شرح البهجة الوردية، لأبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري الشافعي، (ت ٩٢٦هـ)، وعليه حاشية الشيخ أحمد بن قاسم العبادي الشافعي، (ت ٩٩٢هـ)، وحاشية الشرييني (ت ٩٧٧هـ)، المطبعة الميمنية، مصر، بلا تاريخ.
٢١. غريب الحديث، لأبي سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، (٣٨٨هـ)، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرابوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م.
٢٢. فتح العزيز شرح الوجيز، لأبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي، (ت ٦٢٣هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
٢٣. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، لمحمد عبد الحي بن عبد الكبير بن محمد الإدريسي المعروف بعبد الحي الكتاني (١٣٨٢هـ)، نشر باعثناء د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ. ١٩٨٢م.
٢٤. فهرس المخطوطات العامة بالمغرب، الخزانة العامة.
٢٥. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي الشهير بحاجي خليفة وبكاتب جلبلي، (ت ١٠٦٧هـ)، طبع بعناية محمد شرف الدين ياللقايا، ورفعت بيلكه الكليسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ. ١٩٩٢م.
٢٦. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٦٨م.
٢٧. المؤلف والمختلف (الأنساب المتتقة في الخط المتماثلة في النقط)، لمحمد بن طاهر بن علي بن القيسراني، (ت ٥٠٧هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
٢٨. المجموع شرح المذهب، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق: محمود مطرحي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ. ١٩٩٦م.

٢٩. مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية. دار النموذجية، بيروت. صيدا، ط٥، ١٤٢٠هـ. ١٩٩٩م.
٣٠. معجم المؤلفين تراجم مصنفين الكتب العربية، لعمر رضا كحالة، (ت ١٤٠٨هـ)، مكتبة المثنى. بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، ١٣٧٦هـ. ١٩٥٧م.
٣١. معجم المطبوعات العربية والمعربة، ليوسف الياس سركيس، (ت ١٣٥١هـ)، مكتبة المرعشي النجفي، مطبعة سركيس، مصر، ١٣٤٦هـ. ١٩٢٨م.
٣٢. المغرب في ترتيب المعرب، لأبي الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرز الخوارزمي، (ت ٦١٠هـ)، دار الكتاب العربي، بلا تاريخ.
٣٣. المنهج القويم، لشهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، (ت ٩٧٤هـ)، حققه وشرح ألفاظه: د. مصطفى ديب البغا وآخرون، دار الفحاء، مؤسسة علوم القرآن، ط٣، بيروت، ١٩٧٨م.
٣٤. المهمات في شرح الرافعي والروضة، لجمال الدين عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسوي، (ت ٧٧٢هـ)، تحقيق: أبي الفضل أحمد ابن علي الدمياطي، تقديم: الدكتور أحمد آل سبالك، مركز التراث الثقافي المغربي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.
٣٥. نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، لشمس الدين محمد بن أبي العباس شهاب الدين أحمد بن حمزة الرملي المنوفي المصري الأنصاري الشهير بالشافعي الصغير، (ت ١٠٠٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ. ١٩٨٤م.
٣٦. النور السافر عن أخبار القرن العاشر، لعبدالقادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس، (ت ١٠٣٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٣٧. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا ابن محمد أمين بن مير سليم الباباني أصلا والبغدادي مولدا ومسكنا، (ت ١٣٣٨هـ)، منشورات دار إحياء التراث العربي، بيروت، بلا تاريخ. عن المطبعة البهية في أستانبول ١٩٥١م.

الملاحم الاقتصاءية في كتاب نزهة الانام في محاسن الشام

لابي البقاء البصري المتوفى سنة (١٤٨٨هـ/١٩٦٨م)

م . م ايمان عبد الجبار محمود

المخلص

توصلت الدراسة التي اجريت في هذا الكتاب الى الكثير من النتائج . وهي كما يلي:
كان المؤرخ شاهد عيان على الاحداث التي وقعت في ذلك الوقت . وقد عاش طفولته في دمشق التي كانت تمثل موطنه في عصر المماليك في عهد السلطان المملوكي الذي كان يحكم مدينة شركسيا . وقد كتب اغلب الاحداث عن كتب . وذكر الكثير من الاخبار التي لم يذكرها اي مؤرخ من قبل .

وتضمن الكتاب مواضيع غنية في المجالات السياسية والاجتماعية والدينية والتاريخية . وقد تابع المؤرخ الاحداث ، وتكمن اهمية هذا الكتاب في صدق المؤلف والرواية الذين كانوا يروون الكتاب . وكما نلاحظ ان الكتاب يحتوي على ابيات شعرية واحاديث نبوية للنبي محمد (ص) ، ويعزي هذا السبب الى اسلوب تعليم المؤلف وتأثره بالأبيات الشعرية وصحبته للكبار في السن والقضاة والعلماء .

ويحتوي الكتاب على تفصيلات دقيقة عن ظروف دمشق السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ولم يكن البصري راوي مثالي للأخبار والاحداث التي كان يرويها على العكس قد اختصرت اغلب رواياته او غير العبارات كما كان مطلوباً لكن في اغلب الحالات لم يرغب في شرح او توسيع السرد كما هو معهود في الاحداث التاريخية الشهيرة .

واتبع المؤلف في كتابه المنهج الوصفي لأنه قدم الاحداث مستخدماً المحسنات اللفظية. وقد لجأ الى الشعر اكثر من الكتابات التاريخية. وعلاوة على ذلك، اعتمد المؤلف على روايات الشعراء والعلماء والكتاب السابقين وحتى الاطباء في ذلك الوقت. واستخدم المؤلف بعض العبارات المأخوذة من اللغة الدارجة بالإضافة الى استخدامه بعض المحسنات اللفظية. وقد يعود سبب ذلك لأجل الوصول الى تناغم فكري مع جميع قراء الكتاب من العلماء الى الناس البسطاء او بسبب تأثره في المواضيع التي اعتمدها في كتابه او قد يكون نابع من شعوره وبساطته عندما يتكلم عن الموضوع. واحتوى مؤلفه على بعض العبارات الدقيقة والنكات ايضاً.

ويعد كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" من المصادر الادبية لاحتوائه على الكثير من الشعر المعاصر في ذلك الوقت. او كما يقال، اذا اردت الوصول الى عقلية القارئ العربي فعليك ان تفهم قصائدهم وفضلاً عن ذلك فهي سهلة الحفظ. ولذلك السبب لجأ المؤلف الى الشعر والادب اكثر من الاحداث التاريخية وجعلها مصدراً في كتابه رغم ان كتابه يتناول موضوع في التاريخ.

ويشير الكتاب الى بعض الروايات التاريخية المتعلقة بالعصر الجليدي والاموي والعباسي والزنكي. وبالرغم من ان المؤلف قد عاش في عصر المماليك لم نرى اي مصطلحات تركية او مملوكية منتشرة في ذلك الوقت.

ويعرف المؤلف في كتابه الظروف الاقتصادية لمدينة دمشق والمتمثلة ب (بالأوضاع الزراعية والصناعية والتجارية) التي ازدهرت بسبب موقع دمشق الجغرافي المحاطة بنهرين والمروج الخضراء . واطافة الى ذلك، فهي تقع في طريق حجاج بيت الله وبذلك اصبحت دمشق مشهورة عالمياً ويعود الفضل ايضاً الى توفر المواد الاولية وصناعة العقاقير الطبية بالإضافة الى انتاج الاغذية وانواع الزيوت الاساسية واشياء اخرى.

Abstract

As we studied the subjects of the book, we've reached many results, the most prominent of these results are: -

The historian was eyewitness for the events of his time, he lived his childhood in Damascus his home town in Mamluk age, at the period when the Mamluk Sultans ruled Circassians city, he wrote most of his events closely, and himself mentioned many news that no other historian mentioned before.

The book included rich subject in the political, social and religious history, the historian accompanied the events and the importance of the book come from the honesty of the author and the narrators that narrate the book. As we notice the book contains verses and sayings of prophet Mohammed, maybe because of the education of the writer and his influenced by the verses and his accompany to the elders, judges and scientists.

The book also contains a precise details about the political, social and economic conditions of Damascus, Al Badri was not a perfect narrator to the news and incidents that he narrate at the contradictory most of his narration he abbreviated it, or he changes in the phrases as it required by the thread, but in most cases he doesn't tempted to elaborating and extension in his narration as in the long and famous histories.

The author followed in his authorship the descriptive method because he viewed the events, and he used many improvers verbal, he tended to poetry more than historical writing and he relied on the narration of the previous poets, scientists, writers and even doctors as it was prevailed in his time.

He used some common slang words, as well as improvers verbal, although he included it in the book, in order to harmonize all the minds that reads his book from the genius to the modest or maybe because he was influenced by the resources he took his subjects from or simply because his feelings and his modesty when he raises his subjects. The book also contained some subtleties and jokes.

We can consider this book (Tabula Rogeriana) from the literature sources because it contains many poems as it was prevailed in his time, or as it says, to reach the mind of the Arabic

person u should understand their poems, it is easy to be memorized. That's why the writer tends to poetry and literature more than histories and he made it as source to the book although it a history book.

The book speaks about some historical novels that related to both interglacial, Umayyad, Abbasi and Zanki. Although the author of the book lived in the Circassian Mamluk age but we didn't found any Turkish and Mamluk terms that was prevalent in his time. Like, Attabk, and khana gun, tasht house, and Gashanqir and other that we read in the sources, and who lived it at that time from the authors.

The author defines in his book the economic conditions of Damascus (Agriculture, industry and trade) . That was flourished because of Damascus's geographical location. Which is lined by the rivers, and green lawns and meditated it the Islamic world (Baghdad) . Besides its location in the way of pilgrimages to Mecca, and because of this it become a world- famous thanks to the availability of the initial raw materials and its production to the prescription drugs, as well as food and essential oils and other things.

المبحث الاول

المؤرخ وعصره

١- اسمه وكنيته :

هو ابو البقاء عبدالله بن محمد، وعرفه السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) على انه: "ابو بكر بن عبدالله بن محمد بن احمد بن تقي الدين بن الجمل..."^(١)، ويتفق المؤرخون الذين ترجموا له انه الدمشقي القاهري الوفائي^(٢)، وينفرد السخاوي بقوله: انه "يُعرف بابن البدري، ويكنى ايضاً ابا النقا"^(٣)، الامر الذي لم نلمسه عند غيره من المؤرخين.

٢- مولده ونشأته :

ولد البدري في مدينة دمشق، على قوله: "هي مسقط رأسي"^(٤)، في شهر ربيع الاول من سنة (٨٤٧هـ/١٤٤٣م)^(٥)، ونشأ وتربى في احضان والديه وبين اخوته واقاربه، فقد قال عنها: "...مجمع أهلي وناسي وملعب خلاني واخواني..."^(٦)، ويذكر السخاوي^(٧): انه انتمى لبني الشحنة^(٨)، وعاش صباه فيها، في بيت من بيوتات العز فيها، وذلك ما يفهم من قوله عن مدينته:

بلدٌ صحبت به الشبيبة والصبا ولبست ثوب العز وهو جديّد.^(٩)

٣- حياته وعصره :

لو تتبعنا العصر الذي عاش فيه صباه في مدينة دمشق، لوجدنا فيه عدة مفاصل وتحولات شهدتها مصر والشام التي كانت تتبع القاهرة، وتحكم من قبل سلاطين المماليك الجراكسة^(١٠)، (٧٨٤هـ/١٣٨٢م) - (٩٢٢هـ/١٥١٧م)^(١١)، ونائب السلطان^(١٢) المملوكي الظاهر جقمق^(١٣)، الذي تولى السلطنة سنة (٨٤٢هـ/١٤٢٨م) اي قبل مولد البدري بعدة اعوام وامتد حكمه، وحتى سنة (٨٥٧هـ/١٤٥٣م)^(١٤)، فكان شاهد عيان على احداث عصره من غزوات، وفتن، وثورات، ومجاعات، وامراض، واوبئة، وازمات مالية، على قوله مخاطباً قارئ كتابه مشيراً الى شوقه اليها: "...وبعد فقد سألتني ايها الاخ المجيد، و...المتشوق المنتوّق الى بديع مرآها...أن اعلك بخبرها لعدم العيان، وان اقربها اليك بوصف يلذه قلب... الولهان..."^(١٥).

عندما بلغ البدرى العاشرة من عمره في تلك السنة، شهد نهاية حكم السلطان جقمق، وتولي ابنه المنصور عثمان ^(١٦) من بعده، ^(١٧) وكان فيها وقوع فتنة بين المماليك، وعزل ابن السلطان وتولي اينال العلاني ^(١٨)، وفي ذلك يقول ابن اياس (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م) : " ... وخلع الملك المنصور قبل ان ينكسر، وباع الاتابكي اينال واستمرت الحرب ثائرة بينهم سبعة ايام، وقتل في هذه المدة من الناس ما لا يحصى... " ^(١٩)، ويتحدث ابن سباط (ت ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م) عن تلك الفترة وما كان فيها من الظلم والجور فيقول: " فتخرب نظام الملك وظلمت العباد، وانفرط في دولته مائظمه من كان قبله ... طمع المالك في الرعية، واستطالوا على الناس بالتخريب والعبث وأخذ اموال الناس بالغصب، وأخذ النساء من الطرقات ... "، واستمر هذا الحال مدة اينال، الى ان عرض له الموت فخلع نفسه وسلطن ولده، والذي لم تستمر سلطنته لأكثر من اربعة اشهر، ^(٢٠) كان فيها نائب الشام جليان المؤيدي ^(٢١) الذي كان حسن السيرة، بيد انه وافاه الاجل لذا " ولئى من بعده نيابة دمشق الامير قانباوي الحمزاوي ^(٢٢) نائب حلب وحضر منها الى دمشق فدخلها سنة تسع وخمسين ... فلما وصل... قصد دار السعادة ^(٢٣) ... " وبقي في نيابتها الى ان توفي سنة (٨٦٣هـ/ ١٤٥٨م) والذي احترقت اسواق دمشق في ايامه ^(٢٤) .

وبعد وفاة اينال وتقلد ابنه المؤيد ^(٢٥) الحكم وثب خشقدم ^(٢٦) على الحكم واستمر به الى ان مات سنة (٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م) ، فيذكر السيوطي (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) : انه تقلد من بعده آخرين لم تكن تدوم نيابتهم لأكثر من شهرين الى ان قلد " سلطان العصر قاتيباي ^(٢٧) ، ولقب الاشرف، فاستقر في الملك، وسار فيه بشهامة وصرامة ماسار بها قبله ملك من عهد الناصر محمد ^(٢٨) بن قلاوون، بحيث انه سافر من مصر الى الفرات بطائفة يسيرة من الجند ليس فيهم احد من مقدمي الألوف ^(٢٩) ... " واستمر بها الى سنة وفاته سنة (٨٨٤هـ/ ١٤٧٦م) ^(٣٠) .

لعل تلك المشاهد والاحوال في دمشق تبين الاوضاع التي عاشها البدرى في مراحل حياته منذ صباه وحتى شبابه.

اشتغل البدري بالشهادة^(٣١) في شبابه، كونه من السكان المحليين ولان وظيفة الشهادة، وظيفة متواضعة بإمكان اي شخص له اطلاع في امور القضاء ان يقوم بها^(٣٢) ، لعل ذلك العمل بسبب قربيه من بني الشحنة وارتباطه بهم،^(٣٣) ويبدو ان اشتغاله بالشهادة لم يدم طويلاً، فيذكر السخاوي: "....لما تولى الامشاطي^(٣٤)، عمل فيه ابياتاً، فلم يقابله الاخير عليها، الى ان تعرض لعبد الرزاق الملقب عجيين امه^(٣٥)، ... ونسبه لامر فضيع فصّرح بمنعه من الشهادة..."^(٣٦)، يذكر السخاوي: انه كان للمناوي والامشاطي لهم فيه اعتقاد بحيث اسكنه الاخير في البروقية^(٣٧)، لعل ذلك يبين مدى الضغوط التي قابلها البدري في حياته والصراعات التي في حياته على الرغم من عدم تدخله فيها.

كما اشتغل بالنسخ^(٣٨) على حد قول السخاوي^(٣٩).

وما تقدم يقودنا الى امرين: اولهما اوضاع دمشق المتردية سياسياً، وثانيهما حالة البدري الاقتصادية، وفقره مما اضطر للعمل بالشهادة فضلاً عن قربيه من القضاة من بني الشحنة، وحسن خطه وجودته مما دعاه للعمل بالنسخ، فضلاً عن بداياته الشعرية التي تبدو غير موفقة، والتي اثارت نقمة القاضي الذي منعه من الشهادة، ولعل ذلك مما دعاه الى الرحيل عن دمشق والهجرة الى القاهرة، والعمل بالتجارة مع والده، فقد ذكر: انه "تكرر قدومه مع ابيه للقاهرة، ثم قطنها مدة، واشتغل بالبلدين..."^(٤٠)، ويفهم من اشعاره شدة حبه لبلده، وحنينه واشتياقه الى ارضه، والى اهله الذين يبتعد عنهم اثناء رحلاته،^(٤١) التي من الظاهر انها قد تطول بعض الشيء، ويرجح ان تسميته بالمصري كونه كان يقطن القاهرة،^(٤٢) ولا يُعرف هل انه سكن القاهرة مع زوجته واولاده ام لوحده، لكن من المرجح انه سكنها مع زوجته، لانها ما لبثت ان توفيت وتركت له ثروة طائلة، "قلم يلبث الا قليلاً ثم سافر الى مكة وجاور بها، وعاد الى الشام، ثم جاور بالمدينة" سنة (٨٩٢هـ/١٤٨٦م)^(٤٣).

٤- شيوخه وتلاميذه:

أخذ البدرى عن الكثير من شيوخ عصره، الذين عرفوا بسعة العلم وغازاته، ويبدوان اتجاهه للادب والشعر اكثر من غيره من علوم عصره، فيذكر: انه " تعانى الشعر، ومدح وهجا^(٤٤) ... " ^(٤٥).

ويبدو ان عمله مع والده في التجارة ورحلاته المتكررة معه الى القاهرة مكنته من السعي في طلب العلم، والاخذ عن كبار العلماء، فذكر السخاوي انه سعى الى ان يأخذ عنه، ^(٤٦) وشهد له بأنه اراه ما كان يكتبه من الشعر، ^(٤٧) وانه طلب من الشعراء ان يقرضوه ^(٤٨) له، وكان من اعيان الشيوخ الذين قرضوا له اشعاره البرهان الباعوني ^(٤٩)، واخواه، والشهاب الحجازي ^(٥٠)، والمنصوري ^(٥١).

ومما يعزز قولنا ان الاخير واحد شيوخه قول البدرى في كتابه: " انشدني شيخنا العلامة شهاب الدين المنصوري ... " ^(٥٢)، فضلاً عن ابن قرقماس ^(٥٣) وغيرهم من العلماء، وقال انه الفه بدمشق سنة (٨٦٥هـ/١٤٦٠م) ^(٥٤)، ويفهم من كلام السخاوي انه ابتداء التاليف وكتابة الشعر منذ بداية شبابه، ما التمس من السخاوي تقريضه له، فأجابه وكتب له به اجازة ^(٥٥) حسنة.

لم يكتف اديبنا بما اخذه من العلم عن علماء الشام والقاهرة، وذلك مايفهم من موضوعات كتابه المتنوعة، فأخذ عن غيرهم من شيوخ مكة والمدينة، فبعد وفاة زوجته في القاهرة والذي اشار اليه البدرى ولم يحدد تاريخه، وسفره المتكرر بين مكة والشام والمدينة، وبقاءه مدة طويلة في المدينة، مكنته تلك المدة من كتابة تصانيف الشريف السمهودي ^(٥٦)، وغيره، فيذكر السخاوي، انه كان كثير اللقاء به، وكتب عن تصانيفه الكثير، ولازمه في الرواية ^(٥٧) والدراية ^(٥٨)، وشهد له السخاوي بانه اراه ماكان يكتبه عنه، وانه امتدح قضاة مكة وغيرهم ^(٥٩)، بيد ان السخاوي لم يثن عليه على الرغم من انه كتب له اجازة جيدة على حد قوله، فيذكر: ان نظمه " ليس بالطائل ولافهمه بالكامل"، ويذكر انه كتب عنه ابيات من نظمه. ^(٦٠)

اذا ما كان مجموعي لديكم من الدنيا بهذا قد قنعت وماقصدي سوى هذا وحسبي بأني في يديك وماجمعت ^(٦١).

ويبدو ان الكثير من التلاميذ اخذوعنه، بيدان المصادر لم تذكر اسمائهم صراحة غيراننا وجدنا نصوصا هنا وهناك تشيد بمؤلفه وتأخذ عنه، ومما وجدناه قول ابن الجيعان ^(٦٢) في احد مؤلفاته انه اخذ عنه، كونهما عاشا في نفس العصر والفترة الزمنية رجحنا ذلك، غير انه لم يذكر اسمه اولقبه ^(٦٣) .

٥- آثاره ومصنفاته العلمية:

جهد شاعرنا في ابداعه الشعري، والمؤلفات التي عمّ النفع بها، والتي تنوعت بين، الشعر والادب والتاريخ والعلوم الاخرى، فقد ترك العديد من المؤلفات ابرزها كتاب النزهة، موضوع بحثنا، لعله من اجمل المواضيع التي كتبها، حيث تغنى فيه كثيراً ببلدته التي نشأ وعاش فيها، ورحل عنها لطلب العلم وللتجارة، ولم يشغله عمله عن اشتياقه وحنينه اليها، فوصف مدنها وقراها وكنائسها وجوامعها وانهارها ومنتزهاتها وبساتينها و ما أنعم الله به عليها من خيرات في اشجارها و فواكهها وخضارها، وانواعها وازهارها وفوائدها ^(٦٤) .

يتفق المصنفون وأهل التراجم ان له ديوان شعر، وله كتاب بعنوان سحر العيون ^(٦٥) يتحدث فيه عن العيون والنظر والامراض التي تصيبها وطبها وعلاجها واوصافها وانواعها واللوانها، وهو يتألف من مقدمة وسبعة ابواب وخاتمة، ^(٦٦) وكتاب غرر الصباح في وصف الوجوه الصبّاح، والذي رتبته في سبعة عشر باباً ^(٦٧) ، ويتفق بعض المصنفين، بأن له الكثير من المؤلفات الاخرى، منها راحة الارواح في الحشيش والراح، والذي اشار اليه البديري في متن كتابه، وذكر ان الحشيش يصنع من ورق القنب، اذا اضيف اليه الورق البري، ^(٦٨) والمطالع البديري في المنازل القمرية، ونزهة الادباء وسلوة الغرباء، وسكر مصر في ذوق اهل العصر، ونزهة الخاطر وقرة الناظر، وشروط الوقاه في انباء الخلفاء، وروضة الجليس ونزهة الانيس ^(٦٩) اما مؤلفيه تباشير الشراب، وتبصرة اولي الالباب، فيذكرها الناشر على غلاف الكتاب دون غيرها من المؤلفات ^(٧٠) .

٦- وفاته:

اعتل البديري وهوفي مكة المكرمة في المحرم من سنة (٨٩٤هـ/١٤٨٨م) ، فقرر بعدها السفر، ويبدو ان وجهته كانت مدينة دمشق، فسافر في البحر، فوصل الى الطور

(٧١) ثم الى غزة (٧٢) ، فادركه الاجل هناك في جمادى الآخرة من نفس السنة، ووصل الخبر الى اهله في شوال منها، طاوياً بذلك تاريخ حياته الحافل بالكفاح والتنقل في طلباً للعلم والسعي لكسب الرزق (٧٣) ، تاركاً وراءه آثاره العلمية التي استفاد منها المؤرخون من بعده واشادوا بها، (٧٤) ومادما تحدثنا عن حياته، لابد من الاشارة الى انه ترك اثنين من الاولاد وترك لهم تركة لابأس بها وكان والده مايزال على قيد الحياة وتوفي بعده (٧٥) .

المبحث الثاني

كتاب نزهة الانام في محاسن الشام

١- التعريف بالكتاب:

أشتمل الكتاب على مايقارب الاربعمئة صفحة، اعتمد الناشر عند طبعه على مخطوطتين في الاصل، احدهما نسخة بغدادية، لكنها لم تكن مكتملة، استطاع اكمالها من نسخة اخرى محفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٤٩٤ من كتب التاريخ (٧٦) .

احتوى الكتاب على عدد كبير من المواضيع المتنوعة ابتدأت بالبسملة بعد مقدمة الناشر، ثم جاءت خطبة الكتاب، وهي مقدمة للمؤلف ثم ابواب الكتاب، التي يبتدأها بالحديث عن محاسن الشام، وحنينه الى دمشق مرة بالشعر، واخرى بالتعبير البديع، ومما يشير الى ذلك قوله: "... غير اني رُميت منها بعد الوصل بقطيعة صدها، كأني اذنبْتُ في حالة القرب فأدبتني بهجرها وبعدها عشنا زماناً وليس الوصل يقنعنا واليوم أدنى خيال منك يرضينا" ... (٧٧) .

أورد البدرى العديد من الآيات والاحاديث النبوية الشريفة معززة برواتها، فعندما يصف غوطة (٧٨) دمشق يذكر حديث الرسول ﷺ: "ستفتح عليكم الشام بمدينة يقال لها (دمشق) هي خير مدائن الشام وفسطاط (٧٩) المسلمين بأرض منها يقال لها الغوطة ... " (٨٠) ذاكراً مانقله من المؤرخين عنها، (٨١) يليها الحديث عن بناء مدينة دمشق، وبناء قصورها وابوابها والفتح العربي لها، ثم الحديث عن مسجد دمشق وبناء الخليفة الوليد (٨٢) له، وماذنه وغناء الدولة الاموية، ووصف بعض الشعراء للمسجد الجامع، ووصف اليعقوبي (ت ٢٨٤هـ/٨٩٧م) وابن جببر (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م) له، فقد نقل البدرى ما

ذكره اليعقوبي عن دمشق الشام وتعظيمه لها انها: "مدينة دمشق جليلة قديمة ...، في الجاهلية والاسلام. وليس لها نظير في جميع بلاد الشام في انهارها ومبانيها وكثرت عمارتها. افتتحت ... " (٨٣)، ويذكر البديري ما نقله عن احد شيوخه في وصف محاسن الجامع الاموي بدمشق قوله: " نقلت من خط ... قال املى علي شيخنا ابن جبير قال الجامع الاموي من اشهر جوامع الاسلام حسناً، واتقان بناءً، وغرابة صنعةً، واحتفال تنميق وتزيين. ومن عجيب شأنه انه لا ينسج فيه عنكبوت، ولا تدخله ولا تلم به الطير ... " (٨٤).

تحدث البديري عن احياء دمشق، ونواعيرها، ومتنزهاتها، فما احلى وصفه للربوة (٨٥)، بقوله: "الربوة مغارة لطيفة بسفح الجبل الغربي، وبه صفة محراب يقال انه مهد عيسى (ع) يزار وينذر له، وبها جامع وخطبة ومدارس وعدة مساجد وبها قاعات واطباق ولها عين ماء يقال لها المثلث ومربط للدواب و... " (٨٦)، ويبدو ان حديثه عن مهد النبي عيسى (ع) مما تناقلته الالسن آنذاك، كما ويصف قرية الزبداني (٨٧) التي هي من اهم معالمها.

ويخصص باباً من ابواب كتابه للحديث عن انهار دمشق السبعة، الذي استهله بذكر اسمائها، ومواقعها ومجراها ومصبتها منتهياً بالتغني بما قاله الشعراء عنها (٨٨) ولم يفتِّه الحديث عن حواكير (٨٩) دمشق ورياحينها، يلي ذلك الحديث عن ورود دمشق من نرجس وبنفسج وغيرها من الانواع، (٩٠) ويتجه للحديث عن ارض المزة (٩١)، والتي هي من اجمل الاماكن بدمشق لكثرة الفواكه والخضر وانواعها فيها، ويتابع الحديث عن اراضي الشام المشهورة كداريا (٩٢) وبيت لاهيا (٩٣) وارض الصالحية (٩٤) ومابها من مساجد ومدارس والاقواف التي اوقفت عليها، ويتابع الحديث عن رخاء دمشق وخيراتها، ثم يتحدث عن جبل قاسيون (٩٥) الذي هواهم جبال الشام، ثم ينهي كتابه بالحديث عن صناعات دمشق، (٩٦) والمدفونون في دمشق من العظماء، بقوله: "ختمنا كتابنا بذكر الانبياء والصحابة والاولياء والمشايخ والعلماء ... وذكر المقابر ... " (٩٧).

٢- اهمية الكتاب ووصف المؤرخ له :

المتصفح للكتاب يعرف اهميته في وصفه الدقيق لمدينة دمشق ومحاسنها، والاسباب العديدة لتسميتها بهذا الاسم^(٩٨)، وعدد ابوابها قديماً وحديثاً^(٩٩)، وكيفية بناءها، وكيف صور اليونان القدماء تلك الابواب على هيئة صور الكواكب، فذكر ان: " رُحَل على باب كيسان ^(١٠٠) على الباب الشرقي على صورة الشمس وعلى باب توما^(١٠١) الزهرة... " وهكذا باقي الابواب، ^(١٠٢) وانه يوجد ابواب اخرى فضلاً عن تلك الابواب التي يُسهب في وصفها وعددها واسباب تسمياتها، وان اهمها هي باب السر، والذي سميّ بذلك كونه يفتح الى القلعة، وكانت الاتراك ينزلون منه سراً ويطلعون^(١٠٣)، وذكر: انه "اصطلح في اخر دولة ابن قلاوون، ان من يولي نيابة دمشق يصلي عند هذا الباب ركعتين... " ^(١٠٤).

ما يميز الكتاب كثرة القصائد والاشعار، التي تتغنى بالشام ومحاسنها وفضائلها^(١٠٥)، فضلاً عن وجود اسماء للشعراء ومقتطفات من اشعارهم، والادباء وما كتبوه عنها والتعريف بأسماء المدن والقرى ومواقعها، فضلاً عن اسماء الاطباء ومؤلفاتهم والادوية والعلاجات المختلفة من النباتات الموجودة في تلك المدن والقرى. لعل ذلك يدلنا الى كونه من الكتب الادبية والجغرافية والطبية، فضلاً عن كونه من الكتب التاريخية.

تضمن الكتاب مادة غنية في التاريخ السياسي والاداري والاجتماعي والديني فضلاً عن الاقتصادي، عاصر المؤلف فيها الكثير من الاحداث وكان شاهد عيان، وشارك في جوانب عديدة منها لاسيما في الجانب الديني كونه اشتغل في الشهادة في صباه، وانتماءه لبني الشحنة، وتاتي اهمية الكتاب من صدق مؤلفه وصدق الرواة الذين نقل عنهم، كونه لازم السخاوي بالرواية والدراية، وجاور بمكة .

انفرد الكتاب بذكر العديد من الاخبار التي لم تذكر عند غيره من المؤرخين على حد قوله: "وغالب ما عدناه واوردناه من محاسن الشام انفردت به... " ^(١٠٦)، كما اتصف الكتاب بعدم الاسهاب والاطالة برواية الاحداث فوصفه بانه: " قصر فيه عما كتبه ارباب التواريخ المطولة الحسنة "، فجاء كتابه كانه حديقة صغيرة يترنح بها خاطر ويتنزه بها

الناظر، على حد قوله: ولذلك سماه نزهة الانام في محاسن الشام^(١٠٧)، والذي انجزه سنة ٨٧٧هـ/٤٧٢م^(١٠٨).

٣- منهجه وموارده في الكتاب:

أ منهجه:

اتجه البدرى في اسلوبه في الكتابة بالتدرج والتسلسل بالاحداث، من الاقدم الى الاحداث وهو ما نسميه بالحواليات، بيد انه لم يؤرخ بالسنين، فأبتدأ بالحديث عن محاسن الشام، واشتقاق اسمها، ثم الحديث عن ابوابها، فيذكر ان لها العديد من الابواب اقدمها باب جيرون^(١٠٩) الذي بناه النبي سليمان(ع)، والباب الصغير^(١١٠) وهو الذي نزل بالقرب منه يزيد بن معاوية ابي سفيان^(١١١) في حصار المسلمين للروم ودخل منه، وسبب تسميته بهذا الاسم^(١١٢)، ثم يتحدث عن الابواب الاخرى ماراً بباب السلام^(١١٣) الذي بناه محمود بن زنكي^(١١٤)، والذي عرف بباب الفرج لما وجد الناس به من الفرج^(١١٥)، منتهاً بباب النصر^(١١٦) التي افتتحها الناصر بن ايوب^(١١٧) وبذلك نرى التسلسل في حديثه عن الابواب من اقدمها الى احداثها عبر العصور.

اتباع البدرى المنهج الوصفي في كتابه، فبعد ان ينتهي من الحديث عن الابواب يتجه للحديث عن كيفية افتتاحها على يد الصحابة رضي الله عنهم^(١١٨)، ثم ينتقل للحديث عن الجامع الاموي وهو اقدم واشهر جوامع دمشق قديماً، وكيف كان كنيسة، وان البلد تم فتحه على يد القائد العربي خالد بن الوليد، وان هذه الكنيسة اخذت من النصارى، وانهم اخذوا الامان من ابي عبيدة^(١١٩)، وانهم اتفقوا على ان يجعلوا نصف البلد صلحاً ونصفه عنوة، فأخذ المسلمون نصف هذه الكنيسة الشرقي، وجعلوه مسجد، وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحدة، بيد ان الامويين زمن معاوية بنوا دار الامارة مكان المحراب^(١٢٠)، وكيف تم تحويله الى جامع ليصبح من اكبر الجوامع في دمشق، فيصف اساطينه ومنايره وسقفه وبلاطاته وقبابه منتهاً بوصف اكبرها وهي قبة النسر^(١٢١)، والاموال التي صرفت على تشييده، كما يتحدث عن طريقة البناء واستعمال الوليد خلقاً كثيراً من المهندسين والصناع في بناءه واصفاً ذلك بأسلوب مشوق جميل، وينهي حديثه عنه بأبيات تتغنى بحسنه وجماله^(١٢٢)، ثم ينتقل للحديث عن جوامع دمشق

الاخرى كجامع تتكز^(١٢٣) ، الذي بناه الامير تتكز الحسامي^(١٢٤) ، في العهد المملوكي وجعله في غاية الحسن لما فيه من الهندسة المعمارية، في موقع يشرف على الانهار وميدان القلعة^(١٢٥) ، وبذلك يكون قد اورد العديد من الروايات التاريخية التي تسبق عصره، القريبة كانت او البعيدة عنه.

استعمل البديري السرد، بأسلوب بديع الصنعة، او الاسلوب الادبي البليغ، وكان يراعي احياناً في جملة وكلماته اوزان الافعال كما في قوله: " العاشق في محاسن الشام على السماع، والمتشوق المنتوق الى بديع مرآها المشف ذكره للاسماع ..."^(١٢٦) ، لعل ذلك يبين مدى ميله الى الشعر في كتاباته الادبية الوصفية، كونه شاعر واديب، وسعة علمه واطلاعه على مؤلفات من سبقه من الادباء والمؤرخين مما صقل موهبته الشعرية والادبية.

اورد البديري معلومات كثيرة عن الجوانب العديدة للحياة في دمشق، الاجتماعية منها والاقتصادية والدينية والطبية والمعمارية الفنية فضلاً عن السياسية، على الرغم من ان كتابه مجلد واحد الا انه اتسم بالتنوع في الجمع بين تلك الاحداث فضلاً عن التعريف بالمواقع الجغرافية للقرى والمدن في دمشق، كما انه ادخل بعض الكلمات العامية الشائعة كقوله: "شذر مذر"^(١٢٧) ، فضلاً عن تخلل الكتاب بعض الالغاز واللطائف^(١٢٨) ، لعل ذلك كان شائعاً في عصره الخلط بين البديع والعامي، او لعله اراد ايصال ما يكتبه الى كل المستويات التي تتاغم كل العقول، او تأثر بأساليب العديد من الشعراء والكتاب الذين اخذ عنهم .

اتسمت التفاصيل التي اوردها في كتاباته بالتشويق فضلاً عن الدقة، كونه شاهد عيان على احداث عصره، على ما ذكر هو عن نفسه بقوله: " اعلك بخبرها لعدم العيان، وأقربها اليك بوصف يلذه قلب الهائم الولهان... "^(١٢٩) ، وقد كان المؤرخ يعزز ذلك التشويق الذي يفتعله لاختباره بالابيات الشعرية، تارةً له واخرى لغيره من الشعراء، فعندما وصف الورد الجوري عززه بقول ابن الورد في تغنيه به قائلاً:

قالت اذا كنت ترجو أنسي وتخشى نفوري

صف ورد خدي والا أجورُ ناديمُ جوري .^(١٣٠)

اتبع المؤرخ اسلوب مخاطبة القارئ، لعله اراد مشاركتهم له حنينه واشتياقه لوطنه بقوله: "وبعد فقد سألتني ايها الاخ الامجد، والحبیب الاسعد ..."(١٣١).

تخللت كتابات البديري في كتابه الكثير من الايات القرآنية والاحاديث النبوية الشريفة التي ينقلها عن رواتها، (١٣٢) لعل ذلك ناتج عما حفظه او تعلمه من القرآن الكريم، فضلاً عن التعريف باسماء المؤلفات ومؤلفيها .

ب موارد:

استقى البديري مادته التاريخية من عدة موارد:

اولاً: المشاهدة:

كانت مشاهداته للأحداث اولى مصادره التي اعتمد عليها، وتضمنت تلك المشاهدات ما شاهده هو بنفسه، فلم يكن يوثق احداثه ب حدثي فلان، او ذكر لي فلان، ولكن يقول شاهدت او قلت، ولما كان قد عاش في عصر السلطان قاتيباي فيصف طاحون الشقراء الموجودة بمرجة دمشق، والتي تقع ظاهر قصر الملك الظاهر ابي الفتوحات بيبرس(١٣٣) ، والتي تليها اسواق وحوانيت عديدة، وبآخرها مسجد مطل على نهر بردى (١٣٤) فيقول: " وادركت الطاحون غير دائرة. ولقد هدمها ... اوائل دولة السلطان الملك الاشرف قاتيباي ... فعلى هذا كانت المرجة عامرة آهله وهي من المحاسن التي لاتدرك..."(١٣٥) ، ويتحدث عن اوقاف المدارس وكيف تلاعب المباشرون والنظار بتلك المدارس "فأزالوا منها العين ولم يبق سوى الآثار. فكم من مدرسة اندرست بعد الصلاة...وامست في ظلمة بعد تلك المصاييح وهي تقول اصبحت حاصلًا، بعد ما كان ايواني بالقراء عامراً ... وهذه تقول اضحيت مربطاً للبهائم، بعدما كنت معبداً للقائم والصائم. وهذه تقول اتخذوني مسكنًا، ... وهذه تقول اخربوا جداري وباعوا الباب، وجعلوني مأوى للكلاب، والاوقاف تستغيث الى المولى المغيـث... يالـهفاه على جامع الافرم (١٣٦) والناصرية (١٣٧) تغيرت تلك المعاهد، وغلقت ابواب تلك المساجد والمعابد ... ان هذا لهو البلاء الجسيم..." (١٣٨) لعل ذلك الوصف يبين مدى دقة ما شاهده البديري من حال تلك المدارس او الحالة الثقافية للبلاد انذاك.

ثانياً: المشافهة:

كانت لقاءات البدرى مع العلماء والشيوخ اثناء رحلاته الى مصر ومكة المكرمة من ضمن موارد التي اعتمد عليها في كتابة تاريخه، قال السخاوي: انه "... كتب عن خلق من الشيوخ...وتعانى الشعر...وطارح وتردد الي فأخذ عني..."، وذكر ايضاً انه لما جاور بمكة " كتب فيها من تصانيف السمهودي وغيره..." (١٣٩) لعل ذلك يبين لقاءاته وحديثه مع اولئك الشيوخ، وما امتداحه لقضاة مكة وغيرهم الامن ضمن موارد التي اخذ عنها.

ثالثاً: النقل:

كان النقل عن مؤلفات اللغويين والمؤرخين والشعراء من المصادر الهامة التي اعتمد عليها فلم يكن اعتماده على مؤلف معين او شاعر واحد بل اخذ عن الكثير من شعراء دمشق كابن عنين (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) (١٤٠)، والشعراء المصريين كابن نباته (١٤١) (ت ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م)، والاندلسيين والمغاربة كابن رشيق (١٤٢) القيرواني (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م) الاقدمين منهم والمعاصرين له، فعندما يكتب شعر يصرح عن مصدره فاذا كان هو كاتبه يقول: قلت، اما اذا اخذه عن احد الشعراء او نقله عنهم فيذكر مصدره، كقوله: " نقلت من خط الشيخ صلاح الدين الصفدي (١٤٣) ... " (١٤٤) او قوله: " ومن بديع القاضي محي الدين بن عبد الظاهر (١٤٥) ... " (١٤٦)، وقوله: "... احسن بن سنا الملك (١٤٧) مقاله عن... " (١٤٨) واخذ عن المعاصرين له من الشيوخ كقوله: "نقلت من خط برهان الدين القيراطي (١٤٩) ... " (١٥٠)، وقوله: " نقلت من خط التقي ابن حجة (١٥١) قوله... " (١٥٢). لعل قوله خير دليل على منهجه في النقل عن الابداء.

استفاد البدرى من تواريخ المؤرخين الذين نقل عنهم السابقين لعصره والمعاصرين له، كابن عساكر (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٥م) (١٥٣)، وابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ/ ١١٨١م) (١٥٤)، والصفدي (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، وابن حجر (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٢م) (١٥٥)، الذين نقل عنهم في اكثر من موضع من كتابه (١٥٦) والقدماء من الجغرافيين كاليقوبي وابن جبير وغيرهم، وكان في مرات يعطي تفاصيل عن ينقل عنهم، ويتغافل في آخر، كقوله: " ونقلت من خط المرحوم مجد الدين عبد الوهاب بن سحنون خطيب النيريين

ببیمرستان^(١٥٧) الصالحية انشد في ضعف موته سنة اربع وتسعين وستمائة، وقد عاده اصحابه، ...^(١٥٨) ، اما عندما لا يخصص المكان الذي نقل منه المعلومة فيقول: " قالت طائفة...^(١٥٩) ، او نقلت من جزء الدمشقيين او قد يشير اليهم كقوله: قال صاحب عيون التواريخ^(١٦٠) .

ومن الجدير بالملاحظة ان البدرى اخذ عن الكثير من الاطباء الذين عرضوا حكمهم وتناولوا فوائد النباتات التي اخذوا منها ادويتهم كنقله احدى الحكم عن ابن سينا^(١٦١) على الرغم من التباعد الزمني بينهما: " قال ابن سينا: ينبغي للمرء ان لا يستعمل من المشمومات الا ما كان موافقاً لمزاجه وطبعه فان كان مزاجه حاراً يستعمل البارد وان كان بارداً يستعمل الحار ويجعلها أصنافاً من حار وبارد فيعتدل لكل مزاج."^(١٦٢) .

ما نستشفه مما تقدم تأثر البدرى بالكثير من الشعراء والادباء والعلماء والمؤرخين منهم من يصرح عن اسمائهم، ومنهم من لم يذكرهم صراحة كقوله: عند حديثه عن اشتقاق اسم الشام والروايات التاريخية التي وردت في ذلك " قال بعض الشراح والمفسرين...^(١٦٣) مما يجعل هؤلاء من مصادره المجهولة التي لم يعلن عنها.

المبحث الثالث

الملاح الاقتصادية في دمشق الشام في الكتاب

١- الزراعة:

لما كانت الزراعة عصب الحياة الاقتصادية، فقد اهتم المماليك منذ عصر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بحفر القنوات في البلاد، وحفرت الخلجان، فكثرت الحاصلات الزراعية،^(١٦٤) وقد استقادت دمشق من موقعها في منتهى الوادي الذي غربها عند جبل قاسيون المشرف عليها،^(١٦٥) وكثرة مياهها المتدفقة وانهارها^(١٦٦) ، واشتغال اهلهما بالزراعة فأنتجت الانواع الكثيرة والنادرة من اصناف الفواكه الطازجة والمجففة، وانواع الخضراوات والحبوب ما يكفي لسد حاجاتها الداخلية وتصدير الفائض منه، منذ القدم^(١٦٧) فقد ذكر المقدسي (ت ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م) : عن دمشق انه بلد "خرقته الانهار، واحدقت به الاشجار، وكثرت به الثمار مع رخص اسعاره..."^(١٦٨) ، وذكر البدرى: انواعاً كثيرة من

الفواكة التي اشتهرت بها مدينة دمشق منها البطيخ، الذي اشتهرت به قرية داريا، وعرف بالبطيخ الدارياني، ^(١٦٩) والعنب الذي يوجد منه اصنافاً كثيرة، فذكر مايربو عن الخمسين صنفاً من تلك الاصناف، ^(١٧٠) بعضها ليس له نظير في البلاد، والرمّان، ^(١٧١) والتمش المشمش وهو واحد وعشرون نوعاً، ^(١٧٢) وكل هذه الفواكه موجوده بأرض المزة، ^(١٧٣) والكمثرى ^(١٧٤)، والتفاح ^(١٧٥)، والتوت بنوعيه الاحمر والابيض، واصناف اخرى من الفواكه المجففة كالجوز واللوز والبندق وغيرها ^(١٧٦).

اما الخضروات والحبوب فقد ذكر البديري ماينيف عن الثلاثين نوعاً من الخضار اشهرها الباذنجان، والخيار والقنبيط، والكراث، والفجل، والجزر، والسلق، والنعناع، والرشاد، والكرفس، والحلبة، والبصل، والثوم، والقرع، ومن الحبوب اللوبيا، والفصوليا، والعدس، والحمص، والدخن، والذرة، والماش، والسسم، ^(١٧٧) فضلاً عن الزيتون الذي يستخرج منه زيت الزيتون النقي، والقمح اللذان كانا يصدران بكثرة الى مصر على الرغم من كثرة زراعته فيها اكثر من الشام، الا انها كثيراً ما تتعرض الى سنوات الجذب والقحط، فيرسل لها القمح من الشام، ^(١٧٨) فضلاً عن انواع الرياحين والزهور النادرة، التي يصنع منها ماء الورد ^(١٧٩).

وعلى الرغم من ان الفلاح الدمشقي اعتمد على الامطار رغم كثرة الانهار والابار والعيون، وانهم يفرحون كثيراً بنزوله ويتأثرون بقلته وعدم نزوله، او وقوع الزلازل، او حصول الصقيع، او قدوم الجراد الذي يتلف المحاصيل، ^(١٨٠) وغيرها من المؤثرات الطبيعية التي تتلف المحاصيل، فقد ذكر البديري ان من محاسن الشام " صيفيتها... معلنة بحياة الازهار ونمو الاثمار... وشتويتها مؤذنة بموت الاشجار بالاصفرار وتغسيلها بعد التجريد بالامطار..." ^(١٨١).

ويشير مؤرخ والعصر المملوكي الى تفنن الفلاح الشامي عبر العصور واهتمامه بأساليب تحسين انواع الفواكه، ^(١٨٢) فقد ذكر البديري معرفة الفلاح بهذا العمل فقال: " وهذا من صنعة الفلاحة ويسمى التطعيم"، وذكر انه: رأى كرمه تطرح الواحدة منها الابيض والاسود والاحمر منه، ووضح كيفية عمل ذلك بقوله: " وهو ان يأخذ قطعة من خشب من

التفاح ويشق ساق شجرة كمثرى تكون بساقين، وتوضع تلك القطعة في احدى الساقين المشقوقة وتشدها بخرقه وتسقيها... الى ان تلتحم بها ويخرج الورق الجديد ثم تثمر" (١٨٢). ومن الجدير بالذكر نتيجة لوفرة المياه واشتغال اهل دمشق بالزراعة لموقعها الاستراتيجي، وكثرة المروج الخضراء بها من الطبيعي اهتمام اهله بالثروة الحيوانية والسمكية، التي ساعدت ظروف دمشق على وجودها، وهي من الاغذية المهمة التي يحتاجها الانسان وانتشر في دمشق من يبيعها ويطبخها، فيحدثنا البديري عن صناعة الطعام وبيعه عند مروره بالقرب من نهر بردى " ان صيادو السمك يصطادون والقلاليون ... يقلونه ويذبح... رأساً من الغنم ... " (١٨٣) ، ويذكر القلقشندي جودة مواشي الشام وانها تشبه مواشي مصر من " الابل والبقر والغنم والخيول والبغال والحمير الا ان ابقاره لا تبلغ عظم ابقار مصر واغنامه لا تبلغ في طيبة اللحم مبلغ ابقارها ...، وكثير من انواع الوحوش مما لا توجد في مصر، واما طيوره ففيها الاوز والدجاج والحمائم وانواع طيور الماء ... " (١٨٤) ، وقد عرف في دمشق سوق خاص عرف بسوق الطير (١٨٥) ، ولعل مما يدل على وجود المواشي والابقار والاعنام والخيول وكثرتها واهتمام الناس بها منذ القدم في دمشق، وجود الاسواق المتخصصة التي تباع فيها هذه الانواع، فيحدثنا مؤرخوا العصر المملوكي عن وجود سوق للخيل (١٨٦) ، والذي تباع فيه كل انواع الخيل ومركز لتجمعات المتاجرين بالمستلزمات الخاصة بالجيش والخيالة (١٨٧) ، كما يوجد سوق آخر منفصل مختص بآلة الخيل كالسروج وغيرها، (١٨٨) وسوق للغنم (١٨٩) ، ويذكر البديري: "ان بها سوق قماش الخيل والبغال والبهائم والاعنام" ... (١٩٠) .

٢- الصناعة:

ازدهرت الصناعات في دمشق نتيجة لتوفر المواد الاولية التي تساعد على ازدهار الصناعة بمختلف انواعها، (١٩١) فقد اشار المؤرخون والجغرافيين الى صناعات دمشق، ومن اهم الصناعات الغذائية التي لها تماس مباشر بحياة الناس عامة والفقراء خاصة هي صناعة طحن الحبوب وصنع الخبز بسبب انتشار المطاحن، وقد اشار لها الحميري بقوله: "وبدمشق ارجاء كثيرة على اوديتها " (١٩٢) ، ويذكر البديري تلك الافران عند حديثه عن الربوة " ... وبها فرنان وثلاثة حوانيت" ... (١٩٣) .

اما الفواكه فاشهرها المشمش ومنه يُعمل عصير القمر الدين اللذيذ المشهورة به الشام، ^(١٩٤) والعنب والتمر الذي يعمل من ماءه الدبس. ^(١٩٥)

ونتيجة لتوفر المواد الخام التي تستخدم في الصناعات الغذائية كالزيتون الذي يعصر ويستفاد منه في صناعة الصابون، ^(١٩٦) والذي كان للدمشقيين شهرة واسعة في صناعته، ^(١٩٧) التي اشتهرت به دمشق فيذكر البديري: ان "بها معصرة زيت واشجار زيتون من زمن عيسى عليه السلام ... " ^(١٩٨) ، فضلا عن المواد الغذائية اشتهرت دمشق بتنوع الورود وندرة بعضها في قرية الزبداني، والتي سماها البديري قلعة الورود، و تغنى بها الشعراء وكتب عنها الكتاب.

اما صناعة العقاقير الطبية فقد عرفت دمشق لكثرة الازهار والورود الموجودة بجبل قاسيون وخاصة القرنفل وهو شديد العطرية فذكر البديري: افضل ما كان الى البياض... واذا احرق وسحق ووضع في زيت اوفي دهن اللوز وطفى به من لم تنبت له لحية اسرع نباتها لأنه يوسع مسامها ويمنع داء الثعلب " ^(١٩٩) ، وقال: "وغالب... هذه الصنائع تتبدل عليه ايادي الصناع من الواحد بعد الواحد..." ^(٢٠٠) . لعل ذلك يشير الى تطور تلك الصناعات وتوارثها عبر العصور .

عرفت دمشق العديد من الصناعات المعدنية، لتوافر المادة الاولية من الذهب والفضة والحديد والنحاس والزجاج وبعض المعادن الاخرى، فمن الحديد تصنع ابواب المدارس والجوامع وتصنع من النحاس المواقد والشمعدانات والكؤوس والصحاف والزهريات والمباخر واواني الطبخ، واواني صنع القهوة - الدلال - والطشوت والصحون والمغارف والملاعق والقدر وغيرها من ادوات الطبخ، كما تصنع ادوات الزراعة كالمساحي والمعاول، فضلاً عن ادوات النجارة كالمطارق والمسامير ^(٢٠١) ، قال البديري: " فيها تعمل صناعة النحاس من الضرب والتفصيل والنقوش التي تشرح صدر الناس " ^(٢٠٢) ، ولعل مما يدل على وجود تلك الصناعات وكثرتها هو وجود اكثر من سوق الصغارين في دمشق، والتي تختص ببيع مادة النحاس (الصفر) ، ولعل اقدم تلك الاسواق يقع عند الباب الجنوبي للجامع الاموي، ^(٢٠٣) ومن جملة الصناعات المعدنية التي اشتهرت بها دمشق هي صناعة الذهب او الصياغة، فعرفت فيها صناعة اكاليل الجواهر والاقرطة

المزينة بالدر والخواتم والقلائد والاطواق والخلخل والاساور، فضلاً عما تزين به الصدور من الحلي المصنوعة على اشكال الحيوانات والنباتات وغيرها، ومن اعظم اشكال هذه الصناعة هو صناعة التاج الذي تحلي به النساء رؤوسهن، وهو في الغالب يكون مرصعاً بالجواهر والماس والاحجار الكريمة ويختلف شكلها من زمن الى آخر، (٢٠٤) وفي ذلك يقول البديري: " فيها تعمل صناعة الذهب المسبوك والمضروب والمجروح والمرفوع، والممدود والمرصوع " (٢٠٥) ، ومن جملة صناعة الصياغة هي صناعة النقود، وهي ضرب الدراهم والدنانير الذهبية، فقد كانت اول دار اسلامية لصناعة السكة (٢٠٦) في الشام، (٢٠٧) ويؤكد البديري ان " بها دار الضرب التي تضرب فيها النقود " (٢٠٨) ، ومن الصناعات الاخرى التي اشتهرت بها الشام، وفي ظل الظروف التي فرضتها نشوء الدولة المملوكية واهتمامها بالقتال ضد المغول والفرنجة مما حتم عليها الاهتمام بشؤون الحرب، ومن ضمنها صناعة السلاح، التي قال عنها البديري: " ان فيها من الاعاجيب والاقتراح ... " (٢٠٩) ، وقد احتوت (السلاح خاناه) (٢١٠) ، الخاصة بسلاطين المماليك على الانواع العديدة من الجواشن (٢١١) المذهبة، والخوذ المحلاة بالذهب والفضة والسيوف العربية والرماح والدروع، وقد وجد في العهد المملوكي سوق يعرف بسوق السلاح (٢١٢) ، تباع فيه من تلك الصنوف من الاسلحة، كما احتلت صناعة الجلود جانب كبير من الاهمية، لحاجة الناس الى الاحذية وسروج الخيل والاحزمة والقرب المصنوعة من الجلد (٢١٣) ، ومما يدل على انتشار هذه الصناعة ما يذكره البديري ومؤرخو العصر المملوكي عن وجود العديد من الاسواق المختصة منها سوق للسراجين (٢١٤) وسوق للحذائين (٢١٥) ، وسوق للاسكفة (٢١٦) ، كما انتشرت صناعة القباقيب ايضاً، فيذكر البديري: " وفيها صناعة ... وتفصيل القباقيب " (٢١٧) .

وصف البديري السماق فقال: هي "شجرة تنبت في الجبال والصخور طولها نحو ذراعين، وفيها ورق طويل ... وله ثمر شبيه بالعنقيد..." وقال هو بالعربية سماق الدباغين، انما سمي هكذا لان الدباغين يستعملونه في دباغة الجلود، (٢١٨) لعل ذلك يرشدنا الى اتجاهين اولهما: ان الدمشقيين عرفوا صناعة دباغة الجلود، واستثمروا السماق الموجود في بلادهم لذلك، والاتجاه الثاني يرشدنا الى وفرة الحيوانات من الاغنام والماعز

والجاموس اللف فقومون بدباغة جلودها؁ فضلاً عن توفر الاخشاب اللف فنتج من الزراعة وتستخدم فف الصناعات المختلفة؁ ذكر البدرف: " وففها تعمل صناعة القرصفية ودباغاتفا المرضفة". (٢١٩) .

ذكر البدرف: صناعة الاصباغ فعند حدفه عن الجوز قال: "وكذلك الصبّاغون فستعملون هذا القشر" (٢٢٠) ، والجوز الاخضر " اذا دق قشره الاخضر والقى معه ... وترك اسبوعاً معه فحرك ... ثم خُصّب به الشفب سوّدّه وكان منه صبغ عجب " (٢٢١) .

تحدث المؤرخ عن صناعة الاقمشة فف دمشق قائلاً: "ومن محاسن الشام ما فصنع ففها من القماش والنسف على تعداد نقوشه وضروبه ورسومه ومنها عمل القماش ... بكل اجناسه وانواعه ومنها عمل القماش ... على اختلاف اشكاله وتبافن اوصاله. ومنها عمل القماش الابفص القطنف المصور لا حفاء القصور؁ واموات القبور؁ وبها فبضاً من عمل القماش السابورف" (٢٢٢) بجمفع الوانه وحسن لمعانه" (٢٢٣) ، كما اشتهرت دمشق بجودة الصناعات الصوففة كالافرشة والاعبئة على اختلاف انواعفا الخسنة اللف فلبسفا الفلاحفن؁ وحقاكتفا بغافة الدقة والروعة والمتانة لتوفر المادة الاولفة؁ لانفا لباس عامة الفلاحفن؁ اما الاعبئة اللف فصنع من الصوف النحفف والوبر فمركزه قرفة جرمانا" (٢٢٤) ، وهذه تكون للامراء والكبراء فصدر منها للخارج ولاسفما بلاد فارس؁ كما فبتاع منها الحجاج موسم الحج؁ واشتهرت دمشق فبضاً بحقاكة العمائم والأزر (٢٢٥) القطنفة" (٢٢٦)؁ وففها صناعة الحرفر " (٢٢٧) ، قال البدرف: " ففها صناعة الموشى والمدهون بما تحثار به النواظر والعفون" (٢٢٨) .

ان ما فعزز ازدهار تلك الصناعات فف دمشق وجود الاسواق الكثرة ففها لفع تلك المنتجات المصنعة؁ منها سوقان لفع القطن احدىفا فف صالحفة دمشق عرف بسوق القطن والآخر بسوق القطنفن (٢٢٩) ، وذكر البدرف: " بتحت القلعة سوق للقماش المذروع وسوق قماش للمفط احدىفا للرجال والآخر للنساء وبها سوق للفراء والعفف وفر ذلك" (٢٣٠) ولعل السر فف شهرة الدفباج الدمشقف هو جودة صناعة الادهان والاصباغ اللف اشهرفا الزعفرانف والارجوانف.

امتدح ابن شداد (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) صناعات دمشق فقال: " ولأهلها الصنائع واللفظ والتأليف...وصبغه" ^(٢٣١) ، ويبدو ان دمشق اشتهرت بكل ما هو جميل وثمان فيذكر احد المؤرخين: ان لدمشق شهرتها في الصناعات الخزفية والفخارية البديعة منها " الاجانات والدوارق وأصاصي الزهور وغيرها " وهو يضاهي الخزف الصيني الجميل، كما عرفت دمشق صناعة القاشاني التي هي عنوان فخر ومباهاة وبه ترصف الجدران والمحاريب والفساقي والقماقم والزهريات وغيرها، والتي كانت تصنع من الرمل والجبس الابيض. ^(٢٣٢)

اشار المؤرخ الى صناعة الورق في دمشق لكثرة اخشاب الاشجار الموجودة فيها ^(٢٣٣) ، والتي قال عنها: "فيها تعمل صناعة القرطاس بحسن مقالة ونقي اوصاله" ^(٢٣٤)، وذكر ابن طولون ان هذه الصناعة تتم في الصالحية ومنها الى باقي مدن الشام ^(٢٣٥) .

وصفوة القول ان دمشق اشتهرت بالكثير من الصناعات التي تناقلها الناس وقال عنها البديري: " ان هذه الصنائع استخرجها الحكماء بحكمتها ثم تعلمها الناس منهم وبعضهم من بعض وصارت وراثه من الحكماء والعلماء ومن العلماء للمتعلمين ومن الاستاذين للتلامذة للصناع "... ^(٢٣٦)

٣- التجارة:

ازدهرت تجارة دمشق من الناحيتين الداخلية والخارجية منذ القدم، نتيجة لكثرة خيراتها، "الذي يحمل منها لغالب البلاد..." ^(٢٣٧) ، فقد نقل البديري ما ذكره احد المؤرخين عنها: " سحت البلاد ورأيت مابها من الاعاجيب...ودخلت الشام وتزهت في غوطتها اجدها... مشتبكة القرى والضياح لا تكاد الشمس تقع على ارضها لغزارة أشجارها واكتناف اغصانها " ^(٢٣٨) ، ويذكر احد المؤرخين ما ينقل من تجارة بلاد الشام تنقل الى الهند فقال: " يُجلب اليهم من الشام ثياب الحرير وثياب الكتان وثياب الصوف لان غنمهم جرداء لاصوف لها "، ويفهم من كلامه ان اصواف الغنم في بلاد الشام مشهورة ووفيرة وتصدر الى الخارج، فضلاً عن جودة انواعها، كما انهم يصدرون انواع الملابس، ويذكران " الزيت يُصدر من بلاد الشام الى مكة" ^(٢٣٩) ، فيذكر البديري: "... ان خيرها

لغير بنيتها"^(٢٤٠) ، ويذكر ياقوت (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٧م) : "ان بدمشق فواكه جيدة فائقة طيبة تحمل الى جميع ما حولها من البلاد"^(٢٤١) ، ولعل ما يبين كثرة تلك الفاكهة وجودة انواعها ورخص اسعارها، ما ذكره البديري: " اما الفواكه فلا قيمة لها فأني اشتري... بربع درهم وكذلك الرطل الدمشقي من المشمش ومثله من التفاح ... "^(٢٤٢) ، واشتهرت دمشق بتنوع ازهارها ووردوها الذي يستخرج ماء الورد الذي قال عنه البديري، ومن هذه الورد "يستخرجون بها ما ورد القاهرة المحروسة ومكة المشرفة وغيرهما من البلاد،^(٢٤٣) اي ما يصدر الى البلاد الاخرى ومن تجاراتها الاخرى الملابس التي تصدر الى البلاد المجاورة، ذكر الحميري: ان دمشق بها من " ضروب الصناعات، وانواع الثياب... ما يجهز به الى الآفاق " ^(٢٤٤) ، ويذكر البديري ان جُل صادراتها تذهب الى الديار المصرية فقال: " ما يحمل... عشرة قافات انفردت بها وهذه مسمياتها: قصب ذهب، قبع، قرصية، قرطاس، قوس، قبقاب، قراصيا، قمر الدين...، قريشة، قنب " ^(٢٤٥) ، لعل ذلك يبين ما انفردت به الشام من كل البضائع التي تصدر الى القاهرة، لعل من المهم ان نذكر انتشار صناعة الثلج في الشام، قال البديري: "وبها الثلج... ويحمل ثلج السلطان الى القاهرة مدة العام وما يستعمل بدمشق الجميع منها يخزنونه في حواصل معدة له " ^(٢٤٦) ، ولا ننسى ما كان لقوافل الحج الشامي الدور الكبير في المجتمع الدمشقي من جميع النواحي الدينية والسياسية والتجارية، ^(٢٤٧) فلا غرو ان نرى اهتمام المؤرخين بذكر اخبار هذه القوافل حين مرورها بالشام وخروجها منه ^(٢٤٨) .

ان ما يتبين مما تقدم ازدهار التجارة الداخلية والخارجية لبلاد الشام مع البلاد القريبة منها والبعيدة عنها، ولعل مما يدل على ذلك وجود الكثير من الاسواق، فقد ذكر المؤرخون اسماءً لاعداد كبيرة من الاسواق بعضها مختص بسلع معينة، كسوق الخيل، وسوق البطيخ، وسوق الصاغة وسوق القلانسيين وغيرها، ولعل مما يعزز وجود تلك الاسواق واتجاه التجار اليها هو وجود بعض العمائر التجارية الاخرى المتممة للاسواق كالفنادق، والقياسر^(٢٤٩) ، والخانات^(٢٥٠) ، والتي عمل سلاطين المماليك على انشائها على طول الطريق التجاري ما بين دمشق والقاهرة فقد ذكر المقريزي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤٤م) : "كانت طرق الشام عامرة ويوجد بها ما يحتاج اليه المسافرين زاد وماء وعلف وغيره، ...،

حتى ادركنا المرأة تسافر من القاهرة الى الشام بمفردها راكبة، او ماشية لا تحمل زاد ولا ماء... " (٢٥١) . لعل ذلك يبين الملامح الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة وثروة حيوانية وسمكية لدمشق الشام آنذاك.

الخلاصة

من دراستنا لموضوعات الكتاب، توصلنا الى العديد من النتائج ابرزها:

كان المؤرخ شاهد عيان على اءاءات عصره، فقد عاش صباه في مءينة دمشق مسقط رأسه في العصر المملوكي، وفي الفترة التي حكم فيها سلاطين المماليك الجراكسة، وواكب اكثر اءاءاته عن كئب، وانفرد بذكر العديد من الاخبار التي لم ترد عند غيره من المؤرخين.

تضمن الكتاب مائة غنية في التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والءيني، عاصر فيه المؤلف الكثير من الاءاءات، وتأتي اهمية الكتاب من صءق مؤلفه وصءق الرواة الذين نقل عنهم، كما نلاحظ تءلل الكتاب الآيات القرآنية، والاءاءاث النبوية الشريفة عن سندها اثناء الءءيث لعل ذلك نابعاً من بيئته الءينية التي تربى بها، او تأثره بحفظ القرآن الكريم ومرافقته للشيوخ والعلماء والقضاة.

اوءوى الكتاب على تفاصيل ءقيقة عن اوضاع دمشق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لم يكن البءري فيها ناقلاً حرفياً للواءاث والاءبار التي يورءها بل كان يختصر في كثير من الاءيان، او يتصرف في العبارات حسبما يقتضيه الموضوع، لكنه في اغلب الاءوال لا يميل الى الاطالة والاسهاب كما في التواريخ الطويلة والمشهورة.

اتبع المؤلف في تأليفه المنهج الوصفي عما كان يشاهده من اءاءات، واستعماله للكثير من المءسنات اللفظية، وميله الى الشعر اكثر من الكتابة التاريخية، كما اعءمء على النقل، من السابقين من العلماء والشعراء والاءباء وءتى الاطباء، لما كان ذلك سائءاً في عصره .

استعمل بعض الكلمات العامة الشائعة، على الرغم من اءخاله المءسنات البءيعية في الشعر، الا اننا لمسنا اءخاله لبعض منها، لعله بذلك اراد مناغمة عقول جميع من يقرأ كتابه ءتى البسطاء منهم، او لعل ذلك راجعاً الى تأثره بالموارد التي استقى منها مواضيعه، او لربما انطلق ذلك من احساسه بالبساطة التي يطرح بها تلك المواضيع، كما تءللت الكتاب بعض اللطائف والظرائف التي كتبها المؤرخ او نقلها عن مؤرخين اءرين.

يمكن اعتبار كتاب النزهة من المصادر الادبية، فضلاً عن كونه كتاب تاريخ وجغرافية لاحتوائه على الكثير من الاشعار والقصائد، لعل ذلك كان سائداً في عصره، او كما يقال اقرب الى العقول عند العرب فهم الشعر واسرع للحفظ فالشعر ديوان العرب، مما يفهم منها ميله الى الشعر والادب اكثر من التواريخ، ويجعله مصدراً لها الى جانب كونه احد كتب التاريخ، كما نراه مصدراً هاماً لأسماء الكتب والمؤلفات، التي نقل عن اصحابها من اشعارهم وتواريخهم.

تحدث الكتاب عن بعض الروايات التاريخية التي تعود الى العصرين الاموي والعباسي والزنكي، على الرغم من ان مؤلفه عاش في العصر المملوكي الجركسي، فأنا لم نجد الكثير من المصطلحات التركية والمملوكية التي كانت سائدة في عصره، كالاتابك والسلاح خانة، والطشت دار والباشنكير وغيرها مما نقرأها في المصادر التي عاش مؤرخوها في مثل عصره.

عرّف المؤلف في كتابه عن احوال دمشق الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، والتي ازدهرت بسبب موقع دمشق الجغرافي، الذي تحف به الانهار والمروج الخضراء، وتوسطها العالم الاسلامي اسوة ببغداد درة الدنيا، فضلاً عن وقوعها في طريق الحج الى مكة المكرمة ومرور القوافل التجارية بها، والتي اصبحت بفضلها ذات شهرة عالمية، لتوافر المواد الاولية الخام للصناعة ونتاجها للعقاقير الطبية، فضلاً عن المواد الغذائية والزيوت العطرية وغيرها .



- (١) شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٥هـ) ، ج ١١، ص ٤١.
- (٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١؛ الجبوري، كامل سلمان، معجم الادباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م) ، ج ١، ص ٤٧٧؛ الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط ١٥، (دار العلم للملايين، القاهرة، د.ت) ، ج ٢، ص ٦٦.
- (٣) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.
- (٤) البديري، نزهة الانام، ص ٧.
- (٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.
- (٦) البديري، نزهة الانام، ص ٨.
- (٧) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.
- (٨) بني الشحنة هم احد بيوتات دمشق والاعيان المعروفة آنذاك فيها تولوا المناصب الادارية واكثرهم من عمل في القضاء. للمزيد ينظر: الشوكاني، محمد بن علي (ت ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م) ، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، د.ت) ج ٢، ص ٢٦٣-٢٦٥.
- (٩) البديري، نزهة الانام، ص ٧.
- (١٠) وهم عنصر قوقازي الجنس، موطنهم مرتفعات جبل قبقاق بين البحر الاسود وبحر قزوين، سمو بهذا الاسم نسبة الى التاجر جركس الذي جلب المملوك برقوق مؤسس دولتهم، التي انتهت بمقتل آخر سلاطينهم طومان باي وتعليقه على باب زويلة. للمزيد ينظر: الصيرفي، علي بن داود (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، (دار الكتب، المملكة المتحدة، ١٩٧٠م) ، ص ٣٣؛ السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م) ، ص ٤٣١؛ العريني، السيد الباز، الممالك، (دار النهضة العربية، بيروت، د.ت) ص ٦٣.
- (١١) ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٩٦م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م) ، ج ١١، ص ١٨١؛ الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت ١١٨٥هـ / ١٧٦٩م) عجائب الآثار في التراجم والاخبار تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن وعبد العظيم رمضان، ط ٦، (مطبعة

- دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م) ، ج ١، ص ٣٦؛ الانصاري، ناصر، المجمل في تاريخ مصر، ط ٢، (دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م) ، ص ١٦٨.
- (١٢) من الوظائف المهمة في الدولة المملوكية ويطلق عليه ملك الامراء او كافل المملكة الشريفة وله صلاحيات كبيرة كمنح لقب الامارة وتوزيع الاقطاعات وتعيين الموظفين. للمزيد ينظر: المقرئ، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٤م) ، الخطط المقرئية، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب ومديحة الشرقاوي، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م) ، ج ٣، ص ٢١٥؛ الانصاري، المجمل في تاريخ مصر، ص ١٧٩.
- (١٣) هو ابو سعيد بن عبدالله العلاني الظاهري سلطان الديار المصرية والبلاد الشامية وهو العاشر من ملوك الترك الجراكسة. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٩٦م) حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، تحقيق: محمد كمال الدين عزالدين (عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م) ، ج ١، ص ٨٩؛ السخاوي، الضوء اللامع، ج ٣، ص ٧١؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) ، نظم العقيان في اعيان الاعيان (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٠م) ، ص ٦٧.
- (١٤) ابن طولون، شمس الدين محمد بن (ت ٨٥٣هـ/١٤٧٦م) ، اعلام الوري بمن ولي نائباً من الاتراك على دمشق الكبرى، تحقيق: محمد احمد دهمان، (دار الفكر، دمشق، ١٩٦٤م) ، ج ١، ص ٧٢؛ ابن سباط، حمزة بن احمد بن عمر (ت ٩٢٦هـ/١٩٢٠م) ، صدق الاخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (مطبعة جرس برس، لبنان، ١٩٩٣م) ، ج ٢، ص ٧٩٣.
- (١٥) البديري، نزهة الانام، ص ٦.
- (١٦) المنصور عثمان بن السلطان الظاهر جقمق تسلطن بعد وفاة والده، ولم تدم مدته فخلع. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦، ص ٤٤؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، بيروت، ١٩٦٧م) ، ج ٢، ص ٨٠.
- (١٧) ابن تغري بردي، حوادث الدهور، ج ٢، ص ٣٩٨؛ ابن سباط، صدق الاخبار، ج ٢، ص ٨٠١.
- (١٨) اينال العلاني: هو السلطان الملك الاشرف الظاهري، ابو النصر كان حكمه كله جور وانقاد في اموره كلها الى زوجته فزاد البلاء وعم الغلاء والضرر على الفقراء، انشا المدرسة والتربة المقابلة لها التي دفن بها للمزيد ينظر: السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) ، وجيز الكلام في النيل على دول الاسلام، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م) ، ج ٢، ص ٦٧٤؛ السيوطي، نظم العقيان، ص ٦٠.

- (١٩) ابن اياس، ابو البركات محمد بن احمد (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٣م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، (مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م) ، ص ٣٤٤.
- (٢٠) ابن سباط، صدق الاخبار، ج ٢، ص ٨٠٣.
- (٢١) جلبان المؤيدي: اصله من البهنسا لم يمسه الرق انتقلت به الاحوال الى ان صار نائب الشام، وكان قد ولي قبله نيابة حماة والتي استمر بها نحو خمسة عشر سنة، ثم انتقل الى نيابة طرابلس وحلب ثم الى الشام. للمزيد ينظر: ابن طولون، اعلام الوري، ص ٧٤؛
- (٢٢) قانباوي الحمزاوي: ولي نيابة بعد جلبان المؤيدي، وكان نائب حلب حضر منها الى دمشق وكان دخوله اليها يوماً مشهوداً. للمزيد ينظر: ابن طولون، اعلام الوري، ص ٧٥.
- (٢٣) هي دار العدل التي انشأها نور الدين زنكي ثم صارت تسمى دار السعادة، وفي العصر المملوكي اصبحت مقراً للنواب وهي مجاورة للمدرسة العذراوية ويقرب باب النصر الذي يقع مجاور لبرج القلعة القائم في الزاوية الجنوبية الغربية. ينظر: ابن عبد الهادي، يوسف ابي عبد الله بن الحسن بن أحمد (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م) ، ثمار المقاصد في ذكر المساجد وذيله، تحقيق: محمد اسعد طلس، (بيروت، لبنان، ١٩٤٣م) ، ص ١٤٢؛ النعيمي، عبد القادر بن محمد (ت ٩٣٧هـ/١٥٣٧م) دور القرآن في دمشق، تعليق: صلاح الدين المنجد، (دمط، دمشق، ١٩٤٦م) ، ص ٧١؛ ابن كنان، محمد بن عيسى (١١٥٣هـ/١٧٤٠م) ، حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلطين، تحقيق: عباس صباغ، (دار النفائس، بيروت، ١٩٩١م) ، ص ١٩١.
- (٢٤) ابن طولون، اعلام الوري، ص ٧٤؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ص ٣٦٩.
- (٢٥) المؤيد هوابو الفتح شهاب الدين احمد بن الملك الاشرف اينال العلائي الناصري السابع والثلاثين من ملوك الترك بالديار المصرية، بويغ بالسلطة في حياة والده. للمزيد ينظر: السيوطي، نظم العقيان، ص ٢٠؛ ابن اياس، بدائع الزهور، ص ٣٧١.
- (٢٦) خشدقم: هو ابو سعيد سيف الدين الناصري، اصله رومي جلبه الخواجا ناصر الدين، واشتره الملك المؤيد وصار جمدار، ثم صار رأس نوبة، وترقى في المراتب الى ان تملك، وهاول ملوك الروم بمصر. للمزيد ينظر: ابن طولون، اعلام الوري، ص ٨٢؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٠.
- (٢٧) قانتيباي: هو الملك الاشرف قانتيباي بن عبدالله الشركسي المحمودي آخر الملوك العادلة، ترقى في المراتب حتى تسلطن كان محباً لافعال الخير مقربا العلماء والصالحين محبا للفقراء كثير العبادة، كسر عساكر الروم دفعتين ومهد الممالك. للمزيد ينظر: ابن سباط، صدق الاخبار، ج ٢، ص ٩٠٩؛ الشوكاني البدر الطالع، ج ٢، ص ٥٦.

(٢٨) هو ابن السلطان الشهيد الملك المنصور سيف الدين ابو الفتح قلاوون الصالحي اعتلى العرش بعد وفاة اخيه السلطان الاشرف خليل واغتصب منه عرشه لأكثر من مرة وعاد اليه، انتصر على المغول والاعراب وقضى على الصليبيين وظل الحكم في اعقابه من اولاده واحفاده لأكثر من اربعين عاماً. للمزيد ينظر: ابن الجزري، شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ابي بكر القرشي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، تاريخ حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاكابر والاعيان من انبائه، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م)، ج ١، ص ٥٥-٥٦؛ المقرئ، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٤م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م)، ج ٣، ص ٢٨٩-٣٢٢.

(٢٩) مقدمي الألوفا: وهم امرء من اعلى الممالك قدراً عدة كل منهم مائة فارس، ومنهم من يكون من اصحاب الوظائف الكبرى. للمزيد ينظر: القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/١٤٥٥م) صبح الاعشى في صناعة الانشا، (مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٢م)، ج ٤، ص ١٤-٣٧؛ قاسم، قاسم عبده، عصر سلاطين الممالك التاريخية السياسي والاجتماعي، مؤسسة عين للدراسات، القاهرة، ١٩٦٦م)، ص ٣٤.

(٣٠) تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٠.

(٣١) الشهادة: او الشهود موظفين لدى قاضي القضاة يعينهم في المحاكم ويعزلهم متى شاء، ومع تقدم الزمن اصبح هؤلاء على اطلاع واسع في امور القضاء. للمزيد ينظر: ابن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣هـ/١٥٧٦م)، القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحيّة، تحقيق: محمد احمد دهمان، (مطبعة مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٤٩م)، ص ٢٢.

(٣٢) الانصاري، شرف الدين موسى بن يوسف (ت ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)، نزهة الخاطر وبهجة الناظر، تحقيق: عدنان محمد ابراهيم، مراجعة: عدنان درويش، (دار احياء التراث العربي، سورية، ١٩٩١م)، ص ١٠.

(٣٣) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.

(٣٤) الامشاطي: هو الشهاب العنتابي احمد بن حسن بن اسماعيل بن يعقوب بن اسماعيل وعرف هو وكل من ولديه محمد ومحمود بالامشاطي. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج ١، ص ٢٧٣؛ ابن القاضي، ابي العباس احمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م)، درة الحجال في اسماء الرجال، تحقيق: محمد الاحمدي ابو النور، (المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠م)، ج ١، ص ٨.

(٣٥) هو عبد الرزاق بن محمد بن يوسف بن عبد الرزاق القبطي الاصل القاهري الشاذلي الحنفي ويعرف بابن عجين امه نشأ في القاهرة فحفظ القرآن ولازم شيخ الحنفية ابا العباس المرسي وكان للمناوي والامشاطي لهم فيه اعتقاد بحيث اسكنه الاخير في البروقية وكان كثير الحفظ للشعر والتاريخ والادب .للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج٤، ص١٩٦-١٩٧.

(٣٦) الضوء اللامع، ج١١، ص٤١.

(٣٧) هي المدرسة التي انشأها السلطان الظاهر برقوق اول سلاطين الجراكسة سنة ٧٨٧هـ وتسمى ايضا الظاهرية كانت مدة العمل فيها سنة كاملة، وكان المباشر للعمل بها الامير جركس الخليلي. للمزيد ينظر: ابن كنان، حقائق الياسمين، ص١١٦؛ مبارك، علي باشا، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، (المطبعة الاميرية، بولاق، ١٣٠٦هـ)، ج١، ص٤١.

(٣٨) النسخ: من نسخ الشيء نسخاً وانتسخه واستنسخه: اكتبه اي نقله عن الاصل حرفاً بحرف، والكاتب ناسخ. للمزيد ينظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الافغاني المصري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم الشاذلي، (دار المعارف، القاهرة، د.ت)، مج٦، ص ٤٤٠٧.

(٣٩) الضوء اللامع، ج١١، ص٤١.

(٤٠) السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص٤١.

(٤١) البديري، نزهة الانام، ص٨-٩.

(٤٢) البديري، نزهة الانام، ص٥.

(٤٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص٤١.

(٤٤) الهجاء: من هجا يهجو وقع فيه بالشعر وسبه وعابه، وهو غرض من اغراض الشعر وهو نقيض المديح الذي هو حسن الثناء، بما فيه من الصفات الجميلة. للمزيد ينظر: الازهري، ابي منصور محمد بن احمد (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م) تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الكريم الغريايي ومراجعة محمد علي النجار، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م) ج٤، ص٤٣٤؛ ابن منظور، لسان العرب، مج٦، ص٤١٥٦؛ الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقري (ت ٧٧٠هـ / ١٣٦٨م) المصباح المنير، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م)، ص٢١٦، ص٢٤٣.

(٤٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج١١، ص٤١.

(٤٦) التقريض: هو البحث عن احوال الكلمات الشعرية من حيث حسنها وقبحها، وغايته الاحتراز من الوقوع في الخطأ عند الايراد. طاش كبري زادة، احمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م)، ج١، ص٢٠٤.

(٤٧) الباعوني: هو ابراهيم بن احمد بن ناصر بن خليفة بن فرج قاضي قضاة دمشق سمع من ابي الفضل العراقي وغيره ومن والده شهاب الدين القاضي، وبرع في النظم والنثر واختصر الصحاح وله ديوان شعر وديوان خطب توفي سنة ٨٧٠هـ. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ/١٤٩٦م)، الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: محمد فهم شلتوت، ط٢، (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م)، ج١، ص٧؛ ابن العماد، ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٣م)، ج٩، ص٥٨؛ الشوكاني، البدر الطالع، ج١، ص٨.

(٤٨) الشهاب الحجازي: هو ابو العباس وابو الطيب احمد بن محمد بن ابراهيم الزكي الانصاري الخزرجي اوجد ائمة عصره في الادب قرأ القرآن والعمدة والتنبيه وغيرها، كان حلو المجالسة والكلام سريع الحفظ. للمزيد ينظر: السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٨٤٢ والضوء اللامع، ج٢، ص١٤٧؛ السيوطي، نظم العقيان، ص٣٨.

(٤٩) المنصوري: هو ابو العباس احمد بن محمد بن علي بن محمد السلمي الشافعي ثم الحنبلي ويعرف بابن الهائم وبالقائم برع في الشعر وفنونه وتفرّد في آخر عمره وله ديوان كبير. للمزيد ينظر: السخاوي، وجيز الكلام، ج٢، ص٢١٠؛ السيوطي، نظم العقيان، ص٤٧؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج٩، ص٥١٨.

(٥٠) نزهة الانام، ص٣٠١.

(٥١) ابن قرقماس: هو ناصر الدين محمد شيخ الحنفية اشتغل على الشيخ عبد السلام البغدادي وغيره، ومال الى الادب وعلم الحرف له مجاميع من الكتب منها زهر الربيع في البديع وغيره توفي سنة ٨٨٢هـ. للمزيد ينظر: السيوطي، نظم العقيان، ص١٠٤.

(٥٢) الضوء اللامع، ج١١، ص٤١.

(٥٣) الاجازة: لغة من جاز يحيز وهي التمكين والكفاية او الاذن، وفي المصطلح: ان يمنح عالم موافقته لطالبه بتدريس علم او كتاب، او يأذن له برواية مسموعاتها و مؤلفاته وان لم يسمعها منها او يقرأها عليه. للمزيد ينظر: الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م) العين، تحقيق: عبد الحميد هنداي، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت)، ج١، ص٢٣٦؛ ابن منظور، لسان العرب، مج٧، ص٥٢٩؛ الصالح، صبحي ابراهيم مصطفى، علوم الحديث ومصطلحه، (دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٩م) ص٩٢.

(٥٤) الضوء اللامع، ج١١، ص٤١.

(٥٥) السمهودي: علي بن عبدالله بن ابي الحسن علي بن عيسى الشافعي المتوفى (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) نزيل الحرمين كان والده من اعيان سمرهود وعدو لها فنشأ بها وحفظ القرآن والمنهاج وسمع على والده وجاور بالحرمين واستقر بالمدينة حتى صار شيخها، وقل ان لا يكون احد من اهلها لم يأخذ عنه، الف كتابه المشهور وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى سنة ٨٨٦هـ. للمزيد ينظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج ٥، ص ٢٤٥-٢٤٧؛ كتابه، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: قاسم السامرائي، (مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، مكة المكرمة، ٢٠٠١م)، ج ١، ص ٩.

(٥٦) الرواية: من روى يروي وهي نقل الاحاديث النبوية الشريفة بالاسناد، او رواية الشعر، والراوي هو من يروي الحديث والشعر. للمزيد ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج ٣، ص ١٧٨٦؛ البستاني، بطرس، محيط المحيط، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م)، ص ٣٦١.

(٥٧) الدراية: هي علم اصول الحديث، وهي مجموعة من المباحث والمسائل يعرف بها حال الراوي من حيث القبول والرد. للمزيد ينظر: الصالح، علوم الحديث و مصطلحه، ص ١٠٧.

(٥٨) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤٢.

(٥٩) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.

(٦٠) الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤٢.

(٦١) ابن الجيعان: هوايو البركات احمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني القاهري عرف هو والده بابن الجيعان ووالده (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م) صاحب كتاب التحفة السنية باخبار البلاد المصرية، كما كتب والده الروك الناصري آخر روك بمصر.

(٦٢) ابن الجيعان، ابو البركات احمد بن يحيى بن شاكر بن عبد الغني القاهري (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) القول المستطرف في سفر الملك الاشرف قاتيباي، تحقيق: محمد زينهم عزب، (دار الثقافة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م)، ص ٦.

(٦٣) البديري، نزهة الانام، ينظر: مثلاً ص ٣٣، ص ٧٩، ص ١٧٢، ص ٢٨٧.

(٦٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١؛ الجبوري، معجم الادباء، ج ١، ص ٤٧٧؛ الزركلي، الاعلام، ج ٢، ص ٦٦.

(٦٥) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥م)، ج ٢، ص ١٨١.

(٦٦) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١١٩٨.

(٦٧) البديري، نزهة الانام، ص ٦٢.

(٦٨) الجبوري، معجم الادباء، ج ١، ص ٤٧٧؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ١، ص ٨٩٢؛ الزركلي، الاعلام، ج ٢، ص ٦٦.

(٦٩) نزهة الانام، الغلاف؛ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج ٢، ص ١٨٩.

(٧٠) الطور في كلام العرب الجبل، واهل اللغة لا يسمونه طوراً حتى يكون ذا شجر، ويقال لجميع بلاد الشام الطور، والطور كورة تشتمل عدة قرى تعرف بهذا الاسم بأرض مصر القبلية بالقرب من جبل فاران، ولا خلاف في ان الشام يسمى طور سيناء. للمزيد ينظر: ياقوت الحموي، ابي عبد الله بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م)، مج ٤، ص ٤٧؛ الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ / ١٥٠٠م)، الروض المعطار في خير الاقطار، تحقيق: احسان عباس، (دار القلم للطباعة، بيروت، ١٩٨٦م)، ص ٣٩٧.

(٧١) غزة مدينة أقصى الشام من ناحية مصر بينهما وبين عسقلان فرسخان او اقل، وهي من نواحي فلسطين. للمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، مج ٤، ص ٢٠٢؛ الادريسي، محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٣م)، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، (مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت)، مج ١، ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٧٢) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤٢؛ الجبوري، معجم الادباء، ج ١، ص ٤٧٧.

(٧٣) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤٢؛ الزركلي، الاعلام، ج ٢، ص ٦٦.

(٧٤) السخاوي، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤٢.

(٧٥) نزهة الانام، ص ٣ مقدمة الناشر.

(٧٦) نزهة الانام، ص ٧.

(٧٧) الغوطة: احدى كور دمشق، جنة الله في ارضه، وهي متصلة بباب الفرائيس، وهي مجتمع النباتات تسقيها الانهار التي تمتد عبرها وتسقي بساكنيها وزروعها. للمزيد ينظر: البكري، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٥م)، ج ٣، ص ١٠٠٩؛ ياقوت، معجم البلدان، مج ٤، ص ٢١٩.

(٧٨) البيت من الشَّعْر او الخيمة وجمعها فساطيط وعرف المسلمين مصر قديماً بالفسطاط. ابن منظور، لسان العرب، مج ٥، ص ٣٤١٣؛ الفيومي، المصباح المنير، ص ١٨٠.

(٧٩) نزهة الانام، ص ١١.

(٨٠) نزهة الانام، ص ٣٥٦-٣٦١.

(٨١) هو الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك بن مروان الذي انشأ جامع دمشق في عهده، وفي ايامه افتتحت بلاد الهند والترك والاندلس. للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ١، ص ٨٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ١، ص ٣٨٨.

(٨٢) نزهة الانام، ص ٥١.

(٨٣) نزهة الانام، ص ٥٢.

(٨٤) الرُبوة: بضم أوله وفتح وكسره، واصلها ما أرتفع من الارض وجمعها رُبى، وقال الله عزوجل "واويناها الى رُبوة ذات قرار ومعين"، وقال المفسرون انها دمشق ذات قرار اي قرار من العيش. للمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، مج ٣، ص ٢٦.

(٨٥) نزهة الانام، ص ٨٢.

(٨٦) الزيداني: وصفها البديري بأنها قلعة الورود يستخرجون منه ماء الورد الذي يرسلونه الى القاهرة ومكة المشرفة، وكذا فاكهتها. للمزيد ينظر: نزهة الانام، ص ١١٨.

(٧٨) نزهة الانام، ص ٩١-١٠٢.

(٨٨) الحواكير شبهها البديري بأنها كالحقائق، تقع في سفح قاسيون. نزهة الانام، ص ١٠٢.

(٨٩) نزهة الانام، ص ١٢١-١٣٣.

(٩٠) المزة: المزة بالكسر والتشديد، اسم اعجمي لم يعرف له في العربية معنى، و هي قرية كبيرة غناء وسط دمشق من اعظم قراها، بينها وبين دمشق فرسخ واحد، وينسب اليها الشيخ جمال الدين يوسف بن الزكي الكلبي المزي وكثير سواه من العلماء. للمزيد ينظر: البكري، معجم ما استعجم، ج ٤، ص ١٢٢٢؛ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)، آثار البلاد واخبار العباد، ط ٣، (دار صادر، بيروت، ٢٠١١م)، ص ٢٦٣.

(٩١) داريا: قرية من قرى دمشق بالغوطة، قال البديري بها قبر السيدان الجليلان ابو سليمان الداراني وابو مسلم الخولاني. للمزيد ينظر. نزهة الانام، ص ٢١٩؛ ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ١٥٧.

(٩٢) بيت لاهيا قال عنه البديري: انه مكان مبارك يزار ومن الناس من يسميه بيت الالهة . للمزيد ينظر: نزهة الانام، ص ٢٦٨؛ ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ١٥٤.

(٩٣) الصالحية تعرف بعروس الشام احدى مناطق دمشق الجميلة وسميت بهذا الاسم لسكنى جماعة من الصالحين من اهل بيت المقدس بها لعلمهم وتقواهم وهي ممتدة من سفح الجبل بالقرب من نهر يزيد وهي ذات بيوت ومدارس وريط وخانقوات واسواق عظيمة وجامع وبها الكثير من قبور الصالحين وجل سكانها من الحنابلة . للمزيد ينظر: ياقوت، معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٩٠؛ ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تحفة النظار في عجائب الامصار

- المعروف برحلة ابن بطوطة، ط٣، (دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩م)، ص٦٠؛ ابن طولون، القلائد الجوهريّة، ص٨؛ وينظر ما ذكره البدرى، نزهة الانام، ص٣٢٠.
- (٩٤) قاسيون قال عنه البدرى: هو جبل مبارك به آثار الانبياء والصحابه والاولياء، وبه الكهف يقال: انه كهف اصحاب القصة، وبه مغارة الدم. للمزيد ينظر: نزهة الانام، ص٣٣٩.
- (٩٥) نزهة الانام، ص٣٦٢.
- (٩٦) نزهة الانام، ص٣٧٤-٣٨٥.
- (٩٧) ذكر المؤلف ان بها ثلاثة ابواب هي باب جيرون، وباب البريد، وباب الفراديس، وان هذه الابواب اذا اغلقت تحصنت المدينة. نزهة الانام، ص٢١.
- (٩٨) نزهة الانام، ص١٥-١٩.
- (٩٩) باب كيسان هو الباب الشمالي لدمشق وينسب الى كيسان مولى معاوية بن ابي سفيان لانه اول من نزل بقريةها. ينظر: الصفدي، تحفة ذوي الالباب، ج١، ص٢١٨؛ البدرى، نزهة الانام، ص٢٤.
- (١٠٠) باب توما: هي احدى ابواب دمشق قال عنها البدرى: انها من شام البلد ينسب الى عظيم من عظماء الروم، وسمي بأسمه وكان له عليها كنيسة. للمزيد ينظر: نزهة الانام، ص٢٤-٢٥.
- (١٠١) نزهة الانام، ص٢٥.
- (١٠٢) نزهة الانام، ص٢٧.
- (١٠٣) نزهة الانام، ص٢٩.
- (١٠٤) نزهة الانام، ص٦٦، ص٧٣، ص٨٠، ص٩٦.
- (١٠٥) نزهة الانام، ص٣٦٦.
- (١٠٦) نزهة الانام، ص١٠.
- (١٠٧) الجبوري، معجم الادباء، ج١، ص٤٧٧.
- (١٠٨) باب جيرون: بناها جيرون بن عاد، الروض المعطار، ص١٨٦.
- (١٠٩) الباب الصغير: هو اقدم ابواب دمشق الاصلية السبعة التي اختطها اليونان واطلق عليه اسم الباب الصغير بعد الفتح الاسلامي لمدينة دمشق لكونه اصغر ابواب المدينة، وفي العهد الايوبي قام الملك المعظم عيسى بتجديده ومن اسمائه الاخرى الباب القبلي وباب الحديد. ينظر: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، ج٢، ص٨٥، ص١٥٨؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج١، ص٢٦، ج٢، ص٢١٣.
- قال البدرى: وهو الذي نزل عليه يزيد بن ابي سفيان في حصار المسلمين للروم ودخل منه وسمي بذلك لانه اصغر ابوابها حين بنيت. للمزيد ينظر: نزهة الانام، ص٢٤.

(١١٠) احد خلفاء بني امية عقد له ابوه بولاية العهد من بعده، وتسلم الملك عند موت ابيه وله ثلاث وثلاثين سنة وبقيت دولته اقل من اربع سنوات غزا خلالها القسطنطينية توفي سنة اربع وستين للهجرة. للمزيد ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م)، ج٤، ص٣٥-٤٠.

(١١١) نزهة الانام، ص٢٤.

(١١٢) قال البدرى: ان من افتتحها هو المرحوم نور الدين محمود بن زنكي الشهيد. نزهة الانام، ص٢٦.

(١١٣) محمود بن زنكي: هو الملك العادل نورالدين صاحب حلب تملك بعد ابيه، وكان شديد المهابة حسن التواضع، كامل العقل هزم الفرنجة اكثر من مرة توفي سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (دار صادر، بيروت، د.ت)، ج٢، ص٨٧؛ الذهبي، العبر في خبر من عبر وذيله، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بسيوني بن زغلول، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م)، ج٣، ص٥٨.

(١١٤) نزهة الانام، ص٢٦.

(١١٥) قال البدرى: ان من فتحها هو الملك الناصر بن ايوب. نزهة الانام، ص٢٨.

(١١٦) الناصر بن ايوب: هو السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادي ولد في قلعة تكريت في العراق من ابوين كرديين تقدم في المناصب مع عمه اسد الدين شيركوه الى ان تولى السلطنة وخاض المعارك العظام وهزم الفرنجة والصليبيين واشهر معركة هي معركة حطين سنة (٥٨٣هـ/١١٨٧م). للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٧، ص١٣٩-١٥٥؛ الياضي، عفيف الدين ابي محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م)، ج٣، ص٣٣٣-٣٥٢.

(١١٧) نزهة الانام، ص٢٨.

(١١٨) هو القائد عامر بن عبد الله بن الجراح عرف بأمين الامة احد العشرة الذين شهد لهم الرسول(ص) بالجنة. للمزيد ينظر: ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٥، ص٤٣٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج١، ص١٦٦.

(١١٩) نزهة الانام، ص٣٠.

(١٢٠) قبة النسر: هي اكبر قباب الجامع الاموي وعرفت بهذا الاسم لان رواقاتها التي على يمينها ويسارها تشبه اجنحة النسر. للمزيد ينظر: ابن طولون، اعلام الوري، ص١٠٧؛ ابن كنان، حقائق الياسمين، ص٩٨.

(١٢١) نزهة الانام، ص٣٤-٤٥.

(١٢٢) هو الجامع الذي انشأه نائب الشام تنكز وعرف باسمه ويقع بالقرب من باب النصر باتجاه حكر السماق على نهر بانياس بدمشق واستمر ببناءه مدة سنة كاملة وجعل فيه ماذنة من اجمل مآذن العهد المملوكي، كان افتتحه يوما مشهودا. ينظر: ابن بن عبد الهادي، نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق بدمشق، (نشر حبيب الزيات، د٠ت)، ص١٩؛ طلس، ذيل ثمار المقاصد، ص٢٠٢.

(١٢٣) تنكز الحسامي هو الامير الكبير المهيب العادل ابو سعيد سيف الدين الاشر في الناصري، نائب السلطة بدمشق، جلب إلى مصر وهو صغير فاشترته الملك الأشرف ثم صار إلى الناصر فجعله أمير عسكره أصبح نائباً على الشام وقام بفتح ملطية ورجع بأسرى وغنائم ومال كثير فعظم شأنه وهابه الأمراء والنواب، ومكث في نيابتها الى وفاته للمزيد عنه ينظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٩، ص١١٧؛ ابن طولون، اعلام الوري، ص٣٨-٤١.

(١٢٤) ميدان القلعة: وعرف بالميدان الاخضر ويقع الى جانب القصر الابلق وتطل عليه قلعة دمشق. للمزيد ينظر: ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص١٢٣.

(١٢٥) نزهة الانام، ص٦.

(١٢٦) نزهة الانام، ص٦٠.

(١٢٧) نزهة الانام، ص١٢٥، ص٣٣٤، ص٣٣٧.

(١٢٨) نزهة الانام، ص٦.

(١٢٩) نزهة الانام، ص١١٨.

(١٣٠) نزهة الانام، ص٦.

(١٣١) نزهة الانام، ص١١.

(١٣٢) هو السلطان ركن الدين ابو الفتوح الصالح النجمي تسلطن بعد مقتل المظفر قطز اصله تركي أخذ من بلاده، عرف بالبندقاري ترقى في المناصب تسلطن بعد مقتل قطز ولقب بالملك الظاهر ووضع الاساس القوي لبناء دولة المماليك ويعد المؤسس الحقيقي لها، للمزيد ينظر: بيبيرس المنصوري، ركن الدين بن عبد الله الخطائي (ت٧٢٥هـ / ١٣٢٤م) مختار الاخبار تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣م)، ص١٢؛ المقرئزي، السلوك، ج١، ص٥٢٠-٥٢٢.

(١٣٣) نهر بردى: احد انهار بلاد الشام قال عنه البدرى: يمر على قرية الزبدانى كالبحر الى ان يلتقى على قرية الففجة. نزهة الانام، ص ٩١-٩٤.

(١٣٤) نزهة الانام، ص ٧٤.

(١٣٥) جامع الافرم يقع هذا الجامع فى حارة الفواخير انشاء الامير جمال الدين نائب السلطان الافرم نائب السلطنة بالصالحفة واول من خطب به هو شمس الدين ابى البركات محمد بن ابى العز الحنفى .للمزفد ففظر: ابن عبد الهادى، ثمار المقاصد، ص ١٥٧؛ النعمى، الدارس، ص ٥٦٦.

(١٣٦) المدرسة الناصرفة: هى من احسن المدارس فى ببناءها تقع مقابل الجامع الافرم وقد بنفب قبله بناها السلطان الناصر صلاح الدين. للمزفد ففظر: ابن عبد الهادى، ثمار المقاصد، ص ١٥٧؛ النعمى، الدارس، ص ٥٧٠.

(١٣٧) نزهة الانام، ص ٢٢١.

(١٣٨) السخاوى، الضوء اللامع، ج ١١، ص ٤١.

(١٣٩) هو شرف الدين محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسين بن عففن شاعر دمشقى واحد شعراء العصر العباسى نفاه السلطان صلاح الدين ففتقل فى البلاد أمتدح الملك العادل وتقرّب منه فولاه الكتابة والوزارة ثم للملك المعظم بدمشق آخر دولته ، ولم ففكن من هو فى جودة شعره، ولم ففسلم أحد من هجائه .للمزفد ففظر: الغسانى، ابو العباس اسماعفل بن العباس بن على بن داود بن فوسف (ت ٨٠٣هـ/١٤٠١م) العسجد المسبوك والجوهر المحكوك فى طبقات الخلفاء والملوك، (دار التراث العربى، بفروت، د.ت) ، ج ٥، ص ٤٥٦؛ الدلجى، احمد بن على (ت ٨٣٨هـ/١٤٢٤م)، الفلاكة والمفلكون، (دار الكتب العلمفة، بفروت، لبنان، ١٩٩٣م) ، ص ٩٨ .

(١٤٠) ابن نباته: هو الشاعر جمال الدين محمد بن نباته المصرى المولد والنشاء والوفاة اخذ العلم عن شيوخ عصره وبرع ففه وفاق اهل زمانه ونبغ على اقرانه حتى اصبح امام زمانه فى العلم والادب .للمزفد ففظر: ابن العراقى، ولى الدين ابى زرة احمد بن الحسين بن عبد الرحفم (ت ٨٢٦هـ/١٤٢٩م) ، الذفل على العبر، (مؤسسة الرسالة، بفروت، ١٩٨٩م) ، ج ١، ص ٢١٩-٢٢٢؛ ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ٢١٦-٢٢٣.

(١٤١) ابن رشفق: هو ابو على الحسن بن رشفق احد الافاضل البلغاء له تصانفب عففدة منها كتاب العمدة فى صناعة الشعر ونقده وعفوبه وكتاب الانموزج والرسائل الفائقة والنظم الجفد. للمزفد ففظر: ابن خلكان، وففات الاعفان، ج ٢، ص ٨٥؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٢٣٧.

(١٤٢) الصفدف: هو صلاح الدين خفل بن ففبك باشر كتابة الانشاء بمصر وكتابة السر بطلب ووكالة بفبب المال بدمشق وتوففب الدست ففها قرأ الحديث وكتب الطباق ودرس الفقه واخذ الادب عن ابن نباته والنحو عن ابى عفان وكتب الخط الملفب وبرع فى النظم والف فى التاريخ واللغة

والادب .للمزيد ينظر: ابن حجر، الدرر الكامنة، ج ٢، ص ٨٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٤، ص ٣٠٣؛ ابن العراقي، الذيل على العبر، ج ١، ص ١٣٤.

(١٤٣) نزهة الانام، ص ٤٦.

(١٤٤) هو محي الدين عبد الله بن رشيد بن عبد الظاهر بن نشوان بن علي بن نجدة السعدي الروحي الزنباغي، كاتب الإنشاء بالديار المصرية، من ارباب المروءات وساداتها، كثير الاحسان إلى الناس وهو او لمن سمي بصاحب ديوان الانشاء مولده بالقاهرة وتوفي بها ودفن بتربته التي أنشأها لنفسه بالقرافة .للمزيد ينظر: ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ١٧٥؛ الصقاعي، فضل الله بن ابي الفخر (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٨م) ، تالي وفيات الاعيان، تحقيق: جاكين سويله، (مطبعة المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٧٤م) ، ص ١١٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٧، ص ٦٦٢؛ المقريزي، السلوك، ج ٢، ص ٢٤٢.

(١٤٥) نزهة الانام، ص ٧٥.

(١٤٦) ابن سناء الملك: هو الشاعر ابو القاسم هبة الله بن القاضي الرشيد ابي الفضل جعفر بن المعتمد صاحب الشعر البديع والنظم الرائق، احد الفضلاء النبلاء كثير التخصص اختصر كتاب الحيوان للجاحظ وله ديوان جميعه موشحات سماه دار الطراز جمع فيه الرسائل التي بين القاضي الفاضل وبينه توفي سنة (٦٠٨هـ/١٢١١م) .للمزيد ينظر: ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج ٦، ص ٦١؛ الذهبي، العبر، ج ٣، ص ١٤٩.

(١٤٧) نزهة الانام، ص ٢٢٣.

(١٤٨) هو الشيخ ابراهيم بن شرف الدين بن عبد الله، لازم علماء عصره في الفنون وبرع بها وفاق في النظم والشعر له ديوان مات بمكة سنة (٨٨١هـ/١٤٧٦م) للمزيد ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٧٢؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ج ٢، ص ٢٦٩.

(١٤٩) نزهة الانام، ص ٨٩، ص ٩١، ص ٩٢، ص ١١٠.

(١٥٠) هو تقي الدين ابو بكر بن علي الحموي رأس ادباء العصر نزيل القاهرة، صاحب البديعية المشهورة وثمار الاوراق مات سنة (٨٣٧هـ/١٤٣٣م) .للمزيد ينظر: السيوطي، حسن المحاضرة، ج ١، ص ٥٧٣.

(١٥١) نزهة الانام، ص ١١١، ص ١١٤، ص ١٢٦.

(١٥٢) ابن عساكر: هو ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين بن عساكر وليس في اجداده اسم عساكر وانما لقب اشتهروا فيه وهومن بيت القضاء والحديث والفقهاء صاحب المؤلف الكبير تاريخ دمشق للمزيد ينظر: الذهبي، العبر، ج ٣، ص ٦٠؛ الياضي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٢٩٧.

- (١٥٣) هو العلامة ابو الفرج عبد الرحمن بن علي سمي الجوزي نسبة الى محلة الجوز بالبصرة التي ينتسب اليها اجداده صنف العديد من التصنيفات المفيدة منها المنتظم في اخبار الملوك والامم وتنقيح فهوم الأثر ومختصر الفنون عاش في ظل الخلافة العباسية. للمزيد عنه ينظر: الذهبي، سير اعلام النبلاء، ج ٢١، ص ٣٦٥؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٦٠.
- (١٥٤) هو احمد بن علي الكنانى العسقلاني حفظ القرآن في صغره وتولع بالنظم، وقال الشعر المليح وحبب اليه طلب الحديث فأقبل عليه الى ان اصبح علامة وقته وانتفع به الطلبة وتولى قضاء الشافعية بالديار المصرية. للمزيد ينظر: ابن تغري بردي، الدليل الشافي، ج ٢، ص ٦٤؛ ابن القاضي، درة الحجال، ج ١، ص ٦٤.
- (١٥٥) نزهة الانام، ص ٣٣، ص ٣١٥.
- (١٥٦) بيمارستان: لفظ فارسي من مقطعين، بيمار وتعني المريض، وستان وتعني ارض او موضع والكلمة مجتمعة تعني موضع معالجة المرض وهو المستشفى. دهمان، محمد احمد، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (دار الفكر، سورية، ١٩٩٠م)، ص ٤١؛ شير، ادي، الالفاظ الفارسية المعربة، (مطبعة الالباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م) ص ٣٣.
- (١٥٧) نزهة الانام، ص ١١٤.
- (١٥٨) نزهة الانام، ص ١٩.
- (١٥٩) ويقصد به المؤرخ الدمشقي محمد بن شاکر الکتبي المتوفى (٧٦٤م/١٣٦٤م)، نزهة الانام، ص ٧٥؛ المنجد، المؤرخون الدمشقيون، ص ١٠٦.
- (١٦٠) ابن سينا: ابو علي الحسين بن علي بن سينا اصله من بلخ عاش بها في ظل الدولة السامانية، اشتغل بالعلوم وبرع بها وقرية الامير نوح الساماني منه وادخله مكتبته التي استفاد منها ترك العديد من المصنفات في الطب وغيره من العلوم. الذهبي، العبر، ج ٢، ص ٢٥٨؛ اليافعي، مرآة الجنان، ج ٣، ص ٣٧.
- (١٦١) نزهة الانام، ص ١٠٤، ص ١٢٠.
- (١٦٢) نزهة الانام، ص ١٣.
- (١٦٣) المقرئ، السلوك، ج ٢، ص ٥٠٧.
- (١٦٤) ابن طولون، القلائد الجوهريّة، ص ٣٧.
- (١٦٥) ابن عبد الحق صفى الدين عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م)، مرصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد الجاوي، (دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م)، ج ٢، ص ٥٤.
- (١٦٦) نزهة الانام، ص ٩١-٩٢.

- (١٦٧) احسن التقاسيم، ص ١٤٠.
- (١٦٨) نزهة الانام، ص ٢٢٠-٢٢٣.
- (١٦٩) نزهة الانام، ص ٢٢٤.
- (١٧٠) نزهة الانام، ص ٢٣٥.
- (١٧١) نزهة الانام، ص ٢١٤.
- (١٧٢) نزهة الانام، ص ١٨٧.
- (١٧٣) نزهة الانام، ص ٢١٢.
- (١٧٤) نزهة الانام، ص ١٩٥.
- (١٧٥) نزهة الانام، ص ٢٠١.
- (١٧٦) نزهة الانام، ص ٣٢٠.
- (١٧٧) نزهة الانام، ص ٣٤٥، ص ٣١٤، ص ٣١٨.
- (١٧٨) نزهة الانام، ص ٢٨٣-٣٠٦.
- (١٧٩) نزهة الانام، ص ٣٠٨.
- (١٨٠) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٢٨٥.
- (١٨١) نزهة الانام، ص ٩١.
- (١٨٢) ابن الجزري، تاريخ حوادث الزمان، ج ٢، ص ١٧٧، ص ١٨٠، ص ٥٢١.
- (١٨٣) نزهة الانام، ص ٣٢٠.
- (١٨٤) صبح الاعشى، ج ٤، ص ٨٨.
- (١٨٥) يقع هذا السوق بالقرب من مسجد عند رأس درب الحبالين وقد عرف المسجد بأسمه مسجد سوق الطير. ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ٦٩.
- (١٨٦) من اهم الاسواق في العصر المملوكي ومن الركائز التي يعتمد عليها الجيش ويقع شمال غرب القلعة بالقرب من جامع يلغا ويعرف مع المنطقة المجاورة له بتحت القلعة. ينظر: ابن عبد الهادي ثمار المقاصد، ص ١٣٣، ص ٣٦٦.
- (١٨٧) الصفدي صلاح الدين خليل بن ايبك (٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، تحفة ذوي الالباب، (دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م)، ج ٢، ص ٢٧١؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٩، ص ٣٢.
- (١٨٨) وهو يقع تحت القلعة بينه وبين سوق السقط مدرسة. ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ١٢٠، ص ٣٦٦.

(١٨٩) يقع هذا السوق خارج الباب الصغير بالقرب من جامع جراح. ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ١٠٥، ص ٢٠٥؛ النعيمي، الدارس، ص ٥٥٧.

(١٩٠) نزهة الانام، ص ٦٣.

(١٩١) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ١٩٩.

(١٩٢) الروض المعطار، ص ٢٤٠.

(١٩٣) نزهة الانام، ص ٧٦.

(١٩٤) نزهة الانام، ص ١٨٧.

(١٩٥) نزهة الانام، ص ٢٣٥.

(١٩٦) نزهة الانام، ص ٢١٣.

(١٩٧) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ١٩٠.

(١٩٨) نزهة الانام، ص ٢١٢.

(١٩٩) نزهة الانام، ص ٣٤٠.

(٢٠٠) نزهة الانام، ص ٣٦٤.

(٢٠١) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ٢١٥.

(٢٠٢) نزهة الانام، ص ٣٦٣.

(٢٠٣) ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ٨٥؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٤٢-٤٣.

(٢٠٤) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ٢٢٤-٢٢٦.

(٢٠٥) نزهة الانام، ص ٣٦٣.

(٢٠٦) سك النقود او ضربها تعني طبعها على حديدة تنقش او تختتم بها تلك النقود وهي ضرورية للتمييز بين الجيد والرديء منها. الفراهيدي، العين، ج ٢، ص ٢٦٠؛ ابن سيدة، المخصص، ج ٤، ص ٨٢.

(٢٠٧) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ٢٢٤-٢٢٦.

(٢٠٨) نزهة الانام، ص ٦٠.

(٢٠٩) نزهة الانام، ص ٣٦٣.

(٢١٠) ومعناها بيت السلاح وربما قيل الزردخانه وتعني بيت الزرد او الدروع لما فيه من انواع الاسلحة. للمزيد ينظر: القلقشندي، صبح الاعشى، ج ٤، ص ١٣؛ ابن كنان، حقائق الياسمين، ص ١٣٢؛ دهمان، معجم الالفاظ، ص ٨٦.

(٢١١) جمع لكلمة جوشن وهو ضرب من الدروع كانت سائدة في العصر المملوكي يلبس في الحروب للوقاية من ضربات السيوف والرماح. للمزيد ينظر: دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص ٥٧.

(٢١٢) يقع هذا السوق جنوب الجامع الاموي بين سوق الصاغة في طريق سوق البزوريين وهو مختص ببيع انواع السلاح. للمزيد ينظر: الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٣٩.

(٢١٣) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ٢٠٦.

(٢١٤) يقع هذا السوق قرب سوق القلانسيين وبجوار باب الخواصين. ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ٦٣؛ الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٣٧.

(٢١٥) يقع هذا السوق بالقرب من سوق النحاسين. الشهابي، معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٢٩.

(٢١٦) وهو سوق قديم ملاصق لحصن جيرون بالقرب من باب الحديد وهو في منطقة تحت القلعة. ابن عبد الهادي، ثمار المقاصد، ص ٨٥؛ نزهة الانام، ص ٢٧.

(٢١٧) نزهة الانام، ص ٣٦٣.

(٢١٨) نزهة الانام، ص ٣٤١.

(٢١٩) نزهة الانام، ص ٣٦٣.

(٢٢٠) نزهة الانام، ص ٣٤٥.

(٢٢١) نزهة الانام، ص ٣٤٧.

(٢٢٢) وينسب الى سابور احدى كور بلاد فارس، والتي بناها سابور بن اردشير احد ملوك فارس والتي تشتهر ببساتينها التي تشبه ببساتين الشام وتجتمع فيها الاضداد من الثمار والكروم والعسل والزيتون. البكري، المسالك والممالك، ج ٢، ص ٦٣؛ القزويني، آثار البلاد، ص ٢٠٠.

(٢٢٣) نزهة الانام، ص ٣٦٢.

(٢٢٤) قرية من نواحي غوطة دمشق. ياقوت، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٩؛ ابن طولون، ضرب الحوطة، ص ١٥٥.

(٢٢٥) جمع ازار وهو نوع من اللباس استعمل في العصور الاسلامية وهي رداء واسع منها المورد والموشى وهو خاص بالخلفاء والقضاة لاضفاء الهيبة والوقار. دوزي، معجم الملابس، ص ٣٧؛ العبيدي، الملابس العربية، ص ١٨٣.

(٢٢٦) كرد، خطط الشام، ج ٤، ص ٢٠٤.

(٢٢٧) نزهة الانام، ص ٣٦٣.

(٢٢٨) نزهة الانام، ص ٣٦٣.

(٢٢٩) يقع هذا السوق في شمال الشرق من جامع محي الدين وجنوب المدرسة البزورية التي بسفح قاسيون وهذه الاسواق تختص ببيع القطن. ابن طولون، القلائد الجوهريّة، ص ٣١٠؛ الشهابي معجم دمشق التاريخي، ج ٢، ص ٤٩.

(٢٣٠) نزهة الانام، ص ٦٢.

(٢٣١) عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، (منشورات وزارة الثقافة، سورية، ١٩٩١م)، ج ١، ق ١، ص ٣٧.

(٢٣٢) كرد، خطط الشام، ص ٢٢٠.

(٢٣٣) كرد، خطط الشام، ص ٢٢٢.

(٢٣٤) نزهة الانام، ص ٣٦٣.

(٢٣٥) القلائد الجوهريّة، ص ٣٧٦.

(٢٣٦) نزهة الانام، ص ٣٦٤.

(٢٣٧) نزهة الانام، ص ٣٦٦.

(٢٣٨) نزهة الانام، ص ٣٥٨-٣٥٩.

(٢٣٩) الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (كان حياً في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) ، الجُغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، (مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت) ، ص ٣١، ص ٣٦.

(٢٤٠) نزهة الانام، ص ٣٦٦.

(٢٤١) معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦٥.

(٢٤٢) نزهة الانام، ص ٨٤.

(٢٤٣) نزهة الانام، ص ١٠٥، ص ١١١، ص ١١٨.

(٢٤٤) الروض المعطار، ص ٢٤٠.

(٢٤٥) نزهة الانام، ص ٣٦٤.

(٢٤٦) نزهة الانام، ص ٣٤٧.

(٢٤٧) الانتصاري، نزهة الخاطر، ج ١، ص ١٧.

(٢٤٨) تاريخ حوادث الزمان، ج ١، ص ٤١٠، ج ٢، ص ٧٧، ص ٢٥١.

(٢٤٩) القياسروهي السوق الكبير المسقفة وهي من الابنية التي عرفت في دمشق في العصر المملوكي. ينظر: ابن مماتي، قواوين الدواوين، ص ٣٥٧؛ دهمان، معجم الالفاظ التاريخية، ص ٢٥٧.

(٢٥٠) الخانات جمع كلمة خان، والمراد به مكان يشتمل على ساحة ورواق ومعالف للدواب وحجرات
تؤجر للمسافرين من التجار ولمن يريدان نيام، ويربط دابته عنده، ولصاحب الخان عن كل دابة
اجر معلوم واجرة الحجرة شيء آخر معلوم، والفنادق لنوم المسافرين دون ربط الدواب بها لعله
يشبه عملها في الوقت الحاضر. ينظر: ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج ١، ص ٤٨٨؛
الخطيب، معجم الالفاظ، ص ١٥٧.
(٢٥١) الخطط المقرزية، ج ١، ص ٣٦٦.

□

المصادر والمراجع

المصادر

- ❖ الادريسي، محمد بن عبد الله (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٣م)
- ١- نزهة المشتاق في اختراق الافاق، (مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت) .
- ❖ الازهري، ابي منصور محمد بن احمد (ت ٣٧٠هـ / ٩٨٠م)
- ١- تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الكريم الغرياني ومراجعة محمد علي النجار، (الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م) .
- ❖ الانصاري، شرف الدين موسى بن يوسف (ت ١٠٠٢هـ / ١٥٩٣م)
- ٢- نزهة خاطر وبهجة الناظر، تحقيق: عدنان محمد ابراهيم، مراجعة عدنان درويش، (دار احياء التراث العربي، سورية، ١٩٩١م) .
- ❖ ابن اياس، محمد بن احمد (ت ٩٣٠هـ / ١٥٢٣م)
- ٤- بدائع الزهور في وقائع الدهور، (مطبعة الشعب، القاهرة، ١٩٦٠م) .
- ❖ البدرى، ابو البقاء عبد الله بن محمد (ت ٨٤٧هـ / ١٤٤٣م) ،
- ٥- نزهة الانام في محاسن الشام، (مكتبة نعمان الاعظمي، بغداد، ١٩٥٣م)
- ❖ البكري، ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) .
- المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م) .
- ٦- معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، (مطبعة لجنة التأليف والترجمة، عالم الكتب، بيروت، ١٣٦٤هـ، ١٩٤٥م) .
- ❖ ابن بطوطة، ابو عبد الله محمد بن ابراهيم (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) ،
- ٧- تحفة النظار في عجائب الامصار المعروف برحلة ابن بطوطة، ط٣، (دار صادر، بيروت، ٢٠٠٩م) .
- ❖ بيبرس المنصوري، ركن الدين بن عبد الله الخطائي (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٤م)
- ٨- مختار الاخبار تاريخ الدولة الايوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٢هـ، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، (الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ١٩٩٣م) .
- ❖ ابن تغري بردي، ابو المحاسن جمال الدين يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٩٦م) ،
- ٩- الدليل الشافي على المنهل الصافي، تحقيق: محمد فهم شلتوت، ط٢، (مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٨م) .
- ١٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢م) .

١١- حوادث الدهور في مدى الايام والشهور، تحقيق: محمد كمال الدين عزالدين (عالم الكتب، القاهرة، ١٩٩٠م)

❖ الجبرتي، عبد الرحمن بن حسن (ت ١١٨٥هـ/ ١٧٦٩م)

١٢- عجائب الآثار في التراجم والاخبار تحقيق: عبد الرحيم عبد الرحمن وعبد العظيم رمضان، ط٦، (دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٧م)

❖ ابن الجزري، شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ابي بكر القرشي (ت ٧٣٩هـ/ ١٣٣٩م) ،

١٣- تاريخ حوادث الزمان وانبائه ووفيات الاكابر والاعيان من ابنائه، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٨م) .

❖ ابن الجيعان، ابو البركات احمد بن يحيى بن شاکر بن عبد الغني (ت ٩٠٢هـ/ ١٥٠٢م)

١٤- القول المستظرف في سفر الملك الاشرف قاتيباي، تحقيق: محمد زينهم عزب، (دار الثقافة للنشر، القاهرة، ٢٠٠٥م) .

❖ ابن حجر، شهاب الدين ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) .

١٤- الدرر الكامنة في اعيان المئة الثامنة، تصحيح: عبد الوارث محمد علي، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٧م) .

❖ الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/ ١٥٠٠م) ،

١٥- الروض المعطار في خير الاقطار، تحقيق: احسان عباس، (دار القلم للطباعة، بيروت، ١٩٨٦م).

❖ ابن خلكان، شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) .

١٦- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، (دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت) .

❖ الدلجي، احمد بن علي (ت ٨٣٨هـ/ ١٤٢٤م) .

١٧- الفلاكة والمفلكون، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م) .

❖ الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) .

١٩- سير اعلام النبلاء، تحقيق: بشار عواد معروف ومحي هلال السرحان، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤م) .

٢٠- العبر في خبر من عبر وذيله، تحقيق: ابو هاجر محمد السعيد بسيوني بن زغلول، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٥م) .

❖ الزهري، ابو عبد الله محمد بن ابي بكر (كان حياً في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي)

٢١- الجُغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، (مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، د.ت)

❖ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) ،

٢٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (مكتبة القدس، القاهرة، ١٣٥٥هـ) .

٢٣- وجيز الكلام في الذيل على دول الاسلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٥م) .

❖ ابن سباط، حمزة بن احمد بن عمر (ت ٩٢٦هـ/١٥١٩م) ،

٢٤- صدق الاخبار المعروف بتاريخ ابن سباط، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (مطبعة جرس برس، لبنان، ١٩٩٣م) .

❖ السمهودي: نور الدين علي بن عبدالله بن ابي الحسن علي بن عيسى الشافعي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)

٢٥- وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: قاسم السامرائي، (مؤسسة الفرقان للتراث الاسلامي، مكة المكرمة، ٢٠٠١م) .

❖ ابن سيدة، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٥م) .

٢٦- المخصص، (دمط، القاهرة، ١٩١٨م) .

❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م)

٢٧- تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠١٠م) .

٢٨- نظم العقيان في اعيان الاعيان (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٠م) .

٢٩- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، بيروت، ١٩٦٧م) .

❖ ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن ابراهيم (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م) .

٣٠- الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، تحقيق: يحيى زكريا عبارة، (منشورات وزارة الثقافة، سورية، دمشق، ١٤١١هـ، ١٩٩١م) .

❖ الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م) .

٣١- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، تحقيق: محمد حسن حلاق، (دار ابن كثير، بيروت، ٢٠٠٦م) .

❖ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)

٣٢- تحفة ذوي الالباب، (مطبعة دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٨٣م) .

❖ الصقاعي، فضل الله بن ابي الفخر (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٨م) .

٣٣- تالي وفيات الاعيان، تحقيق: جاكين سويلية، (مطبعة المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، ١٩٧٤م) .

❖ الصيرفي، علي بن داود (ت ٩٠٠هـ/١٤٩٤م) ،

٣٤- نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان، تحقيق: حسن حبشي، (دار الكتب، المملكة المتحدة، ١٩٧٠م).

❖ ابن طولون، شمس الدين محمد (ت ٩٥٣هـ/١٥٧٦م)،

٣٥- اعلام الورى بمن ولي نائبا من الاتراك على دمشق الكبرى، تحقيق: محمد احمد دهمان، (دار الفكر، دمشق، ١٩٦٤م).

٣٦- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، تحقيق: محمد احمد دهمان، (مطبعة مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٩٤٩م).

٣٧- ضرب الحوطة على جميع الغوطة، نشر وتعليق: محمد أسعد طلس، (مطبعة المجمع العلمي العربي، ١٩٤٦م).

❖ ابن عبد الحق، صفي الدين عبد المؤمن البغدادي (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٩م).

٣٨- مرآة الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، (دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م).

❖ ابن عبد الهادي، يوسف ابي عبد الله بن الحسن بن أحمد (ت ٩٠٩هـ/١٥٠٣م).

٣٩- ثمار المقاصد في ذكر المساجد، وذيله، تحقيق: محمد اسعد طلس، (بيروت، لبنان، ١٩٤٣م).

٤٠- نزهة الرفاق في شرح حال الاسواق بدمشق، (نشر حبيب الزيات، د.ت).

❖ ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١هـ/١١٧٥م).

٤١- تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: محب الدين ابي سعيد بن عمر بن غراسة العمروسي، (دار الفكر للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٥م).

❖ ابن العراقي، ولي الدين أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين (ت ٨٢٦هـ/١٤٢٤م).

٤٢- الذيل على العبر في خبر من عبر، تحقيق: صالح مهدي عباس، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م).

❖ ابن العماد، ابي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد (ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).

٤٣- شذرات الذهب في اخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الارناؤوط ومحمود الارناؤوط، (دار ابن كثير، دمشق، ١٩٩٣م).

❖ الغساني، ابو العباس اسماعيل بن العباس بن علي بن داود بن يوسف (ت ٨٠٣هـ/١٤٠١م).

٤٤- العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، (دار التراث العربي، بيروت، د.ت).

❖ الفراهيدي، الخليل بن احمد (ت ١٧٠هـ/٧٨٦م).

٤٥- العين، تحقيق: عبد الحميد هنداي، (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت).

- ❖ الفيومي، احمد بن محمد بن علي المقرئ (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م)
- ٤٦-المصباح المنير، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م)، ص ٢١٦، ص ٢٤٣ .
- ❖ ابن القاضي، ابي العباس احمد بن محمد الكناسي (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م)،
- ٤٧- درة الحجال في اسماء الرجال، تحقيق: محمد الاحمدي ابو النور، (المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٠م).
- ❖ القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/١٢٨٣م)
- ٤٨- آثار البلاد واخبار العباد، ط ٣، (دار صادر، بيروت، ٢٠١١م) .
- ❖ القلقشندي، ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م)
- ٤٩-صبح الاعشى في صناعة الانشاء، (مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٢م) .
- ❖ ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر بن علي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م)
- ٥٠-البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله عبد المحسن التركي، (دار هجر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨م) .
- ❖ ابن كنان، محمد بن عيسى (١١٥٣هـ/١٧٤٠م)،
- ٥١-حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين، تحقيق: عباس صباغ، (دار النفائس، بيروت، ١٩٩١م) .
- ❖ المقرئ، تقي الدين ابي العباس احمد بن علي بن عبد القادر (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٤م)،
- ٥٢-السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م)
- ٥٣-الخطط المقرئية، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب ومديحة الشرقاوي، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٨٨م) .
- ❖ ابن ممتي، شرف الدين ابو المكارم أسعد بن سعيد بن المهذب (ت ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)
- ٥٤-قوانين الدواوين، تحقيق وجمع: عزيز سوريال عطية، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م) .
- ❖ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم الافغاني المصري (ت ٧١١هـ/١٣١١م)
- ٥٥-لسان العرب، تحقيق: عبدالله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، (دار المعارف، القاهرة، د.ت) .
- ❖ النعيمي، ابي المفاخر عبد القادر بن محمد (ت ٩٧٨هـ/١٥٧٠م)
- ٥٦-الدارس في تاريخ المدارس، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م) .
- ٥٧-دور القرآن في دمشق، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (دمط، دمشق، ١٣٦٥هـ، ١٩٤٦م) .
- ❖ الياضي، عفيف الدين ابي محمد عبد الله بن أسعد بن علي (ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)

٥٨-مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، تحقيق: خليل المنصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م).

❖ ياقوت الحموي، ابي عبد الله بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

٥٩- معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م).

المراجع العربية والمعرية :

٦٠- الانصاري، ناصر، المجلد في تاريخ مصر، ط٢، (دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٧م).

٦١- البستاني، بطرس، محيط المحيط، (مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م).

٦٢- الجبوري، كامل سلمان، معجم الادياء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٣م).

٦٣- حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٥م).

٦٤- الخطيب، مصطفى عبد الكريم، معجم الالفاظ التاريخية، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٦م).

٦٥- دوزي، رينهارت، المعجم المفصل في اسماء الملابس عند العرب، تعريب: اكرم فاضل، (وزارة الثقافة والاعلام، بغداد، ١٩٦٠م).

٦٦- دهمان، محمد احمد، معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، (دار الفكر، سورية، ١٩٩٠م).

٦٧- الزركلي، خير الدين، الاعلام، ط١٥، (دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م).

٦٨- الشهابي، قتيبة، معجم دمشق التاريخي، (سورية، دمشق، ١٩٩٩م).

٦٩- شير، ادي، الالفاظ الفارسية المعربة، (مطبعة الالباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م).

٧٠- الصالح، صبحي ابراهيم مصطفى، علوم الحديث ومصطلحه، (دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٩م).

٧١- طاش كبري زادة، احمد بن مصطفى، مفتاح السعادة ومصباح السيادة، (دارالكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥م).

٧٢- العبيدي، صلاح حسين، الملابس العربية الاسلامية في العصر العباسي الثاني، (منشورات وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية، ١٩٨٠م).

٧٣- العريني، السيد الباز، الممالك، (دار النهضة العربية، بيروت، د.ت).

٧٤- قاسم، قاسم عبده، عصر سلاطين الممالك التاريخ السياسي والاجتماعي، مؤسسة عين، القاهرة، ١٩٦٦م).

٧٥- كرد، محمد، خطط الشام، ط٣، (مكتبة النوري، دمشق، ١٩٨٣م).

- ٧٦-مبارك، علي باشا، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، (المطبعة الاميرية، بولاق، ١٣٠٦هـ).
٧٧-المنجد، صلاح الدين، المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة، (مطبعة التوفيق، دمشق، ١٣٠٦هـ).

المتطلبات البيئية لزراعة المحاصيل الصناعية (السهم ، فستق الحقل ، زهرة الشمس) في محافظة الانبار

أ.د. خالد عبدالله أكبر الحمداني
جامعة الأنبار / كلية التربية للعلوم الانسانية
&
م.م. ميسون كريم محسن العزاوي
وزارة التربية / مديرية تربية الأنبار

الملخص

تشغل محافظة الانبار ثلث مساحة العراق تقريباً وبذلك تنتوع في الخصائص الطبيعية، اذ تحوي على اشكال تضاريسية مختلفة وتتنوع الترب وتختلف من منطقة الى اخرى حسب طبيعة تكوينها، ان هذا الاتساع في المساحة ادى الى تباين في العناصر المناخية حسب موقع كل محطة، ويمر نهر الفرات في منطقة الدراسة وبذلك يوفر كميات مياه اللازمة للقيام بمختلف النشاطات ومن ضمنها النشاط الزراعي، وتحوي منطقة الدراسة على كميات جيدة من المياه الجوفية والصالحة للقيام النشاط الزراعي، ومن خلال هذه الخصائص الطبيعية تكون نظام بيئي خاص بمحافظة الانبار. وكان الهدف من الدراسة معرفة مدى الملائمة البيئة لعدد من المحاصيل الزراعية الصناعية (السهم، فستق الحقل، زهرة الشمس) التي يمكن زراعتها في منطقة الدراسة وفق معطيات الحد الأدنى والاعلى من تحمل وملائمة كل محصول من حيث نوع الترب والسطح والعناصر المناخية وكمية المياه وملوحتها.

Abstract

Anbar province occupies about one-third of the area of Iraq, so it varies in natural characteristics, as it contains different forms of tamarisk and varies soils and varies from one region to another according to the nature of its composition. This widening in the area led to different climatic elements depending on the location of each station. The study area provides sufficient quantities of water for the various activities, including agricultural activity. The study area contains good quantities of groundwater and is suitable for carrying out agricultural activities. Through these natural characteristics, there is a special environmental system in Anbar province. The objective of the study was to determine the suitability of the environment for a number of industrial crops (sesame, field pistachio, sun flower), which can be planted in the study area according to the minimum and maximum values of tolerance and suitability of each crop in terms of soil type, surface, climatic elements, water quantity and salinity.

مُقَدِّمَةٌ

يعد تقييم الموارد المائية وملاءمة الاراضي للإنتاج الزراعي كونها من ابرز العوامل التي تؤثر في عمية التنمية الزراعية خطوة مهمة في عملية التخطيط لاستغلال الاراضي بزراعة المحاصيل المختلفة ومنها المحاصيل الصناعية بالأساليب الحديثة التي تساهم في اعادة توزيع السكان، لذا فان تقييم ملاءمة الأرض لمعرفة قابليتها الإنتاجية وتحديد الموقع الأفضل لكل استخدام زراعي مسألة مهمة جداً وتستدعي الإهتمام، كون قابلية الأرض على الإنتاج محدودة وأن الظروف البيئية (تربة، مناخ) وأنواع استخدامات الأرض والإدارة عوامل محددة للإنتاج وأن أي استخدام للأرض سوف يسبب تدهور خصوبتها وتناقص الغلة لمدة طويلة الأجل.

إن أهمية تقييم الظروف البيئية ومدى ملائمتها للإنتاج الزراعي تكمن في التقصي عن الحقائق والبحث عن المعلومات لتكوين قاعدة بيانات يتم الاعتماد عليها أساساً في التخطيط واتخاذ قرارات الإستثمار.

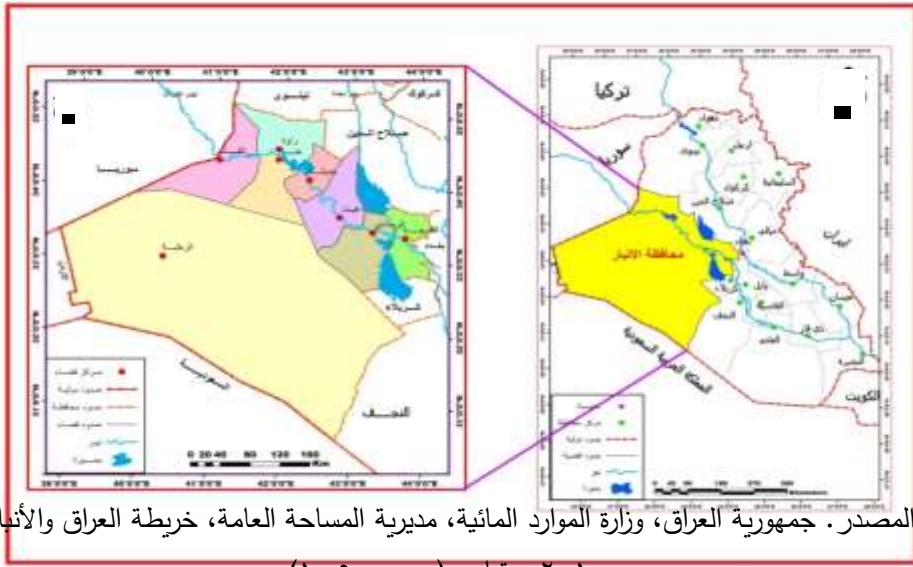
مشكلة البحث: - هل يمكن اعتبار الظروف البيئية لمحافظة الانبار ملائمة لزراعة المحاصيل الصناعية ؟ وهل هذه الامكانات البيئية متباينة من مكان الى اخر من حيث ملائمتها لاستخدام الارض ؟ وهل اعتماد التقنيات الحديثة في قطاع الزراعة تساهم في تحسين الظروف البيئية وتذليل العقبات وخلق اجواء ذات ظروف ملائمة للإنتاج الزراعي؟ ما هي الحدود الدنيا والعليا لمتطلبات المحاصيل الزراعية من الموارد البيئية، التي تحدد نوعية الاستخدام الامثل للأرض ؟.

فرضية البحث: - ان عملية تقييم الظروف البيئية الملائمة للإنتاج الزراعي من خلال تحليل البيانات الرقمية لقيم عناصر المناخ واجراء المسح الشامل لأصناف التربة وتقييم نوعية المياه بعد تحديد كمياتها، كل هذا يساهم في معرفة مدى ملائمة بيئة محافظة الانبار لزراعة المحاصيل الصناعية، فضلا عن امكانية تحديد اثرها في التنوع الزراعي والتباين المكاني من خلال اتباع الاساليب الحديثة في عملية التحليل الجغرافي.

هدف البحث: - اجراء تقييم شامل لبيئة محافظة الانبار وتحديد نقاط القوة والضعف ومدى تأثيرها وملائمتها لتطوير القطاع الزراعي وبالأخص زراعة المحاصيل الصناعية، فضلاً عن تحديد قوة التأثير بين الخصائص الطبيعية والبشرية.

حدود الدراسة: - تمتد محافظة الانبار بين دائرتي عرض (٣٣ ° ٣٠ ° - ١٥ ° ٣٥ °) شمالاً وبين خطي طول (٤٥ ° ٣٨ ° - ١٠ ° ٤٤ °) شرقاً وتقع محافظة الانبار في القسم الغربي من العراق ضمن أراضي الهضبة الغربية الصحراوية إذ تبلغ مساحتها (١٣٩٦٩٧٧) كم^٢ وتتكون المحافظة من الناحية الإدارية من ثمانية أفضية (القائم، الرطبة، راوه، عنه، حديثة، هيت، الرمادي، الفلوجة)، خريطة (١).

خريطة (١) موقع محافظة الأنبار من العراق



المصدر. جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، مديرية المساحة العامة، خريطة العراق والأنبار، ٢٠١٠، مقياس (١:٥٠٠٠٠٠).

المحاصيل الصناعية:

١-١- وتشمل (السهم، فستق الحقل، زهرة الشمس).

أولاً: السهم:

عُرف محصول السهم منذ القدم ولاسيما في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية، ويعتقد ان منشأ السهم كان في مركزين إحداهما في أفريقيا (الحبشة) اثيوبيا حالياً والثاني في آسيا (الهند)، إلا إن موطنه الأصلي غير معروف بصورة اكيدة، ثم

انتقلت زراعته من الهند إلى الصين ومن ثم توسعت زراعته إلى جنوب أوربا وشمال أفريقيا وإلى جميع المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية والمناطق المعتدلة^(١).

يعد محصول السمسم من المحاصيل الزيتية المهمة والتي تزرع في شهر اذار ويستمر بالنمو الى شهر ايلول، لقد برزت اهميته الاقتصادية بسبب استعماله المتعددة والتي من ابرزها استخراج الزيوت النباتية، وذلك من خلال بذوره التي تحوي الزيت بنسبة ما بين (٥٠ - ٦٠) %، كما وتستعمل بذوره في عمل مختلف المعجنات لأنها تحوي على (٢٥،٣) % من البروتين و (١٥) % من الكاربوهيدرات، فضلاً عن استخدام المخلفات المتبقية الناتجة عن العمليات الصناعية كعلف للماشية^(٢).

ثانياً: محصول فستق الحقل:

ينتمي محصول فستق الحقل الى البقوليات ويرجح ان موطنه الاصلي في امريكا، اذ لم يعرف الا بعد اكتشاف الأمريكيتين، وهو من محاصيل الزيوت وتعود زراعته في الاقاليم المدارية وشبه المدارية، وفي العروض الوسطى حتى دائرة عرض (٣٥) °^(٣). يعد فستق الحقل من المحاصيل الاقتصادية المهمة، إذ يستخرج من بذوره الزيت الذي يدخل في صناعة الزيوت النباتية والصابون اذ يحتوي على نسب عالية من الزيت والبروتين، اذ تتراوح نسبة الزيت في بذوره ما بين (٤٢ - ٥٢) %، ونسبة البروتين (٢٥ - ٣٥) % والكاربوهيدرات (٢٠) %^(٤).

ثالثاً: محصول زهرة الشمس:

يعد محصول زهرة الشمس من المحاصيل الزيتية الصناعية المهمة من الناحية الاقتصادية، وذلك لاستخدام بذوره لإنتاج الزيت، فضلاً عن صناعة الصابون والأصباغ والمواد المستعملة في دباغة الجلود، ويستفاد من مخلفات المحصول الناتجة عن العمليات الصناعية علفاً لتغذية الحيوانات^(٥). تشير الدراسات ان اول من استعمل زهرة الشمس هم الهنود الحمر فقد كانوا يصنعون منها دقيق للخبز. وزهرة الشمس احدى نباتات العائلة المركبة، يتميز نبات زهرة الشمس بأزهاره الشعاعية الكبيرة والتي تدور مع الشمس اين ما وجدت، لذلك سمي بدوار الشمس في بعض المناطق، تحوي بذور زهرة الشمس على (٣٥ - ٥٥) % من الزيوت^(٦).

الجدول (١) أقاليم الارتفاعات ونسبتها المئوية (%) لحافظة الأنبار ومدى ملائمتها لزراعة المحاصيل الصناعية (السهم، فستق الحقل، زهرة الشمس).

ت	أقاليم الارتفاعات بالمتر	النسبة المئوية (%) للمساحة	ملائمتها للزراعة
١	٢٥-٢٠٦	٢٦,١	تصلح
٢	٢٠٦,١-٣٦٨	١٢,٥	تصلح
٣	٣٦٨,١-٥٢٠	٢٤,٣	تصلح
٤	٥٢٠,١-٦٨٦	١٧,٥	تصلح
٥	٦٨٦,١-٩٤٧	١٩,٧	تصلح
	المجموع	١٠٠	

المصدر: عمل الباحثة بالاعتماد على الخريطة (٢).

يتبلغ ادنى ارتفاع في منطقة الدراسة (٢٥) متر فوق مستوى سطح البحر، اما اعلى ارتفاع فيبلغ (٩٤٧) متر فوق مستوى سطح البحر، وان جميع ارتفاعات منطقة الدراسة بادناها واعلاها تصلح لزراعة المحاصيل الصناعية (السهم، فستق الحقل، زهرة الشمس)، لان اكثر من (٨٠)% من هذه الاقاليم لا يتجاوز ارتفاعها (٧٠٠) متر فوق مستوى سطح البحر. ولا يشكل الارتفاع عائقاً كبيراً في منطقة الدراسة بقدر ما يشكله تضرس السطح وانحداره.

يزرع محصول السهم في عدة انواع من التربة ولكن تجود زراعته في التربة المزيجية الجيدة الصرف والتهوية ذات قوام المتوسط والتفاعل المتعادل، كونه من المحاصيل التي لا تتحمل الملوحة والتغدق بالرغم من قابليته على تحمل الجفاف وقلة الخصوبة^(٧).

تجود زراعة محصول فستق الحقل في التربة خفيفة النسجة كالتربة الرملية المزيجية جيدة الصرف، اذ تعد من أفضل التربة الملائمة لزراعة المحصول، اذ يسهل تفكك بناء هذه التربة على الثمار فيتم نضجها بسرعة، كذلك تكون ثمار المحصول كبيرة الحجم، ويُسهل لون التربة الرملية الفاتح جمع الثمار بعد نضجها، ولا تجود زراعته في

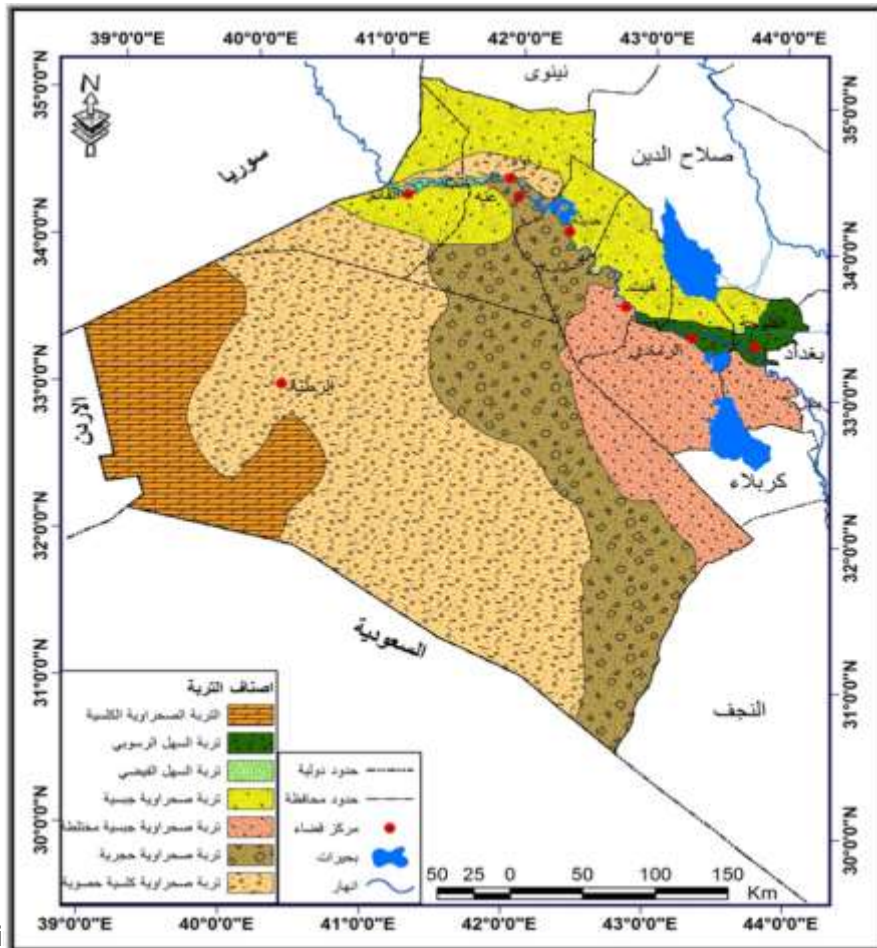
الترب الطينية الثقيلة، وعموماً تجود زراعته في الترب التي تحوي على نسبة عالية من كربونات الكالسيوم^(٨).

ينمو محصول زهرة الشمس في انواع مختلفة من الترب، ولكن تجود زراعته في تربة المزيحية جيدة الصرف، ولا ينمو محصول زهرة الشمس في الترب المالحة، ولا يفضل زراعته في الترب الطينية الثقيلة وكذلك الفقيرة بالمواد العضوية^(٩). تتشابه متطلبات المحاصيل (السمسم، فستق الحقل، زهرة الشمس) من الترب نوعاً ما، اذ تزرع في عدة انواع من الترب وتعد تربة السهل الرسوبي والفيضي من أفضل الترب الملائمة لزراعة تلك المحاصيل في منطقة الدراسة.

ومن خلال خريطة (٣) نلاحظ تتنوع الترب في منطقة الدراسة اذ تتشر (٧) انواع لترب، وتمتد ضمن انحدارات وارتفاعات مختلفة، تصلح (٥) انواع منها لزراعة المحاصيل الصناعية (السمسم، فستق الحقل، زهرة الشمس) وهي تربة السهل الفيضي، تربة السهل الرسوبي، تربة الصحراوية الجبسية، تربة الصحراوية الكلسية، تربة الصحراوية الجبسية المختلطة وتشكل نسبة (٣٩,٤%) من مجموع اصناف الترب في منطقة الدراسة، اما التربة الصحراوية الحجرية والتربة الصحراوية الكلسية الحصوية فيمكن استغلالها في زراعة المحاصيل، ولكن بعد القيام بتهيئة الارض. وتشكل نسبة (٦٠,٦%) من مجموع اصناف الترب في منطقة الدراسة، جدول (٢).

□

خريطة (٣) اصناف الترب في محافظة الانبار.



Buri

ghdad

1960.

□

الجدول (٢) اصناف والنسب المئوية (%) لترب محافظة الأنبار ومدى ملائمتها لزراعة المحاصيل

الصناعية (السهم، فستق الحقل، زهرة الشمس).

ت	اصناف التربة	النسبة المئوية للمساحة (%)	ملائمتها للزراعة
١	تربة صحراوية حجرية	٢٠,٨	لا تصلح الا بعد اجراء عمليات تهيئة للتربة
٢	التربة الصحراوية الكلسية	١٢,٦	تصلح
٣	تربة صحراوية كلسية حصوية	٣٩,٨	لا تصلح الا بعد اجراء عمليات تهيئة للتربة
٤	تربة صحراوية جبسية	١٢,٦	تصلح
٥	تربة السهل الرسوبي	١,٧	تصلح
٦	تربة صحراوية جبسية مختلطة	١٢,٢	تصلح
٧	تربة السهل الفيضي	٠,٣	تصلح
	المجموع	١٠٠	

المصدر: عمل الباحثة بالاعتماد على الخريطة (٣).

٣-١- المتطلبات المناخية لمحاصيل الصناعية :

٣-١-١- الحرارة:

تعد درجات الحرارة واحدة من اهم العناصر المناخية ذات تأثير مباشر في توزيع المحاصيل الصناعية، اذ ان لكل محصول حدود مناخية ينمو ضمنها فاذا كانت المتطلبات المناخية للمحصول متوافرة بشكل جيد فان زراعته تكون ناجحة، كما ان كلفة انتاجه تكون اقتصادية، اما اذا كانت الظروف المناخية غير ملائمة فان نجاح زراعة المحاصيل يكون باهض التكلفة، بسبب الحاجة الكبيرة الى ايجاد ظروف صناعية قادرة على التحكم في الظروف المناخية ^(١٠).

٣-١-١-١- درجة الحرارة المثلى:

يزرع محصول السهم في شهر اذار ويستمر بالنمو حتى شهر ايلول، ومن خلال جدول (٣) نلاحظ ان درجة الحرارة المثلى للمحصول السهم هي (٢٧) م. سجلت المحطات المناخية في منطقة الدراسة اقل من درجة الحرارة المثلى لنمو المحصول وفي

جميع المحطات ولكن بفارق قليل، اذ سجلت محطة الرطبة ادنى معدل بنحو (٢٣,٢) م، في حين سجلت محطة الرمادي اعلى معدل لدرجة الحرارة المثلى بنحو (٢٦) م. اما اكثر محطة مناخية ملائمة وفق المتطلبات الحرارة المثلى لزراعة السمسم كانت محطة الرمادي، في حين كانت المحطة الاقرب للمتطلبات الحرارة المثلى بعد محطة الرمادي هي (حديثة، النخيب، القائم، عنه، الرطبة) على التوالي.

جدول (٣) متطلبات درجة الحرارة (م) المثلى لنمو (السمسم، فستق الحقل، زهرة الشمس)

ومدى ملائمتها في محطات منطقة الدراسة للمدة (١٩٨١-٢٠١٢).

المحصول	متطلبات الحرارة المثلى (م) الملائمة لنمو المحاصيل	عنه	القائم	حديثة	الرمادي	الرطبة	النخيب
محصول السمسم	27	24.5	24.6	25.2	26	23.2	24.9
محصول فستق الحقل	26-30	27.3	27.5	27.9	28.6	25.6	26.8
محصول زهرة الشمس	25-30	الربيعية	24.5	24.6	25.2	26.0	24.9
		الخريفية	24.8	24.6	25.4	26.3	25.2

الجدول عمل الباحثة بالاعتماد على: (١) مجيد الأنصاري، وآخرون، مبادئ المحاصيل الحقلية، ط١، دار المعرفة، بغداد، ١٩٨٠، ص ٥٩. (٢) جمهورية العراق، وزارة النقل والمواصلات، الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي العراقية، قسم المناخ، بيانات غير منشورة.

تبدأ زراعة فستق الحقل في شهر نيسان ويكون موعد الحصاد خلال شهر تشرين الأول، ومن خلال جدول (٣) نلاحظ ان درجة الحرارة المثلى لمحصول فستق الحقل هي (٢٦ - ٣٠) م، سجلت جميع المحطات المناخية في منطقة الدراسة درجة حرارة مثلى موافقة ضمن المتطلبات المثلى لنمو المحصول ماعدا محطة الرطبة وبفارق قليل جداً عن متطلبات المحصول من الحرارة، اذ سجلت محطة الرطبة ادنى معدل بنحو (٢٥,٦) م، في حين سجلت محطة الرمادي اعلى معدل لدرجة الحرارة المثلى بنحو (٢٨,٦) م. اما اكثر محطة مناخية ملائمة وفق المتطلبات الحرارة المثلى لزراعة محصول فستق الحقل كانت محطة الرمادي، في حين كانت المحطة الاقرب للمتطلبات الحرارة المثلى بعد محطة الرمادي هي (حديثة، القائم، عنه، النخيب، الرطبة) على التوالي.

يزرع محصول زهرة الشمس في عروتين الربيعية والخريفية، تبدأ الربيعية من شهر اذار وتنتهي في شهر تموز، اما العروة الخريفية فانها تبدأ من شهر تموز وتنتهي في شهر تشرين الثاني، اما درجة الحرارة المثلى للمحصول زهرة الشمس في العروتين هي (٢٥-٣٠) م. سجلت محطات الدراسة معدل لدرجة الحرارة المثلى لنمو المحصول ادنى بقليل من المتطلبات المثالية لنمو المحصول في العروة الربيعية ماعدا محطتي (الرمادي، حديثة) فقد سجلتا معدل حرارة (٢٦ - ٢٥,٢) م على التوالي وهو من ضمن متطلبات الحرارة المثلى لنمو المحصول. وسجلت محطات الدراسة خلال فترة نمو المحصول في العروة الخريفية درجات حرارة متباينة، اذ سجلت المحطات (الرطوبة، القائم، عنه) درجة حرارة مثلى ادنى من المتطلبات المثالية لنمو المحصول بفارق قليل وبمعدل (٢٣,٦ - ٢٤,٦ - ٢٤,٨) م على التوالي، في حين سجلت المحطات (الرمادي، حديثة، النخيب) درجة حرارة مثلى من ضمن متطلبات الحرارة المثلى لنمو المحصول وبمعدل (٢٦,٣ - ٢٥,٤ - ٢٥,٢) م على التوالي. و سجلت محطة الرطوبة ادنى معدل للحرارة المثلى وللعروتين الربيعية والخريفية بنحو (٢٣,٢ - ٢٣,٦) م على التوالي، في حين سجلت محطة الرمادي اعلى معدل للحرارة المثلى وللعروتين الربيعية والخريفية بنحو (٢٦ - ٢٦,٣) م على التوالي. وسجلت العروة الخريفية معدل حرارة هو الاقرب من متطلبات الحرارة المثلى لنمو المحصول.

١-٣-٢- درجة الحرارة الصغرى:

من خلال جدول (٤) نجد ان معدل درجة الحرارة الصغرى التي يتحملها محصول السمسم هي (١٥) م، سجلت المحطات المناخية في منطقة الدراسة في شهر اذار ادنى معدل لدرجة الحرارة الصغرى وفي جميع المحطات خلال مدة نمو المحصول، اذ سجلت محطة عنه ادنى معدل بنحو (٧,١) م، في حين سجلت محطة الرمادي اعلى معدل شهري لدرجة الحرارة الصغرى بنحو (٩,٦) م. اما اكثر محطة مناخية ملائمة وفق الحدود الدنيا لتحمل محصول السمسم لدرجة الحرارة كانت محطة الرمادي. في حين كانت المحطة الاقرب للمتطلبات الحرارة الصغرى بعد محطة الرمادي هي (النخيب، القائم، حديثة، الرطوبة، عنه) على التوالي.

جدول (٤) متطلبات درجة الحرارة الصغرى (م) لنمو (السهم، فستق الحقل، زهرة الشمس) ومدى

ملائمتها في محطات منطقة الدراسة للمدة (١٩٨١-٢٠١٢).

النخيب	الرطوبة	الرمادي	حديثه	القائم	عنه	متطلبات الحرارة الصغرى (م) الملائمة لنمو المحاصيل	المحصول
8.9	7.2	9.6	7.8	8	7.1	15	محصول السهم
12.7	12	14.8	13.3	13.8	12.7	13	محصول فستق الحقل
8.9	7.2	9.6	7.8	8	7.1	الربيعية	محصول زهرة الشمس
9.5	8	10.2	8.2	8.1	7.7	الخريفية	

الجدول عمل الباحثة بالاعتماد على: (١) مجيد الأنصاري، وآخرون، مبادئ المحاصيل الحقلية، ط١، دار المعرفة، بغداد، ١٩٨٠، ص ٥٩. (٢) جمهورية العراق، وزارة النقل والمواصلات، الهيئة العامة للأشياء الجوية والرصد الزلزالي العراقية، قسم المناخ، بيانات غير منشورة.

من خلال جدول (٤) نجد ان الدرجة الحرارة الصغرى لنمو محصول فستق الحقل (١٣) م. سجلت المحطات المناخية في منطقة الدراسة في شهر نيسان ادنى معدل لدرجة الحرارة الصغرى وفي جميع المحطات خلال مدة نمو المحصول، وسجلت محطات الدراسة خلال فترة نمو المحصول درجات حرارة متباينة، اذ سجلت محطات (الرطوبة، النخيب، عنه) درجة حرارة صغرى ادنى من تحمل محصول فستق الحقل ولكن بفارق قليل وبمعدل (١٢ - ١٢,٧ - ١٢,٧) على التوالي، في حين سجلت المحطات (الرمادي، القائم، حديثه) درجة حرارة صغرى اعلى من تحمل محصول فستق الحقل وبمعدل (١٤,٨ - ١٣,٨ - ١٣,٣) على التوالي، وهذه المحطات الانسب لنمو المحصول من حيث درجة الحرارة الصغرى.

من خلال جدول (٤) نلاحظ ان معدل درجة الحرارة الصغرى التي يتحملها محصول زهرة الشمس ما بين (٨ - ١٠) م. سجلت المحطات المناخية في منطقة الدراسة في شهر اذار للعروة الربيعية وشهر تشرين الثاني للعروة الخريفية ادنى معدل لدرجة الحرارة الصغرى وفي جميع المحطات، وسجلت محطات الدراسة خلال فترة نمو

المحصول في العروة الربيعية درجات حرارة صغرى متباينة، اذ سجلت المحطات (عنه، الرطبة، حديثة) ادنى من المتطلبات الحرارة الصغرى لنمو المحصول بفارق قليل وبمعدل (٧,١ - ٧,٢ - ٧,٨) م على التوالي، في حين سجلت المحطات (الرمادي، النخيب، القائم) درجة حرارة صغرى من ضمن المتطلبات لنمو المحصول وبمعدل (٩,٦ - ٨,٩ - ٨) م على التوالي. وسجلت محطات الدراسة خلال فترة نمو المحصول في العروة الخريفية درجات حرارة صغرى من ضمن المتطلبات المحصول، ماعدا محطة عنه المناخية فقد سجلت ادنى من متطلبات المحصول وبفارق قليل، اذ سجلت معدل درجة حرارة صغرى (٧,٧) م. وسجلت محطة عنه ادنى معدل وللعتوتين الربيعية والخريفية بنحو (٧,١ - ٧,٧) م على التوالي، في حين سجلت محطة الرمادي اعلى معدل شهري لدرجة الحرارة الصغرى وللعتوتين الربيعية والخريفية بنحو (٩,٦ - ١٠,٢) م على التوالي. اما اكثر محطة مناخية ملائمة وفق الحدود الدنيا لتحمل المحصول لدرجة الحرارة كانت محطة الرمادي. اما المحطة الاقرب للحد الادنى لدرجة الحرارة نمو المحصول وللعتوتين هي (النخيب، القائم، حديثة، الرطبة، عنه) على التوالي.

٣-١-٣-١- درجة الحرارة العظمى:

سجلت المحطات المناخية في منطقة الدراسة خلال مواسم زراعة المحاصيل (السهم، فستق الحقل، زهرة الشمس) في شهر تموز اعلى معدل لدرجة الحرارة العظمى وفي جميع المحطات، ومن خلال جدول (٥) نجد ان معدل درجة الحرارة العظمى التي يتحملها محصول السهم هي (٤١) م، سجلت محطتي (الرطبة، النخيب) درجة حرارة عظمى من ضمن المتطلبات المحصول لنمو، في حين سجلت باقي محطات الدراسة اعلى من المتطلبات المثالية لنمو المحصول وبفارق قليل، اذ سجلت المحطات (القائم، عنه، الرمادي، حديثة) معدل درجة حرارة عظمى (٤١,١ - ٤١,٩ - ٤٢,٣ - ٤٢,٥) م على التوالي. سجلت محطة الرطبة ادنى معدل لدرجة الحرارة العظمى بنحو (٣٩,١) م، في حين سجلت محطة حديثة اعلى معدل شهري لدرجة الحرارة العظمى بنحو (٤٢,٥) م. اما اكثر محطة مناخية ملائمة وفق الحدود العليا لتحمل محصول السهم لدرجة

الحرارة كانت محطة الرطوبة، في حين كانت المحطة الاقرب للمتطلبات الحرارة العظمى بعد محطة الرطوبة هي (النخيب، القائم، عنه، الرمادي، حديثة) على التوالي.

ومن خلال جدول (٥) نجد ان معدل درجة الحرارة العظمى التي يتحملها محصول فستق الحقل هي (٣٥) م°، سجلت جميع محطات الدراسة خلال موسم زراعة المحصول درجات حرارة اعلى من المتطلبات المثالية لنمو المحصول، اذ سجلت محطة الرطوبة ادنى معدل بنحو (٣٩,١) م°، في حين سجلت محطة حديثة اعلى معدل شهري لدرجة الحرارة العظمى بنحو (٤٢,٥) م°. اما اكثر محطة مناخية ملائمة وفق الحدود العليا لتحمل محصول فستق الحقل لدرجة الحرارة كانت محطة الرطوبة، في حين كانت المحطة الاقرب للمتطلبات الحرارة العظمى بعد محطة الرطوبة هي (النخيب، القائم، عنه، الرمادي، حديثة) على التوالي.

جدول (٥) متطلبات درجة الحرارة العظمى (م°) لنمو (السهم، فستق الحقل، زهرة الشمس) ومدى

ملائمتها في محطات منطقة الدراسة للمدة (١٩٨١-٢٠١٢).

المحصول	متطلبات الحرارة العظمى (م°) الملائمة لنمو المحاصيل	عنه	القائم	حديثة	الرمادي	الرطوبة	النخيب
محصول السهم	41	41.9	41.1	42.5	42.3	39.1	40.9
محصول فستق الحقل	35	41.9	41.1	42.5	42.3	39.1	40.9
محصول زهرة الشمس	40-35	الربيعية	41.9	41.1	42.5	42.3	39.1
		الخريفية	41.9	41.1	42.5	42.3	39.1

الجدول عمل الباحثة بالاعتماد على: (١) مجيد الأنصاري، وآخرون، مبادئ المحاصيل الحقلية، ط١، دار المعرفة، بغداد، ١٩٨٠، ص٥٩. (٢) جمهورية العراق، وزارة النقل والمواصلات، الهيئة العامة للأشياء الجوية والرصد الزلزالي العراقية، قسم المناخ، بيانات غير منشورة.

ومن خلال جدول (٥) نجد ان معدل درجة الحرارة العظمى التي يتحملها محصول زهرة الشمس هي (٣٥-٤٠) م°. سجلت المحطات المناخية في منطقة الدراسة في شهر تموز للعروة الربيعية والخريفية اعلى معدل لدرجة الحرارة العظمى وفي جميع المحطات، اذ سجلت محطة الرطوبة ادنى معدل وللعتوتين الربيعية والخريفية بنحو

(٣٩،١) م، وبذلك تكون محطة الرطوبة هي الوحيدة التي سجلت درجة حرارة عظمى وفق متطلبات الحد الاعلى لنمو المحصول وللعروتين الربيعية والخريفية. اما باقي محطات الدراسة فقد سجلت معدل درجة حرارة عظمى اعلى من متطلبات المحصول ولكن بفارق قليل، سجلت محطة حديثة اعلى معدل شهري لدرجة الحرارة العظمى للعروتين بنحو (٤٢،٥) م. اما اكثر محطة مناخية ملائمة وفق الحدود العليا لتحمل محصول زهرة الشمس لدرجة الحرارة كانت محطة الرطوبة، في حين كانت المحطة الاقرب للمتطلبات الحرارة العظمى بعد محطة الرطوبة هي (النخيب، القائم، عنه، الرمادي، حديثة) على التوالي.

١-٣-٤- الحرارة المتجمعة:

من خلال جدول (٦) نلاحظ ان متطلبات الحرارة المتجمعة لنمو محصول السمسم تتراوح ما بين (٢٥٠٠ - ٣٠٠٠) وحدة حرارية، سجلت ثلاث محطات مناخية مجموع حرارة متجمعة من ضمن متطلبات الحرارة المتجمعة لنمو المحصول (النخيب، الرمادي، حديثة) وبكمية (٢٦٨٨ - ٢٦٢٥ - ٢٥٢٠) وحدة حرارية، في حين سجلت محطتي (الرمادي، النخيب) اعلى من متطلبات الحرارة المتجمعة لنمو المحصول بفارق قليل وبكمية (٢١٨٤ - ٢٣٩٤ - ٢٤١٥) وحدة حرارية.

جدول (٦) متطلبات الحرارة المتجمعة لنمو (السمسم، فستق الحقل، زهرة الشمس) ومدى ملائمتها في محطات منطقة الدراسة للمدة (١٩٨١-٢٠١٢).

المحصول	متطلبات الحرارة المتجمعة الملائمة لنمو المحاصيل	عنه	القائم	حديثة	الرمادي	الرطوبة	النخيب
□ محصول السمسم	2500 - 3000	2394	2415	2520	2625	2184	2688
محصول فستق الحقل	3000 - 3200	3045	3087	3192	3297	2814	3381
محصول زهرة الشمس	1500 -	2550	2550	2625	2715	2355	2730
	1900	3750	3660	3825	3900	3510	3780

الجدول عمل الباحثة بالاعتماد على: (١) مجيد الأنصاري، وآخرون، مبادئ المحاصيل الحقلية، ط١، دار المعرفة، بغداد، ١٩٨٠، ص ٥٩. (٢) جمهورية العراق، وزارة النقل والمواصلات، الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي العراقية، قسم المناخ، بيانات غير منشورة.

ومن خلال جدول (٦) نلاحظ ان متطلبات الحرارة المتجمعة لنمو محصول فستق الحقل ما بين (٣٠٠٠ - ٣٢٠٠) وحدة حرارية، سجلت ثلاث محطات مناخية مجموع حرارة متجمعة من ضمن متطلبات الحرارة المتجمعة لنمو المحصول (عنه، القائم، حديثة) وبكمية (٣٠٤٥ - ٣٠٨٧ - ٣١٩٢) وحدة حرارية على التوالي، في حين سجلت المحطات (الرمادي، النخيب) اعلى من متطلبات الحرارة المتجمعة لنمو المحصول بفارق قليل وبكمية (٣٢٩٧-٣٣٨١) وحدة حرارية على التوالي. اما محطة الرطبة فقد سجلت ادنى من متطلبات الحرارة المتجمعة لنمو المحصول بفارق قليل وبكمية (٢٨١٤) وحدة حرارية.

ومن خلال جدول (٦) نلاحظ ان متطلبات الحرارة المتجمعة لنمو محصول زهرة الشمس وللعروتين ما بين (١٥٠٠ - ١٩٠٠) وحدة حرارية، سجلت جميع محطات الدراسة مجموع حرارة متجمعة اعلى من متطلبات الحرارة المتجمعة لنمو المحصول، سجلت محطة رطبة ادنى مجموع للحرارة المتجمعة وللعروتين بكمية (٢٣٥٥-٣٥١٠) وحدة حرارية على التوالي، في حين سجلت محطة النخيب اعلى مجموع للحرارة المتجمعة للعروة الربيعية وبكمية (٢٧٣٠) وحدة حرارية. بينما سجلت محطة الرمادي اعلى مجموع للحرارة المتجمعة للعروة الخريفية وبكمية (٣٩٠٠) وحدة حرارية، وسجلت العروة الخريفية مجموع حرارة متجمعة اعلى من العروة الربيعية وفي جميع محطات الدراسة.

١-٣-٥-الضوء:

من خلال جدول (٧) نلاحظ ان متطلبات الضوء لنمو محصول السمسم (١٢) ساعة/يوم، سجلت جميع محطات الدراسة معدل ساعات ضوئية يلائم زراعة المحصول، اذ سجلت جميع المحطات اعلى من معدل المتطلبات المحصول وبفارق قليل، سجلت محطة عنه ادنى معدل ساعات ضوئية خلال مدة زراعة المحصول وبنحو (١٣,٢) ساعة/يوم، في حين سجلت محطة الرمادي اعلى معدل وبنحو (١٣,٦) ساعة / يوم. ومن خلال جدول (٧) نلاحظ ان متطلبات الضوء لنمو محصول فستق الحقل تتراوح ما بين (١٢ - ١٤) ساعة/يوم. سجلت جميع محطات الدراسة معدل ساعات ضوئية من ضمن متطلبات زراعة المحصول، سجلت محطة عنه ادنى معدل ساعات ضوئية خلال

مدة زراعة المحصول وبنحو (١٣,١) ساعة/يوم، في حين سجلت محطة الرمادي اعلى معدل وبنحو (١٣,٤) ساعة / يوم.

جدول (٧) متطلبات الضوء ساعة/يوم لنمو (السهم، فستق الحقل، زهرة الشمس) ومدى ملائمتها

في محطات منطقة الدراسة للمدة (١٩٨١-٢٠١٢).

المحصول	متطلبات الضوء ساعة /يوم الملائمة لنمو المحاصيل	عنه	القائم	حديثه	الرمادي	الرطوبة	النخيب
□ محصول السهم	12	13.2	13.4	13.3	13.4	13.6	13.5
□ محصول فستق الحقل	12-14	13.1	13.2	13.2	13.2	13.4	13.3
محصول زهرة الشمس	12-14	13.5	13.6	13.6	13.6	13.7	13.8
		12.2	12.3	12.2	12.2	12.4	12.4

الجدول عمل الباحثة بالاعتماد على: (١) مجيد الأنصاري، وآخرون، مبادئ المحاصيل الحقلية، ط١، دار المعرفة، بغداد، ١٩٨٠، ص ٥٩. (٢) جمهورية العراق، وزارة النقل والمواصلات، الهيئة العامة للأنواء الجوية والرصد الزلزالي العراقية، قسم المناخ، بيانات غير منشورة.

اما متطلبات الضوء لنمو محصول فستق الحقل تتراوح ما بين (١٢ - ١٤) ساعة/ يوم. سجلت جميع محطات الدراسة معدل ساعات ضوئية من ضمن متطلبات زراعة المحصول، سجلت محطة عنه ادنى معدل ساعات ضوئية خلال مدة زراعة المحصول وللعروتين الربيعية والخريفية بنحو (١٣,٥ - ١٢,٢) ساعة/يوم على التوالي، في حين سجلت محطة النخيب اعلى معدل ساعات ضوئية خلال مدة زراعة المحصول وللعروتين الربيعية والخريفية وبنحو (١٣,٨ - ١٢,٤) ساعة / يوم على التوالي.

١-٤-١ المتطلبات المائية لمحاصيل الصناعية:

١-٤-١-١ الامطار:

تعد المحاصيل الصناعية (السهم، فستق الحقل، زهرة الشمس) من المحاصيل الصيفية وتحتاج الى كميات كبيرة من المياه، وبما ان منطقة الدراسة خاضعة لنظام البحر المتوسط فيما يخص الامطار، والتي تسقط في نهاية اشهر الخريف مروراً بفصل

الشتاء حتى اشهر الربيع الاولى، لذلك تعد الامطار في منطقة الدراسة غير ملائمة لنمو النباتات الصناعية ومن ناحيتين الاولى: قلة كمية الامطار، والثانية: الضرر الذي قد يلحقه سقوط الامطار لاسيما في نهاية موسم زراعة المحاصيل الصناعية عند جني ثمار المحاصيل وما يسببه من تلف لتلك المحاصيل.

ومن خلال جدول (٨) نلاحظ ان كمية الامطار اللازمة لنمو محصول السمسم تتراوح ما بين (٤٠٠ - ١٠٠٠) ملم، وهذه الكمية غير متوفرة في منطقة الدراسة، اذ سجلت محطة حديثة اعلى مجموع امطار خلال موسم زراعة المحصول وبمجموع (٥٠,٩) ملم، في حين سجلت محطة النخيب ادنى كمية امطار وبمجموع (٣١,٤) ملم خلال موسم زراعة المحصول.

جدول (٨) متطلبات الامطار لنمو (السمسم، فستق الحقل، زهرة الشمس) ومدى ملائمتها في محطات منطقة الدراسة للمدة (١٩٨١-٢٠١٢).

المحصول	المتطلبات الامطار الملائمة لنمو المحصول	عنه	القائم	حديثة	الرمادي	الرطوبة	النخيب
محصول السمسم	400-1000	44.6	45.8	50.9	33.1	48.8	31.4
محصول فستق الحقل	1000	35.1	24.9	35.3	26.4	35.5	22.7
محصول زهرة الشمس	600-1000	44.4	45	50	32.7	48.3	31
		33.2	24.6	26.9	25.9	19.3	22

الجدول عمل الباحثة بالاعتماد على: (١) حميد حسن طاهر، المناخ وعلاقته بزراعة المحاصيل الزيتية، الكتان، السمسم، الذرة الصفراء في العراق، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ٥٦. (٢) جمهورية العراق، وزارة النقل والمواصلات، الهيئة العامة للأتواء الجوية والرصد الزلزالي العراقية، قسم المناخ، بيانات غير منشورة.

اما فستق الحقل فانه يحتاج الى كمية امطار لا تقل عن (١٠٠٠) ملم ويجب ان تتسم فترة جمع المحصول بالجفاف^(١١). ومن خلال جدول (٨) نلاحظ ان كمية الامطار اللازمة لنمو محصول غير متوفرة في منطقة الدراسة، اذ سجلت محطة الرطوبة اعلى

مجموع امطار خلال موسم زراعة المحصول وبمجموع (٣٥,٥) ملم، في حين سجلت محطة النخيب ادنى كمية امطار وبمجموع (٢٢,٧) ملم خلال موسم زراعة المحصول. يعد محصول زهرة الشمس ضمن المحاصيل المنخفضة الى المتوسطة الحساسية للجفاف ويتحمل المحصول مدى كبير من الظروف البيئية القاسية، لما يتميز به من صفات تجعله متكيفاً مع تغيرات البيئة^(١٢). ان متطلبات محصول زهرة الشمس من الامطار يتراوح ما بين (٦٠٠ - ١٠٠٠) ملم، وبما ان المحصول يزرع في العروة الربيعية في نهاية موسم الامطار تقريباً، وفي العروة الخريفية في اشهر الصيف وبداية اشهر الخريف، لذلك فان كمية الامطار في منطقة الدراسة غير ملائمة لزراعة المحصول، ومن خلال جدول (٨) نلاحظ ان محطة حديثة سجلت اعلى مجموع امطار ضمن العروة الربيعية لزراعة المحصول وبمجموع (٥٠) ملم، في حين سجلت محطة النخيب ادنى كمية امطار وبمجموع (٣١) ملم، وسجلت العروة الخريفية كمية الامطار اقل من العروة الربيعية لزراعة المحصول، اذ سجلت محطة عنه اعلى مجموع امطار ضمن العروة الخريفية لزراعة محصول زهرة الشمس وبمجموع (٣٣,٢) ملم، في حين سجلت محطة الرطبة للعروة الخريفية ادنى كمية امطار وبمجموع (١٩,٣) ملم خلال مدة الدراسة.

١-٤-٢- متطلبات المياه السطحية والجوفية:

تتوفر في منطقة الدراسة عدة مصادر للمياه، منها السطحية والتي تتمثل بنهر الفرات والمشاريع المقامة عليه من سدود وخزانات وانظمة وجداول، والتي تساهم في رفد المحاصيل الزراعية باحتياجاتها المائية عن طريق الري بمختلف انواعه. ان هذا النوع من الري متوفر في جميع اقضية منطقة الدراسة التي يمر فيها نهر الفرات، ماعدا قضاء الرطبة والمناطق القريبة منه، وتزرع محاصيل (السمسم، فستق الحقل، زهرة الشمس) بالقرب من مجرى نهر الفرات. ويحتاج الدونم الواحد من السمسم الى كمية مياه (٣٣٣٠) م^٣، جدول (٩). اما محصول فستق الحقل فانه يحتاج الى (٢٠٧٥) م^٣/دونم، وبلغ مجموع احتياجات محصول زهرة الشمس من مياه الري الى (٤٧٥٠) م^٣/دونم، وسجل محصول زهرة الشمس اعلى كمية احتياجات للمياه بالمقارنة مع المحاصيل الصناعية

الآخري. ان هذه الكمية من المياه لزراعة المحاصيل الصناعية متوفرة بالنسبة للمناطق التي تسقى من نهر الفرات عن طريق النواظم والجداول.

جدول (٩) الاحتياجات المائية (م^٢/دونم) لزراعة للمحاصيل (السمسم، فستق الحقل، زهرة

الشمس).

المحاصيل الزراعية	السمسم	فستق الحقل	زهرة الشمس
المقنن المائي م ^٣ /دونم	3330	2075	4125

المصدر: غازي مجيد امين وآخرون، دليل ري بعض محاصيل المنطقة الوسطى في العراق، مؤسسة البحث العلمي، بغداد، ١٩٧٧، ص ٧١.

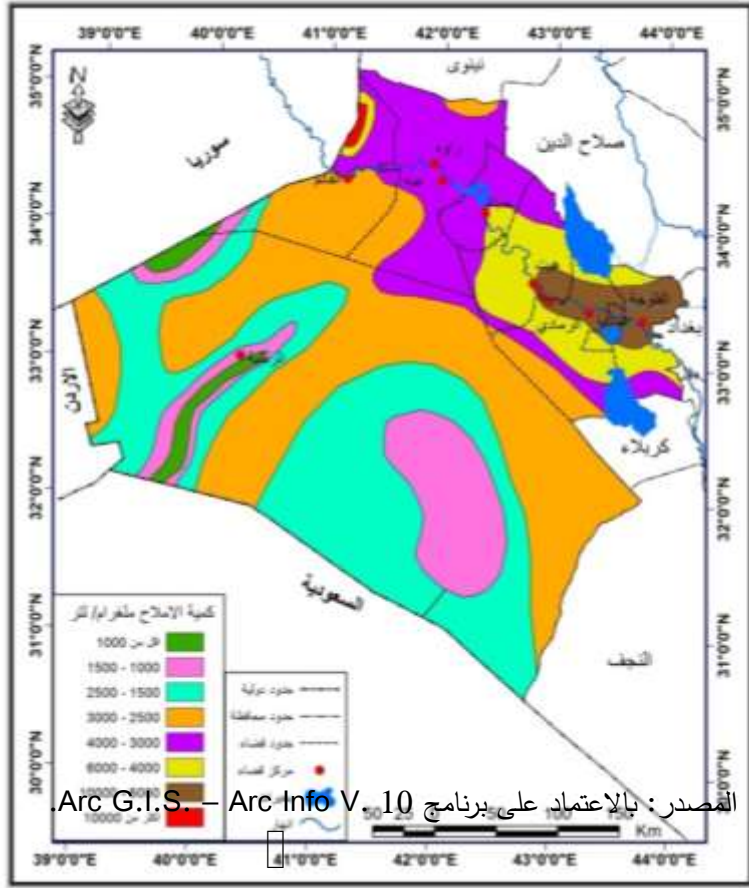
اما النوع الثاني من مصادر المياه التي يعتمد عليها في الزراعة هي المياه الجوفية والتي تتوفر في منطقة الدراسة وبكميات جيدة، ان الاعتماد على المياه الجوفية في زراعة المحاصيل الصناعية في منطقة الدراسة غير واسع الانتشار، بالمقارنة مع زراعة المحاصيل بالقرب من النهر. بالرغم بان الاعتماد على المياه الجوفية في زراعة المحاصيل الصناعية يؤدي الى استخدام الارض بشكل اوسع ونتاج اكثر.

تم تقسيم كمية الاملاح المذابة في المياه لمنطقة الدراسة الى ثمانية فئات خريطة (٤). اذ اشتملت الفئة الاولى على المناطق التي تبلغ الملوحة فيها الى اقل من (١٠٠٠) ملغرام/لتر. اما الفئة الثامنة اشتملت على المناطق التي تبلغ الملوحة فيها اكثر من (١٠٠٠٠) ملغرام/لتر، وتمتد في منطقة صغيرة في اقصى شمال غرب قضاء القائم.

اما قدرة المحاصيل الصناعية على تحمل الاملاح المذابة في المياه الجوفية في منطقة الدراسة نلاحظ من خلال جدول (١٠) ان قدرة تحمل (السمسم، فستق الحقل، زهرة الشمس) لتراكيز للأملح المذابة في المياه الجوفية متوسطة، وبذلك يمكن زراعة تلك المحاصيل الثلاث في كل منطقة الدراسة ماعدا جزء صغير يقع في الشمال الغربي من قضاء القائم. وبذلك تكون منطقة الدراسة مهيأة لزراعة المحاصيل الصناعية لوجود كميات جيدة من المياه الجوفية ومناسبة من حيث تراكيز الاملاح، بشرط استخدام

التقنيات الحديثة في عملية الري لترشيد في استخدام المياه الجوفية والحفاظ على ديمومتها.

خريطة (٤) كمية الاملاح المذابة (ملغرام / لتر) في المياه الجوفية لمنطقة الدراسة.



جدول (١٠) مقدرات تحمل المحاصيل (السهم، فستق الحقل، زهرة الشمس) لتراكيز الأملاح (جزء بالمليون) ومدى ملائمة المياه الجوفية في منطقة الدراسة.

نوع المحصول	مدى تحمل المحصول للملوحة (جزء بالمليون)	مدى تحمل محصول لتراكيز الأملاح	المناطق التي يصلح زراعة المحصول بالاعتماد على المياه الجوفية
محصول السهم	6000-10000	متوسطة	يصلح زراعته بالاعتماد على المياه الجوفية في كل منطقة الدراسة ماعدا منطقة صغيرة جداً تقع في أقصى شمال الغربي من قضاء القائم
محصول فستق الحقل	6000-10000	متوسطة	يصلح زراعته بالاعتماد على المياه الجوفية في كل منطقة الدراسة ماعدا منطقة صغيرة جداً تقع في أقصى شمال الغربي من قضاء القائم
محصول زهرة الشمس	6000-10000	متوسطة	يصلح زراعته بالاعتماد على المياه الجوفية في كل منطقة الدراسة ماعدا منطقة صغيرة جداً تقع في أقصى شمال الغربي من قضاء القائم

المصدر: (١) بيان محي حسين الهيتي، دراسة نوعية المياه الجوفية في منطقة بغداد، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم، قسم علم الأرض، ١٩٨٥، ص ١٩٢. (٢) خريطة (٣) كمية الأملاح المذابة (ملغرام /لتر) في المياه الجوفية لمنطقة الدراسة.

الاستنتاجات

- ١- تتصف المحافظة بوجود ظروف بيئية مختلفة ومتباينة الصفات في مدى ملائمتها لقيام النشاط الزراعي.
- ٢- ان التباين المكاني للملائمة البيئية ساهم في التباين المكاني لتنوع المحاصيل الزراعية حيث ان لكل محصول متطلباته البيئية الخاصة به، فضلاً عن الاختلاف في المساحات المزروعة، كاختلاف نسجه التربة وخصوبتها والموارد المائية والسطح ومساحة الاقضية ونواحيها والمحددة بحدود ادارية إضافة إلى تباين المساحات فصليا نتيجة عوامل المناخ والحصص المائية غير الكافية.
- ٣- يعد سطح منطقة الدراسة بشكل عام ملائم للنشاط الزراعي يمكن استغلال اراضيها بزراعة مختلف المحاصيل الزراعية، وان جميع ارتفاعات منطقة الدراسة بادانها واعلاها تصلح للزراعة.

٤- للعناصر المناخية دور كبير في تحديد نوع المحاصيل التي تزرع في كل منطقة، وان جميع المحاصيل الزراعية التي تم تناولها في منطقة الدراسة اثر المناخ في كمية انتاجها وتوزيعها الجغرافي بشكل مباشر او غير مباشر، اذ تعد الحرارة وكمية الامطار المحددان الرئيسان في زراعة اي محصول، وان الحرارة وما تحوي من مصطلحات (مثلى، عظمى، صغرى، متجمعة) والضوء كان لهم الاثر الاكبر في تحديد نوع المحاصيل الزراعية، اما الامطار فكانت متذبذبة من سنة لأخرى وان كمياتها لا تكفي لزراعة اي محصول، فضلاً عن ان موسم سقوط الامطار في منطقة الدراسة قد لا يلائم مع موعد زراعة البعض من المحاصيل، لذلك كان العامل الاهم بما يخص المياه هو المياه السطحية، اذ كان هذا العامل هو المحدد الاساسي في زراعة المحاصيل، ويأتي بعده المياه الجوفية وامكانية استغلالها.

التوصيات:

- ١- العمل على تشجيع المزارعين باستخدام الزراعة العضوية، حيث أنها تتصف بانخفاض مستوى تكاليفها وارتفاع انتاجيتها وبالتالي ارتفاع العائد الكلي منها، مع العمل على الابتعاد عن الاستخدام المفرط للكيمياويات من اجل الوصول الى مستوى الممارسات الزراعية الجيدة ثم الوصول الى مستوى الزراعة العضوية.
- ٢- عمل المزيد من الدراسات والبحوث حول برامج التنمية المستدامة فيما يخص القطاع الزراعي، مع ضرورة زيادة الوعي لاصحاب المزارع والمستثمرين في القطاع الزراعي حول برامج التنمية المستدامة.
- ٣- العمل على التوسع في نشر التقنيات الحديثة التي تساهم في المحافظة على الموارد الطبيعية والزراعية، فضلاً عن ضرورة الاستفادة من خبرات الدول الاخرى في مجال التنمية المستدامة التي تخص القطاع الزراعي، مع ضرورة التركيز على اشراك القطاع الخاص في برامج التنمية المستدامة لتحقيق أكبر قدر من المحافظة على الموارد الطبيعية والزراعية.
- ٤- تحسين خواص الترب المتوافرة هناك ولاسيما في الأماكن التي تحوي إمكانات ملائمة لاستثمار المياه الباطنية، من خلال اعتماد نظام إدارة كفوء من قبل أشخاص

أو جهات مؤهلة في ميادين النشاط الزراعي، وقادرة على انتقاء محاصيل ونباتات لديها القدرة على العيش والإنتاج في ظل تلك المقومات ومن دون التأثير على التربة سلباً في الوقت القريب من الاستثمار.

٥- الاستفادة من المنخفضات والفيضات في النشاط الزراعي ولاسيما المنخفضات القريبة من المناطق الواعدة لاستغلال المياه الجوفية في المجال الزراعي من خلال زراعتها بمحاصيل تتلائم مع نوعية المياه والترب المتوفرة هناك .

٦- ضرورة ان تكون مهمة حفر الآبار بطريقة مخططة وعلمية في منطقة الدراسة بالنظر لما تتطلبه عمليات الحفر من إمكانيات اقتصادية وفنية عالية لا يقوى الكثير من المعتمدين على استثمارها على تحمل التكاليف المترتبة من وراء ذلك الحفر من جانب، ومن جانب آخر نقص الخبرة المتوفرة لدى المزارع هناك عن خصائص المياه من ناحية (العمق، وكميات المياه المتوفرة ، والخزين المائي الجوفي ، ومقدار كمية الأملاح الذائبة).



هوامش البحث ومصادره:

- (١) مدحت مجيد الحسن، السمسم، مجلة الزراعة العراقية، العدد الرابع، المجلد ٢٦، ١٩٧١، ص ٥٧.
- (٢) مخلف شلال مرعي، ابراهيم حسون القصاب، جغرافية الزراعة، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٦، ص ٢٢٥.
- (٣) علي احمد هارون، جغرافية الزراعة، الطبعة الاولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢١٠.
- (٤) انتصار هادي حميدي الحلفي، سنان عبدالله عباس السلمي، تاثير مواعيد الزراعة ورش البوتاسيوم في حاصل بذور فستق الحقل، مجلة العلوم الزراعية، العدد ٤٦، المجلد ٥، ٢٠١٥، ص ٧٠٥.
- (٥) كاظم عبادي حمادي، التباين المكاني لزراعة محصول زهرة الشمس في العراق، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، العدد ٩، ٢٠١٢، ص ٢٢٨.
- (٦) شبكة الانترنت العالمية <https://ar.m.wikipedia.org>
- (٧) عبد الحميد احمد يونس، عبد الستار عبدالله الكركجي، زراعة المحاصيل الصناعية في العراق، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٧٧، ص ٦٥.
- (٨) محمد خميس الزوكه، الجغرافية الزراعية، ط ٣، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٣٦٦.
- (٩) عبد الحميد احمد يونس، عبد الستار عبدالله الكركجي، زراعة المحاصيل الصناعية في العراق، مصدر سابق، ص ٨٧.
- (١٠) علي مهدي جواد النجيلي، سحر جابر كاظم، الملائمة الحرارية لزراعة المحاصيل الصناعية في العراق، مجلة البحوث الجغرافية، العدد ٢٢، ص ٩٩.
- (١١) محمد خميس الزوكه، الجغرافية الزراعية، مصدر سابق، ص ٣٦٦.
- (١٢) شيماء حسن يحيى، محمد مبارك على عبد الرزاق، تاثير طرائق الري ومغطة المياه في حاصل زهرة الشمس ومكوناته، مجلة العلوم الزراعية العراقية، العدد ٣٦، مجلد ٢٠١٥، ص ٣٣١.

المصادر

- ١- مدحت مجيد الحسن، السمسم، مجلة الزراعة العراقية، العدد الرابع، المجلد ٢٦، ١٩٧١، ص ٥٧.
- ٢- (١٢) - مخلف شلال مرعي، ابراهيم حسون القصاب، جغرافية الزراعة، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩٦، ص ٢٢٥.
- ٣- علي احمد هارون، جغرافية الزراعة، الطبعة الاولى، دار الفكر العربي، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٢١٠.
- ٤- انتصار هادي حميدي الحلفي، سنان عبدالله عباس السلمي، تأثير مواعيد الزراعة ورش البوتاسيوم في حاصل بذور فستق الحقل، مجلة العلوم الزراعية، العدد ٤٦، المجلد ٥، ٢٠١٥، ص ٧٠٥.
- ٥- كاظم عبادي حمادي، التباين المكاني لزراعة محصول زهرة الشمس في العراق، مجلة كلية التربية الاساسية، جامعة بابل، العدد ٩، ٢٠١٢، ص ٢٢٨.
- ٦- عبد الحميد احمد يونس، عبد الستار عبدالله الكركجي، زراعة المحاصيل الصناعية في العراق، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٧٧، ص ٦٥.
- ٧- محمد خميس الزوكه، الجغرافية الزراعية، ط ٣، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٣٦٦.
- ٨- علي مهدي جواد الدجيلي، سحر جابر كاظم، الملائمة الحرارية لزراعة المحاصيل الصناعية في العراق، مجلة البحوث الجغرافية، العدد ٢٢، ص ٩٩.
- ٩- شيماء حسن يحيى، محمد مبارك على عبد الرزاق، تأثير طرائق الري ومغنطة المياه في حاصل زهرة الشمس ومكوناته، مجلة العلوم الزراعية العراقية، العدد ٣٦، مجلد ٢٠١٥، ٣، ص ٣٣١.
- ١٠- مجيد الأنصاري، وآخرون، مبادئ المحاصيل الحقلية، ط ١، دار المعرفة، بغداد، ١٩٨٠، ص ٥٩.
- ١١- حميد حسن طاهر، المناخ وعلاقته بزراعة المحاصيل الزيتية، الكتان، السمسم، الذرة الصفراء في العراق، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ٥٦.
- ١٢- غازي مجيد امين وآخرون، دليل ري بعض محاصيل المنطقة الوسطى في العراق، مؤسسة البحث العلمي، بغداد، ١٩٧٧، ص ٧١.

١٣- بيان محي حسين الهيتي، دراسة نوعية المياه الجوفية في منطقة بغداد، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة بغداد، كلية العلوم، قسم علم الأرض، ١٩٨٥، ص ١٩٢.

١٤- جمهورية العراق، وزارة النقل والمواصلات، الهيئة العامة للأمناء الجوية والرصد الزلزالي العراقية، قسم المناخ، بيانات غير منشورة.

١٥- المصدر .جمهورية العراق، وزارة الموارد المائية، مديرية المساحة العامة، خريطة العراق والأنبار، ٢٠١٠، مقياس (١:٥٠٠٠٠٠).

١٦- برنامج Arc G.I.S. – Arc Info V. 10

١٧- شبكة الانترنت العالمية <https://ar.m.wikipedia.org>

18- Buringh. P soils and soil conditions in Iraq ،ministry agriculture Iraq Baghdad 1960.

اثر إستراتيجية الفهم في تحصيل مادة التاريخ لدى طلبة

المرحلة الثانية كليه الآداب وتفكيرهم عالي الرتبة

د. هدى فاضل

الجامعة العراقية / كلية الآداب

المخلص

يهدف البحث إلى تعرف اثر استراتيجية الفهم في تحصيل مادة التاريخ (شرق ادنى قديم) لدى طلبة المرحلة الثانية كليه الآداب وتفكيرهم عالي الرتبة. استخدمت الباحثة التصميم التجريبي ذا الضبط الجزئي ذو الاختبار البعدي، اختارت الباحثة المجموعة الصباحية لتمثل المجموعة التجريبية التي تدرس على وفق استراتيجية الفهم، ومثلت المجموعة المسائية المجموعة الضابطة التي تدرس بالطريقة التقليدية، بلغ عدد الطلبة (٧٤) طالب وطالبة بواقع (٣٧) طالب وطالبة في كل مجموعة. تم مكافأة المجموعتين في المتغيرات: العمر الزمني، الذكاء، اختبار التفكير عالي الرتبة. أعدت الباحثة أداتي البحث الاختبار التحصيلي واختبار التفكير عالي الرتبة، وتم التحقق من الصدق وثبات الاداتين، استخدمت اختبار (T-test) لمعالجة البيانات، وأظهرت النتائج تفوق المجموعة التجريبية التي درست على وفق استراتيجية الفهم في التحصيل والتفكير عالي الرتبة، وأوصت الباحثة باستخدام استراتيجية الفهم في التدريس.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية الفهم، التفكير عالي الرتبة.

Abstract

The Research Aims To Identify The Impact Of The Understanding Strategy In A Achievement Of Subjects of history among The Second stage of the Faculty of Arts students. Researcher Used The Experimental Design A Disciple The Posttest, Chose Researcher Division (A) To Represent The Experimental Group That Studied According To The Understanding Strategy, And Represented Division (B) Of The Control Group ,Which Is Studying The Traditional Method. The Number Of Students (74 Students) By (37) Students In Each Division . Equivalent The Two Groups In Variables: Age Of The Students ,Intelligence ,Higher-Order Thinking Test .The Researcher Prepared The Achievement Test And The Higher-Order Thinking Test, Were The Validity And Psychometric Characteristics And Constancy, The Results Showed The Superiority Of The Experimental Group That Studied According The Understanding Strategy In Educational And Higher-Order Thinking . Researcher Recommended Using The Understanding Strategy In Teaching.

Key Words: Understanding Strategy, Higher-Order Thinking

مشكلة البحث:

انبثقت مشكلة البحث من الواقع التعليمي الجامعي الذي يؤثر تدني مستوى تحصيل طلبة المرحلة الثانية كلية الآداب في مادة التاريخ (شرق ادنى)، الذي توضح للباحثة من خلال متابعتها لدرجات التحصيل في هذه المادة للسنوات السابقة ؛ ولقائها مع بعض تدريسي هذه المادة في كلية الآداب الجامعة المستنصرية وجامعة بغداد وما دار فيها من مناقشات حول الطرائق والاستراتيجيات المتبعة في تدريسهم لها، واتضح أن معظم التدريس كان يعتمد الطريقة التقليدية والتي تتخللها الإلقاء والأسئلة القصيرة واعتماد الحفظ وتلقين المعلومات التي تركز على استرجاع هذه المعلومات، كما اشارت الى ذلك دراسة (الهاشمي، ٢٠١٣) الذي اكد ضعف في اعتماد طرائق وأساليب ونماذج تدريسية حديثة تشجع الطلبة وتراعي فروقهم الفردية وتنمي دافعيتهم واتجاهاتهم نحو المادة (الهاشمي، ٢٠١٣: ١٣٣)، ويكون التدريسي هو محور العملية التعليمية والطالب يكون دوره سلبي مكتفي بتلقي ما يقدم له من موضوعات مادة التاريخ (شرق ادنى)، وهذا يضعف قدرة الطلبة على تنمية الفهم الذاتي وضعف مهارات التفكير عالي الرتبة.

لذا ترى الباحثة ان الطرائق والاساليب التقليدية لا تمكن الطلبة من زيادة مستوى تحصيلهم او تنمية مهارات التفكير عالي الرتبة وتعد مشكلة تدني مستوى التحصيل وضعف مهارات التفكير عالي الرتبة من المشكلات التي تواجه التدريس الجامعي والاعداد الاكاديمي للطلبة ،و للتوافق مع الاتجاهات التربوية الحديثة التي تؤكد اهمية استعمال الاستراتيجيات التعليمية التي تجعل الطالب محور العملية التعليمية ونتيجة لذلك فقد حددت الباحثة مشكلة بحثها بالسؤال الآتي:-

ما أثر إستراتيجية الفهم في تحصيل مادة التاريخ لدى طلبة المرحلة الثانية كليه الآداب وتفكيرهم عالي الرتبة؟

اهمية البحث:

تعد مادة التاريخ ضرورية ومهمة لانها تمثل ميدان من ميادين المعرفة وهي من ضمن الاتجاهات الضرورية التي تسهم في تحقيق الأهداف التربوية، لاجل بناء روح

المواطنة، وتنمية مفهوم الذات، واكساب المتعلمين الاتجاهات والميول والقيم والأنماط السلوكية المرغوبة، وتنمية التفكير التاريخي، فضلاً عن ذلك تركيزها على القدرات والمهارات التي يمكن للطلبة الاستفادة منها في حياتهم اليومية. (سعادة، ٢٠٠٣: ١٧) وتتفرد مادة التاريخ بين العلوم الاجتماعية الأخرى بكونها تهتم بدراسة التغيرات والتحولات التي تطرأ على الأحداث والأفراد والمؤسسات والقيم والمعتقدات وما شابه ذلك، عبر بعدي المكان والزمان (Brown & Daniel, 1986, P.178).

كما تركز مادة التاريخ على فهم الماضي تمهيدا لإدراك الحاضر، وبناء الوعي التاريخي للأفراد لتمكينهم من فهم المشاكل المعاصرة واستنباط حلول لها (سعادة وعبد الله، د.ت: ٢٠). ولاهمية مادة التاريخ في التدريس الجامعي، فقد ظهرت الحاجة إلى استراتيجيات حديثة في تدريسها نتيجة لحاجات الطلبة، ومن الاستراتيجيات التي تجعل الطالب محور العملية التعليمية استراتيجية الفهم، التي لا تركز فقط على اكساب المعرفة والمعلومات للطلاب وإنما هي تتجاوز تعلم الحقائق إلى تحقيق فهم أعمق للعالم من حوله والمجتمع العالمي المتنوع الذي يعيش فيه. التي تمكنه من تقويم وتطبيق المعلومات في المواقف الجديدة. فاستراتيجية الفهم تمكن الطالب من كيفية طرح الأسئلة المعقدة وحل المشكلات الصعبة من خلال تطوير فهم أعمق للمفاهيم والعمليات التي من شأنها مساعدته للتوافق مع تغيرات الحياة التي لا يمكن التنبؤ بها. Mctighe & Elliott (2011, p15).

لقد حظى التفكير باهتمام العلماء منذ القدم، واجتهدوا في تفسير هذه العملية، ومحاولة إدراك أسرار التفكير وعملياته رغبة منهم في تطوير استراتيجيات تساعد على تطوير هذه العملية بما يجعل الفرد قادراً على توظيفها في توافقه وتحسين ظروف حياته في ميادينها المختلفة، كما ظهرت اتجاهات تربوية تدعو إلى المزيد من الاهتمام بالتفكير وتنمية مهاراته عند المتعلمين، الذي يعمل على تطور المجتمع بشكل عام والمتعلم بشكل خاص، (أبو جادو، ٢٠٠٠: ٢٥). و أن طبيعة العصر الحالي وما يصاحبه من تطورات سريعة، تحتاج إلى مفكرين غير نمطيين يتميزون بمهارات ومستويات عليا من التفكير تتلاءم مع طبيعة هذا العصر، لأنه يعد عصر الابتكار، وإن المبتكرين الذين يعملون

باستخدام التفكير عالي الرتبة يقومون باداء المهام باستخدام المهارات المتزايدة القدرات (Commons& Richards ,1995 ,p.11) . ان تعليم التفكير عالي الرتبة، يتيح للطلبة اكتساب المهارات الحياتية وزيادة التفاعل مع الاخرين، ويساعدهم على زيادة المستوى المعرفي وتحسين مضمون المعرفة، ويساعدهم على احترام ذواتهم، فمن السمات الرئيسية للتعليم الفعال هو تطوير مهارات التفكير عالي الرتبة. (FJ King.et.al.2012.p8). ان نمط التفكير عالي الرتبة يوفر للمتعلمين جو نفسي واجتماعي تربوي وملائم للتعليم الفعال ويتميز بتبادل الثقة بين المعلم والمتعلم، وبين المتعلمين انفسهم، ويساعدهم على ايجاد حلول للمشكلات التي تواجههم . (خطاب، ٢٠٠٤: ١٠).

وفي ضوء ما تقدم يمكن للباحثة أن تحدد أهمية البحث والحاجة اليه بما يأتي:

الحاجة الى زيادة تحصيل طلبة المرحلة الثانية كليه الاداب في مادة التاريخ والتفكير عالي الرتبة لديهم، لذا دعت الحاجة الى استعمال استراتيجيات حديثة في التدريس الجامعي التي تتوضح فاعليتها بما تحتويه من اجراءات وخطوات تدريسية مناسبة تسهم في تحقيق أهداف العملية التعليمية، في المواقف التعليمية التعلمية التي ترفع مستوى التحصيل من خلال ازدياد الفهم وعملياته، ونمو عمليات التفكير عالي الرتبة لما لهذا النوع من التفكير من تاثير وارتباطه الوثيق لتحقيق الاهداف التربوية في التعليم الجامعي لضمان التطور المعرفي الفعال الذي يساعد الطلبة على استعمال مهاراتهم العليا في التفكير لتحقيق النجاح والتوافق الصحي في مجال التعلم الاكاديمي والحياة اليومية العامة.

هدف البحث:

يهدف البحث الحالي تعرف اثر إستراتيجية الفهم في تحصيل مادة التاريخ لدى طلبة المرحلة الثانية كليه الاداب وتفكيرهم عالي الرتبة.

فرضيتا البحث:

لتحقيق هدف البحث فقد صيغت الفرضيتان الصفريتان الآتيتان:

١- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا مادة التاريخ على وفق إستراتيجية الفهم، ومتوسط درجات طلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا المادة نفسها بالطريقة التقليدية في التحصيل.

٢- لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا مادة التاريخ على وفق إستراتيجية الفهم، ومتوسط درجات طلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا المادة نفسها بالطريقة التقليدية في التفكير عالي الرتبة .

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بـ:

- عينة من طلبة المرحلة الثانية كليه الاداب / الجامعة العراقية للعام الدراسي ٢٠١٥/٢٠١٦ م.
- موضوعات مادة التاريخ (شرق ادنى قديم) .

تحديد المصطلحات:

- **اولا: استراتيجية الفهم Understanding Strategy:** وعرفها كل من:
 - (Wiggins and McTighe, 2005): استراتيجية تعليمية تنظم الفهم والاستيعاب عند المتعلم، اذ تؤدي الى فهم المعلومات والموضوعات المقدمة، وتؤكد على فاعلية عملية التعلم لتمكين المتعلم في بناء المعرفة وليس فقط حفظ المعلومات، وتقوم على عمليات ستة للفهم والاستيعاب . (Wiggins and McTighe, 2005 : p.9)
 - **عرفته (كوجك، ٢٠٠٨)** تصميم تدريسي لإحداث الفهم عند المتعلمين ولا بد أن يتحقق الفهم لدى كل متعلم، من خلال تحديد المؤشرات التي تدل على أن المتعلم قد فهم ما يقدم له من معلومات وموضوعات في المجالات المختلفة. (كوجك، ٢٠٠٨: ١٧٧)

- (ياسين وراجي، 2012) استراتيجية بنائية تعليمية ذات ستة عمليات وهي: الشرح، والتفسير والتطبيق، ورؤية المتعلم، وإدراك مشاعر الآخرين، والوعي بالذات، لاجداث الفهم عند المتعلم في ضوء قدراته وإمكاناته ونوع ذكاءه، ونمط تعلمه. (ياسين وراجي، 2012: 1-36).
- تعرف الباحثة استراتيجية الفهم اجرائيا: على انها مجموعة من العمليات التي توظفها الباحثة في الموقف التعليمي لتدريس موضوعات مادة التاريخ لطلبة المجموعة التجريبية ومعرفة اثرها في التحصيل والتفكير عالي الرتبة.
- ثانيا: التفكير عالي الرتبة Higher Order Thinking

فقد عرفه كل من:

- (Resnick, 1987) هو مجموعة من الانشطة الذهنية المفضلة التي تتطلب محاكمة عقلية وتحليلا لاطواع معقده وفقا لمعايير متعددة ويتضمن حولا متعددة ويتجنب الحلول او الصياغات البسيطة ومهمه المفكر ان ينشئ ويكتشف معنى فيما لا يكون له معنى اي الوصول الى معنى بالرغم من عدم وضوح الخبره او الموقف. (Resnick, 1987, p.3)
- (Lipman, 1991) تفكير ثري بالمفاهيم يتضمن تنظيم ذاتيا لعملية التفكير ويتجه نحو الاستكشاف والاستطلاع باستمرار. (Lipman, 1991, p.34)
- (Newmann, 1991) بانه تعميم منفتح للعمليات العقلية، من خلال تحليل المعلومات وتفسيرها من ثم معالجتها لتوصل الى حل مشكلة باسلوب مبتكر بعيدا عن الاستعمال الروتيني لتعلم سابق. (Newmann, 1991, pp.324).
- الريماوي وآخرون (٢٠١١) بأنه: " التفكير الذي يمكننا من فهم العالم من حولنا وفهم كيفية حدوث الأشياء وأسباب حدوثها وما الذي يجعلها تحدث بطرق مختلفة، وهو أكثر من مجرد تذكر المعرفة والمعلومات وإنما التلاعب بها أيضا وهو مستمد من تصنيف بلوم للأهداف المعرفية ". (الريماوي وآخرون، ٢٠١١: ٣٢٢)

تعرف الباحثة التفكير عالي الرتبة إجرائياً: قدرة الطلبة عينة البحث في الاجابة الصحيحة لفقرات الاختبار، ويقاس إجرائياً بالدرجة التي يحصلون عليها في اختبار التفكير عالي الرتبة المعد من الباحثة.

خلفية نظرية: تعرض الباحثة الخلفية النظرية في محورين احدهما إستراتيجية الفهم والثاني التفكير عالي الرتبة.

المحور الاول: استراتيجية الفهم Understanding Strategy

استراتيجية الفهم من الاستراتيجيات التعليمية التي يكون المتعلم محور عملية التعلم، إذ إن الفهم هو أساسي للتعلم، وصممت من **Wiggins and McTighe (1998)**، واستراتيجية الفهم تتضمن مؤشرات او خطوات تدل على فهم المتعلم للمعلومات التي تعرض له، ويستدل على الفهم من خلال مؤشرات ستة للسلوك، فإذا ادى المتعلم هذه السلوكيات، فإنه قد حقق فهماً حقيقياً للموضوع، لذا لا بد أن يصمم التدريس لإحداث الفهم عند كل متعلم، في ضوء قدراته وإمكاناته ونوع ذكائه، ونمط تعلمه المفضل وقد توصل العلماء والتربويون إلى تحديد المؤشرات التي يستدل منها على أن المتعلم قد فهم ما قدم له من معلومات وموضوعات في المجالات المحددة، وحددت هذه المؤشرات في ستة عمليات هي:

مراحل إستراتيجية الفهم:

- ١ - الشرح Explanation
- ٢ - التفسير Interpretation
- ٣ - التطبيق Application
- ٤ - رؤية المتعلم Perceptive
- ٥ - فهم مشاعر الآخرين Empathy
- ٦ - معرفة الذات Self-Knowledge

مراحل التدريس وفقاً لاستراتيجية الفهم

أولاً: القدرة على شرح المعنى: أن يبسط المتعلم الحدث أو المفهوم أو المصطلح ويقدم معناه بتعبيراته الخاصة، فلا يردد تعريفاً لمفهوم ورد ذكره في الكتاب المدرسي، أو قدمه المعلم أثناء الدرس، بل يتطلب منه شرح المعنى، وأن يجيب المتعلم عن مجموعة أسئلة منها: من؟ وكيف؟ ولماذا؟ ومتى؟ وأين؟ بالنسبة للمفهوم الذي يريد أن يشرحه.

ثانياً: القدرة على التفسير السببي: تتقارب عملية الشرح وعملية التفسير، ولكنهما عمليتان مختلفتان، فعملية الشرح تركز على توضيح معنى المفهوم أو الحدث، بينما عملية التفسير تبين أهمية المفهوم أو الحدث، مثلاً: ماذا يمكن أن يحدث لو تغيرت بعض الظواهر؟ وماذا يهم المتعلم من هذا الموضوع؟ وما أهميته بالنسبة للآخرين؟ هل هذا الموضوع معقولا؟ وغيرها من الأسئلة التي تدل الإجابة عنها على فهم الموضوع.

ثالثاً: التطبيق: تمكن المتعلم من توظيف ما لديه من معلومات عن موضوع معين بكفاءة، وعلى نحو خاص في مواقف جديدة ومتنوعة، فعندما يفهم المتعلم المفهوم أو الموضوع يكون قادراً على إجابة لعدد من الأسئلة، مثل: كيف يمكن توظيف هذه المعرفة؟ أين يمكن استعمال المهارة التي تعلمتها؟ كيف يمكن تطوير الأفكار السابقة للاستفادة منها؟، وأن المعلومات أو المهارات التي يتعلمها المتعلم يكون هدفها الأساسي تزويده بقدرات وإمكانات عقلية أو جسمية ليستعملها في حياته اليومية بفعالية ونجاح ويمكن من خلالها أن يتطور ويتقدم نحو الأفضل.

رابعاً: رؤية المتعلم: يبدو الفهم هنا في قدرة المتعلم على ادراك الفكرة، وأن هناك وجهات نظر مختلفة حول الأحداث والموضوعات، ويستوعب أن هناك أكثر من حل لكل مشكلة وأكثر من إجابة لكل سؤال، وأن تكون له وجهة نظر، كما للآخرين، فينظر المتعلم للمعلومات والآراء نظرة تحليلية بلذلك يتعمق الفهم عنده، ويتساءل: هل هذا الرأي مقبول؟ وهل يعبر عن وجهة نظر محدده؟ ما الجوانب الايجابية والجوانب السلبية في الفكرة أو الرأي؟ هل يمكن تقويم هذه الفكرة؟ ويتميز المتعلمون الذين وصلوا إلى هذا المستوى من

الفهم بأنهم يطرحون الكثير من الأسئلة، ويعترضون كثيراً على بعض الآراء والأفكار، ويعبرون عن وجهة نظرهم بشجاعة اعتماداً على فهمهم المتعمق للموضوع.

خامساً: فهم مشاعر الآخرين: يركز فهم المتعلم في هذا المستوى على الآخرين، ويتساءل كيف يرى الآخرون هذا الموضوع؟ أو، هل ينظرون إليه نظرتي نفسها؟ ما النقص في معرفتي لأرى ما يرونه؟ هل يقرءون ما أنا أن أقرأه؟ لو كنت مكانهم هل كانت وجهة نظري ستتغير؟ أي أن المتعلم يحاول أن يرى الموضوع من زاوية نظر الآخر، ويحاول أن يفهم طريقة تفكيره ويتخيلها، ويشعر بمشاعرهم، ويفكر من وجهة نظرهم.

سادساً: فهم ومعرفة الذات: يصل المتعلم في المرحلة التحديد وجهة نظرة إلى الأشياء أي لمستوى الحكمة، فيعرف إمكاناته جوانب قوته وعيوبه وتحيزاته في شرح أو تفسير أي معلومات أو موضوعات كما يفهم كيف تؤثر أنماطه الفكرية في إدراكه للأسئلة، وكيف تؤثر شخصيته وطبيعته على رؤيته للأحداث؟ وما حدود فهمه لبعض الأشياء؟ وما هي المؤثرات الخارجية على وجهة نظره؟ هل هو متعصب لآراءه؟ هل أستمع بدقة لآراء الآخرين؟ هذه المرحلة، هي مرحلة معرفة الذات وفهمها، وتعد من أعلى عمليات الفهم، لأنها تتطلب من المتعلم أن يكون واعياً لما يفهمه وموضوعياً، لكي يتمكن من تعرف نقاط قوته وضعفه لتكون عنده الشجاعة لمواجهةها، والعمل على تعديلها . (ياسين وراجي، 2012: ١٣٦-١٣٨).

المحور الثاني: التفكير عالي الرتبة Higher Order Thinking

يعد التفكير عالي الرتبة هدفاً من الأهداف التي يجب أن تنتهي إليها عمليتا التعلم والتعليم، وهو نمط من أنماط التفكير التي تجعل المتعلم متفتح لاستيعاب الجديد من الأفكار وتقبلها والتوافق معها، ومواجهة التحديات المستقبلية ومعالجة المشكلات وحلها، فكانت التوجهات التربوية الحديثة تؤكد على التفكير عالي الرتبة، (Hirose, 2000, p.34). التفكير عالي الرتبة هو ليس مفهوماً جديداً، في الواقع ظهر في تصنيف بلوم للأهداف التعليمية في عام ١٩٥٦، وهو نمط معقد من التفكير ينطوي على التقويم والتركيب وفرض الفرضيات والتنبؤ والتفكير النقدي وإصدار الحكم والتنظيم

الذاتي، واختبار الأفكار، وحل المشكلات (Cohen 2004. p177 & et.al) فقد وصف بلوم المهارات في أعلى تصنيف في المجال المعرفي بأنها مهارات التفكير عالي الرتبة (التحليل والتركيب والتقييم) وهذه المهارات معممة وتعمل على حل المشكلات ويمكن تطبيقها على مجموعة كبيرة من الموضوعات (Boone et al., 2005;p. 25). وأشار بلوم (Bloom، 1956) ان التفكير عالي الرتبة هو مزج نمطين من التفكير هما الابتكاري والتفكير الناقد، والتفكير عالي الرتبة مكافئ لاندماج هذين النمطين (الابتكاري والناقد)، فلا يوجد تفكير ابتكاري خالص وتفكير ناقد خالص، فالتفكير الابتكاري يتضمن المحاكمة العقلية الابتكارية، اما التفكير الناقد يتضمن المحاكمة العقلية المنطقية. فلا يوجد تفكير ناقد دون القليل من المحاكمة العقلية الابتكارية، ولا يوجد تفكير ابتكاري دون القليل من المحاكمة العقلية المنطقية، (العتوم وآخرون، ٢٠٠٧: ٢٠٥). والتفكير عالي الرتبة يتضمن التفكير الناقد والتفكير الابتكاري، وينتج التفكير عالي الرتبة من الحقيقة والمعنى وهما فكرتين منظميتين، وليس صقل للمهارات المعرفية، بل التفكير عالي الرتبة هو السياق الذي بواسطته تتطور المهارات المعرفية على نحو خاص عندما يوظف الحوار والسياق الاجتماعي الأكثر موثوقية لتوليد التفكير عالي الرتبة، فالتفكير المتقدم، هو التفكير عالي الرتبة (ليمان، ١٩٩٨: ٣٨) .

مهارات التفكير عالي الرتبة Higher - Order Thinking Skills

ان مهارات التفكير عالي الرتبة في الاساس تعني التفكير الذي يحدث في مستويات أعلى من التسلسل الهرمي للمعالجة الادراكية. فالترتيب الهرمي الأكثر الشائع من هذا النوع في التعليم هو تصنيف بلوم (Hammond,2010, net) تشمل مهارات التفكير عالي الرتبة الناقدة والمنطقية، والتأملية، وما وراء المعرفة، والتفكير الإبداعي، ويتم تنشيطها عندما يواجه المتعلمين مشاكل غير مألوفة، ويتملكهم عدم اليقين بشأنها. (FJ King.et.al.2012.p1)، إن مستويات بلوم الثلاثة العليا في المجال المعرفي تمثل مهارات التفكير عالي الرتبة، اذ ان التحليل يمثل (التفكير الناقد) والتركيب يمثل (التفكير الابتكاري) والتقييم (المحاكمة العقلية)، وهذه المهارات تعد مكونات للتفكير عالي الرتبة (ليمان، ١٩٩٨: ٢٣٢). وأن إكساب المتعلمين مهارات التفكير عالي الرتبة يتطلب

إكسابهم مهارات: التطبيق، والتحليل، والتركيب، والتقويم، وهذا ما اشار اليه (2000, Lawrence) اذ أن هذه المهارات تعمل على تنمية هذا التفكير عالي الرتبة (Lawrence, 2000: p 2). وان تعليم مهارات التفكير عالي الرتبة تطلب اكساب المتعلمين مهارات: التحليل Analysis، والتركيب Synthesis، التقويم Evaluation (العتوم وآخرون، ٢٠٠٧: ٦٦) وهناك من يرى ان مهارات التفكير عالي الرتبة هي: تنظيم المعرفة، والانفتاح الذهني، والحوارات والمناقشات السقراطية، وانهماك المتعلمين في ممارسة مهارات التفكير عالي الرتبة مثل: صوغ التنبؤات، وتحليل البيانات وتحويلها الى المعادلات والصيغ المختلفة، سيمكنهم من الاهتمام بشكل افضل على نحو خاص بتعلم المادة الدراسية، وان مهارة حل المشكلات المفتوحة النهاية من المهارات المهمة للتفكير عالي الرتبة (Lipman,1991:p89).

مميزات التفكير عالي الرتبة:

لقد حددت لورين ريسنيك (Resnick,1987,p.3) عدد من المميزات وهي:

- يتصف التفكير عالي الرتبة بانه معقد وغير حسابي.
- يستعمل الفرد حلول متعددة.
- يستعمل الحكم والتفسير.
- تطبيق معايير متعددة.
- يتميز بالشك.
- يتميز بالتنظيم الذاتي لعملية التفكير.
- إيجاد معنى، وتحديد هيكل للخبرة بالرغم من عدم وضوح الموقف.
- بذل المجهود.

(Resnick,1987,p.3)

خصائص البيئة التعليمية لاكساب المتعلمين مهارات التفكير عالي الرتبة:

لقد ذكر (العتوم وآخرون، ٢٠٠٧) مجموعة من الخصائص التي يجب توافرها في البيئة الصفية التي تعزز وتنمي مهارات التفكير عالي الرتبة:

- ١- تقديم مواقف تعليمية واقعية لتشجيع المتعلم على التفكير في هذه المواقف.
- ٢- تشجيع المتعلمين للتعبير عن افكارهم والدفاع عنها واحترام آراء الآخرين .
- ٣- تشجيع المتعلمين على التفاعل الاجتماعي مع المعلم والاقربان والتعاون معهم.
- ٤- تشجيعهم على حب المعرفة واثارة حب الاستطلاع والاكتشاف والاستقصاء وتنمية مسؤولية المتعلمين عن تعلمهم .
- ٥- تحويل كل فشل في التوصل للإجابة أو حل للمشكلة او عدم التوصل إلى معنى وفرصة للتعلم.

(العتوم واخرون، ٢٠٠٧: ٢٠٦)

تقويم مهارات التفكير عالي الرتبة:

- يتم تقويم مهارات التفكير عالي الرتبة لدى المتعلم من خلال ادوات متعددة منها:
- اختيار من متعدد. الذي يتطلب اعادة ترتيب الاستجابات. او اختيار من متعدد مع التبرير المكتوب لاستجابة المتعلمين.
 - اختبارات الأداء.
 - ملفات الانجاز: هي مجموعات من المهام والمشاريع الطلابية
 - كتابة التقارير.

(Killoran, 1992; pp.106-108)

دراسات سابقة:

- دراسة (Christi & Julie, 1996): أجريت الدراسة في الولايات المتحدة الأمريكية وقد هدفت إلى تحسين مهارات التفكير عالي الرتبة لدى طلبة المدارس الثانوية لتعليم اللغة الاسبانية كلغة ثانية، تم تصميم برنامج لتحسين مهارات التفكير عالي الرتبة لدى طلبة المدارس الثانوية لتعليم اللغة الاسبانية . وذلك لأربع مدارس بواقع (٣٦٠) طالب وطالبة وتم توثيق الخلل في التفكير عالي الرتبة من خلال الاختبارات التي يقوم بها المدرس،

العروض الشفهية التي يؤديها الطالب باللغة الاسبانية، سجل ملاحظات المدرس وسجلات لملاحظة تفكير الطالب .

لقد أثبتت التحليلات افتقاد الطلبة إلى المعرفة، والتطبيق، وإتقان المهارات عالية الرتبة، بغض النظر عن المهارات التي يتم تعلمها على انفراد أو بمساعدة المنهج . لقد تم التركيز في هذه الدراسة على استخدام المنظمات الصورية، أو الخرائط العقلية (الذهنية) التي يتم تقديمها بشكل بصري لمعرفة مدى تأثيرها على بعض المهارات الرئيسية كالترتيب والمقارنة ومعرفة المتناقضات والتصنيف . لقد اختيرت المنظمات الصورية من اجل محتوى الدرس واستخدمت في التعليم والاختبار الذي يقيس مهارات التفكير عالية الرتبة .

وأكدت نتائج الدراسة على أن الطلبة قاموا بتطوير منظماتهم الصورية واستخدموها في مواقف جديدة . كما قد لوحظ تطور أداء الطلبة في الامتحانات القصيرة والاختبارات المكتوبة . (Christi & Julie, 1996: 1)

- دراسة الشامي (٢٠١٢): هدفت الدراسة تعرف فاعلية التدريس بمهارات التفكير عالي الرتبة على وفق أسلوب تعليم التفكير ضمن المحتوى المعرفي لمادة علم الأحياء في التحصيل وكفاية التمثيل المعرفي وتنمية التفكير الناقد لدى طالبات الصف الرابع العلمي، واعتمد الباحث مهارات التفكير عالي الرتبة وهي مهارات (تنظيم المعلومات، التساؤل الناقد، حل المشكلات مفتوحة النهاية، تحليل البيانات ونمذجتها، صياغة التنبؤات، التطبيق، التركيب، التقويم)، اختيرت عينة البحث قصدياً وبلغ عدد الطالبات (٦٣) طالبة موزعة على مجموعتي البحث، وهي المجموعة التجريبية وتضم (٣١) طالبة وتدرس وفقاً لمهارات التفكير عالي الرتبة، والمجموعة الضابطة (٣٢) طالبة فتدرس بالطريقة الاعتيادية، كوفئت المجموعتان بمتغيرات (العمر الزمني، والتحصيل السابق، والمعلومات الإحيائية المسبقة، والذكاء ومقياس كفاية التمثيل المعرفي واختبار التفكير الناقد)، وقامت الباحثة ببناء ثلاث أدوات وهي: الاختبار التحصيلي الذي تكون من (٥٠) فقرة

(٤٣) منها من نوع الاختيار من متعدد و(٧) مقالية، ومقياس كفاية التمثيل المعرفي الذي تكون من (٥٤) فقرة واختبار التفكير الناقد الذي تكون من (٢٥) موقفاً وتكون من (٧٥) فقرة على وفق المهارات للتفكير الناقد وهي (معرفة الافتراضات، التفسير، تقويم الحجج، الاستنباط، الاستنتاج) وظهرت النتائج التي توصلت اليها الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية ولصالح المجموعة التجريبية في التحصيل الدراسي لمادة علم الاحياء بحجم أثر للمتغير المستقل بلغ (٠,٦٢) وهي قيمة متوسطة، وكذلك وجود فروق ذات دلالة إحصائية ولصالح المجموعة التجريبية في مقياس التمثيل المعرفي بحجم اثر للمتغير المستقل بلغ (٠,٧٥) وهي قيمة فوق المتوسطة، ووجود فروق ذات دلالة إحصائية ولصالح المجموعة التجريبية في تنمية التفكير الناقد بحجم اثر للمتغير المستقل بلغ (٠,٥٩) وهي قيمة متوسطة.

(الشامي، ٢٠١٢: ج-٥)

منهجية البحث واجراءاته

منهج البحث: اعتمدت الباحثة منهج البحث التجريبي لتحقيق هدف البحث.

التصميم التجريبي: اختارت تصميم المجموعتين (التجريبية والضابطة ذي الضبط الجزئي)، بوصفه واحداً من تصاميم المجموعات المتكافئة.

مجموعتي البحث	المتغير المستقل	الاختبار البعدي	المتغير التابع
التجريبية	استراتيجية الفهم	الاختبار التحصيلي	التحصيل
الضابطة	---	اختبار التفكير عالي الرتبة	التفكير عالي الرتبة

مجتمع البحث: تكون مجتمع البحث الذي اختيرت منه عينة البحث من طلبة المرحلة الثانية كلية الاداب في كل من الجامعة العراقية والمستنصرية وجامعة بغداد ٢٠١٥-٢٠١٦م.

عينة البحث: اختير طلبة المرحلة الثانية كلية الاداب في الجامعة العراقية عشوائياً عينة للبحث، وبطريقة السحب العشوائي اختارت الباحثة طلبة المرحلة الثانية

صباحي لتمثل المجموعة التجريبية التي تدرس مادة التاريخ (شرق ادنى قديم) على وفق استراتيجية الفهم، ونظراً لعدم توافر مجموعة ثانية صباحية، وبعد استشارة عدد من المحكمين والخبراء في القياس والتقويم^(١)، ارتأت الباحثة أن تختار طلبة المرحلة الثانية مسائي لتمثل المجموعة الضابطة التي تدرس مادة التاريخ (شرق ادنى قديم) بالطريقة التقليدية، بلغ عدد الطلبة (٧٤) طالب وطالبة بواقع (٣٧) طالب وطالبة في كل مجموعة.

تكافؤ مجموعتي البحث: أجرت الباحثة التكافؤ بين مجموعتي البحث في المتغيرات الآتية: (العمر الزمني للطلبة، الذكاء، التفكير عالي الرتبة).

العمر الزمني بالأشهر لطلبة مجموعتي البحث: تم الحصول على المعلومات المطلوبة فيما يخص العمر الزمني من الطلبة أنفسهم. إذ بلغ المتوسط الحسابي لطلبة المجموعة التجريبية (235.616) شهراً أما المتوسط الحسابي لطلبة المجموعة الضابطة هو (233.891) شهراً، استعملت الباحثة الاختبار التائي (T-Test) لعينتين مستقلتين لحساب دلالة الفرق بين متوسطي اعمار المجموعتين، وتبين أن القيمة التائية المحسوبة تساوي (0.460) وهي أصغر من الجدولية (١,٩٨) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (٧٢)، الجدول (١) يوضح ذلك، وهذا يدل على أن مجموعتي البحث متكافئتان إحصائياً في هذا المتغير.

الجدول (١)

نتائج الاختبار التائي لاعمار طلبة مجموعتي البحث

مستوى الدلالة ٠,٠٥	القيمتان التائية		درجة الحرية	انحراف معياري	المتوسط الحسابي	افراد العينة	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة					
غير دالة	١,٩٨	0.460	٧٢	17.610	235.616	37	التجريبية
				14.479	233.891	37	الضابطة

^١ - أ.د. كامل الكبيسي، أ.د. صفاء طارق حبيب، أ.د. محمد أنور، أ.د. ياسين حميد، أ.م.د. خالد

الذكاء: طبقت الباحثة اختبار رافن، كونه مقنناً على البيئة العراقية (الدبّاغ، ١٩٨٣:٦٠) وبعد تطبيق الإختبار، بلغ متوسط درجات المجموعة التجريبية (41.7568) في حين بلغ متوسط درجات المجموعة الضابطة (42.3784)، وكانت القيمة التائية المحسوبة (٠,٤٠٠) وهي أقل من القيمة التائية الجدولية البالغة (١,٩٨) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (٧٢)، وهذا يدل على أن مجموعتي البحث متكافئتان إحصائياً في هذا المتغير، الجدول (٢) يوضح ذلك .

الجدول (٢)

القيمة التائية المحسوبة لدرجات مجموعتي البحث في إختبار الذكاء

الدالة الاحصائية (٠,٠٥)	القيمة التائية		درجة لحرية	الانحراف لعياري	المتوسط الحسابي	العينة	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة					
غير دالة	١,٩٨	٠,٤٠٠	٧٢	7.61725	41.7568	37	التجريبية
				5.60432	42.3784	37	الضابطة

التفكير عالي الرتبة: طبقت الباحثة اختبار التفكير عالي الرتبة على عينة البحث لاغراض التكافؤ قبل بدء التجربة، وعند مقارنة متوسطات درجات المجموعتين، ظهر ان متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية قد بلغ (19.4054) وانحراف معياري (1.18929)، في حين بلغ متوسط درجات طلبة المجموعة الضابطة (18.8378)، وانحراف معياري (2.08851)، وللتحقق من تكافؤ المجموعتين، استعملت الباحثة الاختبار التائي (T-Test) لعينتين مستقلتين لحساب دلالة الفروق بين متوسطي درجات المجموعتين والجدول (٣) يبين ذلك:

الجدول (٣)

نتائج الاختبار التائي لدرجات طلبة مجموعتي البحث في اختبار التفكير عالي الرتبة

مستوى الدلالة ٠,٠٥	القيمتان التائيتان		درجة الحرية	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	العينة	المجموعة
	الجدولية	المحسوبة					
غير دالة	١,٩٨	1.436	٧٢	1.18929	19.4054	37	التجريبية
				2.08851	18.8378	37	الضابطة

يتبين من الجدول (٣) ان القيمة التائية المحسوبة والبالغة (1.436) اقل من القيمة التائية الجدولية البالغة (١,٩٨) عند درجة حرية (٧٢) ومستوى دلالة (٠,٠٥) وهذا يشير الى انها غير دالة احصائياً، مما يؤكد ان المجموعتين (التجريبية والضابطة) متكافئتان في هذا المتغير.

مستلزمات البحث:

- **تحديد المادة التعليمية:** تم تحديد المادة التعليمية وهي موضوعات مادة التاريخ (شرق ادنى قديم) المحددة من لجنة العمداء للعام الدراسي ٢٠١٥ / ٢٠١٦ م.

- **إعداد الخطط التدريسية والاهداف السلوكية:** اعدت الخطط التدريسية لمجموعي البحث اعتماداً على المحتوى والاهداف السلوكية لموضوعات مادة التاريخ (شرق ادنى قديم) فقد تم إعداد (٣٠) خطة تدريسية لكل مجموعة، وتم صياغة (٢٠٠) غرضاً سلوكياً وقد عُرِضَت على مجموعة من المحكمين من ذوي الخبرة والاختصاص وفي ضوء آرائهم اجريت بعض التعديلات البسيطة .

اداءات البحث:

اولاً: الاختبار التحصيلي: صمم اختبار تحصيلي في ضوء محتوى مادة التاريخ (شرق ادنى قديم) المقرر تدريسها خلال مدة التجربة والأغراض السلوكية:

- **اعداد الخارطة الاختبارية:** اعدت الباحثة خارطة اختبارية شملت محتوى موضوعات مادة التاريخ (شرق ادنى قديم)، والاهداف السلوكية للمستويات الستة من المجال المعرفي لتصنيف (Bloom)، (المعرفة، الفهم، التطبيق، التحليل، التركيب، والتقييم). وحددت عدد الفقرات في كل مستوى من المستويات الستة للاهداف السلوكية من مجموع فقرات الاختبار النهائي ب (٤٥) فقرة في ضوء مجموع الفقرات الكلي، الجدول (٤) يوضح ذلك.

□

جدول (٤)

الخارطة الاختبارية لفقرات الاختبار التحصيلي

مجموع فقرات الاختبار	الاهداف السلوكية						الاهمية النسبية للاهداف	عدد الاهداف	الموضوعات	ت
	7%	9%	12%	17%	25%	33%				
	التقويم	التركيب	تحليل	تطبيق	فهم	معرفة				
5	0	0	1	1	1	2	11.00%	٢٢	الفصل الاول	١
3	0	0	0	1	1	1	6.00%	١٢	الفصل الثاني	٢
6	0	1	1	1	1	2	15.00%	٣٠	الفصل الثالث	٣
8	1	1	1	1	2	2	16.00%	٣٢	الفصل الرابع	٤
7	1	1	1	1	1	2	15.00%	٣٠	الفصل الخامس	٥
8	1	1	1	1	2	2	16.00%	٣٢	الفصل السادس	٦
3	0	0	0	1	1	1	8.00%	١٦	الفصل السابع	٧
5	0	0	1	1	1	2	13.00%	٢٦	الفصل الثامن	٨
٤٥	3	4	6	8	10	14	١٠٠%	٢٠٠	المجموع	

- صياغة فقرات الاختبار: شمل الاختبار الفقرات الموضوعية (الاختبار من متعدد) والمقالية وبذلك تنوعت فقرات الاختبار التحصيلي، فكانت فقراته (٣٥) فقرة موضوعية و(١٠) فقرات كانت تمثل أسئلة مقالية وقد وزعت فقرات الأسئلة على وفق الأغراض السلوكية بمستوياتها الستة.
- صدق الاختبار: عرض الاختبار على عدد من المحكمين في طرائق التدريس والقياس والتقويم البالغ عددهم (١٢) محكم، وبعد تحليل استجاباتهم، عدلت صياغة بعض من الفقرات وقبلت الفقرات التي حصلت على نسبة (٧٥%) فأكثر من موافقة الخبراء والمحكمين. ومن مؤشرات الصدق السابقة التي اعتمدها الباحثة إعداد الخارطة الاختبارية الجدول (٤).

- **تعليمات تصحيح الاختبار التحصيلي:** تم وضع إجابات أنموذجية لجميع فقرات الاختبار اعتمدت في التصحيح. فقد أعطيت لكل فقرة من فقرات الاختبار الموضوعي درجة واحدة إذا كانت الإجابة صحيحة وصفرًا إذا كانت الإجابة خاطئة أو متروكة . والدرجة الكلية لفقرات الاختبار الموضوعي (صفر - ٣٥) درجة . أما الأسئلة المقالية فقد تراوح مداها (صفر - ٣) درجة للسؤال الواحد حيث أعطيت الدرجة على وفق خطوات الحل الصحيح ولكل فكرة درجة واحدة . وبهذا أصبحت الدرجة الكلية لتلك الأسئلة بالمدى (صفر - ٣٠) درجة فان الدرجة الكلية للاختبار هي (٦٥) درجة .
- **التجربة الاستطلاعية:** طبق الاختبار على عينة استطلاعية من جامعة أخرى ولها مواصفات عينة البحث، تألفت من (٢٠) طالب وطالبة من طلبة المرحلة الثانية كلية الآداب جامعة بغداد وبعد تطبيق الاختبار اتضح ان التعليمات واضحة، وان الوقت الذي استغرق في الاجابة عن فقرات الاختبار كان (٤٠) دقيقة.
- **عينة التحليل الاحصائي لفقرات الاختبار:** طبق الاختبار على عينة التحليل الاحصائي ولها مواصفات عينة البحث، تألفت من (١٠٠) طالب وطالبة من طلبة كلية الآداب جامعة بغداد والمستتصرية.
- **معامل صعوبة الفقرات:** لقد حسبت صعوبة كل فقرة من فقرات الاختبار الموضوعي باستعمال المعادلة الخاصة بها . فكانت تتراوح بين (0.44-0.59). وحسبت صعوبة فقرات الاختبار المقالي باستعمال معادلة الصعوبة الخاصة بها فتراوحت بين (0.51-0.64) . وبهذا تعد فقرات الاختبار مقبولة ومعامل صعوبتها مناسباً، الجدول (٥) و(٦).
- **القوة التمييزية لفقرات:** حسبت القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الاختبار الموضوعي باستعمال المعادلة الخاصة بها فتراوحت بين (0.59-0.67)،

وحسبت القوة التمييزية لكل فقرة من فقرات الاختبار المقالي باستخدام معادلة التمييز الخاصة بها فتراوحت بين (٠,٤٣-٠,٦٢)، الجدول (٥) و(٦).

الجدول (٥)

معامل الصعوبة والتمييز لفقرات الاختبار الموضوعية في المجموعة العليا والمجموعة الدنيا

نسبة تمييز الفقرة	نسبة صعوبة الفقرة	الاجابات الصحيحة في المجموعة الدنيا	الاجابات الصحيحة في المجموعة العليا	تسلسل الفقرة
0.59	0.44	4	20	١.
0.67	0.59	7	25	٢.
0.59	0.44	9	24	٣.
0.67	0.59	5	22	٤.
0.59	0.44	9	26	٥.
0.67	0.59	5	20	٦.
0.59	0.44	7	25	٧.
0.67	0.59	4	19	٨.
0.59	0.44	8	21	٩.
0.67	0.59	11	25	١٠.
0.59	0.44	9	25	١١.
0.67	0.59	6	17	١٢.
0.59	0.44	4	20	١٣.
0.67	0.59	13	24	١٤.
0.59	0.44	14	26	١٥.
0.67	0.59	7	21	١٦.
0.59	0.44	6	25	١٧.
0.67	0.59	3	20	١٨.
0.59	0.44	9	24	١٩.
0.67	0.59	4	17	٢٠.

0.59	0.44	9	20	.٢١
0.67	0.59	1	25	.٢٢
0.59	0.44	11	26	.٢٣
0.67	0.59	11	23	.٢٤
0.59	0.44	14	24	.٢٥
0.67	0.59	11	23	.٢٦
0.59	0.44	12	26	.٢٧
0.67	0.59	12	23	.٢٨
0.59	0.44	13	23	.٢٩
0.67	0.59	12	26	.٣٠
0.59	0.44	14	25	.٣١
0.67	0.59	5	20	.٣٢
0.59	0.44	11	25	.٣٣
0.67	0.59	13	25	.٣٤
0.59	0.44	11	20	.٣٥

الجدول (٦)

معامل الصعوبة والتمييز لفقرات الاختبار المقالية في المجموعة العليا والمجموعة الدنيا

نوع الفقرات	رقم الفقرة	عدد الإجابات في							
		المجموعة الدنيا				المجموعة العليا			
		٣	٢	١	٠	٣	٢	١	٠
السؤال الثاني المقالي	٣٦.	2	8	7	12	15	9	2	1
	٣٧.	1	8	8	11	18	7	1	1
	٣٨.	1	9	5	13	14	7	6	0
	٣٩.	2	7	6	14	18	5	3	1
	٤٠.	2	8	7	12	17	5	3	2
	٤١.	2	8	8	11	19	5	2	1
	٤٢.	2	9	8	10	20	5	1	1
	٤٣.	1	6	5	16	16	6	3	2
	٤٤.	3	7	6	14	17	7	2	1
	٤٥.	1	5	7	15	17	9	1	0

فعالية المموهات الخاطئة: استعملت الباحثة معادلة فعالية المموهات الخاطئة لجميع فقرات الاختبار الموضوعي، ووجدت أن معاملات فعالية جميع المموهات سالبة، وبذلك عدت جميع المموهات الخاطئة فعالة، الجدول (٧).

الجدول (٧)

فاعلية المموهات الخاطئة لفقرات الموضوعية

رقم الفقرة	البدائل			
	أ	ب	ج	د
١.	-0.177	-0.268	✓	-0.157
٢.	-0.194	✓	-0.231	-0.268
٣.	✓	-0.231	-0.194	-0.268
٤.	-0.231	-0.157	-0.268	✓
٥.	✓	-0.178	-0.194	-0.231
٦.	-0.268	✓	-0.231	-0.194
٧.	-0.157	-0.268	✓	-0.268

٨.	-0.231	✓	-0.157	-0.231
٩.	-0.194	✓	-0.231	-0.231
١٠.	-0.157	-0.157	-0.157	✓
١١.	-0.157	✓	-0.231	-0.268
١٢.	-0.268	-0.157	-0.268	-0.231
١٣.	✓	-0.268	-0.231	-0.194
١٤.	-0.157	-0.231	-0.268	✓
١٥.	✓	-0.231	-0.157	-0.268
١٦.	-0.268	-0.231	✓	-0.194
١٧.	-0.231	-0.268	✓	-0.157
١٨.	-0.157	-0.268	-0.157	✓
١٩.	-0.178	-0.194	-0.268	✓
٢٠.	-0.194	-0.268	✓	-0.268
٢١.	-0.268	✓	-0.231	-0.268
٢٢.	-0.231	-0.157	-0.157	✓
٢٣.	-0.231	-0.194	✓	-0.178
٢٤.	✓	-0.157	-0.194	-0.157
٢٥.	-0.268	-0.157	-0.268	✓
٢٦.	✓	-0.157	-0.231	-0.231
٢٧.	-0.231	-0.268	✓	-0.231
٢٨.	-0.194	-0.194	-0.268	✓
٢٩.	-0.157	-0.231	-0.231	✓
٣٠.	✓	-0.231	✓	-0.268
٣١.	-0.268	-0.268	-0.268	✓
٣٢.	-0.231	✓	-0.194	-0.157
٣٣.	-0.194	✓	-0.268	-0.231
٣٤.	-0.268	-0.231	✓	-0.268
٣٥.	-0.231	-0.268	-0.157	✓

ثبات الاختبار التحصيلي: استعملت معادلة (Kuder، Richardson-20) لحساب ثبات فقرات الاختبار الموضوعي، إذ إنها الطريقة الأكثر شيوعاً لاستخراج الاتساق الداخلي لفقرات الاختبار التي تعطى درجة واحدة للإجابة الصحيحة وصفرًا للإجابة غير

الصحيحة (ملحم، ٢٠٠٠: ٢٦٥) وكان معامل ثبات هذه الفقرات (٠,٨٩)، أما فقرات الاختبار المقالّي فقد استعملت معادلة كرونباخ ألفا (Cronbach Alpha) لإيجاد ثباتها وتستخدم هذه المعادلة لحساب ثبات فقرات الاختبار المقالّي للاختبار التحصيلي التي يتم تقدير درجاتها حسب نوعية الإجابة، وكان معامل ثبات هذه الفقرات (٠,٨١) وتعد ثبات الفقرات الموضوعية والمقالّيّة للاختبار ثبات موثوقا به .

ثانيا: اختبار التفكير عالي الرتبة: صممت الباحثة اختباراً للتفكير عالي الرتبة وذلك لعدم وجود اختبارات جاهزة لقياس مهارات التفكير عالي الرتبة للمرحلة الجامعية في البيئة العراقية.

تحديد مهارات الاختبار: بعد الاطلاع على الدراسات السابقة والادبيات التربوية والتي عرضت مهارات التفكير عالي الرتبة، اختارت الباحثة المهارات المشتركة والاكثر شيوعا في البحوث وهي (التحليل والتركيب، والتنبؤ، وحل المشكلة) المستعملة في دراستي (Collins,2010) ودراسة (Edwards,2000) المستندة الى تصنيف بلوم (Bloom) في المجال المعرفي والتي تمثل التفكير الناقد والابتكاري. (Collins,2010,p11) وحددت فقرات الاختبار بنوع اختبار الاكمال ذو الاجابة القصيرة، اذ يمكن تقويم مهارات التفكير عالي الرتبة باستخدام الفقرات ذات الاجابة القصيرة او الاختيار من متعدد او المطابقة(King,et al, net).

صدق الاختبار: عرضت الباحثة اختبار التفكير عالي الرتبة على مجموعة من المحكمين والمتخصصين في القياس والتقويم، لإبداء آرائهم وملاحظاتهم في صلاحية فقرات اختبار التفكير عالي الرتبة، وعدلت بعض الفقرات، وأعيدت صياغة بعضها الآخر وحصلت على نسبة اتفاق التي حددتها الباحثة بـ (٧٥ %) من مجموع المحكمين الكلي .

التجربة الاستطلاعية: لغرض معرفة المدة التي تستغرقها الإجابة على الاختبار، ووضوح الفقرات طبقت الاختبار على عينة من الطلبة لها مواصفات عينة البحث نفسها كان عددها (٢٠) طالب وطالبة، فأتضح ان الفقرات واضحة لدى الطلبة، وان الوقت المستغرق في الإجابة هو (٥٦) دقيقة.

التحليل الإحصائي لفقرات الاختبار: طبق الاختبار على عينة التحليل الإحصائي من الطلبة لها مواصفات عينة البحث نفسها كان عددها (١٠٠) طالب وطالبة . تشير (Anastasi, 1997) إلى أن أفضل حجم لعينة تحليل الفقرات عند استخدام المجموعتين المتطرفتين ونسبة (٢٧%) في كل مجموعة (Anastasi, 1997, p. 33) وبعد تطبيق الاختبار على العينة صححت إجابات الطلبة ومن ثم استخرجت الدرجة الكلية لكل فرد من أفراد عينة التحليل الإحصائي، ورتبت الدرجات تنازليا ثم أخذت نسبة (٢٧%) كمجموعة عليا و (٢٧%) كمجموعة دنيا، وبهذا يكون قد بلغ عدد الطلبة في كل مجموعة من المجموعتين العليا والدنيا (٢٧) طالب وطالبة وهذا يعني إن المجموعتين تضم (٥٤) طالب وطالبة. يلاحظ الجدول (٨) لصعوبة الفقرات، والجدول (٩) لتمييز الفقرات.

معامل صعوبة الفقرات:

الجدول (٨)

معاملات صعوبة فقرات اختبار التفكير عالي الرتبة

التحليل		التركيب		التنبؤ		حل المشكلة	
الفقرة	معاملات الصعوبة	الفقرة	معاملات الصعوبة	الفقرة	معاملات الصعوبة	الفقرة	معاملات الصعوبة
١.	0.61	٩.	0.57	١٧.	0.57	٢٥.	0.57
٢.	0.61	١٠.	0.49	١٨.	0.59	٢٦.	0.53
٣.	0.61	١١.	0.51	١٩.	0.59	٢٧.	0.46
٤.	0.53	١٢.	0.51	٢٠.	0.55	٢٨.	0.64
٥.	0.61	١٣.	0.59	٢١.	0.51	٢٩.	0.59
٦.	0.55	١٤.	0.53	٢٢.	0.57	٣٠.	0.49
٧.	0.57	١٥.	0.48	٢٣.	0.55	٣١.	0.49
٨.	٠,٥٤	١٦.	0.57	٢٤.	0.57	٣٢.	0.57

□

الجدول (٩)

معاملات تمييز فقرات اختبار التفكير عالي الرتبة

حل المشكلة		التنبؤ		التركيب		التحليل	
معاملات التمييز	الفقرة	معاملات التمييز	الفقرة	معاملات التمييز	الفقرة	معاملات التمييز	الفقرة
0.86	.٢٥	0.86	.١٧	0.64	.٩	0.86	.١
0.53	.٢٦	0.71	.١٨	0.71	.١٠	0.71	.٢
0.82	.٢٧	0.6	.١٩	0.64	.١١	0.64	.٣
0.82	.٢٨	0.82	.٢٠	0.71	.١٢	0.64	.٤
0.75	.٢٩	0.75	.٢١	0.82	.١٣	0.71	.٥
0.78	.٣٠	0.56	.٢٢	0.78	.١٤	0.60	.٦
0.61	.٣١	0.67	.٢٣	0.71	.١٥	0.56	.٧
0.86	.٣٢	0.86	.٢٤	0.64	.١٦	0.86	.٨

معامل الصدق: تم حساب معامل صدق الفقرات من خلال حساب العلاقة بين الفقرة والدرجة الكلية لاختبار التفكير عالي الرتبة، ويعتمد هذا الأسلوب على حساب العلاقة الارتباطية بين درجات كل فقرة والدرجة الكلية للاختبار (Lindquist,1998:286)، وتم ايضا حساب علاقة درجة الفقرة بمجال المهارة التي تنتمي إليها، باستعمال معامل ارتباط بوينت بايسيريال، اذ ان القيمة الجدولية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) هي (١,٩٦) يلاحظ الجدول (١٠)

الجدول (١٠)

علاقة درجة الفقرة بالمجال وبالدرجة الكلية للاختبار

المهارة	الفقرة	علاقتها بالمجال	علاقتها بالدرجة الكلية
التحليل	.١	0.408	0.292
	.٢	0.384	0.291
	.٣	0.471	0.284
	.٤	0.469	0.270
	.٥	0.494	0.300

0.273	0.507	.٦	
0.244	0.395	.٧	
0.215	0.379	.٨	
0.294	0.411	.٩	التركيب
0.295	0.374	.١٠	
0.273	0.393	.١١	
0.264	0.361	.١٢	
0.267	0.453	.١٣	
0.297	0.435	.١٤	
0.285	0.404	.١٥	
0.214	0.506	.١٦	
0.221	0.426	.١٧	التنبؤ
0.215	0.396	.١٨	
0.263	0.292	.١٩	
0.219	0.358	.٢٠	
0.221	0.426	.٢١	
0.215	0.396	.٢٢	
0.263	0.292	.٢٣	
0.219	0.358	.٢٤	
0.282	0.449	.٢٥	حل المشكلة
0.293	0.413	.٢٦	
0.295	0.362	.٢٧	
0.225	0.361	.٢٨	
0.228	0.473	.٢٩	
0.267	0.383	.٣٠	
0.267	0.478	.٣١	
0.280	0.593	.٣٢	

ثبات الاختبار: استعملت طريقة إعادة الاختبار، وتم اعتماد درجات عينة التحليل الإحصائي نفسها، وبعد أسبوعين تم تطبيق الاختبار على العينة نفسها، وبعد تصحيح

الإجابات، واستعمال معادلة ارتباط بيرسون (Pearson) بلغ معامل الثبات (٠,٧٨) وهو معامل ثبات جيد.

الصورة النهائية للاختبار: اصبح الاختبار بصورته النهائية يتكون من (٤) مهارات ولكل مهارة (٨) فقرات وبذلك يتكون الاختبار من (٣٢) من نوع التكميل القصير الاجابة، ولكل اجابة صحيحة درجة (١) والخطئة او المتروكة (٠) وبذلك تكون اعلى درجة تحصل عليها الطالبة (٣٢) واقل درجة (صفر).

إجراءات تطبيق التجربة والاختبارين: طبقت تدريسية المادة تجربة البحث على طلبة مجموعتي البحث (التجريبية والضابطة). بدأت بالتجربة بشكل فعلي يوم الاثنين ١٩ / ١٠ / ٢٠١٥ وانتهت يوم الاربعاء ٤ / ٥ / ٢٠١٦ طبق الاختبار التحصيلي على طلبة مجموعتي البحث يوم الأحد ٨ / ٥ / ٢٠١٦ وكان الاختبار موحدًا لمجموعتي البحث وفي اليوم التالي طبق اختبار التفكير عالي الرتبة.

الوسائل الإحصائية: استعملت الباحثة الوسائل الإحصائية الآتية:-

معادلة صعوبة الفقرات، معامل تمييز الفقرة، فعالية المموهات الخطئة، معامل ارتباط بيرسون، الفا كرونباخ وبوينت بايسيرال. اختبار T-Test لعينتين مستقلتين.

عرض النتائج وتفسيرها:

في ضوء المعالجة الإحصائية للبيانات الناتجة عن تطبيق اداتي البحث، يمكن عرض النتائج التي تم التوصل اليها وتفسيرها وفقاً لفرضيتي البحث وعلى النحو الاتي:

الفرضية الاولى: لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا مادة التاريخ على وفق استراتيجيات الفهم، ومتوسط درجات طلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا المادة نفسها بالطريقة التقليدية في التحصيل .

ومن خلال مقارنة نتائج الاختبار البعدي للمجموعتين ظهر ان متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية قد بلغ (55.0270) بانحراف معياري (3.66277)، في حين بلغ متوسط درجات طلبة المجموعة الضابطة (45.3784) بانحراف معياري (5.70259)،

وباستعمال الاختبار التائي (T-Test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفرق بين هذين المتوسطين تبين وجود فروق دالة احصائياً بين المجموعتين والجدول (١١) يبين ذلك.

الجدول (١١)

نتائج الاختبار التائي لمجموعتي البحث في الاختبار التحصيلي

مستوى الدلالة ٠,٠٥	درجة الحرية	القيمة التائية		الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	افراد العينة	المجموعة
		الجدولية	المحسوبة				
دالة	٧٢	١,٩٨	8.660	3.66277	55.0270	٣٧	التجريبية
				5.70259	45.3784	٣٧	الضابطة

يتبين من الجدول (١١) ان القيمة التائية المحسوبة والبالغة (8.660) اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (١,٩٨) بدرجة حرية (٧٢) وعند مستوى دلالة (٠,٠٥) مما يدل على ان هنالك فرقاً ذا دلالة احصائية ولصالح المجموعة التجريبية ووفقاً لذلك تم رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة، ويمكن عزو هذه النتيجة ان التدريس باستعمال استراتيجية الفهم يؤثر ايجاباً في رفع مستوى التحصيل لدى طلبة المجموعة التجريبية، اذ تفوقت هذه الاستراتيجية على الطريقة التقليدية وان استعمالها الفعال يساعد الطلبة في التكيف مع ما يعرفونه من معرفة جديدة وتطبيقها في السياقات والمواقف المعقدة، اذ اوضحت استراتيجية الفهم انها استراتيجية فعالة لتحديد احتياجات الطلبة وتنظيم الأهداف وتعمل على تهياً المواقف المرنة للطلبة التي تتميز بالوضوح وتقلل من الغموض والالتباس وتحسن مواقف الطلبة في التفكير بالمهام المعطاة، واختيار الانشطة وتحديد المهام، ويتم تقويم دور الطلبة بأسلوب تعاوني في تشجيعهم على المناقشة الحرة مع التدريسي وتجعل عملية التعلم مسؤولية مشتركة، وتتيح للطلبة الفرصة لتحديد الاهداف وتنفيذها وفقاً لنمط تعلمهم مما يزيد دافعيتهم وثقتهم بانفسهم وحماسهم لتعلم مادة التاريخ شرق ادنى ورفع مستوى تحصيلهم.

الفرضية الثانية: لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية الذين درسوا مادة التاريخ على وفق استراتيجية الفهم، ومتوسط درجات طلبة المجموعة الضابطة الذين درسوا المادة نفسها بالطريقة التقليدية في التفكير عالي الرتبة . ومن خلال مقارنة نتائج اختبار التفكير عالي الرتبة للمجموعتين ظهر ان متوسط درجات طلبة المجموعة التجريبية قد بلغ (25.1892) بانحراف معياري (2.01160)، في حين بلغ متوسط درجات طلبة المجموعة الضابطة (23.8378) بانحراف معياري (2.08851)، وباستعمال الاختبار التائي (T-Test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفروق بين هذين المتوسطين تبين وجود فرق دالة إحصائية بين المجموعتين والجدول (١٢) يبين ذلك .

الجدول (١٢)

نتائج الاختبار التائي لمجموعتي البحث في اختبار التفكير عالي الرتبة البعدي

مستوى الدلالة ٠,٠٥	درجة الحرية	القيمة التائية		الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	العينة	المجموعة
		الجدولية	المحسوبة				
دالة	٧٢	١,٩٨	2.835	2.01160	25.1892	٣٧	التجريبية
				2.08851	23.8378	٣٧	الضابطة

يتبين من الجدول (١٢) ان القيمة التائية المحسوبة والبالغة (2.835) اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة (١,٩٨) بدرجة حرية (٧٢) وعند مستوى دلالة (٠,٠٥) مما يدل على ان هنالك فرقاً ذا دلالة إحصائية ولصالح المجموعة التجريبية، ويمكن عزو هذه النتيجة أن التدريس على وفق استراتيجية الفهم اثر على نحو ايجابي في مهارات التفكير عالي الرتبة لطلبة المجموعة التجريبية، اذ تفوقت استراتيجية الفهم على الطريقة التقليدية من خلال مراحلها اذ تنتج حلولاً متعددة المهام للطلبة وتعطي الدعم في بداية المحاضرة وتتطلب تدريجياً من الطالب العمل بشكل مستقل مما يساعده على تطوير مراتب عليا من مهارات التفكير عالي الرتبة التي تتيح له الفرصة لبناء فهمه حول الأفكار الكبيرة

والأسئلة الأساسية وكيفية فهم وبناء معنى الخاص به من خلال تسلسل الأفكار بشكل منظم ومنسق يساعده على استعمال مهارات التفكير عالي الرتبة، اذ ان التفكير عالي الرتبة يعمل على تنظيم عملية التفكير ذاتيا، وتعمل على اثاره دافعية الطلبة وتشد انتباههم إلى المحاضرة، واستراتيجية الفهم تتيح الفرصة للطلال لتكيف أمثلة التفكير التطبيقية لاحتياجاته المتنوعة . إن استخدام استراتيجية الفهم في التدريس يزيد من فرص مشاركة الطالب إذ يجعله يتعامل مع المعرفة بشكل مباشر، فهو يحلل المعلومات ويركبها ويطبقها في حل مشكلات تعليمية معقدة وجديدة وصياغة التنبؤات، وبذلك يتحقق التعلم الفعال وتنمية للتفكير عالي الرتبة.

الاستنتاجات:

في ضوء نتائج البحث استنتجت الباحثة ما يأتي:

- ١- التدريس على وفق استراتيجية الفهم رفع مستوى تحصيل الطلبة من خلال بنائهم للمعرفة بانفسهم على وفق مراحل الاستراتيجية مما ولد الثقة بانفسهم في متابعة انجاز المهام والتعلم الذاتي .
- ٢- التدريس على وفق استراتيجية الفهم اكسب الطلبة التفكير عالي الرتبة واتضح من خلال قدراتهم على التحليل والتركيب والتقويم والتعميم وحل المشكلات.
- ٣- استراتيجية الفهم اكسبت الطلبة مرونة التفكير وانسيابيته في تكوين البنى المعرفية مما عزز ثقتهم بانفسهم في اختبار الافكار والحكم عليها وصياغة التنبؤات.
- ٤- اظهر التدريس على وفق استراتيجية الفهم تأثيراً ايجابياً من خلال خلق الجو التفاعلي بين الطلبة وأستاذ مادة التاريخ (شرق ادنى قديم) .

التوصيات:

في ضوء نتائج البحث توصي الباحثة بما يأتي:

- ١- اقامة دورات تدريبية لتدريسي وتدرسيات المواد الانسانية على نحو عام والتاريخ (شرق ادنى قديم) على نحو خاص في الكليات على الاستراتيجيات الحديثة ومنها استراتيجية الفهم لاهميتها في رفع مستوى التحصيل والتفكير عالي الرتبة .
- ٢- تعليم الطلبة كيفية ممارسة مهارات التفكير عالي الرتبة واستخدامها وجعلها سلوكاً يومياً في حياتهم لمواجهة تدفق المعلومات الغزيرة للاستفادة منها في مواقف الحياة اليومية.
- ٣- تضمين مادة التاريخ (شرق ادنى قديم) في المرحلة الثانية كلية الاداب التدريبات والانشطة المتنوعة التي تنمي التفكير عالي الرتبة من اجل تطوير مهارات الطلبة في التعميم والتحليل والتركيب والتقويم وحل المشكلات مما يساعد في النمو المعرفي السليم لدى الطلبة.

المقترحات:

تقترح الباحثة عدد من العناوين المستقبلية:

- ١- اثر استراتيجية الفهم في اكتساب المفاهيم وتنمية التفكير التباعدي لدى طلبة الجامعة.
- ٢- اثر استراتيجية الفهم على مستويات دراسية ومواد اخرى وعلى كلا الجنسين.
- ٣- فاعلية استراتيجية الفهم في التحصيل ومهارات التفكير الابتكاري لدى طلبة المرحلة المتوسطة.

المصادر:

- ١- أبو جادو، صالح محمد علي (٢٠٠٠) علم النفس التربوي، عمان، دار المسيرة .
- ٢- خطاب، محمد صالح، (٢٠٠٤) استخدام اسئلة عمليات التفكير العليا في التعلم الصفي، عمان، دار المسيرة .
- ٣- الدباغ، فخري وآخرون (١٩٨٣) اختبار المصفوفات المتتابعة القياس -العراقي - القسم النظري، مطابع جامعة الموصل، الموصل .
- ٤- الريماوي، محمد عودة وآخرون (٢٠١١) علم النفس العام . ط ٤، دار المسيرة، عمان.
- ٥- سعادة، جودت أحمد (٢٠٠٣م) مناهج الدراسات الاجتماعية، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان .
- ٦- الشامي، علاء أحمد عبد الواحد (٢٠١٢) فاعلية التدريس بمهارات التفكير عالي الرتبة في تحصيل مادة علم الإحياء وكفاية التمثيل المعرفي وتنمية التفكير الناقد لدى طالبات الصف الرابع العلمي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية ابن الهيثم، جامعة بغداد.
- ٧- العتوم، عدنان يوسف وعبد الناصر ذياب الجراح وموفق بشارة (٢٠٠٧) تنمية مهارات التفكير نماذج نظرية وتطبيقات عملية . دار المسيرة، عمان .
- ٨- كوجك، كوثر حسين وآخرون (٢٠٠٨) تنويع التدريس في الفصل دليل المعلم، مكتب اليونسكو الاقليمي للتربية في الدول العربية، بيروت.
- ٩- ليتمان، ماثيو (١٩٩٨) المدرسة وتنمية الفكر . ترجمة إبراهيم يحيى الشهابي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق .
- ١٠- ملح، سامي محمد (٢٠٠٠) القياس والتقويم في التربية وعلم النفس ، ط٢، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- ١١- الهاشمي، حيدر ماجد ابراهيم (٢٠١٣) دراسة تقويمية لمناهج التاريخ في الجامعات العراقية في ضوء المعايير العالمية وبناء انموذج لتطويرها، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية.
- ١٢- ياسين، واثق عبد الكريم وراجي، زينب حمزة (٢٠١٢) المدخل البنائي نماذج واستراتيجيات تدريس المفاهيم العلمية، بغداد.
- 13- Anastasi,A,S (1997) Psychological testing,7thed,New jersey: Aivacom company.
- 14- Boone, H. N., Boone, D. A., Gartin, S. A. (2005). Are you Feeding or Challenging you Students: Feeding them Knowledge or Challenging them to Think? TheAgricultural Education Magazine, 77(4), 25-27.

- 15- Brown ,R& Daniel's C.w.: learning history A Guides to advanced study ، London Macmillan Educating ,Ltd,1986.
- 16- Christi ،D. Julie ،K . (1996) . Improving Student Higher Order Thinking Skills Through The Use Of Graphic Organizers . Dissertation ،Saint Xavier University ،ELK Grove Village ،Illinois.
- 17- Cohen, L. et.al (2004) A guide to teaching practice, British Library Cataloguing in Publication Data .A catalogue record for this book is available from, the British Library, ISBN 0-203-42659-2 Master e-book ISBN.
- 18- Collins V(2010) Higher Order Thinking (HOT) Program Assessment Plan, University of North Texas Health Science Center 3500 Camp Bowie Boulevard.
- 19- Commons, M. L. & Richards, F. A. Four postformal stages In J. Demick (Ed.), Handbook of adult development. New York: Plenum .
- 20- Edwards, M. (2000).Higher - order and lower - order thinking skills achievement in secondary - level animal science: Does block scheduling pattern influence end of course learner performance. Journal of Agricultural Education .41(4), 2- 14.
- 21- FJ King.et.al.(2012.) Higher order thinking, A publication of the Educational Services Program, now known as the Center for Advancement of Learning and Assessment.
- 22- Hammond ،G. (n.d.). Higher order thinking. Retrieved June 3010 from <http://xnet.rrc.mb.ca/glenh/hots.htm> .
- 23- Hirose, S., (2000) . Critical Thinking in Community Colleges, ERIC Digest-Htm.
- 24- Killoran, J. (1992). In defense of the multiple-choice question. Social Education, 56(2), 106-108.
- 25- King, FJ ،Ludwika. G .Faranak: Higher-Order Thinking http://www.cala.fsu.edu/files/higher_order_thinking_skills.pdf .
- 26- Lawrence ،A (2000) . The Concept of Metacognition . <http://www.face.nova.ed/Lawalain/deproj.html>.
- 27- Lindquist,E.(1998)Educational Measurement Washington American:American Council on Education.
- 28- Lipman ،M (1991). strengthening Reasoning and Judgment Through Philosophy. In: Learning to think ،think to Learning ،(Maclure, S . and Davis ،P). (Eds.) UK program on press plc . oxford .
- 29- MCTIGHE JAY AND ELLIOTT SEIF (2011) Teaching for understanding ,A meaningful education for 21st century learners .<http://jaymctighe.com/wordpress/wp-content/uploads/2011/04/Teaching-for-Understanding.pdf> .

- 30- Newman, F. (1991).Promoting Higher Order Thinking Skills In Social studies: Overview of A study of 16 Higher School Department. Theory and Research in Social Education. XIX(4), 324-340.
- 31- Resnick, L (198?). Education and Learning to Think. Washington, Dc: National Academy Press.
- 32- Wiggins, Grant& McTighe, Jay(2005) Understanding by design, Library of Congress Cataloging-in-Publication Data.

العوامل المؤثرة في التحول الديمقراطي

أ.م.د. زياد جهاد حمد

الجامعة المستنصرية / كلية القانون والعلوم السياسية

المخلص

أن التطرق حول موضوع التحول نحو الديمقراطية يأتي كرد فعل ونتيجة لازمة العميقة التي تعيشها الأنظمة التسلطية التي فقدت المرونة والتكيف مع التغيرات الاجتماعية السياسية والاقتصادية، وهذا التحول يتأثر بعوامل داخلية وخارجية تؤثر عليه بدرجة كبيرة. ويجب أن نفهم أن التحول الديمقراطي لا يمثل، بالضرورة مساراً للازدهار والحرية والحكم الرشيد. فالأمر يتوقف على جودة المؤسسات السياسية التي تنتج عن المرحلة الانتقالية ومدى كفاءتها في معالجة المشاكل الموروثة والناجمة. أن دراسة التحول الديمقراطي يطرح فرضيات عديدة ويضيف خبرات جديدة، بعدما تأكد وجود أزمة حقيقية في علاقة الدولة بمجتمعها، وبين الفهم التقليدي للدولة القائم على الولاءات والانتماءات الضيقة، والفهم الحديث للدولة القائم على المواطنة المدنية الجامعة، بون شاسع توضحه طبيعة العقد الاجتماعي الناظم لعلاقات الدولة بالمجتمع، وتبرز ارتباطاً بذلك جملة التحديات والإشكاليات المتعلقة ليس فقط في الممارسة والمستقبل، بل والمفاهيم وأفاق تطور عملية الانتقال والتحول الديمقراطي وشروطها الرئيسية. فالمؤسسات الدستورية تشكل الإطار الحقوقي الذي تنتظم فيه العملية السياسية وتحدد آليات ممارسة السلطة ونطاقها، والقواعد التي يجب أن تخضع لها، غير أن الممارسة السياسية، في إطار المؤسسات الدستورية، تبقى مرهونة بالقوى السياسية وبطبيعتها ومصدر وجودها، وبالقيم

الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تحكم تصرفاتها. ويأتي البعد الفكري لعملية التحول نحو الديمقراطية على رأس الأبعاد والعوامل المؤثرة في التحول الديمقراطي، حيث طبيعة السلطة الاستبدادية وانحرافها في ممارسة السلطة واتساع الهوة بين الحاكم المستبد والمحكومين وانتفاء الشرعية لسلطة الاستبداد يجعل من طرح موضوع التحول الديمقراطي ضرورة ملحة، خصوصا بعد ما أدركت الشعوب الراضخة تحت وطأة الحكم الاستبدادي انه لا مفر من مواجهة الأنظمة الاستبدادية بعدما سئمت من الركود الفكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي. أن التحول الديمقراطي يقصد به التحول من نظام استبدادي تسلطي إلى نظام ديمقراطي عبر عملية تدريجية من خلال مؤشرات تدل على صحة عملية التحول مثل تآكل النظام الاستبدادي وظهور نخبة إصلاحية وأخرى محافظة في داخله، وبروز مؤسسات المجتمع المدني وقوة نفوذها في مراقبة السلطة وتحقيق مطالب الأفراد وانتزاعها من السلطة وظهور أحزاب سياسية فعالة تعبر عن تعددية حقيقية وليست صورية تعمل على كبح جماح السلطة المستبدة عبر تنظيم التظاهرات والاحتجاجات ولغة المعارضة السياسية الواعية هذا من جهة، ومن جهة أخرى الالتزام بتنفيذ برامجها وعودها الانتخابية التي قطعتها للناخبين أبان موسم الانتخابات. بعبارة موجزة أن التحول نحو الديمقراطية يشهد ظهور فاعلين سياسيين في مشهد الحياة السياسية بعد ما كانت تتلون بلون سياسي استبدادي واحد. ويقصد أيضا به هي العملية التي تصبح خلالها ممارسة السلطة السياسية اقل تعسفا وقل استثناءا للآخرين، تتأثر بجملة عوامل داخلية لا تنفصل في طبيعة تأثيرها عن العوامل الخارجية والمتغيرات والظروف الدولية .

Abstract

The our search deals with The influential factors in Democratic Transition Requirements which based on Democratic theory , which underlie the important of search in rise basis on and requirements of Democratic theory which many talk more academic and nonacademic so the necessary for search deep form in requirements of Democracy and show the importance reference useful of students about this important theory .

The hypothesis of search: the search for any political and thought theory necessitating on researcher deepening in depths

subject intended search it, and any search must be based on ingredients building, in famous any building need to ingredients, and democracy it's a very important in political and thought theory, that must based on some on ingredients that is the goal of search. also the influence to achieve democratic transition non escape, because the democratic transition in third world states still in the first stage, and it need more effects to maintains on achieve and become the speech on influence factors in democratic transition necessity scientific urgent

The structure of search: the search divided into introduction and two investigations and conclusion. the one investigation come titled democratic transition define and types. the two investigation come titled influential factors in democratic transition which divided into two demands :- one demands come titled internal factors which divided into :-

- 1) authoritarian systems and use political violence
- 2) political culture
- 3) economic factor
- 4) the rule of civil society institutions
- 5) political parties. while two demands come titled external factors divided into :-
 - a. the influence of new international system
 - b. globalization
 - c. the pressure of international institutions finance
 - d. the pressure of major powers to use international aids
 - e. the pressure of formal international institutions such as united nations and in formal international institutions
 - f. the war and external invasion.

The end of this study comes to materialize from hypothesis and its truth and arrived to many conclusions .

مُقَدِّمَةٌ

أن الحديث عن موضوع التحول الديمقراطي، يظهر لنا أنه ليس هنالك وصفة واحدة جاهزة لعملية التحول والإصلاح السياسي، حيث تأخذ كل حالة طابعاً أيديولوجياً يرتبط بطبيعة كل مجتمع وتركيبته اجتماعياً وسياسياً وثقافياً، ألا إن هنالك ملامح عامة للمؤسسات والأدوار والأبنية والسلوكيات والتفاعلات والقيم التي يمكن أن تنتج حالة الديمقراطية، وبذلك فإن الديمقراطية ليست نمطاً جاهزاً ومعداً سلفاً لاستخدامه بسهولة متى ما قرر الحاكم أو الشعب ذلك في أي وقت من الأوقات، بل أنها مناخ يفرض نفسه تدريجياً كأمر واقع مع نمو وعي المواطنين، وتطور استعداداتهم ليكونوا أهلاً لممارسة الديمقراطية الحقيقية. وفي الفكر المعاصر والآونة المعاصرة وبعد انهيار النظم والفلسفات الشمولية التوتاليتارية وبالأخص الفلسفة الماركسية ومعسكرها الشيوعي بقيادة الاتحاد السوفيتي " السابق " بدأت تجارب التحول الديمقراطي بالظهور في بادئ الأمر في الجمهوريات التابعة للاتحاد السوفيتي وبقية الدول التي اعتنقت الفكر والممارسة الماركسية. ويلعب البعد الفكري جانباً مهماً في أحداث عملية التحول الديمقراطي، حيث يتم بموجب الانتقال إلى الديمقراطية، العبور من فسطاط حكم الغلبة الذي يسود فيه قرار الحاكم الفرد أو القلة باعتباره مصدر الشرعية، إلى حكم عصري حديث حيث يكون الحكم للكثرة من الشعب وليس للفرد أو قلة منه، وذلك عندما يتم الاعتراف بحق الشعب نصاً وروحاً بأن يكون هو مصدر السلطات، تتوافق أغلبيته على وضع الدستور وتشريع أغليتيه القوانين وتقوض السلطات دورياً وتحاسب من يتولاها من دون هدر لحقوق الأقليات. أن عملية التحول الديمقراطي تقوم على الصيرورة التي تلي حالة الانتقال من نظام الوصاية إلى ترسيخ نظام الحكم الديمقراطي واستقراره حيث يتم بموجب التحول الديمقراطي نمو وارتقاء الممارسة الديمقراطية من حالتها الإجرائية وحدها الأدنى عند لحظة الانتقال، إلى تكريسها كقيمة وثقافة وممارسة عامة ترسخ نظام الحكم الديمقراطي وتطور أدائه نوعياً عبر الزمن.

إشكالية الدراسة :

تبرز إشكالية الدراسة في طبيعة التحول الديمقراطي الذي يفترض تناول المسألة من كافة وجوها كونها مشكلة تعني السلطة كما تعني المواطن، وتمس الدولة كما تمس المجتمع، وتهم الحاكم كما تشكل هماً للحكومة، ولا يقتصر الأمر على ذلك فقط، فالديمقراطية تتناول أصل العلاقة بين الحاكم والمحكوم وشكل الحكم وسلوك الحاكمين ونظامها وطبيعة الدولة وأهدافها وعلاقات الأطراف في العملية السياسية برمتها ، وتكيف علاقات القوى الاجتماعية وتوازنها ، ومن ثم فإن التحول الديمقراطي يستأثر باهتمام شعور الشعوب بقدر ما يمس مصالح القوى الأخرى.

فرضية الدراسة :

أن البحث في أي نظرية سياسية يحتم على الباحث التعمق في أغوار الموضوع المراد بحثه ، وأن أي بحث يجب أن ينطلق من فرضية ، وبحثنا ينطلق من فرضية مؤداها أن موضوع التحول الديمقراطي واسع وكبير في آن واحد ، وإن تأثير العوامل لإحداث عملية التحول الديمقراطي لا مناص منها ، ولأن عملية التحول الديمقراطي في العالم الثالث ما زالت ناشئة وفي بداية مشوارها ، وتتطلب جهود متعددة للمحافظة على ما تحقق، والساعية لتطويره ، لذا أصبح الحديث عن تأثير العوامل في عملية التحول الديمقراطي ضرورة علمية ملحة.

منهجية الدراسة :

مما لا ريب فيه أن كل دراسة أكاديمية لابد وأن تعتمد على المناهج العلمية ، لتقديم صورة واضحة ونتائج صحيحة للموضوع المبحوث فيه ، عن طريق استخدام مناهج بحثية معينة تقتضيها فرضية الدراسة ، ولأجل الإجابة على الأسئلة المتعلقة بالدراسة فقد تطلب الأمر إتباع أكثر من منهج علمي ، فركزت الدراسة ، في الأغلب الأعم ، على المنهج التحليلي الاستقرائي ، مع المناهج الوصفية والتاريخية والمقارنة كلما دعت الحاجة إلى ذلك .

أهمية الدراسة :

تكمن أهمية البحث في تبيان الأسس والركائز والعوامل المؤثرة في التحول الديمقراطي بالنظر لما تشهده النظم السياسية في بلدان العالم الثالث من تطورات وانتقالات نحو الديمقراطية ، لذا اقتضت الضرورة إلى البحث بشكل معمق في العوامل المؤثرة وتبيان أهميتها كمرجع يستفاد منه الدارسون لهذا الموضوع المهم .

هيكلية الدراسة :

تقوم الدراسة على مقدمة ومبحثين رئيسيين ، حمل المبحث الأول مفهوم التحول الديمقراطي من حيث ماهيته وركائزه ومراحله وأنماطه ومعوقاته ، بينما حمل المبحث الثاني عنوان العوامل المؤثرة في التحول الديمقراطي حيث بدوره انقسم هذا المبحث إلى مطلبين :- المطلب الأول العوامل الداخلية المؤثرة التي تفرعت بدورها إلى :أولاً: ضعف سيطرة النظم السلطوية ولجؤها إلى العنف السياسي، ثانياً :الثقافة السياسية، ثالثاً: العامل الاقتصادي، رابعاً: دور مؤسسات المجتمع المدني وخامساً: النظام الحزبي.

أما المطلب الثاني فجاء بعنوان " العوامل الخارجية التي تفرعت إلى: أولاً: تأثير النظام الدولي الجديد، ثانياً: العولمة، ثالثاً: ضغوط المؤسسات المالية الدولية، رابعاً: ضغوط القوى والتكتلات الدولية الكبرى التي تستخدم المساعدات الدولية، خامساً: ضغوط المؤسسات الدولية الرسمية كالأمم المتحدة والمؤسسات الدولية الغير الرسمية، وسادساً: الحرب والغزو الخارجي .

واختتمت الدراسة بخاتمة تضمنت الاستنتاجات والخلاصات ثم قائمة المصادر.

المبحث الأول

أطار مفاهيمي

سنتناول في هذا المبحث أهم الأطر المفاهيمية لمفهوم التحول الديمقراطي كمطلب أول، ثم ننتقل إلى أهم مراحله وأنماطه ومعوقاته كمطلب ثاني، فلنتعرف على ذلك تباعاً :

المطلب الأول: مفهوم التحول الديمقراطي Democratic Transition :

تعددت التعاريف المعطاة لمفهوم التحول الديمقراطي، ومن بين هذه التعاريف، ذلك التعريف الذي أورده ستيفن . ج . كنك حيث قال أن التحول الديمقراطي هو: "عملية تطبيق القواعد الديمقراطية، سواء في مؤسسات لم تطبق من قبل، أو امتداد هذه القواعد لتشمل آراء أو موضوعات لم تشملها من قبل. أذن هي خطوات وإجراءات يتم اتخاذها للتحول من نظام غير ديمقراطي إلى نظام ديمقراطي مستقر"^(١).

أما سليبيا سارسار فتعرف التحول الديمقراطي بأنه: "عملية اتخاذ قرار تساهم فيه ثلاث قوى ذات دوافع مختلفة هي: النظام، المعارضة الداخلية، والقوى الخارجية، ويحاول كل طرف إضعاف الأطراف الأخرى، وتتحدد النتيجة النهائية وفقاً للطرف المتغير في هذا الصراع"^(٢).

صموئيل هنتنغتون، وفي ضوء تباين التجارب وتعدد النظريات الديمقراطية وفي ذات السياق يذهب إلى القول:^(٣)

(١) ليس هناك عامل واحد كاف لتفسير نمو الديمقراطية في كل الدول أو في دولة واحدة.

(٢) لا يحتاج نمو الديمقراطية في كل الدول إلى عامل واحد بعينه .

(٣) إن التحول الديمقراطي في كل دولة هو نتيجة لمجموعة من الأسباب .

(٤) تتفاوت مجموعة الأسباب المؤدية إلى الديمقراطية من دولة إلى أخرى .

(٥) إن مجموعة الأسباب المسؤولة عن قيام موجة من التحول الديمقراطي تختلف عن مجموعة الأسباب المسؤولة عن الموجات الأخرى .

(٦) إن الأسباب المسؤولة عن التغييرات المبدئية للنظام الحاكم في ظل موجة من التحول الديمقراطي قد تختلف عن الأسباب المسؤولة عن التغييرات اللاحقة التي تطرأ على النظام في تلك الموجة .

أما برهان غليون فيعرفه بأنه : " القبول بالتعددية، واحترام الآخر، والقبول بالعدالة وضمان الحقوق والواجبات المتساوية، والعمل بدولة القانون، والابتعاد عن العنف والاضطهاد ".^(٤)

ويعد باحث آخر أن دراسة التحول الديمقراطي يطرح فرضيات عديدة ويضيف خبرات جديدة، بعدما تأكد وجود أزمة حقيقية في علاقة الدولة بمجتمعها، وبين الفهم التقليدي للدولة القائم على الولاءات والانتماءات الضيقة، والفهم الحداثي للدولة القائم على المواطنة المدنية الجامعة، بون شاسع توضحه طبيعة العقد الاجتماعي الناظم لعلاقات الدولة بالمجتمع، وتبرز ارتباطاً بذلك جملة التحديات والإشكاليات المتعلقة ليس فقط في الممارسة والمستقبل، بل والمفاهيم وأفاق تطور عملية الانتقال والتحول الديمقراطي وشروطها الرئيسية. فالمؤسسات الدستورية تشكل الإطار الحقوقي الذي تنتظم فيه العملية السياسية وتحدد أليات ممارسة السلطة ونطاقها، والقواعد التي يجب أن تخضع لها، غير أن الممارسة السياسية، في إطار المؤسسات الدستورية، تبقى مرهونة بالقوى السياسية وبطبيعتها ومصدر وجودها، وبالقيم الاجتماعية والسياسية والثقافية التي تحكم تصرفاتها.^(٥) إن نجاح الثورتين الأمريكية ١٧٧٦ والفرنسية ١٧٨٩ في تأسيسها لنظام حكم ديمقراطي، جعلت الشعب فيه مصدر السلطة وكرست لمبدأ المواطنة، ومهدت لسقوط مفهوم الاستبداد وظهرت بذلك حركة الانتقال الى الديمقراطية وفق تعاقد مجتمعي متجدد، إذ استوعبت السلطة ضرورة الانتقال وتوافقت مع المجتمع على تعاقد اجتماعي وفق شرعية دستور مكتوب تكون إرادة الديمقراطية قد تبلورت وانتقل المجتمع الى عملية التحول الديمقراطي. والملاحظ أن كلاً من مسار الانتقال الى الديمقراطية وعملية التحول الديمقراطي، ليسا بالعملية البسيطة أو الحتمية، وإنما هما عمليتان معقدتان، يحكم مسارهما صراع الإرادات وتوازن القوى، وتركيب البنى المجتمعية، ونضج، أو عدم نضج، الثقافة السياسية، كما يتأثران بالعوامل الداخلية

والخارجية، ولذا قد تتراجع عملية الانفتاح السياسي، أو قد يحدث ما هو غير متوقع كأن تنمو قناعة بالديمقراطية لدى الفرد الحاكم، أو انقلاب يتبنى الانتقال الى الديمقراطية سلمياً. كما أن عملية التحول الديمقراطي، بعد انطلاقتها، تستلزم الاحتكام الى شرعية دستور ديمقراطي تتراضى إليه جميع الأطراف.^(٦)

السلطوية هي أكثر أنظمة الحكم شيوعاً في التاريخ البشري، وهو لازال نظام الحكم الشائع في معظم بلدان العالم الثالث، وهو نظام الحكم الذي جاهد كل من ميكافيلي وهوبس في سبيل الدفاع عنه وتبريره، بينما جاهدت الديمقراطية الحديثة في بداياتها الأولى، الى تفويض أركان السلطوية وإفقاد شرعيتها، لكن يبقى القول بأن عملية التحول الديمقراطي تخضع لطبيعة الظروف . الزمانية والمكانية . وطبيعة الأفراد، وطبيعة المتغيرات المحيطة، وتتأثر بمعطيات الواقع المعاش الذي يكتنف الظروف الاجتماعية والسياسية، وطبيعة الافكار الديمقراطية وانتشارها بين المجتمع. كما تتضمن عملية التحول مخاطر الارتداد، مرة أخرى، للنظام السلطوي، وقد توجد في أحدهما مؤسسات النظام السلطوي جنباً الى جنب مع مؤسسات النظام الديمقراطي الجديد .

المطلب الثاني: مراحل التحول الديمقراطي وأنماطه ومعوقاته:

ويمكن حصر مراحل التحول الديمقراطي في:^(٧)

(١) **مرحلة القضاء على النظام السلطوي:** وهي المرحلة التي تبدأ منذ أن يلوح في الأفق مؤشرات تآكل النظام التسلطي مثل الصراع داخل هذا النظام ، وانقسام نخبته السياسية بين إصلاحيين ومحافظين ، ونمو درجة استقلالية مؤسسات المجتمع المدني بحيث تكون أكثر استقلالاً وقوة مما يؤدي إلى حدوث أزمة سياسية بالنظام السياسي التسلطي يقوده إلى التحول الديمقراطي. ألا انه ينبغي الإشارة إلى إن انهيار النظام التسلطي قد لا يتبعه بالضرورة تأسيس نظام ديمقراطي ، إذ قد ينجم عن هذا الانهيار شكل آخر من أشكال النظام التسلطي فنتيجة للالتفاف على التجربة الديمقراطية إذ لم يحصل تغيير جذري في السلطة ، ولم يسفر التحول الديمقراطي عن وصول القوى الشعبية الواسعة إلى السلطة السياسية ،

وإنما ضل دور في الإطار الشكلي المظهري الاستعراضي مثل تأسيس أحزاب سياسية متعددة صورية لا ترى طريقها إلى السلطة ، وحملات انتخابية جوفاء ، وليبرالية صحفية غير مجدية ، ومناقشات عقيمة داخل المجلس النيابي ، وهكذا بقيت العمليات الانتخابية شكلية ، ولم تتركس مبدأ " التداول السلمي على السلطة ". أن المؤشر الحقيقي لانهايار الأنظمة الاستبدادية التسلطية يكمن في عجز هذه الأنظمة عن التجاوب مع الجماهير و غياب تام للغة الحوار واستخدام كبير للقمع لأي توجه تحرري ، بالإضافة إلى غياب حرية الفكر والتعبير عن الرأي و غياب الأحزاب السياسية الحقيقية التي تؤمن بالتعددية السياسية الحقيقية وليست الصورية و وجود مؤسسات مجتمع مدني حقيقية تفعل القناة بين الحاكم والمحكوم.

(٢) **مرحلة اتخاذ قرار النظام الديمقراطي:** وهي تمثل المدة الزمنية للانتقال من النظام التسلطي إلى النظام الديمقراطي ، ويتخللها احتمالات الارتداد عن الديمقراطية ، وتوصف تلك المرحلة بأنها المرحلة الفاصلة بين انهيار التسلطية والانتقال للديمقراطية وينبغي الإشارة إلى أن هذه المرحلة هي التي تعبر عن مستوى نضوج القطاعات الشعبية بحجم المسؤوليات الملقاة على عاتقها بضرورة الخروج من حالة الاستبداد ومحاربته ونشر الفكر الديمقراطي الذي يؤسس لمرحلة التحول .

(٣) **مرحلة تدعيم التحول الديمقراطي:** وهي المرحلة المقبلة لحدوث التحول، وذلك للحيلولة دون حدوث انتكاسات في مسار عملية التحول، فضمان ما يسمى بـ " الديمقراطية الإجرائية " خلال مرحلة التحول لا يعني: إن النظام قد أستقر بشكل نهائي، وأنه في طريقه بشكل سلس نحو مرحلة الرسوخ، وتكريس الديمقراطية، فجوهر هذه المرحلة هو: قبول الفاعلين السياسيين بشرعية المؤسسات الجديدة كافة.

(٤) **مرحلة النضج الديمقراطي:** وهي المرحلة التي يتحقق فيها مستوى عالي من الثقافة السياسية وفهم المطلوب لحقيقة الديمقراطية ومعرفة طبيعة الحقوق

والواجبات لمرحلة الديمقراطية، وفي هذه المرحلة يتم تحقيق مستوى من الديمقراطية على المستوى الاقتصادي، والتي تعمل على تحقيق نمط متساو لتوزيع السلع والخدمات وتوفير فرص العمل وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص، كما تتحقق مستوى من الديمقراطية على المستوى الاجتماعي التي تمنح مختلف فئات المجتمع بالقدر نفسه من حقوق المشاركة، وتهدف هذه المرحلة إلى: تكريس النمط الجديد من المؤسسات الديمقراطية تمهيداً لنضوج ونمو فكرة الديمقراطية في المجتمع.

ويذهب العديد من الباحثين إلى أن مرحلة التحول الديمقراطي تتميز بدرجة عالية من عدم التأكد، كما أنها تخضع لنتائج قد تظهر بصورة غير عمدية، أو مقصودة، كما تشهد احتمالات وعواقب غير محسوبة وبهذا المعنى يعد تهيئة المناخ السياسي الملائم للتحول أمراً مهماً لضمان نجاح عملية التحول.^(٨)

إنّ العديد من الدراسات حول مفهوم التحول الديمقراطي ترى فيه عملية لا يمكن الحكم عليها، خلال بضع سنوات، ومن الخطأ الفادح، منهجياً ونظرياً، الوقوع في فخ الثقافة التي تحاول أن تملأ الفراغات التفسيرية بتفسيرات معمة. فالتحول التاريخي في الديمقراطية الغربية عرف قروناً من الزمن، والتحول الديمقراطي في الدول الديمقراطية الناشئة عرف بدوره تعثرات وعقوداً من الزمن أيضاً، وموجات من المد والجزر، كما أنه من اللازم التفريق بين الديمقراطية Democratization والانتقال الديمقراطي Democratic Transition.

فالأولى هي عملية تحول من النظام التسلطي إلى نظام أكثر ديمقراطية عبر وسائل أكثر عنفية من الانتقال الديمقراطي الذي يعني تحولاً سلمياً ومتدرجاً نحو الديمقراطية، بسبب وجود ثلاثة عوامل على الأقل هي: وجود انقسام داخل نخبة الحكم بين معتدلين ومتشددين، ووقوع النظام التسلطي في أزمة عميقة مثل موت الزعيم أو الوقوع في أزمة اقتصادية حادة، ووجود اقتناعات داخل السلطة وعند المعارضة بارتفاع تكلفة اللجوء إلى العنف على تكلفة التسوية والتفاوض.^(٩)

أما الانتقال الديمقراطي: " فيعني وجود مرحلة وسطية ما بين نظامين حيث يعني: ولوج مرحلة التحول، والمرور بعملية تفكيك متدرج للنظام السلطوي وصولاً الى ترسيخ دعائم الحكم الديمقراطي، وذلك عبر أليات ديمقراطية ".^(١٠) ويحدث هنالك، في بعض الأحيان، تناقض ناجم بين رغبة النظم التسلطية في الاحتفاظ بمواقعها في الحكم واستمرار احتكارها للسلطة والثروة من جهة، والخطر الداهم الذي يهدد سيادة الدولة تحت غطاء تعزيز الديمقراطية مع انتهازية دعاوى النظم التسلطية في الدفاع عن السيادة الوطنية كما تفعل الكثير من النظم التي تسعى الى المحافظة على استبدادها تحت دعاوى المحافظة على سيادة الدولة من جهة أخرى.^(١١)

ويرى البعض إن عملية التحول الديمقراطي تمر بثلاث مراحل، هي: ^(١٢)

(١) مرحلة التحول إلى الليبرالية Liberalization: هي تشير إلى التأكيد على حقوق

الأفراد والجماعات من عسف السلطة السياسية وانتهاكها المحتمل للشرعية داخل النظام السلطوي. فالتحول إلى الليبرالية يتمتع بحرية محكومة، وفي هذا الإطار فإن الليبرالية هي جزء من الديمقراطية، كما يمكن أن تسهم في دعمها بوساطة استيعاب المطالب من الأسفل، أما التحول الديمقراطي فيتجاوز الليبرالية إلى تحقيق إصلاحات سياسية تعكس قدرأً أكثر اتساعاً من محاسبة النخبة، وإقرار المبادئ الأساسية للديمقراطية في إطار مؤسسي ديمقراطي.

(٢) مرحلة الانتقال الديمقراطي Democratic Transition: هي عملية معقدة

للاغاية، تشير الى التحول في الأبنية والأهداف والعمليات التي تؤثر على توزيع وممارسة السلطة السياسية، وهي تتأثر في ذلك بعدة مؤثرات، لعل أهمها: مستوى التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وطبيعة الثقافة السياسية، ووجود بيئة دولية مناسبة للتحول.

(٣) مرحلة ترسيخ الديمقراطية Consolidation: هي العملية التي بمقتضاها يتم

تحويل كل مظاهر وترتيبات مرحلة الانتقال نحو الديمقراطية إلى مؤسسات سياسية معترف بها، منتظمة في أداء دورها ومقبولة من جانب المواطنين الذين

يخضعون لها، ومن ثم يمكن القول أنها مرادف للاستقرار والمؤسسية في ظل مشاركة فعالة من جانب المواطنين. أن عملية تعزيز الديمقراطية . لكونها أهم مرحلة من مراحل التحول الديمقراطي . تطرح مشاكل مختلفة على الفاعلين السياسيين، حيث أنها عملية معقدة تتضمن تحولاً في الفاعلين، والسلوكيات، والعمليات، وربما القيم والموارد، مما قد يؤدي الى تناقضات واضطرابات داخل النظام السياسي، ويولد مخاطر الارتداد، مرة أخرى، إلى النظام السلطوي. في هذا الإطار، فإن دراسة عملية التحول الديمقراطي في حاجة إلى تحول معرفي للوقوف على طبيعة التغيير السلوكي لدى الفاعلين السياسيين انفسهم، وعلى ابعاد عملية التحول الديمقراطي، ولابد من تبني إطار معرفي مستقر يتسم بالرشادة، وهنا يمكن النظر الى عملية تعزيز الديمقراطية على المستوى النظري على اعتبار أنها موضوع يخضع للتحقق الامبريقي.

أن دراسة التحول الديمقراطي، على المستوى العملي، تقتضي بحث حالات التحول الناجحة دون أن تشير الى حالات عدم التحول " Non Transition " أي النظم ذات الحكم السلطوي المستقرة. فغياب التحول الديمقراطي هو نقيض التحول نحو الديمقراطية، ولابد من دراسة النظم السلطوية المستقرة . كوبا مثلاً . ودراسة مخرجاتها وأثر ذلك على استقرار النظام السياسي أو تغييره. وإن كان الباحثون المعاصرون قد حددوا عوامل معينة تؤدي الى التحول الديمقراطي من قبيل التنمية الاقتصادية الاجتماعية، الازمات الاقتصادية، والإطار الدولي المناسب، فإن هذه العوامل تضيف دولة مثل كوبا، مما يثير التساؤل حول الاسباب التي تؤدي الى استقرار بعض النظم السلطوية بالرغم من عدم تحولها نحو الديمقراطية. (١٣)

أن عملية التحول الديمقراطي تتحقق عبر خمس مجالات رئيسة تتمثل فيما يلي: (١٤)

- (١) مجتمع مدني مستقل يعمل تحت مظلة القانون .
- (٢) مجتمع سياسي حر يدير أجهزة الدولة وينظم إطار عمل للمجتمع الاقتصادي .

(٣) حكم القانون يستند إلى دور تدعمه ثقافة سياسية ملائمة، مما يضيف شرعية على النظام السياسي.

(٤) أجهزة للدولة تقوم على معايير بيروقراطية تتسم بالرشادة والشرعية، مدعمة من المجتمع المدني، وتحترك استخدام القوة ويكون لها سلطة أمرة على التجمعات الاقتصادية والسياسية .

(٥) مجتمع اقتصادي يستند إلى سوق مؤسسي مدعوم بإطار تنظمي وشرعي من جانب المجتمع السياسي، ومحترم من جانب المجتمع المدني، ويلعب دوراً في انتاج وتوفير فائض يسمح للدولة بتنفيذ وظائفها .

وتواجه عملية التحول الديمقراطي معوقات كثيرة ومختلفة منها ما يلي: (١٥)
(١) معوقات مؤسساتية: وتتضمن هرمية المؤسسات، نخوية القيادات، الشخصية، عدم تداول السلطة.

(٢) معوقات داخلية: ويتعلق الأمر بهيمنة الدولة واختراقها وتدجينها للمجتمع المدني واستخدامه لمصالحها، بالإضافة إلى غياب الشرعية والنظام السلطوي الأبوي لبعض المجتمعات، والتمييز الديني والعنقي وضعف المواطنة .

(٣) معوقات خارجية: وتتمثل في العولمة وتداعياتها، أحادية النظام الدولي، سياسات المنظمات الدولية.

وقد تكون أسباب حدوث التحول نحو الديمقراطية، نابعة من داخل المجتمع ذاته كحالة " الهند" أيام المهاتما غاندي، أو تكون الديمقراطية مفروضة على المجتمع من خارجه كحالة اليابان عقب هزيمتها في الحرب العالمية الثانية إذ فرض عليها الحلفاء نظاماً ديمقراطياً، ويمكن أن ينتج التحول الديمقراطي عن رغبة من أطراف أخرى، أو نتيجة لمبادرة من أعلى بواسطة النظام أو من الأسفل بواسطة المعارضة. (١٦)

ومثلما توجد أسباب وراء التحول الديمقراطي، فإن هنالك أنماطاً لهذا التحول أبرزها: (١٧)

(١) نمط التحول الديمقراطي في أعقاب ثورات اجتماعية تاريخية كما حدث في بريطانيا ١٦٨٨، والولايات المتحدة ١٧٧٦، وفرنسا ١٧٨٩، وفي رومانيا ضد حكم الزعيم نيكولاي تشاوشسكو" في أواخر القرن العشرين.

(٢) نمط التحول تحت سلطة الاحتلال أو بالتعاون معها كدور الاحتلال البريطاني في الهند، ودور الاحتلال الأمريكي في العراق بعد ٢٠٠٣، ألا أن نجاح هذا النمط لا يتوقف على أرادة الدولة المحتلة وحدها، وإنما على تبني النخب في البلد المحتل لقيم الديمقراطية وإجراءاتها .

(٣) نمط التحول تحت إدارة نخبة ديمقراطية مستنيرة، وهو نمط للتحول يأتي بعد انهيار النظم الاستبدادية أو موت الحاكم المستبد أو عقب هزيمة عسكرية تقوده شرعيته بما يؤدي إلى وصول نخب ديمقراطية تدير عملية التحول، وتختار لنفسها أن تضع قيوداً دستورية على ممارستها للسلطة: مثل حالة موت الجنرال " فرانكو " في اسبانيا عام ١٩٧٦.

(٤) نمط الانفتاح السياسي التكتيكي الذي يفضي إلى مطالب ديمقراطية غير متوقعة، وهو نمط يبدأ بمحاولة النخب الحاكمة تحديد مدة بقائها في السلطة عن طريق أبداء قليل من المرونة والانفتاح السياسي التكتيكي أو المرحلي: كالسماح بوجود أحزاب سياسية صغيرة معارضة أو نوادي وتجمعات ثقافية ثم التضييق عليها في بناء قواعد شعبية مستقلة، ثم لا تستطيع النخبة الحاكمة وقف عملية الإصلاح بفعل المعارضة، ألا أنه يشترط في هذا النمط قوة المعارضة واتفاقها، ولا ينطبق على المعارضة الضعيفة أو المتشرذمة مثل: الاتحاد السوفيتي" السابق " في عهد الرئيس ميخائيل غورباتشوف.

(٥) نمط تعاقد النخبة المستبدة على انسحابها من الحياة السياسية بعد ارتفاع تكلفة القمع والعنف ضد الجماهير بحيث يكون الحاكم غير قادر على تغطية تكاليف القمع، وبالوقت نفسه، لا يملك القدرة على إدارة عملية التحول الديمقراطي، ومن هنا يكون أحسن بديل ممكن للنخبة الحاكمة هو أن تتسحب من الحياة السياسية بعد أن توقع عقداً يضمن لها عفواً سياسياً مع بعض الامتيازات، وتعهداً أن لا تقف حجر

عثرة في مواجهة السلطة الديمقراطية الجديدة مثل: انسحاب الرئيس التشيلي " بنوشيه من الحياة السياسية في تشيلي عام ١٩٩٠.

كما تتطلب عملية التحول الديمقراطي بيئة اجتماعية وسياسية وثقافية واقتصادية ومؤسسية توفر لها إمكانية الاستمرارية والنمو بطريقة نمطية متصاعدة بعيداً عن الانقطاع والتراجع والهزات الانقلابية، وهنا تلعب الموارث التاريخية . الاجتماعية دوراً حيوياً في هذه المسيرة، ففي الهند مثلاً، طبقت الديمقراطية منذ أوائل الخمسينات من القرن العشرين وسط انتشار واسع للامية والفقر والاختلافات اللغوية والاثنية والدينية، بحيث شكلت لغزاً للمفكرين الغربيين ولنظريات الديمقراطية الغربية، فبالرغم من دور حزب المؤتمر الهندي في تحقيق التطوير التدريجي للمؤسسات الديمقراطية، ألا إن موارث الثقافة الهندية احتلت مكانة متقدمة في مسيرة التحول الديمقراطي في الهند، حيث يذكر أحد كبار كتاب الهند في قضايا التحضر ((بادرنت كاترفيدي)) أن أحد مبادئ الفكر السياسي الهندي الذي ساد المجتمع الهندي هو أن كل الأفكار تقريبية " نسبية " بالعلاقة مع الحقيقة. وبالنتيجة استطاع الهنود تطوير موقف فكري تجاه الأفكار الأخرى على نحو مقبول جداً حيث برزت هذه الأفكار الثقافية وممارستها بصورة جلية في الفترة الاستعمارية وبعدها، إذ وفرت قدرة عظيمة على الاستيعاب assimilation والتكتل agglomeration، وفي أتباع طريقة تؤكد التوفيق accommodation بدلاً من الانتصار segregation والهزيمة، ويرتبط بذلك أيضاً دور المهاتما غاندي بنضاله السلمي ومغزله اليدي في تحقي استقلال بلاده الهند. (١٨)

من هنا نجد أن التمايز النوعي بين نظم الحكم الديمقراطي من دولة إلى أخرى، هو تعبير عن انجازات عملية التحول الديمقراطي واستقرار الثقافة الديمقراطية وتطور الممارسة، ويرى الدارسون للنظرية الديمقراطية أن المرحلة الراهنة منها مازالت بعيدة عن الديمقراطية المثالية التي يسعى الديمقراطيون للاقتراب منها عبر عملية التحول الديمقراطي المستمرة عبر التحول الذي يتأثر بجملة عوامل داخلية وخارجية لا يمكن الهروب من تأثيرها وهذا ما سنعرفه في طيات مبحثنا القادم.

المبحث الثاني : العوامل المؤثرة في التحول الديمقراطي :

تساهم عدة عوامل في عملية التحول نحو الديمقراطية، حيث تتضافر هذه العوامل في بلورة المواقف والآراء للتحول الديمقراطي وهذه العوامل هي :

المطلب الأول : العوامل الداخلية Internal factors :

تلعب العوامل الداخلية دوراً كبيراً في زيادة تحريك الجماهير نحو التحول الديمقراطي، والانتقال من النظم السلطوية وأبرز هذه العوامل :

أولاً - ضعف سيطرة النظم السلطوية ولجونها للعنف السياسي : المقصود بذلك هو أن يدب الضعف في صلب الأنظمة السلطوية القمعية وذلك من خلال معارضة داخلية قوية قد تؤدي إلى تغييره، على الرغم من أن الأنظمة التسلطية تتحايّل على الديمقراطية حيث أنها بدلاً من تقوم بعقلنة مشاعر الناس وترشيدها، ديمقراطياً، تقوم بالتلاعب، الانفعالي والنفعي بها، واختزال معنى الوطن في معنى النظام. بمعنى أن المصلحة الوطنية تتماهى مع مصلحة النظام السلطوي، وبالتالي فإن كل معارض هو خائن، ويصبح التخويف هو الشكل الوحيد للتعاطي لسياسي مع الآخرين بالاقتران مع سيطرة عصبية اجتماعية على الدولة، بحيث تحاول كل عصبية، من هذه العصبية، أن تماهى نفسها بالمصلحة الوطنية. ولهذا نلاحظ أن فشل الدولة في بلورة هوية وطنية جامعة يتأتى إما من عنفها المفرط، أو عن عدم القدرة على احتواء الهويات الفرعية وإدارتها سلمياً. وقد أستهل الحكام، كثيراً، استتباع الدولة والمجتمع معاً والتحكم بهما حتى تحولت الدولة إلى مجرد أداة تسلط وقمع. قادت هذه السياسات إلى تدهور الدولة والمجتمع، لذلك فلتحقيق التحول الديمقراطي يتطلب الأمر عدم تحرير الدولة بل إعادة بنائها، ولا تحرر المجتمع بل إثبات وجوده بعدما تم تقطيع أوصاله منهجياً، قسبياً، وفئوياً. والمطلوب، مرة أخرى، لتحقيق عملية التحول ليس فقط هدم قواعد وأركان الاستبداد، وإنما أيضاً السعي إلى بناء الدولة القانونية القائمة على حكم القانون وتحقيق العدالة والمساواة والحرية.^(١٩)

وهناك علاقة بين عملية التحول الديمقراطي ومفهوم الثورة، أي التحول السياسي والتحول الديمقراطي عن طريق الثورة لإزالة النظم التسلطية بالقوة والتغيير الجذري لمجمل

نواحي الحياة في ظل الحكم الاستبدادي، ومدى إنتاج الثورات لنظم سياسية أكثر ديمقراطية من سابقتها، حيث أنه من المعتاد أن الثورات لا تشكل ضماناً للتحول الديمقراطي، إذا صاحبها ولازمتها جرعات كبيرة من العنف السياسي المتبادل، أو تم إسقاط النظام بالعنف المسلح وما يصاحبها من الإزاحة الكلية للنخبة الحاكمة، مثلما حدث في الثورة الفرنسية ١٧٨٩ والثورة البلشفية في روسيا ١٩١٧، حيث أن مرحلة ما بعد الثورة واجهت مشكلة بناء الدولة، وليس ترسيخ أسس الديمقراطية، مما قاد إلى إعادة تجربة الدولة التسلطية عن طريق توسيع ممارسات القمع والأقصاء، خصوصاً إذا ما برر قادة الثورة ذلك باستمرار الثورة والتصدي لأعدائها الخارجيين والداخليين.^(٢٠)

وهذا المنظور يرتبط بدراسة الثورات التاريخية المسماة بـ " التقليدية "، لكن أمام تطور واقع المجتمعات المعاصرة برز الحديث عن نشوء جيل جديد من الثورات المسماة بـ " الملونة " تتسم بعدم اللجوء الى العنف السياسي، وإنما اللجوء إلى حشد أكبر قدر ممكن من الجماهير في مظاهرات سلمية ترفع شعارات ورموزاً وطنية ومضادة للسلطة القائمة، وترفع مجموعة من الإعلام الملونة. ومن هنا سميت بـ " الثورات الملونة " مثل الثورة المخملية في تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٨٩، والثورة البرتقالية في أوكرانيا عام ٢٠٠٤، وثورة الورود في جورجيا عام ٢٠٠٣.^(٢١)

ثانياً. الثقافة السياسية * : لعامل الثقافة السياسية، في مجتمع ما، دور كبير في أحداث عملية الإصلاح والتحول الديمقراطي. ولقد تنوعت المفاهيم والأفكار والتعاريف المعطاة لمفهوم الثقافة السياسية.

ويمكن تحديد عناصر الثقافة السياسية على النحو التالي:^(٢٢)

- (١) أنها تمثل مجموعة من القيم والاتجاهات والسلوكيات والمعارف السياسية لأفراد المجتمع .
- (٢) أنها ثقافة جزئية لأنها جزء من الثقافة العامة للمجتمع تؤثر فيه وتتأثر به، ولكنها لا تستطيع أن تشذ عن ذلك الإطار العام لثقافة المجتمع .

(٣) أنها متغيرة، فهي لا تعرف الثبات المطلق، ويتوقف حجم ومدى التغير على عدة عوامل منها: مدى ومعدل التغيير في البنى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ودرجة اهتمام النخبة الحاكمة بقضية التغير الثقافي، وحجم الاهتمام الذي توليه وتخصصه الدولة لأحداث هذا التغيير في ثقافة المجتمع، ومدى رسوخ هذه القيم في نفوس الأفراد .

(٤) أنها تختلف من مجتمع لآخر، كما تختلف من فرد لآخر داخل المجتمع، وهذا الاختلاف تفرضه عوامل معينة كالأصل ومحل الإقامة والمهنة والمستوى الاقتصادي والحالة التعليمية .

وفي تحليل دور الثقافة السياسية ،لابد من التمييز بين الأنماط الثقافية الدائمة للمواطنين Durable Patterns والتوجهات قصيرة الأجل Short Term Attitudes التي تمثل رد فعل الجماهير تجاه أحداث معينة. كما يجب التمييز بين ثقافة النخبة وثقافة الجماهير. هذا ويختلف دور العامل الثقافي من مرحلة لأخرى في إطار عملية التحول الديمقراطي، ففي بداية عملية التحول تكون الثقافة أقل أهمية وأكثر تكيفاً، وعندما يتم بناء المؤسسات السياسية الديمقراطية تبرز أهمية الثقافة مرة أخرى وتصبح لها أهمية قصوى، وفي مرحلة تعزيز الديمقراطية لابد أن يتعلم المواطنون كيف يتعايشون مع هذه المؤسسات ويعملون داخلها .(٢٣)

ولقد ميز " أالموند وباول " بين ثلاثة أنواع من الثقافة السياسية هي : (٢٤)

(١) الثقافة السياسية الهامشية الانعزالية " الضيقة أو المحلية " : وهي تعني بعدم الاهتمام واللامبالاة العامة بالنظام السياسي وما يتصل به والشعور بالاغتراب. وهنا يعجز الفرد عن تقييم أي نوع من الأحكام الصحيحة عن أهداف السياسات العامة التي توجد في مجتمعهم، وهذه النوعية من الأفراد يكونون خاملين النشاط السياسي في تحقيق أي تقدم في عملية التحول الديمقراطي .

(٢) ثقافة الخضوع: وهي عبارة عن مجموعة أفعال النظام السياسي وموقف الأفراد السلبي اتجاهها، إذ يولونها بالاحترام المفرط من خلال أعمالها ويخضعون لها، كما أن هذا النوع من الثقافات يتسم في التعرف على عملية صنع القرارات السياسية

ونوعية المؤسسات السياسية ومدخلات ومخرجات العملية السياسية. ورغم ذلك كله يبقى الأفراد سلبين تجاه النظام السياسي في ظل هذه الثقافة، لأنهم يعتقدون بعدم إمكانية التأثير فيه، ويخافون القيام بأي تجاوز ضده معتقدين بأن أي تعبير ضد النظام يعرضهم الى الخطر، وهنا تفقد مشاركة الفرد وفعاليتها لاعتقاده بعدم جدوى دوره .

(٣) ثقافة المشاركة: هي الثقافة التي يكون فيها المواطنون فاعلين، ويشعرون بأنهم قادرون على إحداث التأثير في السلطة السياسية، ويعدون مثل هذا الشعور طبيعياً، ويدعوهم الى التدخل والمشاركة في الحياة السياسية العامة، من خلال مؤسسات الأحزاب السياسية وجماعات الضغط والمصالح وللثقافة السياسية العديد من الوظائف البالغة الأهمية منها: (٢٥)

١. التعرف على طبيعة البناءات والمؤسسات والنظم السياسية .
٢. المساعدة في تحديد مفهوم المواطنة وحقوقها .
٣. دورها في التحديث والتنمية الشاملة وتحقيق عملية المشاركة السياسية وتحديثها.
٤. محاربة الأفكار الدخيلة وأزمات الهوية والاندماج والمساعدة في خلق الثقافة السياسية الوطنية.

الجدير بالذكر أن احتمالات " الديمقراطية " تزداد في البلدان التي تكون فيها الثقافة السياسية مؤيدة للديمقراطية. فبالنسبة لمنظري التحديث تمثل الثقافة السياسية متغيراً تفسيرياً مركزياً لعمليات الديمقراطية. فقد أجريت العديد من الدراسات والأبحاث التي كشفت عن وجود ارتباطات إحصائية قوية بين مستوى التعليم وبين الالتزام بقيم الديمقراطية والمشاركة والتسامح والاعتدال. ومهما يكن فإن تعميق الخيار الديمقراطي في الواقع المجتمعي بحاجة إلى ثقافة سياسية ديمقراطية تؤكد القيم الكبرى الحاضرة والحاملة للديمقراطية، وإلى قيم ثقافية تحترم الآخر، بكل تجلياته وعناوينه، وتسعى إلى تأكيد قيم التنوع والاختلاف والتعددية وحقوق الإنسان. فبوابة تعميق الخيار الديمقراطي هي تجذير الثقافة الديمقراطية. (٢٦) إن التوقعات الديمقراطية Democratic Expectation تكون مرهونة بمدى النجاح في صياغة نظام ديمقراطي مستقر، يتوقف على العديد من العوامل

والمتغيرات، إذ تساهم المتغيرات الثقافية، كغيرها من المتغيرات، بدور مساعد في أحداث التحول الديمقراطي. فالمتغير الثقافي يقصد به مجموعة القيم والرؤى والأفكار التي تساعد على التحول الديمقراطي، والتي تكون متشربة بقيم التسامح والتعايش وقبول الاختلاف والتعددية وحرية الفرد في اعتناق أفكاره وقيمه الدينية، وهنا يتعلق الأمر بمدى وجود تجانس المجتمع، وعدم انقسامه انقساماً حاداً إلى اثنيات وطوائف. (٢٧)

فالثقافة هي تربية وتنشئة وليس فقط معرفة، ولكي تتحقق الديمقراطية، في البلدان المتحولة حديثاً، يجب أن يكون الناس متشربين بقيمة المبادئ الديمقراطية، وهذا يتطلب قدراً من الثقافة والنضج السياسي، ووجوب أن تكون الديمقراطية راسخة في عقول الناس والحكام. وهناك من يعتقد أن وجود ثقافة سياسية يفترض أن تقوم على مجموعة من المبادئ منها التسامح أزاء المرأة، التسامح نحو الأقليات، التسامح نحو المعارضة السياسية من أجل نمو وتطور الديمقراطية. (٢٨)

وبالتالي فالديمقراطية، لكي تكون النظام الأمثل للحكم، تتطلب مواطنين ديمقراطيين الثقافة والتفكير، وأن المجتمع المثقف من الصعب أن تخترقه المؤثرات المعادية مهما كانت قوتها، لأنه يمتلك الوعي الضروري والقدرة لتجاوز الأزمات مهما عظمت، وهو القادر على تصريف شؤونه ومحاسبة حكامه إن أساءوا.

ثالثاً. العامل الاقتصادي: يلعب العامل الاقتصادي دوراً كبيراً في إحداث عملية

التحول نحو الديمقراطية، حيث تكون مدخلاً مناسباً لدفع النظم غير الديمقراطية للتحول الديمقراطي، وتؤدي الأزمة الاقتصادية إلى التشكيك في كفاءة السياسات العامة للنظام التسلطي، ومن ثم التشكيك في حقه بالاستمرار في السلطة والحكم، كما تؤدي الأزمات الاقتصادية إلى انقطاع العلاقات بين النظام وقطاعي التجارة والصناعة في المجتمع. أن النمو الاقتصادي قد يكون عاملاً محفزاً أو ضاعطاً لأحداث التحول كونه يؤدي لزيادة نسبة المتعلمين، ومن ثم تنشأ الثقافة السياسية للديمقراطية، كما أن زيادة مستوى الثراء تحد من حالة عدم المساواة في توزيع الثروات مما يؤدي إلى ظهور الطبقة والفروقات الحادة بين أفراد المجتمع الواحد، ويؤدي دوراً كبيراً في تصاعد نظرات الحقد بين الفئات

الاجتماعية المتناقضة . الأغنياء والفقراء . مما يسبب تصدعاً في هيبة الحكم، ويزيد من الشعور بضرورة تحقيق التغيير الجذري، ويساعد في فرص حصول التحول نحو الديمقراطية والتخلص من أعباء ومظالم النظام الاستبدادي.^(٢٩)

لكن هنالك صعوبات أخرى تتعلق بالقدرة على حل المشاكل الاقتصادية شبه المزمنة في الدولة التسلطية، المتمثلة في البطالة العالية للشباب، وانخفاض مستوى الدخل الفردي لدى فئات واسعة، بحيث أن عامل الموازنة مفقود في مستوى الدخل والفجوة الكبيرة بين المداخل، وسوء توزيع الثروة، ووجود بنية اقتصادية ريعية، أو تعتمد على قطاعات هشة مثل السياحة والخدمات، وتراجع وتيرة التصنيع، إضافة إلى أضرار الاقتصاد، في أغلب الدول التسلطية، بالإدارة البيروقراطية المتضخمة وبسيطرة الدولة على الكثير من جوانبه. فالعامل الاقتصادي يمثل تحدياً مهماً في التحول الديمقراطي، إن تعرض الحكومات المتحولة ديمقراطياً لنكسات اقتصادية يمكن أن يؤدي إلى الفشل في تحقيق الترسخ الديمقراطي، لأن الدولة الديمقراطية تتطلب مستوى رفاه عام بين المواطنين، وتوسعاً في حجم الطبقة الوسطى لكي تلعب دورها الصحيح، حيث أن العديد من الدراسات أكدت على توقف نجاح عملية التحول الديمقراطي بوجود انتقال اقتصادي ناجح، يعالج المشكلات الاقتصادية الصعبة التي يعيشها المواطنون.^(٣٠)

وهناك قوانين علمية ثابتة تحدد العلاقة السببية بين المعطيات والعوامل الاقتصادية من جهة، ونظام الحكم والسلوك السياسي من جهة أخرى، إن للعوامل الاقتصادية دور بارز في إعطاء النظام السياسي مميزات خاصة. فالدول الغنية، مثلاً، تميل إلى اعتماد أنظمة ليبرالية، لأن قدرة المواطن على تلبية حاجاته المادية لا تستدعي منه دعوة الدولة للتدخل، مباشرة، في الشأن الاقتصادي، فتستمر حرية المنافسة الاقتصادية حيث تبدو الوسيلة الأساسية لضمان الازدهار.^(٣١)

كما أن التفاوت الاجتماعي بين مختلف فئات الشعب لا يؤدي لإيصال الطبقات الدنيا إلى حالة العوز نظراً لوفرة الثروة الوطنية والازدهار الاقتصادي. على صعيد المؤسسات السياسية يبدو أن البلدان الغنية هي أكثر ملائمة من البلدان الفقيرة

لليديمقراطية بدلالة انهيار الديمقراطية البرلمانية في إيطاليا ودول أوروبا الوسطى إثر الأزمات الاقتصادية بعد الحرب العالمية الأولى " أزمة ١٩٢٩ ". فالتحدي للضائقة المالية الاقتصادية قضى بإقامة أنظمة تتوجه الى المزيد من المركزية وتتمتع بصلاحيات مطلقة. ورغم أن غنى البلد يساعد على قيام نظام ليبرالي، إلا أن الليبرالية هي في حال انحسار حتى في الدول المتقدمة الغنية، ولعل ذلك ناتج عن تعقد الأوضاع الاقتصادية وتداخل اقتصاديات البلدان بعضها ببعض، ورغبة المواطنين في تحسين مستوياتهم الاجتماعية مما يستدعي تدخل الدولة. (٣٢)

إذن يؤدي العامل الاقتصادي دوراً بارزاً في إحداث عملية التحول الديمقراطي فيما يتصل بتحديد مختلف مجالات التصنيع التي تتيح الموارد والعائدات الكبيرة التي تزيد من قوة الدولة وانعكاسها على رفاهية الفرد وديمومة عمله باستمرار، حيث التشغيل الكامل للموارد المتاحة وعدم اعتماد الدولة على اقتصاد أحادي الجانب، وعدم إتلاف المال العام في مشاريع وهمية أو إجرائية، كل ذلك يوفر الطاقة الكاملة لقوة الدولة وزيادة رصيدها بين الدول، وبالتالي سيشكل ضماناً لتحقيق التحول نحو الديمقراطية، فضلاً عن الارتكاز على اعتماد الحلول التدريجية للمشكلات بما يضمن الابتعاد عن النهج الشمولي التسلطي، واعتماد سياسات التنمية المستدامة لتحقيق خطوات واثقة صوب التحول الديمقراطي .

رابعاً - دور مؤسسات المجتمع المدني: من دون الولوج في تأصيل مفهوم المجتمع

المدني* ، فقد عرف بأنه: " مجمل التنظيمات غير الأثرية _ غير الأسرية _ وغير الحكومية التي تنشأ لخدمة المصالح المشتركة لأعضائها " . (٣٣) وكذلك عرف بأنه: " كل المؤسسات التي تتيح للأفراد التمكن من المنافع العامة دون تدخل أو توسط الحكومة، وهي التي تمارس الرقابة على عمل الحكومة للحيلولة دون استبدادها " . (٣٤) وعرف أيضاً: " بأنه مجموعة الفعاليات والأنشطة التي تحتل مركزاً وسيطاً بين العائلة بعدها الوحدة الأساسية التي يستند عليها البناء الاجتماعي والنظام القيمي من جانب، والدولة ومؤسساتها ذات الصبغة الرسمية من جانب آخر " . (٣٥)

وتلعب مؤسسات المجتمع المدني الدور البارز في تطوير الديمقراطية ومحاربة كل صور التعصب الطائفي والقبلي والعرقي، ودفع عجلة التقدم الى الأمام بواسطة التوازن المطلوب بين سلطة الدولة وهذه المؤسسات بما يصب في خدمة أفراد المجتمع وتربيتهم تربية ديمقراطية ذات أسس عقلانية علمية. (٣٦)

إن قيام مجتمع مدني نشط هو أحد العناصر المهمة واللازمة للتحول الديمقراطي. فلا بد من أن يكون هناك تفاعل ما بين القمة الحاكمة والقاعدة المحكومة، ولا يتحقق هذا التفاعل إلا بوجود بعض المؤسسات التطوعية الاستقلالية غير الحكومية. فاحد أهداف وجود تلك المؤسسات سيضطلع بنقل النشاط السياسي من النشاط السلطوي المرتبط بالسلطة الى نشاط منفتح ومتعدد على وفق قاعدة غير تطوعية. وبذلك ستكون تلك المؤسسات أمكانية لأن تتحول لثقافة في المجتمع من ثقافة الخضوع الى ثقافة مدنية تستند الى المساهمة والمشاركة البعيدة عن الاعتبارات الاتنية والطائفية. (٣٧)

لقد أستخدم مفهوم المجتمع المدني من جانب مفكرو النظرية الديمقراطية بمعنيين اساسيين: (٣٨)

أولهما: لكي يشير إلى نمو بعض الحركات المعارضة في دول مثل: تشيكوسلوفاكيا، قبل تفككها، وبولندا وبلغاريا. هذه الحركات رأت في المجتمع المدني بديلاً لأجهزة القهر التي تملكها الدولة. وقد أتبعوا في ذلك استراتيجيات مختلفة ونظروا للدولة على أنها معادية للحرية، وحثوا المواطنين على الانضمام لهذه لمؤسسات.

ثانيهما: إن مصطلح المجتمع المدني أصبح يستخدم كبديل لمفهوم السياسة، أكثر من كونه توسيع أو زيادة لمجالات مشاركة المواطنين في إطار النظم السياسية. وفي هذا السياق تشير أغلب الدراسات إلى ان مفهومي الديمقراطية والمجتمع المدني أصبح يمكن استخدامهما بشكل تبادلي. فالمجتمع المدني أصبح مفهوماً محورياً، وهو بمثابة المفتاح لتحقيق الديمقراطية والتعامل مع حقوق الإنسان باحترام. إن النظام التسلطي، دائماً، يسعى لطرح مؤسسات بديلة لمؤسسات المجتمع المدني وهي "التضامنيات" والمقصود بها جماعة تعبر عن نفسها ومصالحها الضيقة تضامنياً من خلال قادة تعترف بهم الدولة أما

ضمنياً أو رسمياً، وأمثلة هذه التضامنيات كثيرة كالمؤسسة الدينية والعسكرية وتحالفات العشائر وكبار الملاك والتجار. (٣٩) إن مؤسسات المجتمع المدني، وبسبب استقلاليتها، تلعب دور المحاور الدائم للحكام، وتشكل وسيلة التعبير عن احتياجات المواطنين، ويعتمد استمرارها على مشاركة الأفراد، وتؤدي دوراً كبيراً في مراقبة السلطة وإحصاء هفواتها. فهي القناة الحقيقية بين الفرد والسلطة، وتسعى دائماً لتحقيق التوازن السياسي. (٤٠)

يتضح مما سبق، أن مؤسسات المجتمع المدني تلعب دوراً محورياً في أحداث عملية التحول الديمقراطي، لأنها تلعب أدواراً رئيسية في تشكيل وتطوير أوضاع الدولة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

خامساً. النظام الحزبي : يشكل النظام الحزبي عاملاً مؤثراً في دعم وتعزيز عملية التحول الديمقراطي، وحتى في ظل بروز دور مؤسسات المجتمع المدني، تظل الأحزاب السياسية تلعب دوراً مهماً نظراً للوظائف التي تقوم بها، وتتمثل في التنشئة السياسية، وتجميع المصالح والتعبير عنها، وتنظيم المنافسة الانتخابية، ووضع أجندة صنع السياسة، وتشكيل الحكومات الفعالة، واستيعاب الجماعات والأفراد في العملية الديمقراطية، وإضفاء روح وصورة للتعددية السياسية التي تعد المقوم الأساسي للديمقراطية. إن إضفاء الطابع المؤسسي على النظام الحزبي وتقويته يدعم الحكومة ويضفي الشرعية عليها، وينظم المطالب والصراعات من خلال إجراءات محددة.

ولعل أحد أهم العقبات التي تواجه النظم التي تحولت للديمقراطية، ويحول بينها وبين ترسيخ ديمقراطيتها هو ضعف المؤسسات الحزبية، وذلك على العكس مما كان سائداً خلال معظم سنوات القرن العشرين، حيث كانت الابنية الحزبية تمثل أحد أسس النظم الديمقراطية. وبالرغم من ذلك فليس كل نظم الموجة الثالثة للتحول الديمقراطي ذات نظم حزبية ضعيفة. فهناك بعض الدول مثل: إسبانيا، البرتغال، اليونان قد أخذت بعض الوقت لإقامة نظم حزبية على درجة عالية، نسبياً، من المؤسسية مقارنة بغيرها من النظم، وإن كان الوقت ليس متغيراً هاماً. فالبرازيل منذ ١٩٨٥، وإكوادور، منذ ١٩٧٨، وبوليفيا، منذ ١٩٨٠، وبيرو، منذ ١٩٨٠، لم تستطع أي منهم أن تقيم نظاماً حزبياً قوياً،

وبالرغم من أن الثورة التكنولوجية العلمية ممثلة في تطور وسائل الإعلام الجماهيري، وزيادة سهولة الانتقال والسفر، وتكنولوجيا المعلومات، قد أدت إلى تراجع أهمية الوظائف التي تقوم بها الأحزاب كأداة للاتصال مفتوحة بين المواطنين والقيادات السياسية، إلا إن الديمقراطية هي حرية تداول السلطة بين الأحزاب في ظل انتخابات حرة نزيهة عامة. وبالرغم من التعدد الحزبي لا يعني تحقيق الديمقراطية الحقيقية، إلا أن الأحزاب السياسية تعد أهم أدوات نشر الثقافة السياسية الديمقراطية. ويتوقف ذلك على طبيعة الإطار السياسي الذي تعمل فيه الأحزاب من ناحية، وطبيعة قياداتها وكوادرها ومدى التزامها بالديمقراطية من ناحية أخرى. إن بناء مؤسسات سياسية قوية من ضمنها الأحزاب السياسية هو الضمان لتحقيق الديمقراطية. (٤١)

نخلص إلى ما تقدم، إن العوامل الداخلية تؤدي دوراً بارزاً في عملية التوجه نحو الديمقراطية وإحداث التحول الديمقراطي، وهي، بلا شك، تتأثر بالعوامل الخارجية والمتغيرات الدولية تأثيراً كبيراً وتكون امتداداً لها.

المطلب الثاني: العوامل الخارجية External factors :

تلعب العوامل الخارجية دوراً بارزاً في أحداث التحول نحو الديمقراطية، كضغط النظام الدولي الجديد وتنامي ظاهرة العولمة وانعكاساتها على البلدان المتحولة ديمقراطياً، والضغوط التي تمارسها المؤسسات الدولية وبالأخص المالية منها كصندوق النقد الدولي والمؤسسات الدولية التي تعمل على مراقبة أوضاع حقوق الإنسان وتشجيع الديمقراطية فلنتعرف على تفاصيل ذلك تباعاً.

أولاً: تأثير النظام الدولي الجديد: شاع استخدام مصطلح النظام الدولي الجديد، وتم تداوله عند كثير من الباحثين والكتاب بمعانٍ مختلفة واستخدامات متباينة وفهم مختلف. (٤٢) وهذا يعني أن حالة عدم التوافق على ماهيته لأنها دائمة التغيير، واللافت للنظر أن محاولة إقامة نظام دولي جديد ليست الأولى في التاريخ المعاصر، وأن القرن العشرين، فقط، قد شهد ثلاث محاولات، وفي المرات الثلاث وقعت أحداث دولية هائلة أعقبها، جميعاً، حالة سيولة في العلاقات الدولية، واختلال في توازن القوى. وفي المرات

الثلاث، أيضاً، خرجت الولايات المتحدة الأمريكية على العالم معلنة نفسها القطب الأوحـد ومبشرة بقيام نظام دولي جديد لخدمة مصالحها وعلى حساب مصالح الأمم والشعوب الأخرى.^(٤٣) وبدأ يتبلور اتجاه لعولمة القيم الغربية في السياسة والاقتصاد وتسخير كل الوسائل المتاحة لتكريسها كمبادئ وقيم للنظام الدولي الجديد. إن هذا يقود للقول أن دول العالم الثالث كانت أكثر قدرة على الحركة وأكثر مرونة في التوجيهات في ظل نظام توازن القوى ثنائي القطبية من النظام الأحادي. ففي ظل النظام الأحادي تضعف المرونة في الانسحاب إلا إذا تبنت الدول النامية قيم النظام الجديد، في حين يكون بمقدور هذه الدول رفض قيم القطبين في ظل النظام الثنائي على الرغم من محدودية الحركة، لأن الانسحاب، عندها، لا يكون على حساب قيم القطبين معاً وفي آن واحد.^(٤٤) ويعتقد الباحث نبيل الدجاني بأن النظام الدولي الجديد، وإن كان يبرز سيطرة الدول الكبرى، إلا أن الجديد فيه هو غياب القطب الآخر المنافس، وتقرّد القطب الواحد بمركز القيادة الدولية وسعيه إلى استعمال القوة لغرض ربط دول العالم سياساته واعتناقه قيمه.^(٤٥) ولابد من التنويه إلى أن التحولات العالمية كانت لها نتائج بالنسبة لمسيرة التحول الديمقراطي في العالم الثالث. فالعوامل الخارجية ليست محايدة. فبعضها مرجح للتحول الديمقراطي ومساند لها، وبعضها معوق له أو غير مشجع على أقل تقدير.^(٤٦) وإذا جاز لنا فهم الديمقراطية على أنها آليات تتيح للشعب أن يحكم نفسه بنفسه في أفق من الحرية من ضمنها التعددية السياسية وسيادة القانون وضمن حقوق الإنسان، فلا نستطيع فهم فرض آليات هي نتاج خصوصية تاريخية وثقافية واقتصادية، وأن تكون تلك الآليات مصدراً للفتوى بشأن الآليات التي يختارها شعب من الشعوب. على هذا يأتي في مقدمة التحديات القائمة ضمن إطار الديمقراطية سعي الدول المهيمنة لتذويب الخصوصية الوطنية بوساطة منظورها للديمقراطية باعتبارها مفهوماً مجرداً صالحاً لكل زمان ومكان.^(٤٧) أن صعود تيار الديمقراطية وربطه بالتنمية " Development " يعد، بحد ذاته، تطوراً إيجابياً ينبغي الترحيب به. فالديمقراطية، والمفردات المعبرة عنها، لا يمكن أن تكون ملكاً خاصاً لدولة ما، أو مجموعة دول أو حضارة أو إقليم أو شعوب معينة. فهي حصيلة الجهد الإنساني كله وتهم البشرية بأسرها. تلك حقيقة يجب الإقرار بها بغض

النظر عن استخدام هذه المفردات كأسلحة سياسية في خدمة السياسات الكونية. بل أن من حق الشعوب والدول التمسك بقيم الديمقراطية واحترام مبادئها والحق في بيئة نظيفة وتنمية مستقلة، كما انه يجب التنويه الى إن عالمية الديمقراطية ترتكز على حقيقتين (٤٨):

الاولى: كونها نظاماً انسانياً أسهمت البشرية، كلها، في تطويره .

الثانية: كونها مثلاً ضامناً لسعادة الانسان .

لكن عالمية الديمقراطية لا يجوز أن تفهم كمطلق، بل إن الشكل الذي تتخذه يتحدد، أخيراً، ببنية المجتمع الذي تطبق فيه. إنها، كفكرة ونظام ومثال، اكتسبت، بحكم تاريخها الطويل، سمات ذات طابع عالمي، وأخرى ذات طابع خصوصي. أي أن الديمقراطية لا يمكن فصلها عن التطورات الداخلية، ولا يمكن فرضها، بأي حال من الأحوال، وبالتالي، فإن الخصوصيات في الديمقراطية تصبح ضرورة مؤكدة، تنجم عن نسبية الديمقراطية في الزمان لأنها نموذج وفكر في تطور مستمر تفرضه حاجات المجتمع وروح العصر. كما أن الخصوصية الديمقراطية تتجسد بوجود وسائل واليات مختلفة للوصول الى الديمقراطية وتطبيقها وفقاً لظروف المجتمع وحاجاته. (٤٩)

إن تشعب مقومات المعنى العام للديمقراطية، وتعدد النظريات بشأنها، علاوة على تميز أنواعها وتعدد أنظمتها، والاختلاف حول غايتها، ومحاولات تطبيقها في المجتمعات ذات قيم وتكوينات اجتماعية وتاريخية مختلفة، تجعل مسألة تحديد نمط التحول الديمقراطي دقيق وثابت، مسألة غير واردة من الناحية العملية. (٥٠) إن الديمقراطية المستخدمة على سبيل العقيدة السياسية ليس غاية في ذاتها، ولكنها وسيلة لبناء نظام دولي جديد يعكس التلاشي العملي لهامش الاستقلال الذاتي للكثير من دول العالم ومن ضمنها الدول النامية، ويمهد، في الوقت نفسه، لعملية توحيد المصير العالمي والسياسة الدولية من جهة مصالح القوى العالمية المنتصرة في المواجهة العقيدية، وبالتالي فإن النظام الدولي الجديد، وهو يعتمد الديمقراطية إيديولوجيا مهيمنة، إنما يعتمد الديمقراطية الامريكية كنموذج مثالي يحمل في أعماقه القدرة على ضمان " الثبات "

داخل الاطراف ويحول بينها وبين وجود حركات وطنية تسعى نحو " التقدم " وتتلم تبعيتها تجاه المركز .^(٥١) بعبارة أخرى، إن تعامل الولايات المتحدة مع الديمقراطية هو تعامل براغماتي أساسه المنفعة. فما هو نافع مقبولاً. فالديمقراطية الامريكية، من دون كل الاشكال الديمقراطية الاخرى، هي التي تتمتع بالقبول، في نظر الولايات المتحدة، بسبب النفع الذي تحققه من خلال تحقيقها " النظام " الذي يشكل عنصراً ضرورياً في سير عمل السوق الحرة التي تحرص الولايات المتحدة على ضمان وجودها .إن تعامل الولايات المتحدة مع الديمقراطية، ضمن هذا الاطار، هو الذي يفسر موقفها المعارض اتجاه بعض التجارب الديمقراطية التي قد لا تدخل ضمن هذا الإطار، وهذا ما يؤكد موقفها المناوئ للتجربة الديمقراطية في تشيلي في عهد الليندي، والتجربة الديمقراطية في الجزائر التي تكللت بفوز الجبهة الاسلامية .^(٥٢)

إن الولايات المتحدة، والغرب عموماً، شجع، وسوف يشجع، الديمقراطية في البلدان التي لا تخضع لسيطرتهم، ولكنه لن يشجع التحول الديمقراطي وليس من مصلحته أن يفعل ذلك في المناطق التي تخضع لنفوذه وسيطرته. فبقدر ما يعمل تشجيعه الديمقراطية في المناطق الخارجة عن سيطرته لكي يعمل على فتح ثغرة تساعده الدخول منها، يشكل الانفتاح والتحول الديمقراطي في البلدان التي تخضع خضوعاً مطلقاً له على فتح ثغرة في نظام سيطرته نفسه .^(٥٣) إن ذلك يعني ولادة أنظمة حكم جديدة تحمل مطالب اجتماعية ووطنية مغايرة ومنتجة مصالح جديدة، تفترض، لامحالة، إعادة توزيع الموارد المحلية واقتسامها بما يقلص كثيراً من نفوذ القوى الخارجية وسيطرتها عليها، ويفسح المجال أمام المؤسسات الديمقراطية الحقيقية لتأخذ دورها الحقيقي. ثم أن الديمقراطية السياسية وحدها بمعزل عن المعالجة الحقيقية لواقع الخل الاجتماعي القديم لن تلبث أن تتحول الى ممارسة شكلية تحمل في داخلها بذور تعجزها المحتوم .^(٥٤)

إن تأثير بنية النظام الدولي الجديد على عملية التحول الديمقراطي مسألة في غاية الاهمية تفرض نفسها بشكل قوي، وفي أحيان كثيرة ترفض خصوصية التطور التاريخي لأية أمة من الامم. يتضح مما سبق أنه ينبغي ان لا يتحول ذلك الى مبرر للخشية من الديمقراطية بحجة الخصوصية الوطنية أو القومية، أو التذرع بضرورة توفر

مستلزماتها، واضعين بنظر الاعتبار أن محيط عصرنا الحالي يقرب الامم بعضها من بعض الى درجة تحويله العالم الى قرية صغيرة سواء في نواحي التفكير أو في الكثير من مستلزمات الحياة ومفرداتها اليومية وهذا ما افرزته العولمة.

ثانياً: العولمة: تعني نقل اختصاصات الدولة وسلطاتها في المجال الاقتصادي والاعلامي، ومن ثمة في السياسة والثقافة، ايضاً، الى الإطار الكوني. (٥٥)

الا أن البعض يعتقد أن العولمة السياسية لن تقضي على الدولة، وإنما ستتزعزع منها بعض الوظائف، لان وجود الدولة ضروري لتنظيم المجتمع فهي التي تصدر القرارات المعترف بها دولياً مثلاً. أن حركة العولمة السياسية تتجسد في وقائع وظواهر عديدة تأخذ تجليات كثيرة أهمها: ظاهرة المجال السياسي العالمي الذي يعني التفكير في العالم وتخليه كوحدة سياسية واحدة، علماً انه ليس كذلك، ومن الصعب، في المستقبل، أن يتحول الى وحدة سياسية. (٥٦)

إن مفهوم العولمة لا يقتصر على الإطار الجغرافي " الفضاء العالمي برمته "، لكن ينطوي على الاطار الزماني، ايضاً، حقبة ما بعد الدولة القومية، وهي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز، وبقياداتها وتحت سيطرتها، وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ. (٥٧)

وهناك من الباحثين يعود بالعولمة كنظام اقتصادي واعلامي وايدولوجي الى مبادرة تقدم بها بعض المنظرين في الولايات المتحدة عام ١٩٦٥. وعلى العموم فإن للعولمة تاريخاً قديماً، ومن ثم فإنها ليست نتاج العقود الماضية التي أزدهر فيها هذا المفهوم وانتشر، وأصبح أحد المفاهيم الرئيسة لتحليل الظواهر المتعددة التي تنطوي عليها العولمة، في السياسة والاقتصاد والاجتماع والثقافة، ولعل ما جعلها تبرز آثارها في هذه المرحلة التاريخية التي يمر بها العالم، هو تعميق آثار العلمية والتقنية من جانب، والتطورات الكبرى من جانب اخر، بل أن الثورة التي حدثت في عالم الاتصالات، والوجه المعروف عن العولمة اليوم أنها أداة من أدوات الهيمنة الأمريكية، وهي لحظة التتويج

لانتصار النظام العالمي كونياً الذي خرج من رحم الدولة الوطنية، وما برحت هذه تعيد إنتاجه داخل حدودها وخارجها على حد سواء. (٥٨)

ويذهب "فرانسيس فوكوياما" إلى أن الدولة صاحبة السوق الحر تعمل، في الناحية الاقتصادية، على تأكيد مصلحة الأفراد الذاتية، لأن الثراء الاقتصادي معيار انتصار الرأسمالية بعد أحداث الحرب الباردة. (٥٩)

في ظل العولمة أصبح المجتمع المعاصر هو مجتمع المعلومات، وهذه المعلومات تتسم بأنها غير قابلة للاستهلاك أو التحول أو النقت لأنها تراكمية، وهي تؤدي دوراً في تنمية قدرة الإنسانية على اختيار أكثر القرارات فعالية، كما إنها تقوم على أساس التركيز على العمل الذهني والإبداع والتجديد. أرتبط بذلك ثورة اتصالات هائلة تتمثل رموزها في عولمة البث التلفزيوني المباشر من خلال الأقمار الصناعية، فضلاً عن شبكة الأنترنت التي أحدثت ثورة في مجال الاتصال الإنساني، وفي مجال المعرفة البشرية على السواء. في هذا الإطار، يمكن أن تؤدي ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات إلى ظهور أنماط من الديمقراطية تعتمد على الإدارة الذاتية بين المواطنين، مثل: الديمقراطية التشاركية Participatory Democracy أو الديمقراطية التداولية Deliberative Democracy التي تقوم على الاتفاق، وضبط النزاع الإنسانية بهدف الوصول لقرارات تتسم بالشرعية. كما أن تكنولوجيا المعلومات واستخدام وسائل الاتصال عبر أجهزة الحاسوب يؤدي إلى ظهور ما يسمى بديمقراطية المعلومات، أو الديمقراطية الإلكترونية أو الديمقراطية الرقمية Digital Democracy ولعل من المفيد إلقاء الضوء على أبعاد هذه الديمقراطية التي تمثل أحد أوجه تطور النظرية الديمقراطية. تنهض الديمقراطية الرقمية "ديمقراطية المعلومات" على أربع مقومات رئيسة تتمثل في حماية خصوصية الأفراد، والحق في المعرفة، وحق استخدام المعلومات، وحق المواطن في الاشتراك المباشر في كل مستويات صنع القرار المحلية والكونية والحكومية. فالديمقراطية الرقمية، أو المعلوماتية، هي ممارسة الديمقراطية بدون حدود في الوقت، أو الفضاء، أو الظروف المادية الأخرى، وإن كان ذلك لا يمثل بديلاً للممارسات السياسية التقليدية. (٦٠)

هكذا فإن للعولمة، في الوقت الحاضر، تأثير كبير على فرص التحول الديمقراطي لما

تحتويه من عناصر ومبادئ تتسم بسرعة الاتصال بسبب عنصر تدفق المعلومات على كل المستويات، مما أثر على طبيعة العلاقة بين الحكام والمحكومين وتسهيل عملية المشاركة السياسية.

ثالثاً: ضغوط المؤسسات المالية الدولية: تؤدي المؤسسات المالية الدولية، كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي، دوراً مهماً في دفع عمليات التحول عن طريق المنح والقروض التي تقدمها للدول النامية والتي تقيدها بشروط سياسية، يدفع باتجاه تفاقم مشكلة المديونية عند تلك الدول.^(٦١) إن الجديد في الأمر هو التوسع في استخدام هذه الورقة لفرض أنماط معينة من السياسات والتوجهات ودمج المجتمعات المتلقية في شبكة واسعة من العلاقات والنظم تصنع ما صار يعرف بالتبعية. والجديد، أيضاً، أنه لم يعد المال يستخدم ضمن شعارات الصداقة والتعاون كما كان من قبل، وإنما صار الموضوع، برمته، علنياً ومحل مفاوضات تتناولها وسائل الاعلام بشأن حجم المساعدات الاقتصادية وشروطها.^(٦٢) أما بخصوص سلاح المديونية، فقد أصبح من بين أهم الوسائل المعتمدة للضغط على الدول النامية للاستجابة لمتطلبات الرأسمالية العالمية، وذلك في ضوء استراتيجية مركزية عالمية أهم ملامحها:^(٦٣)

١. اجبار البلدان المدينة على أنتهاج نموذج للنمو الرأسمالي التابع .
٢. التخلي، تماماً، عن احلام التحرر الاقتصادي وبناء التنمية المستقلة في البلدان النامية .
٣. سلب حرية القرار الاقتصادي الوطني في الدول المدينة، وأملاء السياسات الاقتصادية والاجتماعية التي تدافع عن مصالح رأس المال الاجنبي وتحميها.
٤. تهيئة مناخ البلدان النامية لعودة الاستثمارات الاجنبية الخاصة .
٥. اعتماد وصفات صندوق النقد الدولي والبنك الدولي القاضية بتقليص حجم الانفاق العام والدعم الحكومي، من دون النظر الى ما قد تنثيره هذه الوصفات من إشكاليات جانبية على الصعيد الداخلي .

وقد انعكست كل هذه السياسات بشكل نتائج سلبية تمثلت في تهميش الجماهير وإفقارها وتجديد استغلالها، وتوسع الهوة بين قلة متخمة وأغلبية معدومة، مما أسهم في

بروز الايديولوجيات المعادية للديمقراطية.^(٦٤) فالعرقية والقبلية والمذهبية والاصولية الدينية ظواهر تتزامن، على المستوى السياسي والثقافي، مع مخططات إعادة الهيكلة المفروضة على بلدان العالم الثالث وترجمة هذه الإستراتيجية بضغوط على هذه البلدان لتحقيق تحول ديمقراطي صوري لا يمت لواقع هذه البلدان ولا يراعي ظروفها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية أدنى مراعاة. إن المنظمات الدولية يمكن تؤدي دوراً في عملية التحول الديمقراطي عن طريق تقديم المساعدات الاقتصادية غير مشروطة، وذلك بسبب احتياجات التحول الاقتصادي الذي يصاحب التحول السياسي. لقد أصبحت الديمقراطية قضية دولية، وهناك العديد من المنظمات الدولية والمؤسسات التي تهتم بالديمقراطية، مثل: البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، والاتحاد الاوربي. وأي محاولة من جانب الدول حديثة التحول نحو الديمقراطية لكي تتجاوز عن الديمقراطية، سوف يحول ذلك بينها وبين الحصول على المعونات.^(٦٥)

رابعاً: ضغوط القوى والتكتلات الدولية الكبرى التي تستخدم المساعدات الدولية: هذه التكتلات تستخدم المساعدات الدولية كأداة للضغط على الدول غير الديمقراطية باتجاه التحول الديمقراطي. إن فكرة استخدام المساعدات الاقتصادية كسلاح سياسي ليست جديدة، ولكن الجديد، في السنوات الاخيرة، أصبحت سلاحاً استراتيجياً واسع الاستخدام ينطوي على تنازلات سياسية واستراتيجية واضحة من جانب المتلقي، وتلعب الدول الكبرى دوراً كبيراً في هذا الموضوع حيث غالباً ما تكون هذه المساعدات مشروطة بجوانب سياسية.

خامساً: ضغوط المؤسسات الدولية الرسمية كالأمم المتحدة، والمؤسسات الدولية الغير الرسمية كمؤسسة كونراد آديناور ونريد ريش إبيرت الالمانيتين، ومؤسسة فورد الامريكية: إن مثل هذه المؤسسات تعمل على تشجيع الاصلاحات الديمقراطية والتحول الديمقراطي في البلدان النامية .

سادساً: الحرب أو الغزو الخارجي: إن غالبية الدول التي تعرضت الى التدخل العسكري لم يكتب لمسيرة التحول الديمقراطي فيها النجاح، بسبب الاجراءات التعسفية

التي مارسها المحتل والتي تتناقض مع جوهر الديمقراطية من جهة، والسلطات الوليدة التي ينصبها الاحتلال والتي تكون في معزل مع الواقع العام للدولة المحتلة من جهة أخرى، إلا أنّ هنالك من يعد التدخل العسكري الخارجي أحد أدوات التحول لأنّه يكسر إرادة النظام الاستبدادي القوي، ويفسح المجال للتعددية الفكرية أن تظهر على الساحة السياسية. (٦٦)

لقد كشفت موجة التحول نحو الديمقراطية تأثر واهمية العوامل الدولية في هذه العملية. وذلك بدرجات مختلفة. وإن كان كثيراً من العوامل الدولية لا تتضح اهميتها بالنسبة للباحثين، ويكاد يقتصر تأثيرها على شرق أوروبا. وبالرغم من ذلك فإنّ الدراسة المقارنة لأدبيات التحول الديمقراطي تشير الى أنها عملية داخلية، وإن العامل الخارجي يأتي تأثيره لاحقاً على هذه العوامل. وإن هنالك القليل من الدراسات التي تتناول البعد الدولي، كما أن الباحثين يشيرون الى أن البعدين، الدولي والداخلي، يتفاعلان، معاً، في إحداث عملية التحول الديمقراطي، وبعد حدوث التحول الديمقراطي، عادةً، ما يحدث إعادة توجيه لسياسة الدولة الخارجية حيث تتجه لتقوية وتكثيف علاقاتها الخارجية. (٦٧)

والواقع، أن عملية التحول الديمقراطي هي عملية الانتقال من وضع استبدادي تسلطي قمعي الى وضع ديمقراطي وهي عملية تدريجية وليست طفرة فجائية. كما أن التحول، بحد ذاته، ليس هو الديمقراطية، وإنما هو شرط أو طريق للوصول اليها رغم أخذه ببعض ملامحها: كالتعددية السياسية وبعض الممارسات الديمقراطية. (٦٨) وهذا يعني أن عملية التحول الديمقراطي ليست مجرد أمنيات ورغبات، بل هي بناء تدريجي للمؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومواجهة للقيود الدولية في سياق عملية صعبة طويلة الامد، وبناء الاسس السليمة والمتينة للديمقراطية، وارساء مفهوم دولة المواطنة الفعالة، وبناء مؤسسات المجتمع المدني على أسس ديمقراطية واعية، إلا أنّ الأمر يُواجه تحديات، داخلية وخارجية، محدقة بأبعاد ومستويات التحول للانتقال نحو الترسخ، لأنّ التحول محصلة مجموعة من الاسباب، المتفاوتة، المؤدية الى الديمقراطية من دولة الى أخرى. (٦٩)

الخاتمة

لقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج والاستنتاجات أبرزها:

١. أن مفهوم التحول الديمقراطي لما يتضمنه هذا الأخير من متطلبات وشروط ومقومات وأرضيات تستند عليها وتقوم على أساسها ، لذلك فإن الخوض في موضوع التحول الديمقراطي ليس من المواضيع اليسيرة في المجتمعات النامية لما تعانيه هذه المجتمعات كما أسلفنا من أزمات ، بالإضافة إلى ذلك إن التحول الديمقراطي هو العملية الأساسية لإطلاق صفة الايجابية على طبيعة النظم السياسية ، فالنظام السياسي الصالح هو الذي يفسح المجال للضرورة الديمقراطية بأن تأخذ مجراها ، فالحكم الصالح يقاس بمدى تطبيقه للأسس الديمقراطية السليمة .

٢. إن التحول الديمقراطي يمر بعدة مراحل أبرزها كمرحلة القضاء على النظام السلطوي، ومرحلة مرحلة اتخاذ قرار النظام الديمقراطي، مرحلة تدعيم التحول الديمقراطي مرحلة النضج الديمقراطي، وما تضمنت هذه المراحل من الأسس والخطوات لتحقيق التحول الديمقراطي. كما طرح بعض الباحثين بعض المراحل منها: مرحلة التحول إلى الليبرالية Liberalization ومرحلة الانتقال الديمقراطي Democratic Transition ومرحلة ترسيخ الديمقراطي Consolidation وما تضمنت هذه المراحل من الأسس والخطوات لتحقيق التحول الديمقراطي. كما توصلنا إلى أن التحول الديمقراطي يقوم على أنماط متعددة، كما يمر بمعوقات كمعوقات مؤسسية ومعوقات داخلية و معوقات خارجية.

٣. وقد وجدنا أن العوامل المؤثرة في التحول الديمقراطي لها أهمية خاصة فهي التي تؤثر في عملية إحداث نقلة سريعة في عملية التحول وهي بطبيعتها تتفاعل فيما بينها لأحداث عملية التحول إذ لا فكاك لواحدة عن الأخرى من حيث طبيعتها و أهدافها وماهيتها. وهي تساهم في التخفيف من حدة ومضار الحكم الاستبدادي المطلق وخصوصاً في البلدان الأقل حظاً من التقدم وفي

مرحلة التحول الديمقراطي، حيث أن هذا الأخير يأتي كرد فعل ونتيجة للضرورة العميقة التي تعيشها الأنظمة السلطوية التي فقدت المرونة والتكيف مع التغيرات الاجتماعية السياسية والاقتصادية، وهذا التحول يتأثر بعوامل داخلية وخارجية تؤثر عليه بدرجة كبيرة. ويجب أن نفهم أن التحول الديمقراطي لا يمثل، أو بالأحرى الانتقال من السلطوية، بالضرورة مساراً للازدهار والحرية والحكم الرشيد. ما لم تتوفر الإرادة المجتمعية وقوة الثقافة السياسية للمواطنين و مرونة العامل الاقتصادي وقوة مؤسسات المجتمع المدني الحقيقية التي توازن بين السلطة الحاكمة في قمة الهرم السياسي وبين المحكومين الذين يشكلون قاعدة الهرم السياسي والاجتماعي وهذا يحدث بالتعاون مع الأحزاب السياسية الحقيقية التي تعبر عن تعددية حقيقية وليست شكلية تكون أدوات لتحقيق مصالح النخبين عندما تكون صادقة في نواياها وتحقيق برامجها الانتخابية التي تطلقها أبان موسم الانتخابات وهذا كله يتوقف على جودة المؤسسات السياسية التي تنتج عن المرحلة الانتقالية ومدى كفاءتها في معالجة المشاكل الموروثة والناجمة ، وهذا لا يتم بمعزل عن تأثير العوامل الخارجية كتأثير النظام الدولي الجديد وما أفرزته وتفرزه العولمة في هذا الصدد وضغوط المؤسسات المالية الدولية كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي وما يمارسان من تأثير في الضغط باتجاه عملية التحول وتأثير المؤسسات الدولية الرسمية كالأمم المتحدة والغير الرسمية وسياسة المساعدات الدولية التي تمارسها الدول الكبرى وكذلك الحرب والغزو الخارجي من إحداث عملية التحول سواء أكانت نتائجه ايجابية أم سلبية كعامل من العوامل المساعدة لإحداث عملية التحول الديمقراطي .

- (1) Stephen G. King: " The New Authoritarianism In The Middle East And North Africa " Bloomington , Indiana University Press , 2009, P. 17.
- (2) Saliba Sarsar: "Quantifying Arab Democracy" Democracy in The Middle East, Middle East Quarterly , Summer , 2006, p.p 21- 22.
- (٣) صموئيل هنتغتون : " الموجة الثالثة: التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين "، ترجمة عبد الوهاب علوب، دار سعاد الصباح، ١٩٩١، ص ٩٩.
- (٤) برهان غليون : " الديمقراطية المفروضة والديمقراطية المختارة " الخيارات العربية الراهنة في الانتقال إلى الديمقراطية، علي خليفة الكواري "محرراً " في: مداخل الانتقال إلى الديمقراطية في البلدان العربية، بيروت، د. ت، ص ٩٧.
- (٥) عصام سليمان : " الأنظمة البرلمانية بين النظرية والتطبيق . دراسة مقارنة . "، بيروت، منشورات دار الحلبي الحقوقية، ٢٠١٠. ص ١٢.
- (٦) علي خليفة الكواري وآخرون : " الخليج العربي والديمقراطية نحو رؤية مستقبلية "، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠٠٢، ص ٢٨.
- (٧) لمزيد حول مراحل التحول الديمقراطي انظر: ابتسام الكتبي وآخرون : " الديمقراطية والتنمية الديمقراطية في الوطن العربي"، سلسلة كتب المستقبل العربي " ٣٠ "، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٦٢، وكذلك أنظر: احمد منيسي : " التحول الديمقراطي في مجلس التعاون لدول الخليج العربي . دراسة حالات البحرين وعمان وقطر والإمارات العربية المتحدة . "، أبو ظبي، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، ط ١، ٢٠٠٩، ص ١١.١٠.
- (٨) انظر على سبيل المثال: بلقيس احمد منصور: " الاحزاب السياسية والتحول الديمقراطي . دراسة تطبيقية على اليمن وبلدان أخرى "، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط ١، ٢٠٠٤، ص ٢٨ . ٢٩.
- (9) For Example From Studies: Josep M. Colomer : "Democratic Transition " 1n George Thomas Kurian , The Encyclopedia of Political Science , 2 Voles, Washington , Dc :CQ Press ,2011 p.406.

(١٠) فراس البياتي: " التحول الديمقراطي في العراق بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣ "، بيروت، بغداد، العارف للمطبوعات، ط١، ٢٠١٣، ص١٥.

(١١) إبراهيم البيومي غانم: " محنة التحول الديمقراطي "، القاهرة، مجلة الديمقراطية، السنة السادسة، العدد " ٢٢ "، أبريل ٢٠٠٦، ص ص ١٤٩ . ١٥٠.

(١٢) من هذه الدراسات حول مراحل التحول الديمقراطي أنظر: د. شادية فتحي إبراهيم عبد الله: " الاتجاهات المعاصرة في دراسة النظرية الديمقراطية "، عمان، المركز العلمي للدراسات السياسية، ط١، ٢٠٠٥، ص ص ٣١٢٩.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٣١.

(١٤) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(١٥) جين سعيد واخرون: " المجتمع المدني العربي والتحدي الديمقراطي"، بيروت، مؤسسة فريدريش إيبرت، ٢٠٠٤، ص ٣٠٧.٣٠٦.

(١٦) فراس البياتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٠.

(١٧) المصدر نفسه، ص ص ٢٢ . ٢٤.

(١٨) Hans blomkvist,," Democracy in India" , 1n George Thomas Kurian , The Encyclopedia of Political Science , 2 Voles, Washington , Dc :CQ Press, 1992, pp.1- 6.

(١٩) غسان سلامة: " نحو عقد اجتماعي عربي جديد: بحث في الشرعية الدستورية " سلسلة الثقافة القومية، ١٠، ط٢ منقحة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١، ص ٢٨.

(1) Jack A. Goldstone: " Comparative Revolutions: Classification by Goals in Kurian the Encyclopedia of political Science, 2011,pp. and," Process 1477- 1478.

(2) Ibid ,pp. 1477- 1478.

* * تجدر الإشارة إلى تعدد التعاريف المعطاة لمفهوم الثقافة السياسية، مثل تعريف " جيمس أندرسون " الذي يعرفها بأنها: [ذلك الجزء من ثقافة المجتمع، المتضمنة للقيم والمعتقدات والمواقف المتعلقة بما ينبغي أن تقوم به الحكومة، وكيف تقوم به، وطبيعة العلاقة بين المواطن والحكومة، حيث تنتقل الثقافة السياسية من جيل إلى الآخر من خلال عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية التي من خلالها يتعرف أفراد المجتمع ويتفاعلون مع الآخرين ومع القادة السياسيين، بحيث تصبح هذه

الثقافة السياسية جزءاً من نفسياتهم ويترجمونها الى سلوك حياتي [لمزيد أنظر: جيمس أندرسون " صنع السياسات العامة "، ترجمة د. عامر الكبيسي، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، طه، ٢٠١٣، ص ٤٤. وهذا] مورييس ديفرجيه " الذي يعرفها بأنها :[الجوانب السامية باعتبار أنها تشكل في حد ذاتها مجموعة منظمة، ويؤكد على ضرورة تحديد الجوانب السياسية للثقافة]. نقلاً عن: عبد الله محمد عبد الرحمن: " علم الاجتماع السياسي: النشأة التطورية والاتجاهات الحديثة المعاصرة"، بيروت، دار الوفاء للنشر، ط١، ٢٠٠١، ص ٤٣٦.

(٢٢) محمد سعد أبو عامود وآخرون: " السياسة بين النمذجة والمحاكاة"، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط١، ٢٠٠٤، ص ١٩٠.

(٢٣) شادية فتحي إبراهيم عبد الله، مصدر سبق ذكره، ص ٣٤.

(٢٤) علي الدين هلال ونيفين مسعد: " النظم السياسية العربية . قضايا الاستمرار والتغيير"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ٢٠٠٢، ص ١٢٤.

(٢٥) جان ماري دانكان: " علم السياسة"، ترجمة محمد عرب صاصيلا، بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر، ١٩٩٧، ص ١٥٨ . ١٥٩.

(٢٦) محمد محفوظ: " الإسلام ورهانات الديمقراطية من أجل إعادة الفاعلية للحياة السياسية المدنية"، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٢، ص ٢٠٠.

(٢٧) جان ماري دانكان، مصدر سبق ذكره، ص ١٥٩.

(٢٨) فرانثيسكا بيندا وآخرون: " التحول نحو الديمقراطية: الخيارات الرئيسية في عملية التحول الديمقراطي في العراق"، ستوكهولم، المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، ٢٠٠٥، ص ٢٢.

(٢٩) فراس البياتي، مصدر سبق ذكره، ص ص ٢٥ . ٢٦.

(٣٠) رمزي زكي: " الليبرالية الجديدة تقول وداعاً للطبقة الوسطى"، مجلة عالم الفكر، الكويت، السنة " ٢٥"، العدد " ١"، تموز. أيلول ١٩٩٦، ص ص ٦٩ . ٧٠.

(٣١) عصام سليمان، مصدر سبق ذكره، ص ص ٦٩ . ٧٠.

(٣٢) المصدر نفسه، ص ص ٦٩ . ٧٠.

* • لمزيد من التفاصيل حول تأصيل مفهوم المجتمع المدني أنظر: " زياد جهاد حمد البياتي: " مفهوم الديمقراطية والمجتمع المدني في فكر الأحزاب السياسية العراقية المعاصرة"، رسالة ماجستير غير

- منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥. وكذلك سعيد بنسعيد العلوي وآخرون: " المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية "، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠١.
- (٣٣) محمد عابد الجابري: " إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي "، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٦٧، ١٩٩٣، ص٥.
- (٣٤) تعقيب كمال عبد اللطيف على بحث سعيد بنسعيد العلوي في " نشأة وتطور المجتمع المدني في الفكر الغربي الحديث " ورقة قدمت الى: ندوة " المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية "، مصدر سبق ذكره، ص٧٩.
- (٣٥) سعد الدين إبراهيم: " تأملات في مسألة الأقليات "، القاهرة، مركز أبو خلدون للدراسات الإنمائية، ١٩٩١، ص٢٤٢.
- (٣٦) أنطوان نصري مسرة: " المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في لبنان "، القاهرة، مركز أبو خلدون للدراسات الإنمائية، ١٩٩٥، ص٨٩.
- (٣٧) عبد الجبار أحمد عبد الله: " مستقبل مؤسسات المجتمع المدني في العراق "، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، العدد " ٣١ "، تموز ٢٠٠٥، ص ص ٨٨ . ٩٤ .
- (٣٨) شادية فتحي إبراهيم عبد الله، مصدر سبق ذكره، ص٤٣.
- (٣٩) خلدون النقيب: " الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر "، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٦، ص ص ١٧٥ . ١٨٣ .
- (٤٠) لاري دايموند: " الثورة الديمقراطية . النضال من أجل الحرية والتعددية في العالم النامي "، ترجمة سمية فلو عبود، بيروت، دار الساقى، ط١، ١٩٩٥، ص٣٧.
- (٤١) شادية فتحي إبراهيم عبد الله، مصدر سبق ذكره، ص ٤٠ . ٤١ .
- (٤٢) سعد حقي توفيق: " إشكالية النظام الدولي الجديد "، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، العدد " ١٣ "، ١٩٩٥، ص٢.
- (٤٣) رياض عزيز هادي: " العالم الثالث اليوم " قضايا .. وتحديات "، سلسلة أفاق، ١٦، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٧، ص٢٥.

- (٤٤) سعد حقي توفيق: "انعكاسات النظام الدولي الجديد على العالم الثالث"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العددان ٩، ٨، آب. أغسطس ١٩٩٥، ص ١٠.
- (٤٥) نبيل الدجاني: "البعد الثقافي والاتصالي في ضوء النظام العالمي الجديد"، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٤، بيروت، ١٩٩٧، ص ٥٩.
- (٤٦) ضيا طيارة: "العوامل الخارجية والتحول الديمقراطي في البلدان العربية"، تقرير عن ورشة عمل مشروع دراسات الديمقراطية في البلدان العربية، مجلة المستقبل العربي، السنة ١٧، العدد ١٩٢، شباط ١٩٩٥، ص ١٤٢.
- (٤٧) جمال قنان: "نظام عالمي جديد أم سيطرة استعمارية جديدة؟"، مجلة المستقبل العربي، السنة ١٦، العدد ١٨٠، شباط ١٩٩٤، ص ٨٦.
- (٤٨) رياض عزيز هادي: "الديمقراطية والتنمية"، مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد ٩، ايلول ١٩٩٣، ص ص ٦. ٧.
- (٤٩) رياض عزيز هادي: "الديمقراطية بين العالمية والخصوصية"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العددان ٨. ٩، آب ١٩٩٥، ص ١٧٤.
- (٥٠) محمد فريد حجاب: "أزمة الديمقراطية الغربية وتحدياتها في العالم الثالث"، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٦٤، ١٩٩٢، ص ٧٥.
- (٥١) عبد الرضا الطعان: "الأيديولوجية والنظام الدولي الجديد" في النظام الدولي الجديد. آراء ومواقف"، مجموعة مؤلفين، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٢، ص ١٨٤.
- (٥٢) عبد الرضا الطعان: "الديمقراطية الامريكية والوطن العربي في ظل النظام الدولي الجديد"، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٧، تشرين الثاني ١٩٩٢، ص ١٩.
- (٥٣) جمال قنان، مصدر سبق ذكره، ص ٨٧.
- (٥٤) رياض عزيز هادي: "العالم الثالث اليوم" قضايا .. وتحديات"، مصدر سبق ذكره، ص ٧٢.
- (٥٥) محمد عابد الجابري: "قضايا في الفكر المعاصر: العولمة، صراع الحضارات، العودة الى الاخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧، ص ١٤٧.

(٥٦) للتوسع حول مفهوم العولمة السياسية انظر: عبد الخالق عبد الله: العولمة السياسية: في أحمد ثابت وآخرون: "العولمة وتداعياتها على الوطن العربي"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، ٢٠٠٣، ص ٣٩ . ٥٤. وكذلك: حسنين توفيق إبراهيم: "العولمة . الأبعاد والانعكاسات السياسية"، مجلة عالم الفكر، المجلد ٢٨، الكويت، العدد ٢، أكتوبر . ديسمبر ١٩٩٩، ص ص ١٨٥ . ٢٢١.

(٥٧) السيد يسين: "في مفهوم العولمة"، مجلة المستقبل العربي، السنة ٢٠، العدد ٢٢٨، شباط ١٩٩٨، ص ٨ .

(٥٨) عبد الإله بلقزيز: "العولمة والهوية الثقافية . عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة"، مجلة المستقبل العربي، السنة ٢٠، العدد ٢٢٩، آذار ١٩٩٨، ص ٩٢ .

(٥٩) فرانسيس فوكو ياما: "نهاية التاريخ والانسان الاخير"، ترجمة فؤاد شاهين وآخرون، بيروت، مركز الإنماء القومي، ١٩٩٣، ص ١٤٤ .

(٦٠) شادية فتحي إبراهيم عبد الله، مصدر سبق ذكره، ص ص ٤٨ . ٤٩ .

(٦١) فراس البياتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧ .

(٦٢) صلاح سالم زرنوقة: "اثر التحولات العالمية على مؤسسة الدولة في العالم الثالث"، مجلة السياسة الدولية، السنة ٣١، العدد ١٢٢، أكتوبر ١٩٩٥، ص ٧١ .

(٦٣) رمزي زكي: "أزمة الديون العالمية والامبريالية الجديدة: الآليات الجديدة لإعادة احتواء العالم الثالث"، مجلة السياسة الدولية، السنة ٢٢، العدد ٨٦، أكتوبر ١٩٨٦، ص ٧٤ .

(٦٤) المصدر نفسه، ص ص ٧٤ . ٧٥ .

(٦٥) شادية فتحي إبراهيم عبد الله، مصدر سبق ذكره، ص ٣٦ .

(٦٦) فراس البياتي، مصدر سبق ذكره، ص ٢٧ .

(٦٧) شادية فتحي إبراهيم عبد الله: مصدر سبق ذكره، ص ٣٥ .

(٦٨) حمدي عبد الرحمن وآخرون: "التحول الديمقراطي في العالم العربي خلال التسعينات"، عمان، ب. ن. ٢٠٠٠، ص ٨ .

(٦٩) فراس البياتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠ .

قائمة المصادر

أولاً: الكتب

١. صموئيل هنتنغتون: "الموجة الثالثة: التحول الديمقراطي في أواخر القرن العشرين"، ترجمة عبد الوهاب علوب، دار سعاد الصباح، ١٩٩١.
٢. برهان غليون: "الديمقراطية المفروضة والديمقراطية المختارة" الخيارات العربية الراهنة في الانتقال إلى الديمقراطية، علي خليفة الكواري "محرراً" في: مداخل الانتقال إلى الديمقراطية في البلدان العربية، بيروت، د. ت .
٣. عصام سليمان: "الأنظمة البرلمانية بين النظرية والتطبيق . دراسة مقارنة ."، بيروت، منشورات دار الحلبي الحقوقية، ٢٠١٠.
٤. علي خليفة الكواري وآخرون: "الخليج العربي والديمقراطية نحو رؤية مستقبلية"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٢ .
٥. ابتسام الكتبي وآخرون: "الديمقراطية والتنمية الديمقراطية في الوطن العربي"، سلسلة كتب المستقبل العربي "٣٠"، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٤ .
٦. احمد منيسي: "التحول الديمقراطي في مجلس التعاون لدول الخليج العربي . دراسة حالات البحرين وعمان وقطر والإمارات العربية المتحدة ."، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط١، ٢٠٠٩.
٧. بلقيس احمد منصور: "الأحزاب السياسية والتحول الديمقراطي . دراسة تطبيقية على اليمن وبلدان أخرى"، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١، ٢٠٠٤ .
٨. فراس ألبياتي: "التحول الديمقراطي في العراق بعد ٩ نيسان ٢٠٠٣"، بيروت، بغداد، العارف للمطبوعات، ط١، ٢٠١٣ .
٩. شادية فتحي إبراهيم عبد الله: "الاتجاهات المعاصرة في دراسة النظرية الديمقراطية"، عمان، المركز العلمي للدراسات السياسية، ط١، ٢٠٠٥.
١٠. جين سعيد وآخرون: "المجتمع المدني العربي والتحديات الديمقراطية"، بيروت، مؤسسة فريد ريش إيبيرت، ٢٠٠٤.

١١. غسان سلامة: " نحو عقد اجتماعي عربي جديد: بحث في الشرعية الدستورية " سلسلة الثقافة القومية، ١٠، ط٢ منقحة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١١.
١٢. جيمس أندرسون " صنع السياسات العامة "، ترجمة د. عامر الكبيسي، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط٥، ٢٠١٣ .
١٣. عبد الله محمد عبد الرحمن: " علم الاجتماع السياسي: النشأة التطورية والاتجاهات الحديثة المعاصرة "، بيروت، دار الوفاء للنشر، ط١، ٢٠٠١ .
١٤. محمد سعد أبو عامود وآخرون: " السياسة بين النمذجة والمحاكاة "، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ط١، ٢٠٠٤
١٥. علي الدين هلال ونيفين مسعد: " النظم السياسية العربية . قضايا الاستمرار والتغيير "، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، ٢٠٠٢ .
١٦. جان ماري دانكان: " علم السياسة "، ترجمة محمد عرب صاصيلا، بيروت، المؤسسة الجامعية للنشر، ١٩٩٧.
١٧. محمد محفوظ: " الإسلام ورهانات الديمقراطية من أجل إعادة الفاعلية للحياة السياسية المدنية "، بيروت، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط١، ٢٠٠٢ .
١٨. فرانثيسكا بيندا وآخرون: " التحول نحو الديمقراطية: الخيارات الرئيسية في عملية التحول الديمقراطي في العراق "، ستوكهولم، المؤسسة الدولية للديمقراطية والانتخابات، ٢٠٠٥.
١٩. سعيد بنسعيد العلوي وآخرون: " المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية "، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٢، ٢٠٠١.
٢٠. سعد الدين إبراهيم: " تأملات في مسألة الأقليات "، القاهرة، مركز أبو خلدون للدراسات الإنمائية، ١٩٩١ .
٢١. أنطوان نصري مسرة: " المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في لبنان "، القاهرة، مركز أبو خلدون للدراسات الإنمائية، ١٩٩٥ .
٢٢. خلدون النقيب: " الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر "، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ١٩٩٦

٢٣. لاري دايموند: " الثورة الديمقراطية . النضال من أجل الحرية والتعددية في العالم النامي "، ترجمة سمية فلو عبود، بيروت، دار الساقى، ط١، ١٩٩٥ .
٢٤. رياض عزيز هادي : " العالم الثالث اليوم " قضايا ..وتحديات "، سلسلة أفاق، ١٦، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٧ .
٢٥. عبد الرضا الطعان : " الأيديولوجية والنظام الدولي الجديد " في النظام الدولي الجديد . أراء ومواقف"، مجموعة مؤلفين، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٢ .
٢٦. محمد عابد الجابري : " قضايا في الفكر المعاصر: العولمة، صراع الحضارات، العودة إلى الأخلاق، التسامح، الديمقراطية ونظام القيم، الفلسفة والمدينة "، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧.
٢٧. عبد الخالق عبد الله: العولمة السياسية: في أحمد ثابت وآخرون : " العولمة وتداعياتها على الوطن العربي "، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، ٢٠٠٣.
٢٨. فرانسيس فوكو ياما : " نهاية التاريخ والإنسان الأخير"، ترجمة فؤاد شاهين وآخرون، بيروت، مركز الإنماء القومي، ١٩٩٣.
٢٩. حمدي عبد الرحمن وآخرون : " التحول الديمقراطي في العالم العربي خلال التسعينات "، عمان، ب. ن. ٢٠٠٠ .

ثانياً: الرسائل والأطاريح الجامعية :

- " زياد جهاد حمد البياتي: " مفهوم الديمقراطية والمجتمع المدني في فكر الأحزاب السياسية العراقية المعاصرة "، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.

ثالثاً: الدوريات :

١. إبراهيم البيومي غانم: " محنة التحول الديمقراطي "، القاهرة، مجلة الديمقراطية، السنة السادسة، العدد " ٢٢ "، أبريل ٢٠٠٦
٢. رمزي زكي: " الليبرالية الجديدة تقول وداعاً للطبقة الوسطى "، مجلة عالم الفكر، الكويت، السنة " ٢٥ "، العدد " ١ "، تموز. أيلول ١٩٩٦ .
٣. عبد الجبار أحمد عبد الله: " مستقبل مؤسسات المجتمع المدني في العراق "، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، العدد " ٣١ "، تموز ٢٠٠٥ .

٤. سعد حقي توفيق: " إشكالية النظام الدولي الجديد "، مجلة العلوم السياسية، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، العدد " ١٣ "، ١٩٩٥.
٥. سعد حقي توفيق: " انعكاسات النظام الدولي الجديد على العالم الثالث "، المجلة العربية للعلوم السياسية، العددان ٩٨، آب . أغسطس ١٩٩٥ .
٦. نبيل الدجاني: " البعد الثقافي والاتصالي في ضوء النظام العالمي الجديد"، مجلة المستقبل العربي، العدد ٢٢٤، بيروت، ١٩٩٧.
٧. ضيا طيارة: " العوامل الخارجية والتحول الديمقراطي في البلدان العربية "، تقرير عن ورشة عمل مشروع دراسات الديمقراطية في البلدان العربية، مجلة المستقبل العربي، السنة ١٧، العدد ١٩٢، شباط ١٩٩٥.
٨. جمال قنان: " نظام عالمي جديد أم سيطرة استعمارية جديدة ؟"، مجلة المستقبل العربي، السنة ١٦، العدد ١٨٠، شباط ١٩٩٤.
٩. رياض عزيز هادي: " الديمقراطية والتنمية "، مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد ٩، أيلول ١٩٩٣.
١٠. رياض عزيز هادي: " الديمقراطية بين العالمية والخصوصية "، المجلة العربية للعلوم السياسية، العددان ٨ . ٩، آب ١٩٩٥.
١١. عبد الرضا الطعان: " الديمقراطية الأمريكية والوطن العربي في ظل النظام الدولي الجديد "، المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد ٧، تشرين الثاني ١٩٩٢.
١٢. حسنين توفيق إبراهيم: " العولمة . الأبعاد والانعكاسات السياسية "، مجلة عالم الفكر، الكويت، المجلد ٢٨، العدد " ٢ "، أكتوبر . ديسمبر ١٩٩٩ .
١٣. السيد يسين: " في مفهوم العولمة "، مجلة المستقبل العربي، السنة ٢٠، العدد ٢٢٨، شباط ١٩٩٨ .
١٤. عبد الإله بلقزيز: " العولمة والهوية الثقافية . عولمة الثقافة أم ثقافة العولمة "، مجلة المستقبل العربي، السنة ٢٠، العدد ٢٢٩، آذار ١٩٩٨.
١٥. صلاح سالم زرنوقة: " اثر التحولات العالمية على مؤسسة الدولة في العالم الثالث "، مجلة السياسة الدولية، السنة ٣١، العدد ١٢٢، أكتوبر ١٩٩٥ .

١٦. رمزي زكي: " أزمة الديون العالمية والامبريالية الجديدة: الآليات الجديدة لإعادة احتواء العالم الثالث "، مجلة السياسة الدولية، السنة ٢٢، العدد ٨٦، أكتوبر ١٩٨٦ .
١٧. محمد عابد الجابري: " إشكالية الديمقراطية والمجتمع المدني في الوطن العربي "، مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٦٧، ١٩٩٣ .
١٨. محمد فريد حجاب: " أزمة الديمقراطية الغربية وتحدياتها في العالم الثالث " مجلة المستقبل العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ١٦٤، ١٩٩٢ .

المصادر باللغة الإنكليزية :

- (1) Stephen G. King: " The New Authoritarianism In The Middle East And North Africa " Bloomington , Indiana University Press , 2009 .
- (2) Saliba Sarsar: "Quantifying Arab Democracy" Democracy in The Middle East, Middle East Quarterly , Summer , 2006 .
- (3) Josep M. Colomer : "Democratic Transition " In George Thomas Kurian , The Encyclopedia of Political Science , 2 Vols, Washington , Dc :CQ Press ,2011 p.406
- (4) Jack A. Goldstone: " Comparative Revolutions: Classification by Goals and," Process in Kurian the Encyclopedia of political Science, 2011
- (5) Hans blomkvist,, " Democracy in India" , In George Thomas Kurian , The Encyclopedia of Political Science , 2 Vols, Washington , Dc :CQ Press, 1992.

صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى طلبة الجامعات العراقية دراسة مسحية

ناهض فاضل زيدان الجواري
الجامعة العراقية / كلية الإعلام
&
محمد حامد عبد
الجامعة العراقية / كلية الآداب

الملخص

تزداد أهمية الدور الذي تلعبه وسائل الاتصال في تكوين الصورة الذهنية لدى الأفراد عن دول وشعوب العالم الأخرى مع قلة فرص الأفراد في الاحتكاك والسفر إلى هذه الدول، والاحاطة بما يجري في أراضيها، إن المنظمات والمؤسسات بل والشخصيات لا تستطيع العمل في مناخ جيد يمكنها من تحقيق مصالحها وإداء دورها، إلا إذا كانت صورتها الذهنية لدى الجماهير إيجابية، حيث تتفهم الجماهير دورها، وتقبل على التعاون معها، أي إن هذه القطاعات تعمل في إطار الصورة الذهنية المنطبعة عنها في أذهان الجماهير التي تتعامل معها، لذلك تسعى المنظمات والمؤسسات والدول إلى بناء صورة إيجابية لها في أذهان الجمهور مستعينة بوسائل الإعلام التي أصبح لها دور كبير في بناء الصورة الذهنية.

Abstract

The importance of the role played by the means of communication in the formation of mental image among individuals from other countries and peoples of the world, with the lack of opportunities for individuals to contact and travel to these countries, and the awareness of what is happening in their territories, is becoming more important. Organizations, institutions and even personalities can not work in a good atmosphere that can achieve their interests. And the performance of its role, unless the mental image of the masses is positive, where the public understands its role, and accept to cooperate with them, that is, these sectors operate within the framework of the mental image in the minds of the masses that deal with them, so organizations, institutions and States to build a positive image In the minds of the public, aided by the media, which have played a major role in building the mental image.

مُقَدِّمَةٌ

من باب الأمانة العلمية تجدر الإشارة الى ان هذا البحث مستل من اطروحة دكتوراه اشرف عليها الباحث حيث اصبح مصطلح الصورة الذهنية من المصطلحات الشائعة التي يتزايد استخدامها في المجالات السياسية والإعلامية والعلاقات الدولية اذ اصبح يشكل اهمية كبرى لدى دراسي السلوك الانساني، فقد احتلت دراسة المصادر المتعددة التي يستقي منها الافراد انطباعاتهم عن الآخرين، وتعاظم الدور الذي تلعبه وسائل الاتصال في تدفق الصور عن الشعوب في ظل التطور التكنولوجي الهائل الذي يشهده عالم الاتصال حالياً، والذي يسمى بعصر السموات المفتوحة نظراً لتعدد مصادر المعلومات وتزايد الانفتاح على العالم الخارجي.

وتزداد اهمية الدور الذي تلعبه وسائل الاتصال في تكوين الصورة الذهنية لدى الافراد عن دول وشعوب العالم الاخرى مع قلة فرص الافراد في الاحتكاك والسفر الى هذه الدول، والاحاطة بما يجري في أراضيها، ان المنظمات والمؤسسات بل والشخصيات لا تستطيع العمل في مناخ جيد يمكنها من تحقيق مصالحها واداء دورها، الا اذا كانت صورتها الذهنية لدى الجماهير ايجابية، حيث تتفهم الجماهير دورها، وتقبل على التعاون معها، اي ان هذه القطاعات تعمل في اطار الصورة الذهنية المنطبعة عنها في اذهان الجماهير التي تتعامل معها، لذلك تسعى المنظمات والمؤسسات والدول الى بناء صورة ايجابية لها في اذهان الجمهور مستعينة بوسائل الإعلام التي أصبح لها دور كبير في بناء الصورة الذهنية.

وتأتي اهمية الدراسة بعد التغيير الذي طال المجتمع العراقي بعد الاحتلال الامريكي للعراق ومحاولة الولايات المتحدة الأمريكية بناء صورة ايجابية لها عن طريق الممارسات التي حاولت رسم هذه الصورة عن طريقها ومحاولة تبرير احتلال العراق من اجل تحريره ونشر الديمقراطية. وتخليص الشعب العراقي من نظام دكتاتوري يشكل تهديداً

دائماً لجيرانه من العرب وغير العرب فضلا على ما يشكله من تهديد للأمن والسلام العالمي بامتلاكه اسلحة الدمار الشامل.

وتأتي هذه الدراسة في سياق التعرف على صورة الولايات المتحدة لدى طلبة الجامعات العراقية وقياس الصورة التي يحملها طلبة الجامعات العراقية عن الولايات المتحدة الأمريكية، وما الصورة التي يحملها الطلبة عنها ومصادر تكوينها.

وتحقيقاً لأغراض الدراسة فقد قسمت الأطروحة الى خمسة فصول تناول الفصل الاول منهجية البحث الذي تضمن مشكلة البحث وأهميتها وأهدافها وتحديد المنهج المستخدم والدراسات السابقة، اما الفصل الثاني فقد تناول الصورة الذهنية وتضمن ثلاثة مباحث تضمن المبحث الاول مفهوم الصورة الذهنية وخصائصها وسماتها وأنواع الصور وأبعاد الصورة وتضمن المبحث الثاني دور وسائل الإعلام في تشكيل الصورة وتضمن المبحث الثالث الصورة النمطية وخصائصها ونقاط التقائها واختلافها مع الصورة الذهنية، وتناول الفصل الثالث العلاقات العراقية الأمريكية من ١٩٨٩-٢٠٠٣ واحتلال العراق، وتناول الفصل الرابع الاجراءات المنهجية للدراسة الميدانية وتضمن تحديد مجالات الدراسة وخطوات بناء المقياس وصدقه وثباته وتميزه وتحديد عينة البحث والوسائل الاحصائية المستخدمة في الدراسة، وتناول الفصل الخامس تحليل جداول العينة والاستنتاجات والتوصيات.

المحور الاول: الاطار المنهجي ويتضمن

اولا: مشكلة البحث

تعرف المشكلة البحثية بانها (اية ظاهرة او حدث او سلوك او علامة تحتاج الى وصف او تغير او تحتاج الى الاجابة)^(١).

وقد تحددت مشكلة البحث في التعرف على صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى طلبة الجامعات العراقية، خاصة بعد احتلالها للعراق عام ٢٠٠٣، التي تمخضت عن محاولة الفرد العراقي رسم صورة عن الولايات المتحدة بعد ان اصبح على تماس مباشر مع الوجود العسكري الأمريكي والسياسات التي اتبعتها الإدارة الأمريكية في العراق، ولذلك يمكن تلخيص مشكلة الدراسة بالشكل الاتي :-

ما الصورة التي يحملها طلبة الجامعات العراقية عن الولايات المتحدة وما طبيعتها وما العوامل التي اسهمت في تشكيلها؟

ثانيا: اهمية الدراسة

تزايد الاهتمام بموضوع الصورة واهميتها ليس على مستوى الأفراد فقط بل امتد ليشمل المؤسسات والدول، نظرا للدور الكبير الذي يمكن ان تلعبه الصورة في تكوين الآراء التي تساعد في اتخاذ القرارات وتحديد السلوك، لذلك اصبح موضوع بناء الصورة الحسنة هدفاً اساسياً يسعى الجميع للوصول اليه وتحقيقه عن طريق الاداء الجيد الذي يتفق مع حاجات الجماهير.

وقد اصبح مصطلح الصورة من المصطلحات الشائعة التي يتزايد استخدامها في المجالات السياسية والإعلامية والمهنية والعلاقات الدولية، اذ ادركت الدول وانظمتها وحكوماتها اهمية دراسة صورتها السائدة في اذهان الجماهير في وقت معين، واتخاذ السياسات التي تؤدي الى تكوين الصورة التي تتمناها هذه المؤسسات والدول.

وتشكل الصورة جانباً مهماً من مدارك الفرد ومعارفه، وذلك يجعل لها تأثيراً واضحاً في سلوك الفرد وقدراته وحساباته وتوقعاته وردود افعاله تجاه القضايا المهمة، بل وعلى حياته بصفة عامة.

لذلك جاء هذا البحث ليكشف عن طبيعة الصورة التي يحملها طلبة الجامعات العراقية عن الولايات المتحدة والتي تعتبر الدولة الاولى على المستوى العالمي من الناحية السياسية والاقتصادية والعسكرية.

كما يعد هذا البحث محاولة مهمة، فهو يدرس مكوناً مهماً من مكونات المجتمع العراقي وهم طلبة الجامعات العراقية باعتبارهم جيل الشباب والشريحة المتعلمة والواعية في المجتمع.

ثالثاً: أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة الى معرفة صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى طلبة الجامعات العراقية عن طريق دراسة مسحية ميدانية وتحليلية لعينة من طلبة الجامعات العراقية، وتشمل أهداف الدراسة ما يأتي:

١- التعرف على الصورة الذهنية التي يحملها طلبة الجامعات العراقية للولايات المتحدة الأمريكية.

٢- التعرف على مصادر تكوين الصورة الذهنية للولايات المتحدة الأمريكية لدى طلبة الجامعات العراقية.

٣- معرفة الفروق في اجابات المبحوثين وفق المتغير الديمغرافي.

رابعاً: منهج الدراسة

استعان الباحث بالمنهج المسحي (وهو احد الأشكال الخاصة بجمع المعلومات عن حالة الأفراد وسلوكهم وإدراكهم ومشاعرهم واتجاهاتهم، كما يُعدُّ أيضاً الشكل الرئيس والمعياري لجمع المعلومات عندما تشمل الدراسة المجتمع الكلي أو تكون العينة كبيرة ومنتشرة بالشكل الذي يصعب الاتصال بمفرداتها مما يوفر جانباً كبيراً من الوقت والنفقات والجهد المبذول من خلال خطوات منهجية) ^(٢).

كما يعد هذا البحث من البحوث الوصفية التحليلية لدراسة صورة الولايات المتحدة الأمريكية في محاولة للكشف عن المحاور الأساسية التي سعت إلى التأكيد عليها في إطار إظهار صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى طلبة الجامعات العراقية.

خامسا : ادوات الدراسة (وسائل جمع المعلومات)

استخدم الباحث الاستبانة كأداة للقياس وجمع المعلومات حيث وزعت على عدد من طلبة الجامعات كما هو موضح في ادناه

مجتمع وعينة الدراسة

تعد عملية تحديد مجتمع البحث وعينته واحدة من اهم الخطوات التي تعد المدخل الأساس للدراسة الميدانية اذ ان على الباحث وهو يبحث في أي موضوع ان يسال نفسه عن مجتمع الدراسة التي تشملها ظاهرة أو موضوع بحثه ومن هم المستهدفون فيها؟ وعلى ضوء ذلك يمكنه تحديد عينة البحث الممثلة لهذا المجتمع وتأسيسا على ذلك فقد حدد الباحث مجتمع بحثه واختار الطلبة الجامعيين في محافظة بغداد، وقد لجأ الباحث الى اعتماد العينة متعددة المراحل والتي تعد ذات اهمية كبيرة في الحصول على عينات تمثل الجامعات المختلفة التي تتم اختبارها بطريقة عشوائية مع مراعاة ان تمثل كل جامعة مختارة كل الفئات الاجتماعية المتباينة.

قام الباحث باختيار خمس جامعات بطريقة قصدية تقع جميعها في مدينة بغداد على اعتبار ان مدينة بغداد هي عاصمة العراق وتعتبر اكثر كثافة سكانية وهذه الجامعات تحتضن اعداد كبيرة من الطلبة ومن جميع محافظات القطر فضلاً عن ان وجود الجامعات في مدينة بغداد وفر للباحث الجهد والوقت في انجاز بحثه، وقد تم اختبار جامعة بغداد والجامعة المستنصرية والجامعة التكنولوجية وجامعة النهرين والجامعة العراقية، وتم اختبار كليتين من كل جامعة تمثل احداها كلية علمية وكلية انسانية حيث تم اختبار كلية التربية ابن الهيثم وكلية الإعلام من جامعة بغداد وكلية العلوم وكلية التربية من الجامعة المستنصرية وقسم الهندسة الكهربائية وقسم هندسة الذكاء من الجامعة التكنولوجية وكلية الهندسة وكلية العلوم السياسية من جامعة النهرين وكلية القانون وكلية التربية للبنات من الجامعة العراقية.

وتم اختبار قسم من كل كلية، حيث تم اختبار قسم الرياضيات من كلية التربية ابن الهيثم وقسم الصحافة من كلية الإعلام وقسم علوم الحياة من كلية العلوم وقسم التاريخ من كلية التربية في الجامعة المستنصرية وقسم الهندسة الكهربائية وقسم الذكاء

الاصطناعي في الجامعة التكنولوجية وقسم الهندسة المعمارية وقسم الاستراتيجية من كلية العلوم السياسية جامعة النهرين وقسم التاريخ وقسم القانون من الجامعة العراقية. وتم اختبار مرحلة من كل قسم حيث تم اختبار المرحلة الثانية قسم الرياضيات والثالثة صحافة من جامعة بغداد واختار المرحلة الأولى علوم حياة والمرحلة الثالثة تاريخ من الجامعة المستنصرية واختبار المرحلة الأولى في قسمي الجامعة التكنولوجية والمرحلة الثالثة قسم الاستراتيجية والمرحلة الرابعة قسم الهندسة المعمارية من جامعة النهرين والمرحلة الأولى من قسم التاريخ والمرحلة الثالثة من كلية القانون الجامعة العراقية وتم اختيار قاعة دراسية واحدة من كل مرحلة لتمثيل القسم وبالتالي انحصرت الاعداد كما يلي (٤٨) طالبا من قسم الصحافة كلية الإعلام (٤٩) طالبا من قسم الرياضيات كلية التربية ابن الهيثم و (٣٥) طالبا من قسم علوم الحياة و (٥٠) طالبا من قسم التاريخ / الجامعة المستنصرية و (٥٠) طالبا من قسم الهندسة الكهربائية و (٥٠) طالبا من قسم الذكاء الاصطناعي الجامعة التكنولوجية و (١٧) طالبا من قسم الاستراتيجية و (١٨) طالبا من قسم الهندسة المعمارية من جامعة النهرين و (٣٢) طالبا من قسم التاريخ و (٣٥) طالبا من كلية القانون الجامعة العراقية.

حسب ما موضح بالجداول من (٥-٩) والتي تبين توزيع الباحثين حسب الجامعات

جدول (٥)

الكلية	القسم	العدد	ذكور	%	إناث	%
جامعة بغداد	التربية ابن الهيثم	٤٩	٢٢	٤٤,٨٩	٢٧	٥٥,١١
	الإعلام	٤٨	٣٠	٦٢,٥	١٨	٣٧,٥

جدول (٦)

الكلية	القسم	العدد	ذكور	%	إناث	%
الجامعة المستنصرية	العلوم	٣٥	١٧	٤٨,٥٧	١٨	٥١,٤٣
	التربية	٥٠	٨	١٦	٤٢	٨٤

جدول (٧)

الكلية	القسم	العدد	ذكور	%	إناث	%
الهندسة	الكهربائية	٥٠	٣٤	٦٨	١٦	٣٢
الهندسة	هندسة الذكاء	٥٠	٣٣	٦٦	١٧	٣٤

جدول (٨)

الكلية	القسم	العدد	ذكور	%	إناث	%
الهندسة	معمار	١٨	٧	٣٨,٨٨	١١	٦١,١٢
العلوم السياسية	الاستراتيجية	١٧	١٠	٥٨,٨٢	٧	٤١,١٨

جدول (٩)

الكلية	القسم	العدد	ذكور	%	إناث	%
التربية بنات	التاريخ	٣٢		-	٣٢	١٠٠
القانون	القانون	٣٥	٣٥	١٠٠	-	-

الوسائل الإحصائية المستعملة في الدراسة:

يعد الإحصاء احد الاعمدة الاساسية لكل دراسة اجتماعية ميدانية، ولابد لكل باحث الاستعانة به في الوصف والتحليل والتفسير وصولا الى النتائج ثم التعميم لذا فقد استخدم الباحث عددا من الوسائل الإحصائية التي سنقسمها هنا الى قسمين هما:

١- الوسائل الإحصائية الوصفية: وهي مجموعة من الادوات الإحصائية

استخدمت في الفصل الحالي واللاحق لكي نستفيد منها في عمليات وصف

البيانات لاتحليلها ومن هذه الوسائل ما يأتي:

- الجداول التكرارية البسيطة بما تتضمنه من (فئات، تكرارات، ونسب مئوية).
- مقياس النزعة المركزية ولاسيما الوسط الحسابي الموزون.
- مقاييس التشتت واشهرها الانحراف المعياري.

٢. الوسائل الإحصائية التحليلية :

- هي مجموعة الادوات الإحصائية التي سيتم استخدامها في الفصل القادم والتي سيتم الإشارة إليها بالإحصاءات الاجتماعية عادة ومنها:
- الجداول التكرارية المركبة: التي تستفيد منها في ربط المتغيرات مع بعضها.
 - معاملات الارتباط ومنها بيرسون والذي نستفيد منها في إيجاد (وجود وقوة واتجاه) العلاقة بين المتغيرات.
 - الاختبار التائي (T-test) الذي نستفيد منه في اختبار الفرضيات القائلة بوجود فرق بين المتغيرات ثنائية الفئات.

المحور الثاني

الصورة الذهنية والصورة النمطية

مفهوم الصورة

تعرف الصورة اصطلاحاً بأنها (انطباعات ثابتة لا تؤثر فيها الاحداث المتغيرة وهي ذات محتوى غاية في البساطة، حيث لا تحتوي الا على العناصر المتميزة للموضوع، وهي تعد احد شروط تكوين المعتقدات والاتجاهات)^(٣). فالصورة تتسم بالثبات والبساطة ومن اهم شروط تكوين المعتقدات وتشكيل الاتجاهات.

ماهية الصورة الذهنية:

يعتبر مفهوم الصورة الذهنية مفهوماً عاماً يستخدم في مواقف كثيرة، وله تعريفات متعددة، حيث يختلف مفهوم الصورة الذهنية باختلاف توجهات الأفراد الذين يستخدمونه، ونتيجة لتعدد مجالات الصورة الذهنية فقد تعددت التعريفات الخاصة بها، وهي لا تختلف فيما بينها اختلافاً جوهرياً، وتركز معظمها على العناصر المكونة للصورة الذهنية^(٤).

ويعرف هولستي Holsti الصورة الذهنية بأنها (مجموعة المعارف والمعتقدات التي يحتفظ بها الفرد وفقاً لنظام معين عن ذاته وعن العالم الذي يعيش فيه في الماضي والحاضر المستقبل)^(٥).

ويتضح من تعريف هولستي ان الصورة الذهنية ليست معلومات ومعارف تتكون لدى الأفراد عن انفسهم وعن العالم الذي يعيشون فيه، بل ان هذه المعلومات تخضع

لمجموعة من العمليات الذهنية التي تنظم هذه المعلومات وترتبها وتضيف لها بعض الخصائص وتهمل بعض الخصائص.

ويرى كينيث بولدينج (Kenneth E. Boulding) ان الصورة الذهنية تتكون من تقاعل معرفة الإنسان بعدة عوامل منها المكان الذي يحيا فيه الفرد، موقعه من العالم الخارجي، العلاقات الشخصية، وروابط الاسرة والجيران والاصدقاء المحيطين به والزمان والمعلومات التاريخية والاجتماعية التي يحصل عليها^(٦).

ويشير بولدينج في تعريفه إلى ان الصورة الذهنية التي يكونها الفرد هي انطباعات ذاتية، ووصف الانطباعات بانها ذاتية يعني انها غير موضوعية، فانطباعات الأفراد عن الآخرين والاشياء والمنظمات والدول والشعوب الأخرى لا تتسم بالموضوعية. بل تتكون في اطار العلاقات الشخصية للأفراد والمحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه. والبيئة التي ينتمون اليها من حيث الزمان والمكان.

ويعرف هوسرل (Horesl) الصورة الذهنية بانها (فعالية ذهنية تعمل على احضار مجموعة من خصائص موضوع ما في الذهن يكيّفه وينظمه ويتصوره بها العقل البشري، فالصورة تعد واسطة بين المحسوس والمجرد وبين الماضي والمستقبل ولها القدرة على الحضور في مختلف اصناف السلوك فهي تدخل في الافعال وفي مواقف الحاجات والرغبات^(٧).

ويشير هذا التعريف إلى أن الصورة الذهنية هي عملية ذهنية لمجموعة من الخصائص عن موضوع معين في الذهن يدركها وينظمها ويصورها العقل البشري وهي واسطة بين المحسوس عن طريق استخدام الحواس لمعرفة الصورة وبين المجرد أي بالاتصال المباشر أو الخبرة بين الماضي الذي تكون في العقل نتيجة التجارب والمستقبل الذي يتصوره العقل، لها القدرة على الحضور لمجرد ذكر الأشياء التي تتعلق الصورة بها وهي تتحكم في سلوك الأفراد واتجاهاتهم.

بينما عرفها واجنر بانها (تركيب او بناء مكثف تبدو فيه الافكار والتفسيرات الممكنة مؤلفة كل واحد، وهذا التركيب او البناء يسمح بادراك وفهم العلاقات المعقدة

داخل ذلك الكل، في وحدة واحدة، دون فصل او عزل أي عنصر من العناصر المؤلفة له والا فقدت خاصيتها الكلية^(٨).

فالصورة في ضوء هذا التعريف هي كل متكامل لا يمكن الفصل بين اجزائها لأنها لا يمكن ان تفهم الا من تكامل الاجزاء المكونة لهذه الصورة.

وفي المدرسة العربية تعددت اسهامات الباحثين بشأن تعريف الصورة الذهنية وتوضيح ملامحها. اذ يرى علي عوجة ان الصورة الذهنية هي (النتائج النهائي للانطباعات الذاتية التي تتكون عند الأفراد او الجماعات ازاء شخص معين او نظام، او شعب او جنس بعينه، او منشأة او مؤسسة او منظمة محلية او دولية، او مهنة معينة او أي شيء اخر يمكن ان يكون له تأثير على حياة الإنسان. وتتكون هذه الانطباعات من التجارب المباشرة وغير المباشرة، وترتبط هذه التجارب بعواطف الأفراد واتجاهاتهم وعقائدهم، وبغض النظر عن صحة او عدم صحة المعلومات التي تتضمنها خلاصة هذه التجارب فهي تمثل بالنسبة لاصحابها واقعا صادقا ينظرون من خلاله إلى ما حولهم ويفهمونه على اساسها)^(٩).

فالتعريف يؤكد ان الصورة الذهنية عبارة عن انطباعات ذاتية لا تتسم ضرورة الموضوعية، كما اشار التعريف إلى تعدد موضوعات الصورة الذهنية، فقد تكون حول منظمات او دول وشعوب، او مهن او فئات جماهيرية مختلفة، بالاضافة إلى تعدد مصادر تكون الصورة لدى الأفراد، اذ تسهم مصادر الاتصال المباشر المتمثل بالخبرة والمشاهدة وغير المباشر المتمثلة في وسائل الاتصال الجماهيري في تكوين انطباعات الأفراد، ويؤكد التعريف أهمية الصورة الذهنية في التأثير على سلوكيات الأفراد، فهم يعتقدون في صدقها وينظرون إلى العالم ويفهمونه من خلالها.

ويعرفها ايمن منصور على انها (عملية معرفية نفسية نسبية ذات اصول ثقافية، تقوم على ادراك الأفراد الانتقائي، المباشر وغير المباشر الخصائص وسمات موضوع ما (شركة، مؤسسة، فرد، جماعة، مجتمع) وتكوين اتجاهات عاطفية نحوه (ايجابية او سلبية) وما ينتج عن ذلك من توجهات سلوكية (ظاهرة، باطنة) في اطار مجتمع معين،

وقد تأخذ هذه المدركات والاتجاهات والتوجهات شكلا ثابتا أو غير ثابت، دقيقا أو غير دقيق^(١٠).

ويعرف سليمان صالح الصورة الذهنية بأنها (مجموعة السمات والملامح التي يدركها الجمهور ويبني على أساسها مواقفه واتجاهاته نحو المنظمة أو الشركة أو الدولة أو الجماعة وتتكون تلك الصورة عن طريق الخبرة المباشرة الشخصية للجمهور القائمة على الاتصال المباشر أو عن طريق العمليات الاتصالية الجماهيرية، وتتشكل سمات وملامح الصورة الذهنية من خلال ادراك الجمهور لشخصية المنظمة ووظائفها واهدافها وشرعية وجودها واعمالها والقيم الاساسية التي تتبناها^(١١)).

ويتضح من هذا التعريف ان الصورة تتكون عن طريق الخبرة أو عن طريق العمليات الاتصالية الجماهيرية وتتبلور سمات وملامح الصورة الذهنية من ادراك الجمهور لشخصية المنظمة ووظائفها واهدافها وشرعية وجودها واعمالها.

ويعرف صلاح الدين كامل الصورة الذهنية بأنها (مجموعة الافكار والمعتقدات والمشاعر والاحاسيس التي تتكون في عقول ووجدان الجماهير تجاه قضية أو منظمة أو فكرة أو شخص، وهي تتبادر إلى الذهن عند ذكر اسمها لتعطي فكرة أو مفهوما كاملا عنها قد يكون طيبا وقد يكون سيئا، وتتكون هذه الصورة من وسائل الإعلام وما يكتسبه الفرد من معلومات ومعارف وخبرات حول القضايا أو الافكار أو المنظمات أو الأفراد^(١٢)).

ويشير هذا التعريف إلى ان الصورة تتكون من الخبرات السابقة ووسائل الاتصال الجماهيرية والصورة متعدد الموضوعات قد تكون حول قضية أو منظمة أو فكرة أو شخص وتتم بالمراحل الرئيسية (الادراك والفهم والتذكر) وقد تكون الصورة سلبية أو ايجابية.

وتعرف نرمين زكريا اسماعيل الصورة الذهنية بأنها (مجموعة من الانطباعات والانفعالات التي يكونها الفرد في ذهنه ويخترنها في ذاكرته، أو هي المنتج الكلي النهائي لكل ما تدركه الحواس من خلال الخبرة غير المباشرة، أو الخبرة المباشرة الجزئية تجاه الاشياء والموضوعات المختلفة مثل (دولة، شعب، منظمة، مؤسسة) وذلك من خلال

تحليل هذه المدركات في ضوء القيم والمعتقدات والاتجاهات الخاصة بالفرد والتي تختلف من فرد لآخر ليكون المنتج النهائي لكل فرد مختلف عن اقرانه أي غير متشابه ويتضمن هذا المنتج مجموعة من السمات والخصائص الخاصة بالهدف الذي يكونه الفرد عن صورته الذهنية^(١٣).

وهي عبارة عن الانطباعات التي يكونها الفرد عن الاشياء المحيطة به وفهمه لها، فالصورة هي نتاج تفاعل عناصر المعرفة والادراك وتؤثر هذه الصورة في ادراكنا لها وتقويمها، فاذا كانت المعلومات عن احد الموضوعات ناقصة يتكون لدينا ادراك خاطيء يؤثر في تصورنا عن الموضوع وتبقى الصورة غير صحيحة إلى ان يتم تصحيحها من خلال استكمال المعلومات أو تعديل الاعتقادات^(١٤).

تتكون الصورة الذهنية نتيجة عدد من العمليات اهمها تأثير الهالة والاستدلال البسيط، ويحدث تأثير الهالة عندما يكون الفرد صورة كاملة عن المنظمة عن طريق تعميم الانطباعات حول سماتها المألوفة مع هؤلاء الذين يعرفون القليل أو لا يعرفون شيئاً عنها، ويحدث الاستدلال البسيط عندما يشعر الفرد ان السمات الخاصة بالمنظمة تتلاءم مع بعضها وتجعلها تتميز بالقوة والفاعلية^(١٥).

ان المنظمات والمؤسسات وحتى الشخصيات لا تستطيع العمل في مناخ جيد يضمن لها تحقيق مصالحها واهدافها واداء دورها، الا في ظل صورة ذهنية ايجابية لدى الجماهير، يمكن للجماهير من خلالها ان تتفهم دورها، وتقبل على التعامل معها لذلك فان هذه المنظمات تعمل في اطار الصورة الذهنية المرسومة لها في اذهان الجماهير^(١٦) والصورة الذهنية هي احدى القوى النفسية او البدنية التي تحدد السلوك للفرد واتجاهاته، ولانها عملية ديناميكية فهي قابلة للتغيير وتتبدل بحسب تطور الواقع الاجتماعي وتغير الاوضاع الاقتصادية والظروف السياسية والثقافية ومع ذلك فهي لا تفقد صفة الثبات خاصة اذا كان الجمهور يعيش واقعا اتصاليا تتوافق فيه الرسائل التي يتلقاها مع الصورة الذهنية التي يحملها والتي تكونت لديه سابقا^(١٧).

الصورة النمطية :

تعددت التعريفات الاصطلاحية العربية والاجنبية التي تصدت لتعريف الصورة النمطية وتحديد اهم السمات التي تميزها عن انماط الصور الأخرى. ويمكن تقديم بعض هذه التعريفات التي توضح هذا المفهوم.

يرى والترليمان ان الصورة النمطية تعد بمثابة فكرة خاطئة ومبسطة ومختزلة تقوم على اساس ادراك الفرد للبيئة المحيطة به على اساس مزيف، وتؤثر سلبا في قدرته على الفهم الصحيح للبيئة المحيطة، وحكم نمط تعامل الفرد مع الآخرين، ويحرص الأفراد غالبا على عدم تغييرها أو يقاومون تغييرها^(١٨).

وتعددت التعريفات العربية التي تصدت لمفهوم الصورة النمطية حيث تعرف الصورة النمطية على انها (الصورة التي تشكل المعتقدات والخبرات التي تراكمت واصبحت مقبولة مقدما بحكم العادة والتوقعات المألوفة دون ان تكون نتاجا لتقارير جديدة متطورة فضلا عن اننا نقوم بدورنا بالاضافة اليها من خيالنا وخبراتنا السابقة مما يوقعنا في اخطاء التعميم والاحكام غير الصحيحة، فتبدو الصورة النمطية في النهاية مختلفة عن الصورة الحقيقية)^(١٩).

ويعرف ابراهيم الداقوني الصورة النمطية (انها الاحكام والصفات والتقديرات العامة الايجابية أو السلبية النابعة من الانطباعات الذاتية المستندة إلى خلفيات الارث الثقافي، والبعد الايديولوجي والتراكم المعرفي، والتي تطلقها جماعة ازاء جماعة أخرى نتيجة الاحكام المسبقة التي تحملها حولها ولذلك فان للصورة النمطية المقولبة علاقة مباشرة بالذات وبالاخر من جهة المشاعر المتناقضة، كالعنف، والتسامح، والاتصال، والقطيعة، والحب والبغض، والتمويه والحقيقة من جهة أخرى)^(٢٠).

ويتضح من هذا التعريف صفة التعميم في الاحكام سواء الايجابية او السلبية التي تنطلق من الذات وعندما تتدخل الذات يعني ان هذا التعميم غير موضوعي تطلقه جماعة ازاء جماعة أخرى نتيجة لاحكام مسبقة تحملها هذه الجماعة والصورة لها علاقة بالذات وبالاخر، أي ان الاحكام تكون متقابلة كل جماعة تحمل احكاماً مسبقة عن

الجماعة الأخرى في العديد من الصفات منها مثل الحب والبغض، والعنف والتسامح، الخ.

ويعرف سليمان صالح الصورة النمطية بأنها (صورة سلبية تشكل عائقا امام تعرض الجماهير لوسائل جديدة تتحدى هذه الصورة كما تدفع الجمهور لاتخاذ مواقف معادية من الدولة أو الجماعة) ^(٢١).

دور وسائل الإعلام في تشكيل الصورة الذهنية

تشتمل الحياة الاتصالية للأفراد في غالبية الدول على مزيج من العلاقات، بعضها شخصي والاخر غير شخصي، وعلى الرغم من أهمية الاتصال المباشر الا ان تأثيره محدود نسبيا من حيث الانتشار، حيث ان الغالبية لا تتاح لهم فرصة الاتصال المباشر مع الاجانب سواء في اوطانهم أو في الخارج. مما يجعل وسائل الإعلام تبرز كعامل اساسي في تشكيل هذه العلاقات، حيث تجعل كل فرد منا يرتبط ليس فقط بثقافته الخاصة به، ولكن أيضاً بشعوب وامكن وقوميات وثقافات اخرى، وهكذا تلعب وسائل الإعلام دورا كبيرا في نقل الثقافات المختلفة بين مجتمعات العالم وتقريب المسافات الفكرية بينها ^(٢٢).

وعلى الرغم من أهمية الاتصال المباشر في تشكيل الصور والانطباعات الا انه لا يمكن الاستغناء عن وسائل الإعلام الجماهيرية، حيث لا يمكن للأفراد ان يدخلوا في تجارب مباشرة مع الاف القضايا سواء كانت على المستوى المحلي أو العالمي، لكن وسائل الإعلام تستطيع ان تضعهم في قلب الاحداث وتجعلهم يعيشون القضايا والمعلومات ^(٢٣).

ويرجع السبب في الاعتماد على وسائل الإعلام في تكوين الصورة الذهنية إلى عدة اسباب منها ^(٢٤):

الانتشار الواسع لوسائل الإعلام وقدرتها على الاستقطاب والابهار وذلك من خلال قدرتها على نقل الاحداث بصورة سريعة.

استيلائها على اوقات الأفراد ومناقشتها الشديدة للمؤسسات الاجتماعية الأخرى في مجال التأثير الجماهيري.

إيقاع العصر الحالي الذي يتسم بالسرعة من ناحية وبعزله الأفراد عن بعضهم البعض مما يجعل وسائل الإعلام مصدراً للشعور بالمشاركة وعدم العزلة. ولوسائل الإعلام دور كبير في رسم تصورها للعالم أو تكوين آراء وافكار خاصة بنا، فعلى الرغم من اننا لم نضع اقدامنا على القمر، أو نتعرض لعملية زرع قلب، الا ان وسائل الإعلام وفرت لنا الكثير من المعلومات التي نستطيع عن طريقها ان نكون صورة خاصة بنا عن القمر، أو عن عملية زرع القلب، فضلاً على ان كون وسائل لها القدرة على اثارة اهتمامنا ببعض الموضوعات سواء على المستوى المحلي أو الدولي وتؤثر على احكامنا ببعض المواقف عن طريق ما تقدمه من معلومات وتفسيرات تخدم هذا الاتجاه أو ذاك^(٢٥).

وتقوم وسائل الإعلام الجماهيري بتضخيم الصورة بدرجة كبيرة وتطبعها بقوة في الازدهان، بحيث يشعر القارئ أو المشاهد أو المستمع في احيان كثيرة انه التقى بشخصيات تتناولها وسائل الإعلام رغم انه لم يقابلها في حياته، وتقوم وسائل الإعلام أيضاً بتبسيط المعلومات والمعارف الجديدة وتقديمها للجمهور بشكل دفعات سهلة وذلك لعدم قدرة الفرد على ملاحقة الكم الهائل من المعلومات التي تصل اليه عبر الاتصال^(٢٦).

ان وسائل الإعلام الجماهيري من أكثر المؤثرات قدرة على احداث تغير في الصور القائمة بما لها من قدرة فائقة في التأثير بالرأي العام، وعمليات التنشئة الاجتماعية والتنمية، والثقافة والتعليم والاتجاهات والذات، والعادات والتقاليد، والسياسة والاقتصاد، والتأثير في كل شيء يتصل بالفرد أو الجماعة والحياة نفسها، ولوسائل الإعلام القدرة على النجاح في اعادة كتابة التاريخ والتأثير في تاريخ الشعوب، وتفسير الذكريات العامة لجيل بأكمله، وذلك عن طريق الاهتمام بشخصيات معينة دون غيرها، والتركيز على موضوعات واحداث دون أخرى واضفاء الأهمية لبعض الادوار واهمال الأخرى أو تجاهلها^(٢٧).

ان وسائل الإعلام تهتم بجمع وتوزيع المعلومات الخاصة بالاحداث عن بيئة الإنسان، سواء في الداخل أو الخارج ولها القدرة على توسيع افاق الفرد عن طريق اعطائه

فرصة ليرى ويسمع ويقرأ عن اشياء لم يرها من قبل أو يتعرف على اناس لم يقابلهم قط، لذلك كان لوسائل الإعلام دور كبير في تنمية الحواس البشرية التي تساعده على ان يرى ويسمع اشياء ابعد مما يمكن للعين ان تراه، فضلاً على انها تزيد معرفة الفرد بما حوله^(٢٨).

وذلك عن طريق قدرة وسائل الإعلام على تخطي المسافات وتجاوز الحدود وتقريب الصور من الأفراد أو الشعوب أو الدول، ومعرفة تقاليدهم وتاريخهم، وطرق معيشتهم، وعاداتهم، ويجعل الناس ينتقلون من مجتمعاتهم التي يعيشون بها إلى مجتمعات أخرى، وهو ما اكد عليه مكلوماهان بان العالم عبارة عن قرية صغيرة بل اصبح العالم اليوم عبارة عن شاشة صغيرة يستطيع الفرد من خلالها ان يعرف ما يدور حوله من موضوعات واحداث في العالم في نفس الوقت الذي حدثت فيه. ويستطيع ان يرسم لها صوراً من خلال ما تقدمه وسائل الإعلام من تفسيرات وتحليلات للاحداث والمعلومات التي تنقلها للفرد.

تعد احتمالات تاثر الفرد بما يتعرض له من وسائل الإعلام واسعة ومتنوعة، وذلك لدور هذه الوسائل في الطريقة التي يبني بواسطتها تصورها للعالم، وتلعب المعلومات التي تتناقلها وسائل الإعلام وخاصة التي تتصف بالاستمرارية دورا بارزا في تكوين معارف الجمهور وانطباعاته، مما يؤدي إلى تشكيل الصور الفعلية التي تؤثر في تصرفات وسلوك الإنسان بعد مناقشتها مع الذات ومع الآخرين^(٢٩).

وتتعدد المضامين الإعلامية التي تسهم بواسطتها وسائل الإعلام في تكوين أو رسم الصورة الذهنية لدى الأفراد، اذ تعد المضامين الاخبارية من اهم المضامين التي تسهم في تشكيل هذه الصورة، وذلك لحاجة الأفراد إلى الاخبار ومتابعتها، والتي تساعد الفرد في الاحاطة بما حوله وما يحدث في العالم وفي وطنه، ويساهم ذلك بشعور الفرد بالمشاركة في الاحداث الجارية، كما يساهم في اشباع الفضول في معرفة الاحداث^(٣٠).

ويلعب التلفزيون دورا كبيرا وحيويا في بناء الصورة الذهنية وذلك لما يحظى به من نسبة مشاهدة عالية جدا خاصة في المجتمعات الريفية، ولما له من خصائص تجذب الناس لمشاهدته مثل الصورة والصوت والالوان والنقل المباشر للاحداث^(٣١).

وتزداد أهمية المضمون الذي تقدمه وسائل الإعلام في تكوين الصورة الذهنية في حالة غياب الخبرة المباشرة أو التجربة الشخصية، وفي هذه الحالة يضطر الفرد إلى فهم وإدراك الظواهر والأشياء التي تحيط به عن طريق التجربة والخبرات التي تنقل إليه عبر وسائل الإعلام، وتختلف العلاقة بين أولويات الفرد وأولويات الجمهور بناء على ما إذا كانت وسائل الإعلام هي المصدر الوحيد للمعلومات، أو إذا كان الجمهور لديه خبرة سابقة بالقضايا أو من خلال الاتصال الشخصي، ومن ثم فإن تأثير وسائل الإعلام على إدراك الناس للواقع الاجتماعي يتناقص عندما يكون لدى الناس الخبرة المباشرة بالظواهر^(٣٢). ويلعب الاتصال المباشر دوراً مؤثراً في بناء الصورة الذهنية جنباً إلى جنب مع وسائل الاتصال الجماهيري، حيث يتمتع الاتصال المباشر بالعديد من المزايا منها السرعة ودقة الحصول على رد فعل الجمهور المستقبل للرسالة الإعلامية، وقدرتها الفائقة على التأثير والإقناع إضافة إلى سرعة تعديل الرسالة الاتصالية، بما يتوافق مع رد فعل الجمهور، في الوقت الذي تتمتع به وسائل الاتصال الجماهيري بالوصول إلى جمهور غفير في نفس الوقت، والسرعة، ووجود أجهزة الاستقبال الإعلامي لدى معظم الجمهور المستقبل للرسالة، لذلك من الأفضل دمج النوعين معاً للوصول إلى تشكيل صورة ذهنية لدى الجمهور عن المواضيع والأحداث المختلفة^(٣٣).

ووسائل الإعلام ليست هي الوحيدة التي تقدم صوراً غير حقيقية، فالفرد نفسه يمكن أن يكون صوراً لا تتطابق مع الواقع أو غير حقيقية، باعتبار أن الصورة الذهنية عبارة عن انطباعات وأفكار وميول يقوم الفرد بترجمتها إلى واقع من الخيال الذي يعتقد أنه الحقيقة، وهذه الحقيقة المتخيلة هي عبارة عن سيطرة ذاتية من عقل الفرد يصور له أشياء عن الواقع غير دقيقة غالباً، في حين أن الواقع لا يمثل الصورة الذهنية والصورة الذهنية ليست انعكاساً للواقع^(٣٤).

وتقوم وسائل الإعلام بالتمييز بين صورة الانا وصورة الآخر خاصة في أوقات الازمات من أجل تبرير التصرفات الداخلية للجماعة، وتركز صورة الانا على إظهار الشعور بالتفوق والتأكيد على تالف الجماعة الداخلية، ورسم صورة الآخر عن طريق

تجريبه من الشرعية باستخدام عدة طرق منها، التجريد من الإنسانية، النبذ والابتعاد، استخدام الالقاء السياسية الصفات المقارنة مع الجماعة الداخلية^(٣٥).

وخير مثال على ذلك ما قامت به الولايات المتحدة الأمريكية في حملتها ضد العراق عن طريق استخدام العديد من الصفات منها ما يتعلق بالرئيس السابق صدام حسين، حيث اطلقت صفات، الدكتاتور، هتلر الجديد، العدو الماكر، الخارج عن الارادة الدولية، مولع بالحروب، الارهابي، مهدد لا من الولايات المتحدة، مهدد السلام في العالم، ووصف العراق بانه محور الشر فضلا على كوريا الشمالية وايران.

وقد تعتمد وسائل الإعلام إلى تكريس الواقع السائد بدلا من ابتكار شيء جديد وبناء صورة جديدة، وصياغة واقع غير حقيقي أو غير اصلي على اساسها حيث تعهد وسائل الإعلام إلى اختيار الجوانب الايجابية وتتجاهل الجوانب السلبية لمجتمع ما^(٣٦).

ذلك ان وسائل الإعلام قد تغطي الاحداث والموضوعات السائدة في المجتمع بدلا من بناء صورة جديدة، لان البناء يعني تجميع الاجزاء المشتتة لكنها لا تمثل الصورة الاصلية، فقد تعتمد وسائل الإعلام في تغطيتها لصورة الولايات المتحدة الأمريكية مثلا إلى اظهار الجوانب الايجابية، فتصور المجتمع الأمريكي بانه المجتمع الغني، المثقف المتعلم، الذي تسوده الحرية والعدالة والمساواة بين الناس على اختلاف الوانهم ودياناتهم ومعتقداتهم عن طريق عرض مقاطع صغيرة من الصورة الكاملة للمجتمع في حين تغفل اجزاء أخرى من صورة المجتمع المتمثلة بالجريمة والعنصرية والفقر وتعاطي المخدرات والخمور لذلك يكون بناء الصورة الذهنية قائماً على الانتقائية.

وتزداد أهمية الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في تكوين الصورة الذهنية لدى الأفراد عن دول وشعوب العالم الاخرى، مع قلة فرص الأفراد في الاحتكاك والسفر إلى هذه الدول، حيث تعد وسائل الإعلام في هذه الحالة المصدر الرئيس للتعرف على الدول الاخرى والاحاطة بما يجري في اراضيها^(٣٧).

وقد تعاظم الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام في تدفق الصور عن الشعوب والدول الاخرى في ظل التطور التكنولوجي والمعلوماتي الهائل الذي يشهده العالم على

مستوى الإعلام والاتصال الذي يسمى عصر السموات المفتوحة، نظراً لتعدد مصادر المعلومات وتزايد الانفتاح على العالم الخارجي^(٣٨).

وبهذا تعد وسائل الإعلام من المصادر الرئيسية للمعلومات عن الدول الأجنبية والاحداث العالمية، فهي تنقل لجمهورها اخباراً ثم تخلق صوراً نمطية لديهم لدول العالم عن طريق خلال عرض وجهات نظر وصور وعناوين، والتي من شأنها ان تؤدي إلى خلق وتدعيم صورة نمطية ليس عن الدول التي تصدر منها بل للدول الاخرى كافة مما يجعلها تؤدي دوراً مهماً في حياة الدول والتعبير عن دورها في الانظمة السياسية ومكانتها في صراع الحضارات وموافقها من القضايا وظائف الصورة النمطية وسماتها يمكن تحديد اهم وظائف الصورة النمطية بما يأتي^(٣٩):

١. توفير مجموعة جاهزة من الاحكام التقييمية
 ٢. ابراز الاتجاهات ردود الافعال
- بعد ان تعرفنا على ماهية الصورة النمطية في كثير من جوانبها، اصبح من الضروري ان نتعرف على اهم السمات لهذه الصورة وهي^(٤٠).

١. تحديد نمط الاتصال بالجماعات المختلفة:

٢. القوة

٣. مكتسبة ومتعلمة

٤. نوع من انواع الخيال

٥. انعكاس للاتجاهات

٦. تبسيط للواقع

٧. الثبات والرسوخ

٨. الانتقال من جيل إلى جيل

٩. علاقتها بالديناميكية الاجتماعية

المحور الثالث: نتائج تحليل الدراسة المسحية

كشفت نتائج الدراسة ان (٤٥) مبحوثاً يوافقون بشدة على ان الولايات المتحدة تتخذ آلية الحوار في التعامل مع الدول الأخرى وبنسبة مئوية بلغت (١١,٧) من مجموع

أفراد العينة فيما أشار إلى الموافقة (٩٩) مبحوثاً وبنسبة مئوية بلغت (٢٥,٨%) من مجموع أفراد العينة وأوضح (١٠٠) مبحوث أنهم لا رأي لهم ما وبنسبة مئوية بلغت (٢٦%) من مجموع أفراد العينة وأشار (٨٧) مبحوثاً إلى أنهم يوافقون وبنسبة مئوية بلغت (٢٢,٧%) من مجموع أفراد العينة وذكر (٥٣) مبحوثاً أنهم يرفضون بشدة وبنسبة مئوية بلغت (١٣,٨%) من مجموع أفراد العينة. وبلغ الوسط الحسابي الموزون (٣) وهو يدل على أن غالبية أفراد العينة يتفقون مع هذه الفقرة، فيما بلغ الانحراف المعياري (١,٢٢) وهو انحراف قليل عن الوسط الحسابي الموزون، وبلغ الوزن المئوي (٦٠%) وهو يؤكد بأن الولايات المتحدة الأمريكية تتخذ آلية الحوار في التعامل مع الدول الأخرى، وهو ما نلّمسه من تعامل الولايات المتحدة مع الدول الغربية وإسرائيل، حيث نلاحظ أن هناك فروقاً كبيرة في تعامل الولايات المتحدة مع الدول الأوروبية وإسرائيل قياساً بالتعامل مع الدول العربية بصورة عامة انظر الجدول (١).

جدول (١) يبين التوزيع النسبي والوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن المئوي لإجابات المبحوثين

حول اتخاذ الولايات المتحدة آلية الحوار في التعامل مع دول العالم الأخرى

القيم	١	٢	٣	٤	٥	المجموع	الوسط الحسابي الموزون	الانحراف المعياري	الوزن المئوي
البدايل	اتفق بشدة	اتفق	لا رأي لي	ارفض	ارفض بشدة				
التكرار	٤٥	٩٩	١٠٠	٨٧	٥٣	٣٨٤	٣	١,٢٢	٦٠%
%	١١,٧	٢٥,٨	٢٦	٢٢,٧	١٣,٨	١٠٠%			

وأوضحت نتائج الدراسة أن (٣٣) مبحوثاً يوافقون بشدة على أن الولايات المتحدة تدعم حقوق الإنسان في العالم وبنسبة مئوية بلغت (٨,٦%) من مجموع أفراد العينة وعبر (٦٠) مبحوثاً عن موافقتهم لهذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (١٥,٦%) من مجموع أفراد العينة وأشار (٩٢) مبحوثاً أنهم لا رأي لي ما وبنسبة مئوية بلغت (٢٤%) من مجموع أفراد العينة وأكد (١٣٢) مبحوثاً أنهم يرفضون هذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (٣٤,٤%) فيما بلغ عدد الذين يرفضون بشدة (٦٧) مبحوثاً وبنسبة مئوية بلغت (١٧,٤%) من مجموع أفراد العينة.

وبلغ الوسط الحسابي الموزون (٣) وهو يدل على ان غالبية أفراد العينة يعارضون هذه الفقرة وبلغ الانحراف المعياري (١,١٩) وهو يؤشر انحرافاً قليلاً عن الوسط الحسابي الموزون، وبلغ الوزن المئوي (٥٣%) وهو يؤكد عدم دعم الولايات المتحدة لحقوق الانسان في العالم ويبدو ذلك عن طريق التمييز في تعاملها مع الشان الفلسطيني حيث تسعى إلى دعم إسرائيل وتزويدها بالأسلحة والمعدات المتطورة لقتل الشعب الفلسطيني واتباع سياسة استخدام حق النقض الفيتو ضد أي قرار يصدر لادانة او شجب إسرائيل جراء تعاملها مع الفلسطينيين، كذلك قامت الولايات المتحدة بدعم الاحتلال الاثيوبي لموريتانيا وتوفير الغطاء الجوي للقوات الاثيوبية وتزويدها بالدعم اللوجستي انظر الجدول (٢).

جدول (٢) يبين التوزيع النسبي والوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن المئوي لإجابات المبحوثين حول دعم الولايات المتحدة الأمريكية حقوق الانسان في العالم

القيم	١	٢	٣	٤	٥	المجموع	الوسط الحسابي الموزون	الانحراف المعياري	الوزن المئوي
١٠٠٪	٨,٦	١٥,٦	٢٤	٣٤,٤	١٧,٤	١٠٠٪	٣	١,١٩	٥٣٪
التكرار	٣٣	٦٠	٩٢	١٣٢	٦٧	٣٨٤			

بينت نتائج الدراسة ان (١٥٣) مبحوثاً يؤيدون بشدة سعي الولايات المتحدة الأمريكية إلى امركة العالم وبنسبة مئوية بلغت (٣٩,٨%) من من مجموع أفراد العينة واعرب (١٣٩) مبحوثاً انهم يوافقون على هذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (٣٦,٢%) من مجموع أفراد العينة وبلغ عدد الذين لا رأي لهم ما (٣٦) مبحوثاً وبنسبة مئوية بلغت (٩,٤%) من مجموع أفراد العينة فيما اشار (٣٦) مبحوثاً إلى انهم يرفضون هذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (٩,٤%) ايضاً من مجموع أفراد العينة وأجاب (٢٠) مبحوثاً بانهم يرفضون بشدة على الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (٥,٢%) من مجموع أفراد العينة، وبلغ الوسط الحسابي الموزون (٣,٩٦) وهو يدل على ان غالبية أفراد العينة يوافقون بشدة مع هذه الفقرة، فيما بلغ الانحراف المعياري (١,١٦) وهو انحراف قليل عن الوسط الحسابي،

وبلغ الوزن المئوي (٧٩%) وهو يؤكد ان الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى امركة العالم، حيث اتخذت الولايات المتحدة سياسة القطب الواحد بعد تفكك الاتحاد السوفيتي واعلان القادة السياسيين الأمريكيين ان نهاية القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين هو ما اطلق عليه القرن الأمريكي على اعتبار ان الولايات المتحدة الأمريكية ستقود العالم عن طريق سيطرتها على اهم مصادر الطاقة وهو النفط خاصة بعد احتلال العراق والسيطرة على نفط الشرق الاوسط فضلا عن القوة العسكرية الكبيرة التي تمتلكها سواء في العدد او العدة وهو ما يتيح لهم وفق تصورات القادة الامريكيين ان يقودوا العام خلال هذا القرن وربما القرن القادم انظر الجدول (٣).

جدول (٣) يبين التوزيع النسبي والوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن المئوي لإجابات الباحثين حول سعي الولايات المتحدة إلى امركة العالم

القيم	١	٢	٣	٤	٥	المجموع	الوسط الحسابي الموزون	الانحراف المعياري	الوزن المئوي
البدايل	اتفق بشدة	اتفق	لا راي لي	ارفض	ارفض بشدة				
التكرار	١٥٣	١٣٩	٣٦	٣٦	٢٠	٣٨٤	٣،٩٦	١،١٦	٧٩%
%	٣٩،٨	٣٦،٢	٩،٤	٩،٤	٥،٢	١٠٠%			

بينت نتائج الدراسة ان (١١٠) مبحوث يوافقون بشدة على ان الولايات المتحدة الأمريكية تدعم الإرهاب في العالم وبنسبة مئوية بلغت (٢٨،٦%) من مجموع أفراد العينة واكد (١٣٠) مبحوثا انهم يوافقون على هذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (٣٣،٩%) من مجموع أفراد العينة وعبر (٦٥) مبحوثا ان لا راي لهم وبنسبة مئوية بلغت (١٦،٩%) فيما اشار (٤٦) مبحوثا إلى انهم يرفضون الموافقة على هذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (١٢%) من مجموع أفراد العينة وعبر (٣٣) مبحوثا عن رفضهم بشدة لهذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (٨،٦%) من مجموع أفراد العينة.

وبلغ الوسط الحسابي الموزون (٣،٦٢) وهو يدل على ان العدد الاكبر من أفراد العينة يوافقون على ان الولايات المتحدة تدعم الإرهاب في العالم، فيما بلغ الانحراف المعياري (١،٢٥) وهو انحراف قليل عن الوسط الحسابي الموزون.

وبلغ الوزن المئوي (٧٢%) وهو يشير إلى ان الولايات المتحدة الأمريكية تدعم الإرهاب في العالم عن طريق اتخاذ الولايات المتحدة سياسة العداء تجاه الدول التي لاتساير سياستها او تسير مع ركبها وهذا ما لاحظناه في السياسة الأمريكية تجاه العراق، حيث اعتبر العراق احد محاور الشر بالنسبة للولايات المتحدة فضلاً عن ايران وكوريا الشمالية، واعتبرت ان العراق يشكل خطراً على الامن القومي الأمريكي لذلك حشدت تحالفاً دولياً كبيراً لشن الحرب على العراق واحتلاله من خلال ايجاد مبررات لهذا العدوان ابرزها كان امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل وارتباط العراق بتنظيم القاعدة وايواء عناصر من هذا التنظيم انظر الجدول (٤).

جدول (٤) يبين التوزيع النسبي والوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن المئوي لإجابات المبحوثين حول دعم الولايات

المتحدة الأمريكية الإرهاب في العالم

القيم	١	٢	٣	٤	٥	المجموع	الوسط الحسابي الموزون	الانحراف المعياري	الوزن المئوي
البدايل	اتفق بشدة	اتفق	لا راي لي	ارفض	ارفض بشدة				
التكرار	١١٠	١٣٠	٦٥	٤٦	٣٣	٣٨٤	٣,٦٢	١,٢٥	٧٢%
%	٢٨,٦	٣٣,٩	١٦,٩	١٢	٨,٦	%١٠٠			

تبين من نتائج الدراسة ان (١٧٩) مبحوثاً يوافقون بشدة على ان السياسة الأمريكية استعمارية قائمة على نهب ثروات الدول الأخرى وبنسبة مئوية بلغت (٤٦,٤%) من مجموع أفراد العينة وأشار (٩٠) مبحوثاً إلى انهم يوافقون على هذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (٢٣,٤%) من مجموع أفراد العينة فيما أجاب (٥٣) مبحوثاً ان لاراي لهم ما وبنسبة مئوية بلغت (١٣,٨%) من مجموع أفراد العينة وأشار (٤٣) مبحوثاً إلى انهم يرفضون وبنسبة مئوية بلغت (١١,٢%) من مجموع أفراد العينة وبلغ عدد الذين يرفضون بشدة (١٩) مبحوثاً وبنسبة مئوية بلغت (٤,٩%) من مجموع أفراد العينة. وبلغ الوسط الحسابي الموزون (٣,٩٦) وهو يشير إلى ان غالبية أفراد العينة يوافقون بشدة على ان السياسة الأمريكية استعمارية قائمة على نهب الثروات، ومارست الولايات المتحدة منذ اكتشاف النفط في منطقة الخليج العربي سياسة استعمارية قائمة على نهب هذه الثروات عن طريق شركاتها العاملة في تلك المنطقة واستطاعت ان تضع يدها على

منابع النفط التي اصبحت عن طريقه تتحكم بعصب الاقتصاد والسياسة في العالم حيث اصبحت تتحكم في استخراج النفط وانتاجه وتسويقه وتحديد اسعاره وبذلك فرضت سيطرتها على نفط المنطقة سواء بالتهديد او باستخدام القوة والاحتلال كما حصل في العراق انظر الجدول (٥).

جدول (٥) يبين التوزيع النسبي والوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن المئوي لإجابات المبحوثين كون السياسة الأمريكية استعمارية قائمة على نهب الثروات

القيم	١	٢	٣	٤	٥	المجموع	الوسط الحسابي الموزون	الانحراف المعياري	الوزن المئوي
البدايل	اتفق بشدة	اتفق	لا راي لي	ارفض	ارفض بشدة				
التكرار	١٧٩	٩٠	٥٣	٤٣	١٩	٣٨٤	٣٩٦	١,٢٢	٧٩%
%	٤٦,٤	٢٣,٤	١٣,٨	١١,٢	٤,٩	١٠٠%			

اشارت نتائج الدراسة إلى ان (١٦٧) مبحوثا يوافقون بشدة على ممارسة الولايات المتحدة الأمريكية ضغوطا على الامم المتحدة من اجل تحقيق مصالحها وبنسبة مئوية بلغت (٤٣,٥%) من مجموع أفراد العينة و اشار (١٣٧) مبحوثا إلى انهم يوافقون على هذه الفترة وبنسبة مئوية بلغت (٣٥,٦%) من مجموع أفراد العينة وبلغ عدد الذين لا راي لهم (٣٧) مبحوثا وبنسبة مئوية (٦,٩%) من مجموع أفراد العينة وبلغ عدد الذين يرفضون (٢٧) مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت (٧,٤) وبلغ عدد الذين يرفضون بشدة (١٦) مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت (٤,٢%) من مجموع أفراد العينة. وبلغ الوسط الحسابي الموزون (٤,٠٤) وهو يشير إلى ان غالبية أفراد العينة يوافقون بشدة على هذه الفقرة، وبلغ الانحراف المعياري (١,٠٩) وهو انحراف قليل عن الوسط الحسابي الموزون، وبلغ الوزن المئوي (٨١%) وهو يدل على ان غالبية أفراد العينة تتفق بشدة على ان الولايات المتحدة تمارس ضغوطا على الامم المتحدة من اجل تحقيق مصالحها. حيث تعد الولايات المتحدة الأمريكية من اكبر الدول التي تسهم في تمويل هذه المنظمة، لذلك نرى ان لها سطوة كبيرة في هذه المنظمة واستطاعت ان تمارس الضغوط الكبيرة لتمرير قرارات دولية تخص الدول الأخرى، ويتجلى ذلك ان من خلال استصدار القرارات الكثيرة

ضد العراق خاصة في فترة التسعينات من القرن الماضي والتي انتهت بشن الحرب عليه واحتلاله انظر الجدول (٦).

جدول (٦) يبين التوزيع النسبي والوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن المئوي إجابات المبحوثين حول ممارسة

الولايات المتحدة ضغوطا على الامم المتحدة من اجل تحقيق مصالحها

القيم	١	٢	٣	٤	٥	المجموع	الوسط الحسابي الموزون	الانحراف المعياري	الوزن المئوي
البدايل	اتفق بشدة	اتفق	لا رأي لي	ارفض	ارفض بشدة				
التكرار	١٦٧	١٣٧	٣٧	٢٧	١٦	٣٨٤	٤,٤	١,٩	%٨١
%	٤٣,٥	٣٥,٦	٦,٩	٧,٤	٤,٢	%١٠٠			

نلاحظ من نتائج الدراسة ان (١٤٩) مبحوثا يوافقون بشدة على ان الولايات المتحدة الأمريكية تنتهك القوانين الدولية وبنسبة مئوية بلغت (٣٨,٨%) من مجموع أفراد العينة وأشار (١٢١) مبحوثا يوافقون على هذه الفترة وبنسبة مئوية بلغت (٣١,٥%) من مجموع أفراد العينة وعبر (٥٩) مبحوثا ان لا راي لهم على الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (١٥,٤%) من مجموع أفراد العينة وأشار (٣٩) مبحوثا إلى انهم يرفضون وبنسبة مئوية بلغت (١٠,٢%) من مجموع أفراد العينة وأشار (١٦) مبحوثا إلى انهم يرفضون بشدة وبنسبة مئوية بلغت (٤,٢%) من مجموع أفراد العينة.

وبلغ الوسط الحسابي الموزون (٣,٩١) وهو يدل على موافقة غالبية أفراد العينة بشدة على انتهاك الولايات المتحدة للقوانين الدولية، وبلغ الانحراف المعياري (١,١٥) وهو انحراف قليل عن الوسط الحسابي الموزون، وبلغ الوزن المئوي (٧٨%) وهو ما يؤكد انتهاك الولايات المتحدة الأمريكية للقوانين الدولية، وخير مثال على ذلك الحرب على العراق واحتلاله حيث انتهكت الولايات المتحدة قرارات الامم المتحدة والخاصة بعدم استخدام الحل العسكري في الازمة العراقية الا من خلال تخويل من الامم المتحدة يعطي الشرعية لشن الحرب على العراق، الا ان الولايات المتحدة لم تحصل على تلك الشرعية واتخذت قرار شن الحرب واحتلال العراق دون الرجوع إلى الامم المتحدة انظر الجدول (٧).

□

جدول (٧) يبين التوزيع النسبي والوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن المنوي لإجابات المبحوثين حول انتهاك

الولايات المتحدة الأمريكية القوانين الدولية

القيم	١	٢	٣	٤	٥	المجموع	الوسط الحسابي الموزون	الانحراف المعياري	الوزن المنوي
البدايل	اتفق بشدة	اتفق	لا رأي لي	ارفض	ارفض بشدة				
التكرار	١٤٩	١٢١	٥٩	٣٩	١٦	٣٨٤	٣,٩١	١,١٥	٧٨%
%	٣٨,٨	٣١,٥	١٥,٤	١٠,٢	٤,٢	١٠٠%			

بينت نتائج الدراسة ان (١٦٥) مبحوثا يوافقون بشدة على ان الولايات المتحدة تستخدم القوة لتنفيذ مخططاتها العدوانية تجاه الشعوب وبنسبة بلغت (٤٣%) من مجموع أفراد العينة وبين (١٢١) مبحوثا انهم يوافقون على هذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (٣١,٥%) من مجموع أفراد العينة وعبر (٤٩) مبحوثا ان لا رأي لهم على هذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (١٢,٨%) من مجموع أفراد العينة ورفض هذه الفقرة (٢٩) مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت (٧,٦%) من مجموع أفراد العينة فيما بلغ عدد الذين يرفضون بشدة (٢٠) مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت (٥,٢%) من مجموع أفراد العينة وبلغ الوسط الحسابي الموزون (٣,٩٩) وهو يؤكد ان غالبية أفراد العينة يوافقون بشدة على هذه الفقرة، وبلغ الانحراف المعياري (١,١٥) وهو انحراف قليل عن الوسط الحسابي الموزون، وبلغ الوزن المنوي (٨٠%) وهو يؤكد ان النسبة الكبيرة من أفراد العينة توافق بشدة على ان الولايات المتحدة تستخدم القوة لتنفيذ مخططاتها العدوانية تجاه الشعوب، ويبدو ذلك واضحا من استخدام الولايات المتحدة الأمريكية للقوة العسكرية في حربيها ضد فيتنام وقتل الاف الابرياء، بالاضافة إلى حربيها ضد افغانستان والعراق وهو ما اطلقت عليه الحرب ضد الإرهاب والذي شمل جميع الدول التي تشكل خطراً على الامن القومي للولايات المتحدة على حد تعبيرهم انظر الجدول (٨).

□

جدول (٨) يبين التوزيع النسبي والوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن المنوي لإجابات المبحوثين حول استخدام

الولايات المتحدة القوة لتنفيذ مخططاتها العدوانية تجاه الشعوب

القيم	١	٢	٣	٤	٥	المجموع	الوسط الحسابي الموزون	الانحراف المعياري	الوزن المنوي
البدايل	اتفق بشدة	اتفق	لا راي لي	ارفض	ارفض بشدة				
التكرار	١٦٥	١٢١	٤٩	٢٩	٢٠	٣٨٤	٣,٩٩	١,١٥	٨٠%
%	٤٣	٣١,٥	١٢,٨	٧,٦	٥,٢	١٠٠%			

نلاحظ من نتائج الدراسة ان (١٧٨) مبحوثا يتفق بشدة على ان الولايات المتحدة الأمريكية تتدخل في شؤون الدول الأخرى وبنسبة مئوية بلغت (٤٦,٤%) من مجموع أفراد العينة و اشار (١١٣) مبحوثا إلى موافقتهم مع هذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (٢٩,٤%) من مجموع أفراد العينة وبلغ عدد الذين لا راي لهم (٤١) مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت (١٠,٧%) من أفراد عينة البحث فيما بلغ عدد الذين يرفضون هذه الفقرة (٣٤) مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت (٨,٩%) من مجموع أفراد العينة اما الذين يرفضون بشدة فقد بلغ عددهم (١٨) مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت (٤,٧%) من مجموع أفراد العينة، وبلغ الوسط الحسابي الموزون (٤,٠٤) وهو يؤكد ان غالبية أفراد العينة يتفقون مع هذه الفقرة، وبلغ الانحراف المعياري (١,١٦) وهو انحراف بسيط عن الوسط الحسابي الموزون، وبلغ الوزن المنوي (٨١%) وهو يؤكد ان غالبية أفراد العينة توافق بشدة على ان الولايات المتحدة تتدخل في شؤون الدول الأخرى، حيث كان للولايات المتحدة الدور الكبير في حرب البوسنة والهرسك والمتمثل بدعم الهرسك في حربها ضد البوسنة بالاضافة إلى دعم حركة طالبان في افغانستان في حربها ضد الاتحاد السوفتي السابق انظر الجدول (٩).

□

جدول (٩) يبين التوزيع النسبي والوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن المنوي لإجابات المبحوثين حول تدخل الولايات المتحدة في شؤون الدول الأخرى

القيم	١	٢	٣	٤	٥	المجموع	الوسط الحسابي الموزون	الانحراف المعياري	الوزن المنوي
البدايل	اتفق بشدة	اتفق	لا رأي لي	ارفض	ارفض بشدة				
التكرار	١٧٨	١١٣	٤١	٣٤	١٨	٣٨٤	٤,٠٤	١,١٦	٨١%
%	٤٦,٤	٢٩,٤	١٠,٧	٨,٩	٤,٧	١٠٠%			

وفي السؤال الخاص عن اسهام الولايات المتحدة الأمريكية في طمس الثقافة العالمية اشار (٨٠) مبحوثا بانهم يوافقون على هذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (٢٠,٨%) من مجموع أفراد العينة و (١١٧) مبحوثا يوافقون على هذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (٣٠,٥%) من مجموع أفراد العينة فيما بلغ عدد الذين لا رأي لهم (٧٧) مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت (٢٠,١%) من مجموع أفراد العينة وبلغ عدد الذين يرفضون (٧٧) مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت (٢٠,١%) من مجموع أفراد العينة وأجاب (٣٣) مبحوثا انهم يرفضون بشدة وبنسبة مئوية بلغت (٨,٦%) من مجموع أفراد العينة، فيما بلغ الوسط الحسابي الموزون (٣,٣٥) وهو يؤكد ان غالبية أفراد العينة يتفقون مع هذه الفقرة، وبلغ الانحراف المعياري (١,٢٥) وهو انحراف قليل عن الوسط الحسابي الموزون، وبلغ الوزن المنوي (٦٧%) وهو يؤكد ان غالبية أفراد العينة يتفقون على ان الولايات المتحدة اسهمت في محاولات طمس الثقافات العالمية، اذ ان الولايات المتحدة سيطرت على اكبر مؤسسة لانتاج وتوزيع الافلام في العالم وهي شركة هوليوود التي تحاول من خلالها ابراز الثقافة الأمريكية باعتبارها الثقافة الغربية في العالم وتشويه الثقافات الأخرى انظر الجدول (١٠).

□

جدول (١٠) يبين التوزيع النسبي والوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن المنوي لإجابات المبحوثين حول اسهام الولايات المتحدة في محاولات طمس الثقافة العالمية

القيم	١	٢	٣	٤	٥	المجموع	الوسط الحسابي الموزون	الانحراف المعياري	الوزن المنوي
البدايل	اتفق بشدة	اتفق	لا راي لي	ارفض	ارفض بشدة				
التكرار	٨٠	١١٧	٧٧	٧٧	٣٣	٣٨٤	٣,٣٥	١,٢٥	٦٧%
%	٢٠,٨	٣٠,٥	٢٠,١	٢٠,١	٨,٦	١٠٠%			

كشفت نتائج الدراسة ان (٥٧) مبحوثا يوافقون بشدة على ان الولايات المتحدة الأمريكية تهتم بالتاثير في بقية دول العالم من الناحية الثقافية وبنسبة مئوية بلغت (١٤,٨%) من مجموع أفراد العينة في حين بلغ عدد الذين يوافقون على هذه الفقرة (١٦٧) مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت (٤٣,٥) من مجموع أفراد العينة وشار (٨٥) مبحوثا إلى انهم لا راي لي وبنسبة مئوية بلغت (٢٢,١%) من مجموع أفراد العينة وبلغ عدد الذين يرفضون هذه الفقرة (٥٣) مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت (١٣,٨%) من مجموع أفراد العينة وشار (٢٢) مبحوثا إلى انهم يرفضون بشدة وبنسبة مئوية بلغت (٥,٧%) من مجموع أفراد العينة، وبلغ الوسط الحسابي الموزون، وبلغ الانحراف المعياري (١,٠٨) وهو انحراف بسيط عن الوسط الحسابي الموزون (٣,٤٨)، وبلغ الوزن المنوي (٧٠%) وهو يؤكد ان غالبية أفراد العينة يتفقون على ان الولايات المتحدة الأمريكية تهتم بالتاثير في بقية دول العالم من الناحية الثقافية، حيث تتحكم الولايات المتحدة الأمريكية بوسائل الاتصال ومؤسساتها، وهي بذلك تتحكم في التاثير في الناحية الثقافية في دول العالم من خلال الانتقاء في العرض حيث تركز على جوانب معينة وتخفي جوانب أخرى انظر الجدول (١١).

□

جدول (١١) يبين التوزيع النسبي والوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن المئوي لإجابات المبحوثين حول اهتمام الولايات المتحدة بالتأثير في دول العالم من الناحية الثقافية

القيم	١	٢	٣	٤	٥	الوسط الحسابي الموزون	الانحراف المعياري	الوزن المئوي
البدايل	اتفق بشدة	اتفق	لا رأي لي	ارفض	ارفض بشدة	المجموع		
التكرار	٥٧	١٦٧	٨٥	٥٣	٢٢	٣٨٤	١,٠٨	٧٠%
%	١٤,٨	٤٣,٥	٢٢,١	١٣,٨	٥,٧	١٠٠%		

تبين نتائج الدراسة ان (٤٧) مبحثاً يتفقون بشدة على ان الولايات المتحدة الأمريكية تعتقد ان الجانب الثقافي الوطني ليس مهماً في تحقيق قوة الدول واستقرارها وبنسبة مئوية بلغت (٢٢,٢%) من مجموع أفراد العينة وأجاب (١١٥) مبحثاً بانهم يوافقون على هذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (٢٩,٩%) من مجموع أفراد العينة وأجاب (٧٥) مبحثاً ان لا رأي لهم وبنسبة مئوية بلغت (١٩,٥%) في حين بلغ عدد الذين يرفضون (١٠٣) مبحث وبنسبة مئوية بلغت (٢٦,٨%) من مجموع أفراد العينة وبلغ عدد الذين يرفضون بشدة (٤٤) مبحثاً وبنسبة مئوية بلغت (١١,٥%) من مجموع أفراد العينة.

وبلغ الوسط الحسابي الموزون (٣,٠٥) وهو يؤكد ان الذين يوافقون على هذه الفقرة اكثر نسبة من الفقرات الأخرى، وبلغ الانحراف المعياري (١,٠١) وهو انحراف قليل عن الوسط الحسابي الموزون، وبلغ الوزن المئوي (٦١) وهو يؤكد ان الذين يوافقون على ان الولايات المتحدة الأمريكية تعتقد ان الجانب الثقافي الوطني ليس مهماً في تحقيق قوة واستقرار الدول، لذلك يعتبر الانسان ذو الثقافة الوطنية والذي يمتلك خلفية ثقافية عن بلده يستطيع ان يدافع عنه من خلال ايجاد الإجابات الشافية عن أي سوء تتعرض له الدولة، لذلك يعد الجانب الثقافي الحد الفاصل الذي يقطع أي اعتداء على الدول ويساعد في الاستقرار والتقدم انظر الجدول (١٢).

□

جدول (١٢) يبين التوزيع النسبي والوسط الحسابي والانحراف المعياري والوزن المنوي لإجابات المبحوثين حول اعتقاد الولايات المتحدة ان الجانب الثقافي ليس مهما في تحقيق قوة الدول واستقرارها

القيم	١	٢	٣	٤	٥	المجموع	الوسط الحسابي الموزون	الانحراف المعياري	الوزن المنوي
البدايل	اتفق بشدة	اتفق	لا رأي لي	ارفض	ارفض بشدة				
التكرار	٤٧	١١٥	٧٥	١٠٣	٤٤	٣٨٤	٣,٠٥	١,٢٣	٦١%
%	٢٢,٢	٢٩,٩	١٩,٥	٢٦,٨	١١,٥	١٠٠%			

تبين نتائج الدراسة ان (١٧٠) مبحوثا يوافقون بشدة على ان الولايات المتحدة الأمريكية قوة عسكرية ضخمة ومتطورة وبنسبة مئوية بلغت (٤٤,٣%) من مجموع أفراد العينة في حين بلغ عدد الذين يوافقون (١٥٧) مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت (٤٠,٩) من مجموع أفراد العينة وأشار (٢٧) مبحوثا إلى انهم لا رأي لهم وبنسبة مئوية بلغت (٧%) من مجموع أفراد العينة وأجاب (١٣) مبحوثا بانهم يرفضون هذه الفقرة وبنسبة مئوية بلغت (٣,٤%) من مجموع أفراد العينة وبلغ عدد الذين يرفضون بشدة (١٧) مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت (٤,٤%) من مجموع أفراد العينة. وبلغ الوسط الحسابي الموزون (٤,١٧) وهو يؤكد ان غالبية أفراد العينة يؤيدون هذه الفقرة، وبلغ الانحراف المعياري (١,٠١) وهو انحراف قليل عن الوسط الحسابي الموزون، وبلغ الوزن المنوي (٨٣%) وهو يؤكد ان غالبية أفراد العينة تتفق على ان الولايات المتحدة قوة عسكرية ضخمة، حيث تعتبر الولايات المتحدة من الدول التي تمتلك ترسانه عسكرية حديثة ومتطورة وترتكز على ميزانية ضخمة لانتاج الأسلحة، وتخصص (٤٠%) من ميزانية البنتاغون لانتاج المعدات العسكرية كذلك تعتبر الولايات المتحدة الأمريكية من اكثر الدول المصدرة للسلاح إلى الدول الأخرى انظر الجدول (١٣).

النتائج:

- ١- نلاحظ من نتائج الدراسة الخاصة بصورة الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى العالمي ان الصورة كانت سلبية حيث بلغ عدد الذين اشاروا إلى ان صورة الولايات المتحدة سلبية بلغ ٢١٣ مبحوثا وبنسبة مئوية بلغت ٥٥,٥% من مجموع أفراد العينة.
- ٢- وأشارت الدراسة ان صورة الولايات المتحدة الأمريكية كانت سلبية من ناحية القضايا العربية حيث بين ٢١٥ مبحوثا اجابوا بالسلبية وبنسبة مئوية بلغت ٥٦% من مجموع أفراد العينة.
- ٣- اما فيما يخص صورة الولايات المتحدة الأمريكية بخصوص القضايا العراقية فقد اشار ٢١١ من المبحوثين بان الصورة سلبية وبنسبة مئوية بلغت ٥٤,٩% من مجموع أفراد العينة.
- ٤- بان الولايات المتحدة الأمريكية تتخذ اليه الحوار في التعامل مع الدول الأخرى، وبلغ الوزن المئوي (٦٠%).
- ٥- عدم دعم الولايات المتحدة لحقوق الإنسان في العالم، وبلغ الوزن المئوي (٥٣%).
- ٦- ان الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى أمركة العالم، الوزن المئوي (٧٩%).
- ٧- ان الولايات المتحدة الأمريكية تدعم الإرهاب في العالم وبلغ الوزن المئوي (٧٢%).
- ٨- ان غالبية أفراد العينة يوافقون بشدة على ان السياسة الأمريكية استعمارية قائمة على نهب الثروات
- ٩- ان غالبية أفراد العينة تتفق بشدة على ان الولايات المتحدة تمارس ضغوطا على الأمم المتحدة من اجل تحقيق مصالحها، وبلغ الوزن المئوي (٨١%).
- ١٠- انتهاك الولايات المتحدة الأمريكية للقوانين الدولية، وبلغ الوزن المئوي (٧٨%).
- ١١- ان الولايات المتحدة تستخدم القوة لتنفيذ مخططاتها العدوانية تجاه الشعوب، وبلغ الوزن المئوي (٨٠%).

- ١٢- ان غالبية أفراد العينة توافق بشدة على ان الولايات المتحدة تتدخل في شؤون الدول الأخرى، وبلغ الوزن المئوي (٨١%).
- ١٣- ان غالبية أفراد العينة يتفقون على ان الولايات المتحدة أسهمت في محاولات طمس الثقافات العالمية، وبلغ الوزن المئوي (٦٧%).
- ١٤- ان غالبية أفراد العينة يتفقون على ان الولايات المتحدة الأمريكية تهتم بالتأثير في بقية دول العالم من الناحية الثقافية، وبلغ الوزن المئوي (٧٠%).
- ١٥- ان الذين يوافقون على ان الولايات المتحدة الأمريكية تعتقد ان الجانب الثقافي الوطني ليس مهما في تحقيق قوة واستقرار الدول، وبلغ الوزن المئوي (٦١%).
- ١٦- ان غالبية أفراد العينة تتفق على ان الولايات المتحدة قوة عسكرية ضخمة، وبلغ الوزن المئوي (٨٣%).
- ١٧- ان الولايات المتحدة الأمريكية تصور نفسها بلد الاحلام. وبلغ الوزن المئوي (٧٩%).
- ١٨- ان الولايات المتحدة لا ترعى الديمقراطية في العالم، وبلغ الوزن المئوي (٥٢%).
- ١٩- ان غالبية المبحوثين يؤكدون موافقتهم على ان الحكومة الأمريكية تقوم بتجنيد الصحفيين لتشكيل صورة ايجابية لها، وبلغ الوزن المئوي (٧٦%).
- ٢٠- ان الولايات المتحدة تصور الدين الإسلامي عدد بديل للشيعية، وبلغ الوزن المئوي (٧٦%).
- ٢١- ان الولايات المتحدة الأمريكية تصور نفسها بانها تقود العالم الحر.. وبلغ الوزن المئوي (٨٧%).
- ٢٢- ان غالبية أفراد العينة يوافقون على ان الولايات المتحدة تتأمل بازدواجية وسلبية مع القضايا العربية وبلغ الوزن المئوي (٧٧%).
- ٢٣- ان غالبية أفراد العينة يوافقون بشدة على ان الولايات المتحدة الأمريكية تعتمد إلى تشويه الحقائق فيما يتعلق بالشأن العربي، وبلغ الوزن المئوي (٧٩%).
- ٢٤- ان غالبية أفراد العينة تتفق بشدة مع سعي الولايات المتحدة الأمريكية في تعاملها مع الشأن العربي إلى حماية إسرائيل. وبلغ الوزن المئوي (٨٣%).

- ٢٥- ان غالبية المبحوثين يؤيدون بشدة على ان الولايات المتحدة تستخدم أسلوب الترهيب والترغيب في تعاملها مع الدول العربية وبلغ الوزن المئوي (٨١%).
- ٢٦- ان غالبية أفراد العينة مع الرأي القائل بان القنوات الفضائية تعد مصدر المعلومات عن الولايات المتحدة الأمريكية، وبلغ الوزن المئوي (٧١%).
- ٢٧- ان غالبية أفراد العينة يوافقون على ان الصحف تعد مصدر المعلومات عن الولايات المتحدة الأمريكية، وبلغ الوزن المئوي (٦٥%).
- ٢٨- ان النسبة الأكبر من المبحوثين يوافقون ان الإذاعات تعد مصدر المعلومات عن الولايات المتحدة الأمريكية، وبلغ الوزن المئوي (٦٣%).
- ٢٩- ان غالبية أفراد العينة تتفق مع ان الانترنت يمثل مصدر معلومات عن الولايات المتحدة الأمريكية، وبلغ الوزن المئوي (٧٤%).
- ٣٠- ان غالبية أفراد العينة لا يتفقون مع كون العائلة هي مصدر المعلومات عن الولايات المتحدة الأمريكية،
- ٣١- ان غالبية أفراد العينة لا تتفق مع كون المناهج الدراسية تعد المصدر الرئيس للمعلومات عن الولايات المتحدة الأمريكية
- ٣٢- ان غالبية أفراد العينة يرفضون ان يكون الاحتكاك بالجندي الأمريكي مصدر المعلومات عن الولايات المتحدة الأمريكية.
- ٣٣- ان العدد الأكبر من العينة يوافقون على ان الأصدقاء مصدر المعلومات عن الولايات المتحدة الأمريكية.
- ٣٤- ان غالبية أفراد العينة يوافقون بشدة على ازدياد والسلوك العدواني للولايات المتحدة الأمريكية تجاه العرب والمسلمين عقب احداث ١١ ايلول ٢٠٠١
- ٣٥- ان غالبية أفراد العينة يوافقون على ان الولايات المتحدة الأمريكية تعتقد ان العرب والمسلمين يكونون لها العدا.
- ٣٦- ان غالبية أفراد العينة يوافقون بشدة على ان الولايات المتحدة تنظر إلى الدول العربية والإسلامية على انها دول حاضنة للإرهاب.

- ٣٧- ان غالبية أفراد العينة يوافقون على ان الولايات المتحدة الأمريكية تشوه صور الدول العربية المعادية لسياستها.
- ٣٨- ان غالبية أفراد العينة يوافقون على ان الولايات المتحدة الأمريكية تمتلك علاقات جيدة مع عدة دول عربية.
- ٣٩- ان غالبية أفراد العينة ترفض ان تكون الولايات المتحدة الأمريكية تدعم الديمقراطية في العراق.
- ٤٠- ان غالبية تميل إلى ان الولايات المتحدة الأمريكية ارتكبت جرائم حرب واطادة جماعية في العراق.
- ٤١- ان غالبية أفراد العينة يوافقون بشدة على ان الولايات المتحدة الأمريكية استخدمت الأسلحة المحرمة دوليا في حربها ضد العراق
- ٤٢- ان الولايات المتحدة ارتكبت جرائم تعذيب ومذابح وحشية في العراق
- ٤٣- ان غالبية أفراد العينة تميل إلى الموافقة بشدة على ان الولايات المتحدة الأمريكية دمرت البنى التحتية للعراق
- ٤٤- ان غالبية أفراد العينة تميل إلى الموافقة بشدة على ان القيادة الأمريكية فشلت في تحقيق الأمن في العراق
- ٤٥- ان غالبية أفراد العينة يوافقون بشدة على ان الولايات المتحدة الأمريكية نهبت اثار العراق ووثائقه الوطنية
- ٤٦- ان غالبية أفراد العينة توافق بشدة على ان الولايات المتحدة قامت بإذلال الشعب العراقي وقهره
- ٤٧- فشل الولايات المتحدة الأمريكية في الحفاظ على الاثار العراقية من السلب والنهب عند احتلالها للعراق
- ٤٨- ان غالبية أفراد العينة تؤكد قيام الولايات المتحدة تزيف الحقائق المتعلقة بامتلاك العراق اسلحة الدمار الشامل

٤٩- ان غالبية أفراد العينة توافق بشدة على ان الولايات المتحدة تغطي على جرائمها في العراق، ان الولايات المتحدة الأمريكية لم تستطع ان تحطم الروح المعنوية لاعدائها في العراق

٥٠- ان الولايات المتحدة استطاعت ان تبرز استخدام القوة العسكرية في العراق
٥١- ان غالبية أفراد العينة يوافقون بشدة على ان الإدارة الأمريكية مارست ضغوط على القنوات الفضائية لمنع بث مسيئة لها.

ملحق رقم (١) استمارة استبانة

ت	الموقف الامريكي ازاء الشأن العالمي	موافق بشدة	موافق	موافق الى حد ما	غير موافق	غير موافق بشدة
١	تتخذ الولايات المتحدة الامريكية آلية الحوار في التعامل مع دول العالم الأخرى					
٢	تتعامل الولايات المتحدة الامريكية مع القضايا العالمية وفق القوانين الدولية					
٣	تؤمن الولايات المتحدة الامريكية بحق الشعوب في تقرير مصيرها					
٤	يتسم تعامل الولايات المتحدة الامريكية مع بقية دول العالم بالشفافية والتعاون					
٥	تدعم الولايات المتحدة الامريكية حقوق الإنسان في العالم					
٦	تسعى الولايات المتحدة الى امركة العالم					
٧	تدعم الولايات المتحدة الأمريكية الإرهاب في العالم					
٨	السياسة الأمريكية استعمارية قائمة على نهب ثروات الدول الأخرى					
٩	تمارس الولايات المتحدة ضغوطاً على الأمم المتحدة من اجل تحقيق مصالحها					
١٠	تنتهك الولايات المتحدة الأمريكية القوانين الدولية					
١١	تستخدم الولايات المتحدة القوة لتنفيذ مخططاتها العدوانية تجاه الشعوب					
١٢	تتدخل الولايات المتحدة الامريكية في شؤون الدول الاخرى					

الهوامش:

- (١) راسم محمد الجمال، خيرت معوض، العلاقات العامة المدخل الاستراتيجي (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط٢، ٢٠٠٨). ص ١٤٢
- (٢) محمد عبد الغني، محسن احمد الخضيري، الاسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراة، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٢) ص ٣٩
- (٣) Bows , J: Stereotyping and communication accuracy Journalism Quarterly Vol: 55 , 1977 No. PP. 70- 76
- (٤) انجي محمد ابو سريع خليل، الصورة الذهنية لمهنة العلاقات العامة لدى ممارسيها وعلاقتها بمستوى ادائهم لها، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام جامعة القاهرة، ٢٠٠٤) ص ٧٢
- (٥) شادن نصير، مصدر سبق ذكره، ص ٨٨
- (٦) عاطف عدلي العبد، مدخل إلى الاتصال والرأي العام، (القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٧)، ص ٢٨٦
- (٧) انجي محمد ابو سريع مصدر سبق ذكره، ص ٧٤
- (٨) سماح ماضي متولي، الصورة الإعلامية للمعلم في الصحف المصرية وعلاقتها بتكوين الاتجاهات (اطروحة دكتوراه غير منشورة معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس ٢٠٠٨) ص ٩٣.
- (٩) علي عجوة، العلاقات العامة والصورة الذهنية (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣)، ص ١٠
- (١٠) ايمن منصور نداء، الصورة الذهنية والإعلامية، مصدر سبق ذكره، ص ٢٩
- (١١) سليمان صالح، وسائل الإعلام وصناعة الصورة الذهنية، (الكويت، مكتبة الظلال للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥). ص ٢٢ - ٢٣
- (١٢) صلاح الدين كامل، العلاقات العامة والصور الذهنية لاجهزة المخابرات، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٨٩). ص ٣١
- (١٣) نرمين زكريا اسماعيل خضر، صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى الجمهور المصري، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٠٠١). ص ٧١
- (١٤) محمد عبد الحميد، دراسة الجمهور في بحوث الإعلام، (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٣). ص ١٠٢

- (١٥) هناء فاروق صالح، صورة الامم المتحدة وجامعة الدول العربية لدى الرأي العام المصري، (القاهرة، دار العالم للعربي، ٢٠٠٩). ص ١٨١
- (١٦) محمود يوسف مصطفى عبده، مقدمة في العلاقات العامة، (القاهرة، جامعة القاهرة، للتعليم المفتوح، ٢٠٠٥). ص ١٢
- (١٧) علي جبار الشمري، الصورة الذهنية لمجلس النواب، مجلة الباحث الإعلامي، (كلية الإعلام، جامعة بغداد، العدد الثالث، ٢٠٠٧)، ص ٨٢.
- (١٨) Masahiro Yasuda, News reporting and Image Feeding: Aparadigm of Japan (1992) , and the west, Ma in mass communication (U.K: leicester university, 1992) , P. 7.
- (١٩) عبد القادر طاش، الصورة النمطية للإسلام والعرب في مرآة الإعلام الغربي (الرياض، شركة الدائرة للإعلام، ١٩٨٩) ص ١٢.
- (٢٠) ابراهيم الداوق، صورة الاتراك لدى العرب، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١). ص ٢١
- (٢١) سلمان صالح، مصدر سابق، ص ٢٧.
- (٢٢) ثريا احمد البدوي، دور الاتصال في تكوين الصورة الذهنية لدى الشعب المصري عن الاوربيين، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ١٩٩٥) ص ١٤٢.
- (٢٣) محمود يوسف، ادارة العلاقات العامة (القاهرة، مكتبة فيروز، والمعادي) ٢٠٠٥، ص ٧٢.
- (٢٤) ميرفت الطرابيشي، مصدر سابق، ص ١٧٠.
- (٢٥) علي عوجة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، مصدر سابق، ص ٨٩.
- (٢٦) عاطف عدلي العبد، صورة المعلم في وسائل الإعلام، مصدر سابق، ص ٢٦.
- (٢٧) راجية احمد قنديل، صورة اسرائيل في الصحافة المصرية للاعوام ٧٣، ٧٤، ٧٨، (اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٨١). ص ٢٤
- (٢٨) ولبر شرام، اجهزة الإعلام والتتمية الوطنية، دور الإعلام في البلدان النامية، ترجمة محمد فتحي (القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠). ص ١٧٧
- (٢٩) عاطف عدلي العبد، مدخل إلى الاتصال الرأي العام، مصدر سابق، ص ٢٨٧.
- (٣٠) ايمن منصور نداء، مصدر سابق، ص ٧٠.

- (٣١) عواطف عبدالرحمن، المرأة والإعلام تحديات واشكاليات، (القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨)، ص ٥٥.
- (٣٢) منى سعيد الحديدي، دراسة تحليلية لصورة المرأة المصرية والاثار الإعلامية والاجتماعية المرتبة على ذلك (اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٧٧) ص ٣٢٣.
- (٣٣) عاطف عبد الغفار، الإعلام والمشاركة السياسية للمرأة (القاهرة، مكتبة الاسرة، ٢٠٠٩)، ص ١٧٤.
- (٣٤) ايمان نعمان جمعة، حدود تأثير التغطية الإعلامية لمجلس الشعب عن صورته الذهنية وانعكاساتها على المشاركة في الانتخابات البرلمانية، ٢٠٠٠، (المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، المجلد الثاني، العدد الأول، ٢٠٠١) ص ٢٣٤.
- (٣٥) امين سعيد عبد الغني، وسائل الإعلام الجديدة والموجهة الرقمية الثانية، (القاهرة، ابتراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨). ص ٧٦.
- (٣٦) محمد بن عبد الرحمن الحصين، كيف تؤثر وسائل الإعلام دراسة في النظريات والاساليب (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨). ص ٢٤.
- (٣٧) علي عوجة، العلاقات العامة والصورة الذهنية، مصدر سبق ذكره. ص ٣.
- (٣٨) نشوى حسانين حافظ، مصدر سبق ذكره. ص ٣.
- (٣٩) ثريا احمد البدوي، مصدر سابق، ص ٩٨ - ٩٩.
- (٤٠) ابراهيم امام، الإعلام والاتصال بال جماهير، مصدر سابق، ص ٢٤٠.

المصادر والمراجع

١. ابو سريع خليل ،انجي محمد، الصورة الذهنية لمهنة العلاقات العامة لدى ممارسيها وعلاقتها بمستوى ادائهم لها، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام جامعة القاهرة، ٢٠٠٤)
٢. البدوي، ثريا احمد دور الاتصال في تكوين الصورة الذهنية لدى الشعب المصري عن الاوربيين، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة ١٩٩٥).
٣. الجمال، راسم محمد خيرت معوض، العلاقات العامة المدخل الاستراتيجي (القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط ٢، ٢٠٠٨).

٤. اسماعيل خضر، نرمين زكريا صورة الولايات المتحدة الأمريكية لدى الجمهور المصري، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ٢٠٠١).
٥. الحصين، محمد بن عبد الرحمن كيف تؤثر وسائل الإعلام دراسة في النظريات والاساليب (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٩٩٨).
٦. الحديدي، منى سعيد دراسة تحليلية لصورة المرأة المصرية والاثار الإعلامية والاجتماعية المرتبة على ذلك (اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٧٧).
٧. الداوقى، ابراهيم صورة الاتراك لدى العرب، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠١).
٨. العبد، عاطف عدلي مدخل إلى الاتصال والرأي العام، (القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٧)، ص ٢٨٦
٩. الشمري، علي جبار الصورة الذهنية لمجلس النواب، مجلة الباحث الإعلامي، (كلية الإعلام، جامعة بغداد، العدد الثالث، ٢٠٠٧).
١٠. جمعة، ايمان نعمان حدود تاثير التغطية الإعلامية لمجلس الشعب عن صورته الذهنية وانعكاساتها على المشاركة في الانتخابات البرلمانية، ٢٠٠٠، (المجلة المصرية لبحوث الرأي العام، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، المجلد الثاني، العدد الأول، ٢٠٠١).
١١. عبدالرحمن، عواطف المرأة والإعلام تحديات واشكاليات، (القاهرة، العربي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨).
١٢. عبد الغفار، عاطف الإعلام والمشاركة السياسية للمرأة (القاهرة، مكتبة الاسرة، ٢٠٠٩).
١٣. عبد الغني، امين سعيد وسائل الإعلام الجديدة والموجهة الرقمية الثانية، (القاهرة، ابتراك للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨).
١٤. عجوة، علي العلاقات العامة والصورة الذهنية (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٣)،
١٥. عبد الحميد، محمد دراسة الجمهور في بحوث الإعلام، (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٩٣)
١٦. عبد الغني، محمد محسن احمد الخضيرى، الاسس العلمية لكتابة رسائل الماجستير والدكتوراه، (القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٩٢)
١٧. قنديل، راجية احمد صورة اسرائيل في الصحافة المصرية للاعوام ٧٣، ٧٤، ٧٨، (اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٨١).

١٨. كامل، صلاح الدين العلاقات العامة والصور الذهنية لاجهزة المخابرات، (رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ١٩٨٩).

١٩. متولي، سماح ماضي الصورة الإعلامية للمعلم في الصحف المصرية وعلاقتها بتكوين الاتجاهات (اطروحة دكتوراه غير منشورة معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس ٢٠٠٨).

٢٠. شرام، ولبر اجهزة الإعلام والتنمية الوطنية، دور الإعلام في البلدان النامية، ترجمة محمد فتحي (القاهرة، الهيئة العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠).

٢١. صالح، سليمان وسائل الإعلام وصناعة الصورة الذهنية، (الكويت، مكتبة الظلال للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥).

٢٢. صالح، هناء فاروق صورة الامم المتحدة وجامعة الدول العربية لدى الرأي العام المصري، (القاهرة، دار العالم للعربي، ٢٠٠٩).

٢٣. مصطفى عبده، محمود يوسف مقدمة في العلاقات العامة، (القاهرة، جامعة القاهرة، للتعليم المفتوح، ٢٠٠٥).

24. Masahiro Yasuda, News reporting and Image Feeding: Aparadigm of Japan and the west, Ma in mass communication (U.K: leicester university, 1992), P. 7.

٢٥. طاش، عبد القادر الصورة النمطية للإسلام والعرب في مراة العلام الغربي (الرياض، شركة الدائرة للإعلام، ١٩٨٩).

٢٦. يوسف، محمود ادارة العلاقات العامة (القاهرة، مكتبة فيروز، والمعادي) ٢٠٠٥.

27. Bows, J: Stereotyping and communication accuracy Journalism Quarterly Vol: 55 , 1977 No. PP. 70- 76

Applying Norman Fairclough's Model on J. K.
Rowling's Harry Potter and the Sorcerer's Stone:
Feminism and Critical Discourse Analysis (CDA) in
Children's World Literature

م. خطاب محمد أحمد

جامعة تكريت / كلية الآداب

&

م. وسن هاشم ابراهيم

الجامعة العراقية / كلية القانون

الملخص

التحليل النقدي للنصوص (سي دي اي) هو نموذج بحثي يخاطب المشاكل الاجتماعية المتفشاة من خلال معارضة المواقف الايدلوجية المسيطرة في المجتمع. ان الصفة النقدية في) السي دي اي (تتضمن توضيح العلاقات الغامضة بين النص والتركيب الاجتماعي، بعبارة أخرى، تلك العلاقات المختبئة والمتشربة في النص عن طريق عرض كيفية استخدام اللغة للمركز الاجتماعي للشخصيات التي تتناولهم النصوص من خلال أخضاعهم، أو أقصائهم، أو حتى التواطؤ ضدهم مع القارئ المفترض لتلك النصوص وحيث تعتبر مكانة المرأة في المجتمع هامشية لكون النساء عموماً غير قادرات على توحيد انفسهم سوية ضد التهميش كونهم ذُربوا منذ الصغر على التفكير والعيش على الهامش. و هذا التدريب على البقاء على الهامش في العالم الذكوري له جذور عميقة تمتد الى الأدب العالمي للأطفال.

تهدف الدراسة الى تطبيق تحليل فيركلوف (-1941) الاجتماعي (سي دي اي) و مبدأ النسوية على رواية هاري بوتر و حجر الساحر (2001) للكاتبة جي كي رولينغ (-1965).

Abstract

Critical Discourse Analysis (CDA) is a research model which linguistically addresses the predominant social problems by opposing prevalent ideological status. The critical attribute in CDA implies showing the opaque relationship between discourse and societal structure; that is, those hidden relations that are imbued within the text so as to expose the workings of how language use positions of those characters it addresses by subordinating, excluding or even colluding them with the assumed readers of such texts. Women's status in society is anchored in fragmentation in that women are unable to pull themselves together to protest against their fragmentation because they have been trained to think and live in fragments. This fragmentation training in the patriarchal world has roots deep enough to creep to the Children World Literature.

This study aims at analysing Harry Potter and the Sorcerer's Stone (2001) by the British novelist J. K. Rowling (1965) by applying the model (critical social analysis) of Norman Fairclough (1941-), a British sociolinguist, which deals with CDA and Feminism.

Introduction

Littered with references to giggling girls, although there is not a single reference to giggling boys. . . . The females are emotional and cry readily throughout all four books. . . . This demonstrates both the portrayal of girls as gossipy . . . and emotional and vulnerable. . . . The inferior position of females is further reinforced through characterizations that highlight their insecurities and self-hatred, especially as it relates to their looks and bodies" (Heilman, 2003, 226-228).

Critical Discourse Analysis (CDA, henceforth) is a form of discourse analysis addressing a social problem with the aim of resisting it. It is not concerned with language use, but with the linguistic character of social and cultural processes and structures. That is, the role of strategies, structures, and other properties of texts and talk in establishing and maintaining power relations between different groups in society (van Dijk, 1993:250). Language, according to CDA, is never neutral and it always has some implications of the world that surrounds us or at least it is not neutral on a personal level. It is, according to Fairclough:

A form of social practice that seeks to examine both the manner in which discourse is shaped by relations of power and ideology, and the manner in which discourse actively plays a role in shaping these relations. (Fairclough and Wodak, 1997: 258)

Hence discourse is both a mode of action where a person acts upon the world and upon others as well as a mode of representation where it is a reflex of the world in general and the situational variables in particular (Fairclough,1992:63).Therefore, discourse is a practice that does not just represent the world as it is, the world is also signified, constructed and constituted in meaning through discursive practices (ibid: 64). These practices contribute both to reproducing society (social identities, social relationships,

systems of knowledge and belief) as it is, as well as to transforming it (ibid:65)

Cherland & Edelsky (1993) states, "Reading fiction is one site in which children can confront culture and construct its meanings for their individual lives. Reading fiction is a social practice through which children seek to understand their own places in the world" (42).

Since Harry Potter and the Sorcerer's Stone, the first book in the Harry Potter series was published in Great Britain in 1997, "Pottermania" has taken the world by storm. Indeed, there may be no other twentieth-century book read by more children worldwide. Many have analysed the "Harry Potter Phenomenon," addressing questions such as "Why is Harry Potter so beloved by children?" "What made this the bestselling children's book of all time?" and "What are the occult messages embedded in this text?" Although the Harry Potter series has been critiqued and analysed by journalists and academics alike, their analysis lacks attention to how J.K. Rowling has constructed gender, and the agency of the female characters, within these texts.

Fairclough (1995) states that Critical concepts, in fact, show relations and causes which are unseen; it also implies intrusion, for instance providing resources for those people who may be disadvantaged through change. Atkins (2002) believes that the exposure of things hidden is essential, as they are not comprehensible to the people occupied.

Definitions of CDA

CDA discipline has attracted many scholars since the 1980s significantly with the works of Norman Fairclough. In 1995, Fairclough provided the following definition for CDA:

CDA means discourse analysis which aims to systematically explore often opaque relationships of causality and determination between (a) discursive practices, events and texts, and (b) wider social and cultural structures, relations, and processes; to

investigate how such practices, events and texts arise out of and are ideologically shaped by relations of power and struggles over power; and to explore how the opacity of these relationships between discourse and society is itself a factor securing power and hegemony. (132-3)

Wodak and Meyer (2001) depict the concept in the following manner:

CDA is fundamentally concerned with analysing opaque as well as transparent structural relationships of dominance, discrimination, power and control as manifested in language. In other words, CDA aims to investigate critically social inequality as it is expressed, signalled, constituted, and legitimised, and so on by language use (or in discourse). (2)

Furthermore, Scollon (2001) defines CDA as "a program of social analysis that critically analyses discourse - that is to say language in use - as a means of addressing social change". (140)

CDA Framework by Fairclough

Fairclough is considered to have contributed to the field of CDA most significantly. His model may be the core section of the entire field of CDA because he was the first to create a theoretical framework, which provided guidelines for future CDA research.

His belief that the language is a fundamental part of social life is the central part of his structure. The dialectic relation between language and social reality is realised through social events (texts), social practices (orders of discourse) and social structures (Fairclough, 2003). Fairclough attempts to uncover ideological and power patterns in books in his research method of analysis. He is the only CDA scholar who defines the relationship between power and language in his study (Fairclough, 1989). Fairclough provides a three-dimensional framework for the analysis of text and discourse:

1) the linguistic description of the formal properties of the text; 2) the interpretation of the relationship between the discursive processes/interaction and the text, where text is the end product of a process of text production and as a resource in the process of text interpretation and lastly, 3) the explanation of the relationship between discourse and social and cultural reality. Fairclough's (1989) analysis has gone beyond the "whatness" of the text description towards the "how" and "whyness" of the text interpretation and explanation. There are certain underlying assumptions behind certain selections of discourse. These assumptions are never value-free and innocent; rather they are ideologically driven and motivated. By studying the forms of the language, we can discover the social processes and also the particular ideology embedded in them. This leads to the exploration of power relations that exist in society or community. He believes in a "hidden agenda".

According to Fairclough model, his analytical framework can be classified into the following:

1. Textual Analysis.
 - a. Vocabulary analysis.
 - Adjectives
 - Noun/Verb
 - Taboos
 - Overlexicalization
 - b. Grammar analysis.
 - Transitivity
 - Modality
 - c. Text Structure.
 - Sentence length and complexity
 - Turn-Taking Strategies
2. Discursive Analysis.
 - a. Manifest Intertextuality.
 - b. Constitutive Intertextuality.
3. Social Analysis.
 - a. Feminism

- Representation of Women
- Beauty Myth
- Sexuality
- b. Patriarchy
 - Physical Oppression
 - Social Oppression
- c. Identity
 - Self-Identity
 - Public-identity

The third dimension, **Social Analysis**, in Fairclough's three-dimensional framework looks at discourse as social practice. That is, discourse in relation to ideology and power placing it within a view of power as hegemony, and a view of the evolution of power relations as hegemonic struggle (Fairclough,1992:86). According to Fairclough (ibid), social practices are the things people have accepted and learned from the environment, culture and society they live in. Discourse is therefore not only what is said, but also how something is said within a particular structure. And since social actions become realities through discourses, one cannot ignore the role of discourse in trying to exhibit the ideologies hidden within societies (Souto-Manning,2012:160). Fairclough (2003:25) defines social practice as "articulations of different types of social element which are associated with particular areas of social life," and the function of social practice is to "articulate discourse (hence language) together with other non-discoursal social elements." Consequently, an understanding of the context will give an extra perspective to the analysis of the discursive practice, and help to identify the discourses used. Furthermore, an analysis of the social practice will emphasise the different social non-linguistic conventions within the context that have an influence on how the text is consumed and produced (ibid).Therefore, it is an important part of analysing discourse as it helps expose the ideological import of certain representational choices, and show how through them a socially determined behaviour can be maintained or overthrown. The current study is about investigating the feminist language in Harry Potter and the Sorcerer's Stone to

show how feminism is exhibited throughout the novel and what linguistic elements are used to address feminist issues.

Feminism in Children's Literature.

In children's world literature, analysis and studies are mostly oriented towards characters' stereotypical sex roles. The primary concern is to see whether the characters acted by these roles. In such dominant norms, girls are supposed to be nice and well-behaved, like the March sisters in Louisa May Alcott's *Little Women* (1868-1869), while boys are meant to be adventurous and mischievous, like Mark Twain's *The Adventures of Tom Sawyer* (1876), *Adventures of Huckleberry Finn* (1884), *Tom Sawyer Abroad* (1894), and *Tom Sawyer, Detective* (1896). (Nikolajeva, 129).

In his essay "Gender, Genre and Children's Literature," John Stephens constructed a chart for masculinity and one for femininity. (18)

Male Characteristics	Female Characteristics
Strong (inner strength)	Beautiful (outer beauty)
Violent	Non-violent
Unemotional	Emotional
Aggressive	Submissive
Transgressive	Obedient
Competitive	Sharing
Rapacious	Caring
Protective	Vulnerable
Powerful	Powerless
Independent	Dependent
Active	Passive
Rational	Intuitive

Figure 1. Stephens' chart for masculinities and feminities

To authorise his chart, Stephens says that the "socially desirable male" conforms to the male stereotype and in the same way "the 'good' woman" conforms to the female stereotype. If she did not, she would be "undesirable" (19). Stephens also writes that the characteristics of males are considered superior to the female

ones. If a female character shows male characteristics, this will subvert the norms, and she is forced back into the female stereotype. In her book *Archetypal Patterns in Women's Fiction*, Annis Pratt states that "in literature girls grow down while boys grow up." (30) Thus, stereotypes hold girls back, while boys are permitted to evolve as the characters in *Harry Potter*.

Harry Potter as Children World Literature

The term children's literature, mostly, is defined in *Britannica Concise Encyclopedia* as:

The body of written works produced to entertain or instruct young people. The genre encompasses a broad range of works, including acknowledged classics of world literature, picture books and easy-to-read stories, and fairy tales, lullabies, fables, folk songs, and other, primarily orally transmitted materials. It emerged as a distinct and independent form only in the second half of the 18th century and blossomed in the 19th century. In the 20th century, with the attainment of near-universal literacy in most developed nations, the diversity in children's books came almost to rival that of adult modern literature. (<https://www.britannica.com/art/childrens-literature>)

Harry Potter and the Sorcerer's Stone, published in Great Britain in 1997, achieves an instant success, and Rowling quickly rises to fame. Nicholas Tucker (1999) notes how rapidly the *Harry Potter* books became a familiar name:

The phenomenal commercial and critical success of the first three *Harry Potter* stories is without precedent in twentieth-century British children's literature. ... [B]estselling writers have made a lot of money quickly, but none had managed in a first novel to prove so instantly

acceptable both to critics and to a vast international child and adult readership (the Potter series has already been translated into more than two dozen languages). In just two years, after being refused by at least two major publishers, J.K. Rowling is now the hottest property in children's literature and serial prize-winner. (quoted in Mayes-Elma, 104)

The novel has been translated into forty-seven languages in late 2001 (Puig, p. 1E). Since the first book, *Harry Potter and the Sorcerer's Stone* came out in the United States in 1997; it and the three subsequent volumes have been on the New York Times bestsellers list continuously. What is notable is that this is the first time since *The Wizard of Oz* (1900) that a children's book has resided on the New York Times bestsellers list. When the first children's literature list came out in December 2000, the Harry Potter novels topped it off. (Mayes-Elma, 105)

One of the complaints the publishers had about the first manuscript Rowling submitted was that it was too long for a "children's book" at 309 pages. Moreover, since the first book Rowling has increased the length of each successive book to reach to 870 pages, and the books are "becoming more like epics" (Alton, 2002). However, Beach & Willner (2002) find that children like the length of the Harry Potter books. A young boy stated, "I was glad to get to read that big book. It made me feel important" (Mayes-Elma, p. 105). It also makes children who do not like to read want to read. This new attitude toward reading has not gone unnoticed by adults. In a 2002 issue of *The Toledo Blade* an editorial cartoon by Kirk Walters appears with a father is standing over his son who is reading a Harry Potter book, while, in the background, the television set is black. The father asks his son, "If Harry Potter is such a cool wizard, what's his greatest achievement?" to which his son replies "Getting me to turn off the TV and open a book". (quoted in Mayes-Elma, 105)

Not only have adults taken notice of the Harry Potter phenomena, but teachers have also incorporated the books into their lessons. Reading Harry Potter and the Sorcerer's Stone becomes a standard practice at elementary schools for fifth graders. Also, at a Cincinnati high school, first-year students are required to read Harry Potter and the Sorcerer's Stone. Scholastic publishing company has even created a teacher's guide for each Harry Potter novel. Moreover, adults also design courses around the books at the collegiate level. The University of Cincinnati in Ohio and Boise State University in Idaho began classes centred on the Harry Potter books in 2001. (Ibid., 1). Vera J. Camden, Professor of English at Kent State University, decides to use the Harry Potter books because she believed that people could relate to Harry:

These novels are so artistically rich in their nature. This is literature that survives on a chord it strikes within readers. It feeds their fantasies. Potter books appeal to children's fantasies and dreams of grown-up children as well. The idea of being a skinny little kid with glasses and messy hair is not that foreign to anyone. What Rowling says in these books with the stories and in the characters, she resonates with so many people. (quoted in Mayes-Elma, 106).

Applying Fairclough's Social Analysis on *Harry Potter and the Sorcerer's Stone*

Harry Potter and the Sorcerer's Stone tells the story of Harry Potter, an eleven-year-old kid who has lived with the Dursley family since the death of his parents in a car crash. For reasons unknown, he has been mistreated by the Dursley family. On his eleventh birthday celebration, a huge man named Rubeus Hagrid gives him a letter revealing to him that he has been admitted to study at the Hogwarts School of Witchcraft and Wizardry. Harry discovers that his parents were wizards and were slaughtered by a malicious wizard Voldemort, a truth that has been hidden for many years. He leaves for his new life as a student, getting acquainted

with Ron Weasley and Hermione Granger as his companions. They soon discover that something exceptionally profitable is concealed someplace inside the school and Voldemort is extremely restless to lay his hands on it.

The Title

In an online article, "Harry Potter's Girl Trouble," writer Christine Schoefer reports that the series is sexist because "Harry, of course, plays the lead. Harry is supported by...a colorful cast of male characters." Schoefer, along with many other critics, when they say they believe Harry Potter is a sexist novel; they use their reason as the fact that the main character is a male. However, a male character being the main is may not be an enough reason to consider the novels sexist. Depending on Fairclough's social analytical framework, we can prove how Harry Potter is a social gender biased book.

Social Analysis

Feminism

Representation of Women

Heilman (2003), who critiques Harry Potter regarding gender, deconstructs Harry Potter books through a feminist theory lens noting: "Males are represented more often, but they are also depicted as wiser, braver, more powerful, and more fun than females. It is not merely who is present, but, also, how characters are portrayed and what they do that matters. Most of the girls are depicted as anti-intellectual and most keenly interested in the low-status magic of Divination Class. At the height of action, females are not typically very involved, and they are fearful and emotional. . . . Sometimes females begin an action scene as a token presence, but something always happens to them. Hermione is primarily an enabler of Harry's and Ron's adventures, rather than an adventurer in her own right" (2003: 223-224). This can also be seen in the Harry Potter novels.

Hermione Granger was almost as nervous about flying as Neville was. This was something

you couldn't learn by heart out of a book — not that she hadn't tried. At breakfast, on Thursday she bored them all stupid with flying tips she'd gotten out of a library book called Quidditch Through the Ages. Neville was hanging on to her every word, desperate for anything that might help him hang onto his broomstick later, but everybody else was very pleased when Hermione's lecture was interrupted by the arrival of the mail. (Rowling, 143-144)

Beauty Myth

Traditionally, inner strength is seen as a masculine characteristic while outer beauty is seen as something feminine. In the Harry Potter J.K. Rowling has both followed and subverted this stereotype. It can easily be applied when analysing Hermione's behaviour and anxiety when it comes to her looks. When we first get to meet Hermione, she is described as a girl with "lots of bushy brown hair and rather large front teeth" (Rowling, p. 79). Hermione, as we learned when we first met her, has quite large front teeth and decides to do something about it using magic.

'Hermione,' said Ron, looking sideways at her, suddenly frowning, 'your teeth ...'

'What about them?' she said.

'Well, they're different ... I've just noticed ...'

[...]

'No, I mean, they're different to how they were before he put that hex on you ... they're all ... straight and – and normal sized.'

Hermione suddenly smiled very mischievously, and Harry noticed it too: it was a very different smile to the one he remembered. (Rowling, 352)

Harry, Ron and Hermione use a potion to transform into other students. While things go well for Harry and Ron, "Hermione

is transformed into a cat and is so ashamed about the way she looks she hides in the bathroom" (Rowling 1998:168). She cannot stand the fact that two boys are going to see her looking like that. Harry's and Ron's transformations go well, but they still look ridiculous since they have transformed into two of the ugliest boys at Hogwarts. However, they do not feel ashamed at all and merely see it as something funny. Here, the girl feels ashamed of her looks because she knows she will always be the object, and therefore always be the one getting her appearance judged by the boys (the subject). The boys, on the other hand, are not in this particular situation exposed to this disciplinal gaze and therefore do not take their looking ridiculous as seriously as she does.

Sexuality

Sexuality is the main issue within feminism. It is "just one of those things you are born with, you do not choose it, it's just part of who you are, whether you be physically, emotionally & sexually attracted to males, females, or even both" (Urban Dictionary, 2014). Moreover, in an article entitled "Sexual Orientation, Gender Identity, and Employment Law," sexual orientation is defined as a pattern of emotional, romantic, or sexual attraction to men, women, both genders, neither gender, or another gender. (2013) In Harry Potter's community, an individual's sexual orientation along with one's gender, and denomination can often be a target of discrimination in the Muggle world as wizards tend to place discrimination on blood purity. Hermione always has two things working against her; she is both a girl and a 'mudblood' (a muggle born witch). Mudblood is a highly derogatory term for a Muggle-born wizard or witch; that is, individuals with no wizarding parents or grandparents. There does not appear to be any difference in the magical power of Muggle-borns compared to those who are pure-blood or half-blood, but those prejudiced against Muggle-borns consider them to be of "lower breeding" or worth. The term implies that the individual has "dirty blood" and is considered extremely offensive. There are similar other, less commonly used, words such as "creature of dirt", an offending term for people who cannot help

being Muggle-born. A mudblood person is abysmal according to some wizards and witches. Hence, Hermione feels the need to recompense for being muggle-born and non-attractive by becoming intellectual and well-read instead.

Patriarchy

In The Concise Encyclopaedia of Sociology, patriarchy is described as "originally used to describe autocratic rule by a male head of a family, patriarchy has been extended to describe a more general system in which power is secured in the hands of men" (441).

Physical Oppression

In this novel, there is a kind of mental abuse. At the beginning of Harry Potter and the Sorcerer's Stone, Hermione is always teased by her classmates for being too smart. At first, Harry and Ron have trouble getting along with Hermione, and they think she is an irritating know-it-all. The question is if this has to do with the fact that Hermione is a girl, or would the boys react the same way towards a boy know-it-all? Could it be the fact that Hermione lacks (or at least does not show) much of the feminine traits that make the boys resent her? A closer look at the text shows that it is not Hermione's cleverness that Harry and Ron dislike, but her way of showing strength and a confidence mostly seen in men. Hermione's gender display is not natural, according to the gender stereotypes, and by acting in ways not correlating to being feminine Ron and Harry feel endangered by her. Ron has no luck with a spell, and when Hermione tries to help him, he gets frustrated, probably because he does not want to be dependent on the skills of a girl. Traditionally, it is the man who is supposed to help the woman and not the other way around. After class he has to discuss this with Harry:

‘It's no wonder no one can stand her,’ he said to Harry as they pushed their way into the crowded corridor, ‘She's a nightmare, honestly.’ Someone knocked into Harry as they

hurried past him. It was Hermione. Harry caught a glimpse of her face – and was startled to see that she was in tears.' 'I think she heard you.' (Rowling, 127)

When Hermione realises that the boys do not like her she can no longer maintain her, dominant façade gets upset and hides in the girls' bathroom. When Ron and Harry later realise that there is a troll in the dungeon and that Hermione is in danger they rush to her rescue. They find her just as the troll is about to kill her but manage to save her by showing off their manly protective characteristics, while Hermione is portrayed as a vulnerable woman (Rowling, 128). Then, Harry and Ron accept Hermione as one of the gang. She had to be put in a vulnerable situation for them to like her. This is the starting point in Hermione's process of girling; she has to conform to the norms to remain a viable subject. This process is, according to Butler, used to discipline, regulate and oppress women physically. If a woman does not conform to stereotypical and suitable behaviour, men do not want her and would punish her (1993:232). If Hermione had not been vulnerable, the boys would not have liked her and would have still felt threatened by her masculine and confident way of being.

Social Oppression

Heilman (2003) discovers that the female characters in the book are depicted as the enablers to the male characters. Girls on the Quidditch team would often score points for their team, but scoring points would rarely win the game. Instead, the game would be won by the seeker capturing the golden snitch, and the seeker would also be a boy.

Heilman (2003) finds the older female characters are treated as "less than equal". Professor McGonagall, an older female professor at Harry's school, is book smart, and just like Hermione, she is a stickler for the rules. Unlike Headmaster Dumbledore, an older male character who is in charge of the school, Professor McGonagall can be easily tricked by the boys. Heilman maintains that the male students would lie to Professor McGonagall and get

away with it because she would believe them. Dumbledore, on the other hand, does not believe the boys when they lie to him, he sees truth through their lies. To the contrary, when the female students in the books lie to their elders, whether male or female, they are caught in their lie. Hermione could not even convince Professor McGonagall to believe in her lies. (Heilman, 2003)

Identity

Self-Identity

Self-identity usually refers to the result of an identification of self, by self, or in other words the self-identification on the part of the individual. It is something that is unique to a person and makes that person an individual within the social. "From Teenage Witch to Social Activist," William Thompson writes that Hermione resists the overreaching limitations of heroic fantasy. To prove her self-identity, she spends hours in the library searching for the identity of Nicholas Flamel identity (as the maker of the sorcerer's stone). However, no credit is given to her discovery, as it is Harry who discovers the Flamel's name on the back of a chocolate frog card.

Hermione took out a list of subjects and titles she had decided to search while Ron strode off down a row of books and started pulling them off the shelves at random. Harry wandered over to the Restricted Section. He had been wondering for a while if Flamel wasn't somewhere in there. (198)

.....

Harry felt in the pocket of his robes and pulled out a Chocolate Frog, the very last one from the box Hermione had given him for Christmas. (218)

.....

"I've found him!" he whispered. "I've found Flamel! I told you I'd read the name somewhere before, I read it on the train coming here — listen to this: 'Dumbledore is particularly famous for his defeat of the dark wizard Grindelwald in 1945, for

the discovery of the twelve uses of dragon's blood, and his work on alchemy with his partner, Nicolas Flamel!" (219)

A second example is of Hermione's agency is her effort to break what she believes to be Professor Snape's curse to knock Harry off his broom during the first Quidditch match. What Hermione does not know is that the former is attempting to save Harry and she unwittingly breaks the spells:

Hermione had fought her way across to the stand where Snape stood, and was now racing along the row behind him; she didn't even stop to say sorry as she knocked Professor Quirrell headfirst into the row in front. Reaching Snape, she crouched down, pulled out her wand, and whispered a few, well-chosen words. Bright blue flames shot from her wand onto the hem of Snape's robes. (145)

.....

"Yes..." said Dumbledore. "Funny, the way people's minds work, isn't it? Professor Snape couldn't bear being in your father's debt... I do believe he worked so hard to protect you this year because he felt that would make him and your father even. (200)

Thus, Hermione tries to assert her self-identity by acting alone to the extent to interfere with a teacher. Yet, within the limitations of patriarchal society, all her agency and effort to self-assertion is not credited. Moreover, Heilman claims that girls are represented as anti-intellectual, interested mostly in magic of the lower order as taught in Divination classes (Heilman 2003: 223). Hence, Hermione's knowledge is important, but only contributes to Harry's advantage and not hers: "Harry now had Hermione as a friend. He didn't know how he'd have gotten through all his homework without her." (Rowling, f119)

Public-identity

Elizabeth E. Heilman expresses her disappointment with the main female character, Hermione Granger, and lists many examples of negative ways female identity is portrayed in the novel (Heilman 2003: 222). Contrary to male characters, Hermione often shows fear, for instance, she cowers with fear when she sees a troll so that the boys (Harry and Ron) had to rescue her:

"Come on, run, run!" Harry yelled at Hermione, trying to pull her toward the door, but she couldn't move, she was still flat against the wall, her mouth open with terror.

Hermione had sunk to the floor in fright; Ron pulled out his own wand — not knowing what he was going to do he heard himself cry the first spell that came into his head: "Wingardium Leviosa!" (Rowling: 116).

Hermione is essentially a very independent character. She solves problems on her own, and she mostly depends on her knowledge and skills to do so, but as she is formed into a woman she realises that independence is not a very feminine trait and that she will be more successful if she shows some dependence once in a while (which she does to get Harry and Ron to like her in the beginning of the series). This could be seen as a critical comment, by Rowling, to the fact that women have to be dependent ladies in distress and that the norm is so strong that not even Hermione could defy. On the other hand, it can also be seen as a female character once again conforming to the stereotype, maybe because the (female) author did not have the strength to let her character break the norms and by doing so become a role model to all young girls. At the end of the novel when awards are distributed, Hermione keeps her fragile feminine character:

"Second — to Miss Hermione Granger... for the use of cool logic in the face of fire, I award Gryffindor house fifty points."

Hermione buried her face in her arms; Harry strongly suspected she had burst into tears. Gryffindors up and down the table were beside themselves — they were a hundred points up. (204)

Conclusion

Through applying Fairclough's social analysis, Female characters in Harry Potter and the Sorcerer's Stone proved to be dominated by the dominant male society. Such messages of sexism and the representations of gender must be critically examined in children's literature. It is of dire importance that we investigate what is being taught to children. Children hear such sexist stories over and over again becoming desensitised to the sexist content and believe it to be normal, a matter that would create a patriarchal society.

References:

- Cherland, Meredith. "Harry's Girls: Harry Potter and the Discourse of Gender" *Journal of Adolescent & Adult Literacy* Vol. 52, No 4 (2008): 273-82.
- Cherland, M. R. & C. Edelsky. "Girls and Reading: The Desire for Agency and the Horror of Helplessness in Fictional Encounter" *Texts Of Desire: Essays Of Fiction, Femininity And Schooling*. Linda K. Christian-Smith University of Wisconsin-Oshkosh, 1993.
- "Children's World Literature." *Britannica Concise Encyclopedia*. <https://www.britannica.com/art/childrens-literature>. Accessed on 13 July 2016.
- Fairclough, N. & R. Wodak, (1997). Critical discourse analysis. In T. van Dijk (ed.), *Discourse as Social Interaction. Discourse Studies: A Multidisciplinary Introduction*, vol. 2. London: Sage. p 258-84.
- Heilman, Elizabeth E. and Trevor Donaldson (2003). "From Sexist to (sort-of) Feminist: Representations of Gender in the Harry Potter Series" *Critical Perspectives on Harry Potter*. Ed. Elizabeth E Heilman. Abingdon: Routledge, 2003.
- Mayes-Elma, Ruthann. "A Feminist Literary Criticism Approach to Representations of Women's Agency in Harry Potter." *Electronic Thesis or Dissertation*. Miami University, 2003. OhioLINK Electronic Theses and Dissertations Center. 22 May 2015.
- Pratt, Annis. *Archetypal Patterns in Women's Fiction*. Bloomington, Ind., 1981.
- Ritzer, George ; J Michael Ryan. *The Concise Encyclopedia of Sociology*. Chichester, West Sussex, U.K. ; Malden, MA : Wiley-Blackwell, 2011.
- Rowling, J.K. *Harry Potter and the Sorcerer's Stone*. London: Bloomsbury, 1997.
- Schoefer, Christine. "Harry Potter's Girl Trouble." <http://www.salon.com/2000/01/13/potter/> Accessed on 18 May 2016.

Scollon, R. Mediated Discourse as Social Interaction. London:Longman, 2001.

"Sexual Orientation, Gender Identity, and Employment Law." (2013) <https://www.novaeterrae.eu/archivio/en/news/465-sexual-orientation-gender-identity-and-employment-law.html> Accessed on 28 January 2017.

Stephens, John. "Gender, Genre and Children's Literature." Signal 79(1996): 17-30

Thompson, William. "From Teenage Witch to Social Activist." Hermione Granger Saves the World: Essays on the Feminist Heroine of Hogwarts. Ed. Christopher E. Bell. McFarland & Comapany, 2012.

Wodak, R., and M. Meyer. Methods of Critical Discourse Analysis. Great Britain: SAGE Publications, 2001.

Realism in F. Scott. Fitzgerald's This Side of Paradise And The Great Gatsby F. Scott Fitzgerald's Unique Literary and Writing Style

□ أ.م.د. عبد الرحمن سليمان خليل

□ الجامعة العراقية / كلية الآداب

المخلص

لا يمكن المبالغة في نشر أعماله الأدبية لفيزجيرلد ضمن مجموعه مختارات أدبيه مع كُتاب آخرين اقل شانا .فيزجيرلد كاتب مبدع ولديه أسلوبه الأدبي المتميز عن غيره من الكتاب . أسلوب فيزجيرلد مختلف تماما ولا غريب مثل الكتاب المعاصرين . سبب شهره فيزجيرلد تعود للمواضيع التي اختارها للإعمال أكثر من أساليبه المبتكرة في ألكتابه . تناول فيزجيرلد في إعماله الأدبية على قضايا عصره وبلده . الخبرة والتجربة والثقافة هي التي تصنع الكاتب وتلهمه للكتابة . يتناول البحث تأثير المدارس الأدبية الواقعية ، الحداثة ، الوجودية على الإعمال الأدبية للكاتب ، مواضيعه ، التقنيات الأدبية وأسلوبه في الكتابة مبنيا على الروايات التي إلفها الكاتب .

Abstract

The importance of including Fitzgerald in American Literature anthologies cannot be overestimated. He believed that he was an original. Fitzgerald's style is completely his own and perhaps the most incomparable aspect of his prose. It is neither so subtly different that it takes perfect pitch to identify nor so eccentric as to be self-consciously sui generis as some other modernist writers. He frequently exploited

and became famous for his material rather than because of his technical innovations. The central thematic concerns of Fitzgerald were those of his time and of his country. As writers' material—the subjects, experiences, ideas that they examine and re-examine—is what makes them the kinds of authors they are, this paper tries to investigate more intensely on the influence of three important literary movements: Realism, Modernism and Existentialism on Fitzgerald's creative works, his material, subjects and themes and techniques and style based on his creative novels.

Keywords:

F. Scott Fitzgerald, American Dream, Double Vision, Emotional Bankruptcy, saturation method, writing style, literary movements.

Introduction

F. Scott Fitzgerald is one of the most renowned writers of the 20th century that his heritage and the public fascination of his lifestyle have significant roles in the context of world literature. The realistic effort of the late 19th century writers—especially in this case F. Scott Fitzgerald—who accurately shows life and its problems attempted to give a comprehensive picture of modern life by presenting the entire world picture. He did not try to give one view of life but instead attempted to show the different manners, classes, and stratification of life in America and he created this picture by combining a wide variety of details derived from observation and documentation to approach the norm of his experience. Along with this technique, he compared the objective or absolute existence in America to that of the universal truths, or observed facts of life. Thus, the Realistic elements are obvious in all Fitzgerald's works. The main objective of this paper is conducting a scientific study of unique style and writing techniques of Fitzgerald in the field of literature and creating an updated perspective of the reflection of three literary movements Realism, Modernism and Existentialism in his works. F. Scott Fitzgerald occupied an outstanding place in the annuals of American Literary history in the arena of twentieth century American fiction.

He best represented the Roaring Twenties with his evocative works.

The importance of this study and the necessity of awareness of literature and Fitzgerald's life and environment at that time seems useful according to the study of literature.

The fact that there is a perennial interest in Fitzgerald that has resulted in dozens of books and

hundreds of articles also the variety of opinions about Fitzgerald's works has been expressed by several of the most famous writers. One of the primary and valuable sources we paid attention to, is Judith S. Baughman and Mathew J. Bruccoli, *The Literary Masters; F. Scott Fitzgerald*, .

These series provide educators and researchers a source featuring not only literary movements and biographical data but also discussions of significant cultural and historical aspects of literature. The *Literary Masters Series* lights up biographical details of an author's life, providing a point of reference that gives insight into experiences that may have influenced the author's subject matter and writing style. The next literary source is *The Cambridge Companion to F. Scott Fitzgerald*, Cambridge university press, 2002. This particular volume has a great amount of information both in terms of analysis of Fitzgerald's works, and the ramifications their receptions had on Fitzgerald himself and on his career. It takes note of Fitzgerald's career in terms of both his writing and his life, and presents the reader with a full and accessible picture of each, against the background of American social and cultural change in the early decades of the twentieth century.

The Far Side of Paradise, a biography of **F. Scott Fitzgerald** by **Arthur Mizener** and a new introduction by **Mathew J. Bruccoli**, was the first biography about Fitzgerald to be published and is ascribed with renewing public interest in the subject.

Mizener believed that there are three concentric areas of interest in a study of Scott Fitzgerald. At the heart of it is his work, One area of interest in this book is the time and place in which he lived. His time and place haunted him every minute of his life and the

effect of his preoccupation is what most obviously distinguishes his work from that of the good sociological novelists like Doss Passos on the one hand and, on the other, from that of the emotional and self-regarding novelists.

Autumn Fontenot in an article by the name of The Writing Style of F. Scott Fitzgerald, Prezi, 2013, mentioned that F. Scott Fitzgerald is known as one of the most brilliant writers of his time. The most obvious feature that he is known for is his wonderful writing style. Though Fitzgerald did take a few techniques from his idol authors, he created his own strategies that captured a deep and meaningful message. Fitzgerald utilizes many writing techniques to draw the reader in and create his own unique style. He uses diction, similes, syntax, and rhetorical strategies to convey his message and understanding of his novels' qualities.

3. Discussion:

Many authors after the First World War created a new literature of long-term merit that shattered conservative taboos in their expression of physical and psychological reality. This was the beginning of Modernism, which although, influenced by Realism and often mentioned to as postponement of naturalistic values, was the answer to America's new-found problems. Fitzgerald was a non-expatriate who developed a modernist literature that was connected to American traditions but, what all the modernists shared was a belief in literature's significance in the contemporary world, and the need for it to be repeatedly vital. Like realists, the modernists and naturalists focused on changes on society and used symbolism, to attack society's problems and make their own judgments of the basic foundations of American

life. Indeed both attacked the different moral dilemmas in the society. The only difference was that these dilemmas were different. So, author like Fitzgerald directed the modernistic renaissance by using realistic and naturalistic techniques. He is thought of as a romantic writer, but he combined these qualities with Realism, meaning accuracy of observation and characterization. This Side of Paradise was read as a realistic account of Princeton undergraduate experience and the next novel Tender is the Night provides a convincing account of expatriate life and a profound examination of character deterioration. Besides it should be noted that the effects of Fitzgerald's exposure to naturalism are evident in his novelette May Day and in the novel The Beautiful and Damned. What is significant about this author is the influence of European Existentialisms on his canon of works and the depth of the cultural moments he capture in his art. For example in The Great Gatsby the dominant strain of cultural discourse, which focused on the applicability of Friedrich Nietzsche's philosophies of modern civilization and the modern individual to American interests and concerns is reflected. Like the existentialists, Fitzgerald recognizes the inadequacy of American democracy in an increasingly commercial and consumer culture and rejects the capitalistic values, identities and norms prescribed by and reinforced through the increasingly oppressive social and political structures of American culture. For Fitzgerald what are at stake are the individual, the inventive spirit, and the life of the nation and they echoes all the way through his early works, a sentiment manifest in their portraits of incapable, lost, aimless, and emotionally unfulfilled characters. Extensively, he expatriated himself since he felt

America no longer provided an environment for the real growth of the individual or for the cultivation of the resourceful spirit, something particularly Europe, and Paris, not only offered, but encouraged and held in high esteem. Indeed he presents his readers with art of living for his time, for his readers' personal, unquestionably biased lives. Throughout his twenty-year career as a professional writer, Fitzgerald was often regarded as a not-quite-serious literary figure. This assessment was fueled by his image as a free-spending, heavy-drinking playboy and by the material he often exploited: the romantic interests of young people; the pursuit of wealth, success, and happiness by ambitious poor boys; the concerns of affluent, upper-middle-class men and women. Fitzgerald's material seemed, in short, the stuff of popular, escapist fiction rather than of enduring literature the subjects, experiences, ideas that they examine and re-examine—is what makes them the kinds of authors they are. Writers and material are inseparable, as Fitzgerald explained in his 1933 essay *One Hundred False Starts*: "Mostly, we authors must repeat ourselves—that's the truth.

We have two or three great and moving experiences in our lives—experiences so great and moving that it doesn't seem at the time that anyone else has been so caught up and pounded and dazzled and astonished and beaten and broken and rescued and illuminated and rewarded and humbled in just that that way ever before. Then we learn our trade, well or less well, and we tell our two or three stories—each time in a new disguise—maybe ten times, may be a hundred, as long as people will listen .

Fitzgerald's experiences include his growing up with a sense of being a poor boy in a rich man's world

but also with a sense of his own special destiny: both perceptions led him to believe in and pursue the American Dream of success, personal fulfillment, and wealth. Another of his formative experiences was his dramatic early success as a writer and celebrity, which was followed by his later collapse into Emotional Bankruptcy and anonymity: his greatest work from the late 1920s through the mid of 1930s examines the decline of potential heroes, a decline colored by their own and their creator's sense of regret. Another of his life- and work-shaping experiences was the intense romance and devastating misfortune of his relationship with Zelda Sayre Fitzgerald: virtually all of his important female characters reflect some facet of Zelda and his involvement with her Subjects and Themes.

Theme is most dramatically expressed through character, and Fitzgerald used the people he created to convey his personal vision of the world. In his five novels and 160 stories, he portrayed a wide range of characters. Though he may be most closely identified with his debutantes, college boys, and ambitious young men seeking the fulfillments promised by wealth, social standing, and personal happiness, he also provided memorable portraits of the other kinds of people. Because they are drawn from his own experience, many of Fitzgerald's characters manifest recognizably Fitzgeraldian qualities. His men often combine ambition for early success with the desire for romantic love and the achievement of an ideal life. They often lack the hardness to fulfill their dreams. Certain of Fitzgerald's male characters are actually weak, but the majority of the men portrayed by Fitzgerald fail because the objects of their pursuit do not and cannot measure up to the men's conceptions of them. Because the quests of Fitzgerald's best male characters usually are

played out in the real world, their objects, their dreams, are assailed by inevitable change and loss, so that youthful beauty fades; innocence hardens into cynicism; and aspiration fade when tested against harsh experience. "Can't repeat the past?" [Gatsby] cried incredulously. 'Why of course you can!' (Fitzgerald, 1951, p. 116) Gatsby is wrong, but his faith makes him unforgettable.

Women like Fitzgerald's female characters scarcely existed in American fiction before 1920. The best of his heroines are brave, determined, beautiful or attractive, intelligent (but not educated), and chaste. These young women, many of them still in their teens, also understand that their lives depend upon the marital choices they make. Fitzgerald clearly admired attractive, independent, unconventional women, but he also tended to treat his most fully developed women characters rather critically. Many of his most complex female characters are incapable of sharing the lofty dreams and aspirations of the men who love them. Fitzgerald was not a purely objective reporter or chronicler of the Jazz Age and the 1930s but instead brought a strong moral perspective to his work. His central characters undergo processes of self-assessment (Amory Blaine, for example), or they judge others (Nick Carraway), or they are judged by Fitzgerald himself, who constantly measured the behavior of characters against implicit standards of responsibility, honor, and courage. One of this writer's main methods was his adaption of a standpoint that the critique Malcolm Cowley labeled Double Vision, the discernment of events both as an outsider and as an insider. One of the paramount and mainly recognizable embodiments of double vision in Fitzgerald's work is the narrator of *The Great Gatsby*, Nick Carraway, who

both takes part in and explains the action of the novel. In the second chapter Nick describes himself as “an entangled” in as well as a “watcher” over the events and his position as both insider and outsider remains intact throughout the novel. For many of the young expatriate writers, the American Dream—the belief that aspiration could be fulfilled through imagination and hard work—seemed dead or at least terribly corrupted. They thus moved to Europe, which appeared to offer a freer, more stimulating, and perhaps less hypocritical environment. Although Fitzgerald lived abroad for nearly six years and was one of the major American writers to emerge during 1920s, he did not share the disillusionment with or contempt for their country of certain expatriate Americans. Instead he was unabashedly patriotic, believing that America remained the land of opportunity of idealism, of great potentialities and possibilities. For Fitzgerald the American Dream was inextricably connected with the country's history, which he called in a note accompanying material for *The Love of the Last Tycoon* “the most beautiful history in the world.”

In his novels and stories, Fitzgerald revealed not only the fulfillment of the American Dream but also the many ways it could be debased and distorted. His most evocative protagonists—among them Jay Gatsby and Dick Diver —share that quality of the idea and willingness of the heart defined by Fitzgerald as quintessentially American. Although they are frequently disappointed in their quests, it is not finally the dream that fails them but instead something else: some weakness or corruption in themselves or others. In *The Great Gatsby*, for example, Gatsby's dreams are noble, even incorruptible; but as Nick Carraway says, it is “what preyed on Gatsby, what foul dust floated in the

wake of his dreams” that destroys him: his own purity about the differences between the new and old wealth, and the solidity and negligence of the Buchanans.

In *Tender is the Night* Dick Diver's pursuit of the American Dream of success and fulfillment is defeated by weakness in himself, and in his final unfinished novel, *The Love of the Last Tycoon*, Fitzgerald develops a protagonist who has achieved the American Dream of success and fulfillment and then makes explicit both the imaginative and historical validity of his twenty-year investigation of the American Dream.

In 1940 Fitzgerald wrote in a letter to his daughter: “Life is essentially a cheat and its conditions are those of defeat ... the redeeming things are not 'happiness and pleasure' but the deeper satisfactions that come out of struggle.” This short sentence sums up Fitzgerald's point about the American Dream. More than any other author of his era, with the probable exception of Theodore Dreiser, Fitzgerald was conscious about the influence of money on American life and character. As he wrote solemnly about money, ambition, and love, which were generally undividable in his work, he has been labeled a materialist by his critics. He has been considered as an uncritical venerator of the wealthy, a view disseminated by Ernest Hemingway at 1936.

It will be of conspicuous importance to see what was in money that a resourceful man of Fitzgerald's personality and mentality was so earnestly after. Fitzgerald wrote about the rich, but his understanding of the effects of money on character was complex. His works reflect his ambivalence of attitude: his attraction to and his distrust of the rich. For Fitzgerald, money was an important part of the American Dream because it provided not just luxuries but also opportunities

unavailable to less affluent people. Money therefore had its obligation. As once Fitzgerald told Hemingway in his 16 July, 1936 letter of reply to *The Snows of Kilimanjaro*: "Riches have never fascinated me, unless combined with the greatest charm or distinction."

Wealthy people who wasted or perverted the opportunities that their money gave them were objects of Fitzgerald's disappointment or disapproval. In *The Beautiful and Damned* Anthony Patch's expectations of an inheritance cause him to waste his talents and life. In *The Great Gatsby* "the Buchanan's money makes them careless, hard and directionless." In *Tender is the Night* "Dick Diver has been swallowed up like a gigolo, and somehow permitted his arsenal to be locked up in the warren safety-deposit vaults."

Fitzgerald clearly understood that money had the power to corrupt its possessors, just as it had the potential to increase their fulfillment. Fitzgerald's reaction to money was wrought by his family's vague social status in St. Paul and by his contact to the sons and daughters of the wealthy at prep school and Princeton. In a 4 March, 1938 letter to Anne Ober about Scottie Fitzgerald's forthcoming private-school graduation ceremony, Fitzgerald wrote: "... we will watch all the other little girls get diamond bracelets and Cord roadsters.

I am going to costumers in New York and buy Scotty some phony jewelry so she can pretend they are graduations presents. Otherwise, she will have to suffer the shame of being a poor girl in a rich girl's school that was always my experience- a poor boy in a rich town; a poor boy in a rich boy's school; a poor boy in a rich man's club at Princeton. So I guess she can stand it. However, I have never been able to forgive the rich

for being rich, and it has colored my entire life and works.”

Fitzgerald's sense of being excluded from the freedom and opportunities provided by money had been further intensified by his inability to marry Zelda right away because of his failures in New York following his army discharge. Because Fitzgerald's response to wealth was complex, mixing resentment and strong attraction, his fictional treatment of his material is both profound and extensive. Beside, Fitzgerald with his great sense of pattern was trying to find a way through which he could impose order on the chaotic world he was living in. Therefore, he might have assumed in the safe and proud world of the rich above the hot struggles of the poor he could get what he had always been seeking.

Fitzgerald employed a financial metaphor, Emotional Bankruptcy, to label a theme that pervades his work. He believed that people have a fixed amount of emotional capital and that when his capital is depleted by reckless expenditure, it cannot be replaced. Fitzgerald developed this idea from his own struggles with money, personal relationship, and internal and external impediments to his work. During the 1930s he confided in his notebooks, “I have asked a lot of my emotions- one hundred and twenty stories, the price was high, right up with Kipling, because there was one little drop of something not blood, not a tear, not my seed, but me more intimately than these, in every story, it was the extra I had. Now it is gone and I am just like you now.”

In *The Crack-Up* he described his sense of Emotional Bankruptcy through financial metaphors, declaring that “like a man over-drawing at his bank, he

felt a vast irresponsibility toward every obligation, a deflation of all my values”

In his statement he suggested that both he and his countrymen, engaged in quests for the quintessential American Dream of success, wealth, and happiness, must almost inevitably exhaust their energies and resources. Most significantly, Dick Diver, having given too much to too many people, fades from once-brilliant psychiatrist to failed small-town doctor in *Tender is the Night*. The final sentences of the novel is a much-admired example of Fitzgerald's perfectly controlled tone and rhythm as he conveys Diver's Emotional Bankruptcy and obscurity: “perhaps, so she [Nicole Diver] liked to think, his career was biding its time, again like Grant's in Galena; his latest note was post-marked from Hornell, New York, which is some distance from Geneva and a very small town; in any case he is almost certainly in that section of the country, in one town or another.”

The importance of including Fitzgerald in American Literature anthologies cannot be overestimated. Fitzgerald said of himself in a letter to his editor Maxwell Perkins, “in a small way I was an original.”

This remark opens the way for comparison to other writers. Fitzgerald's style is completely his own and perhaps the most incomparable aspect of his prose. It is neither so subtly different that it takes perfect pitch to identify nor so eccentric as to be self-consciously *sui generis*, like the writing styles of Ernest Hemingway or William Faulkner. The central thematic concerns of Fitzgerald were those of his time and of his country. With literary Modernism, Fitzgerald's work has little in common. With the book of *This Side of Paradise*, Fitzgerald became known as a daring writer

primarily because of his material and themes rather than because of his technical innovations. His questing young men and courageous young women, who challenged conventional standards of behavior, seemed emblematic of the new decade of the 1920s, thereby attracting youthful readers and unsettling many older ones. Fitzgerald, however, was not essentially a modernist or an experimental writer, as were many of his contemporaries. Except, for a brief passages in *This Side of Paradise* and *Tender is The Night*, he avoided the stream of consciousness technique perfected by British Writers James Joyce and Virginia Woolf. Fitzgerald also rejected what he called the "infectious style" with its short declarative sentences and simple diction of Ernest Hemingway.

He tried to find the visible act that revealed a moral quality inherent in a certain moment of time. "He was haunted by time, as if he wrote in a room full of clocks and calendars. He said in an otherwise undistinguished magazine story, any given moment has its value; it can be questioned in the light of after-events, but the moment remains."

Fitzgerald's techniques and writing style were traditional because his vision of the world was at least in part drawn from pre-World War I assumption. Lionel Trilling correctly observed that "Fitzgerald was perhaps the last notable writer to affirm the Romantic fantasy, descended from the Renaissance, of personal ambition and heroism, of life committed to, or thrown away for, some ideal of self."

Whereas Hemingway's and Dos Passos's male protagonists often express their disillusionment with "all faiths", Fitzgerald's best male figures adhere to these faiths, though they may question them and may be defeated in their quests. He asserted his allegiance

to the older, 19th-century tradition: "I am the last of the novelists for a long time now."

Fitzgerald was above all, a story teller who achieved a close relationship with the reader through the voice of his fiction, which was intimate, warm, and witty. Trilling defined this quality as his power of love: "... There is a tone and pitch to the sentences which suggest his warmth and tenderness, and, what is rare nowadays and not likely to be admired, his gentleness without softness ... He was gifted with the satiric eye; yet we feel that in his morality he was more drawn to celebrate the good than to denounce the bad ... we perceive that he loved the good not only with his mind but also with his quick senses and his youthful pride and desire."

Raymond Chandler made a similar point about Fitzgerald's distinctive voice: "He had one of the rarest qualities in all literature... the word is as charm as Keats would have used it. It is not a matter of pretty writing or clear style. It's a kind of subdued magic, controlled and exquisite, the sort of thing you get from good string quartettes. Yes, where would you find it today?" .

Most practitioners of American social fiction tend to saturate their texts with the details of character and place, but Fitzgerald in his mature work employed a different method. Critics have observed that in *This Side of Paradise* Fitzgerald employed the saturation method, mixing a variety of styles and forms—verse and short plays, for example, are included within his narrative—as well as at least two sometimes inconsistent points of view. The reviewer for the *New Republic* described the novel as "the collected works of F. Scott Fitzgerald."

The Beautiful and Damned is more tightly constructed than This Side of Paradise, though it still suffers from inconsistent style and tone, authorial intrusions, and awkwardly interpolated material from other genres. With The Great Gatsby Fitzgerald truly became the novelist of selection, disciplining his wealth of literary sources and his fertile imagination. He uses carefully selected details of description to convey through each object the character and vision of its owner. For example, the most famous automobile in American literature, Gatsby's yellow car, is not defined as a Rolls-Royce or a Duisenberg but is instead labeled by Tom Buchanan as a "circus wagon" and described by Nick Caraway as "a rich cream color, bright with nickel, swollen here and there in its monstrous length with triumphant hatboxes and tool-boxes, and terraced with a labyrinth of wind-shields that mirrored a dozen suns."

With these descriptions Fitzgerald conveys "Gatsby's gorgeous, grandiose platonic conception of himself in service of a vast, vulgar and meretricious beauty."

Throughout his works Fitzgerald's writing style is impressionistic and his details evoke sensory responses in the reader. In the description of Nicole Diver's shopping trip in Book one, chapter 12 of Tender is the Night, permit omniscient-narrator response: "... she bought colored beads, failure beach cushions, artificial flowers, honey, a guest bed, scarves, love birds, miniatures for a doll's house and three yards of some new cloth the color of prawns ..., two chamois leather jackets of kingfisher blue and burnings bush from Hermes—bought all these things not a bit like a high-class courtesan buying underwear and jewels, which were after all professional equipment and insurance-

but with an entirely different point of view. Nicole was the product of much ingenuity and toil. For her sake trains began their run at Chicago and traversed the around belly of the continent to California; ... men mixed toothpaste in vast and drew mouthwash out of copper hogsheads; girls canned tomatoes quickly in August or worked rudely at the Five-and-Tens on Christmas Eve; ...these were some of the people who gave a tithe to Nicole, and as the whole system swayed and thundered onward it lent a feverish bloom to such processes of hers as wholesale buying."

Here Fitzgerald astonishes the reader with the variety and luxury of Nicole's purchases, then suggest the price that her extravagant needs exact both upon poorer people everywhere and upon herself and in a final imaginative leap, concedes her exciting feverish bloom and grace as she fulfills her privileges as a wealthy woman. In other places Fitzgerald's style evokes mood. At the beginning of chapter 3 of *The Great Gatsby*, Nick Carraway begins his first description of a Gatsby party with these lines: "There was music from my neighbor's house through the summer nights. In his blue gardens men and girls came and went like moths among the whisperings and the champagne and the stars."

The language and rhythm of these sentences establish a romantic scene. Fitzgerald, through his narrator Nick, employs language that subtly suggests both the magic and corruption that fill the world of the novel. Many literary critics have attempted to identify distinctive elements of Fitzgerald's style. They have focused on his dramatic use of verbs—Wilson's car that crouched in a dim corner—or his pattern of linking adjectives that seem contradictory: "Nicole Diver's hard and lovely and pitiful face."

Critics have also cited his linkage of apparently incompatible nouns and adjectives to produce startling but thematically evocative effects: the triumphant hatboxes of Gatsby's car and the blue garden of his parties, both suggesting the grandeur but unreality of his vision of self. Commentators have given much attention to symbolism in Fitzgerald's novels and short fiction, particularly to his expansion of color imagery into large symbolic patterns, his persistent drawing upon figures and episodes from American history, and above all, his pervasive concern with time and mutability, or inevitable change. "In *The Great Gatsby* there are at least 450 words that have to do with time, and in *Tender is the Night*, 840 words. In *May Day* Fitzgerald examines the failure of virtually all social classes in the United State to fulfill the promises of the American Dream and at the end of the story he uses symbolism to convey his message." Through his symbolism Fitzgerald subtly but profoundly suggests how far the modern Americans of the story have fallen from the New World dreams.

A single example from *The Great Gatsby*—a novel filled with evocative symbols—illustrates Fitzgerald's skill in handling this device. The green light at the end of Daisy's dock becomes an emblem of Gatsby's devotion to her and to the dream that she personifies for him. The green light becomes symbolic not only of Gatsby's dreams but also of the elusive American Dream that all readers presumably share. Fitzgerald has been particularly praised for his handling of point of view and structure, especially in *The Great Gatsby*. His adaption of a partially involved narrator for the novel—a technique that he probably learned from reading British fiction writer Joseph Conrad—allowed Fitzgerald both to bring structural complexity to the

novel and to increase readers' belief in and sympathy for his title character. Nick, who tells Gatsby's story, declares at the beginning of the novel that he is "inclined to reserve all judgments,"

but as he is drawn in to relationship with the characters, this intelligent, observant, and essentially moral man is forced to judge the conduct of these characters. Fitzgerald intended to employ a similar partially involved narrator, Cecelia Brady, in *The Love of the Last Tycoon*, but because the unfinished novel is fragmentary and Fitzgerald's notes and outlines for the complete work are unclear about Cecelia's role, it is impossible to say whether she would have been the only narrator of *Love of the Last Tycoon*. In *Tender is the Night*, however, Fitzgerald abandoned the first-person narrator and developed instead another complex structural plan. Fitzgerald was clearly a master of stylistic and technical devices that are often identified with great writing. Arthur James Thurber recognized an effect of this mastery when he wrote in 1942, "Fitzgerald's perfection of style and form, as in *The Great Gatsby*, has a way of making something that lies between your stomach and your heart quiver a little."

Gertrude Stein declared in 1933 that Fitzgerald was "the only one of the younger writers who wrote naturally in sentences," She could have added that he combined his sentences into fully developed, integrated paragraphs. But Fitzgerald was more than a brilliant technician and stylist. In an October 1936 letter to his daughter, who was trying to write short stories, Fitzgerald offered advice drawn from his own experience: "If you have anything to say, anything you feel nobody has ever said before, you have got to feel it so desperately that you will find some way to say it that

nobody has ever found it before, so that the thing you have to say and the way of saying it blend as one matter-as indissolubly as if they were conceived together.”

So it could be said that Fitzgerald's accomplishments as a fiction writer were, finally, the product of his remarkable fusion of technique and style with material, theme, and a distinctive personal voice. To sum up, the principal themes of Fitzgerald's works derive from the assertion of pressure when one thought (generally embodied in a character) conquers over the other. The general subjects, Fitzgerald deals in all his stories are: youth, physical prettiness, prosperity, and potential or romantic readiness—all of which are ideals to him. Set against these subjects are their polar opposites: age, unattractiveness, poverty, and misspent potential. Such conflict and resulting tension is, certainly, the material of which all fiction is made. With Fitzgerald's heroes, nevertheless, partially due to the themes which he deals with and partially because of his professional handling of the view point and occasionally the multiple viewpoints as using a logical addition of the narrator-observer, he tries to carry objectivity even further than he does in his novels. The choices are seldom as obvious or as precise to the major characters at the time as they may be to a separate observer, or as they may appear in retrospect to have been. It is Fitzgerald's major gift that he can draw the reader into a mesh of emotional connection to a character, while concomitantly permitting him to scrutinize the complexity of the mesh. That is what Fitzgerald's double vision at its best is eventually about. Fitzgerald was improving his preceding concerns from as far back as into the current. Only probably in his achieving the historical prophecy does Fitzgerald go

beyond his past concerns. Some of his works deal with the moral corruption of society on a global stage, and some reveal that the writer is a novelist who has attained philosophical view and technical skill and has added them onto the presenting establishment of his craftsmanship.

Conclusion:

F. Scott Fitzgerald, like other late 19th century Realist writers, tried to show the diverse manners, classes, and stratification of life in America and he created this picture by combining a broad variety of details derived from surveillance and documentation to approach the norm of his experience. Along with this technique, he compared the objective or absolute existence in America to that of the universal truths, or observed facts of life. As a result, the Realistic elements are apparent in all his works. Fitzgerald directed the modernistic renaissance by using realistic and naturalistic techniques. He is considered as a romantic writer, but he combined these qualities with Realism, meaning precision of observation and characterization. Moreover, what is noteworthy about this author is the influence of European Existentialisms on his canon of works and the depth of the cultural moments he capture in his art.

All the way through his literary life, Fitzgerald was often regarded as a not-quite-serious literary figure. This assessment was fueled by his image as a free-spending, heavy-drinking playboy and by the material he frequently exploited and became famous for rather than because of his technical innovations: the pursuit of wealth, success, and happiness by ambitious poor boys; the romantic interests of young people; the concerns of affluent, upper-middle-class men and women. He provided memorable portraits of the other kinds of people who manifest recognizably **Fitzgeraldian** qualities as well.

His central characters undertake processes of self-assessment, or they judge others, or they are judged by Fitzgerald himself. Many of his most complex

female characters are incompetent of sharing the arrogant dreams and aspirations of the men who love them. One of the best and the most familiar personifications of double vision in Fitzgerald's work is Nick Carraway, who either participates in and comments on the action of the novel. For Fitzgerald the American Dream was bound up inevitably with the country's history. He wrote about the rich, but his perception of the influence of money on character was complex. His works reflect his appeal to and his mistrust of the rich. Fitzgerald used a fiscal metaphor, Emotional Bankruptcy to label a theme that permeates his work. Fitzgerald expanded this idea from his individual struggles with money, personal affiliation, and internal and external obstructions to his work. To sum up, the foremost themes of Fitzgerald's novels derive from the declaration of tension when one idea (usually personified in a character) triumphs over another. The main denominators are the topics with which Fitzgerald deals with in all of his novels: youth, bodily attractiveness, wealth, and potential or romantic willingness—all of which are ideals to Fitzgerald. Next to these subjects are their polar opposites: wasted potential, poverty, ugliness, age. Such conflict and consequential tension is, certainly, the stuff of which all fiction is made. Symbolism in Fitzgerald's novels and short fiction is given much attention to. Fitzgerald in his mature work employed the Saturation method, mixing a diversity of styles and forms. With *The Great Gatsby* Fitzgerald truthfully became the novelist of selection, disciplining his wealth of literary sources and his creative imagination. His writing style is impressionistic and his details evoke sensory responses in the reader. He, nevertheless, was not in essence a modernist or an experimental writer, as were many of

his contemporaries. Fitzgerald's techniques and writing style were traditional because his vision of the world was at least in part drawn from pre-World War I assumption. He was beyond all, a story teller who achieved a close relationship with the reader by the voice of his fiction, which was warm, intimate, and witty. Fitzgerald has been mostly praised for his handling of point of view and structure, particularly in *The Great Gatsby*. In the first half of the 20th century, Fitzgerald became the most famous American writer in the world. His unique style differs distinctively from that of writers before him, and his work helped shape both the British and American literature that followed it. He was the self-styled spokesman of the Lost Generation, clearly a master of stylistic and technical devices that are often identified with great writing. All in all, Fitzgerald's style is utterly his own and perhaps the most unique aspect of his prose. Many writers have acknowledged their respect of his style, but no writer has productively imitated him. He was undoubtedly a master of stylistic and technical devices that are often identified with great writing .

References:

THIS SIDE OF PARADISE BY F. SCOTT FITZGERALD.

1. Anne, R. G.. Color in Fitzgerald's Novels. Fitzgerald/Hemingway Annual. Edited by Brucoli and Clark. Washington, D.C.: NCR Microcard Editions.
2. Acting, Rhetoric, and Interpretation in Selected Novels. New York: Peter Lang.
3. The Literary masters: F. Scott Fitzgerald. New York: Gale Group.
4. Cowley, M. (1951). The Introduction to the Stories of F. Scott Fitzgerald. New York: Scribners.
5. Fitzgerald, F. S. The Great Gatsby. New York: Bantam.
6. Fitzgerald, F. S. (1958). Afternoon of an Author. Edited by Arthur Mizener.
7. New York: Scribners.
8. Fitzgerald, F. S. (1972). As Ever, Scott Fitzgerald. Letters Between F. Scott Fitzgerald and His Literary Agent Harold Ober. Edited by Brucoli. Philadelphia and New York: Lippincott.
9. Fitzgerald, F. S. (1978). Quoted in F. Scott Fitzgerald. The Critical Reception. Edited by Bryer. New York: Burt Franklin.
10. Fitzgerald, F. S. (1978). The Notebooks of F. Scott Fitzgerald. Edited by Brucoli. New York: Brucoli
11. The crack-up. Edited by Edmund Wilson. New York: New Directions Pub. Corp. Fitzgerald, F. S. (1994).
12. Fitzgerald: A Life in Letters. Edited by Brucoli. New York: Scribners. Fitzgerald, F. S. (1996).
13. Tender is the Night. Text established by Brucoli. London: Everyman.